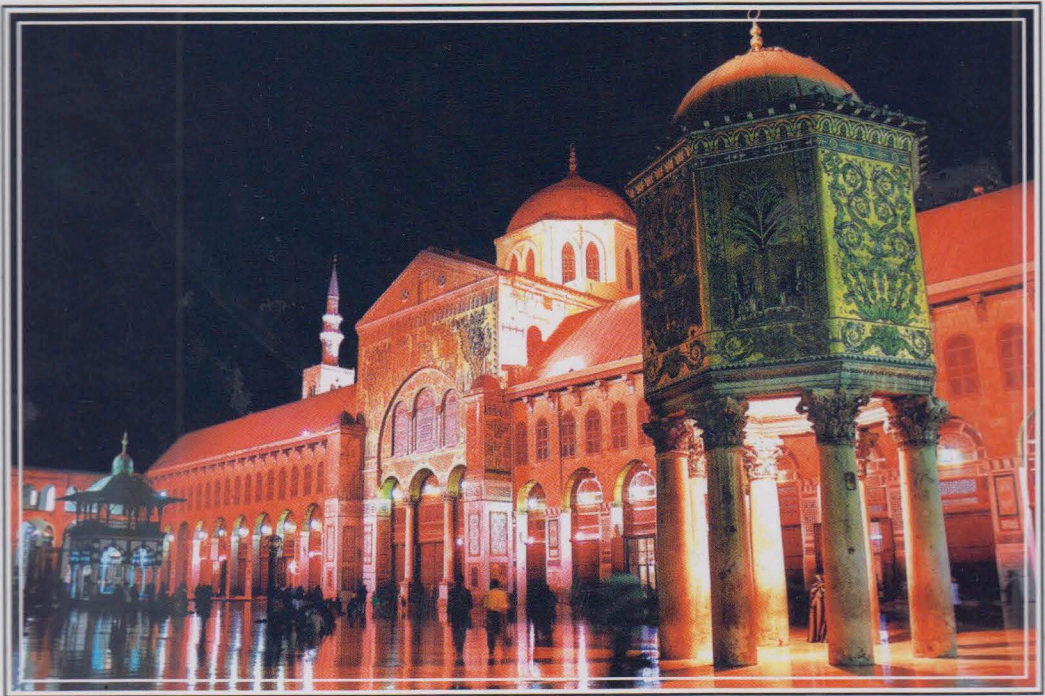


محمد سعيد الطريحي

معالم الشام وأعلامها تاريخ التشيع في بلاد الشام



الجزء الثالث

دار الرافدين



مكتبة
مؤمن قريش

www.moumenqarish.com



الكوفة
Kufa Academy

محمد سعيد الطريحي

معالم الشام وأعلامها

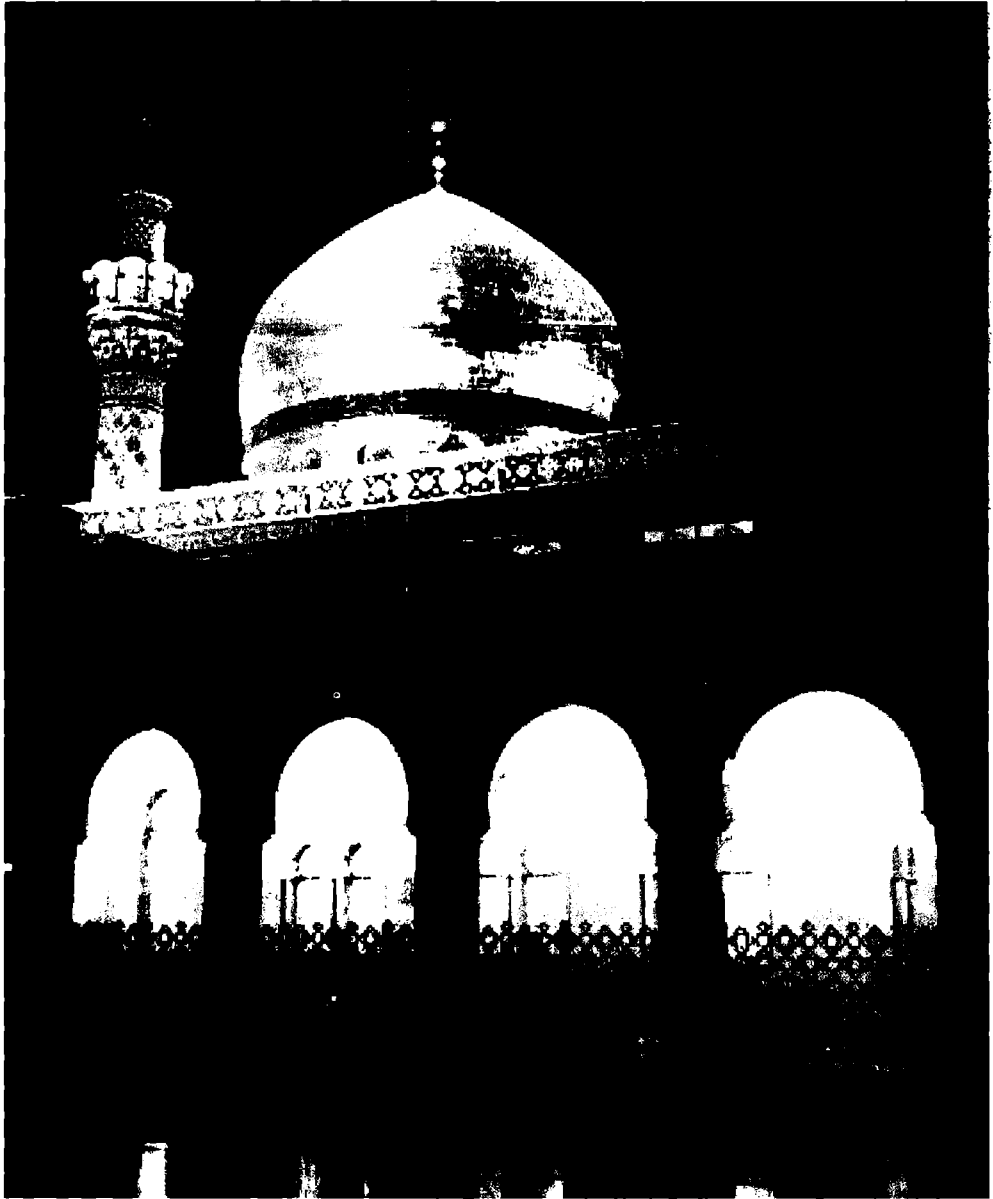
الجزء الثالث



الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

مولده



نَايِخُ الشَّيْخَةِ فِي الشَّعْكَ

الكوفة

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي



الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة
هولنده
الشيخ محمد سعيد الطريحي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
الطاهرين الأئمة المعصومين
عليهم السلام آمين

المكتبة الملكية - لاهاي ISSN 13842773

يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية أو عبر الحاسبات
لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء منها، بغير إذن كتابي مسبق من الناشر
Hans Katib Van Oud-beijerland

الموسم

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريره
محمد سعيد الطريحي

الموسم تكرم حرية الفكر، وتحترم رأي كل مجتهد اتفقت معه في الرأي أم اختلفت.

الموسم غير مسؤولة عما ينشر فيها من مقالات وبحوث وآراء.

الموسم ترحب بكل رد يصلها على أي مقال ينشر فيها، عندما يكون صاحب هذا الرد
صادراً في كتاباته عن معرفة وملتزماً بأداب المناظرة.

KUFA ACADEMY POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEIJERLAND
NEDERLAND

<http://www.almawsem.net>

<http://www.yafatim.com>

e-mail: almawsem@almawsem.net

تراثنا

مكتبة
مؤمن قريش

مكتبة مؤمن قريش
www.muhammadquraysh.com

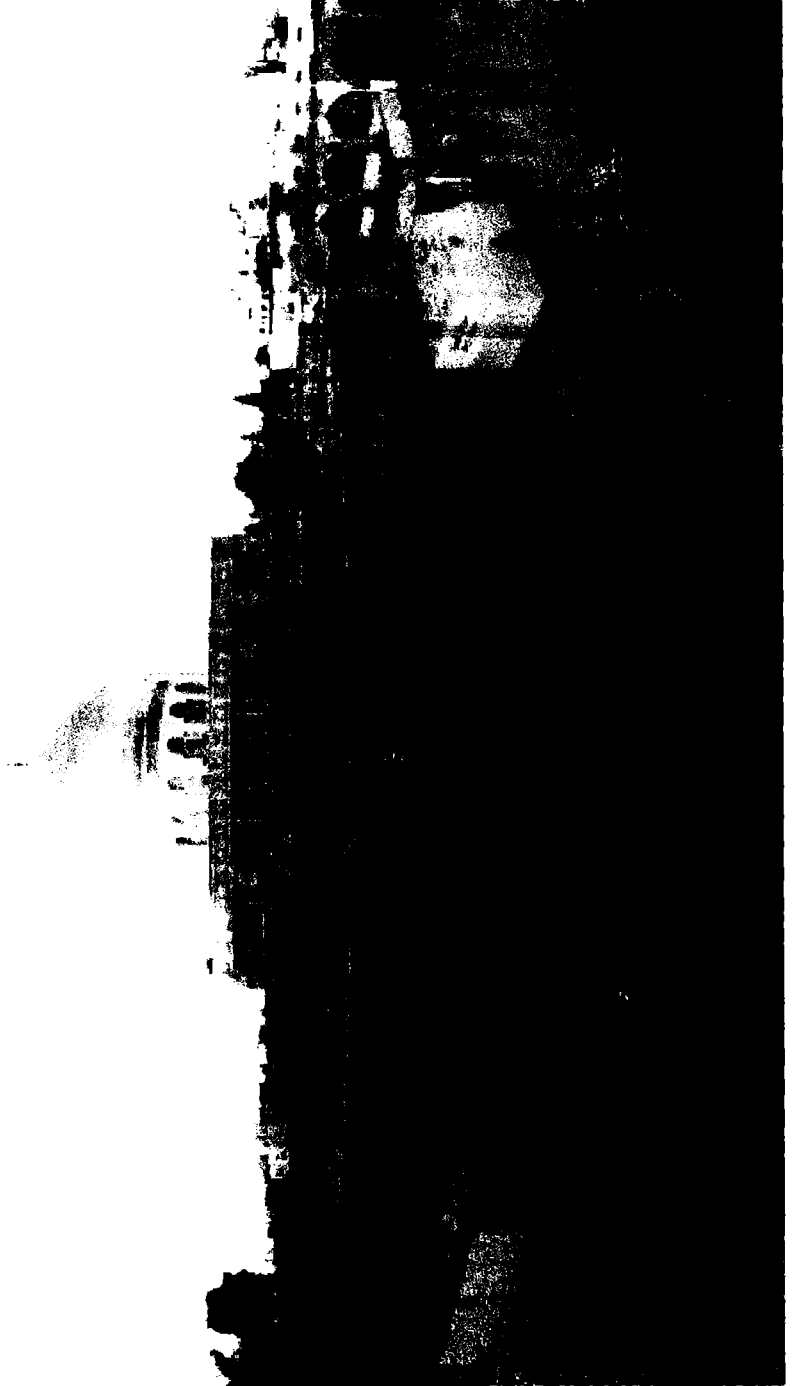
المحتويات

٩	طواف المجد بين العراق والشام... الدكتور السيد علاء الجوادى
٤٥	أعلام الموسم.. العلامة العربي المبدع حسن كامل الصباح
٦٣	حسن كامل الصباح.. المخترع العربي... أحمد عارف الزين
٦٥	أدواؤنا الاجتماعية والدينية ودواؤها... للناطقة العربي حسن كامل الصباح
٦٨	هذا النابغة العربي.. من يعرفه وينصفه... ماهر شمسي باشا
٧١	أديسون العرب حسن كامل الصباح... عجاج نويهض
٨٢	حسن كامل الصباح... منح الصلح
٨٧	الشرق ماد أسى في رثاء حسن كامل الصباح... الشيخ سلمان ظاهر
٨٩	أخبار سكينه بنت الإمام الحسين (عليه السلام)... أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي
١٠٤	سكينه بنت الشهيد.. رواية شعرية... علي الصقلي
١١٢	حياة السيدة سكينه (عليها السلام) «رد على كتاب الأغاني»... توفيق الضكيكي
١١٩	سكينه بنت الحسين بين الناس ومع الله... الأستاذ حسن البسيوني
١٢٥	من أخبار السيدة سكينه بنت الحسين عليه السلام... السيد محسن الأمين
١٣٢	ابن منير الطرابلسي
١٤٥	السيد حسين يوسف مكي العاملي... الدكتور محمد كاظم مكي
١٧٧	ظاهر العمر ووقائعه مع شيعة لبنان
١٨٩	شعراء أهل البيت (عليهم السلام) في مدينة حلب... الدكتور حسين جوين
٢٠٠	مقامات الأردن
٢١١	شواهد قبور من مقبرة باب الصغير بدمشق
٢١٨	الشيخ عبد الرحمن الخير... الدكتور قصي الشيخ عسكر
٢٢١	محبة آل البيت الكرام... الأستاذ علي الرضا
٢٢٢	من أعلام حلب المعاصرين
٢٢٨	مذبحة السادات في حلب

٢٣٠	حديث حجر بن عدي الكوفي
٢٣٢	محمد بن طلحة النصيبي الشافعي
٢٣٦	ضرب الحوطة على جميع الفوطه لشمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي
٢٤٤	عبد الكريم الطاراني
٢٤٤	أحمد بدر خان
٢٤٥	مشاركة الشيعة في مؤتمر دمشق السري
٢٤٥	الدكتور حسين ابراهيم الحاج حسن
٢٤٧	عبد الرحمن الكواكبي... أسعد داغر
٢٤٩	جدي الكواكبي... الدكتور عبد الرحمن الكواكبي
٢٥٣	الرحالة كاف عبد الرحمن الكواكبي: لعباس محمود العقاد... الدكتور محمود السمره
٢٥٨	مفكر في باب الوزير... جمال القصاص
٢٦٣	البُحْثري
٢٦٥	الأيام الصعبة... الدكتور سعدون حمادة
٢٧٠	مزارات الكرك
٢٧٣	أبو ذر الغفاري... صلاح الدين كامل مشرف
٢٨١	أبو ذر الغفاري... سعيد زايد
٢٨٣	أبو ذر الغفاري... الدكتور وليد قمحاوي
٢٨٨	أبو ذر الغفاري... عبد المحسن القصَّاب
٢٩٢	الصحابي الجليل عمار بن ياسر «رض»... د. أحمد السري
٢٩٥	من نوادر عمار بن ياسر... عن نثر الدر للآبي
٢٩٦	الشهيد الذي اشتاقت اليه الجنة عمار بن ياسر... الدكتور أحمد الشرباصي
٢٩٩	علامة الهدى عمار بن ياسر... السيد صدر الدين شرف الدين
٣١٠	عمار بن ياسر... الشيخ عبد الله المراغي
٣١٢	الإمام الشيخ زين الدين «الشهيد الثاني»
٣١٤	تحقيق في مقتل الشهيد الثاني... الشيخ رضا المختاري
٣٢٥	الصلة بين شيعة بلاد الشام وفقهاء العراق... الدكتور جودت القزويني
٣٣٢	من تاريخ الحياة العلمية في جبل عامل... محمد جابر آل صفا العاملي
٣٤٤	موقف الأتراك من شيعة الشام

٣٤٧	الشيخ سليمان ظاهر
٣٥٨	أعضاء جمعية العلماء العاملة
٣٦٠	رد على وليم مارتان هل طلب الشيعة الحماية من فرنسا؟... الشيخ سليمان الظاهر
٣٦٣	الدكتور حسن عباس نصر الله
٣٦٤	الشيخ أحمد رضا
٣٦٥	الأمراء الحرفوشيون... عيسى اسكندر المعلوف
٣٧٣	أحمد عبيد
٣٧٥	السيد علي حامد الحسيني... الحاج حسين الشاكري
٣٧٨	الدكتور نادر نظام طهراني
٣٨١	رضا آل مرتضى
٣٨٥	مقام السيدة زينب الكبرى في بلدة راوية وسدنته السادة آل مرتضى
٤٠٢	محمد علي الجمال
٤٠٣	جمعية الثانوية المحسنية أحد نماذج الأوقاف الإسلامية في القرن العشرين ... د . بشرى خير بك ...
٤٢٦	«المحسنية» تجربة رائدة تختزن تاريخ التعليم في سورية ... سعاد جروس
٤٣٨	معاوية بن يزيد
٤٤٠	الحاج محمد حسين راغب
٤٤٩	صفحات من تاريخ بلدة الفوعة... الدكتور حسين راغب
٤٥٣	الشيخ جواد محمد جواد
٤٥٩	إبراهيم محمد جواد
٤٦٤	هاني الخير
٤٦٧	كتاب «الهيام بين العراق والشام»... الأستاذ الدكتور مازن يوسف صباغ
٤٧٢	العراق ينتصر لسوريا
٤٧٤	صورة الشام في الشعر العراقي ... الدكتور محمد ونان جاسم الغزي
٤٧٩	سورية والشام في المأثور العراقي... إبراهيم عبد الرزاق
٤٨١	السيد علي النجافي
٤٨٣	بغداد في الشعر السوري... الدكتور شكري فيصل
٤٩٨	«الديارات» من الشابشتي الى الطريحي... الأب الدكتور سهيل قاشا
٥٠٠	من إصدارات الموسم

مقام السيدة زينب (ع) - جنوب دمشق



طواف المجد بين العراق والشام

مهد الحضارة

العراق وسوريا البلدان الشقيقتان الجاران وركنا بلاد الهلال الخصيب المهد الأول للحضارة الإنسانية. كانا بإرادة الله متجاورين وكاد شعبهما أن يكون شعباً واحداً عبر آلاف السنين فكل ما في العراق تجد له امتداداً في بلاد الشام وكل ما في بلاد الشام تجد له امتداداً في بلاد الرافدين حتى عاد تاريخهما تاريخ واحد ومسيرهما مسيرة واحدة. وحسب سفر التكوين وهو الجزء الأول من التوراة حول مدينة بابل، ان الانطلاقة الإنسانية بعد الطوفان كانت من بابل وكان الناس فيها امة واحدة وبلغة واحدة. وهكذا صاغت أقلام كتبة التوراة القصة. فشاء ساكنو تلك الأرض بناء مدينة وبرج تبلغ قمته السماء: ولنجعل لنا اسماً لئلا نتشتت على وجه الأرض كلها. ونزل الرب ليرى المدينة والبرج اللذين شيدهما بنو الإنسان، وقال: إن البشر كلهم واحد، وإن لهم جميعاً لغة واحدة. وقد شرعوا في عمل هذا، ولن يعصى عليهم شيء فكروا في صنعه. فلننزل ونبلبل عليهم لغتهم لكي لا يفهم بعضهم كلام بعض. وهكذا فإن الرب شتتهم من هناك على وجه الأرض كلها، وكفوا عن بناء المدينة. ولذا فإن اسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لغة الأرض جميعاً، ومن هناك شتتهم بعيداً عن وجه الأرض كلهم سفر التكوين: ١١ عد ٩.١.

هذا الكلام دونه أحبار اليهود في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد. وقال بعض المؤرخين إنه يعود في الأصل إلى السومريين الذين نزلوا وعاشوا في منطقة بابل، إذ أن النص خلط ووصل بين اسم المدينة بابل والبلبل وفي الحقيقة أن بابل تتألف من كلمتين أكاديتين: باب. إيلو ومعناها باب الله أو باب الآلهة ولا علاقة لها بالبلبل. ويغض النظر عن التحريف في تفاصيل الرواية التوراتية وما يحمله من فكري يقوم على أساس العداء بين الإنسان وخالقه، فإن الفكرة الأساسية هي أن بابل كانت المنطلق للحضارة الإنسانية المستمرة في مرحلة ما بعد الطوفان.

موجز عن تاريخ العراق القديم

تناولت كتب تاريخ العراق القديم تفاصيل هذا التاريخ ومنها ما لخصته عبر مراحل الزمنية المتعاقبة وقد يكون من المناسب اقتباس بعضا منها في هذه المقدمة فقد بدأ عصر الزراعة

(١) سفير جمهورية العراق في الجمهورية العربية السورية، وقد كتب هذا البحث تقديمياً للطبعة الثانية لكتاب الهيام بين العراق والشام، تأليف محمد سعيد الطريحي، صاحب موسوعة الموسم

في بلاد الرافدين، وهو أول عهد للإنسان بتعلم الزراعة، بحدود سنة ٩٠٠٠ قبل الميلاد وتطور حوالي سنة ٥٥٠٠ ق.م. في قرية جرمو في شمالي العراق في أواسط العصر الحجري الحديث. ومن البديهي أن تكون الزراعة يومذاك محدودة وعلى نطاق ضيق جداً.

بدأ فجر الحضارة في العراق بحدود سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وانتهى بالحقبة الزمنية التي ابتدع فيها الإنسان العراقي الكتابة لأول مرة في تاريخ الإنسانية في الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد. وتشير المصادر التاريخية والبحوث الأركيولوجية أن ثمة تطورات حصلت في بلاد الرافدين والإقليم الجغرافي الذي تقع فيه أدت إلى تحول الإنسان في هذه المنطقة من عصر جمع القوت إلى عصر إنتاج القوت واكتشفت الزراعة على ضفاف دجلة والفرات وكانت ظروف امتداد الثورة الزراعية واتساعها عاملاً مهماً في تبلور العديد من الظواهر الاجتماعية المتطورة. لقد شهد العراق خلال هذه الأطوار:

١- اتساع الزراعة، ٢- بداية الحياة الحضرية، ٣- التحولات الكبيرة في القرية نحو تأسيس المدن المهمة. ٤- اكتشاف فن التعدين، ٥- اختراع دولاب الخزاف، ٦- صناعة الأجر المفخور، ٧- اكتشاف العربة ذات العجلة. ٨- اكتشاف المحراث، ٩- صناعة السفن الشراعية. ١٠- ظهور فن النحت. ١١- تطور المعبد كمؤسسة دينية واجتماعية وثقافية وظهور المباني العامة كالمعابد حيث كثرت وازدادت أهميتها منذ طور العبيد. ١٢- وروج التجارة بين مدن العراق وامتدادها إلى مدن المنطقة الأخرى. ١٣- إرهاصات ظهور دويلات المدن، ١٤- وعرف طور الوركاء ٣٥٠٠ ق.م. بالعهد الشبيه بالكتابي، ومن المعروف أن الكتابة قد أرسيت قواعدها تماماً خلال الطور الذي أعقبه وهو جمدة نصر في حدود سنة ٣٠٠٠ ق.م.

القيثارة السومرية

أولاً: عصر فجر السلاسلات

ابتدأ عصر فجر السلاسلات في العراق في حوالي سنة ٢٨٠٠ ق.م. واستمر لمدة ستة قرون والذي يعرف أيضاً بالعصر السومري القديم أو بعصر دويلات المدن حيث لم تتوحد البلاد بعد تحت مملكة كبيرة واحدة. ويقسم العلماء هذه المرحلة من تاريخ العراق إلى ثلاثة عصور هي:

فجر السلاسلات الأول ٢٨٠٠ - ٢٧٠٠ ق.م.

فجر السلاسلات الثاني ٢٧٠٠ - ٢٦٠٠ ق.م.

فجر السلاسلات الثالث ٢٦٠٠ - ٢٤٠٠ ق.م.

ثانياً: الحكم الأكدي

انتهى عهد فجر السلاسلات بقيام سرجون الأكدي ٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م. بتوحيد العراق في مملكة واحدة. كان سرجون من الأكديين وهم فرع من الأقوام السامية التي نزحت من شبه جزيرة العرب إلى العراق في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد. ومن المرجح أن الأكديين قد عاشوا جنباً إلى

جنب مع السومريين منذ أقدم العصور وعرف القسم الأوسط والجنوبي من العراق منذ ذلك الزمن باسم بلاد سومر وأكد.

حكم مؤسس السلالة الأكديّة سرجون خمسة وخمسين عاما أدخل خلالها الكثير من الإصلاحات على نظام الحكم والجيش بما في ذلك تطوير أساليب الحرب والسلاح. وكذلك حصل تقدم عظيم في العمارة والفنون عموما وتميزت في العصر الأكدي بالقوة والحيوية والحركة. ويعد نرام، سين أقوى ملوك السلالة الأكديّة الذي حكم زهاء أربعين عاما.

ثالثاً: الحكم السومري

غزا الكوتيون مدينة الوركاء لكن هذه المدينة ثارت عليهم بقيادة أميرها السومري أوتو - حيكال الذي لقّب نفسه بملك سومر وأكد وقاد أهل البلاد لحرب الأجانب، فالتفت حوله المدن وتمكن من القضاء على الكوتيين وخلص البلاد منهم.

انتقل الحكم السومري بعد ذلك إلى مدينة أور وتكونت فيها سلالة عرفت بسلالة أور الثالثة أسسها الملك أور - نمو الذي تعد أيامه من عهود العراق المجيدة وآخر عهد في حياة السومريين السياسية ٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م. . لقد استطاع ملوك هذه السلالة الخمسة أن يعيدوا إنشاء إمبراطورية واسعة على غرار الإمبراطورية الأكديّة شملت جزءا كبيرا من أقاليم المنطقة. وانتشرت مع التجارة والفتوح حضارة العراق القديم تماما كما كان عليه الحال في العصر الأكدي.

رابعاً: العصر البابلي القديم

وفي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد قامت في العراق أسرة حاكمة جديدة عرفت بسلالة بابل الأولى ١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م. وهم الفرع العراقي من الاموريين وهم كذلك أشقاء الاموريين في بلاد الشام الذين يعتبرون من أقدم السلالات السامية في بلاد الشام. اشتهرت هذه الدولة البابلية بملكها السادس حمورابي ١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م.

الذي جمعت في شخصه خصالا فذة جعلت منه القائد والسياسي والمصلح والمشرع استطاع أن يوحد البلاد. ومدّ فتوحه بعد ذلك إلى شمالي بلاد الرافدين وإلى جهات الهلال الخصيب الأخرى. ومن أعماله المهمة سنّ شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء المملكة عرفت بقانون حمورابي التي تعد من أولى الشرائع المتكاملة في العالم حيث تجمع بين القانونين المدني والعقوبات فضلا عن الأحوال الشخصية.

إن أهم ما تميّز به العصر البابلي القديم اتساع المدن وكثرتها، كما حدث تطوّر مهم في العلوم والمعارف البشرية حيث انتقلت فيه إلى طور التدوين والبحث فكان بداية لانطلاق حضارة بلاد الرافدين التي أخذت طريقها في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم.

ولقد غزت العراق في أواخر العصر البابلي القديم أقوام غريبة عرفوا بالكشيين. أسسوا سلالة حاكمة جديدة دام حكمها زهاء خمسة قرون.

خامساً: الآشوريون

وصادف قيام الدولة الكشّية نمو المملكة الآشورية في القسم الشمالي من العراق. فبدؤوا ينازعون الكشيين زعامة البلاد السياسية. والآشوريون فرع من الأقوام السامية التي هاجرت من شبه جزيرة العرب.

وهناك نظرية أخرى تذهب إلى أنهم جاءوا من جنوب العراق من أرض بابل وحلّوا في شمالي بلاد الرافدين في زمن مقارب للعهد الأكدي ومما يدعم ذلك أنهم يتكلمون بلهجة من اللهجات البابلية. واسمهم مشتق من اسم معبودهم الإله آشور ويمكن تصنيف تاريخ الآشوريين إلى ثلاثة عهود: القديم والوسيط والحديث.

ظهر في العهد الآشوري القديم ملوك أقوياء مثل إيلو - شوما الذي عاصر مؤسس سلالة بابل الأولى وكذلك شمشي أدد الأول ١٨١٤ - ١٧٨٢ ق.م. الذي بلغت المملكة في زمنه من القوة ما مكّنها من فرض سلطانها على القسم الشمالي من بلاد بابل.

ودأب الآشوريون على تنمية كياناتهم السياسي، على الرغم من تعرضهم إلى سلسلة من العقبات والمصاعب بسبب ضغط الدول والأقوام المجاورة، لكنهم خرجوا من كل ذلك أشداء أقوياء بقوة عسكرية رهيبة فرضت سلطانها على شعوب العالم القديم لعدة قرون. ويعد شلمنصر الأول ١٢٦٦ - ١٢٤٣ ق.م. من أعظم ملوك هذا العهد سيما في حقل التوسع والفتوح الخارجية بعد أن توصلت شؤون المملكة الداخلية في عهده.

وتيجلاتبليزر الثالث ٧٤٥-٧٢٧ ق.م. الذي بدأ عهداً جديداً في تاريخ الآشوريين تكونت فيه آخر وأعظم إمبراطورية آشورية فكانت المسيطرة على الشرق القديم، وكان من أعظم إنجازاتها توحيد بلاد بابل وآشور في مملكة واحدة.

ويعد الملك سرجون الثاني ٧٠٥-٧٢٧ ق.م. واحد من أعظم ملوك تلك الفترة لإنجازاته الفنية والمعمارية العظيمة والتي كان منها تشييد عاصمة جديدة قرب نينوى أطلق عليها اسم دور شروكين أي مدينة سرجون. إضافة لفتوحاته الخارجية العظيمة منها القضاء على المملكة اليهودية الشمالية السامرة بسنة ٧٢١ قبل الميلاد وترحيل الكثير من سكانها إلى أماكن أخرى داخل حدود الإمبراطورية الآشورية.

أما آشور بانيبال ٦٢٦-٦٦٨ ق.م. فبعد من أكثر ملوك هذا العهد ثقافة فقد شجع الأدب والمعرفة فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخرنها في دار كتب شيدّها في عاصمته نينوى جمع فيها مختلف أصناف العلوم والمعارف.

سادساً: العهد البابلي الحديث

آخر العهود العراقية الزاهرة في العصور القديمة ٦٢٦-٥٣٩ ق.م. ويعد حكم نبوخذنصر الثاني ٦٠٤-٥٦٢ ق.م. من العهود المزدهرة على الصعيد العراقي والعالمي. وامتاز عصر هذا الملك بالبناء والتعمير في جميع مدن العراق المهمة. ومن أهم إنجازاته كان بناء الزقورة وتشيد عدد

كبير من المعابد الفخمة في بابل. وإقامة شارع الموكب ومدخل للمدينة سمي بباب عشتار، يقع وراء هذا الباب قصره الفخم بجناثته المعلقة الذي عرف في المصادر اليونانية بإحدى عجائب الدنيا السبع.

وفي زمنه أعلنت دولة يهودا الصغيرة العصيان بتحريض من الفراعنة ولم تكتثر لنصائح النبي ارميا وتحذير ملكها يوهوياقين بوخامة العقوبة. فجرد نبوخذنصر حملة تأديبية لم تقو يهودا على مقاومتها فسقطت العاصمة اورشليم في عام ٥٩٦ ق.م. فرحل قسم من سكانها ومعهم ملكهم عن فلسطين. ونصّب نبوخذنصر بدلا عنه عمه صدقيا. وبعد بضع سنوات اشتركت يهودا في عصيان جديد وتحريض من الفراعنة أيضا الذين حاولوا استرجاع مكانتهم في سوريا وفلسطين. لقد كان غضب الملك البابلي في هذه المرة عظيما فدمّر المدينة وأحرق الهيكل ورحل من سكانها عددا كبيرا إلى العراق واضعا بذلك نهاية لمملكة يهودا بسنة ٥٩٤ ق.م.

الإمبراطور العراقي البابلي نبوخذ نصر

خلف هذا الملك العظيم عدد من الملوك الضعاف وانتهت تلك الإمبراطورية بسقوط بابل على يد كورش ملك الإخمينيين بسنة ٥٣٩ ق.م. وليعيش العراق عصورا أخرى امتدت لقرون طويلة. وعلى الصعيد العلمي في مجال الرياضيات عرف البابليون أسسا مهمة في خواص الأعداد وكذلك في العمليات والطرق والمعادلات الجبرية الأساسية. من ذلك مثلا معادلات الدرجة الأولى والدرجة الثانية والثالثة. لقد اتبعوا في طرق حلها عمليات تتطابق مع الطرق العلمية الحديثة. ويمكننا إن نعزو الفضل في تقدم الجبر إلى البابليين والعرب أكثر مما يعود إلى اليونان. وللبابليين سبق في تأسيس علم الفلك الرياضي، ويدوؤا يدونون ملاحظاتهم وإرصاداتهم أو حساباتهم الفلكية منذ العهد الأكدي، وتقدم هذا العلم إلى درجة كبيرة في العهد البابلي القديم.

أسد بابل

استمر العراق خاضعا للساسانيين حتى ابتعثت الدولة الإسلامية جيشا قوامه ١٨٠٠٠ من رجال القبائل العربية عام ٦٣٤، بقيادة خالد بن الوليد لتحرير العراق. واستمرت الحرب سجالا حتى حشد المسلمون جيوشهم وهزموا الساسانيين في معركة بويب عام ٦٣٥ للميلاد، وقتل رستم قائد الجيش في معركة القادسية ودمر جيشه. وفي ذلك الوقت أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإنشاء مدينتين في جنوب العراق هما الكوفة والبصرة.

الهلال الخصيب واختراع الكتابة

عندما خط الإنسان العراقي أول الكتابات، وكان السومريون بناة العراق الأوائل المشعل الذي أنار الطريق إلى عصر التدوين، واصل شقيقه في سوريا أو بلاد الشام الإنسان الكنعاني أو الفينيقي صياغة أول أبجدية في تاريخ الإنسان. وابتداء الإنسان بصنع حضارته في هذه المنطقة ليعم نورها في كل بقعة حددتها أركان الأرض الأربع.

وهكذا كانت القصة فمع تطور حياة الإنسان الأول وولادة المجتمعات البشرية وتطور العلاقات بين الناس. وجد الإنسان نفسه غير قادر على مواصلة تطوره بدون لغة يتفاهم بها مع الآخر ويتصاعد تطوره وجد نفسه محتاجاً إلى ما يحفظ له ما يحتاج الرجوع إليه مما لا تتمكن الذاكرة من حفظه فكانت الكتابة هي الاختراع الذي اهتدى إليه لحفظ إنتاجه الفكري و ميراثه الثقافي والعلمي من الاندثار و لتتوارثه الأجيال اللاحقة.

في مثل هذه الظروف كانت اللغة المحكية أداة اتصال وتفاهم مع أهميتها غير كافية لتنظيم كل تلك التفاعليات مما أدى إلى ظهور الكتابة.

اختراعات الكتابة التصويرية في بلاد ما بين النهرين قبل العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد حيث كانت تدون بالنقش على ألواح من الطين أو المعادن أو الشمع وغيرها من المواد.

الإبداع العراقي في الكتابة المسمارية

ثم تطورت الكتابة من استعمال الصور إلى استعمال الأنماط المنقوشة بالمسامير والتي تعرف بالكتابة المسمارية وكانت الكتابة على الألواح الطينية بالصورة المسمارية وكان ينقش على الطين وهو طري بقلم طرفه رفيع. ثم يجفف الطين إما بالنار أو الشمس. لقد نضجت الكتابة وانتشر استعمالها في العصر السومري فدونت بها في عصر فجر السلالات السجلات الرسمية وأعمال الملوك والأمراء وعلاقاتهم بغيرهم من الحكام. وكذلك شؤون الناس العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير فضلاً عن الشؤون الدينية والعبادات. أول من كتب بهذه الكتابة هم السومريون معبرين بها عن لغتهم السومرية. وبحلول عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد تم اعتماد الخط المسماري لكتابة اللغة الأكديّة، كما استعمل نفس الخط في كتابة اللغة الآشورية واللغة البابلية، وهي كلها لغات سامية عراقية وشقيقات للغات العربية والكنعانية والعبرية. كما تواصل استعمال الخط المسماري للكتابة في لغات البلاد المجاورة لبلاد ما بين النهرين مثل اللغة الحيثية واللغة الفارسية القديمة، واستمرت الكتابة المسمارية بالاستعمال إلى نهاية القرن الأول الميلادي. وتم فك رموز الخط المسماري في القرن التاسع عشر وبذلك تسنى للعلماء قراءة النصوص الإدارية والرياضية والتاريخية والفلكية والمدرسية والطلاسم والملاحم والرسائل والقواميس المسمارية. ويوجد حوالي ١٣٠٠٠٠ لوحاً طينياً في المتحف البريطاني من حضارات بلاد الرافدين ومملكة ماري السورية.

وكانت الكتابة المسمارية لها قواعدها في سنة ٣٠٠٠ ق.م. إبان العصر السومري حيث انتشر استعمالها. فدون السومريون بها السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والشؤون الدينية والعبادات. فانتقلت الحضارة من بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم القديم. وكان البابليون والسومريون والآشوريون في العراق يصنعون من عجينة الصلصال مسحوق الكاولين الواحهم الطينية الشهيرة التي كانوا يكتبون

عليها بألة مدبية من البوص بلغتهم السومرية. بعدها تحرق هذه الألواح لتتصلب. وقد سبقت هذه الكتابة نمط الكتابة الأبجدية بحوالي ١٥٠٠ سنة.

الواح الملك السومري جوديا

اشتهر من بين الأمراء السومريين والاكديين في أواخر هذا العهد الأمير أو الملك جوديا الذي عرف بتمثيله الكثيرة وسعى لإحياء الآداب السومرية وتشبيد العديد من المعابد الفخمة. تولى الحكم في أواخر أيام الدولة الأكديّة ملوك ضعفاء لم يستطيعوا السيطرة على أجزاء الإمبراطورية الأكديّة المترامية الأطراف. فانسحبت عن هيكل الدول أقاليم وأقوام عديدة فسادت الفوضى والارتباك مما شجع الكوتيون الجبليون الذين تعرفهم النصوص المسمارية القديمة بأنهم أعداء الآلهة فغزو بلاد سومر وأكد ودام حكمهم ١٠٠ عام. وحل عهد مظلم إذ حطموا وحرقوا مدينة لكش وما جاورها وأوقعوا الخراب في أغلب مدن الرافدين القديمة ودخل فن الرافدين سباتاً طيلة حكمهم. في الوقت عينه فانهم كانوا يواجهون التحدي باستمرار.

أما لكش فهو اسم لمدينة سومرية تقع على نهر الفرات في الجنوب الشرقي لبلاد ما بين النهرين أو العراق وهي من أكثر المدن التي تطورت على سهل الرافدين للفترة من ٢٨٠٠ وحتى ٣٥٠٠ قبل المسيح واشتهرت بملكها جوديا الملك الحكيم المحب للفن والشعر والسلم والرجل القوي في الوقت نفسه. في زمنه اعتمدت الكتابة على المنحوتات رائعة الجمال. وتم اعتماد المعدن في تنفيذ التماثيل والجداريات لأول مرة. وبسبب ولع هذا الملك العظيم بالفن والثقافة أصبحت لكش من أجمل مدن بلاد ما بين النهرين وأغناها.

والواح جوديا هذه ترجع كتابتها لعهد الملك جوديا ، عبارة عن مجموعة مؤلفة من ثلاثين ألف لوح موضوعة بعضها فوق بعض في نظام أنيق منطقي دقيق. وبدأ المؤرخون السومريون من عام ٢٠٠٠ ق.م. يكتبون ماضيهم ويسجلون حاضرمهم ليخلفوه لمن يجئ بعدهم. ووصلت إلينا أجزاء من هذه السجلات ولكنها لم تصل إلينا في صورتها الأصلية بل جاءتنا مقتبسة في تواريخ المؤرخين البابليين. على أن من بين ما بقى من هذه الكتب في صورته الأصلية لوحاً عثر عليه في نضر كتب عليه الأصل السومري البدائي للمحمة ككاش. وتحتوي بعض الألواح المحطمة على مراثٍ بأسلوب أدبي جميل يمتاز بال تكرار اللفظي الذي اتصفت به أغاني الشرق الأدنى. ويستطيع الباحث ان يرى النشأة الدينية للأدب في الأغاني والمراثي التي يرددونها الكهنة. فلم تكن القصائد الأولى أراجيز أو أناشيد غزلية بل كانت صلوات وأدعية دينية.

الإبداع الشامي في الكتابة الأبجدية

تمكن الإنسان السوري عبر مراحل من تطوير كتابة اخيه الإنسان العراقي المسمارية إلى أحرف أبجدية.

ابتكر الساميون في اوغاريت على الساحل السوري أقدم الأبجديات على الإطلاق عام ١٩٠٠ قبل الميلاد وكانت أبجدية متكاملة ومتطورة وناضجة، وتتكون هذه الأبجدية من ٣٠ حرفاً

وقد عرفت أبجدية ولغة أوغاريت بشكل واسع وكانت لغة الإدارة والتجارة والحياة المدنية وقد تطورت لنظام أبجدي متقن. ثم اثبتت بعدها الأبجدية الفينيقية حوالي سنة ١١٠٠ ق.م، والفينيقيون سكان السواحل الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وقد استفاد الفينيقيون في تطوير كتابتهم من الكتابة السومرية. فابتكروا الأبجدية الفينيقية وجعلوا لها حروفا وكل حرف يمثل صوتا معينا. وامازت حروفها بسهولة مما ساهم في انتشارها. وكانت أساسا للكتابة في الشرق والغرب بالعالم القديم. وعندما طور الإغريق أبجديتهم التي نقلوها عن الفينيقيين حوالي سنة ٤٠٣ ق.م. أصبحت أساسا للأبجدية في الغرب.

وعند الحديث عن السلم التطوري للكتابة الأبجدية تبرز الأبجدية الايبلاوية التي طورها اهالي مملكة ايبلا الساميون في شمال سوريا وقد انتشرت هذه الأبجدية ولغتها في العالم المتحضر القديم وكان لها دور كبير في ثقافة تلك الأيام. وعثر في مدينة ايبلا الأثرية على آلاف الرقم والوثائق في أكبر مكتبة عرفتها الحضارات القديمة تضم ألواح مكتوبة بعدة لغات منها اللغة الايبلاوية.

النظرية المنقوضة

كانت النظرية السائدة في الكتابات التاريخية هي أن الأبجدية اشتقت من رسوم الكتابة الهيروغليفية في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إلا أن اكتشاف أبجدية أقدم منها بخمسة هرون. وهي الأبجدية الأوغاريتية، التي تستعمل أشكالا مسمارية لا علاقة لها بصور الكتابة الهيروغليفية. ألغى هذا الرأي تماماً. فالأوغاريتيون استوحوا أشكال أبجديتهم الأوغاريتية، التي تحتوي على كل الأصوات السامية القديمة وهي ثمانية/تسعة وعشرون صوتاً، من الكتابة المسمارية.

وهذه الرؤية في تطور الأبجدية من الكتابة المسمارية دليل أخريضااف إلى عمق التداخل الحضاري والفومي والثقافي بين الشقيقين العراقي والسوري ويكشف جوانب من الخصوصيات المشتركة بين الشعبين.

العراق والخط العربي

وحيت ان المسيرة واحدة والتفاعل مستمر فقد رجعت مسيرة تطور الخط العربي إلى العراق بعد مرور الابجدية بحلقات تطور متواصلة لينبثق الخط الآرامي ثم النبطي ثم الحيري ثم الكوفي الذي كان الأب لكل الخطوط العربية اللاحقة.

من الثوابت التاريخية ان العربية والسريانية لغتان شقيقتان منحدرتان من أرومة سامية واحدة. ولهاتين اللغتين منذ أجيال سحيقة في دور ريادي في رفع مشعل العلم والحضارة العالمية، ومن الطبيعي أن تتأثر احدهما بالأخرى، أو تفرض إحدهما ما تحتاجه الأخرى، وهذا ما جعل الآرامية السريانية نمد العربية بالخط الكوفي المتولد من الخط الآرامي.

وقد بحث عدد من العلماء العرب، وغير العرب في هذا الموضوع ولجأوا إلى النقوش القديمة،

والمخطوطات، فتوصل الكثيرون منهم بأن الخط النبطي هو أصل الخط العربي، ومن أمثلته نقش الثمارة المشهور الموجود حالياً بمتحف اللوفر في باريس، وهو نقش لامرئ القيس بن عمرو. واستمر هذا الخط النبطي مستخدماً لفترة تربو على ثلاثة قرون حتى بعد أن زالت المملكة النبطية التي كانت عاصمتها البتراء. ومما يدل على ذلك وجود آثار لهذا الخط يعود تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، رغم أن المملكة النبطية قد زالت في بداية القرن الثاني الميلادي. وثبتت المراجع المختلفة أن شكل الحرف العربي في شمال الجزيرة العربية الشام قد مرّ بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هي تلك التي كانت تُستخدم فيها الحروف الأرامية التي كانت أشكال الحروف فيها تميل إلى التربع.

والمرحلة الثانية: تتمثل في الانتقال من الخط الآرامي المربع إلى الخط النبطي، المرحلة الثالثة: فتتمثل في التحول من الخط النبطي المربع إلى الخط النبطي المتّصف بالاستدارة في أغلب حروفه.

ومما يؤكد أن أصل الحرف العربي هو الحرف النبطي وجود علاقات تجارية قوية كانت قائمة بين النبط وأهل المدينة، كما يؤكد وجود سوق نبطية في المدينة. وعلى هذا، فإن رحلة الخط العربي تكون قد بدأت من الآراميين الذين استعار منهم النبط خطهم. ثم استعار العرب خطهم من النبط. وقد اتضحت ملامح الحرف العربي وتميّزت خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث الميلادي ونهاية القرن السادس الميلادي

والخط الكوفي هو خط عربي قديم، نشأ في بدايات ظهور الإسلام في مدينة الكوفة بالعراق، وقد يكون البدء باستعماله نحو ١٠٠ عام قبل إنشاء الكوفة في الحيرة التي كانت قرب الكوفة. وقد استخدم في الكتابة، وفي كتابة المصحف بشكل خاص. وجميع المصاحف التي نُسخَت قبل القرن الرابع الهجري كتبت بالكوفي. كما استخدم في النقش على جدران المساجد والقصور وغيرها من روائع فن العمارة الإسلامية.

والجدير بالذكر أن أجمل ما كُتب بهذا الخط في صدر الإسلام هو كتابة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن الباحثين من يذهب إلى أن الإمام هو الذي أبدع الخط الكوفي وأوجده وحتى إذا لم يكن مبدعه وموجده فمن المؤكد أن له فضلاً كبيراً في ترتيب وتركيب الأحرف وفي الفصل والوصل بينها؛ مما أضفى على الخط الكوفي لطافة ومتانة. وإن نموذج الخط الكوفي الذي يعود للإمام علي عليه السلام في مكتبة متحف قصر طوب قابي في تركيا، قد أبدع بمتانة لمن يراه.

ملحمة كلكاش

أطلق اسم كلكاش على هذه الملحمة وهو ملك من ملوك سومر ويعتبر خامس ملوك أورك حسب قائمة الملوك السومريين.

هذه الملحمة تشكل إحدى أسس الحضارة الإنسانية بل انها اشتملت على تفاصيل مؤسسة لحركة الأديان السماوية في المنطقة. ومن ثم تعتبر مؤشرا على التراث الفكري والديني المشترك بين الإنسان الذي استوطن الأراضي الممتدة من العراق إلى الشام إلى الحجاز. مما يوحي بالأصل التوحيدي والديني السماوي لكثير من تفاصيل ملحمة كلكامش التي انعكست تصوراتها بصورة او أخرى بالكتب السماوي الأساسية، التوراة وكتب العهد القديم والإنجيل وكتب العهد الجديد وكتاب الله الخالد المران الكريم.

ان المساحات المشتركة بين ملحمة كلكامش والكتب السماوية التي انزلها الله في بلاد الشام اليهودية والمسيحية والقرآن الذي انزله الله في بلاد الحجاز يكشف الأثر المتبقي في بلاد السومريين من شريعته نوح نبي الطوفان.

حظيت ملحمة كلكامش البابلية باهتمام الباحثين والمؤرخين لما حوته من إشارات هامة لعقائد أبناء الرافدين بدأ من دولة أكد كما كانت متفذا على الحضارة السومرية المنقرضة باعتبارها ترديدا لنفس العقائد السومرية.

وحسب تصورات الأثري صموئيل كريم في كتابه الأساطير السومرية واعتمادا على اللوح الحادي عشر من ملحمة كلكامش البابلية فان قصة الطوفان التي دونها كتاب التوراة العبرانيون لم تكن اصلية وانما هي من مبتكرات الحضارة السومرية التي اقتبسها البابليون ووضعوها في صيغة الطوفان البابلي.

وفي الوقت الذي لا نوافقه تصوراته البعيدة عن فهمنا في تكامل الدورات النبوية عبر التاريخ الإنساني. والذي يتضمن الغمز بأصالة التوراة ككتاب سماوي بخطوطه العامة على الأقل. وان اول من أبدع قصة الطوفان هم أهل سومر وعندهم ورثها البابليون فيما ورثوه عنهم من عقائد وعن البابليون أخذها العبريون وصاغوها في كتابهم المقدس المعروف بالعهد القديم وبالتحديد من الاسفار التي نعرفها باسم التوراة.

لكننا بالمقابل نؤكد صحة ما ذهب إليه من السبق الزمني في ظهور القصة في الفكر الديني العراقي على ظهورها به في أماكن أخرى من منطقتنا. ونعتقد ان الفكر الديني الذي تضمنته ملحمة كلكامش يعود لمرحلة نبوية أقدم من مرحلة النبي موسى عليه السلام واقرب إلى مرحلة النبي نوح عليه السلام.

لقد انتشرت قصة الطوفان بين كل شعوب الأرض مؤكدة حقيقة تعرض الأرض وبني الإنسان في قديم العصور الى طوفان وقد صاغ منها الإنسان العراقي السومري منهجا في التدين والعبادة والعقيدة ثبتت. صالته عبر انتقالها إلى البابليين بعد ان ترجموها إلى لغتهم السامية وما يقتضي من تعديلات طفيفة في الأسماء حيث أصبح بطل القصة هو اوتنابشيتيم او اثراخاسيس بدلا من زيوسودرا السومري.

لقد انعكست رؤية الدينية السومرية على الأكديين في العراق القديم وعلى الكنعانيين

في بلاد كنعان سوريا وهما أنشط الأقوام السامية التي سكنت في الهلال الخصيب لذلك نجد ان كثيرا من الروايات والقصص الدينية التي ظهرت في الهلال الخصيب قد تأثرت بالعقيدة السومرية والتي ازدهرت في عهد حمورابي. كما حفظ لنا البابليون والآشوريون ذلك التراث الخالد في مكتباتهم في بابل وسبار ونيبور ونيوي.

عندما ينطلق كلكامش وأنكيدو رحلتهم نحو غابات أشجار الأرز بعد حصولهما على مباركة إله الشمس وهو إله الحكمة عند البابليين والسومريين وهو نفس الإله الذي يظهر في مسلة حمورابي المشهورة وهو يناول الشرائع إلى الملك حمورابي. وأثناء الرحلة يرى كلكامش سلسلة من الكوايس والأحلام لكن أنكيدو الذي كان في قرارة نفسه متخوفا من فكرة قتل حارس الغابة، يطمأن كلكامش بصورة مستمرة على أن أحلامه تحمل معاني النصر والغلبة.

شريعة حمورابي

ولابد لنا ونحن نتحدث عن ملحمة كلكامش ان نشير إلى اثر عراقي آخر وهو شريعة حمورابي الملك المصلح المقتن الذي نبع فكرة القانوني من عطاءات بلاد الرافدين ثم انعكست قوانينه على كل العالم وكانت توراة موسى عليه السلام المعبر عن الكثير من الفقرات القانونية التي وردت بهذه الشريعة التي ظهرت أولا في العراق ثم تقبلتها شعوب المنطقة بالقبول الديني المقدس مما يعني عمق التداخل بين أبناء الهلال الخصيب أي بلاد الرافدين وبلاد الشام تعتبر شريعة حمورابي أول شريعة مكتوبة في التاريخ البشري وتعود إلى العام ١٧٨٠ قبل الميلاد وتتكون من مجموعة من القوانين. وهناك العديد من الشرائع المشابهة لشريعة حمورابي والتي وصلتنا من بلاد ما بين الرافدين منها:

مجموعات القوانين والتشريعات تتضمن مخطوطة أور. نامو، ومخطوطة إشنونا، ومخطوطة لبت. إشتار ملك آيسن إلا ان تشريعات حمورابي هي الأولى في التاريخ التي تعتبر متكاملة وشمولية لكل نواحي الحياة في بابل.

وهي تضع قوانين وتشريعات وعقوبات لمن يخترق القانون. ولقد ركزت على السرقة، والزراعة أو رعاية الأغنام، وإتلاف الممتلكات، وحقوق المرأة، وحقوق الأطفال، وحقوق العبيد، والقتل، والموت، والإصابات. وتختلف العقوبات على حسب الطبقة التي ينحدر منها المنتهك لإحدى القوانين والضحية. ولا تقبل هذه القوانين الاعتذار، أو توضيح للأخطاء إذا ما وقعت.

على العكس من بقية ملوك تلك الفترة، فلم يزعم حمورابي أنه سليل آلهة أو ذو ذات إلهية، إلا أنه وصف نفسه بخليل الآلهة ويمكن مقارنة ذلك بلقب النبي إبراهيم وهو خليل الله. وفي الجزء العلوي من العمود ظهر حمورابي أمام عرش إله الشمس. كما ان التوجه إلى الشمس يذكرنا بالفرعون الموحد المصري اخناتون الذي اتخذ من قرص الشمس اتون قبلة له.

مرسوم على الحجر الملك حمورابي وهو يستمع إلى إله الشمس الجالس على عرشه وهناك كاتب تحت حمورابي يسجل القوانين. ووضع الحجر في مكان عام وسط مدينة بابل لفتح المجال

أمام الجميع لرؤية هذه التشريعات الجديدة كي لا يتم التذرع بجهل القوانين كعذر. ولقد تمت الإشارة إلى هذه الشريعة كأول مثال لمفهوم قانوني يشير إلى أن بعض القوانين ضرورية وأساسية حتى أنها تتدخل على قدرة الملوك على تغييرها. وينقش هذه القوانين على الحجر فإنها دائمة، وبهذا يحيى المفهوم والذي تم تكريسه في الأنظمة القانونية الحديثة وأعطت المصطلح منقوش على الحجر ماهيته في الأنظمة الحالية.

وعند التدقيق بالتواريخ نجد أن حمورابي جاء بعد إبراهيم عليه السلام بـ ٣٠٠ عام وليس قبله وأن تسمية حمورابي تعني خليل الرب وليس الألهة وما شريعة حمورابي إلا انعكاس لصحف النبي إبراهيم ولذا نجد التقارب بينها وبين التوراة ممكنا مع عدم أخذ العبرانيين أي من القوانين من البابليين بل هو السبب الحاصل بين صحف النبي إبراهيم وصحف النبي موسى وهذا الأمر الذي حاول الكثيرون الالتفاف حوله لأسباب دينية أو سياسية.

بحسب التلمود. ولد النبي موسى بعد حمورابي بـ ٤٠٠ سنة وتحتوي شريعة موسى بعض الأجزاء المطابقة لاجزاء معروفة من شريعة حمورابي مما يجعلنا نقول بوجود الخلفية المشتركة بين الشريعتين بحكم اسماء موسى إلى شريعة النبي إبراهيم عليه السلام. كما ان الاختلافات بين الشريعتين يدل على التطور في الشرائع السماوية. اما موارد التطابق بين بعض قوانين التوراة مع قوانين حمورابي فهي كثيرة ولا يسع المجال لاستعراضها في هذه الخلاصة.

ومنها المانون في شريعة موسى والشريعة الخاتمة المحمدية الذي يتطابق مع شريعة حمورابي وينص على ان: الكسر بالكسر والعين بالعين والسن بالسن لاوين ٢٤: ٢٠. قارن ذلك بقانون حمورابي ١٩٧. ٢٠٠: إذا كسر سيد عظم سيد آخر، فعليهم أن يكسروا عظمه. إذا قلع سيد سن سيد من طبخه، فعليهم أن يقلعوا سنه.

ويذكر ان شرعه رواج إبراهيم من هاجر الجارية المصرية أمر منصوص عليه في قوانين حمورابي في حين نصت هذا الأمر في قوانين العهد القديم. فقد ورد في قانون حمورابي المادة ١٤٥ ما نصه: اذا تزوج سيد زوجة، ولم تهد له أولاداً، وقرر أن يأخذ جارية فلهذا الرجل أن يأخذ ويأتي بها الى سنه انها امرأة ثانية..

وهكذا نرى مرة أخرى عمق الترابط بين جناحي الهلال الخصيب العراق والشام من خلال التداخل العميق والكبير بين التشريعات الدينية والقانونية التي سادت بين عشائر الساميين أسلاف العرب.

الأديان الإبراهيمية

توج النبي المرسل إبراهيم عليه السلام الحركة التوحيدية التي سبقه بها أبائوه لاسيما النبي نوح. وستقدم خلاصة بالمسيرة النبوية وامتداداتها في منطقتنا العربية.

أول نبي من أبناء سام بن النبي نوح عليه السلام الذي انحصرت في ذريته النبوة هو النبي هود. وكان موطن النبي هود عليه السلام جنوب الجزيرة العربية في الأحقاف وقومه عاد ويذهب

أهل الخبرة في علم الأنساب والتاريخ انه هو عابر الذي ينحدر منه إبراهيم الخليل. بعثته تقريبا سنة ٢٤٠٠ قبل الميلاد. وحسب قاموس الكتاب المقدس ان عابر جد العرب والعبرانيين. وكذلك هناك حضارة عربية في جنوب الجزيرة العربية ذكرت بالقرآن لعظمتها لازالت مدفونة تحت الرمال وهي مدينة اوبار ubar lost city وقد يكون اسم المدينة المنسوب إليها تفسيرا لهذا الرأي إذ انها إذا لاحظنا قرب لفظ المدينة من لفظة عوبار.

النبي الثاني من ذرية سام كان النبي صالح عليه السلام وزمان بعثته ٢١٠٠ قبل الميلاد ومكان بعثته منطقة الحجر شمال الجزيرة العربية مدائن صالح وقومه ثمود. النبي الثالث من ذرية سام هو إبراهيم عليه السلام وموطنه في أور الكلدانيين جنوب العراق بعثته التقريبية ١٩٠٠ قبل الميلاد. النبي إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بعثته التقريبية ١٨٥٠ قبل الميلاد ومكان بعثته مكة المكرمة. لنبي اسحق بن إبراهيم عليه السلام بعثته التقريبية ١٨٠٠ قبل الميلاد ومكان بعثته بلاد الشام فلسطين. النبي موسى عليه السلام بعثته التقريبية ١٤٥٠ قبل الميلاد ومكان بعثته صحراء سيناء. النبي عيسى عليه السلام بعثته التقريبية ٢٩ ميلادي مكان بعثته بلاد الشام فلسطين.

وكان وعد الله لإبراهيم وذريته أمة العرب وهم الشعب القاطن في الأراضي الممتدة من الفرات إلى النيل كما جاء بالكتب السماوية. والذي يدحض التحريف المضاف للتوراة ان الواقع ينطبق على إسماعيل بن النبي إبراهيم إذ انه عراقي وأمه السيدة هاجر المصرية من مصر فهو الوحيد وذريته ممن لهم الحق في السكنى في هذه المنطقة وقد شاءت الإرادة الإلهية ان يتحقق هذا الوعد وها هم العرب يعيشون في أرضهم ويربطهم رباط الرسالة الخالدة المقدس لأنهم ذرية الأنبياء ومن ذرية واحدة منتشرة من جنوب الجزيرة العربية في احقاف اليمن النبي هود وشمالها النبي صالح والعراق النبي إبراهيم وأم العرب هاجر المصرية من مصر ونشأ النبي إسماعيل أبو العرب واسحق والنبي عيسى في الشام في فلسطين وولد النبي موسى في مصر فهذا يبين الرابط المقدس لسكان المنطقة من الفرات إلى النيل. لا كما تطرحه الصهيونية من تحريف بإسكان أقوام مغايرة لثقافة ودم إبراهيم وذريته بدلا عن أبنائه الحقيقيين.

وكما تشير التوراة فان المركز الذي انتقلت منه حركة الإنسان بعد الطوفان كان مدينة بابل. وبغض النظر عن الجانب المكذوب والأسطوري من الرواية فاننا أمام فكرة أيدتها الكثير من المعطيات العلمية وهي مركزية العراق والمنطقة المحيطة به في انتقال الإنسان المتحضر إلى بقاع العالم الأخرى. اما القبائل التي ارتبطت بتراث نوح وتجلت رسالتها من خلال دعوة إبراهيم الخليل والتي تنسب إلى ابن نوح الأكبر ووارثه في حمل الرسالة السماوية فقد استوطنت في بلاد العراق والشام أي بلاد الهلال الخصيب وجزيرة العرب.

وكانت الحركة النبوية تجول أنوارها بين العراق والحجاز والشام وكانت عشائر الساميين توحد دمائها وكانت لغة نوح وإبراهيم تنطلق عبر السنة أبناءها وكان إبراهيم شيخ الموحدين

وأبن أور الكلدانيين خلاصة الخير الإنساني وهادم أصنام الشرك وداعية تحرير الإنسان الذي انطلقت صحفه عبر المكان والزمان تهدي بني الإنسان من كل جنس ولون ومن كل البلدان هو المؤسس لحركة الوحدة والتوحيد.

تنقل إبراهيم عبر العراق والشام والحجاز ومصر هو أول إعلان عن وحدة هذه الأمة وحدة لا تنطلق من فراغ بل تنطلق برسالة خالدة تقاوم المستحيل ولا تهاب الشرور وتدعوا للخير كل الخير ليعم الإنسانية جمعاء.

وفي هذا المناخ الواعي ولدت رسالات السماء وكانت رسالة موسى وعيسى ومحمد هي الصوت الإبراهيمي المتردد المعبر عن تلك الرسالة الخالدة وكانت هذه المنطقة والحجاز المقدس مشكاة النور الذي انطلقت منه الأديان النبوية فتقدست من قدسيتها الشعوب واطمأنت بها القلوب.

تطورات الشعب في العراق والشام

لقد أزهرت قبائل الجزيرة العربية في هذه المنطقة في دول وحضارات وكانت المعيار في البناء السياسي والقانوني والأدبي والعسكري ولقد تجلت تلك القبائل بدول وإمبراطوريات ملئت تاريخ الإنسانية بكل ما هو للمجد عنوان ومفخرة للإنسان وتعانقت هذه الدول والإمبراطوريات التي تنحدر من أصل واحد وفكر واحد وأصل واحد وكان السومريون والاكديون والاموريون والكلدانيون والاشوريون والكتعانويون والفينيقيون والعبرانيون وغيرهم هم التجلي.

ومرة أخرى نتناول الأراميون وأشقاؤهم الأموريون الذين سكنوا العراق في العهود القديمة. هناك من يرى من المؤرخين وعلماء الآثار أن الدولة البابلية والأكدية ظهرت في العراق وامتد نفوذها إلى بلاد الشام وغيرها منذ زمن مبكر في التاريخ يقول الدكتور نجيب إبراهيم ميخائيل: ولكننا نستطيع أن نؤكد على أية حال أن البابليين ظهوروا في أفق التاريخ في زمن مبكر جداً. ويضيف قائلاً: أما قيام الحضارة السامية في ميزوبوتاميا فيقترح البعض تقدير عمرها بمقارنة الإرساب الفيضي عند شاطئ البحر، حيث قامت أور حوالي ٦٦٠٠ ق. م. وأور هي أقدم مدن بابل القديمة كما أن نيبور، نقر، أبعد مدنها شمالاً ويقترح البعض لنشأة هذه الأخيرة المرحلة بين الألف السادسة قبل الميلاد. ونستطيع أن نطمئن على أية حال إلى رأي القائل بأن الإقليم وراء «نقر» حتى الخليج العربي كان مركزاً انتشرت منه الحضارة بمعنى أن حضارة نقر أعرق من حضارة أور. أما عن قيام أول دولة في بابل، يقول: ونستطيع أن نترسم قيام دولة بابل حوالي منتصف الألف الخامسة قبل الميلاد وأول ملك عثر له على سجل يحمل اسمه هو أنشاج كوشانا الذي أطلق على نفسه حوالي ٤٥٠٠ ق. م سيدي كنجي وهي قطاع بابل الجنوبي، واستطاعت بابل أن توسع سلطانها على مر القرون وأن تمد نفوذها حتى شواطئ البحر المتوسط. انظر: نجيب ميخائيل إبراهيم دكتور، مصر والشرق الأدنى. مصر. الجزء الثاني، دار المعارف-القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٦٦م، ص ٣٥٩، ٣٥٧.

أما بعد عصر فجر السلالات، وإنشاء الإمبراطوريات الكبرى فقد أسس الأكديون الإمبراطورية السامية الأولى الكبرى على يد سرجون الأكدي حوالي عام ٢٣٥٠ ق.م. التي حكمت بلاد العراق كلها وبلاد عيلام وآسيا الصغرى والأناضول، ووصل إلى البحر المتوسط، وقيل إلى جزيرة قبرص. وكانت لغة الدولة اللغة الأكديّة وهي لغة سامية. وقد اقتبس الأكديون الكتابة السومرية والكثير من مظاهر حضارتهم. وفي عهد سرجون امتزجت الحضارتين السومرية والأكديّة معاً بعد توحيد الإقليمين السومري والأكادي، وبلغت أعلى مراتبها، وأصبحتا حضارة واحدة لها طابعها المميز وهي ما نسميه الحضارة البابلية انظر: جيمس هنري برستد: انتصار الحضارة، تاريخ. الشرق الأدنى، نقلة للعربية الدكتور أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بلا تاريخ، ص ١٥٨. كان أهم وأشهر القبائل التي سكنت منطقة الهلال الخصيب: الأكديين وهم فرع من القبائل الساميين، وقد استطاعوا في منتصف الألف الثالث، وفي نهاية فجر السلالات إنشاء دولة كبرى. وفي بداية الألف الثالث سكن قسم ثانٍ من الساميين شمال العراق، وهم الذين تكون منهم السلالة الآشورية. وفي منتصف الألف الثالث هاجر فرع ثالث يدعى الأموريين إلى الشام والمنطقة الوسطى من الفرات، كما هاجر فرع آخر من الساميين عرف بالكنعانيين فسكنوا الساحل السوري، كما هاجر الآراميون واستقرت قبائلهم في أعالي بلاد ما بين النهرين ومنطقة الفرات الأوسط وبلاد الشام وذلك في منتصف الألف الثاني ق.م، ومنهم قبيلة أقامت في جنوبي العراق كانت تعرف بالكلدانيين.

الآراميون

وقد كان الأموريون في مبدأ الأمر في شمال سوريا، ثم أخذوا ينتشرون بعد ذلك في مناطقها الوسطى وعلى الشاطئ حتى وصلوا إلى فلسطين. وانتشروا نحو الشرق واستقروا في مناطق ذات حضارة قديمة. وأسسوا دولة لعبت دوراً كبيراً في تاريخ العراق، ونشأت فيها السلالة البابلية حوالي عام ١٨٩٤ ق.م. التي قدر لسادس ملوكها وهو الملك حمورابي الذي بدأ حكمه عام ١٧٢٨ ق.م أن يوحد البلاد كلها تحت سلطانه وأن يخضع لها كل الدول الأخرى مثل دولة ماري ولارسا وعيلام ووصل جنوباً إلى الخليج العربي. كانت من خصائص عهد حمورابي أن انتشرت الحضارة البابلية في جميع أنحاء الشرق القريب وتجاوزت إلى أطراف العالم المعروف في ذلك الوقت وذلك عن طريق التجارة التي قام بتشجيعها حمورابي، فوصل تأثير الحضارة البابلية إلى الساحل الأطلسي وإلى وسط آسيا.

كما أنه جاء مع هذه الموجة الآرامية بطون أخرى قريبة منهم، وقد كان ذلك نحو عام ٢٥٠٠ ق.م، حيث عمت بلاد الشام موجة هجرة من القبائل القريبة من العرب والآراميين وهي

العمونية والمؤابية والأدومية، وقد استقر العمونيون والمؤابيون والأدوميون جنوب سوريا أي شرق الأردن من شمال البحر الميت حتى العقبة.

وقد استطاع الآراميون في حوالي ١٢١٨ ق. م أن يستوطنوا كل الأراضي الواقعة شمال بلاد نهرين وحران ونصيبين وشمال سوريا إلى ما وراء دمشق ثم منبع نهر الأردن وقد سادت لغتهم على اللغات القديمة التي كانت منتشرة في هذه الجهات، وكان سلطانهم يمتد بدون انقطاع في بلاد بابل.

أخذ الآراميون بعد وصولهم إلى تلك الأراضي في إقامة مدن تجارية لهم وخاصة في بلاد الفرات الأوسط. وفي منطقة سوريا الوسطى، وفي القرن الثالث عشر ق. م أقاموا لهم عدة دول منها دولة آرام نهر ارام أي ارام النهرين. ولكن قضى عليها الآشوريين في القرن التاسع قبل الميلاد، وكان لهم دولة أخرى في حران وتسمى فدان آرام. ولكن الدولة التي أصبح لها شأن كبير في سوريا هي مملكة دمشق. التي تأسست في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد وقد تزامن تأسيسها مع قيام دولة النبي داود والنبي سليمان في فلسطين. وقد أصبح لهذه المملكة مكانة كبيرة واتسعت رقعتها. وكانت عاصمة الآراميين في ذلك الوقت في مكان يسمى صوباه ويرجح أن مكانها الآن بلدة عنجر في البقاع الجنوبي زحلة. وقد قامت حروب كثيرة بينهم وبين العبرانيين وقد استولى داود على مدينة دمشق لفترة قصيرة. وبعد موت سليمان استطاع الآراميون الاستيلاء على مملكة إسرائيل وفرض حمايتهم عليهم، وكان ذلك حوالي ٨٧٥ ق. م.

وعندما بدأت الدولة الآشورية في توسعها في القرن التاسع ق. م اصطدمت بالآراميين، ودخلت في حروب معهم. وقد شكل الآراميون مانع في وجه توسع فتوحات الآشوريين جهة الغرب، ومنع سقوط فلسطين والساحل السوري في أيديهم. وقد بلغت مملكة دمشق أقصى اتساع لها في عهد حزائيل بن هدد. والذي هاجم مملكة إسرائيل ووسع سلطانه جنوباً حتى ضم شرق الأردن ووصل إلى سهل فلسطين الساحلي، وتمكن بذلك من السيطرة على طرق التجارة التي تسير في ذلك الوقت بين بلاد العراق والساحل. ومصر، وبلاد العرب، وأصبحت مملكة إسرائيل تحت رحمتها، كما قبلت مملكة يهوذا دفع الجزية لها. وأخيراً انتهز أحد ملوك آشور العظام وهو تجلاتبلسر الثالث ٧٤٥ ٧٢٧ ق. م فرصة النزاع بين ممالك دمشق وإسرائيل ويهوذا. وهاجم الآراميون وهزمهم ودخل مدينة دمشق ٧٢٢ ق. م.

كان الآراميون تجارا مهرة قدموا للعالم والحضارة العالمية آنذاك لغتهم وأبجديتهم، فقد حمل التجار الآراميون لغتهم وأبجديتهم أينما ذهبوا، لذلك انتشرت في جميع بلاد آسيا الغربية. وذهبت من الفرات إلى إيران بل وصلت إلى حدود الهند وأمدت شعوب شرقي الهند بالأبجدية السنسكريتية. وكانت اللغة التي يستخدمها يهود فلسطين في جميع البلاد التي تفرقوا فيها بعد سبي بابل، وبعد استقرارهم في كثير من البلاد في عهد الفرس. كما أنها كانت

اللغة التي يتحدث بها الناس في كل من سوريا وفلسطين ومناطق واسعة من العراق عند ظهور المسيحية، وكتبت بها الأناجيل.

العرب والعبريين والآراميين

يقول الدكتور ويلفنسون : ان بين كلمتي عربي وعبري ارتباط لغوي متين فهما مشتقتان من مصدر ثلاثي واحد هو عبر بمعنى قطع او اجتاز وهذا الفعل تبدل فأصبح عرب، وفي اللغة العربية نفسها كثير من الكلمات المترادفة الدالة على معنى واحد وليس بينها اختلاف إلا بترتيب الأحرف مثل ئيس وايس، ويقول ان الفعلين عبر وعرب يؤديان معنى واحد ويدلان على حياة البداوة الصحراوية التي لا تستقر في مكان بل ترحل من بقعة إلى بقعة أخرى بإبلها وماشيتهما للبحث عن الماء والمرعى. وكلمة عبر تفيد في اللغة العربية التنقل والرحيل من مكان إلى مكان. وهناك من يذهب إلى ان آرام أصلها ارب، في هذا السياق يتضح ان هذه الشعوب التاريخية الثلاثة شعب واحد وهم سكان جزيرة العرب والبلاد المحيطة بها وقد يحل لنا هذا فهم الغموض الذي اكتنف استعمال هذه الكلمات في التوراة، فتارة يكون إبراهيم عبري، وتارة يكون آرامي اربي=عربي. وهذه المقارنة تجعل الآرامي هو نفسه العربي وهو نفسه العبري بعد انتقاله إلى عبر البحر، ومع هذا التعليل غير القطعي إلا انه جدير بالاهتمام.

يختلف عدد من العلماء في أسبقية كل من هذه الشعوب، ويعزون هذا إلى ان الكتاب المقدس تارة يكون آرامي وتارة يكون عبري فإبراهيم هو آرامي او عبري و موسى عبري وعليه فالأصل الآرامي أقدم من الأصل العبري.

ومن الجدير ذكره ان الشعوب السامية او بكلمة أدق شعوب بلاد الرافدين وبلاد الشام وجزيرة العرب في الأصل شعب واحد تاريخاً ولغة، فالتاريخ يقول ان إبراهيم كان آرامي جنساً ولغة ووطناً، وان العبرانيين كانوا أحفاده، اما العرب العدنانيين فهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم أي انهم أيضاً أحفاده اما العرب القحطانيين فينسبون إلى عابر الذي انقسم أحفاده إلى فصيلتين أقامت الأولى في أور كلدن، حسب تقسيم المؤرخين التوراتيين وارتحلت الثانية إلى بلاد العرب وهم بنو يقطان يقطن. الفعل المضارع من معنى قطن سكن او بنو قحطان. حسب المؤرخين العرب، من لفظ قحط. مهما كان من أمر فان جميع المؤرخين يدورون حول نفس النقطة، منهم الدكتور اوليري الذي يقول الآراميون فرع من العرب، على ضوء هذا التحليل التاريخي يمكننا ان نؤكد ان الشعوب الثلاثة شعب واحد في الأصل انقسموا جغرافياً في مراحل تاريخية معينة.

ويعتقد كثيرون ان اللغة الآرامية هي اللغة التي تكلم بها المسيح عليه السلام، على أساس ان هذه اللغة هي التي كانت تنتشر في طول هذه البلاد وعرضها منذ القرن الثامن قبل الميلاد والتي استمرت بعد ميلاد المسيح بمأتي عام على الأقل. وفي نحو عام ٥٠٠ ق.م. أصبحت الآرامية اللغة العامة للتجارة والحضارة والحكومة في بلاد الهلال الخصيب كلها بل اللغة التي يستعملها سكان تلك البلاد في كلامهم.

وقبل ان يسمى الاراميين بهذا الاسم كانوا قبائل رحل في بادية شمالي الجزيرة العربية ان اسم الاراميين لا تستقيم قراءته بشكل صحيح إلا إذا استعملنا الإبدال اللفظي بين الباء والميم الذي كان حاصلًا عند احد الشعوب الشقيقة للآراميين في ذلك الزمن وهم الآشوريين فيصبح اسمهم الارابيين ، في عام ١١٠٠ ق.م. اكتسبت هذه القبائل اسمها من التسمية التي أطلقها عليها تجلاتيلسر حيث ذكرهم هو وحلفاؤه في حملاته في منطقة اسمها مات اريبي، مما جعل المؤرخين يطلقون عليها اسم بلاد الاراميين الأصلية، وبالإبدال تصبح بات اريبي وهو ما معناه بلغة أهل البلاد بيت العرب. بيت عريبي ولقد وصفهم تجلاتيلسر بقوله لقد زحفت إلى وسط الاكلامي الاراميين أعداء الإله اشور سيدي. واللفظ الصحيح لهذه الكلمات هو الاكلابي الارابيين. وهم العرب من بني كلاب وهذا يعطينا فكرة واضحة ان الاختلاف بين الآشوريين والاراميين لم يكن في اللغة بل في الاعتقاد والدين، حيث ان الاراميين ومنهم المسيح كانوا دائماً في حرب مستمرة مع الوثنيين الذين يسكنون في طول البلاد وعرضها و يبدو ان الآشوريين كانوا من هؤلاء الوثنيين. يذكر التوراة ان العبريين أيضا هم من أصول أرامية حيث يقول عن إبراهيم آراميا تائها كان أبي فتغرب في مصر وأصبح امة كبيرة، والتوراة مليئة بالقصص عن أبوة الاراميين لكل العبريين. وبالتالي فان عروبة إسماعيل و أراميته ارابيته تعود إلى أبيه إبراهيم.

الآراميون والسريان والعرب

كان التفاعل بين الإنسان والزمان والمكان مستمرا في بلورة الهوية التي كانت إرهاباتها تقود لوحدة ضاربة الجذور بين أبناء المنطقة. وبعد مخاضات ومخاضات برزت الارامية كهوية معرفة لمنطقتنا واستمرت المخاضات وتداخلت مع حركة الأديان فيها لا سيما دعوة النبي الكريم روح الله عيسى بن مريم المسيح فبرزت السريانية كهوية ثقافية ودينية لمن امن بالدعوة الجديدة التي انبثقت في بلاد الشام وتابعتها بلاد الرافدين في اعتناقها. واستمرت حركة التطور يلتقي طرفها السماوى بطرفها الأرضي فكانت الرسالة الخاتمة التي ورثت كل عطاءات الإنسان والأديان فكان وحي الله لنبيه محمد صلى الله عليه واله وسلم قرآنا عربيا تقوم يعقلون ولأمة وسط كانت خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وانطلقت رسالة الإسلام الخالدة تعم المنطقة دون ان تجبر أحدا على تغيير دينه بل هي دعوة سلمية تعتمد العقل والروح والمحبة والإيمان فمن شاء فلؤمن ومن شاء ان يبقى على دينه او لغته فهو اخو للمسلمين بإنسانيته أولا وبعقيدته التي يحترمها الإسلام ويحميها ثانيا. لقد ورث الإسلام في عقائده وعباداته وأخلاقه وقيمه الأديان السماوية التي بعث الله الأنبياء بها فكان رسول الله محمد مكملا لمكارم الأخلاق وكان هو الجزء المكمل للبناء النبوي الشامخ. وكانت اللغة العربية هي الوارث لشقيقاتها من اللغات التي تكلم بها أبناء المنطقة عبر الآلاف السنين ولم تكن عملية التحول للإسلام او العروبة عملية صعبة للتداخل الكبير بينهما من جهة والتشابه بين قيم ولغة وحضارة أبناء المنطقة من جهة أخرى.

وهكذا نتصور ان العربي في فجر الإسلام ويتبعه العربي المعاصر هو الوارث الأبرز على ارض الواقع لكل تلك التمحضات والتحويلات التاريخية.

يخطأ البعض عندما يريد ان يضع الحواجز بين العرب وأسلافهم من الشعوب السامية لا سيما الاراميين او السريان فيما بعد. وقد يتعصب هذا البعض فيظن ان المفكر العربي المعاصر يريد أن يزور التاريخ الأرامي او السرياني لصالح التاريخ العربي. وأول الكلام من أعطى الحق لهذا البعض ان يكون ناطقا رسميا عن الاراميين والسريان ١٩٩٩ ومن منع حق العرب بالحديث عن تاريخ الاراميين ١٩٩٩ قد يكون الكثير ممن يعتبر نفسه وارثا لهذه الأمم من أصول غير سامية على الإطلاق، بينما القدر المتيقن ان العرب هم اقرب الأمم لها.

من هنا فانه ليس من العيب او الخطأ الكبير أن نسمع من البعض اعتبار الاراميين عربا أو تستخدم هذا التعبير الاراميون العرب . الم يكن إبراهيم أبو العرب او على الأقل أبو العرب العدنانيين اراميا تائها وعبريا مهاجرا عبر نهر الفرات من العراق إلى الشام وكان في الوقت عينه أبو العرب ٩٩

لا شك في أن الاراميين والسريان كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة في كل الشرق القديم لا سيما بلاد الرافدين وبلاد الشام. ولا شك كذلك في أن أغلب أسماء المدن و القرى هي أسماء أرامية سريانية ولم يعترض العرب عليها ولو أرادوا لتمكنوا بلا أدنى شك من تغييرها ومحوها إلا ان العرب عندما حرروا العراق وبلاد الشام لم يشعروا ان ألفاظ هذه المدن غريبة على أسماعهم او ألسنتهم لذلك أبقوها وكأنها كلمات عربية. لقد أطلق المؤرخون اليونانيون تسمية السريان على الاراميين قبيل ميلاد السيد المسيح بعدة قرون، و في الحقيقة هنالك خلاف بين المؤرخين حول التسمية حيث أن بعضهم ينسبها إلى آشوريا والبعض الآخر إلى سوريا. وأصبحت تسمية السريان شائعة عندما تحول معظم الاراميون من الوثنية إلى المسيحية في القرن الأول والثاني للميلاد فأن كلمتي سرياني و أرامي لهما معنى واحد.

وعند الفتح العربي الإسلامي لهذه البلاد كان الاراميون والسريان يوشكون أكثرية في الشرق الأوسط ولكنهم وبحكم التقارب الكبير بين هذه الكيانات السكانية كانوا يتحولون وبطريقة سلسة إلى عرب لاعتناق الكثير منهم للدين الإسلامي الحنيف او للشعور بوحدة الانتماء عند آخرين منهم فصاروا يعتبرون العرب وانتصاراتهم ما هي إلا انبعاثا تاريخيا لحضارتهم التي انبثقت حركة العرب زمن الرسالة وبعدها منها، وذلك لكثرة المشتركات العرقية واللغوية والحضارية فيما بينهم. اما من أراد ان يحتفظ بخصوصياته فلم يمنعه العرب في العراق او الشام من ذلك. إن إستعراب قسم كبير من الاراميين السريان على مرور الزمن لم يكن بسبب المغالبة أي ان العرب انتصروا في تعريب الاراميين والسريان، ذلك ان العملية تمت ضمن سياقات طبيعية تتعلق بحركة الشعوب ومعادلات تحركها لذا نجد ان الاراميين والسريان حافظوا على لغتهم الأرامية في سوريا والعراق حتى القرن الميلادي الثاني عشر بالرغم من انتماء اللغتين الأرامية و

العربية إلى لغة أم مشتركة وما زالت العديد من قرى سوريا والعراق تتحدث اللغة الآرامية ولغة السيد المسيح عليه السلام.

يبدو ان الحساسية عند البعض لا تجد لها أذنا صاغية بين أبناء المجتمع وهو السبب الذي يجعل العربي يحس أن الأراميين هم العرب القدامى ويغض النظر عن مدى استناد هذا الإحساس إلى وثائق الإثبات العرقي أو اللغوي إلا انه يدل على أن العرب يكنون حبا واحتراما كبيرين لأجدادهم أو بني عمومتهم الأراميين بعيدا عن الادعاء ان العرب المعاصرين المستعربين أو أبناء القبائل العربية هم من نفس القبائل الآرامية ولكن مع تثبيت ان كل هذه القبائل من أصل واحد. فالأراميون شعب ينتمي إلى أرومة الشعوب السامية، تربطهم علاقة قرابة مع الشعب العربي، ويعود نسبهم حسب ما ورد في العهد القديم إلى آرام بن سام بن نوح سفر التكوين، ١٠:٢٣.

نظرة حول الممالك الآرامية في العراق والشام

يذكر التاريخ ان أشهر الممالك الآرامية التي سقطت في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد: مملكة فدان آرام ومملكة آرام نهريين ومملكة بيت عديني ومملكة بيت باخياني ومملكة بيت زماري ومملكة شم أيل أي أسم أيل ودويلات رجوب ومعا وجشور ومملكة لركم ومملكة سوشي ومملكة بيت أغوشي ومملكة حماة ومملكة آرام صوبا ومملكة آرام دمشق ودار مسيق استقلت عن آرام صوبا في القرن الحادي عشر حيث اتخذ القائد رزون لقب ملك آرام، وقد كانت أقوى الممالك الآرامية، إذ ضمت آرام تجمعا لمقاومة الآشوريين، لكنها سقطت سنة ٧٣٢ ق. م ولكن هناك ممالك آرامية حافظت على استقلالها بعد القرن السابع قبل الميلاد هي:

١-مملكة الأنباط:

ظهر نفوذها القوي على مسرح التاريخ بدءا من القرن الرابع قبل الميلاد وكانت لغتها إحدى اللهجات الآرامية وعاصمتها البتراء. وقد امتدت حدودها من البحر الميت إلى البحر الأحمر، وقد سقطت بيد الإمبراطور الروماني تراجان وبعد ذلك أنتقل الدور الريادي في التجارة إلى تدمر.

٢-مملكة تدمر:

تقع وسط سورية، عرفت عند اليونان باسم بالميرا بمعنى النخيل ولكن معنى اسمها بالسريانية تدمرتو الأعجوبة، وقد كانت محطة هامة بين الشرق والغرب للقوافل التجارية. حافظت تدمر على استقلالها أثناء النزاع بين البارثيين والسلوقين، ولكنها سقطت عسكريا بيد الإمبراطور أورليانوس وأن معظم آثار تدمر تعود إلى القرن الثاني الميلادي.

٣- مملكة الحضر:

تقع إلى الجنوب الغربي من الموصل في العراق، وإن اللغة الحضرية هي لهجة آرامية شرقية.

٤- مملكة الرها:

تقع شمال سورية وهي اليوم مدينة أورفا في تركيا، وقد ازدهرت هذه المدينة بعد دخول

ملكها ابجر المسيحية، من ثم أصبحت مركز هام للكنيسة السريانية وتطورت بها العلوم والآداب منذ القرن الثالث الميلادي، لقد خضعت للنفوذ الروماني سنة ٢٢٤ م على يد الإمبراطور كركلا.

الآرامية والسريانية

بدأت الحضارة الآرامية بالتشكل منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، تكلم أصحابها لهجات مختلفة من اللغة الآرامية، وعلى امتداد جغرافي واسع يضم العراق وأرض فارس شرقاً حتى البحر المتوسط غرباً إلى كيليكية وهكاري وأرمينيا وآسيا الصغرى شمالاً وشبه الجزيرة العربية جنوباً، بما في ذلك بلاد ما بين النهرين وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن وأجزاء من شمال شرق مصر.

أما آرام فاسم سوريا القديم قبل تنصّرها، والآراميون سكان سوريا القدماء، وبعد تنصّرتهم عرفوا بالسريان أو بالسوريين أي سكان سوريا، ولغتهم هي السريانية أي السورية أي لغة سوريا، وأصبح لفظ آرام وآرامي بعد ذلك يُقرن بالوثني. لقد تطورت اللغة الآرامية وخصوصاً لهجتها السريانية مع انتشار المسيحية ونحن نعلم من العهد الجديد أن السيد المسيح قد تكلم وبشر في فلسطين باللغة الآرامية لهجة الجليل، أنه في أنطاكية عاصمة سوريا في العهد الروماني دعا المسيحيين لأول مرة بذلك الاسم، أعمال الرسل ٢٦: ١١.

والسريان هم امتداد وتبلور لحضارات بلاد آرام وبلاد ما بين النهرين وهم ليسوا ببعيدين عن الآراميين والآشوريين والكلدانين والبابليين والفينيقيين والكنعانيين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية في القرن الأول للميلاد.

هؤلاء جميعاً شكلوا الأمة السريانية التي أعطت العالم ثقافة شعوب الشرق قاطبة ونشرت التراث اليوناني ونقلته للعرب من خلال الترجمات التي قام بها أدباء وعلماء ومفكرو السريان.

وجهة نظر في أصل العرب

يذهب البعض إلى أن أصل العرب ليس من الجزيرة العرب بل هم أساساً سكان البادية الممتدة بين العراق وسوريا، والقاطنون فيها منذ الحقب المجهولة. ومع شيوع استعمال الجمل الذي جلب من آسيا الوسطى في الإلف الثاني قبل الميلاد. بدأت أفواج من هذه القبائل العراقية السورية تنحدر نحو الجنوب. إلى نجد والحجاز وسواحل الخليج حتى اليمن. من أهم الدلائل التي تؤكد صحة هذه النظرية إن عرب دولة الحضر وعرب دولة المناذرة كانوا يتكلمون الآرامية العراقية. مع بعض المسميات العربية المتميزة. وهذا يعني إن اللغة العربية قد نشأت في أحضان اللغة الآرامية. لأن القبائل العربية ما هي في الأصل إلا قبائل آرامية عراقية سورية تميزت بلهجتها الخاصة مع مرور الزمن وخصوصاً تلك التي انحدرت نحو الحجاز وبالذات قبيلة قريش. إن التماهي والاختلاط بين طرفي الهلال الخصيب سوريا والعراق يتضح لنا من خلال الحوار بين خالد بن الوليد وعبد المسيح الغساني ممثلاً لأهل الحيرة إذ قال لهم خالد بن الوليد: أخرجوا إليّ رجلاً من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقليلة الغساني وهو الذي بني القصر وهو يومئذ ابن خمسين وثلاثمائة سنة فقال له خالد: أعرب أنتم أم نبط؟

قال: عربٌ استنبطنا ونبط استعربنا

ويؤكد ذلك أيضا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام إلى أن قريش من النبط من قرية أو مدينة كوثى وكوثى هذه بلدة تقع جنوب بابل واسمها الحالي تل إبراهيم. وقد ورد ذكر النبط في خبر مروي عن ابن عباس وهو يسير بنفس الاتجاه والدلالة بقوله: نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ربا، قيل: إن إبراهيم الخليل ولد بها، وكان النبط سكانها «اللسان ٧/ ٤١١». كوثى شمال بابل وكوثى، بالضم، ثلاث مواضع: . . . وقيل: بلدة بالعراق ببابل، وتسمى كوثى الطريق. وكوثى ربا: من ناحية بابل، بأرض العراق أيضا، وبها ولد سيدنا الخليل عليه السلام وطرح في النار وفي اللسان: قال محمد بن سيرين: سمعت عبيدة قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: من كان سائلا عن نسبتنا فإننا نبط من كوثى. وروى ابن الأعرابي: أنه سأل رجل عليا: أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم معاشر قريش، فقال: نحن قوم من كوثى. واختلف الناس في قوله: نحن قوم من كوثى، فقال طائفة: أراد كوثى العراق، وهي سرّة السواد التي ولد بها إبراهيم عليه السلام، وقال آخرون: أراد بقوله كوثى مكة، قال أبو منصور: والقول هو الأول، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فإننا نبط من كوثى ولو أراد كوثى مكة، لما قال نبط، وكوثى العراق هي سرّة السواد من محال النبط، وإنما أراد على أن أبانا إبراهيم كان من نبط كوثى وأن نسبنا انتهى إليه ونحو ذلك، قال ابن عباس: نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى والنبط من أهل العراق.

والخلاصة فسكان العراق والشام ينتمون للأصل نفسه وهو ما كان يعبر عنه العرب أيام الفتح بالنبط. وحسب الدكتور جواد علي فإن النبط الذين قصدهم الإخباريون، هم بقايا الشعوب القديمة خاصة النازلين في البطائح منهم، ومنهم مترسبات الأرميين في العراق والشام، وذلك قبيل الإسلام وفي الإسلام، وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة أعجمية وبلكنة غريبة ظاهرة. أما أهل دولة الأنباط، فهم أصحاب كتابات مدونة بالأرمنية، وقد عاشوا في العربية الحجرية وفي مناطق أخرى خضعت لسلطانهم لم تكن البطائح منها على كل حال، كما عاش فرع آخر منهم في تدمر، وسيأتي الحديث عنهم. وعند الدكتور جواد علي أن النبط عرب، بل هم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام من العرب الذين يعرفون بالعرب الجنوبيين. والنبط يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص، كما يشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام. وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي، وقد قال الدكتور إن من العلماء من يرى أن قلمنا العربي مأخوذ من قلم النبط. يضاف إلى ذلك ما ذكره من وجود كلمات عربية كثيرة من النصوص النبطية المدونة بالأرمنية، هي عربية خالصة من نوع عربية القرآن الكريم. لهذه الأسباب فإنه يرى أن النبط أقرب إلى قريش وإلى العدنانيين على حد تعبير النسابين من العرب الجنوبيين الذين تبتعد أسماؤهم وأسماء أصنامهم بعداً كبيراً عن أسماء الأشخاص والأصنام عند قريش وبقية العدنانيين. أضف إلى هذا ما ورد في التوراة وما عند أهل الأخبار من أن نيايوت وهو نابت، هو الابن الأكبر لإسماعيل، وإسماعيل عرف النسابين هو جد العرب العدنانيين.

الانبعثات الإسلامية واللغة العربية

لقد توحد فيما بعد الأراميون والسريانيون ليكونوا بعدها في تيار الانبعثات الجديد للأمة الذي تجسد في حمل أمة العرب لكل هذه الأمجاد برسالتها الإسلامية المجيدة التي بعث الله بها نبيه الخاتم لمسيرة الأنبياء.

كانت بلاد العرب تختلف من حيث درجة سيادتها على أراضيها من استقلال أو احتلال أجنبي، كما أن المحتل منها يختلف ما بين احتلال فارسي أو رومي أو غيره. ولكن مع اقتراب مبعث الرسول الكريم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العدناني. أخذت شعوب المنطقة تتفاعل مع إرهاصات المرحلة القادمة. وكان العراقيون والشاميون يتفاعلون مع إخوتهم الحجازيين واليمنيين، منتظرين المنقذ الذي بشر به أنبياء الله وأنه وعد إبراهيم شيخ الموحدين ورمز وحدة الأمة. وظهر الإسلام وأصبح البلدان العراق وسوريا بلداً واحداً يحكمه حاكم واحد عبر مئات السنين.

الدولة الحمدانية

هذه الدولة العظيمة التي قامت في الموصل وحلب جسدت العلاقات التاريخية والإسلامية والعربية الأصيلة بين العراق وبلاد الشام ٣١٧-٣٩٩ هـ / ٩٢٩-١٠٠٩ م. وكان ملوك الدولة الحمدانية من مفاخر هذه الأمة والتي مجدها شاعر العرب الأكبر المتنبّي من خلال مدائحه الخالدة لسيف الدولة الحمداني. وحفظتها معلقة رائعة بأمجاد الأمة في شعر أبي فراس الحمداني ينتسب الحمدانيون إلى قبيلة تغلب، وكان بنو تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار، وكانوا من نصارى العرب الذين لهم محل في الكثرة والعدد.

وكانت مواطنهم في الجزيرة وديار ربيعة، وما زالوا ينتقلون بماشيتهم وأموالهم وخيامهم على مثل حالة القبائل العربية من تهامة إلى نجد إلى الحجاز إلى أرض ربيعة إلى ضفاف الفرات حيث نزلوا ساحل الرقة الفسيح، ومنها انتقل حمدان بن حمدون إلى الموصل. وكان حمدان جد الأمراء الحمدانيين رئيس قبيلة أنجب عدة أولاد اعتمدوا على أنفسهم، وألقوا بأنفسهم في ميادين المغامرة والحرب، وكانت حياتهم تتصف ولا تعرف الهدوء والسلام إلا قليلاً. لقد استطاعت قبيلة تغلب بفضل أبناء زعيمها حمدان بن حمدون أن تؤسس دولة في شمال العراق، وأن تتخذ من مدينة الموصل عاصمة لها ٣١٧-٣٥٨ هـ / ٩٢٩-٩٦٩ م.

وكانت هذه الدولة منتمية لهويتها العربية، وساءها استبداد الأتراك بالخلافة العباسية، فجاء زعيمها الحسن بن عبد الله الحمداني إلى بغداد، ومعه أخوه لمناصرة الخليفة المتقي بالله سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م. وكافأ الخليفة هذا الزعيم الحمداني بأن عينه في وظيفة أمير الأمراء، ومنحه لقب ناصر الدولة، ثم منح الخليفة المتقي أخاه لقب سيف الدولة الحمداني. وعاش الأخوان ناصر الدولة وسيف الدولة ببغداد إلى جانب الخليفة الذي عرف لهما قدرهما، ولكن ذلك لم يعجب الأتراك، فاستطاعوا بزعامة قائدهم توزون أن يطردوا الحمدانيين، وأن يحملوهم على العودة إلى الموصل سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م. وتطلع سيف الدولة بعد خروج الحمدانيين من بغداد إلى

الإعلاء من شأن دولته بالموصل فسار سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٥م إلى شمال الشام ضم حلب وأخرج منها حاكمها التابع للدولة الإخشيدية، صاحبة السيادة حين ذاك على مصر والشام. وأصبح سيف الدولة بذلك صاحب الدولة الحمدانية وعاصمتها حلب التي استمرت في شمال الشام حتى سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م. وكان قيام الدولة الحمدانية على طول منطقة الأطراف الإسلامية المتاخمة لأراضي الدولة البيزنطية في جنوب آسيا الصغرى وفي شمال العراق حاجزا ضد هجمات البيزنطيين في وقت أضحت الدولة الخليفة نهبا للفوضى والقلق الداخلية، وليس لديها قوة حربية كافية. ولقد خلد التاريخ اسم سيف الدولة من خلال حروبه المتكررة ضد البيزنطيين، والتصدي لأعمالهم العدائية على أرض المسلمين.

لقد بدأ أعماله الدفاعية عن أمته بالتحرك على آسيا الصغرى سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٩م ولم تمر سنة واحدة بغير تجهيز حملة حربية لهذا الغرض، ولقد تسنى له أن يستولي على كثير من الحصون البيزنطية مثل مرعش وغيرها من مدن الحدود. ومن بطولات سيف الدولة: استيلاؤه على قلعة الحدث وهي قلعة متاخمة لحدود الدولة البيزنطية كان سيف الدولة قد بناها، وهجم عليها الرومان فخربوها، وهدموها فأعد سيف الدولة جيشاً قويا، وهزم الروم هزيمة ساحقة، واستولى على قلعة الحدث، وقد قال المتنبي في ذلك قصيدة طويلة في مدح سيف الدولة وبطولته في هذه المعركة. ولقد عاصرت حركات سيف الدولة أعظم إمبراطورين قويين عسكريا عرفتهما الدولة البيزنطية يومذاك، فقد استطاع ثقفور فوقاس أن يستولي على حلب نفسها عاصمة سيف الدولة سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م ودخل أنطاكية بجنوده، وقتل فيها ما يقرب من عشرين ألفاً، غير أن الدولة البيزنطية انسحبت منها بعد ثمانية أيام بسبب المقاومة الحمدانية. وقد اتجه الإمبراطور الروماني حنا شمشيق إلى الاستيلاء على بيت المقدس، وتوغل كثيراً في أراضي الشام، ولكنه عاد سريعاً من غارته الخاطفة بفضل مقاومة الحمدانيين في حلب، ومقاومة الفاطميين في سائر الشام. ولقد تولى سعد الدولة ابن سيف الدولة بعد أبيه سنة ٣٥٧ - ٣٨١هـ / ٩٦٧ - ٩٩١م، لكن الدولة دخلت في مرحلة الضعف والنزاع الداخلي. وذلك بعد أن اعترف منصور بن لؤلؤة والي الحمدانيين على حلب بسلطان الفاطميين على حلب عام ٣٨٣هـ وأصبحت إمارة فاطمية.

ولعل من أبرز المزايا التي تميزت بها هذه الدولة العربية الإسلامية التي امتد سلطانها على مناطق واسعة من العراق وسوريا التالي من النقاط:

١ - التسامح المذهبي من جانب أمراء الدولة الحمدانية الشيعية إزاء أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، فلم ترد أية أخبار عن مشاحنات أو نزاعات جرت بين السنة والشيعة، لا سيما في إمارة حلب، كالتي جرت في البلدان الأخرى، مما يدل على أن هذا المجتمع في ظل الحمدانيين كان مجتمعاً خالياً من التعصب المذهبي. شمل التسامح الديني أتباع الديانات الأخرى كالنصرانية واليهودية، إذ عاش أولئك بكل أمان وطمأنينة، وتمتعوا بكل حقوقهم ولغتهم و تقاليدهم وثقافتهم.

٢ - ساهم قيام الدولة الحمدانية في صيانة المشرق الإسلامي من مخططات ومكاند القوى المتربصة بالأمة، إذ استطاع سيف الدولة علي بن حمدان ان يرد الروم البيزنطيين على أعقابهم. وأن يصون سوريا، من غزوهم، وقد كان في صيانة سوريا صيانة لبلاد الإسلام والعرب كلها، لا سيما مصر والعراق، فلو استطاع البيزنطيون احتلال سوريا، لنفذوا منها إلى أعماق مناطق الشرق الإسلامي، بل وحتى غربه.

٣ - تحول بيئة حلب والموصل إلى بيئة خصبة للأدب والفنون والعلوم المختلفة، فقد اهتم الأمراء الحمدانيون ومنهم سيف الدولة بالذات بالشعراء والكتاب والعلماء أشد اهتمام، وكان تكريمهم لهم تكريماً مميزاً، وكانت مجالس الأمراء تعج على الدوام بمجاميعهم، حيث مجالس الأدب والحديث ومباريات الشعر.

٤ - ترسيخ مفاهيم الصمود والمقاومة والجهاد والتضحية في سبيل العقيدة والمبدأ، في أوساط المجتمع في زمن سادت به حالة من الانكسار بسبب سيطرة الأعاجم على مقاليد المنطقة، وهذا ما تجسد عبر الدفاع المستميت الذي جسده الحمدانيون وجندهم دفاعاً عن حياض الإسلام والبلاد الإسلامية والعربية ضد أطماع قوى العدوان، التي كانت تبغي الهيمنة والاستعباد المتجسدة بقوى الغزو الصليبي الأوربي.

إرادة التفارقة بين البلدين

نقلنا في الصفحات التي مرت معنا كلمة التاريخ الصادقة في الأخوة بين البلدين الشقيقين وعرضنا لعمق التفاعل الحضاري بينهما. واستمر البلدان بلداً واحداً حتى دخل الاستعمار إلى منطقتنا فمزقها وقطع أوصالها، لكن هذه الأوصال كانت تحن بعضها للأخر. فكيف تستطيع فصل بطين أيمن عن بطين أيسر في قلب واحد؟! فبقي من كل تلك المشتركات ومن كل هذا التاريخ العريق تراث يمتد إلى آلاف السنين لينبض ذلك القلب الواحد وليضخ دماً هو الدم ذاته إلى كل الشرايين ليعيش أبناء الرافدين وبلاد الشام على هذه الأسس المتينة المشتركة. وعلى الرغم من ذلك فكان من معطيات عصر الاستعمار ان تنطلق أصوات لشياطين لتمزق النسيج الواحد فكان عندها اللقاء بين العراق والشام خط أحمر لا يجوز الوصول إليه. ولو قلبنا كتاب إرادة التفارقة بين البلدين لوجدنا ان إرادة الوحدة والمحبة كانت هي المنتصرة في آخر الشوط. ولو انتقلنا إلى آخر صفحة من صفحات كتاب المؤامرة الأسود على البلدين لوصلنا إلى دور الظاهرة العقلية وفرعها الدكتاتورية الصدامية في التنفيذ الحرفي لإبعاد المؤامرة ضد الأمة وطموحاتها العادلة. وكم سعت الإرادة الظلامية عبر وكيلهم المباد إلى إثارة الفتن والنعرات بين أبناء المنطقة الواحدة ففي كل يوم يصب ذاك الشيطان ما يأمره به أسياده من العدوان فيشعل النيران ليعمق التمزق بين أبناء الأمة الواحدة وعندما اقترب العراق من سورية وسورية من العراق في أواخر السبعينيات قام ذلك المجرم بإبادة كل من يدعو إلى بناء علاقات أخوية رصينة وكانت حمامات الدم في بغداد وتناثرت جثث الشهداء لا لسبب إلا أنهم تنبؤوا بما سيؤول إليه وضع الغادر المعتدي

ولا لشيء إلا لإيمانهم بصميمية العلاقة بين البلدين. وبدلاً من الالتزام بما ينبغي الالتزام به من دواعي الوحدة في المنطقة وما ينبغي لها من بناء مناخ حضاري متقدم كما حصل في شعوب شرق آسيا وأوروبا وأمريكا من إقامة الاتحادات الإقليمية الكبيرة من أجل التنمية والسلام، أصبح نظام صدام العامل الأقوى للتخريب والتدمير والعدوان والانهزام.

ولكنه بعدما أصبح وجوده عبئاً ثقيلاً على أسياده قرروا التخلص منه تحت ضغط إرادة الشعب العراقي بالإطاحة به عبر ثورة شعبية عارمة كما كاد ذلك أن يكون في الانتفاضة الشعبانية سنة ١٩٩١. وعلى الرغم من مساعي القوى الصهيونية في إدامة بقائه ليستمر بدوره التخريبي ضد الأمة لصالح الصهيونية العالمية وأهدافها التخريبية بعيدة المدى، إلا أن حسابات قوى عالمية أخرى كانت تتجه إلى أن ثمن بقائه أغلي بكثير من الفائدة التي يحققها استمراره بالسلطة. وقد دفع نضال الشعب العراقي وقياداته الوطنية من أجل إقامة نظام ديمقراطي إلى التعجيل بتغييره. وقد أعطى صدام من جانبه كل المبررات لذلك بسبب من غبائه أو لالتزامه بمخطط مرسوم.

الرئيس الخالد حافظ الأسد

على الصعيد الآخر وبمقدار ما كان لصدام دور كبير في تخريب العلاقات بين البلدين، كان للرئيس الخالد حافظ الأسد دوراً كبيراً في إيجاد الجسور بين الأشقاء. ينحدر الرئيس حافظ الأسد من أسرة مسلمة عربية معروفة الأصول وكريمة التاريخ ولها ناضل وطني كبير، وفي أجواء بيتية وفكرية مفعمة بالقيم والمثل العليا الإنسانية والإسلامية والعربية التي اتخذت من رموز الإسلام الخالدة نموذجاً لها في المسيرة نحو حمل رسالة الخير والمحبة. فكان الأسد خريج مدرسة أم وأب وقبيلة ومنطقة يتشرف من ينتمي إليها ويتخرج منها. ولرئيس الخالد العديد من المواقف التاريخية الإستراتيجية التي سيخلدها التاريخ نمر على بعض منها:

كشف القائد الخالد منذ اللحظة الأولى زيف الحرب العراقية الإيرانية ووصفها بالحرب المجنونة، ودعا إلى إيقافها، وبعد ثماني سنوات من الحرب والخسائر الفادحة اعترف الدين أشعلوا الحرب بصوابية الموقف السوري والدور الهام للقائد الخالد في إيقاف هذه الحرب. وقف القائد الخالد ضد غزو الكويت من قبل صدام عام ١٩٩٠ وطالبه بالانسحاب فوري، لكنه لم يستجب لدعوته، كانت الحرب على العراق التي أضعفته وأنهكت قواه وكانت تلك الحرب مقدمة للكثير من المآسي التي مر بها الشعب العراقي وكانت إرثاً مدمراً ورثه الشعب العراقي وحكومته الوطنية المنتخبة ومن ذلك وضع العراق تحت طائلة الفصل السابع بإرادة مجلس الأمن في الأمم المتحدة.

احتضن الرئيس الخالد العراقيين إذ كان يعتبرهم بمثابة أبنائه ولا يعترف بفرق بينهم وبين السوريين من حيث الرعاية والاهتمام وهو فضل في أعناق شرفاء العراق لا ينسونه له. وفوق هذا وذاك فالقائد الأسد من أوائل من شخصوا خطورة الظاهرة العقلية والظاهرة الصدامية على الأمة العربية والإسلامية والمنطقة في وقت راهن به الكثير من الحكام العرب

عليها، لتثبت الأيام بعد ذلك عمق نظر الرئيس الخالد حافظ الأسد وقصر نظر غيره. عندما استدار صدام ليجازي من أمده بكل دعم أقصى الجزاء.

دعم القائد الخالد المقاومة الوطنية وحمل مفهوم المقاومة فكراً وممارسة وتحرك به في كل المحافل الدولية. ويسجل التاريخ أن أي مكسب حققته الأمة العربية والإسلامية في سوح النضال لاسيما في لبنان وفلسطين كان للأسد حصة الأسد فيه. كان الرئيس الأسد سباقاً بالتحذير من الإرهاب لاسيما المستندة منه على أسس دينية تعصبية عدوانية. وقد حاربها عملياً ونقد أسسها الفكرية ومنذ أمد طويل لاكتوائه وبلده سوريا به. وقد توفق الرئيس الراحل في اكتشاف الصلة الحقيقية بين الإرهاب والتخريب الصهيوني في المنطقة والعالم لذلك دعا إلى عقد مؤتمر دولي لتعريف الإرهاب والأطراف التي تقف خلفه والتميز بينه وبين حق الشعوب في المقاومة والتحرير. تمكن الرئيس الخالد من بلورة خط رصين تتكامل به الانتماء للعروبة والإسلام والوطن ويعيدا عن المزايدات والتقلبات التي اتسم بها البعض.

والخلاصة فقد كان الأسد حكيماً عربياً مسلماً يجدد في الأذهان صور القمم الشامخة من حكماء العرب وحكامهم واجد نفسي في الكثير من الأحيان مجبراً لمقارنته بقائد عربي مسلم عراقي شامي خالد هو سيف الدولة الحمداني وكأني بسيف الدولة الحمداني ينبعث بالأسد من جديد ليحي أيام النضال العربي العقائدي الرسالي الإسلامي ضد أعداء الأمة. ولا عجب فكلاهما من دوحة عربية أمنت بمبادئ أمتها وارتسمت لها الطريق الصحيح. وهو العطاء المتوثب والمتجدد في أرض العروبة الصامدة في قلاع بلاد الشام وبين دجلة وفرات العراق العظيم التي ينطلق منها وعلى مر الدهور صوت الأصالة ليدل الأمة على صحيح الطريق فيطفيئ في الأزمات والحوادث المستعصية طوارق الحريق. وهكذا نجد الرئيس الخالد ماهراً في فهم المعادلة، مبادراً في قيادة العمل، فهو يجيد قراءة التاريخ ويجيد صناعة التاريخ، فكان صاحب القرار التاريخي في الظروف الصعبة لذلك بقي خالداً في الضمير.

وبعد سقوط نظام الصنم في بغداد تمكن الشعب العراقي من فرض إرادته على الكثير من المتغيرات السياسية في المنطقة وفرضت إرادة الشعب وقياداته التاريخية الأصيلة ما ارادت أن تختاره لنفسها خلافاً لما كان يراد لها من بدائل.

وانتخبت الجمعية الوطنية الأولى وكتب الدستور بعد مخاض طويل بإيادٍ عراقية. وفرض الشعب إرادته مره أخرى من خلال برلمانه وانتخب حكومته الانتقالية وتوج ذلك فيما بعد بانتخاب حكومة الوحدة الوطنية التي تمثل إرادة العراقيين التي استطاعت أن تدحر الإرهاب وتؤسس لدولة القانون وللمصالحة الوطنية وكان من أهم أهدافها هو إعادة العراق إلى كامل سيادته.

وهكذا كلفت وزارة الخارجية بالإعداد لصياغة معاهدة جلاء القوات الأجنبية من العراق وقدمت رؤيتها على المسودات المطروحة بما يؤدي إلى استقلال العراق بعزته وسؤدده ومجده وقدمتها إلى دولة رئيس الوزراء الأستاذ نوري المالكي ومجلس النواب. فدرسها مجلس الوزراء دراسة معمقة

وأضافوا لها من المواد ما يعزز استقلال العراق ووحدته. ورفعت إلى برلمان العراق فتشدد انطلاقاً من مسؤوليته الوطنية العراقية بسد كل ثغرة وإضفاء كل مادة من شأنها تعزيز الاستقلال الكامل للبلد. وهكذا كانت اتفاقية الجلاء معلنة صريحةً متدواله بين الناس لا كما يفعل البعض ممن يرمينا بما يرمينا به وبينه معاهدات مع الأمريكان بل وإسرائيل لكنها في طي الكتمان ولو كشفت لأبناء الأمة لبانت حقيقة النفاق السياسي الذي ابتلي به البعض.

لقد كان من معطيات العملية السياسية الديمقراطية في العراق اتجاه السياسة الخارجية للبلد في بناء العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع دول العالم وفق أسس تقوم على تبادل المنافع وحسن الجوار والتوافق مع الشرعية الدولية وإجماع الدول العربية.

ومن هنا انطلقت الدبلوماسية العراقية إلى بناء أوثق العلاقات مع العالم المتقدم والمتحضر في عين الوقت الذي كانت مصممة على افتتاح صفحة جديدة من السلم والتعاون والأخوة مع دول الجوار وكان من أولويات السياسة الخارجية العراقية ضمن هذا المنظور التكاملي، بناء العلاقات الإستراتيجية بين العراق وسوريا.

الاتفاق الاستراتيجي بين دمشق وبغداد

كانت بالنسبة لي أمنية كبرى ان أكون احد المساهمين في بناء العلاقة الإستراتيجية بين البلدين الشقيقين من خلال عملي الدبلوماسي كرئيس للدائرة العربية في وزارة الخارجية العراقية او كسفير للعراق في سوريا. وكشاهد عيان حضر في كل التفاصيل ارجب ان اضيف في هذه المقدمة لكتاب «يحكي عن أواصر الحب والهيام بين العراق والشام» جانباً من يوميات الأحداث عبر الشريط الإخباري التالي. وصل إلى بغداد رئيس الوزراء السوري محمد ناجي العطري قد قبل ظهر يوم ٢٠٠٩/٤/٢١ في زيارة رسمية على راس وفد كبير ضم أكثر من عشرة وزراء، وكان في استقباله بمطار بغداد الدولي نظيره العراقي نوري المالكي وعدد من الوزراء والمسؤولين في الحكومة العراقية وكنا كذلك ضمن المستقبلين. في بغداد ٢١ ابريل ٢٠٠٩ أكد دولة رئيس الوزراء العراقي الأستاذ نوري المالكي ونظيره السوري دولة المهندس محمد ناجي العطري تطلع بلديهما إلى إقامة علاقات نموذجية وإستراتيجية بينهما تتخطى أخطاء الماضي.

ومن طرفه قال رئيس الوزراء العراقي في افتتاح جلسة المباحثات بين البلدين وفقاً لبيان صادر عن مكتبه إننا نتطلع إلى إقامة علاقات نموذجية مع سوريا رداً على القطيعة في زمن النظام السابق وما تلاها خلال صفحة مواجهة الإرهاب، وإن روابط التاريخ والجغرافيا بين البلدين والشعبين الشقيقين هي عوامل أساسية لبناء علاقات إستراتيجية تطوي سياسات ومغامرات وحروب النظام السابق التي أثرت على مجمل علاقات العراق مع أشقائه وأصدقائه وليس مع سوريا فقط.

ووصف المالكي زيارة رئيس الوزراء السوري والوفد المرافق له بأنها زيارة تاريخية تؤسس لعلاقات واسعة بين البلدين، معرباً عن سروره واعتزازه بهذه الزيارة التي تمهد الطريق لإعلان المجلس الأعلى للتعاون الإستراتيجي بين البلدين.

وأضاف أن الشراكة الشاملة ستتحقق من خلال حقول العمل المتنوعة وأن مساحة التعاون بين العراق وسوريا واسعة ومتعددة وتمتد إلى مجالات الخدمات وتوظيف الطاقات و مشاريع البناء والاعمار التي توقفت منذ ثمانينيات القرن الماضي.

وأوضح المالكى أن قوة العراق عنصر مهم في استقرار المنطقة، قوة تمكنه من حماية حدوده وأمنه، والقوة التي نعنيها ليست القوة العسكرية التي تحارب وتعتدي وتحتل دول الجوار وليست المغامرات الداخلية والخارجية والمقابر الجماعية واستخدام الأسلحة الكيميائية، والعراق القوي سينهض بعلاقات قوية مع محيطه العربي والدولي.

من جانبه، قال دولة رئيس الوزراء السوري المهندس محمد ناجي العطري إن سوريا تدعم جهودكم وجهود حكومة الوحدة الوطنية في قيادة العراق إلى بر الأمان وتعزيز مسيرته السياسية والوفاق الوطني وتهيئة الظروف المناسبة لانسحاب القوات الأجنبية واستعادة دوره المحوري المهم في المنطقة، متمنيا للشعب العراقي تحقيق طموحاته وتطلعاته.

وتابع نتطلع بثقة وتفاؤل كبيرين إلى نتائج مباحثاتنا وتعزيز صلات التعاون والاستفادة من الفضاء اللامحدود أمام تطوير العلاقات وتكامل الموارد البشرية والمادية والاستفادة من الموارد والإمكانات المتاحة للبلدين لإرساء علاقة قوية وصلبة تستجيب لتطلعات وآمال شعبينا في الحاضر والمستقبل.

ودعا العطري إلى تغيير شامل في العلاقات بما يؤدي إلى توسيع أفاقها وتمتين حلقات التعاون في مجالات التجارة والصناعة والنقل والنفط والغاز والكهرباء والثروة المعدنية والسكن وتأسيس المصارف والمجالات الزراعية والصحية واستصلاح الأراضي وجميع المجالات، وزيادة التبادل التجاري، وتفعيل مذكرات التفاهم الموقعة بين البلدين وتعزيزها باتفاقات جديدة، كما دعا إلى تطوير آليات التعاون بين غرفتي التجارة وتفعيل دور رجال الأعمال في البلدين.

وأعلن عن استعداد الشركات السورية العامة والخاصة لتقديم كل ما يمكن في قطاع الاعمار والبناء ودعم الخطط التنموية التي أقرتها الحكومة العراقية، مؤكدا على ضرورة أن يلمس المواطنون في البلدين نتائج هذه الدورة التاريخية المهمة من المباحثات.

ما أعتقده وأؤمن به فعلاً أن العراقيين لن ينسوا فضل دمشق التي لطالما فتحت أبوابها أمامهم، وأضاف: نحن في العراق أوفياء لكل من وقف معنا في محنتنا، وسورية كانت من ابرز الدول التي وقفت إلى جانبنا، والذي ينسى فضل الرئيس الخالد حافظ الأسد على أبنائه العراقيين، ينبغي عليه أن يراجع منظومته الأخلاقية. إن إخواننا السوريين، وعلى الرغم من الوضع الاقتصادي الذي لديهم، عاملوا العراقيين كما يعاملون السوريين.

إن ذاكرة العراقي ذاكرة بعيدة المدى، فهذا الشعب الذي دون روائع الفكر الإنساني من ملحمة كلكامش إلى شريعة حمورابي إلى مساهماته في الأديان السماوية المختلفة اليهودية والمسيحية

والإسلام، هو شعب يدون ولا ينسى، والقيادة العراقية وفية لذكرى المعروف، ونتمنى أن الأيام القادمة والسنين القادمة ستشهد تفعيلاً لهذه الذاكرة الإيجابية.

وفي إجابة على سؤال سألني أحد الإعلاميين للتفسير مفاده: ظل التقارب السوري العراقي حلماً وأمنية لدى شعبي الدولتين الجارتين، وذلك لما يمكن أن يشكله من رافعة تنموية لهما، لكن هذا التقارب ظل أيضاً على الدوام خطأ أحمر من قبل العديد من القوى الإقليمية والدولية، وبالتالي هل يمكن استبعاد تعرض تحسن العلاقات الذي بدأ أخيراً على أسس جديدة لأي انتكاسة مستقبلية كما فعل الرئيس السابق صدام حسين عندما اقترب البلدان من الوحدة.

قلت: لا يعلم الغيب إلا الله، وساحة الصراع السياسي هي ساحة عنيفة وتفتقد في كثير من الأحيان للمصداقية الأخلاقية، وتُظهر ما ليس هو بالحقيقة، فلذلك لا يعلم الغيب إلا الله. لكن نحن كسياسيين ننظر إلى الأمور ونحللها، ونعتقد أن النظام القائم في بغداد قوي جداً وأقوى بكثير مما يظن البعض. حقيقة، لولا موقف الشعب العراقي العظيم معنا وقياداته الجماهيرية الحقيقية، ما استطعنا أن نحصل في اتفاقية الجلاء على ما حصلنا عليه.

لقد كانت الحكومة تفاوض وكان هناك دعم شعبي لها باتجاه تصعيد سقف التفاوضات، ونحن صُغنا في وزارة الخارجية الاتفاقية وفق معاييرنا الدبلوماسية بشكل فني، والحكومة العراقية أرادت أكثر، والجماهير أرادت أكثر من ذلك، ونجحت الجماهير في أن تأخذ كثيراً من الأمور التي تريدها. لا أعتقد أن المؤامرات والمتآمرين سيتوقفون يوماً من الأيام، لأن هذه مهنتهم، وهذا عملهم ويعيشون عليه ولن يتوقف المتهنئين لهذه المهنة عن عملهم. نحن نطلب من هؤلاء أن يراجعوا أنفسهم، ونقدم لهم نصيحة تقول: إن الشعب العراقي أقوى بكثير مما يظنون، وحكومة العراق أقوى بكثير مما يظنون.

تلخص الرؤية التفاؤلية لمستقبل العلاقات السورية العراقية، إضافة إلى متانة استقرار الوضع العراقي، أن دمشق باتت تسير نحو الاستفادة من علاقة إستراتيجية لطالما ربطتها مع رموز المعارضة العراقية التي كانت تقيم فيها خلال العهد السابق، وباتت اليوم تقود الدولة في العراق.

الأفاق المستقبلية

قرر البلدان في أواخر عام ٢٠٠٦ إعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما بشكل كامل، وذلك بعد انقطاع دام لأكثر من ٢٨ عاماً بسبب خلافات عميقة بينهما في عهد صدام. وبعدما تطورت الأمور بين البلدين صادقت الحكومة العراقية على تعيين الدكتور علاء الجوادى سفيراً للعراق لدى سورية منذ أيلول سنة ٢٠٠٨.

عبرت السرعة القياسية في قبول ترشيحي من قبل السوريين عن بادرة من بوادر الأخوة الصميمية بين البلدين على الرغم من أن البعض كان يراهن على العكس. لكنني تأخرت في الالتحاق بمهام عملي، وذلك لظروف وفاة ابنتي الصغيرة العلوية الشابة كوثر «٢٣» ربيعاً بعد

حصولها على درجة الماجستير في الصيدلة اثر إصابتها بالسرطان رحمها الله .
كان وصولي إلى سوريا يوم ٢٩/١/٢٠٠٩ من الأحداث المهمة في العلاقة بين الدولتين ذلك
انه أول سفير عراقي في سورية منذ عام ٢٨ إلى دمشق ليمارس مهامه بصفته سفير لبلاده. وقبل
ذلك كوني السفير السوري في العراق نواف الفارس قد سلم أوراق اعتماده للحكومة العراقية
منذ تشرين أول الماضي وبأشهر أعماله فوراً .

ومن معالم تطور العلاقات بين البلدين وجديتها هو تبادل السفراء بينهما، مما يفتح الباب
على مصراعيه للتحرك على العديد من الأفاق المستقبلية التي تنتظر جهدهما لمستقبل واعد .
وأمام هذه الصفحة الجديدة بالعلاقات وأمام ارتباط سورية والعراق بعلاقات تاريخية
 واجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية نتطلع إلى الأفاق المستقبلية. وتكتسب هذه العلاقات
أهمية خاصة نظراً لموقع البلدين وثقلهما السياسي والاقتصادي في منطقة الشرق الأوسط
وكذلك بسبب التأثير المتبادل لكل منهما في الآخر. وتتجلى علاقات التعاون بين سورية والعراق
بأروع صورها في العلاقات بين الشعبين الشقيقين ويلعب القرب الجغرافي والتداخل الاجتماعي
بينهما دوراً مهماً على صعيد تعزيز هذه العلاقات ويلتقي البلدان والشعبان الشقيقان في العديد
من المحطات المشتركة عبر تاريخ علاقاتهما الطويل الذي كان يتبادل به الشعبان كل عواطف
الأخوة والرغبة بالوفاق والتعاون والوحدة.

ولا ينسى الشعب السوري الاشتراك الفعال للجيش العراقي في حرب تشرين ١٩٧٣ على
الجهتين المصرية والسورية حيث كانت لمشاركته دور مهم في تحقيق الانتصار المؤزر في الحرب .
وشهدت العلاقات السورية العراقية تطوراً ملحوظاً بعد سقوط النظام العفليقي الصدامي .
ونتيجة للمصلحة المشتركة في التقارب بين الطرفين فقد تم تبادل الزيارات بين مسؤولي البلدين
والتي أدت إلى توقيع اتفاقات للتعاون الاقتصادي بينهما بما فيها اتفاق لإعادة ضخ النفط عبر
الأراضي السورية الذي توقف عام ١٩٨٢ . وقد أعلنت سورية بعد سقوط نظام صدام عام ٢٠٠٣
حرصها على صيانة وحدة العراق واستقلاله ودعمها للعملية السياسية في العراق إضافة إلى
ضرورة وضع جدول زمني لانسحاب القوات الأجنبية من العراق .

كما استقبلت سورية أعداداً كبيرة من اللاجئين وسمحت لهم بالانخراط داخل المجتمع السوري
معلنة استعدادها التام لتقديم كل ما يحتاجه الشعب العراقي الشقيق من دعم ومساعدة ومشاركة
فعالة في عملية إعادة اعمار العراق وبناء ما دمرته الحرب من مرافق وبنى خدمية واقتصادية .
ويسعى الجانبان السوري والعراقي إلى التعاون الجاد في المجال الأمني واتخاذ الإجراءات
الكفيلة بضبط الحدود بعد ٢٠٠٣ بما يشمل زيادة عدد المخافر الحدودية وتكليف عشرات الدوريات
الأمنية برفد هذه القوات للمساعدة في ضبط الحدود ومنع تسلل الأشخاص عبر الحدود .

كما تعد الاتفاقية الأمنية الموقعة بين البلدين صفحة جديدة لتعاونهما في المجال الأمني
والتي تنص على تبادل البحوث والخبرات التي من شأنها تطوير سبل وطرق مكافحة الجريمة

وتعاون الطرفين لتطوير أنظمة المراقبة الحدودية وتبادل المعلومات حول الأنماط المختلفة للجرائم المنظمة المتعلقة بالاقتصاد والمخدرات والمؤثرات العقلية والتزوير وسرقة السيارات والآثار والتحف الفنية وتهريبها والاتجار غير المشروع ولضمان سير وتنفيذ المواضيع المتفق عليها بالشكل الأمثل اتفق الجانبان على عقد اجتماعات دورية للجانب المتابعة الفرعية كلما اقتضت الحاجة. وكما ذكرنا فقد تجسدت هذه العلاقات الأخوية وتوطدت مسيرة التعاون والتنسيق بين البلدين في مختلف المجالات بتبادل الزيارات الرسمية بشكل مستمر لبحث جميع أنواع التعاون والعلاقات المشتركة ومصالح الشعبين الشقيقين حيث تشكل هذه الاجتماعات محطات مهمة في إعطاء علاقات التعاون بين البلدين دفعات إلى الأمام.

يرتبط البلدان الآن باتفاقيات وبرتوكولات ومذكرات تفاهم اقتصادية ومالية في مجال الازدواج والتهرب الضريبي والتعاون الإداري الجمركي والتسهيلات المصرفية بين المصرفين التجاري السوري والرافدين العراقي والمستحقات المالية للبلدين وتأسيس مصرف سوري عراقي مشترك ومعالجة المتقابلات المالية فيما يخص وزارتي النقل في البلدين وبرتوكول إقامة منطقة تجارة حرة وتشجيع وحماية الاستثمارات والتعاون التجاري والاقتصادي والعلمي والثقافي وفي مجالات النقل البري والجوي والبحري وإعادة تشغيل الشركات المشتركة للنقل البري وإنشاء شركة مشتركة للنقل والسكك الحديدية وتطوير مرفأ طرطوس السوري لنقل البضائع عبره إلى العراق.

وتشكل هذه الاتفاقيات حجر الأساس في طريق تطوير العلاقات الاقتصادية والسياسية بين البلدين ودفع العلاقات إلى مستوى أفضل في مجالات الاستثمار المشترك والعلاقات المالية والمصرفية كما تشكل هذه الاتفاقيات ومذكرات التفاهم أرضية وإطار عمل لرجال الأعمال والمقاولين والقطاع الخاص في سورية للعمل والاستثمار في العراق.

وتسعى سورية والعراق إلى تبني سياسة اقتصادية مشتركة تتجلى في دعم وتطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية من خلال إيجاد آليات مناسبة لتنفيذ وتشجيع رجال الأعمال والمستثمرين لدى الجانبين لتبادل الزيارات والاطلاع على واقع الاستثمار فيهما والتعرف على الفرص الاستثمارية المتاحة وتشجيع إقامة المشروعات الصناعية المشتركة.

ان علاقات المحبة بين الشعبين متعددة ومتداخلة ومتجذرة. وان الترابط بينهما لا يمكن هدمه او تفكيك عراه وهو يتجلى بالعادات والتقاليد المشتركة والنضال الوطني والقومي المشترك وتشدداً واصره وتقوي لحمته العشائر والعوائل المشتركة بين البلدين فكم من عراقي يرقى إلى أصول سورية وكم من سوري ترقى جذوره إلى العراقيين.

الهيام بين العراق والشام: الكتاب ومؤلفه

كتاب الهيام بين العراق والشام من الكتب الأدبية الشيقة والجميلة والمتعة. وقد تضمن باقة جميلة من شعر العراقيين تجاه الشام وشعر الشاميين تجاه العراق. ومن أهم فوائد هذا الكتاب اللطيف هو كشفه لعمق التلاحم والمحبة بين الشعبين الشقيقين. وبحكم صداقتي مع

المؤلف واشتراكي معه بالهموم الفكرية والسياسية والثقافية وبحكم المهمة الملقاة على عاتقي لخدمة العلاقات بين البلدين الشقيقين العراق وسوريا ورعاية وخدمة إخواني وأبنائي العراقيين المقيمين في سوريا العزيزة، من هذا المنطلق كانت رغبة الصديق العزيز والأخ الكريم ان أقدم لكتابه، فما كان مني إلا الامتثال للطلب الأخوي لاسيما وان تعميق العلاقة بين البلدين من المواضيع التي تستهويني.

وطلب مني ان أساهم كذلك في قصيدة عن العشق والهيام بين العراق والشام فكتبت ما كتب وعبرت عما عبرت مما يجيش في ضميري من حب لبلدي العراق والبلد الذي قدم منه أجدادي حلب الشام وضبعة نور علي في منطقة عين العرب في محافظة حلب كذلك ومنطقة نجاف في البادية الحدودية بين العراق وسوريا.

ومؤلف كتاب الهيام بين العراق والشام هو الأخ الكريم الدكتور محمد سعيد الطريحي ينحدر من أسرة علمية نجفية قديمة في الهجرة للمدينة المقدسة فهو من بني طريح إحدى فروع قبيلة بني أسد القبيلة العربية المضربة العريقة. وقد حصلت هذه الأسرة على شرف السكن منذ مئات السنين بالنجف الاشرف ومجاورة إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام. وبرز منها علماء افاض ساهموا مع بقية العلماء في بناء حوزة النجف الاشرف ومرجعيتها الشامخة. والكتاب من الشخصيات العراقية التي لها دور ومساهمة في العطاء الفكري والأدبي والتاريخي. ويحدود معلوماتي انه ولد في الكوفة. العراق سنة ١٩٥٧.

وما زال صديقنا الطريحي يكتب الدراسات والبحوث والتحقيق والترجمة. كما انه يجيد الأوردية ولغات أخرى. وعمل في دائرة الآثار وقد التقيته أول مرة في مدينة الكفل العراقية سنة ١٩٧٨ عندما أرسلتني المؤسسة العامة للآثار والدكتور عبد العزيز حميد لدراسة المواقع الأثرية في تلك المدينة، ما زلت احتفظ بأرشيقي بكتاب الإيفاد، الذي نص على مايلي: «تقرر إيفاد المهندس في هذه المؤسسة السيد علاء حسين موسى إلى موقع الكفل للمشاركة مع مهندسي المركز القومي للاستشارات الهندسية والمعمارية بشأن دراسة طريقة صيانة منارة الكفل الأثرية وذلك ليوم ٢٩/١٠/١٩٧٨». وكان الطريحي يومذاك يعمل في آثار الكفل.

ولمدينة الكفل محبة خاصة في قلبي ذلك ان أخوال والدتي السادة البو هدمة الموسويين الحسينيين يقطنون في هذه المدينة وكنت اذهب مع جدي لامي أية الله العظمى الشيخ عباس المظفر او مع والدتي وأخوالي كثيرا لزيارتهم. واعتذر للقارئ عن هذا الاستطراد الذي قد يكون طريفا والحديث شجون كما يقولون.

وأعود لأقول ان للكاتب إسهامات صحفية جادة وقد ابتدأت علاقته بالصحافة العراقية ١٩٧٢-١٩٧٩. وبسبب الظروف القائمة يومذاك فقد أقام الكاتب في الهند منذ عام ١٩٨٠ ويعمل الآن بصفة الأمين العام لدائرة المعارف الهندية. بومباي ومن مهامها إصدار موسوعة عربية عن الهند. التي صدر منها حتى الآن مايزيد على ثلاثين كتاباً.

وللأستاذ الطريحي ما يزيد على ٨٠ كتاب مطبوع بين تأليف وتحقيق وضمن مساحات يهتم بمتابعتها منها: عدة كتب حول تاريخ الكوفة منها كتاب الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها طبع لأول مرة في روما سنة ١٩٧٨ وأعيد طبعه في بيروت وهو يتحدث عن الماضي المسيحي في المثلث الحضاري التاريخي الحيرة. النجف. الكوفة ومنها كتاب العتبات المقدسة في الكوفة و خزائن الكتب القديمة في الكوفة وتحقيق لكتاب فضل الكوفة وفضل أهلها لمحمد بن الحسن الشجري الحسني وكتاب أعلام الكوفة وغيرها.

إضافة إلى مجموعة أخرى تتناول تاريخ الهند في العصور الإسلامية ومنها كتاب أعلام الهند مجلدان، وكتاب تاريخ الشيعة في الهند والممالك الشيعية في الهند و تاريخ مملكة أود. وفي مجال التحقيق كتاب تحفة المجاهد ن في احتمال تم لبر خالين وكتاب عجتنب تم لهنتم بره وبحره وجزائره. وكتاب فضائل الزهراء و تاريخ الأحمدى و غرر الحكم وغيرها. كما اصدر مجلة الموسم وهي اللسان الناطق لأكاديمية الكوفة التي أسسها الأستاذ الطريحي وهي مؤسسة ثقافية أكاديمية غير حكومية أسست منذ ٢٥ سنة ويعمل من خلالها مجموعة من الباحثين والدارسين الشرقيين والغربيين في مجالات دراسات الأديان والأستشراق والعلاقات الثقافية بين الشرق والغرب.

والخلاصة فالأستاذ الأخ محمد سعيد الطريحي كاتب مبدع غزير الإنتاج.

الشام. . أحاسيس شخصية

لسوريا في قلبي الكثير من الأحاسيس. فإضافة إلى كونها البلد العربي الشقيق المجاور للعراق وإضافة إلى روابط الدين والتاريخ والروابط الاجتماعية المتجددة، فإن هناك مجموعة من الأحاسيس الشخصية الصادقة لهذا البلد ولهذا الشعب. فحلب الشهباء أول ما ينعكس في ذهني بصفتها مدينة الأجداد، حيث هاجر منها جدنا الأكبر شقيق الإمام السيد الشريف أبي يحيى محمد الكواكبي، وكانت أكبر أمنياتي زيارة مدينة حلب الشهباء وقد تحققت ولله الحمد. وبدعوة قلبية مخلصة من أخينا وابن عمنا المحامي السيد عبد المجيد الكواكبي، زرت بيت عميد الأسرة الكواكبية عمنا الكبير المؤرخ القاضي الأستاذ السيد سعد زغلول الكواكبي أطال الله بعمره مع السيد عبد المجيد الكواكبي وكان لقاء رائعا عندما التقى أحفاد الجد الأكبر الشريف السيد إبراهيم برهان الدين الموسوي الحسيني بعد طول فراق. وما أقدها وأعماها من أوقات عند زيارة مقابر وأثار أجدادي وأعمامي في حلب في محلة الجلوم الصغرى بصحبة السادات من آل الكواكبي الكرام، فتساقطت الدموع بلا شعور لعدد الشهداء الذي جزرهم الأعاجم من أعداء الأمة العربية كما تجرز الخراف وهو الذي اجبر بعض رجالات هذه الأسرة الهاشمية المباركة على الهجرة والهرب من بلد لأخر ومنهم أجدادي رحمهم الله. وعندما اضطر جدي السيد الشريف أبو محمد نور الدين علي للهرب من الأتراك العثمانيين من حلب كانت وجهته منطقة صرين في عين العرب إلى إحدى ضياعها وهي منطقة نور علي التي أخذت اسمها من اسمه وهي في محافظة حلب كذلك عبر نهر الفرات. وقد شرفني بعض أعيان أهلها وهم من قبيلة الجحيش العربية

بالزيارة وحدثوني عن كراماته التي ملئت الأفاق ودعوني لزيارة ضريح جدي المبني من الصخر والذي تعتليه الراية العلوية الهاشمية الخضراء والذي يقف صامدا يهز من جلاديه وقتلته الذين استباحوا بلاد العرب. ولم تدم السنين في استيطان الأجداد بها فهرب وتحت وطأة مطاردة الأتراك العثمانيين مرة أخرى السيد محمد بن نور علي شرقا خشية من القتل خارج سوريا ثم قفل راجعا إليها متخفيا في بواديها وهذه المرة استوطن منطقة نجاف الحدودية بين العراق وسوريا. فولد له بها ابنه وجدي الشريف علي النجافي الحسيني الموسوي فكانت معبر هريه من الأتراك العثمانيين لأنه أبى أن يكون رأس رمح ضد بني جلدته وقومه، وذلك قبل ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف إلى العراق وتحديدا لبلدة ولي الله علي بن أبي طالب التي تخفى بها حفاظا على نفسه وأسرته. وفوق هذا وذاك فسوريا ودمشق الشام تحتضن الجسد الطاهر لزينب الكبرى عمتي المظلومة الثائرة التي هي محط آمالي والامي ومقصد شكواي وزيارتها وذكرها يواسيني فيما ابتليت به من المصائب الكبار. وتقف إلى جنبها مقامات وأضرحة الأبطال من أهل بيت النبوة السادات الأشراف وبنات الرسالة وأصحاب رسول الله سلام الله عليهم أجمعين.

ويقف مشرقا أمام أبناء العراق وأنا احدهم الرئيس الخالد حافظ الأسد القائد العربي المسلم الكريم هو امتداد المجد العربي المناضل من جهة واحد ابرز الرموز في زمننا الصعب من جهة أخرى. الذي أحببته من أعماق أعماق قلبي. ذلك الزعيم الذي بذل كل وجوده للحفاظ على الأصالة والجدور. والذي أحببته كذلك للرعاية الكريمة لأبنائه العراقيين والتي امتدت وأثمرت بعهد نجله الكريم الدكتور بشار الأسد. كما يشدني إليها الاستقبال الرائع الذي استقبلني به إخوتي وزملائي من مسؤولي هذا البلد الكريم وعلى كل المستويات الرفيعة فجعلوني أحسن إني مع أخوة أشقاء يهتمهم شأن العراق ومجده وعزته. ويشدني إلى سوريا هو شعبها الودود الطيب الجميل المسالم المحب إلى ابعد الحدود شقيقه الشعب العراقي الأصيل. والذي يحب الحياة ويحب الجمال ويعشقهما. فتعايش السوريون ضمن لوحة رائعة الصنع توحد بها هذا الشعب مع أرضه الغناء الجميلة المخضرة المشرقة. فكانت بلاد الشام جنة الله في الأرض.

ويحبيني إلى سوريا ولا سيما دمشق كثرة مكتباتها وما تحتويه من ألوان الكتب فتمنحني أجمل الأوقات وأنا أتجول في أروقة هذه المكتبات فأمتع نظري بين رفوفها مقلبا كتبها مقتنصا هذا الكتاب أو ذاك جاعلا نفسي مستمرا في تمتعي وكأنني بمكاتب العراق في سوق السراي وشارع المتنبي ومكتبات النجف الأشرف وغيرها الكثير.

واخيرا أرجو أن يساهم هذا الكتاب «الهيام بين العراق والشام» في ترسيخ عرى الأخوة بين البلدين. وأرجو أن أكون قد وفقت في قصيدتي التي يضمها هذا الكتاب في التعبير عن احاسي المخلصة لبليدي العراق العظيم وسوريا الشقيقة الكريمة وللجدور المجيدة منذ أعماق التاريخ. وأقول في ختام هذا التقديم ما قاله شاعر العرب الكبير بدوي الجبل حول «الهيام بين العراق والشام» والتي انشدها عند مقتل الملك الوطني غازي بن فيصل الهاشمي وبعد حذف

أبيات منها تتعلق بالأشخاص لتجلية المعاني المرتبطة بتاريخ الأمة والبلدين:

من سقى الفجر من دماء الشهيد	زهوة الفتح والشباب النجيد
نمّ عليها بالعطر والتوريد	خضبت غرة الصّباح فقد
والوى بالفارس المعدادود	قد أنزل الكمّي عن السرج
الشمس في أفقها عثار الجدود	مصرع الشمس في الضحى هل ينال
وتبقى، كالدهر دنيا الرّشيد	إيه دنيا الرّشيد تغنى الحضارات
زوّقتها رؤى الخيال الشرود	صور للعلی القديم وضاء
ضياء و روعة في الجديد	صور للقديم تعرضها الدنيا
وشدو القمرية الغريد	هذه دجلة و هذي البساتين
طروب الحداء حلو النّشيد	والأماسيّ والنخيل وملاح
والأنغام أصداء زورة و صدود	والليالي القمرء في النّهر
الشطّ سكارى مرثحات القدود	والقيان الملاح يخطر في
تخلق الظلّ للضحى المكودود	اهة بعد آهة من عريب
ضاع حلم المتوجّ المحسود	كلّما هلهلت صبا أو حجازا
ويضحكن عن ندي برود	وجوار يمرحن في الزورق الساجي
وانساب بأحلى معاصم و زنود	رفاً مجدافه على الماء
قطرات علقن بين النّهود	فانتشى من طيوفهنّ وجنت
الذي جللاه دخان ندّ و عود	والقصور البيضاء والحلم
إلى جنة الخيال البعيد	حملته هفافة العطر نشوان
يا دويّا مجلجلا في الهمود	همدت ثورة الشهيد وقرت
الألاء والعزّ وازدحام الوفود	قصر هارون ما عهدت من
نسبا بيننا قديم العهدود	أيها البحر ! بعض تيهك واذكر
ملك آبائنا وملك الجدود	أيها البحر ! أنت مهما افترقنا
بغيب في حبّكم وشهود	وأنا الشاعر المدلّ على الدنيا
وعادي على هواكم و عودي	هاشمي الهوى أحبّ فما دارى
هدم الله ما بنوا من حدود	ليس بين العراق والشام حدّ
أباة تنمّروا للقيودود	لوحوا بالقيود فابتدر الموت
وضاقت رحابها باليهودود	شقيت باليهود أرض فلسطين
منهم، سبة اللعين الطريدود	بنفايا الدنيا، على كلّ وجه
عنك تهويل عدة و عديدود	بنت مروان لا تراعي وخليّ
ذمة أنجاده الأباة الصيدود	أنت في ذمة العراق و في

أعلام الموسم

العلامة العربي المبدع حسن كامل الصباح

أعلام الزمان في العصور المنسية

ولد النابغة حسن كامل علي الصباح في بلدة النبطية، صباح نهار الثلاثاء الواقع فيه ٢٢ آب ١٨٩٤م الموافق ١٩ صفر ١٣١٢هـ، من أبوين صالحين ويأتي علم وأدب معما في بني الصباح ومخولا في بني رضا من أسر النبطية المعروفة، قال أبيه من أسرة ترجع بنسبها إلى الشيخ الصباح أمير الكويت الأول، وتتحدّر من سلالة يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي المولود بالكوفة وهو الفيلسوف الرياضي الشهير الذي عاش في أوائل الدولة العباسية، وقد أثرت التربية البيتية الصالحة في تكوين أخلاقه العالية.

كان كامل منذ حداثته ذكيا سريع الخاطر، مولعا بالحساب والشعر والفلك، وقد تعلم أولا عند الشيخ في الكتاب وكان دائما على رأس صفّه، ولما أدخله والده إلى مدرسة النبطية الابتدائية سنة ١٩٠١ ظهر ميله للرياضيات بكل وضوح حيث درس الجبر والهندسة بدون معاونة أستاذ وهو لما يبلغ الرابع عشرة من عمره، ومنذ ذلك الحين تجلّت فيه إمارات العبقرية والنبوغ. وقد أعجب به أساتذته في المدرسة الابتدائية إعجابا شديدا، فلم يرسب مرة في صفه بل كان دائما الأول بين أقرانه في جميع الفصول الدراسية في تلك المدرسة.

أدخله والده المدرسة السلطانية في بيروت في أوائل تشرين أول ١٩٠٨ حيث ظهرت علائمه نبوغه وعبقريته، وفي أواخر السنة الأولى من دخوله المدرسة المذكورة، أخذ يساعد طلاب السنة الخامسة في حل مسائل جبرية وهندسية شديدة التعقيد، وقد أتقن اللغة الفرنسية في غضون ثمانية أشهر، وقد كان مثالا للجد والنشاط والاجتهاد في طلب العلم، يدفعه إلى ذلك نفس طموحة للمعالي، ورغبة شديدة في تحصيل العلوم.

قضي في المدرسة الاعدادية السلطانية أربع سنوات أنهى فيها دروسه الثانوية بنجاح باهر، وكان خلال السنوات التي قضاها في تلك المدرسة محتكرا الأولية بين أقرانه ورققائه ونال جميع الجوائز التي كان الوالي التركي يقدمها للمتفوقين من تلامذة المدرسة المذكورة، ولذين ينجحون بحل المسابقات والأحاجي الرياضية التي كانت إدارة المدرسة تضعها للطلبة.

في تشرين الأول ١٩١٤ انفصل الصباح عن الصف العاشر من المدرسة السلطانية ودخل الجامعة

(١) مختارات من كتاب (العبقرية المنسية) تأليف العالم اللبناني الجليل يوسف مرو، تقديم سعيد عقل، منشورات مرو العلمية ط١ بيروت ١٩٦٧.

الأمريكية في بيروت في الصف الأول
الاعدادي (Freshman) على الرغم من
الصعوبات المالية، مكتضياً بالقليل من
الطعام والملبس وقد استطاع دراسة
واتقان اللغة الإنكليزية اتقاناً بارعاً في
مدة لا تزيد عن الستة أشهر، مما أثار
إعجاب أساتذته ورفقائه.

وكان غرضه من تعلم اللغة الإنكليزية
والفرنسية متابعة العلم الرياضية العالمية
نظراً لعدم وجود دراسات عالية لهذه
المواضيع في الكتب العربية والتركية، وقد
أظهر أثناء وجوده في الجامعات
الأمريكية في بيروت تفرداً عجباً في
مقدرته الرياضية، حتى أنه وهو في
الصفوف الأولى كان يشترك مع أساتذة
الصفوف العليا في حل المسائل الرياضية
المعقدة في حساب التفاضل والتكامل
والميكانيكا، وما إن أتم السنة الدراسية
الأولى حتى تقدم للفحص في الصفوف



الاستعدادية كلها، وكان نجاحه باهراً.

في العام الدراسي التالي ١٩١٥-١٩١٦ دخل الصباح قسم الهندسية في الجامعة، وكان يوجه
اهتماماً خاصاً للهندسية الكهربائية وكادت الرسوم الفادحة في الجامعة تتغلب على مقدرته
المالية وخشي أن يقضي ذلك عليه بالحرمان من متابعة الدراسة والتحصيل ولكن البروفسور
(هال) رئيس القسم الاستعدادي في الجامعة تدارك الأمر، وبذلك له من جيبه وماله الخاص،
مما ساعده على متابعة الدرس، وكان ذلك حرصاً منه على هذا النبوغ العلمي الكامن في نفس
الصباح أن يذهب سدى ولا يبلغ مداه الفعال.

لم تنتصف السنة الدراسية حتى دعي للجنسية، وجند في ٢١ شباط ١٩١٦، برتبة ملازم ونقل
إلى الأستانة وفي الأستانة -بعد جهود كثيرة- أدخلته القيادة العامة للجيش التركي في سرية
التلغراف اللاسلكي لعلها بمقدرته ونباهته وذكائه وكان سروره عظيماً حيث فسح أمامه مجالا
للبحث العلمي والعمل في ميدان الهندسة الكهربائية، وقد اغتنمها فرصة مناسبة ليدقق في
آلات اللاسلكي ويطبق ما كان قد تعلمه في المدرسة.

وكان يعمل تحت قيادة ضابط ألماني، فدرس عليه اللغة الألمانية، واستحضر كتباً رياضية عالية في تلك اللغة ليدرس ما كتبه علماء الألمان في الرياضيات والطبيعيات، وكان مع كثرة أعماله، وما يتطلبه مركزه من جهد وانكباب كلي على العمل، وما تقتضيه الحياة العسكرية من نصب وتعب ومشاق لا ينفك عن البحث العلمي والاختبار العلمي ومتابعة الدرس على ضوء الشمعة في مخيمه.

عين في ١٩ آب ١٩١٦ قائداً لمفرزة التلغراف اللاسلكي في (غاليبولي) برتبة ملازم أول، بعد أن استقال قائدها الألماني، ثقة من القيادة بحسن إرادته وعلمه، وبقي في مركزه أمره مفرزة اللاسلكي في (غاليبولي) حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى.

جاء دمشق في ربيع ١٩١٩ حيث ساعده ساطع الحصري وزير المعارف في حكومة فيصل الأول آنذاك فعُين مدرسا لمبادئ الرياضيات في المدرسة السلطانية (التجهيز اليوم) للسنة الدراسية ١٩١٩ - ١٩٢٠ وكان في أثناء تدريسه مثالا في الجد والنشاط وسمو الأخلاق لتلامذته وأصدقائه. عين في أوائل السنة الدراسية ١٩٢٠ - ١٩٢١ مدرسا للرياضيات في الصفوف الثانوية بالجامعة الأمريكية في بيروت، وكان محترماً كل الاحترام ومعزواً مكرماً من زملائه الأساتذة ورؤساء الأقسام العلمية وخاصة رئيس الجامعة وجميع المسؤولين الإداريين وبقي في الجامعة سنة واحدة.

في آب ١٩٢١ غادر لبنان إلى الولايات المتحدة وهناك التحق بمعهد ماساشوستس الفني M.L.T وهذا المعهد يعد من أعظم وأشهر وأهم معاهد الهندسة في العالم، حيث تجري فيه اليوم أهم الأبحاث الذرية، ولكنه عندما أراد الدخول إليه رسمياً لم يكن لديه شهادة تخوله ذلك، فأرسله المسجل إلى كل أستاذ من أساتذة الجامعة ليعلم كل منهم مقدار معرفته، فكان أن أعضي من جميع الدروس الرياضية في برنامج المعهد عندما أختبر أستاذ الرياضيات معلوماته ومعارفه الأمر الذي لم يسبق له نظير في تاريخ الجامعات الأمريكية.

ترك معهد ماساشوستس بعد أن مضى فيه سنة دراسية كاملة، بسبب فداحة الرسوم والتنفقات الباهظة، وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ التحق بجامعة الينوس (ILINOIS) وبقي فيها حتى ١٠ آب ١٩٢٣.

اشتغل في صيف ١٩٢٣ في مخبرات شركة جنرال الكتريك في سكنتدي وقد اعتبرته الشركة مهندساً كهربائياً بالرغم من أنه لم يكن قد تخرج بعد من الجامعة.

بعد أن اشتغل حوالي ثلاثة أشهر في شركة جنرال الكتريك استطاع أن يقتصد بعض الدراهم مما ساعده على الالتحاق بجامعة أوربانا URBANA في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٣، وفي آذار ١٩٢٤ نال شهادة أستاذ علوم (M.SC) في الهندسة الكهربائية.

في نيسان ١٩٢٤ رجع إلى شركة جنرال الكتريك برتبة مهندس ممتاز ومنذ دخوله الشركة أخذ نجم شهرته بالتألق، فبهر العالم وأكد لكبار العلماء أن هنالك عبقرية نابغة في طبيعة الرواد الذين يشقون طرقاً جديدة في مجاهل العلم، وهكذا بعد دخوله في خدمة الشركة، بوقت

قصير بدأ يخترع ويستنبط كثيرا من الأجهزة والألات والطرق الجديدة في عالم الكهرباء والالكترونيك.

سجل ٧٦ اختراعا منذ التحاقه في الشركة في نيسان ١٩٢٤ حتى تاريخ وفاته في ٣١ آذار ١٩٣٥. انتدبته شركة جنرال الكتريك لتمثيلها في المؤتمر الدولي الثاني للكهرباء الذي عقد في باريس في تموز ١٩٣٢، والقى محاضرة في المؤتمر المذكور حول تأثير الدارات الكهربائية على الأقواس المنعكسة في مقومات القوس الزئبقي.

منح معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين كامل الصباح لقب (فتي العلم الكهربائي) بناء على قرار اتخذه في جلسته المنعقدة في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٣.

توفي مقتولا في حادث اصطدام مفتعل على طريق سكنكتدي - مألون مساء الأحد الواقع في ٣١ آذار ١٩٣٥، والمعتقد أن أصابع الصهيونية العالمية كانت وراء مقتله^(١).

أقيم له مأتم نهار الجمعة بعد الظهر في ٥ نيسان ١٩٣٥ في سكنكتدي، كان من المآتم المهيبة التي لم تشهد تلك المدينة مثيلاً لها من قبل، وأوقف الشركة جميع مختبراتها ومصانعها مدة ٥ دقائق حدادا على العبقريّة التي فقدتها.

أقيمت له حفلة تأبينية في ديترويت (ميتشغن) دعت إليها الجاليات اللبنانية - السورية هناك، بتاريخ ١٩ أيار ١٩٣٥ في قاعة (نورث وين) شارك فيها وفد من المهندسين الكهربائيين في شركة جنرال الكتريك وأرسل رئيس جمهورية الولايات المتحدة روزفلت إكليلاً من الزهر ليوضع في مكان الاحتفال وقد كتب عليه: من الحزين فرانكلين روزفلت وقد أرسل هذا الإكليال بعد ذلك ليوضع على ضريح الصباح في النبطية.

نقل جثمان الصباح في ٨ أيار من نيويورك إلى بيروت على ظهر الباخرة (بيرون) ووصل الجثمان إلى بيروت في ٢٨ أيار، واحتفل بنقله إلى مقره الأخير في النبطية في ٣١ أيار ١٩٣٥.

الصباح والمفاعلات الذرية

إن كامل الصباح بالواقع هو مفخرة لبنان والعالم العربي والإسلامي والشرقي بأسره لأن اختراعاته في ميدان الكهرباء والالكترونيات مازالت حتى اليوم تعتبر أساساً هاماً في كثير من التطبيقات والميادين العلمية الخطيرة، وهذه هي أهم الميادين التي تستخدم فيها اختراعات الصباح:

كنت مرة مع مجموعة من المهندسين الأجانب نزور المفاعل الذري الألماني غيستاخت بالقرب من هامبورغ على نهر الألبه، حيث وضعت التصاميم الأولى للسفينة الذرية التجارية (هان) وكان المهندس الالكتروني الألماني الهرأ. ماريسكه الذي يرافقنا يشرح لنا في غرفة المراقبة بعض الأجهزة الالكترونية المستخدمة في إدارة المفاعل الذري، والتي تعتبر جزءاً هاماً من تجهيزات

(١) راجع ما ذكرناه بالتفصيل حول هذا الموضوع في كتاب (عبقري في بلادتي) ص ٥١-٥٢. ١٠٥-١٠٩. ١٩٥٦.

المفاعل بحيث تشرف على تنظيم أعمال سائر أجزاء المفاعل مثل مبدلات الحرارة (Heat Exchangers) وثقوب التخزين (Storage Holes) وحوض التشعاع (Irradiation Pool) وغرفة الضاغط (Compressor Room) وأجهزة التسخين الكهربائية (Electric Heaters) وصندوق التنقية (Filter Box) ودورة التهوية (Ventilation Circuit) وحجرة التأين (Ionization Chamber) وقضبان الأمان (Safety Rods) ووصلات التمدد (Expansion Joints) وأنبوب الشحن (Charge Tube) ومحرك الضبط (Control Motor) والثقوب التجريبية (Experimental Holes) وثقوب التفريغ (Discharge Holes) وآلة التفريغ لإزالة التلوث (Vacuum Decontamination Machine) وعلبة النظائر (Isotope Can) وأقنية التبريد والوقود (Fuel And Coolant Channels) وحوض الضغط (Pressure Pool) ومخزن قضبان الضغط (Control Rod Storage) والمبخّر (Evaporator) وخلايا الاختبار (Test Cells) ووحدة اختبار الضغط الحراري (Hot Pressurized Test Unit) وقضبان الضبط (Control Rods) وأبراج التبريد (Cooling Towers) ووحدة التهوية الكيميائية (Ventilation Chemical Plant) وقفل الطوارئ الهوائي (Emergency Air Lock) وغرفة الطوارئ لمراقبة المفاعل (Emergency Reactor Control Room) وغرفة المراقبة الكهربائية (Electric Control Room) ومسرّح قضبان الوقود (Fuel Rod Accelerator) وغير ذلك من الأجزاء الهامة في المفاعل، ومما لفت نظري أن ٦٥٪ من الأجهزة الإلكترونية المستخدمة في ضبط أعمال المفاعل الذي هي من صنع شركة جنرال إلكتريك الأمريكية التي كان يعمل الصباح في مختبراتها ولما استفهمت من المهندس الإلكتروني الهر ماريسكه عن جهاز الأوسيلوغراف للأشعة الكاثودية الذي يسجل اهتزازات كهربائية تحدث في فترة تقل عن ميكرو ثانية واحدة:

Cathode Ray Oscillograph For Recording Electrical Event Possessing A Duration Smaller Than one Micro Second.

أراني كتيب التعريف (كاتولوج) المرسل مع الجهاز من شركة جنرال إلكتريك، وإذا بكتيب التعريف يتضمن العبارة التالية:

هذا الجهاز من أهم ما اخترعه الفيزيائي الصباح، كما أن بعض كتيبات التعريف للأجهزة الإلكترونية الأخرى تنتهي بعبارة *Invented C. A. Sabbah* أي اخترعه كامل الصباح، فشعرت عندها بموجبة عارمة من الفرح والفخر والاعتزاز والأنانية تلفني لفاً وخيل إلى في تلك اللحظة أن أقلامي قد وطئت نجوم المجرة، وسألت المرافق الألماني: أعرف من يكون الصباح؟ فأجابني ببرود: أظن أنه فيزيائي أمريكي كان يعمل في مختبرات جنرال إلكتريك في سكنكتدي فصرخت به أمام الجميع: لا. لا إنه مواطن لبناني في بلدي النبطية وتلعتمت ساكناً، وبعد أن انتهت جولتنا في مختبرات ومنشآت المفاعل الذري المذكور دعينا لتناول القهوة في قاعة محاضرات هناك، فالتف حولي بعض المهندسين الألمان يسألون ويستفسرون عن الصباح، وعما إذا كنت حقيقة قد عانيت ما قلت بأنه لبناني، فقد كانوا يشكّون بقولي أن الصباح من لبنان وظنوا إن ما قلته لم يكن أكثر من دعاية.

هذه الحادثة بالذات قد تكررت بصور متشابهة معي أثناء زيارتي للمفاعلات الذرية في كارلسروه ويولش (ألمانيا الغربية) وهارويل ووارنغتون (انكلترا) وروما وبيزا (إيطاليا) ففي كل هذه المؤسسات العلمية الضخمة كانت نغمة من نغمات الصباح العلمية تشنف أذني وتطربني.

الصباح ومسرعات الذرة

ومرة أخرى أذكر يوم كنت في كلية ليفريول التكنولوجية أصغي إلى محاضرة للدكتور هيوغز حول أجهزة تسريع الذرة مثل السينكروتون وسيكلترون وغيرها فتحدث عن الأجهزة الالكترونية الدقيقة التي تسير هذه الآلات الضخمة فذكر بعض هذه الأجهزة: مثل جهاز ضبط الضغط (Pressure Control Apparatus) والجامع لمنع حدوث تفريغ كهربائي انعكاس (New Collector For Avoiding Inverse Discharge) وجهاز قياس الضغط البخاري داخل أنابيب التفريغ الكهربائي (Apparatus For Measuring Vapor Pressure Inside Electric Discharge Tubes) والثيراطون الذي يرسل تيارا ثابتا من مصدر قوة كهربائية متحولة (Thyratron For Device) (Non Arcing) (Supplied From Variable Voltage).

وذكر المحاضر أن هذه الأجهزة وضعها الفيزيائي الأمريكي الصباح، فكان علي أن أصحح للمحاضر جنسية الصباح أمام جمع من الطلاب والأساتذة، مع العلم أن الصباح كان بالفعل قد حصل على الجنسية الأمريكية حتى يتاح له المشاركة في المؤتمر الدولي للمهندسين الكهربائيين في باريس عام ١٩٣٢ وبالفعل قد مثل الصباح الولايات المتحدة في المؤتمر المذكور.

الصباح والطاقة الشمسية

وبالإضافة إلى ذلك أذكر أن المهندس الفرنسي ليه برا المستشار العلمي للمكتب الصناعي الأفريقي قد اقترح على المسؤولين الفرنسيين في الجزائر عام ١٩٧٥ بناء محطة لاستغلال الطاقة الشمسية في الصحراء، وذكر في دراسة علمية له أن كامل الصباح قد سبق علماء شركة (بل) الأمريكية في صنع البطارية الشمسية.

وقد عمل الخبراء الفرنسيون في الصحراء الجزائرية على تطبيق طرق الصباح في تحويل نور الشمس إلى طاقة كهربائية وسجلوا بذلك نجاحا ملموسا: وقرأت مرة في تقرير علمي أمريكي عن أعمال المؤتمر الدولي للطاقة الشمسية (الذي عقد في جامعة أريزونا عام ١٩٥٥) بحثا لعالمين إسرائيليين هما: هانز تابور وناتا روبنصن حول الآلات الشمسية وقد نوها فيه بأهمية أبحاث الصباح في ميدان استغلال الطاقة الشمسية والفضل ما شهدت به الأعداء.

والملاحظ أن معظم الأجهزة الالكترونية الدقيقة التي تستخدم لقياس الطاقة الشمسية مثل جهاز قياس شدة الحرارة الشمسية (Actino Metre) وجهاز قياس الكهربائية الشمسية (Pyranometre) وجهاز قياس الأشعة الشمسية (Lucimetre) وجهاز قياس الطاقة الشمسية (Solarymetre) والبطارية الشمسية (Batterie Solaire) المستعملة حاليا في محطات الطاقة

الشمسية في شتى أنحاء العالم قد قامت على الأساس الذي وضعه الصباح أولا .
واليوم كلما سمعنا أو قرأنا أن قمرا صناعيا أو مركبة فضائية تدور حول الأرض أو تهبط على
سطح القمر، علينا أن نتذكر كامل الصباح، الذي أعطى الذي أعطى للإنسانية جمعا اختراع
البطارية الشمسية التي تمون الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية بالطاقة الكهربائية اللازمة
لتشغيل أجهزتها عن طريق نور الشمس، ولا يغرب عن بالنا أن عددا من الشركات الكهربائية
العالمية تنتج حاليا الأجهزة التي اخترعها الصباح مثل شركات (نور ثروب كومباني) و(بيغ
كميونيكيشن انجينييرز) و(سيمنس) و(ستنكوهوس) و(جونسون اند فيليبس) و(ريثيون
مانيفكشرنغ) و(دلتا مأكلفكشرنغ) وغيرها من المؤسسات والشركات.

الصباح وأجهزة قياس الأشعة

وأذكر فيما أتذكر مرة كنت في مدرسة النظائر المشعة في وانتدج (انكلترا) أصغي إلى محاضرة
للدكتور ب. ه. باركس حول أجهزة قياس الإشعاعات النووية، فاستعرض عدادات الوميض
(Scintillation Counters) ومزودات (Pulse Amplifiers) ومحلات سعة النبض (Ratemeters)
وحدات الطاقة العالمية الفولتاج (High Voltage Power Units) ووحدات القياس (Scaling
Units) ووحدات التوقيت (Timing Units) ومعظم هذه الأجهزة من إنتاج شركة جنرال الكتريك
البريطانية في لندن، شقيقة جنرال الكتريك الأمريكية، وقد ذكر الدكتور باركس أن تجارب الصباح
في ميدان تطبيق المحولات الساكنة على التوالي والتوازي ميدان تطبيق المحولات الساكنة على
التوالي والتوازي (Series-Parallel Type Static Converters) قد ساهمت كثيرا في بناء وتطوير
أجهزة قياس الإشعاعات النووية، وأدى تطويرها للوصول إلى صنع المحولات المنفصلة المهيجة
(Separately Excited Inverters) وقد قرأت باعتزاز ما كتبه رئيس دائرة الهندسة الكهربائية في
جامعة واشنطن، الدكتور أوستن ف. إيستمان (Austin V. Eastman) عن كامل الصباح في كتابه
الذي يدرس في الجامعات الأمريكية (أسس الأنابيب المفرغة ص ٢٤٣) (Fundamentals Of
Vacum Tubes Mc Graw Hill co. ١٩٤٩).

الصباح وجائزة نوبل

وقد شاء لنا الحظ العاثر ومشينة القدر أن يقتل كامل الصباح، ولو بقي حيا لاحتل اسم
لبنان والعالم العربي والإسلامي، مكانه اللانق في لائحة حملة نوبل في الفيزياء خلال
الثلاثينيات أو الأربعينيات من هذا القرن على الأكثر.

فقد ساهم الصباح في وضع التفسير الكهربائي لنظرية الرابطة الكهربائي (Chemical Bond
Theory) التي وضعها صديقه وزميله في مختبرات جنرال الكتريك العلامة المرحوم أرفينغ
لانغموور الذي نال جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٣٢، كما أن الصباح كان على اتصال بالعلامة
البريطاني الكبير السر جورج طمسون مكتشف الالكترن، وقد تنبأ الصباح في دراسته وأبحاثه

المنشورة باكتشاف الطاقة الذرية واستغلالها وصنع القنبلة الذرية منذ شباط ١٩٣٥، وله تعليقات ودراسات هامة حول نظرية النسبية الخاصة والعامة والتفاعلات النووية والنشاط الإشعاعي الاصطناعي وغير ذلك من مواضيع الفيزياء الذرية.

والملاحظ أن الكثير من اختراعات الصباح قد عالجت مسائل ومشاكل علمية على غاية كبيرة من الأهمية والخطورة، كان من الممكن أن ينال على أي واحد منها جائزة نوبل في الفيزياء لأن هذه الجائزة قد منحت لعلماء وباحثين لم يقدموا أبحاثاً أهم من أبحاث الصباح مثال:

١ - الفيزيائي الاسباني شارك غيوم (C. Guillaume) الذي نال الجائزة عام ١٩٢٠ لأجل بحثه حول دراسة سبائك النيكل والفولاذ.

٢ - الفيزيائي الفرنسي جان بيرن (Jean Perrin) نال الجائزة عام ١٩٢٦ لأجل اكتشاف قانون الترسيب.

٣ - الفيزيائي الأمريكي بريدجمان (W.P. Bridgman) نال الجائزة سنة ١٩٤٦ لبحثه حول التأثيرات الفيزيائية للضغط العالي.

٤ - الفيزيائي الهولندي فريدريك تزننيكه (Zernike) نال الجائزة سنة ١٩٥٣ لبحثه حول مجهر تمييز الحالات.

أن الصباح بنظر الكثير من العلماء المنصفين، هو أحق بنيل جائزة نوبل من هؤلاء الذين ذكرت واستعرضت، فطريقة التلفزة الجديدة التي وضعها الصباح وامتاز فيها بإيجاد الحركة الحلزونية للالكترونيات التي أغنت عن القرص الكشاف، وكانت قفزة هامة في تقدم وتطور التطبيقات الالكترونية الحديثة، والبطارية الشمسية التي حولت نور الشمس إلى طاقة كهربائية وكانت الأساس الذي قام عليه علم فيزياء الجوامد (Solid State Physics) وعلم إنصاف الموصلات (Semi- Conductors) عدا عن اختراعاته الأخرى التي بلغت ٧٦ اختراعاً، كل هذا كان كافياً لجعله في مصاف كبار العلماء في العالم.

لبناني يغزو العالم

بلغ الصباح من الشهرة، في شركة جنرال الكتريك، ما لم يبلغه مخترع قبله، ومع هذا فإننا نقول بمزيد الأسف أنه ما زال حتى اليوم مجهولاً من السواد الأعظم من أبناء وطنه والعالم، وقد أحدثت اختراعاته ضجة كبرى في جميع الأوساط العلمية في العالم، إذ أنه ما كان ينشر بعض أبحاثه ودراساته العلمية في المجالات الأمريكية والإنكليزية حتى أخذت تنهال عليه رسائل الإعجاب والتقدير، والاستفسارات والأسئلة من شتى المعاهد والجامعات والمؤسسات الكهربائية في جميع أنحاء العالم، وعندما تأكد لدى كبار العلماء صحة نظرياته واختراعاته أخذوا يرسلون إليه برقيات التهاني ورسائل التشجيع.

ومما زاد في شهرته العالمية أن شركة جنرال الكتريك سجلت معظم اختراعاته في شتى دول

العالم الكبرى كي لا يحق لأحد استثمارها غير الشركة، وقد أنفقت في هذا السبيل مئات الألوف من الدولارات، ونتيجة لذلك انهارت عليه شهادات رؤساء الجامعات وكبار العلماء لا في الولايات المتحدة فقط بل في أكثر الأقطار الأوروبية.

تقدير ألماني

وقد بعثت إليه مجموعة شركات سيمنس الألمانية (Siemens Schukertwerke, Siemens Und Halske) بواسطة مستشارها في نيويورك، تطلب منه معلومات فنية حول اختراعه في الأنابيب الكاثودية الثيراطونية وهذا ما جاء في تلك الرسالة المؤرخة في ١٦ تموز ١٩٣٠: نظراً لما ورد في مقالكم المنشور في مجلة جنرال الكتريك ريفيو في تموز ١٩٢٦ صفحة ٣٩٠ حول الأنابيب الكاثودية الثيراطونية الساخنة، حيث أنكم شرحتم التقويم الذاتي وسلسلة التهييج والمحولات، فإننا نكون مسرورين جداً إذا كنتم تسمحون بتزويدنا بأية معلومات فنية حول هذه المحولات وبعض المميزات الفنية لتلك الأنابيب مع بيان تكاليفها، وكم من السنوات يمكن استعمالها بحالة جيدة وإننا نشكركم سلفاً ونتمنى لكم التقدم في كل فروع الأبحاث التي يمكن أن تقوموا بها في هذا الصدد، واسلموا للمخلص.

ك.ج. فرانك K.G. Frank

تحية من الرئيس الأمريكي

وفي الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة تجتاز أزمة اقتصادية حادة، والبطالة تنتشر في جميع أرجائها انتشاراً غريباً، تقدم الصباح باقتراح إلى المستر هوفر (Hoover) رئيس الولايات المتحدة في ذلك الحين، يطلب فيه معالجة أزمة البطالة وحلها مرضياً، وقد تلقى الصباح من الرئيس هوفر رسالة تهنئة على اقتراحه هذا، مظهرًا إعجابه الشديد بنبوغ الصباح وذكائه.

وهذا ما جاء في الرسالة التي تلقاها من سكرتير الرئاسة بتاريخ ٣ كانون أول ١٩٣٠. إن سكرتير الرئيس هوفر قد تلقى رسالتكم المؤرخة في ١٩ تشرين الثاني، وقد أعجب الرئيس باقتراحاتكم العلمية التي قدمتموها لمعالجة قضية البطالة التي تجتاح البلاد وهو يهنئكم ويتمنى لكم التقدم والنجاح.

المخلص جوزيف ه. وليتس Joseph H. Willits

إعجاب إيطالي

وقد تلقى من الأستاذ كاستلوفرانكي، أستاذ الكهرباء العامة في جامعة ميلان بإيطاليا، ورئيس الجمعية الإيطالية للمهندسين الميكانيكيين والكهربائيين رسالة مؤرخة في ٣ آذار ١٩٣١ جاء فيها:

قرأت لكم بعض الأبحاث حول التلفزيون في بعض المجلات الإنجليزية^(١) وعلمت بعد ذلك بأنكم وضعت عدة أبحاث هامة في هذا الحقل، وخاصة في أنابيب الأشعة الكاثودية وإني أهنئكم بمزيد من السرور على تلك الأبحاث، وأرغب إليكم بنفس الوقت أن ترسلوا لي بعض الأبحاث أو المعلومات عن أعمالكم في هذا الصدد، لأنني من المعجبين جداً بهذه الأبحاث وليس عندي أية معلومات عن أبحاث علماء الكهرباء والتلفزيون في الولايات المتحدة.

لذلك فإن أبحاثكم ستكون ذات أهمية كبرى بالنسبة إلي، وستكون متركزة لأبحاثي التي أعدها لطلاب مدرسة المهندسين العليا في جامعة ميلان حول الموضوع، وسأكون شاكراً جداً مساعدتكم هذه.

أهنئكم وأمنى لكم التقدم وتقبلوا تحياتي القلبية المخلص:

إنك كاستلو فرانكي Ing. Castelofranchi

تهنئة من بيروت

وفي ٢ حزيران ١٩٣١ أرسل إليه المستر بايرد دودج رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت رسالة جاء فيها: إني مسرور جداً بأن أسمعكم ثانياً وإني أشكركم جداً على تلطفكم وإرسالكم نسخة عن بحثكم الأخير في الإلكترونيات.

إن المستر شحادة سيكون مسروراً جداً بإلقاء خلاصة بحثكم في الاجتماع الشهري، وإن طلاب قسم الفيزياء سيكونون مسرورين جداً في الاطلاع على ما جاء في ذلك المقال.

وإنه من دواعي فخري واعتزازنا أنكم قد أنجزتم أشياء كثيرة وعظيمة منذ مغادرتكم بيروت، وإني أهنئكم بهذا التقدم والنجاح الذي أحرزتموه، وإنه شيء حسن وممتع أن تشتغلوا في شركة جنرال إلكتريك لأنهم يقومون بشتى الوسائل لإخراج أفكار جديدة إلى حيز العمل في العالم. الرئيس المخلص بايرد دودج

وعشرنا على رسالة أخرى موجهة من رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت إلى النابغة الصباح مؤرخة في ٢٢ أيلول ١٩٣١ جاء فيها: أشكركم على رسالتكم المؤرخة في ١٨ آب، وعلى الأبحاث التي أرسلتموها لنا. وإنه لعمل حسن أن ترسلوا لنا نسخاً من مقالاتكم وأبحاثكم وإننا نهنئكم على تلك الأبحاث الممتعة التي كتبتموها.

نحن جميعاً فخورين. لكونكم كفواً لترؤس كثير من الأعمال العلمية، ومسرورين جد السرور بمتابعتكم للعمل الذي تقومون به الآن، وأن أبحاثكم قد وضعت في المكتبة تحت رقم معين، كي يستفيد منها ويستشير بها طلاب قسم الهندسة بعد أن كتبت نشرتنا الجامعية - الكلية - بعض مختارات من تلك الأبحاث.

عرض روسي

وفي ٧ آذار من العام ١٩٣١ جاءت بعثة علمية من قبل الدولة الروسية إلى الولايات المتحدة لانتقاء مهندسين كهربائيين، ففاوض رئيس البعثة العالم الروسي جانتوف النابغة صباح للذهاب إلى روسيا لوضع هندسية كهربائية وتوزع القوى الكهربائية على القرى والمزارع الروسية براتب يتراوح بين ١١ و ٢٠ ألف دولار في السنة، بشرط أن يبقى هناك خمس سنوات متوالية، فلم يجبه لا سلباً ولا إيجاباً بل وعده أنه ربما يذهب وذهب العالم الروسي إلى موسكو، ولكن الصباح لم يذهب بعدئذ.

اهتمام من بريطانيا

وبعد ذلك تلقى من رئيس مؤسسة (جونصن وفيليبس) المحدودة للمهندسين الكهربائيين في انكلترا، رسالة مؤرخة في ٣١ كانون أول ١٩٣١ جاء فيها:

قد درست باهتمام كبير سلسلة مقالاتكم حول المحولات الساكنة ذات النموذج المتوازي المتسلسل في الأعداد الأخيرة من جنرال الكتريك ريفيو وأرغب إذا كانت هذه المقالات قد أعيد طبعها بشكل نشرات مستقلة، الحصول على نسختين إذا كان ذلك ممكناً وإني لكم من الشاكرين على هذا العمل، وتقبلوا فائق تحياتي واسلموا للمخلص:

س. أوستن ستيفنت

ومن الشركات التي اعترفت بصحة اختراعاته شركة وستنكهوس الكهربائية في شيكاغو وأرسلت له الشركة الكهربائية الفرنسية في باريس رسالة إعجاب وتقدير بأبحاثه واختراعاته موقعة من مدير المختبرات للالات الكهربائية الدقيقة الأستاذ موريس لوبلانك (Le Blanc) العالم الفرنسي الشهير.

اجتماع دولي

وبعد أن تعددت شهادات علماء الغرب في أفضلية مبادئ العلامة الصباح اضطر أولياء الشأن ومجلس الإدارة في شركة جنرال الكتريك، لجمع كل المهندسين الكهربائيين الذين كانوا يعارضونه ودعوتهم لعقد اجتماع كبير في مكتب الشركة ١٦ شباط ١٩٣٢ ومن المهندسين الذين حضروا الاجتماع الكسندرسن وبرنس وبراون وكرون ومارسي وبفيث وألغر وألن نوهوبرت وريس وستون وموراك وماتياج وهرسكند وغراي وستينس وهوتني وروبنصن وبون، ودارت رحى الجدل العلمي بينهم، وانقسموا بين مؤيد لأراء الصباح ومعارض، فأفحمهم الصباح ببراهينه الرياضية وتجاريه العلمية، وهو غريب عنهم ليس بينهم من نصير أو صديق، واضطروهم إلى الأذعان له حتى انتهى الاجتماع، فقام على الأثر الرئيس العام للاجتماع العالم ألبرت هول فقال: لقد تبين لنا أن نظريات الصباح لا وهن بها وهي من الناحية العلمية الرياضية متينة جداً.

اجتماع أمريكي

وهكذا انتهى الاجتماع بفوز المبصري الصباح على معارضيه ومعاكسيه وهو بينهم وحيد لا ناصر له ولا معين إلا عبقريته ونبوغه وعلمه وسعة اطلاعه، وهكذا خرج المهندسون المعارضون له مطاطني الرؤوس وبعد انفضاض المؤتمر بيومين أخذ الذين كانوا يعاكسونه يعملون بنظرياته وتمشوا على الهندسة التحليلية الكهربائية التي وضعها الصباح وعملوا بها، وعلى أثر ذلك بعث المهندس الكهربائي المخترع لأهم الآلات في التلفون اللاسلكي والراديو المستر أ.ف.و الكسندرسن E.F.W.Alexanderson تقريراً إلى شعبة الاختراعات في شركة جنرال الكتريك ينطبق على مبادئ الصباح ويقول أنها نجحت نجاحاً باهراً، وهذا ما ورد في ذلك التقرير المؤرخ في ١٥ آذار ١٩٣٢:

عزيزي السيد دنهام.. شعبة الاختراعات

لقد قمنا بعدة امتحانات لمحرك الصباح الجديد الثيراطون، وفحصنا دارته الجديدة المتعلقة بحماية المقومات، واستعملنا أثناء الفحص مولداً (فردى الوجه) وثمانية محركات ثيراطونية كي تحفظ القوة للمحرك الأساسي الرئيسي، وإن الدارة التي تحمي المقومات تحتوي على مفاعل (Reactor) أساسي مع وصلة، في منتصف كل خط من خطوط مصدر الطاقة، لنقل الطاقة في أي اتجاه غير اتجاهها الأصلي، وإن كل خطوط الطاقة مريوطة إلى الموصلات المذكورة، وهناك أمواج نصفية (Half) في التيار المتناوب الصاعد بالتناوب خلال فرعين من الملفات الشريطية، وقد وجدنا أن المحرك يتمتع بميزات السرعة العامة اللازمة، حتى بعد تقويم الدارة وأعادتها إلى ما كانت عليه سابقاً.

على كل فإن تأثير الموجة في خط الطاقة قد ظهر أثره بوضوح والتداخل التأثيري خلال جهاز الراديو اللاقط قد نقص كثيراً.

إن التيار كمقوم في جهاز الثيراطون مرّ خلال اللفتين في كل تفاعل باتجاه معين جعل دارات أمبير التيار تزداد وإن السيد الصباح قد اقترح إنه من الأحسن استعمال اثنتين أو ثلاث من الوصلات للوجه الفردي أو الثلاثي مع اللفة، بحيث ترتب في طريقة معينة، تجعل دارات أمبير التيار المستقيم تنفي بعضها بعضها، دون حصول أي ميل للانفصال في الدارة المغناطيسية المغلقة، وإننا نعمل لفحص هذه النقطة الأخيرة والتأكد منها.

والخلاصة التي استنتجتها وتأكدت منها هي أن فكرة الصباح ممكنة ومعقولة ومعقولة وذات أهمية كبرى، ويمكن استخدام السرعة المتغيرة في الثيراطون لضبط المحركات ذات الوجه الفردي أو الثلاثي ولضبط التوالي المتغير صعوداً وهبوطاً بين أنظمة الطاقة المختلفة، وعندما تستعمل في حالة المحرك ذي الوجه الفردي، كما في الآلة البخارية يمكن أن يتحد عمل (مفاعل) التيار المستقيم والجهاز المساعد، ولكن إلى أي مدى يمكن أن تكون الحماية ضد الهبوط السالب؟ ذلك لا يمكن تعيينه الآن، ولكن ملاحظات المستر صباح تظهر معقولة جداً، فهو يقول أن الحماية

ممكنة ما دام عمل الأنابيب دقيقا جدا، لأنها موضوعة خصيصا للاستعمال في حالة الفولتاج العالي، وإن التجارب قد نجحت بصورة عامة، والآلة جاهزة للعمل.

التواقيع أ. ف. و. الكسندرسن
الشهود كامل ع. الصباح ك. و. ستون أ. و. ريس ب. م. كارير

لبناني = الولايات المتحدة

وبعد ذلك انتدبته شركة جنرال الكتريك، لتمثيلها في المؤتمر العالمي للكهرباء الذي عقد في باريس في شهر تموز ١٩٣٢. بناء على دعوة وجهتها إليه لجنة الكهرباء العامة في باريس لحضور مؤتمرها، وقد أيد ذلك التمثيل مكتب الأنباء الأمريكي (News Bureau) وأرسل رئيسه المستر بارلت (G. Bartlett) رسالة إلى الصباح مؤرخة في ٩ آذار ١٩٣٢ يقول فيها:

إن أسمكم قد سجل في جدول المهندسين الذين سيحضرون المؤتمر العالمي للكهرباء المنعقد في باريس في شهر تموز القادم، ولذلك أصبح من المقرر أن تلقوا موضوعا ما حول الهندسة الكهربائية، وعلمنا بأن موضوعكم الذي تحضرونه هو: تأثير الدارات الكهربائية على الأقواس المنعكسة في مقومات القوس الزئبقي، وإن قصد مكتب الأنباء الحصول على رخصة من (I.E.C.)^(١) لنشر ذلك البحث بكامله، أو بعض أقسام منه بعد انتهاء المؤتمر، فإذا كان ذلك ممكنا نرجوكم إرسال نسخة لنا عن موضوعكم ونسخة عن خلاصته، وأي عن التفاصيل والدراسات الفنية التي ارتكزتم عليها في البحث.

وعندما تقرر إرسال الصباح لتمثيل الشركة في المؤتمر المذكور الذي ضم كبار المهندسين وعلماء أمثال بوانكاريه ولويس دور بروغلي وغيرهما - جن جنون رفقاؤه المهندسين الأمريكيين واعتبروا ذلك تحديا لهم ولمقدرتهم، وأخذوا يعارضون ويحتجون على ذلك، بدافع العصبية والحسد والغرور، ويزعمون أنه لا يجوز أن يمثل أكبر شركة كهربائية أمريكية في مؤتمر عالمي مهندس غير أمريكي، لكن هذا كله لم يثبط عزيمة الصباح، بل أكمل بحثه عن (الالكترونيات والمقومات الكهربائية) أما احتجاجات كبار المهندسين ومعارضتهم وثورتهم على النابغة الصباح فقد ذهبت كصرخة في واد أو نضخة في رماد، ولكن بعض لجان العلماء أعلنت أن الصباح ليس من أصل من لبناني عربي من أصل أمريكي، لذلك اهتمت الشركة للأمر وطلبت من وزارة الداخلية منح الصباح الجنسية الأمريكية فلبت الوزارة الطلب حالا، وهكذا استطاع أن يمثل الشركة في المؤتمر ولكن لظروف استثنائية لم يستطع السفر إلى باريس وحضور المؤتمر المذكور، بل أرسل إلى اللجنة الفنية التابعة للمؤتمر، تقريراً يقع في ١١٢ صفحة على الآلة الكاتبة باللغة الفرنسية، شرح فيها نظريته الجديدة في الأنظمة والمبادئ الهندسية الكهربائية وأراه في الالكترونيات وتداخلها وإشاعها وانتقد نظريات بعض العلماء المعاصرين، وأثبت فساد بعض النظريات الأخرى من الناحية التجريبية..

(١) مؤتمر الكهرباء العالمي International Electric Congress.

وقد لقي هذا التقرير لدى أعضاء المؤتمر الاستحسان الشامل والتقدير الكلي، وقرر أعضاء المؤتمر بالإجماع إدراجه بالتوصيات الأخيرة للمؤتمر، كي يصار العمل بموجب مقترحات الصباح وآرائه ونظرياته الجديدة.

فتى العلم الكهربائي

وعلى أثر ما قام به العلامة الصباح من الأعمال الجليلة وما نال من شهرة في عالم الاختراع والاستنباط، أخذت المؤسسات الكبرى وكبار العلماء يستشيرونه في كثير من القضايا الهندسية المعقدة، التي كان يصعب عليهم حلها.

وكثيرا ما كان يمد الشركات الكبرى بنظرياته وآرائه عندئذ قرر معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين في نيويورك، في جلسته المنعقدة في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٣ منح الصباح رتبة فتى العلم الكهربائي وقد أرسل إليه سكرتير المعهد المستر ه. هيفلن (H.H.Hivlin) رسالة مؤرخة في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٣ هذا نصها:

معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين - نيويورك.

في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٣

إلى السيد كامل علي الصباح

شركة الكهرباء العامة

سكنكتدي - نيويورك

سيدي الأكرم، يطيب لي أن أخبركم بأنه في جلسة المديرين المنعقدة في هذا النهار، قد رقيتم من درجة عضو إلى رتبة فتى في معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين، وذلك طبقاً لنص الدستور، فإذا كنتم ترغبون الحصول على شهادة بذلك اعلمونا خطياً مع التعهد بإرجاع الشهادة المذكورة في حال خروجكم من هذا المعهد لسبب من الأسباب بإخلاص صادق.

السكرتير العام: ه. ه. هيفلن

وهذه الرتبة من أعلى الرتب في علم الكهرباء، وأنها لا تعطى إلا لمستحقيها بعد درس وبحث طويلين، عن مؤهلات الشخص ودراسته واختراعاته وفي كل شركة جنرال الكتيك أعلى من رتبة دكتور في العلوم، وقد ورد في دستور المعهد المادة الرابعة ما يلي:

المرشح لرتبة (فتى) في معهد المهندسين الكهربائيين الأميركيين يجب ألا يقل عمره عن الاثنتي والثلاثين عاماً وأن يكون أما:

أ - مهندساً كهربائياً بالمهنة، قادراً على هندسة أعمال ومهام كهربائية خطيرة والقيام بأعبائها، وأن يكون قد اشتغل بهذه المهنة مدة لا تقل عن عشرة أعوام.

ب - أو استاذاً للعلوم الكهربائية أو الهندسة الكهربائية وأن يكون قد امتاز بها كمكتشف ومؤسس للنواميس الأساسية في علم الكهرباء والهندسة الكهربائية، وأن يكون قد قام بأعباء مركز هام

في إحدى الجامعات أو الكليات المعتبرة مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، وأن يكون قد علم الكهرباء مدة لا تقل عن عشرة أعوام.

ج - أو رجلاً قد قام بأعمال هامة عظيمة في حقل العلوم الكهربائية ويمكن أن يعادل عمله ما ورد في الفقرتين أ و ب.

د - أو رجلاً اشتغل في الأعمال الكهربائية مدة لا تقل عن عشرة أعوام، ثم حاز على مركز يعادل المركز المشروح في الفقرة (ب) بواسطة اختراعاته وثقافته العلمية الواسعة.

تهاني الصحافة

وقد نشرت معظم الصحف في المغرب والوطن هذا الخبر، وكذلك بعض الصحف والمجلات الأمريكية والأوروبية، ومما قالته جريدة السمير في نيويورك: انتخبت جمعية المهندسين الكهربائيين الأمريكيين الرياضي النابغة كامل الصباح في سكتكتدي - نيويورك وعينته فيها برتبة (فريق) وهي رتبة سامية لا ينالها في هذه الجمعية إلا النوابغ من كبار أساتذة الجامعات، وقد كان انتخاب نابغتنا لهذه الرتبة تقديرًا لمواهبه العلمية على أثر مقالات علمية نشرتها له مجلة شركة جنرال الكتريك، ولا سيما مقاله في الإلكترونيات الذي نشر في مقررات مؤتمر الكهرباء العالمي ببائيس، فنهئ صديقنا النابغة بالمنزلة العليا التي نالها عن جدارة واستحقاق. ونشرت جريدة (لسان العدل) الصادرة في ديترويت (ميتشغن) لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ شكري كنعان في العدد ٦ تاريخ ٣ شباط ١٩٣٣ مقالاً بقلم الشيخ خليل بزي جاء فيه: للأستاذ الكبير كامل المخترع النابغة همة عالية ونشاط لا يعرف الملل، وذكاء متوقد يكاد يكون الوحيد في هذا العصر فهو في كل شهر يأتي باختراع جديد عجيب مدهش في فن الكهرباء أم العجائب، ويدخل تحسينات جديدة على الهندسة الكهربائية مما جعل علماء هذا الفن يدهشون لاختراعاته ويعجبون بنظرياته المبتكرة وقد قررت السير على مبادئه معظم الشركات والمؤسسات الكهربائية في العالم. واعترافاً بنبوغه وعلو منزلته العلمية قد منحه مؤخراً مجمع مؤسسة المهندسين الكهربائيين الأمريكيين لقد فتى العلم الكهربائي وهي رتبة علمية تفوق رتبة دكتور في العلوم أو الفلسفة. إننا نهئ الدكتور الصباح، فتى العلم الكهربائي. على هذا الفوز المبين واللقب الرفيع والتقدم السريع ونسأل المولى أن يمدّه بروح من لدنه، فلا يكون فتى العلم الكهربائي فحسب، بل فتى العصر، وعسى أن تهب البلدان العربية للاستفادة من مخترعات هذا المخترع الكبير، النادر المثال، إذ لا تقدم إلا بالعلم والأخذ بناصر العلماء الحقيقيين لكي تكون فوائد اختراعات هذا النابغة عائدة إلى أمته ووطنه لا للأجانب، حقق الله الآمال.

الشركات الكبرى تهني وتتشير

ومن الشركات الكبرى التي كانت تستشير وترجع إليه بأمورها شركة (ريثيون مانفكشنز)

Raytheon manufacturing وهي من الشركات الكبيرة المختصة في إنتاج الأنابيب الكهربائية والأجهزة الدقيقة في مدينة نيوطن، ولاية ماساشوستس وقد تلقى الصباح رسالة من مدير هذه الشركة المستر (F.S.Dellenbough) مؤرخة في ٢٩ حزيران ١٩٣٤ جاء فيها ما يلي:

أنني أهنئكم على نجاحكم الباهر الذي أحرزتموه باختراكم (محول التيار المستقيم) أنني لا أعرف ماذا يمكنني أن أعمل تجاه الأنابيب، الذي ذكرتموها في رسالتكم العاملة بواسطة تأثير الفولتاج المنخفض، وأنني اعتقد بأن علمنا سيؤدي إلى النتيجة التي تريدونها تماماً.

وعلى كل فلدينا مشاريع كثيرة قيد الدرس، ولكنني لست متأكداً من إنها ستعوض عن الأتعاب التي نبذلها وتعطي النتائج المرغوبة التي ننتظرها ويجب أن تعطوا رايكم واضحاً في الموضوع الذي بحثناه سابقاً وإننا من ناحيتنا سنبحث مجدداً القضية مع المستر (مارشال) خلال الأيام القليلة القادمة من زاوية هندسية عملية وأخرى مادية.

ونخبركم بمزيد السرور إن شركة (دلتا مانيفكشرنج) قد انضوت تحت لواء شركتنا وأصبحنا وإياها شركة واحدة، وإن العمل الضخم الذي كنا نقوم به حول إنتاج الأنابيب الإشعاعية الدقيقة، الذي أبصرتموه في نيوطن، في بناية (ولثم) قد تحقق، وعندنا كثير من التصاميم لأجهزة جديدة سوف نخرجها إلى حيز العمل عما قريب، ولكن لسوء الحظ فإن الشركة هنا توجه اهتمامها ككل الشركات، إلى القضايا التجارية والربح المادي أكثر مما توجه إلى الأبحاث العلمية والدراسات الرياضية، وأسلم للمخلص.

ف.س. دلتنو

مفاوضة مع ملوك العرب

وقد فاضله فقيد العرب الملك فيصل الأول لإنشاء معامل لتوليد القوة الكهربائية وتوزيعها على الأقطار العربية وأرسل إليه الصباح رسالة ضمنها الشرح الفني للبطارية التي استنبطها لتحويل نور الشمس إلى طاقة كهربائية وميكانيكية، وكان صلة الوصل بين الصباح والملك فيصل الشيخ خليل بزي، وحال دون إتمام المفاوضة وفاة الملك فيصل.

وفي ٧ كانون الثاني ١٩٣٥ أرسل إليه الملك عبد العزيز آل سعود يفاوضه على أساس بناء مزارع لتوليد الطاقة الكهربائية في صحراء الربع الخالي والنفوذ الأعظم، وتم الاتفاق على ذلك، ولكن المنية وافته قبل إتمام ذلك المشروع العظيم.

كان الصباح خصب الدماغ متوقد الذهن لا يتهيب شيئا وكلما حلَّ معضلة رياضية أو انتهى من تحقيق نظرية وثبت به همته العالية إلى فكرة جديدة، وقد كتبت عنه (السمير) النيويوركية تقول:

((إنه ممتلئ همة ونشاطاً، عالي الجبين وله عينان تتوقدان مضاء تحسبهما لشدة توقدهما أنهما تحاولان أن تنفذا إلى كل ما في الكون من أسرار، إلى أن قالت: نحن أمام شخصية فذة ودماغ خصب منتج ونفس كبيرة تزخر بالمطامح الجسام كما يزخر البحر)).

أديسون الشرق

ونشرت الجريدة المذكورة مقالاً عن الصباح بقلم إلياس مرشد الصباغ، المدرس في جامعة بوردو - أنديانا جاء فيه: ليس من طبعي المغالاة خصوصاً في كتابي، ولكنني أقسم أن نبأ وفاة المهندس الأكبر كامل الصباح قد وقع علي وقع الصاعقة، حيث انهارت عزائمي وجفت دموعي، ويا ليتنا انهمرت لكنت خففت عني بعض آلامي وأحزاني وقد رأي بعض تلامذتي وأنا على تلك الحالة فاشعروا بأن هناك مصاباً اليماً وقع، وكنت قبل ذلك بعشر دقائق اتحدث إليهم عنه، ثم أعرف كاملاً معرفة شخصية ولم تعجبني به الفرص، وغنما كنت أطلع في سجلات الحكومة بواشنطن شيئاً عن اختراعاته وأقرأ في مجلة (جنرال الكتريك ريفيو) بعض كتاباته، واجتمع ببعض زملائه الذين اشتغلوا معه في تلك الشركة وكانت لهم به صلة وثيقة وعلاقة متينة فيحدثونني عنه وعن سعة اطلاعه وتوقد ذهنه.

وقد نشرت جريدة ورلد (World) مقالاً عنه بقلم أحد معارفه من الأمريكيين المستر هوبار الذي يتحدث من أصل فارسي جاء فيه:

كان حديثه عندياً طلياً بالرغم من كونه في مواضيع رياضية بحثية يضجر منها حتى مزاو لها الخبير، لأنه مع انصرافه إلى معالجة الرياضيات كان شديد الولوع بالأدب والفلسفة وله فيهما نظريات قيمة، وقد أطلقت عليه معظم الصحف الأمريكية لقب (أديسون الشرق) لأن أديسون هناك مقياس العبقرية والنبوغ في العلوم الكهربائية.

تحرير الوطن

والجدير بالذكر أن الصباح كان، بالرغم من مشاغله ومشاكله العلمية، على اتصال دائم مع المجاهدين في العالم العربي، وكان يعمل لتحرير الوطن من الاستعمارين الفرنسي والبريطاني، وقد أسس جمعية من المفترين العرب في الولايات المتحدة هدفها مساعدة الثوار السوريين ضد قوات الاحتلال الفرنسية، وكان على اتصالات سياسية مع الأمير شكيب أرسلان وعبد الكريم الخطابي وفصيل وغيرهم لإنشاء جبهة عربية قوية تقف سداً منيعاً في وجه الاستعمار الغربي.

الإيمان الشديد

وكان إلى جانب كل هذا شديد الإيمان بالله، ومن أشد المحافظين على تأدية فروض الدين وقد كتب الأستاذ كمال جبر ضومط سلسلة من المقالات نشرها في صحف المغرب، وقد نقلت بعضها صحف الوطن، وفيها يقول: خطر لنا أن نتعشى -هو والصباح- عشاء شرقياً فجعلنا من أنفسنا طهاة وحضرنا الطعام، ولما آن العشاء قام الصباح لأداء فريضة الصلاة وكانت صلاته التي شاركته فيها: ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك، فإن مع العسر يسراً، فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب..

ثم يستطرد الكاتب قائلا: وكنت أسمع شهيقة وهو في سجوده.
ومما يرويه أساتذة الرياضيات وتلامذة الصفوف العليا في مدرسة تجهيز دمشق أن الصباح ناقشهم مرة وأثبت لهم وجود الله بطريقة رياضية جبرية، مما أثار الإعجاب والضحكة في الأوساط الدينية والعلمية في ذلك الحين.

رأي العلماء

- وهذه مجموعة من آراء رفقاؤه وأصدقائه المهندسين والعلماء به.
- إن كاملا له من المخترعات أكثر مما لأي مهندس آخر في شركة جنرال الكترينك..
المهندس الهنغاري جبريل كرون.
- إن الشركة تفتخر بنبوغ الصباح وعبقريته..
- ر. بضيف - رئيس العلاقات الشخصية في جنرال الكترينك
- لقد برهن كامل الصباح أثناء خدماته لشركتنا بأنه من أعظم وألمع المفكرين الرياضيين في البلاد الأمريكية وإن وفاته خسارة عظيمة لعالم الاختراع.
- مارسي - مدير الشركة.
- كان الصباح مهتماً في المدة الأخيرة بمشروع كهربية الولاية المتحدة بواسطة التيار المتواصل، وقد اقنع جميع مهندسي الشركة بإمكانية تحقيق هذا المشروع.
- الكسندرسن
- إن لكامل الصباح شخصية جذابة، ولكن لعينيه بريقاً مخيفاً..
- برنس - ألد خصوم الصباح.
- كان الصباح من المدرسة الحديثة التي أعجبت بالأنابيب الالكترونية، فدرستها واستخدمتها لمنفعة العالم، وكان عظيم الثقة بمقدرته على إتمام أي عمل أنيط به، وواقع الحال قد برهن على أنه كان على حق وأنه مصيب في اعتقاده.
- ألبرت هول.
- كان الصباح بيننا كالمعلم بين أطفاله، يلعب بأرائنا ونظرياتنا كما يشاء.
- أ.و.ريس
- كان الصباح الوحيد بيننا الذي تجرأ على مناقشته آراء أينشتاين الرياضية وانتقاداتها، والتحدث عن النسبية كنه أينشتاين نفسه.
- ك.و.ستون.
- دماغ الصباح يشغل دائماً وهو يحوي قدر خمسة أدمغة.
- أ.ألن.

حسن كامل الصباح.. المخترع العربي

فلتة من فلتان الزمان، وعبقري من عباقرة الأكوان، شاء الله أن يخرج من هذا الجبل العالمي المنتج مع قلة وسائط التعليم في عهده ومع تقضي الأمية بين أفراد العاملين في ذلك الزمن نبغ من هذا الجبل الأشم شعراء مجيدون، وعلماء شرع كثيرون وكتاب ومؤلفون لكن لم يخطر ببال أحد أن ينبغ شاب عربي في الاختراعات التي لو وجد المساعد، ولو شد المساعد لطار صيته في الغرب والشرق كما طار صيت أديسن ورنجتون وماركوني وأضرابهم من المخترعين الغربيين.

ولئن عقم الشرق قرونا عدة أن يأتي بأمثال هؤلاء العباقرة فقد كان سعيدا جدا بنبوغ كامل الصباح ويا له من حدث عظيم لم يكن فخرا للنبطية وجبل عامل (جنوب لبنان) وللعرب كافة فحسب بل كان مضرة للشرق كله من أقصاه لأدناه كما كان مضرة الشرق والعلماء جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ مرتضى الأنصاري والميرزا الشيرازي الشيخ ملا كاظم الخراساني وكاشف الغطاء وأضرابهم من علماء الدين.

وكما نبغ شوقي وحافظ والشببي والجواهري والرصافي والزهاوي والصافي والصادق والظاهر والخوري والبدوي وغيرهم من الشعراء.

وكما نبغ رجل لا كالرجال ألا وهو الرئيس جمال عبد الناصر الذي ضرب الرقم القياسي في النبوغ فرفع رأس العرب عاليا.

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن خطب عرا

ككيف لو اجتمعت الأمة التي تعد الملايين في رجل ١٩

ولد حسن كامل الصباح في النبطية سنة ١٨٩٤م وتوفي أو اغتيل سنة ١٩٣٥م ولد من أبوين كريمين فوالده المرحوم علي صباح من أسرة الصباح الكريمة المنتجة وأمه شقيقة الخالد الذكر العالم اللغوي الكبير الشيخ أحمد رضا طيب الله ثراه وكان الشيخ أحمد علماً من أعلام العروبة وعالماً رياضياً طبيعياً في الرعي الأول تكلم عن الذرة والجوهر الفرد عندنا في صيداء قبل وفاته بمدة قليلة وشرحها شرحاً وافياً مفهومها فكانما كان يتكلم أحد علمائها النابغين، ولم ندر ولا المنجم يدري لماذا لم يقم له أهل النبطية وبالأحرى جمعية المقاصد الخيرية حفلة سنوية. ومن هنا تعلم أن للأمر المقام الأول في تربية البنين:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

درس المحتفى به علومه الأولية في مدرسة النبطية الابتدائية وانتقل منها للمدرسة السلطانية في بيروت وأخذت مواهبه الرياضية تظهر ظهور الشمس في رائعة النهار وانتقل لما بلغ الصيف العاشر في السلطانية للجامعة الأمريكية حيث أتقن الانكليزية بمدة ستة شهور ثم انتقل لصفوفها العالية ولما أنشئ الفرع الهندسي في الجامعة وكانت كلية أنشد التحقق في قسم الهندسة

الكهربائية وقبل تمام السنة بشهرين سيق للخدمة في الحرب العالمية الأولى فأدخل في فرقة التلغراف اللاسلكي وكان مركز فرقته كاشان جهة غاليبولي وذاب هناك على البحث في اللاسلكي والآلة حتى مهر بها وفي الأثناء تعطلت إحدى الآلات اللاسلكية فعجز المهندس الألماني عن إصلاحها فتقدم الفقيه وأصلحها بأسرع وقت لذلك أعجب به زملاؤه وولوه رئاسة الفرقة.

ولما عاد بعد الحرب عين أستاذاً في تجهيز دمشق وبعد ذهاب الحكومة العربية استقلال وعين أستاذاً للرياضيات في الجامعة الأمريكية فأدهش الأساتذة والتلامذة بما أوتي به من مواهب عالية ولم يلبث طويلاً حتى سمت به نفسه الكبيرة للالتحاق بجامعة الولايات المتحدة الكبرى فنال هناك شأناً عظيماً ليس في علمه الغزير فحسب بل بما أوتي به من خلق كريم فكان كما قال البحري (صنت نفسي عما يدنس نفسي):

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فكانت الفتيات الأمريكيات يعرضن أنفسهن عليه فيأبى بشمم عربي، وما لبث طويلاً حتى عين مديراً للآلات الكهربائية في أكبر شركة كهربائية في نيويورك حيث نال مقاماً سامياً وابتكر اختراعات في الكهرباء مفيدة جداً لكن هذه الفوائد استأثرت بها الشركة لذلك لم يخلف عدا نفقاته وما كان يرسله لأبويه سوى مبلغ ضئيل.

وله في التلفزة مباحث واختراعات ذات بال وقد توصل لتحويل حرارة الشمس إلى قوة في أجهزة خاصة وكان عازماً سنة وفاته على القدوم للجزيرة العربية كي يجرب اختراعه في صحاريها المحرقة ولو خرج هذا الاختراع لعالم الظهور لقلب العالم رأساً على عقب ولا ستغنى الناس عن الزيوت التي تتطاحن عليها الدول المستعمرة، ولحل السلام محل الحرب والخصام، ولأصبحت صحراء الجزيرة العربية القاحلة جنة من الجنان.

وهو أول من كتب عن نظرية أينشتاين التي تدحض نظام الجاذبية الذي اكتشفه نيوتن كتب هذه النظرية في العرفان سنة ١٩٢١م ج ٦ و ٧ ص ٣٦٩-٤٢٧ بعنوان (لمحة من نظرية اينشتاين النسبية) استغرق القسم الأول والثاني ١٢ صفحة بالحرف الصغير ولو اتسع المقام ويعبارة أوضح لو كان هنا جماعة من العلماء الرياضيين لأوردت قسماً منها وحين كتبت لم تكن مفهومة كما يجب وبعد الجهد الجهد أقنعناه بل أقنعه خاله الشيخ أحمد أن يوضحه فقبل. والذي أظنه أنه هو أول من كتب في هذا الموضوع والعرفان أول ما نشرته قبل نشره في المقتطف والهلال. أما المقال الثاني فقد نشر في المجلد الحادي والعشرين من العرفان ج ٤ وه عنوانه: (أدواؤنا الاجتماعية والدينية ودواؤها) وقد أرسله لنا من نيويورك وهذا لا مندوحة لنا عن إعادة نشره برمته عساه يكون حافزاً لبعض شبابنا المائعين عن التنكر لعروبتهم ودينهم.

قلنا والذي راه من عدم اختلاف الأديان في الجوهر لأنها كلها تأمر بالفضيلة، وتنهى عن الرذيلة إلى آخر ما هنالك من أخلاق فاضلة والرسول العربي يقول: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(١).

(١) مجلة العرفان المجلد ١١ الجزء ٨ سنة ١٩٥٨م و٧٠٦ وما بعدها وانظر أيضاً مجلة النهج اللبنانية وتاريخ جبل عامل لمحمد جابر صفا ص ٢٩٥-٣٠٠، وكتاب أعيان الشيعة ٢٤/٩، وكتاب حسن كامل الصباح عالم من لبنان، تقديم د. فؤاد صروف بيروت ١٩٨٣.

أدواؤنا الاجتماعية والدينية ودواؤها



أنبه اخواني المسلمين أن اعتقاداتهم الدينية وعلى الأخص المتعلق منها بالقدرة الإلهية منطبقة تمام الانطباق على روح العلم الطبيعي الصحيح لأن القرآن الكريم مملوء بحث المؤمنين على التفكير في خلق السموات والأرض والوقوف على حكمة الله في خلقه وما النواميس التي يتمشى عليها الكون إلا كلمات الله وإرادته ومن هو جزء ممن يستوعب كلمات الله ويتفهم مشيئته في خلقه.

أعلم من تجربتي الخاصة أنني كلما فهمت ناموسا طبيعيا من النواميس التي تتمشى عليها الكهارب^(١)

والنور أعظمت حكمة المولى عز وجل وزاد إيماني، بل كلما تفكرت أنني عندما كنت نطفة

لا أملك لنفسي ولا يملك لي والدي ضرا ولا نفعا كانت النواميس التي تمثل مشيئة الباري عز وجل هي وحدها التي تكلفني وجعلتني أتمو مادة وعقلا إذا لم تحاول أنت بنفسك الأمانة بالسوء أن تعكس عملها وما تعليم الدين الإسلامي كلها إلا لتنمية عقلك وجسدك وحفظك مما يضر بهما.

ورجائي من إخواني طلاب المدارس المسلمين هنا وأخص بهم طلال العلوم الطبيعية والهندسية أن لا يهتموا بما يقوله أساتذتهم عن الدين لأنهم لا يعلمون عن الدين الإسلامي شيئا وأن لا يهتموا بما يقوله غيرهم من طلاب الحقوق أو الفلسفة لأن حجة الماديين ضد الدين كلها مستمدة من أعمال علماء الطبيعة وما إني اشتغلت في العلوم الطبيعية والرياضية حتى وقفت بين

(١) الكهارب جمع كهرب وهي الذرة التي تتكون منها الكهرباء.

الزمرة الكاشفة من الباحثين وهذا ما وجدت من أمر الدين الإسلامي فإن لم تثق بقول غيري ممن لا يعرفون عن ذلك الدين شيئاً أو ممن لا يعرفون عن حقيقة العلم الطبيعي والفلكي شيئاً بل تقدم وأبحث بنفسك حتى تقف في الصف الأول وإن لم تستطع ذلك فما لك إلا أن تثق بمن خبر الاثنين وما أن يدي ممدودة إليك تصافحك فتق يا أخي أن كل فرض من الفروض الإسلامية كالصلاة والصوم والزكاة هي مهمة جداً فلا تهملها ولا تضحك منها فما هي إلا لترقية عقلك وجسدك وعلاقاتك الاجتماعية بما حولك ومن حولك.

ولا ضرب لك مثلاً على ذلك خذ السكر والخمرة، فإن الدين الإسلامي يأمر بك بأن لا تمس شيئاً من الخمرة وأن القليل منها سواء في الإثم مع الكثير، وحجة من يستعملونها من الجهلاء المدعين العلم أن قليلاً منها يفرح القلب ولا بأس به لاسيما عندما تتكاثر عليك مشاغل الفكر والهموم فليس كالصهياء مبددة لها.

أقول إن الهموم وانشغال البال يمكن تحليله لأمرين أولهما غير المعقول وهو ناشئ عن جهلنا أو نسياننا أن القدرة التي تكلفتنا واهتمت بنمونا العقلي والمادي عندما كنا نطفة كلا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ما زالت مهتمة بأمرنا وهي أعلم منا بتسيير أمورنا فلا داعي للهم الوهمي، وهذا معنى التوكل على الله.

أما المعقول منها فهو ما كان بمقدرتك العقلية حل المشكلة التي سببته وهو بمثابة الجوع للمعدة قد وضعه الله أو قل الطبيعة كمنبه لك لكي تشحن فكرك وتشد عزيمتك وتدخل فيك الطعام الذي يتكفل بحفظ جسدك من الفناء فإذا قتلت الجوع بمادة لا تغذي كانت النتيجة اندثارك وعلى هذا القياس إذا قلت همك بالخمرة فأدى ذاك إلى أهمال أمورك التي نبهك إلى حل مشاكلها عقلك الذي خنقت صوته بالخمرة وآل أمرك إلى البوار هذا عدا ما لقليل الخمرة من التأثير على تخثير المادة الموجودة في خلايا الدماغ وتخشين شعورها بحيث لا يقدر المرء على مزاولة الأمور المشكلة أو تحليل المسائل الدقيقة فيفقد بذلك أهم نعمة أنعم الله بها علينا ويندفع لتأويل كل امرٍ بما يطابق هوى النفس لا بحقيقة الحال ويعيش في عالم تخلقه مخيلته مفصلاً عن العالم الطبيعي الحقيقي حتى إذا فوجئ بما لم يعد العدة له حاول غمض العين بزيادة الخمرة أو الانتحار فيكون مثله كمثّل النعامة تخبئ رأيها في الرمل كي تتقي الصياد فكأنما تعتقد بأنها إن لم ترد الصياد فالصياد لم لا يراها.

أما وقد برهنت لك أن الدين الإسلامي هو ضرورة لازمة لذي العلم الصحيح وأن انصراف الطبقة المسماة خطأ بالطبقة المتعلمة عنه ليس إلا جهلاً اختيارياً وحمقاً.

قال الشيخ خليل بزي لا فض فوه (لم أر معني لتفرقنا نحن جماعة المسلمين وتنافرنا وتباغضنا

بين سني وشيعي مع أن سبب التفرقة وهو الخلافة قد مضى وانقضى ولم يبق لدينا سوى كتاب الله وسنته ونحن متفقون على ذلك).

الجواب يا أخي هو أيضا من الجهلاء المدعين بالعلم ولكن هذه الزمرة هي على الضفة الثانية من النهر هي جماعة علماء الدين الذين لم تتفتح عقولهم لنور الدين الصحيح الذي يأمر بأخذ الحكمة ولو عن لسان الكافر والذي يقول هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. هم الجماعة التي لا تفهم من العلم إلا سرد وقائع أقاويل تاريخية يبهرون بها عقول العامة ولا يهتمهم من الدين إلا استغلال تلك العقول المفتونة لتعزيز مراكزهم السياسية وملء جيوبهم فهم الماديون بثوب الدين والجهلاء بثوب العلم، إن هذه الفئة وحدها هي المسؤولة عن التفرقة بين سني وشيعي.

إني سأعدى قولك يا أخي خليل وأقول: إنه لا فرق بين المسلم والمسيحي من حيث الاعتقاد الجوهرى في أساس الدين.

هنا أسأل أخي المسيحي أن يأخذ القرآن ويقرأ كم مرة يمجد اسم المسيح وأن يتفكر في أصول الدين الإسلامي ليرى أن المسلم لا يصح إسلامه إلا إذا اعتقد بأن المسيح من روح الله وأنه من أولي العزم وأن النبي محمداً ليس إلا بشراً مثلكم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. فمما يوسع الخرق بين الطوائف إلا تلك الفئة التي أشرت إليها، وما الدافع لها إلى ذلك إلا عدم أخذها بالنصيب الوافر من العلم الصحيح.

فمثلهم كمثال الطبقة المتوسطة من الأمريكان يستخدمون الفضائل الأخلاقية والقواعد البارة ليكسروها ويبرهنوا على فضيلتهم باتهام الأبرياء ممن لا يتلقون على أحد بكسرها. ضربت في بدء هذا المقال على ما يأتيه المدعون بالدين من الضرر لأنفسهم وسأضرب هنا مثالا آخر على ما يأتيه المدعون بالدين من الضرر للمجتمع.

أومئ أحدهم لمن استهوى عقولهم من العوام (بما يرويه من الحادثات والمقولات حتى أصبح بنظرهم العالم الحبر المفضل، بأن يستحلوا أموال لم يكونوا على مذهبهم من المسلمين ففعلوا ذلك بطريقة قانونية وكان ظاهر الأمر أن الريح كان في جانبهم إلا أن من يعلمون سير الحادثات تبين لهم أن تلك الفئة بل كل من يتمذهب بمذهبها خسرت ثقة التجار بتاتا وأحدثت ولبقة التجار من مذهبهم مضار ومشاكل لا نهاية لها، وغاية ذلك العالم كانت أولاً تعزيزه مركزه الديني بتشديد النفور بين مذهبه والمذاهب الأخرى والغرض الثاني كان استهواء قلوب العوام بأن يحلل لهم ما تشتهيهم أنفسهم من الموبقات ومن حسناته أنه يقاوم العلم الطبيعي كل المقاومة.

هذا النابغة العربي.. من يعرفه وينصفه^(١)

هذه صفحة مجهولة من حياة نابغة عربي، اخترع قبل نصف قرن جهازا يحول اشعة الشمس إلى طاقة كهربائية هائلة، لكن طائرته سقطت به في حادث غامض بالولايات المتحدة، عندما قرر أن يطير بأحلامه إلى وطنه العربي.

وطويت صفحة هذا العبقرى العربي حسن كامل الصباح، الذي قدر له أن يظل سجله مجهولا لدى الجميع، في انتظار من يفتش فيه ويروي للعرب بعضا من صفحاته المشرقة، انصافا للرجل وتعريفا به.

إن المعلومات المتوفرة لا تزال في حدود ما نشرته مجلة الرسالة المصرية في عددها رقم ١٠١ تحت باب البريد الأدبي، صفحة ٩٥٦ وفيه ما يلي:

في أول يوم من بعد هذا الشعر احتفل في بيروت باستقبال جثمان الشاب العالم العربي النابغ (حسن كامل الصباح) وقد علقت المنون بمدينة (مالون) بالولايات المتحدة يوم ٣١ مارس سنة ١٩٣٥ في حادث طيارة كان قد اشتراها ليرحل بها إلى البلاد العربية، فكان فقده خسارة للعلم والاختراع وفجيرة للعرب الذين يرجون بمثل هذا النبوغ البار أن يشبتوا للناس أن حيوياتهم لا تزال فاعلة، وإن خصائصهم لا تزال كاملة، وإن مكانهم من المدينة الحديثة لا بد أن يشغلوه. فمن هو كامل الصباح؟

إن المعلومات التي نشرتها مجلة الرسالة تقول إنه ولد في يوم ١٦ أغسطس سنة ١٨٩٤، وفي بلدة النبطية من قضاء جبل عامل جنوب لبنان، وأنه شب وأكب على العلم وكان له ولع خاص بالحساب والفلك، فدرس الجبر والهندسة بنفسه وبرع فيهما.

ولما رأى والده نبوغه المبكر أرسله على المدرسة السلطانية في بيروت فأنتهى علومه الثانوية فيها والتحق بعدها بالجامعة الأمريكية لكنه اضطر أن يقطع دراسته فيها لاستدعائه لأداء الخدمة العسكرية حين قامت الحرب العالمية الأولى.

(١) مجلة العربي العدد ٢٦٣ ص ٨٨-٨٩ وانظر مقالة حسن كساب العيسى بمجلة العربي العدد ٢٦٣ ص ٨٨-٨٩ مقالة حسن كساب العيسى من الأردن في المجلة العربية العدد ١٦٩ سنة ١٩٩١ ص ٥٦-٥٧، ومجلة المقتطف (مستنبط شرقي نابغة) المجلة ٧٦ ص ٥٥، وكتاب جبل عامل في التاريخ للشيخ محمد تقي الفقيه، بيروت ١٩٨٦ ص ١٢٢-١٢٧.

سافر مع فرقته إلى الأستانة وهناك عينوه في قسم اللاسلكي التابع للعسكرية العثمانية تحت أمرة ضابط ألماني، فاعتنم الفرصة ليتعلم الألمانية، فأتقنهما كما أتقن من قبل اللغتين الفرنسية والإنكليزية.

لم تشغله الجندية عن متابعة دراسته للعلوم والرياضيات من مصادرها في اللغات الثلاث. حتى انتهت الحرب فاستقر في دمشق وعين أستاذاً للرياضيات في المدرسة السلطانية وبقي فيها حتى عام ١٩٣١.

طموح مستمر

لكن طموحه لم يتوقف فسافر إلى بيروت وتعين مدرساً للرياضيات بالجامعة الأمريكية، ولم ينقطع عن مواصلة أبحاثه في العلوم، وكان شيئاً كان يضطرم في نفسه، فما لبث أن هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك التحق بمؤسسة (ماسا تشوستش) الفنية وكانت آنذاك من أرقى مدارس الهندسة في العالم.

ثم انتقل إلى إحدى الجامعات ليروي نهمه المتزايد للعلوم فما بل غليله، وأحس بأنه لا بد له من ممارسة التجارب على ما اكتسب من العلوم النظرية، فاتصل بشركة الكهرباء العامة في نيويورك وعين موظفاً فيها، فبدأ نبوغه يظهر وتفتحت عبقريته وأدهش الفنيين المتخصصين باختراعاته واكتشافاته وعينت له عدداً من المهندسين يعملون معه بإشرافه وإرشاداته، فتوالى الاكتشافات وتتابعت الاختراعات فطار صيته في المقامات العلمية وفي الجامعة والمؤسسات داخل الولايات المتحدة وفي الجامعات والمؤسسات داخل الولايات المتحدة وخارجها كمخترع عظيم، وأطلق عليه جهازة الفن الكهربائي لقب (أديسون الصغير) ..

ثم التحق بشركة جنرال إلكتريك فأطلقت يده لثابراً على الكشف والاختراع. وقد سجلت له شركة الكهرباء العامة في نيويورك جدول اختراعاته في دائرة السجلات بواشنطن وهي ثلاثة وأربعون اختراعاً منها:

- ١ - طريقة لضبط القوة الصادرة من المقوم الكهربائي رقم التسجيل (١٦٦٩٥٠٢).
- ٢ - حوافظ وضوابط لحماية المقومات الكهربائية من الخطر رقم التسجيل (١٧٦١٨٩).
- ٣ - طريقة لمنع حدوث هزات عالية في القوة الكهربائية في المقومات الزئبقية، رقم التسجيل (١٨١٧٣١٢).
- ٤ - ملتقط حديث لمنع حدوث انفجار كهربائي منعكس ومحول للعزائم الكهربائية العظيمة رقم التسجيل (١٨٥٢٢٠٥).
- ٥ - جهاز التلفزة يستخدم المنور كضابط للتيار الكهربائي رقم التسجيل (١٦٩٤٦٦).
- ٦ - جهاز للتلفزة يستخدم الكهارب المنعكسة بفعل النور رقم التسجيل (١٧٠٦١٦٥).
- ٧ - جهاز للتلفزة يحول أشعة الشمس لنار قوية وقوة كهربائية هائلة، رقم التسجيل (١٧٤٩٦٢).

حلم لم يتحقق

وقد أنفقت الشركة في تسجيلها مائة ألف دولار، كما أنفقت على هذا الاختراع الأخير ربع مليون دولار.

ولما تم له اختبار اختراعه الأخير فكر في وطنه العربي الكبير وداعبته الأحلام السعيدة والأمال الكبيرة، فهذه الشمس الساطعة في سماء العالم العربي الصافية ستتحول إلى طاقة كهربائية هائلة تنير المدن، وتدير المحركات وتضجر الينابيع في الصحاري فتقلبها إلى جنات وارفة، أرقته الأحلام فصمم على العودة إلى الوطن، والأمن يشده والرغبة تدفعه، فأنهى أعماله واشترى طائرة خاصة واستقلها يوم ٣١ آذار (مارس) سنة ١٩٣٥.

خلق بطائرته، أو طارت به أحلامه في إسعاد قومه، لكن يد القدر حالت دون بلوغ هذا الحلم، إذ يغادر الولايات المتحدة فخسر العلم والعالم مخترعا عظيما وعالما كبيرا وعبقريا قد شهد له العلماء بالنبوغ والتفوق، وهنأه العظماء والرؤساء على اكتشافاته واختراعاته، وعلى رأسهم الرئيس هوفر رئيس الولايات المتحدة ورئيس المؤسسة الكهربائية في جامعة (ميلان) والأستاذ مولايس لوبلان العالم الفرنسي الكبير.

ورسالة التعزية التي وجهها مدير شركة جنرال الكتريك إلى والده المفجوع نموذج لشهادة العلماء، ومما جاء فيها:

لقد برهن الأستاذ حسن كامل الصباح أثناء خدمته لشركتنا على أنه من أعظم المفكرين الرياضيين في البلاد الأمريكية وأن وفاته خسارة كبيرة لعالم الاختراع.

كما في بلاد المهجر من أمثال حسن كامل الصباح أولئك الجنود المجهولون في بناء الحضارة..



الكوفة
Kufa Academy

هذا هو أديسون العرب حسن كامل الصباح

اطلعت بكل وعي وحفاوة على ما نشره الأستاذ ماهر شمسي باشا في عدد أكتوبر ١٩٨٠ من العربي حول حسن كامل الصباح المعروف علميا وفي أيامه قبل ٤٦ سنة (باديسون) العرب، وعنوان كلمة الأستاذ ماهر: هذا النابغة العربي من يعرّفه وينصفه، ولما كانت هناك صداقة واشجة بيني وبين هذا النابغة العلم المضرد، مكنتني من معرفة هذا الصديق معرفة بوسعي أن أقول تامة، فقد دعاني ذلك لأن أبين جوانب عديدة من شخصية الصباح مما استوعبته منه.

الحقيقة أروع من الخيال فالصباح شعلة متوهجة من النبوغ وكان نبوغه هذا بسبب اغتياله سنة ١٩٣٥ على يد ثلاثة صهاينة من مهندسي الشركة الأمريكية قرب مدينة مالون بمؤامرة رجح أنها مبنية على صاعق كهربائي في السيارة، إذ لما جاءت السلطة ودرست الحادث على الطبيعة، وجدوه جالسا في مقعده من السيارة ذات القصة التي سنأتي على موجزها بعد، كأنه لا شيء به سوى أنه ميت فقد الحياة، ولا أثر لإصابته برصاص في أي موضع من جسمه أو لأصطدام السيارة أو تدهورها.

وإنما وجودها منحرفة عن الطريق، ولعل انحرافها هذا من قوة الصاعق الكهربائي الذي وضع بطريقة شيطانية بطريقة ما داخل السيارة وأتى الخبراء وقرروا كل هذا. ثم أعلنت الشركة نبأ وفاة حسن كامل الصباح الذي سجل لا اقل من ثمانين اكتشافا أو اختراعا في أميركا واليابان وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها. وابرق رئيس الشركة إلى أهله معزيا، ثم نقل رفاته إلى لبنان فاستقبل في بيروت استقبالا عظيما وصلي عليه ونقل إلى النبطية مسقط رأسه ودفن ثم بني فوق المدفن حجرة قصد بها أن تكون لائحة به، ولكن أدركها إهمال شديد هي والضريح حتى نشر السيد احمد موسى سعد (من بريقع قضاء النبطية) في جريدة (الحياة) اليومية في ٢٦/٥/١٩٦١ كلمة ناقدة لوضع الضريح وهو حقا مما يخجل.

ولعل خير حفلة مهرجان لذكرى (حسن كامل الصباح) التي أقيمت في النادي الحسيني في

(١) الأستاذ عجاج نويهض من اعلام الكتاب العرب في القرن العشرين تقلب بين نشاطات ومواقع عديدة، حيث شارك في تحرير مجلة (القلم) التي صدرت في سورية سنة ١٩١٩، وصار سكرتيرا للمجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يرأسه الحاج أمين الحسيني حين كانت تنطلق بلسان حزب الاستقلال العربي الفلسطيني، ثم عمل بالإذاعة الفلسطينية والديوان الملكي الأردني والإذاعة الأردنية حتى بداية الخمسينيات، ومن مؤلفاته كتاب أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان، ومن أشهر ترجماته كتاب (حاضر العالم الإسلامي) لمؤلفه الأمريكي لوتروب ستوادر وهذا المقال نشر في مجلة العربي العدد ٢٦٩ ص ٣٣-٤١.

النبطية في ١٩٦٥/٤/١ وتكلم فيها وزير التربية الوطنية الدكتور غالب شاهين والسادة الشيخ عبد الله العلايلي والدكتور فؤاد صروف والعلامة السيد موسى الصدر وجورج غريب وكامل مروءة صاحب جريدة (الحياة) وأنطوان فرنان وأحمد الصباغ وجواد صيداوي. وأقامت دار الإذاعة اللبنانية ندوة من أهل العلم والأدب عقدتها حول الصباح ومجال عبقرياته وكذلك فعل التلفزيون اللبناني. ثم أمسى (أديسون العرب) في الذكريات شبحاً عملاقاً تتناقل الناس ذكره كعنتر بن شداد أو الزير وما أشبهه. والآن نأتي على شيء من ترجمته: حسن كامل الصباح اللبناني هو من النبطية جنوبي لبنان أبوه الحاج علي الصباح، وخاله علامة العرب الشيخ أحمد رضا. فالفضل في تربيته الأولى البيئية لأمه الحاجة أمينة رضا ولأبيه الحاج علي، ومنذ أخذ ينشأ وينمو ويتفتح عقله اشترك في توجيهه وتغذيته وتهذيبه وإيقاظ مداركه علمياً خاله الشيخ أحمد رضا.

صديقي حسن كامل

أعرف صديقي حسن كامل الصباح معرفة خاصة تامة في المدرسة السلطانية بدمشق سنتي ١٩١٩، ١٩٢٠ أيام (الحكومة العربية) بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وباسم (الحكومة العربية) اختصت به في تاريخنا المعاصر الحكومة العربية على عهد الملك فيصل بن الحسين بن علي في دمشق في أول تشرين الأول ١٩١٨ وأواخر تموز ١٩٢٠ فكان الأستاذ حسن كامل الصباح يدرس الرياضيات وكنت أدرس الانكليزية. وسبب تعارفنا لا بأس أن أذكره موجزاً: فأول ما صرت ألاحظه من أمره كأستاذ من الأساتذة الزملاء، لا من حيث الأناقة المهيبة واللباقة في ملبسه الأسود دائماً، بل من حيث تواضعه الزائد طبعاً وخلقاً، لا تطبعاً، حتى نكاد نحسبه قبل اكتشاف شخصيته وكيونوته، انه أستاذ عادي بلغ الغاية من المؤانسة ورقة المعشر، وكفى. كان له ولوع باختيار اللون الأسود للمبسة فلا أذكر طوال صحبتي الخاصة له، إني رأيته مرة بغير الملبس الأسود ولا أدري السبب في إثاره هذا اللون على غيره. وحطري في بالي يوماً أن أسأله عن هذا، فأمسكت عنه لاعتقادي أن لا مجادلة في الذوق.

بعد مضي ٦١ سنة

إني أكتب عنه هذا بعد مضي ٦١ سنة على صداقتنا في دمشق إذ هو من مواليد ١٨٩٤ وكاتب هذه السطور ولد ١٨٩٦. فأول ما عليّ تسجيله من أوصافه هو الرزانة والرصانة. وهذا ابرز ما ترى من عناصر شخصيته، ويمكن أن نطلق على هذا (الهيئة الشخصية) يميل إلى الطول قليلاً، حنطي لون الوجه. أسود الشعر والعينين. يعتمر الطربوش. (ما كانت عادة كشف الرؤوس قد ظهرت في العالم بعد). منتصب القامة. وقد بلغت جهدي الآن في التوغل في ذاكرتي، فبدا لي حسن كامل الصباح كأنه أمامي أحادثه ويحادثني. لم أره قط إلا في حالة من ثلاث حالات: الأولى: إما ماشياً في فناء المدرسة وساحاتها مشية الرجل الجدي وهو وقتئذ في الخامسة والعشرين، البعيد جداً من حب المرح أو المزاح أو اللهو أو العبث. فإذا رأيته لأول مرة ولم تكن تعرفه من قبل، لا بد لك أن تسأل: ومن هو هذا الشاب بهذا الوقار؟ ودائماً يتأبط كتاباً في مشيته

الوثيدة أو يقرأ فيه ويتأمل، ولكن هذا الكتاب من كتب مطالعته الخاصة، وليس الكتاب الذي يدرس فيه الرياضيات في (المدرسة السلطانية) أو (مدرسة عنبر) كما كان يطلق عليها لسبب يتعلق بالمكان المحلي).

الثانية: وأما واقفا يتحدث مع شخص ما صديقا كان أم غير صديق، ويسرك أن تراه في هذه الحالة، فهو لا يتسرع فيجيب بشيء قبل أن يفرغ من استماع محدثه، ولو كان الحديث غير ذي قيمة. فإذا جاء دوره ليحجب أجاب بهدوء وطول أناة وبإلغ الهوادة. لا تأخذه حدة خلق أو طبع. لا يظهر الإشاحة عن شيء يسمعه أو حديث غير شهى له أن يسمعه.

الثالثة: حديثه العلمي في الصف داخل المدرسة، أو في مجلس خارجي له صبغة علمية مما يتعلق لا بالرياضيات وكفى، بل أيضا بالكون والطبيعة على الإطلاق، فتراه في هذه الحالة لا حدود لمهارته في صياغة الكلام صياغة بسيطة سهلة التناول تتقبلها الأذهان والعقول بشهية وحب المزيد منها. فهو راسخ العلم في كل مادة يتعاطاها.

في عينيه جاذبية لا نستطيع أن نهرب منها. فإذا تطلم إليك كسرت أنت من نظرك. واسع الجبهة، جميل الوجه وجه خير وبشر وتفاؤل. ما رأيته في دمشق إلا في لباس مدني واسود كما قلت. وأطلعني مرة وبطلب مني على صورة له في البزة العسكرية العثمانية في (غالبولي) أيام الحرب الأولى فإذا به حسن الهندام بالبزة العسكرية العثمانية كشأنه في لباسه المدني. فلم يسعني الحال إلا أن قلت له معجبا: ليست بدلتك المدنية ولا العسكرية هي ما يعطيك الأناقة، بل أنت بجميع مظاهرك وأطوارك مثال الأناقة واللباقة فملبسك يستمد حسنه وجمال هندامه منك، فابتسم ابتسامة الخجول وغير مجرى الكلام.

بقى علي في نهاية مطاوفي حول أوصافه، أن اطلع القارئ الكريم على (خاصيته) رأيته فيها تضيمني وتقعديني. وإلى الآن على كثرة لقائي الأصدقاء والإخوان ومطلق الناس على اختلاف الطبقات، لم أجد لها مثيلا في غيره. فأنك أن تعرفت بحسن كامل الصباح واختلطت به، أي نوع من الاختلاط الاجتماعي، فأنك تشعر بأنك أمام شاب (مزودج الروح). اعتقد أن القارئ اللبيب - وكل قارئ (للعربي) احسب أنه لبيب - لا بد أن يتوقف عند مروره بعبارتي هذه (مزودج الروح)، أو ربما استغربها استغرابا شديدا. ولكني أقول أن هذا يحتاج إلى شيء من الإيضاح: هو أمامك بطوله وعرضه، وقامته وهيبته، ويحوي هو أو المستمع ولا فرق. فتوحي إليك كينونته أن وراءها شيئا آخر غير منظور. هذا الشيء غير منظور لا أستطيع أن أصفه. ولكني اعتقدت حينئذ كما اعتقد الآن أن مدارك حسن كامل الصباح وغزارة بداياته العلمية، خلقت ظللا في نفسه تهيم على مطلق تفكيره. وكان يدرس الرياضيات في السلطانية ولكن طموحه كان يدور في أفلاك أخرى.

اعتقد وأظنه كان يعتقد بمثل هذا ونحوه، ولا ترد هذا إلى فعل (العبقرية) وهي تنهادي في ذهن صاحبها. فالعبقرية ذات حدود مهما يكن الأمر.

وإذا سلمت معك إن هذا في صاحبنا الغالي حسن كامل الصباح (عبقرية) سخية زائدة مفرطة،

فجوابي أن ليس في العصر الحاضر عند الغربيين وعندنا، مثيل لهذه العبقريّة مهما حسبتها شديدة، فانضاده في أمريكا والعالم (بعبريته) هو من العظم علميا شاهد على ما تقول. كان يعوز حسن كامل الصباح دولة عربية تحتضنه وتيسر له أموره، سبعة جيوش عربية كان على يدها انهيار فلسطين سنة ١٩٤٨، ومن يدري فلو استطاع حسن كامل الصباح أن يكون في العراق أو السعودية من ١٩٥٣ فصاعدا فربما كانت موازيننا الآن غير موازين!

لما اشتدت الأزمة بين فيصل بن الحسين، وغورو وفرنسا في دمشق، وصارت العاصفة تقرب، أثرت أن أجيء بلدي لبنان، لأنني لست جنديا لأخدم في الجيش، واهتزت دواليب الحكومة وفقدت الاتزان، فلا فائدة من وجودي في عملي في دمشق بحال، فدعوت صديقي حسن كامل الصباح أن يقبل دعوتي، فيأتي بلدي، (رأس المتن) ويكون ضيفي فأبى واعتذر.

عندما تكلم عن نفسه

ولتسمعه يتكلم عن نفسه بنفسه في نشأته الأولى فقال:

(كان أبي كثير التعامل مع سكان البادية الشامية، وكان في أحاديثه عنهم عاملا قويا في تثبيت مثلهم العليا ومنازع نفوسهم الطموح. وأبائهم وشممهم وسخائهم، على صفحة دماغي. وكان خالي الشيخ أحمد رضا كثير الاهتمام بدرس الحقائق الكونية (في المقتطف) كانت أمي وشقيقتي مولعات بأدب العرب وأشعارهم، ونوادير عظمائهم فأصبحت أنا بحكم الطبع انظر إلى أدب العرب وعلومهم نظرة طموح وأمل.

وكان ذلك مبدأ قوميتي وطموحي العلمي، وما زلت اذكر النصف الأخير من ليالي رمضان حيث كانت أمي تجلس في فناء الدار وتحدثني عن أمجاد العالم العربي منذ عهد الإمبراطورية العربية الأولى إلى عهدنا الحاضر. وأنا اردد أبيات أبي العلاء المعري وابحث عن النجوم التي ذكرها في قصائده وأشار إليها، وهكذا بدأ هيامي بدرس الكون وحقائقه (انتهى كلام الصباح عن نفسه وأنت ترى من هذا الكلام شدة تأثيره بخاله الشيخ أحمد رضا الذي سبقت الإشارة إليه.

سنة ١٩٤٠ انتقل من المدرسة السلطانية (الثانوية) في بيروت إلى الصف الأول علمي (الفرشمان) في الجامعة الأمريكية _ كان اسمها منذ تأسيسها ١٨٦٦ حتى ١٩٢٠ (الكلية السورية الإنجيلية) ومختصر حروفها (Syrian proresranr lollege) s.p.c فصارت (الجامعة الأمريكية في بيروت) وسنة ١٩١٥ دخل حسن كامل الصباح في الهندسة ولكن في شباط ١٩١٦ طلب للخدمة العسكرية في الجيش العثماني، لأن التبطينية من جبل عامل وجبل عامل تابع لولاية بيروت، وولاية بيروت غير لبنان المستقل إداريا عن الولاية وتابع رأسا وزارة الداخلية في الأستانة.

وإنما صار جبل عامل من لبنان لما كبر الجنرال الفرنسي غورو سنة ١٩٢٠ لبنان فجعله (لبنان الكبير) بعد خروج الملك فيصل بن الحسين من دمشق فدخلها غورو بعد (معركة ميسلون)، فأعطى حسن كامل في الجيش العثماني رتبة ملازم، ونقل إلى الأستانة والحق بسرية التلغراف

اللاسلكي التي قيادتها بيد الألمان حلفاء تركيا، فاستفاد من الألمان كثيرا جدا من العلوم والنظريات والممارسة مما واثى طموحه وفهمه العلمي، فكان يرتوي من كل هذه حتى الشيع، وصار في منطقة غاليبولي الحربية فاشتد تفاعل عقله وانتقل بسبب اختلاطه بالألمان من حال إلى حال في علومه الرياضية العليا حتى يبدو كأنه متخرج من الجامعة، وشهد له الألمان بهذا. درس الألمانية فأتقنها فازداد استعدادا، للإشراق العقلي، وقدم إليه الألمان من كتبهم العلمية شيئا وافرا يعلو من أفق إلى أفق، ولم يبخل عليه الألمان بشيء يريده، فاشتد إعجابهم به وصاروا يقيمون له وزنا علميا.

وطالت صحبته للألمان إذ بقي معهم إلى نهاية الحرب. وخلال تلك المرحلة كان حسن كامل الصباح مشغولا بكيفية خدمة أمته العربية، وقد انكسرت ألمانيا وتركيا في الحرب، وبدا البحث في وسيلة الانتقال إلى بلاد العرب، فتلفت نحو دمشق ١٩١٩ فوجدها قد قامت فيها (الحكومة العربية) الفيصلية كما تقدم، فلقى صعوبات في وسائل النقل، ولكنه وجد مساعده من القيادة العسكرية البريطانية، فوصل دمشق سنة ١٩١٩ وكان ساطع الحصري قد سبقه إليها بدعوة من فيصل ليتولى أمور المعارف (ويطلق عليها اليوم وزارة التربية والتعليم) فعيّنه في المدرسة السلطانية أستاذًا للرياضيات، وهنا بدأت اعرفه على ما سبق بيانه.

ولكن عليّ قبل أن اختتم هذه الفقرة أكرر القول أن دمشق وقتها كانت كعبة العرب في الأماني القومية العربية، وهي خارجة من ثورة الحسين بن علي وفيها السوري والعراقي والبناني والفلسطيني والأردني والحجازي يعملون معا في بناء دولة عربي حدودها جنوبا العقبة وجنوبا غرب عريش مصر ولا اعترف بوعد بلفور الصادر ١٩١٧.

وبقي حسن كامل الصباح في دمشق إلى ١٩٢١ وهو يداعب طموحه وطبعاً لم ترضه الحال بدمشق بعد الاحتلال الفرنسي، وجزنت البلاد العربية وفق معاهدة (سايس - بيكو) البريطانية الفرنسية. فانتقل إلى الجامعة الأمريكية يدرس الرياضيات للصفوف الثانوية حاسبا هذا ضرباً من التسلية ريثما يعلم على أي وسادة ينام بطموحه، وكانت ثورة العراق ضد بريطانيا سنة ١٩٢٠ وثورة مصر عارمة والعراق بين مصر وعلى رأسها سعد زغلول وبين الانكليز، علو، أشدة، فكانت ثورة مصر هذه وثورة العراق أول انتفاضات في العالم العربي بعد الحرب الأولى

حدث محمد سعيد العاملي^(١) أن (موشيه دايان) الوزير اليهودي الصهيوني وآخر وزارة تولاهها في إسرائيل وزارة الخارجية ثم استقال، كان طالبا في الجامعة وقت أن كان حسن كامل يدرس الرياضيات وتلمذ في الرياضيات عليه وكان للصباح مجادلات عنيفة معه لا دخل للدرس بها.

(١) صديقي محمد سعيد العاملي - رحمه الله - هو أخو حسن كامل الصباح وشقيقه، كانت خدمته في الجيش العربي الأردني ما بين الحربين، وفي المملكة الأردنية الهاشمية، ولقب بالعاملي، نسبة جغرافية إلى جبل عامل، ولم يكن في الأردن يعرف بنسبه -كاخيه- إلى آل الصباح في النبطية. وسالت يوما بعض اصحابي عن هذا وأنا في عمان بعد ١٩٤٨ منتقلا إليها من القدس بعد الانهيار، فقيل لي كانوا أول الأمر في الأردن يقولون فلان الشامى وفلان العراقي فلما جاء إلى محمد سعيد نسبوه إلى جبل عامل وبقيت هذه النسبة له كل مدة وجوده في الأردن وبعد التقاعد رجع إلى لبنان وأقام في بيروت وفيها توفي بعد سنوات.

الرحلة إلى أمريكا

ويجد المطالع الباحث في كتاب (كامل الصباح — عبقرى من بلادي) للأستاذ يوسف مروه المطبوع في بيروت سنة ١٩٥٦ منجماً من التفاصيل عن سيرة الصباح وحياته في ٢٨٥ صفحة بحجم وسط. وفي هذا الكتاب كثير من رسائل الصباح إلى أهله من بيروت وأميركا، ويصف الصباح في هذه الرسائل نمو مطامحه العلمية وذروة أمانيه أن يصبح مهندساً عالمياً ولكن لا يحب أن تكون ثمراته إلا لبلاده العربية الإسلامية. في هذه الرسائل واحدة بعث بها إلى خاله الشيخ أحمد رضا في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢١ تعتبر صورة شديدة التعبير عن اعتلاج أماله وهو يرنو إلى المستقبل ويزيد التضلع من العلوم الطبيعية وليس بيده مال، هذه المرحلة وهو في بيروت مدفعة بعوامل الدفع والجذب في غليان نفسه، فقد قدم عريضة إلى حاكم لبنان الفرنسي يرجو منه مطلباً يتعلق على ما يظهر بالسبيل إلى ما يريد.

هو لم يفصح في رسالته هذه إلى خاله عن ذلك المطلب، ولكن لم يكن له أمل في تلبية. وكان وقتئذ كما يؤخذ من هذه الرسالة معروضا عليه العمل في كلية الشيخ أحمد عباس الأزهرى البيروتى، وهذه الكلية اشتهرت بأنها، ولا سيما قبل الحرب العالمية الأولى، مصنع يخرج شباب القومية العربية، ومعظم الشهداء الذين شنقهم السفاح الطوراني ١٩١٥ و ١٩١٦ في بيروت ودمشق. هم من متخرجي هذه الكلية فلم يقبل الصباح بالمرتب الذي عرض عليه.

والصباح يتقلب في هذه الأبواب ويقول انه إذا لم يوفق في مساعيه سيراجع مدرسة انكليزية تحتاج إلى معلم رياضيات. وأما مأملة الأكبر فهو أن يتمكن من تحصيل العلوم العليا الكبرى في الغرب ليكون مهندساً. حتى إذا نال شهادة الهندسة عاد جبار المهندسين لشدة ثقته بنفسه. وتطلع إلى المدرسة المركزية في باريس، ولعل هذا ما كان يقصده من عريضته إلى حاكم لبنان. لأن تلك المدرسة في باريس هي أهم مدرسة هندسية في فرنسا. وظل يحسب حسابه ويورده على مختلف الاحتمالات، وبالتالي قال لخاله يا ليت يتيسر له أن يقنع غنيا بقرضه (٦٠٠) ليرة لبنانية على شروط خلاصتها انه بعد عودته سيشارك هذا الغني في مشروعات إنشائية هندسية جمه. بحيث يتقاسمان الربح العظيم. ووصف بإيجاز بعض المشروعات.

وذكر الليطاني وتوزع مياهه على القرى وتوليد الكهرباء منه وأمل تأملاً أن (يوسف الزين) يمدد بهذا القرض. وان لم يكن الزين، فلعل (النعمانى)^(١) إذا عاد من المنفى يعطيه هذا المبلغ، ولما لم يجد لطموحه ميداناً وهو في لبنان، قرر أن يهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لعل فرصة حسنة تؤتية. فكتب جامعة بوسطن وقصدها سنة ١٩٢٢ فذهلوا من إشعاع عقله وقالوا أنهم لم يروا له نظيراً بعد.

(١) هو عارف النعماني من أغنياء بيروت اشتهر اسمه وذكره في سبيل القضايا العربية والحركات القومية. لما ذهب وفد مجلس الإدارة اللبناني إلى دمشق أوائل ١٩٤٠ ليتفق مع الملك فيصل على مستقبل لبنان عربياً. وكان هذا المشروع سرياً، فاطلعت فرنسا على هذا فاعتقلت وفد مجلس الإدارة وهو في طريقه إلى دمشق وحاكمت أعضائه ونفتهم إلى الخارج وكان عارف النعماني. وهو ليس من الأعضاء، ولكن من الباذلين مالياً في سبيل هذا المشروع فحوكم عسكرياً ونفي مع رفاقه.

وأمدته (جمعية الشبيبة السورية) هناك بمأتي دولار وثقلت عليه نفقات الدراسة، فآخذ ينتقل في عديد الجامعات لعله يلقي مخرجاً وفرجاً، وضجر من أساليب التعليم الروتيني. فهم يتوكلون وهو بسرعة الفهم والاستيعاب، كالشهاب الثاقب فمن جامعة ايلينوي حتى آب ١٩٢٣ .

كيد الكاندين

وجاء دور جديد ساقه إلى شركة (جنرال إلكتريك) فدخلها واعتبر حامل شهادة الهندسة الكهربائية، وياشر عمله في ٢٠ آب ١٩٢٣ ومرتبته ١٧ دولار في الأسبوع ثم زيد إلى ٢٥. ثم جاءه من (جمعية تهذيب الشبيبة السورية ٤٠٠ دولار مساعدة، فقويت نفسه وقرر العودة إلى الجامعة واختار الآن جامعة أوريانا بعد أن مكث في (جنرال إلكتريك) ٣ أشهر فنال شهادة أستاذ علوم متفوقاً. وفي أوائل آذار ١٩٢٤ عاد إلى (جنرال إلكتريك) برتبة مهندس ممتاز وكتب إلى أهله في النبطية في نيسان ١٩٢٤ يشكو ضيق ذات يده ولكنه صابر متابر لان الحياة جهاد .

ولكن سرعان ما جعل عقله الوهاج يتألق عمليا الآن في جنرال إلكتريك ويقوم بفتوحاته العلمية حتى أخذت عقارب الحسد والغيرة النهاشة تدب في قلوب من حوله من المهندسين والمديرين، وفيهم صهاينة خبثاء وتتضمن رسائل حسن كامل من الوصف للكاندين له ما يقضى بالعجب، وهناك خبيث اسمه مستر بون رئيس الدائرة كان البومة الناعبة نحو حسن كامل، وأخذت عناصر الفساد تؤلف باستشار صعيدا شريرا ضده فخدعوه وجعلوه يوقع عقدا أن جميع ما ينتجه عقله هو ملك للشركة. وهو في الواقع لم يوقع هذا العقد وإنما زوروا العقد تزويرا كما ظهر بعد مماته. ووضعوا تحت يده المهندسين والموظفين. فسبح في العمل المنتج أي سباحة مذهلة. وهنا ١٢ سنة وهذا الدماغ العربي يقذف بالمكتشفات والاختراعات. والثمرات كلها للشركة وليس له إلا المرتب، حتى سجلوا له حسب القيود والتسجيلات الرسمية ٦٧ اختراعا. وبكم كانوا يكافئونه على كل اختراع؟ بدولار واحد فقط لا غير. ولما طلب منهم أن ينصفوه قالوا له: لو لم تقدم إليك الأجهزة والمكان والموظفين مجانا، لما كان باستطاعتك عمل شيء. هؤلاء هم لباب الرأسمالية الأمريكية والصهاينة كانوا الساهرين على عقل هذا العربي، العقل الفتاك لا في أميركا فحسب بل يراقبون علاقته الخارجية بالعالم. وانظر في هذا المنطق وأعجب منه. فهل تلك الأجهزة التي وضعوها بين يديه، وعلى فرض أن قيمتها تبلغ ملايين الدولارات أهي المخترع أم عقل حسن كامل الصباح. ومرة في أسبوع قذف بأربعة اختراعات. ومرة قال له أحد المهندسين وهو من طغمة الشر: لو كنت أنت حرا وبيعت هذا الاختراع بيعا لإحدى الشركات لا شترته الشركة منك بنصف مليون دولار واحد. وبقي يعمل ولم يكبله اليأس. كان يتحمل كل هذه الشناعات والجحود والنكد من الأميركيين واليهود ريثما ينتهي من اكتشاف الشيء الذي لو تم لكان كفضيلا بقلب العالم رأسا على عقب، وهو تحويل نور الشمس إلى تيارات كهربائية، ثم يعود إلى بلاد العرب وفي صدره هذا الإرب، وفي هذا كان اغتياله بطريقة شيطانية على يد من هم أشبه بالعصابة

سنة ١٩٣٥ وفي آذار ١٩٣٤ كتب إلى والده يقول: (تكاد نفسي تزهرق من بقائي في هذه البلدة فان أهلها السافلين لهم أدمغة البراغيث وأخلاق القروء، والسنة حادة لا يجردونها إلا على من كان غريبا مثلي (ويكمل الرسالة بقوله أن رئيسه لا خلق له، ثم يسأل الله العون أن ينتقل إلى عمل آخر.

واحدث اختراعا في التلفزة، ولما اعد فكرته وشرحها للشركة عجلت فسجلت هذا الاختراع في بريطانيا وفرنسا وبلجيكا واليابان وجنوب أفريقيا والهند.

وقال في إحدى رسائله إلى أهله: (كل حسناتي وأعمالني حمد عليها الرئيس لا أنا) ويقول في رسالة أخرى أشياء خطيرة قد تكون مما سبب له نهايته على أيدي تلك العصابة: (أن النتاج التي توصلت إليها حتى الآن من الأعمال التي قمت بها، أدت إلى أمر ذي خطورة لم أكن أحلم من قبل وربما كان ذلك وسيلة إلى تحقيق الأماني وأحظى بمشاهدتكم). هو يقصد المجيء بطيارته خاصة له وفي دماغه فكرة تحويل نور الشمس إلى تيارات كهربائية مخترنة بحيث يمكن ري الصحارى حتى الربيع الخالي، كتب هذا سنة ١٩٣٥ قبل مصرعه بقليل.

مع الأمير شكيب.. في الحلم

ومشت السنون وحسن كامل عاش عربيا مؤمنا بعروبهته وإسلامه، مراده تحويل البادية بين الشام والعراق إلى رياض وجنان. سمعت روسيا الاتحاد السوفيتي به فأرسلت مهندسا فافوضه ليذهب إلى موسكو بمرتب ضخيم فآثر المضي بعمله حتى يعود إلى البادية. كتب إلى أهله في ٢٦ نيسان ١٩٣١ يقول: (كلما قلت تم الأمر وقرب الفرج تنعكس الآية فيقوم واحد أو عدد من القوم هنا فيقاومني ويحبط عملي ولا ادري إلى أين سينتهي بي المصير). وكأنه كان يتنبأ بهذه العبارة تنبؤا صحيحا كما ترى.

وكان يعتقد بصحة تأويل الأحلام التي ليست التي ليست اضطرابات أحلام ويؤمن بأكثرها. وقد رأى حلما سنة ١٩٣٠ أنعش أماله، وخفف شيئا من آلامه، وكتب رسالة إلى والده في ١٥ أيلول من تلك السنة بخط يده. وهذه الرسالة هي عندي سلميتها شقيقته محمد سعيد سنة ١٩٦١ في بيروت تتضمن صفوة الحلم وأنه كان في مجلس فيه الأمير شكيب ارسلان وحسن كامل يحتل مركزا عاليا ومن حولهما الأزهار. وفي الحقيقة كما اذكر جيدا أن الأمير شكيبا كان يكاتب الملك فيصل ملك العراق في سويسرا سنة ١٩٣٣ أوقضت هذا المسعى الذي انتقل إلى الملك عبد العزيز المتوفى سنة ١٩٥٣ لعشر على مراسلات الأمير شكيب.

وكتب إلى والده في تلك الظروف خطابا نرى من الضروري إيراده بنصه وهو: (سيدي الوالد اعزه الله) (بعد أن كتبت إليكم الكتاب صباح اليوم مرفقا بالحوالة المالية، ذهبت إلى الدائرة فوجدت كتابا منكم وسررت بقدمه. وقد حصل لي عدة أمور هذا اليوم أكثرها غير مرض. فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هكذا تكون الأيام. أمل أن يكون هذا مقدمة سوء للنهاية المرضية. وعسى أن ينتهي الأمر على الخير. أما أمر الأحلام فاني ما زلت اعتقد بصحة أكثرها مع انه لا يوجد عليه برهان علمي، على أن العلم لم يتقدم التقدم الكافي لفهم تلك المطالب وما اصدق القرآن الكريم إذ قال: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). وقد حلمت بالأمس إنني كنت أنا والأمير شكيب ارسلان في بيت كبير ولكل منا مركز فيه، ومركزي فوق درجات، فقد زين درابزينها بالأزهار وقد اتفقت والأمير على أمور متعلقة بمستقبل الأمة العربية وهذا كل ما أتذكر من الحلم. اقبل أنا ملكم سيدتي الوالدة وسلامي للجميع — كامل).

وعلى ذكر توقيعه فانه يوقعه هكذا في رسائله (كامل) دون أن يسبقه باسم (حسن) وهو اسم التبرك عادة. النهاية المفجعة وقد اقتربت. آخر رسالة منه إلى أهله في ٢٦ كانون الأول ١٩٣٤ قبل مصرعه بعدة أشهر (ثلاثة وأربعة أيام) وهي اسطر قليلة كأنها وحي من وراء الغيب: (إنني اجتاز الآن مرحلة صعبة خطيرة، أسأل الله أن ينجينني منها، فادعوا لي الآن دعاءكم ورضاكم قد يخلصاني من أعداء الداء يكيدون لي دائماً ويسعون لزعزعتي من طريقهم). قلت ما أشبه هذه العبارة بتلك التي قالها السيد المسيح عليه السلام لما مضى به إلى جبل الزيتون، قبل أن يقع بيد بيلاطس البنطي وسلم إلى مجلس السنهدين اليهودي في القدس. قال الإنجيل الكريم في رواية العبارة: (فجئنا على ركبتيه وصلى قائلاً إن شئت أن تجرعني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك). وكما أن المسيح لم ينج من يهود اورشليم سنة ٣٠م كذلك حسن كامل الصباح لم ينج من يهود (جنرال إلكترك) في أمريكا ١٩٣٥.

حتى تعمّر صحراء العرب

ألا فليسمع العرب وليتأملوا كيف تتواطأ الرأسمالية مع اليود للتخلص من الدماغ العربي الذي انتهى ١٩٣٥ من فكرة مشروعة لتحويل نور الشمس إلى تيار كهربائي في بوادي العرب. ولنسمع (كاملاً) يحدثنا بلغة مبسطة خالية من طلاس المصطلحات العلمية المعقدة عن مشروعه هذا فقال: (تمكنت من استنباط بطارية كهربائية ثانوية يتولد بها حمل (تشارج) كهربائي بمجرد عرضها لأشعة الشمس. ولبيان أهمية هذه البطارية أقول لنفرض إننا وضعنا عدداً منها يغطي مساحة ميل مربع، في وسط الصحراء العربية، حيث لا غيوم، فالقوة التي يمكن استصدارها من الشمس عندئذ تكون مليون كيلوات (فولت) أو ١٤٠ مليون حصان، غير أن البطارية يمكنها أن تستخدم جزءاً من عشرة آلاف جزء من هذه القوة، فيكون ما تستحصله من الشمس بواسطة هذه البطاريات قوة كهربائية لا تقل عن مئة ألف كيلوات (فولت) أي قوة تزيد عن خمسين مرة عن أعظم قوة يمكن استحصاها من مولدات (نهر الصفا)^(١) في لبنان. إن القوة الكهربائية التي

(١) نبع نهر الصفا قرب عين زحلنا حيث يوجد مصيف من أجمل مصايف لبنان.

تولد نهر الصفا هي جزء حقير من قوة النور الواقعة على الأرض من أشعة الشمس، هذا الجزء الحقيقير ييخر الماء فيصبح غيوما ثم سحباً ثم سواقي وانهاراً رأساً إلى قوة كهربائية دون استخدام آلات بخارية هيدرولية (مائية) ومولدات كهربائية متحركة، هي الطريقة الطبيعية الضابطة بالحمولات الكهربائية من أشعة الشمس في الصحراء العربية، تكون دائماً عثرنا على آبار بترول لأن الذي يجعل البترول ثميناً هو مقدار القوة التي يخزنها بين دقائقه ولنفرض إننا أسسنا مزرعة بطاريات شمسية في أواسط البادية السورية بين دمشق وبغداد، ثم صنعنا سيارات كهربائية تسير بواسطة تلك البطاريات التي استعمل حملها (تشارج) الكهربائي في تسير سيارته ببطاريات قد ملأناها أشعة الشمس بحمل كهربائي كامل من تلك المزرعة الشمسية وبهذه الوسائل ومثلها يمكن تحويل البوادي والصحارى وخاصة البادية السورية إلى مدن عامرة أهلة بالسكان فيعود أهلها إليها مجدداً السابق، ومع ذلك فإن شركة جنرال إلكتريك لم تسمح لي بأخذ امتياز باسمي وهي ستستثمر هذا الاختراع. افلو كنت مشغلاً لحكومة من الحكومات العربية مثلاً، فيرجع هذا الريح لها وهو كما ذكرت سالفا يماثل أباراً للبترول والبنزين أي أنه يحوي ثروة طائلة كاملة).

خابر حسن كامل حكومة العراق كما تقدم، ثم السعودية بعد وفاة الملك فيصل ملك العراق، وذلك بواسطة الأمير شكيب فاطلعت (جنرال إلكتريك) على ما يهتم به من هذا المشروع العظيم، واشتتمت الشركة راحة أن حسناً كاملاً أن أخرج من أميركا حياً ومعه دماغه فقد يحمل الحكومة السعودية أو غيرها على إمداده بالمال فينفذ المشروع الذي بات بيت قصيده، فتركوه يتهاياً للسفر، حتى حان وقت براحة أميركا ليركب طيارته الخاصة، فقبل أن يطير وقع المصير.

في ٦/١٠/٣٤ اشترى حسن كامل سيارة بثمن نحو (٦٠٠) دولار.

وفي ٢٨/١٢/٣٤ اشترى أيضاً طيارة صغيرة ليمتطيها في الجو إلى بلاد العرب في ربيع ١٩٣٥ وثمن الطيارة (٨٥٠) دولاراً فدفع من هذا الثمن ٢٠٠ دولار وترك سيارته لدى الشركة رهناً على باقي الثمن الذي أخذ يسدده أقساطاً شهرية. وترك الطيارة في مستودع الشركة (٦٠٠) دولار بكفالة رئيس الشركة.

ودبرت المؤامرة

في ٢١/٣/٣٥ ذهب كامل بعد الظهر مع (صديقين) له من الأمريكان اليهود وهما مستر جدعون بوجل وزوجته في سيارتهما إلى (مالون) قرب نيويورك لكي يدفع القسط الأخير من ثمن الطيارة. ويتفقدها ويسترجع السيارة فوصل ودفع القسط الأخير وطلب من المسئولين تهيئة الطيارة وإعدادها للاستعمال. ثلاثة صهاينة على ما يبدو دبوا المؤامرة ونفذوها أحدهم اسمه (الكسندرسن) والثاني (برنس) والثالث (بوجل) الذي على يده كان المصراع. ووقعت النهاية هكذا. عرض جدعون (بوجل) على حسن كامل وهم ذاهبون إلى (مالون) قرب نيويورك بشأن الطيارة، بل بوجل رجا منه رجاء وهو

أن يتبادلا السيارتين اللتين لهما، فيركب حسن كامل سيارة بوجل لأنها مفتوحة (وفيها جهاز المؤامرة الشيطانية) وبوجل وزوجته يركبان سيارة حسن كامل لأنها مغلقة وزوجة بوجل مزكومة لا يناسبها الركوب في السيارة المكشوفة لزوجها، فوافق حسن كامل بكل طيبة خاطر لأن المسألة إنسانية ومروءة. فأسمى حسن كامل راكبا سيارة بوجل سيارة حسن، وسارا نحو (مالون) وفي المقدمة (بوجل) والمسافة التي بين السيارتين نحو ميل (١٠ ١/٢ ك.م) وفي أثناء الطريق كان بوجل يكشر من التطلع إلى الوراء ليرى الصباح في أثره وبينهما تلك المسافة، فتطلع لأخر مرة فلم ير الصباح في أثره فعلم بالنهاية، وهو من مديري مؤامرة الصاعق الكهربائي ووضعه بشكل إبليسي في السيارة، سيارته أي سيارة بوجل، فاخذ يرجع إلى الوراء حتى وجد السيارة فيها الصباح وهي منحرفة إلى جانب الطريق، ووجد الصباح في مقعده ميتاً بارداً رحمه الله.

كيف دبرت مؤامرة الصاعق الكهربائي إلا من هؤلاء اليهود الثلاثة الكندرس وبرنس وبجل. والرابع زوجة بوجل إذا كانت شريكة في المؤامرة. والثلاثة هؤلاء كلهم مهنسين في (جنرال إلكتريك) ولعل هؤلاء كانوا أكثر المهندسين حسدا للصباح وكيدا له لما رأوه كالشهاب عقلا وذهنا وعلماء، واكتشافا واختراعاً.

لم يحضر الطبيب الشرعي إلا بعد خمس ساعات وراح يقول: أن سبب الوفاة انفجار في الدماغ، أو سكتة قلبية. ثم يتردد بين السببين دون أن يعين سببا مقنعا. وهنا تبتدئ أبواب الأسئلة تفتح على مصاريعها ولا انتهاء لها. ولا تحقيق جدي أكثر من سطحي مصطنع لطفي الحادث، والذي قدره العقلاء أن جهازا كهربائياً له حركة خاصة كانت مركزية في سيارة (بوجل) التي كان يركبها الصباح ولا يبدأ هذا الجهاز عمله إلا بعد اجتياز مسافة معينة. وإذا رحنا ندقق في أقوال الطبيب الشرعي المتردة بين انفجار في الدماغ وسكتة قلبية سببه الصاعق الكهربائي.

لما كان يلي الحكم في مصر الخليفة الفاطمي السادس أبو علي المنصور المعروف بالحاكم بأمر الله الفاطمي في أواخر القرن الرابع الهجري، كان العالم الرياضي (الحسن بن الهيثم) في إبان لعانه في العراق فأشير على الحاكم أن يستقدمه لبيبائه في أمر فيضان النيل، فجاء الحسن ولكن كانت الفكرة إقامة سد أسوان يتولى أمره الحسن غير أن هذا المشروع لم يقع ولم يترك لنا التاريخ تفصيلاً بشأنه، وبين قضية الصباح من تحويل نور الشمس إلى عمران البادية، وبين مشروع سد أسوان على يد ابن الهيثم، تشابه في عظمه التفكير والفرق أن الصباح اغتاله اليهود وابن الهيثم رجع إلى العراق.

قضى النابغة العالي حسن الصباح شهيد عظمته، وكان فقيده العلم والخلق والوطنية والعروبة. ومن النبوغ ما قتل.

حسن كامل الصباح

منح الصلح

يذكرنا اسم حسن كامل الصباح بعكس كل ما هو قائم، ابتداءً بمحنة المدرسة في حرب لبنان وخاصة تعليم الفيزياء وانتهاءً بوضع التقدم العلمي بشكل عام في بلادنا كافة، مروراً بأزمة الثقافة والتنمية والحلم الوطني الواحد.

لقد نشأ الصباح في ظل تطلع إلى العلم الحديث كانت بلدته النبطية رائدة فيه والآن بعد شعرات السنين على وفاته نجد أنفسنا في حاجة إلى عقد الندوات لا لنكرم النابغة فقط، بل للعمل من أجل التمسك بمكان العلم في وجه مختلف الموجات التي تهب على وطننا. إن الرجل الذي عرف ومارس قوة التكنولوجيا كان أول ما دعا به بني قومه إلى التقدم العلمي قوله:

إن التقدم العلمي يشفي النفس العربية من الجراثيم أي من الانقسامات السلبية والغرائز معبراً عن حاجة هذا الوطن في زمانه وفي كل زمان إلى ما طاقات العلم الظاهرة والخفية من قوة، ويانتظار اليوم الذي نستطيع فيه أن نضع العلم في موضع من حياتنا تبقى سيرة هذا الرجل عاملاً في تكوين شعور بالإثم تجاه العلم والعلماء، في ضمير كل مواطن مستنير، وهو في الحقيقة شرط الصدق في طلب التقدم.

يروي أن جمال باشا التركي يرافقه الأمير شكيب أرسلان كانا في زيارة لزعيم جنوبي كبير في داره بالجنوب، وخاطب الزعيم جمال باشا قائلاً: هذا هو الجنوب كله يستقبلك، فتدخل أرسلان سانلاً: ولكن أين علماؤهم؟ فعجب الزعيم للسؤال وأشار بيده إلى عمائم جليلة كانت في المجلس فكرر الأمير شكيب السؤال: إني أسألك عن العلماء وحدد أين مشايخ النبطية؟ في الواقع فإنه في النبطية بالذات بلدة الصباح كانت تحصل عند رجال الدين أنفسهم وخارجهم عملية تمايز بين المعنى الدارج يومذاك لكلمة العلم الذي يقتصر على التعليم الديني وفروعه والمعنى الشامل والعصري لها.

وفي مجلس الشيخ أحمد رضا خال حسن كامل الصباح كان الحديث لا ينقطع بين الحاضرين عن مجلة «المقتطف» العلمية وما تحويه من مقالات تتناول مختلف المواضيع، وكان مشايخ النبطية يكتبون فيها في بعض الأحيان، وإن كان أكثر إنتاجهم للعرفان ومجلات المشرق العربي. هذه صفة أولى من صفات البيئة التي نشأ في ظلها حسن كامل، وصفة ثانية هي أن الحركة التي كانت ناشطة في الحاضرة الجنوبية في ذلك الحين تميزت بروح العمل الإيجابي والنشاط الحيوي المنتج فرجال هذه الحركة كالشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والأستاذ محمد

جابر وسواهم ومنهم عمّ الصباح الشيخ سعيد، كانوا قوميين ووطنيين ومسلمين، لا لأنهم كانوا يتخذون المواقف الشريفة ضد المستعمرين والظالمين فقط، ولا لأنهم كانوا ينادون بالوحدة العربية فحسب، ولا لأنهم كانوا يمثلون جبل عامل ولبنان كله في المؤتمرات القومية والندوات والجامع العلمية، بل لأنهم كانوا شأن سيادة المطران غرغوار حداد اليوم، يقومون، ببناء مؤسسات وينتجون مدارس ويساهمون في إطلاق مجلات تخدم مجتمعهم.

وبالمقارنة مع أجيال أخرى قبلهم وبعدهم من القوميين والوطنيين والإسلاميين، نجدهم أوضح إيجابية وأكثر عملية من سواهم، لقد كانوا رجال عمل لا رجال علم فقط، وكانوا جديين في التعاطي مع أهل السياسة في زمانهم بقاء أن تكون حياتهم أقدر على العطاء الفعلي لأمتهم. كتب الصباح إلى صديقه الفيزيائي أميل جبر ضومط يقول: أتوسل لله أن يمن علي بالرجوع للوطن لنتمكن من خدمته معاً خدمة قل من طرق بابها، وهي السعي لترقيته ترقية، تلك هي رسالة الصباح، وتلك هي بالضبط روحية التراث النهضة في بلدة النبطية عند نشوئه.

ومن المفارقات في حياة الصباح أنه وهو غارق مختبرات (جنراك الكترك) يجري التجارب العلمية ويسيل عرقه ودمه في طلب المعادلات المولدة للاختراعات الجديدة، كان يلح على خاله في مسقط رأسه أن يرسل إليه شجرة العائلة، حريصاً على متابعة اتجاه غصونها الوارفة، مدلاً لا بالشجرة فقط، بل بدرجة اهتمامه فيها أيضاً على أنه عربي من رأسه الملتف بالكوفية والعقال إلى أخمص قدميه، وكان يريد أن يعطي لأمته بعض الحصة في كل ما يكتشف من جديد.

وهو في ذلك مختلف عن بعض اللبنانيين في نظرتهم إلى ما ينتجون، فقد ذهب مرة صحافي لبناني إلى فؤاد أفرام البستاني يأخذ منه معلومات عن سعيد البستاني المتوفي في حينه فراح فؤاد أفرام يسرد له أعمال الراحل واتصل الحديث بغيره من البستانيين الذين برزوا في مجالات اللغة والأدب والثقافة العربية، فقال الصحافي في نفسه لعلها فرصة لترقيق قلب فؤاد أفرام البستاني القاسي على كل ما هو عربي، فقال له: هذه اللغة العربية الغنية كم أحسنتم أنتم آل البستاني في مجالاتها فكانت لكم مجداً، فؤجئ الصحافي بالجواب: نحن آل البستاني لو تخصصنا في الصيني لبدعنا فيه.

وقد كنت أثناء وجودي في الجامعة الأميركية في جمعية العروة الوثقى التي كان قد مر بها قبل ربع قرن حسن كامل الصباح: وفي جدلياتنا السياسية كطلاب كنا نفتخر بالعروبة كحقيقة وخيار وكنا نقول ونحن نستمع الى مفاخرات دعاة الفينقية واللبنانية الضيقة: الحمد لله على العروبة فانها تكبر العقول فالأطوار العام الذي تضعه الفكرة العربية لأصحابها هو أطار واقعي وطبيعي وليس فيه مبالغاة ولا افتعال او اصطناع.

وقد كانت عناية الصباح بالشجرة العائلية فوق ماهي حنين الى الاهل والمنشأ والوطن ذات صلة بسياسة المجتمع الأمريكي إزاء المتفوقين والنوابغ.

ولاشك في أن الولايات المتحدة أرض يسر لا أرض عسر، وأنها بالإجمال لا تبخل بالفرص على أبنائها والمقيمين فيها، بل إنها كما هو معروف تغري كل عبقرى بالذهاب إليها في ما يسمى

بهجرة العقول، ولكن مما لاشك فيه أيضا أن لمؤسساتها سياسية تجاه أنساب المتفوقين والنوابغ، فهي لا تسلم بسهولة بالنسب غير الأوروبي وخاصة العربي لأي نابغ.

وقد صدف إن كنت في أمريكا عندما مات يوسف بيدس المصرفي والاقتصادي المعروف فقال لي صديق: اقرأ مجلة التايم فإنها كتبت ثلاثة أعمدة عنه وهذا اهتمام خارق بأي إنسان فأخذت المجلة ولاحظت بالفعل حجم الحيز المعطى للرجل. ولكن ما إن بدأ حتى فوجئت فبعد اسم بيدس مباشرة في أول المقال جاء تعريف به إنه فلسطيني، أرثوذكسي، من أصل روسي، كانت كلمة روسي وهي الثالثة في المقال.

وكان في وضعها هكذا، وبهذا الترتيب مدروسا بالطبع حتى ولو صحت نسبة بيدس من بعيد إلى الأصل الروسي، فالهدف الظاهر هو أن لا تذهب الإنجازات التي تحدث عنها المقال لمصلحة الذكاء العربي. ولكن عروية حسن كامل الصباح على كونها مصدر مشاكل له كانت أيضا صاحبة فضل في قذفه إلى مقام الريادة بين المتفوقين من علماء أمته ومخترعيها، فارتباطه الدائم بمشروع قومي كبير يخدم به بني وطنه من محوافر حماسته العلمية وخصوصا من حوافر مخيلته الإبداعية. ونحن نعرف من واقع تجربة مجتمعنا أن بينات الأحلام والمبادئ القومية كثيرا ما تزود أهل العلم والتقنية ورجال الأعمال والصناعة والتجارة برؤية كبيرة توسع من آفاقها وتزيد من قدرتهم على تحقيق الإنجازات والنجاح في مشاريع ضخمة تكون إلى حد بعيد وليدة التزاوج بين ما تعطيه الرؤية القومية من سعة أفق ومعطيات التقدم العلمي والتقني وأحيانا العمل الهادف إلى الربح العام والخاص وليس من قبيل الصدفة - مثلا أن من أكبر رجال الأعمال والمال والمشاريع عندنا رجالا كانوا متفرغين للعمل القومي وحتى الحزبي في مرحلة من حياتهم وهذا التزاوج السعيد وإن كان قد حصل في بلادنا عبر بعض الأفراد والؤسسات في ظواهر موفقة من اتحاد الخيال والرؤية والعمل العمراني والتوظيف المالي إلا أنه ما يزال عندنا محدودا بالقياس، إلى ما هو في الغرب، وقد كان أكثر محدودية في فترة عمر حسن كامل الصباح القصير.

وقد اتفق في حس الحاجة إليه وضروراته أفراد في المهجر الأمريكي آنذاك مختلفو المواقع والثقافة والمواهب كحسن كامل الصباح والشيخ خليل بزّي والدكتور مصطفى الخالدي. الثاني عصامي حركي صاحب علاقات عربية هامة مستنير وذو خلفية وطنية تشبع بها من بلده الأصلية بنت جبيل، والثالث طالب طب من مدينة بيروت متحرق إلى نقل وطنه بسرعة إلى عصر الحرية والقدرة العلمية، لمع في الطب فيما بعد، وأنشأ مؤسستين: مستشفى متقدما وأول كلية عربية للتمريض وكان في الحقل الوطني من أوائل المندفعين لنصرة القضية الفلسطينية وهو أحد اثنين ألفا كتاب (التبشير والاستعمار).

وبالمناسبة قد يكون هذا نموذجا من الصداقات الثمينة والحارة التي أحاط بها الصباح نفسه حيثما ذهب، فهؤلاء الرجال بالإضافة إلى رجل ظاهرة كالنائب السابق عبد الله الحاج المثقف الفلسطيني نظمي العنتباوي والشاعر الكبير إيليا أبو ماضي والفيزيائي الأستاذ في جامعة بغداد ومعرب المصطلحات العلمية ووضع الكتب الدراسية المتقدمة أميل ضومط، ونمط من علاقات حسن كامل الصباح المنتفاة والرسالة التي بعث بها الشيخ خليل بزّي من ديترويت إلى

الملك فيصل الأول في العراق والأمير شكيب أرسلان (وحقق نسبتهما إليه الأستاذ سعيد صباح في كتابه عن حسن كامل) هي صورة عن واحد من الأحلام العلمية القومية التي ملأت قلب النابغة اللبناني العربي المسلم. وكان قد كتب بشأنها إلى خاله الشيخ أحمد رضا وعمه الشيخ سعيد الصباح اللذين شجعاها على مفاتحة الملك الهاشمي بالفكرة، وتحدثت الرسالة عن تأسيس مصانع لعمل المواد الحديثة التي تكون مقدره الحكومات وإنشاء معاهد للبحث والاستصفاء العلمي.

تلك المؤسسات التي ربما كان نتاجها، كما يقول البزي، أن تحول الصحراء العربية إلى بلاد معمرة أهله بالسكان وذلك يمكن حصوله بدرس المبدأ الذي دعمه العالم الطبيعي العربي حسن كامل الصباح لتحويل أشعة الشمس إلى قوة كهربائية رأساً وربما أمكن التوصيل إلى تصميم خزان كهربائي يكون أخف حملاً وأشد قوة من الزيت.

وهذه الرسالة بالنسبة إلى زمنها تحمل طموحاً لا يقل وربما يفوق على سبيل المثال مشروعاً كمشروع المفاعل النووي الآن أو صناعة الأسلحة وما يشابهها.

إن الخروج من التخلف هو معركة كاملة، وهي معركة تستلزم أولاً قراراً سياسياً بها، ثم قناعة بالموقف الاستقلالي كأساس في هذه المعركة لأن ما يجيء إلى بلادنا من تحديث وقوة تقنية عن طريق التبعية والتمديد الاقتصادي الأجنبي ليس خالياً من الغرض ولا ملبياً لمصالحنا،/ وثالثاً قناعة بأن المعركة هي معركة مستوى ينبغي أن توظف فيها، العقول والقدرة العلمية والتقنية المحلية كمصدر لأفكار عملية ترافق وسائل التنمية وتزيد من مقوماتها وتجعلها أسلم وأقل تكاليف وأربعها: قناعة بعدم ضرورة المرور بكل مراحل التطوير التي مر بها الغرب وبإمكانية اختصار الطريق إلى التقدم عبر الأخذ بها وصل إليه الغربيون وتطبيقه، تطبيقاً مبدعاً وخلاقاً يضعنا في المرحلة التي وصلوا إليها الآن، كما فعلت اليابان. وربما كنا قادرين على أن نسبقهم. هذا التصور نجده في رسالة الشيخ البزي هو أيضاً تصور الصباح نفسه لطريق التطور ويسجل الصباح في رسالة إلى محمد أمين أبو حسن فضيلة أخيرة من فضائل التقدم العلمي، هي أن التقدم العلمي ضروري لأنه يشعي النفس العربية من الجراثيم، ويقصد بالجراثيم أفكار التخلف والانقسام والتعصب السلبي تريدها الصهيونية في مجتمعنا.

وقد كل يؤيد على هذا الأساس نزعة، نزعة السيد محسن الأمين الإصلاحية في الدين وكل مظهر من مظاهر حركة التحرير العربي.

إن حسن كامل الصباح هو أجد العرب القلائل الذين شعروا بسبب مستواهم العلمي والتقني وظروفهم أنهم داخل غرفة عمليات التقدم التكنولوجي في أرقى بلاد العالم، وكان يتكلم بلهجة من يريد أن يثبت لأمتة سراً عرفه وهو داخل غرفة العمليات فأبسط حديث يتناول به مسألة تخلف أمتة مشحون بهذه الحماسة حماسة من عنده سر ويجب أن يطلع الناس عليه.

فهو في الوقت الذي كان فيه يكتب الرسائل ينتقد طريقة الأمريكيين في الحياة وقيمهم وانغماسهم في المادة، ووقف في الولايات المتحدة بعنف ضد أفكار راجت فيها خلال أزمة ١٩٢٩ الاقتصادية تقول بأن التقنية والآلة خلقنا الشقاء للإنسان فدافع الصباح بحماسة شديدة عن التحديث والآلة والتكنولوجيا وكأنه خشي أن تصل هذه الأفكار إلى بلاده فتكون عامل تخدير

ورضى غير مبرر بالأحوال القائمة.

وقد وقف موقفاً تقديمياً في تفسير الأزمة وأسبابها بأنها ناتجة عن سوء التوزيع وسوء التوظيف لإنتاج الآلة.

موقفه شبيه في التصور والروح بموقف الأستاذ المصري الجامعي ياسين العيوطي بعد أربعين عاماً، في اللجنة الاقتصادية الاجتماعية التابعة للأمم المتحدة، فقد كان البحث يدور حول تصنيف الدول بين متخلفة ومتقدمة ووضعت مصر والدول العربية الأخرى في عداد الأمم المتخلفة.

فقام العيوطي يقدم مداخله اعتمدتها اللجنة في النهاية، وهي أن لفضلة الأمة المتخلفة تنطبق على الأمم التي ليس فيها عنصر بشري متعلم ومتخصص وماهر كبعض مجتمعات أفريقيا وآسيا وكان رأيه أن الأمة العربية ليست متخلفة بهذا المعنى فهي بذلك متميزة عن هذه المجتمعات. وكلها من جهة أخرى في غير وضع الدول الأوروبية وأمريكا لكونها لم توظف العنصر البشري المتطور توظيفاً حسناً، أن الأمة العربية في وسط بين الأنظمة المتخلفة والأنظمة المتقدمة، ومشكلتها سياسية بالدرجة الأولى.

وهذا الحس بأن التنمية في بلادنا مشكلة سياسية موجودة عند حسن كامل الصباح وموجود أيضاً عنده الحس المبكر بأهمية النفط لنا وعليها.

لعل من أبرز خصائص زمننا العربي، وقد اتضح ذلك أكثر بعد وفاة الصباح، ذلك التزامن والتوازي والتأثير المتبادل طردا وعكسا بين تطور القومية ونهوضها واكتشاف النفط وتكاثر إنتاجه وعازم دوره.

ففي الخمسينيات والستينيات والسبعينيات عشنا وها نحن في الثمانينيات نعيش كل هموم العلاقة بين المواقف الدولي من النفط الموقف الدولي من القومية العربية، فهم إذا كانوا يحاربون القومية ويصرون على هزيمتها من زمن الصباح فإن خوفهم على النفط في مرحلته المعاصرة زاد من تصلبهم في وجه الأمة العربية، كما أن خوفهم من نهوض القومية العربية جعلهم متشددين مع النفط العربي، فكاننا منذ أيام مخترعنا العبقرى نجد كأنفسنا في مواجهة مشكلات جديدة متصاعدة ومتعقدة باستمرار.

وربما كان عند حسن كامل الصباح شيء من السذاجة وهو يفترض قيمه ومفاهيمه ومستواه منسحبة على أوساط أصحاب القرار السياسي العربي في زمانه، ولكن هذا القليل من السذاجة هو إمارة النفس المطهرة بالعلم من الجراثيم، بل هو إمارة أصالة وتفرد ثورانيين. أنه يرفض أن يرى في واقع أمته المتردي صورة دائمة لقيمتها وقد يكون من أنبل ما في شخصية هذا الإنسان، البحث المستمر عن روح جديد، يطلقها العلم المجتمع ينبغي أن يصر على طريقه المستقل وحقه بأن يكون كما كان من صناعات التاريخ الإنساني، وهو من رواد الإيمان بالتنمية المستقلة المنفتحة التي يتأكد اليوم أنها التطبيق العلمي والعلمي للنزعة القومية التي كانت مقتصرة في الماضي على مدلولها السياسي البحث، وقومية حسن كامل الصباح وقد مات في سن الرجولة المبكرة، لم تكن في ما قال، بل في ما كان يشعر به دوماً من كرامته وكرامة أمته وما يؤمن به من طاقتها وحقوق أهلها وما كان يتحرق له من وسائل خدمتها ومشاريع النهوض بها.



الشرق ماد أسي في رثاء حسن كامل الصباح الشيخ سلمان ظاهر: (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)

لك كامل وبنو الفرنج ويعرب
لكنما حاز الرهان الأقرب
فيه أناف على الشروق المغرب
عرفانه وله جناه الطيب
لكنما الشرق القريب المذنب
ولقد يضيق بها الفضاء الأرحب
لسوى بنيه مره معذوذب
لبنيه فهو بكل أن منجب
هو عن سواك مغيب ومحجب
و يسير خلفك خانفا يترقب
وزمامها بيديك سلسا يجذب
أي امرئ في سهمه لا ينكب
لب ولا قلب يرق ويحب
صنعا وما غير الحديد لها أب
هلا بها لك بأن حتف مقرب
اصطدمت همومك والزمان المتعب
في غير ما تهوى الجسوم وتطلب
عذب الحياة لورد ما هو أعذب
ك وإن صفا لك ورده المستعذب
حك من زلال السرمدية مترب
من كل غامضة مرام أصعب
نظرا به ذهن المهندس ملغب
منها المحال لديك وهو مقرب
ألقي إليك زمامه المتصعب
مما أحطت بعلمه يتكهرب

الشرق ماد أسي وريع المغرب
الأمتان تجاريا بمدى الأسي
أما اكتناه الخطب فيك وهوله
ومن الممض بأن يوضع به شذى
تالله ما الغرب القصي بمذنب
قد ضاق فيك فلم يسع لك همة
ويمر ما احلولى به لبنيه إذ
والشرق مهما قد تنكر دهره
يا كاشفا من سر كل خبيثة
هلا انجلى لك سر غدر الحتف وه
قد راح مقتفيا خطا سيارة
فرماك في سهم فأقعد والردى
عشواء تخبط باليدين وما لها
أنى تلين وللجوامد تنتمي
الكهرباء ولقد كشفت رموزها
أبصدمة لاقيت أم به
أم ان تطلب نفسك الاسمى مشى
وشغلت في طلب الحقائق تاركاً
أم ان علم الأرض لم يرو ظمأ
فخلعت جسمك كي يروي ظمارو
أو قليدس الشرق الذي لم يعيه
في أي شكل هندسي لم تجل
لورمت تسبيغ الدوائر لاغتدي
سر الرياضيات وهو معقد
أديسون رب الكهرباء وأنه

هل كان انشتين أنفذ فطنة
إن كان بالتسبية استعلى وما
ومشى بها يزري بنيتون وفي
فلقد نقضت بحكمة شرقية
وملكت من شمس النهار شعاعها
لو شئت أن يحيى موات الأرض فيه
هلا بقيت لكي تشاهد من قصي
تتلو عليهم حكمة شرقية
هو موطن الإلهام كم فيه بدا
فاران فيه مثل ساعير وسيد
وكمثل أورشليم في تقدسها
وعرفت عرفان الخليل الله لم
ورأيت في السفيرين من أكوانه
من لم ير الرحمن في ملكوته
صدع بشمل العلم فقدك جامعا
أنهيض أجنحة وتفجع ثاكلا
للجائب الغريبي منهم أعين
وكانهم جهلوا بأن الشهب في الأ
فاذا الذي جزروه منها سانحا
وإذا بكوكبك المدل بسنوره
يا «كامل» ما أنت الا صفحة
هي كالثاني أيها متلوة
نم هانيا وانعم بذكر خالد

بالغيب منك وهل لديك مغيب
أن جاء إلا بالذي هو مغرب
خيالاته أمسى يدل ويعجب
ما قد بنى وإذا بذاك مطنب
فشاعها لزماد ذهنك مجنب
عاد خصبا كل ما هو مجذب
الترب في الشرق نجمك يرقب
تعزى لشرقهم الحكيم وتنسب
للوحي والإلهام قدما كوكب
ناكم غشاها للملائك موكب
وكبيت لحم في الجلالة يثرب
يصرفك عنه مشكك ومكذب
وبيانه النور الذي لا يحجب
فهو الذي عن لبه متنكب
أشتاته هيهات بعدك يشعب
وأبا عليك دموعه تنصب
فيها استطال تصعد وتصوب
فاق منها طلع أو غرب
هو بارح لكن بنعيك ينعب
يمسي كسر في الجوانح يحجب
بيضاء فيها كل فخر يكتب
في الدهر والأمثال فيها تضرب
هو خير ما يبقى الحكيم ويعقب

وممن رثاه أيضا الشيخ علي مهدي شمس الدين العاملي (من قرية خربة سلم) ومما قاله:

قم فجاج الأثير عن مضمراته
وكشفت الدفين من غامضاته
يستنير الظلام من لامعاته
بهر العالمين في آياته
زورة أغرقته في عبراته
شرق وقصرت الخطير من نكباته

أيهذا المقيم رهن سباته
قد سبرت الفضاء سبرا دقيقا
ثم أبرزتها على الأرض نورا
معجزا كنت في صنيعك حقا
مرحبا زرت مسقط الرأس لكن
كنت للشرق خير ما يرتجي الـ

أخبار سكينه بنت الإمام الحسين (عليه السلام)

رواية وسماع

أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن جميل العافري المالقي^(١)

المتوفى ٦٠٥ هـ = ١٢٠٨ م

عن النسخة المحفوظة بمكتبة تستريتي المرقمة ٣٠١٦

يعود نسخها الى القرن الثامن الهجري

فيه من أخبار سكينه بنت الحسين
عليه السلام رضي الله عنها

سماع لعلي بن محمد بن علي بن جميل العافري المالقي
من الشيوخ المذكورين اول كل خير وحكاية

كاملت الكوفة

هوئله

(١) إمام قبة الصخرة في القدس، أيام صلاح الدين الأيوبي، اندلسي الأصل والمنشأ، من أهالي مالقة، جاء إلى المشرق في شبابه وحج واستقر في القدس وبقي فيها حتى وفاته.

فهي سكنينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب لهذا الخبر مشهوره وقد
 روت عن أبيها روى عنها فابيد المذني ٥ أحسن الخلفاء أبو محمد
 القاسم قال أنا أبو العزيم الانطاري في كتابه وحدثنا أبي عنه قال أنا أبو
 الحسين الكيوري أنا علي بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي رستم البرمكي قال
 أنا أبو عمر بن حبيب بن أبي محمد بن محمد بن عبد الواحد أنا ثعلب بن عباس
 الأعرابي قال نزلني عوسكينه بنت الحسين بن علي جات وهي صغيرة
 إلى أمها وهي تنكر فعالت لهذا ما لك فقال مدت بي ذبتني فلتعنتي
 بآتيه فلو جعنتي فكنيته ٥ أحسن الخلفاء أبو محمد القاسم
 فراه عنه بدمشق قال أنا أبو الحسين محمد بن كامل بن محمد بن أحمد بن
 عمر المسلمه أذنا أن أبا عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى أجاز لهم قال
 محمد بن أحمد الكاتب نا عبد الله بن أبي سعد الزرقاني محمد بن أحمد بن عيسى
 حدثني محمد بن الفضل النعماني حدثني أبو مسلم الخشاب قال لما خرج
 متعجب من الزبير فطار على عشرة أيام من الكوفة كتب إلى ملكينه
 بنت الحسين عليه السلام
 وكان عذرا أرايت وبيتنا شجار فقد أصبحت منك على عشر
 وأتكلما والله للعين فاعلمي إذا أردت مثلها فاصرت على شهر
 وأتاك لعين منها اليوم أنتي أخاف بأن لا نلتقى أخرا لله فسر
 فلم يزل انشأت سكنينه تقول
 فان تقتلوه تقتلوا الماحذ الذي عير الموت إلا بالسيف جرا ما
 وقيلك ما خاض الحسين فيه إلى السيف حتى وردوه جما ما

أحمد سر الكافكة ابو محمد القم فراه عليه بد مسق قال انا ابو بكر الشامي
 اذ ما ملنا انا ابو حامد الازملي انا ابو سعد بن حمدون انا ابو حامد بن
 القسري بالمجدي في ابو صالح حديثي اللقيث حديثي بنو شرع بن شهاب
 في المراه تنكح نفسها بغير اذن وليها قال زوجته سكينه بنت
 حسين نفسها ابنهم بن عبد الرحمن بن عوف فكتب فيها هشام بن
 اسحق بن عبد الملك بن مروان فكتب عبد الملك ان يفرو بينهما
 فان كان دخل بها فلهما صداق ما استعمل منها وان لم يدخل
 بها فخصمها مع الخطاب ه أحمد سر الكافكة ابو محمد القم
 قال انا ابو عبد الله سر البنا اذنا وحدثنا ابي عنه وعن اخيه ابي غالب
 وابي الحسن بن القرا قالوا انا ابو جعفر بن المشكمة انا ابو كامل المخلص
 انا ابو عبد الله الكوسعي الزبير بن عمار قال حديثي محمد بن سلام
 عن شعيب بن عكر عن ابيه سعد بن سعد بن عبد الله بن سلام
 قال لقيت سكينه بنت حسين بن مكيه ومنا قال وقالت
 فبقي يا بنت عبيد الله وكشفت عن ثنيتها قالت فاذا انا
 قد اقلتها بالكلبي وقالت ما البشيتي اياه الا لتفضيه ه
 أحمد سر الكافكة ابو محمد القم والقاضي ابو الهوام بن ابو الحسن
 عبد الله بن احمد بن محمد بن عمرو بن عمرو فراه بد مسق قالوا انا الكافكة
 ابو القم علي قال انبأنا ابو الفرج عتيق بن علي الازملازي
 قال اخبرني ابو بكر احمد بن علي بن ثابت قال انا ابو نعيم الكافكة

أحمد سر الكافكة ابو محمد القم فراه عليه بد مسق قال انا ابو بكر الشامي

قال سليمان بن ابراهيم بن ابي خليفه ما محمد بن سلام قال سمعت ابي يقول
 قالت جارية سكنينه لسكنينه بالباب رجل يقول لي حاجة
 والسطح حاجته قد قبت ثم عادت قالت يقول لي حاجة حتى
 فعلت ذلك مرة او مرتين واكثر قالت فلعلها ما حاجة اليك
 الى الذ حاجة ؟ احببوا الخافك ابو محمد الفهم فراه عليه بن موسى
 قال انا ابو منصور بن رزيق اذنا وحدثنا ابي عنه قال انا ابو بكر الخطيب
 احببنا ابو الحسن بن علي بن ابي الفهم ما محمد بن عثمان بن موسى الرزقاني
 حدثني محمد بن كاهل الكاهل بن ابي الحسن بن علي بن ابي الفهم ما عبد الله بن شبيب
 حدثني عمر بن عثمان قال مات سكنينه بغزوه برأثينه فمالت له
 يا ابا عامر انت الذي تقول

يا نكخرة لي ضرت يوم ذي الحجة حتى مت لي هذا الضر في بصرى
 قالت وايتشتمها بصرى فميت به قد كنت عند قبب السمرقند
 الست تبصر من حولي فقلت اما عظمي هواك وما التي على بصرى

وانت القابل
 اذا وجدت اذى للحب في كبدك قبلت نحو بقاء القوم ابترد
 منذ ابتردت ببرد الماء كما مره فمن الجوع على الاضواء يتهدد
 قالت فمن خراير و اشارت الى خوارها ان كان خرج منذ ان قلب سليم فكم
 احببوا الشجع الطام ابو الحسن بن عبد الرحمن بن احمد بن حمزة بن علي بن عرو
 بن محمد بن عبد الله بن احمد بن ابي كافي قال ما عبد العزيز بن ابي كافي
 اما قام بن محمد الرازي انا ابو الحسن بن احمد بن عبد الوارث بن ابي عبد الله

عباد البصري قدم دمشق ونزل في دار خذرجه في كنفه سبع ولسون وثمانية
 ما محمد بن بكر بن الغلابي بالمحمد بن عبد الرحمن بن الميم جدي ابن عمر محمد بن الرازي
 جدي بعض أهل الكوفة قال خرجت حاجا فأتيت منزلا سكنته ابنه
 الحسين فقبلها عليها معكها الحفما قال فليت بها يا أباها الفرزدق وجبر
 وكثير غزه وعجل والناس مجتمعون ما بين مقتبس من علمهم وذاكر
 اليمهم فلم يلبث الا يسيرا حتى خرجت جارية لها عليها قميص
 كاش شعاع الشمس فما بين جلدنا وقميصها واذا هي نبطا غمبول
 لم يشمها فصر ولا كحول هالت سيدتي تفرا على حكم السلام ونقول لكم
 اين الفرزدق فقال ما ندنا قال يقول لك سيدتي انت الغليل
 ان الذي همك السما بنا لنا بيتا دعائمه اعزوا وحول
 بيتنا بناه لنا المليك وما بنا ملك السما فانه لا ينقل

وانت الغليل
 مما دلتنا في من ثمانين قامة كما انقضت نازا قمت الرأس كما ستره
 فلما امشوت رجلا في الارض نادنا ايجي نرجا ام قتل نجادره
 فاصبحت في القوم القعود واصبحت مغلفة دون علمها دساكره
 قال نعم انا الغليل ولدت سنوة لك قضت حاجتك وانت مفرتك
 ثم اخبرت عنها وعن نفسك وهنتك سترها منك الله سترك ثم
 انصرفت فلم تلبث الا يسيرا حتى خرجت هالت انكم جبرير فقال
 انا ذا قال يقول لك سيدتي انت الغليل

يا ام ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل نوم العذل
 واذا غدوت فباكرتك اخيه سبقت سروح السماجات الجحافل

لو كنت اعرف ان اخر عندكم يوم الرجل فعلت ما لم افعل
 قال نعم انا العالم بهذا فقلت غفر الله لك يا با حنزة وانت العالم
 سرت الموم فممن غير فيلم واخوال الموم يروم كل مرام
 دم المنازل بعد منزله اللوى والعيش بعد اوليك الاقوام
 كمر قنك طابدة القلوب وليس ذوقت الزبارة فارجع لسلام
 قال نعم انا العالم بهذا فقلت فستوة لك جعلتها طابدة لقلبك
 حق اذا انا خت ببابك القيت مرد ونها هيا بك وقلت ليس ذ
 وقت الزبارة فارجع لسلام ويك وهل تحور الزبارة الا بالليل
 الا رفعت حجابك واخذت بيد ما وقهرت مجلسها ولم ترد ما
 بحسرتها وقلت هذا وقت الزبارة فادخل سلام فستوة لك
 قال اجل فستوة لي ثم انصرفت فلبثت قليلا ثم خرجت
 فالت ايكم كثير فخره قال ما اذا فالت يقول لك سيد تر انت العالم
 ازاعى نحو ما في السما كاشي اوكل باللاق تعيب وتطلع
 اذا ما بدا نجم يلوح بانه يصر لقلبي فقلبي مشروع
 شفيق فمن حول اشتياقي الى الهى سبتى فعينى تستل وتبع
 قال نعم انا العالم بهذا فالت غفر الله لك ولقومك ولا كتب عليك
 هذا الكلام سيئه ابدا واس العالم
 وكنت كدى رجلين رجل صحيحه ورجل رعى فيها الزمار فلبثت
 وكنت كذا ان الخلع لما تقاطعت على كل عبا بعد القفار استقلت
 متبنا تروبا غير داما لرعة مزاج عرا ضنا ما استجليت
 فما انا بالداعي لعة بالتردى ولا شامت ان نعل عزة فالت

قال انا القليل هذا قالت غفرا لئلا لك ولقومك ولا كتب عليك سدد
 الكلام سبعة ابداء وانت القليل
 واجتنبى يا عمر منك خلايق كرام اذا غدا الخلايق اربع
 ذنوب حتى تذكروا العاشق السور ونقدك اشباب الهوى خير يجمع
 لزمت لنا بالخل منك كبرياء فليتك ذا الوئس يعطى ومنع
 قال نعم انا القليل هذا قالت فسوءة لك جعلتها ذا الوئس عطى
 من سخطو المنع ومنع من استعدوا الاحسان والعصية قال نعم فسوءة لك
 وانصرف ففلم يلبث الا يسيرا حتى خرجت فقالت ايكم
 جميل فقال هانا ذا قالت بقول لك سيدتى انت القليل
 ايا من اجاب العبد ايوب اذ دعا وكان كقول ليله يتململ
 ويا من دعا يونس فاجابه لئلا كلمات جوف جوف يملل
 ويا من قد اشفق منه برحمته وزد الى يعقوب ما كان يامل
 على النبي زد من جمع الهوى فاني به في كل يوم او كل
 والا فتوتا ان الموت راحة وفي الموت راحة لمن كان يعقل
 قال نعم انا القليل هذا قالت قد راى الله مكانك يا مسكين ولقد اكرمت
 التصرع الى ربك حين قلت يا من يا من واسم القليل
 لقد ذرفت عيني وكال سجودها واصبح من نفسي فقينا صبيها
 فلا انا ارجو ان نفسي صحبه ولا الموت فيما قد شجها يترجمها
 الا لئلا نجنا جميعا وانمت نجاور في الموتى ضريحها
 فما انا في كحول الحياة براغب اذا قيل قد شوى عليها صديقها
 اكل ثماري مشجها ويلتقى لئلا الليل وحى في المنام وزوجها

قال نعم انا العاقل ماذا قالت غفرا الله لك ولقومك يا الخاذله
 ولا كتب عليك بهذا الكلام سينه ابدا وانت العاقل
 الا لئلا اعمى اعمى تقودني بئس ثمنه لا تخفى على من كان بها
 قال نعم انا العاقل ماذا قالت الجارية تقول لك سيدتي ارضيت من
 الدنيا وعيشتها ونعمها ان تكون اعمى الا انه لا تخفى عليك كلام
 بئس ثمنه قال نعم قد خلت فاخبرت ثولاها ما سمعت من لفظه فلم
 تلبث الا لسيرا حتى خرجت الجارية ومعها كيس فيه القادر زم
 ومنديل فيه اصداف فعالت تقول لك سيدتي اقطع لك هذه الثياب
 وانفق هذه الدراهم فاذا انقذت فالتنا فان لك عندنا المواباة
 وامرت للشعر بالالف الف م احمد سر بالخالفة ابو محمد
 اللهم وراه عليه بدمشق وابو الفضل اسمعيل بن علي بن ابراهيم الخنزوي
 وابو كمال بن ابي اسحاق بن ابراهيم الكوفي قالوا انبانا ابو الحسن علي بن
 المسلم الفرضي قال انا ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسن بن السراج
 انا ابو الحسن عبد العزيز بن بنين دار الشسر ازي ممكة انا ابو بكر
 احمد بن علي بن ابي الهيثم بن انا ابو منصور احمد بن سعيد البخاري
 باسم بن شاذويه البخاري باعس بن الحسن بن انا ابو احمد الفوي
 الكشي عن ابي عميرة معمر بن الحسن قال حدث عوانه بن الحكم
 قال اجتمع في ضيافة سكيته بنت الحسن بن علي بن ابي طالب
 ومي تحت مصعب بن ابي بكر الفرزدق بن غالب وخبير بن
 الخكفي وكثير بن عزة ونصيب وجميل بن معمر فمكثوا لنا
 فاذا نت لهم فجلسوا حيث تراءى ولا يرونها وتسمع كلامهم

سرب يه م وسيعه مدروب بعد حديد واه سجان فقلت ايهم
 الكروند وفعال انا ذا قالت انت العايل
 فلما دلنا في من ثمانين قامة كما انقض بنا اقم الرمش في الجوز
 فلما استوت رجلا في الارض نادانا اخي نجي ام قيتل لجا ذره
 فقلت ارفعوا الا شباب لا يشعروا بنا واقبلت في اعجاز ليل ابادره
 ابادر بوابين قد وكلا بنا واحمر من ساج تبص مسامره
 فاصبحت في القوم القعود واصبحت مغلقه دوني عليها دساكره
 ترى انها امستت حصانا وقد جرت لنا مراما بالذي انا شاكره
 قال نعم انا قاييله قالت فما دعاك الى افشا سرک وسرما الاسترت
 على نفسك وعليها خذ منه الا لف والحق يا ملك ثم دخلت الى
 مولا تها وخرجت فقالت ايكم جريه قال ما نذا قالت انت العايل
 بحر فمك صايدة القلوب وليس ذا خير الزياره فارحني لسلام
 تجرى السواك على اغر كانه يرد جذر من متون عجم
 لو كان عمدي كالذي حدثت الوصلت ذاك فكل غير ذمام
 اني اواصل مرادك وصاله بحال الا صلف ولا لسوام
 مال نعم قالت افلا اخذت بيد ما ور جيت بها وقلت لها
 ما يقال لثلمها انت عفيف وفيك ضعف خذ منه الا لفس
 والحق يا ملك ثم دخلت الى مولا تها وخرجت فقالت ايكم
 كثير فعال ما نذا قالت انت العايل
 واغجنني يا عز منك خلايو كرام اذا غدا الخلايو لمع
 دنوك حتى يذكرا الجامل الخبي ورفك اسباب الهوى حين يجمع

فوالله ما يدري لدرهم وصلته اينسأل اذ باعدت ام تبصرع
 قال نعم قالت ملحت وشكلت خذ هذه اللآلئ الاف درهم والحق باهلك
 ثم دخلت الى مولاتها ثم خرجت وقالت اقيم نصيبك فانها اذا
 قالت انت العليل

ولولا ان يقال حبا نصيب لقلت بنفسى النشا الصغار
 بنفسى كل مضموم حشاما اذا تكلمت فليس لها انتصار
 اذا ما الدل ضاعف الحشا يا كفاما ان يلاث بها الا زاز
 قال نعم قالت ربيقتنا صغارا ومحدثنا كبارا خذ هذه الاربعة
 الاف درهم والحق باهلك ثم دخلت الى مولاتها وخرجت فقالت
 يا جميل مولاتي بقرا عليك الاسلام ويقول والله ما زلت مشافه
 الى روثيك منذ سمعت قولك

الا ليت شعري هل ايتز ليله بوادي القرى اني اذ السعيد
 لكل حدث بينهم نسا شه وكل قتل بينهم شهيد
 جعلت حديثنا بشا شه وقتلانا شهيدا خذ هذه الالف الدرهم
 والحق باهلك قال وانا ابر لا انا احمد الحسن عليا قال
 ابو الحسن حامد بن حماد بن المهديك ما اسمي سيارا الاصمعيدي الملك
 قريب عن ابيه عن لبطه بن الهرزدور فقال قال اجتمع ابي
 وجميل بن معمر العذري وجبر بن الحنفلي ونصيب مولاي عمر
 وكثير عزة في موسم من المواسم فقال بعضهم لبعض والله لقد اجتمعنا
 في هذا الموسم لا نثر خير او ضرر وسبق لنا ان نقرر والى وقد تابع لنا
 في الناس شي تذكر به فقال جبر هل لكم في سكينه بنت الحسن بن علي بن
 ابي طالب نقصوا فسلم عليها ففعل ذلك يكون سببا لبعض ما تريد

فقالوا امضوا بنا فمضينا الى منزلنا فقررنا الباب فخرجت اليها
 جارية لها يد يده كخرقة فاقراها كل رجل منهم السلام باسمه ونسبه
 فدخلت الجارية وعادت فبلغتهم سلامها ثم قالت ايكم الذي يقول
 شرب العموم فبئس غير نيام واخوالهم نوم يروم كل مرام
 درست معالمها الراسم بعدنا وسعال كل مجلجل محكم
 ومن المنازل بعد منزلنا اللوى والعيس بعد اوليك الا نام
 كبرقك طريدة القلوب وليس نرا حين الزيارة فارجعي بسلام
 بحري السواك على اخر كانه يزد تهر من متون فسلام
 لو كنت طادقه لما حدثتنا لوصلت ذاك وكان غير فلام
 فالجربا ناقلته فالف فط احسنت ولا اجملت ولا صنعت صنع
 الجواكرم لا ستر الله عليك كما مننتك مسترك وسر ما انت تكلف
 ولا شريف جبر ردتها بعد طرد العيش وقد نجشمت اليك قول
 الليل الا نلت كبرقك طريدة القلوب فمرحبا نفسي فداوك
 فادخلي بسلام خدم هذه المحن بانه نديم فاستغن بها في سفر
 ثم انصرفتم الى مولاتها وقد اجمعتا وكل واحد من الباقيين يتوقع
 ما تجله ثم خرجت فعالت ايكم الذي يقول
 الاحبذا البيت الذي انا ما جره فلا انا ما سبه ولا انا اذا كره
 فبورك من بيت وكما نعيمه ولا زال مغشيا وجليد على مؤره
 فهو البيت بيت الكحول والفضل داما فاستعد ربي جد من هو خادره
 به كل موشى الذراعين يرقى اصول الخزامي ما ينقر كسايره
 فلما دلتني من ثامن قامة كما انقض باراقم الريش كما سره

فلما استوت رجلاي بالارض قلنا احج نرجي ام قتل نجاد ره
 فاصبحت في اهل و اصبحت قصري مغلقه ابوابه و دسار مكره
 فقال ابي يعني الفرزدق وانا قلته فالت ما وقعت ولا اصبحت اما البعث
 بتعريضك من عوده عندك محموده خدمته السمانه فاستعز بها
 ثم انصرفت الى مولا بها ثم عادت فقال ايكم الذي يقول
 فلو لا اني قال صبا نصيب لقلت بنفس النشو الصغار
 بنفس كل مضموم حساما اذ اكلت فليس لها انتصار
 فقال نصيب انا قلته فالت اغزلت واحسنت وكرمت الا انك
 صبت الى الصغار وتركت النامضات باحمالها خدمته السبع مائة
 درهم فاستعز بها ثم انصرفت الى مولا بها ثم عادت فقال
 ايكم الذي يقول

واعجبني يا عمر منك خلاق كرام اذا غدا الخلايا اذرع
 دثوك حتى يذكر الجامل الجبي ومدك اسباب الهوى جزع
 وانك لا تدري عريم مكلته اشتد ان لا فاك ام يتعزع
 وانك ان واجلت اعلمت بالذي لديك فلم يوجد لك الامر مخرج
 طال كثيرا فقلت فالت اقوت واحسنت خدمته النمل مله درهم
 فاستعز بها ثم انصرفت الى مولا بها وخرجت فقال ايكم الذي يقول
 لكل حديث بينهم بشاشه وكل قتل بينهم شهيد
 يولوز جامد يا جميل بغزوة واي جهاد غير من ارشد
 رافض لباغي وافضل مشدري اذا عجم لي ثنا ومن يعود
 فقال جميل انا قلته فالت اغزلت وكرمت وعفت ادخل فلما دخلت
 سامت فقال لي سكينه انت الذي جعلت قتلنا شهيدا وحدثنا

سنة وارتفع يوم السبت يوم ثوب فيه عطا وادفع ولم بعد ذلك
الجميع خذ هذه الآلاف درهم وابشك لنا الغد رانت اشعرهم
احسبنا الحافكة ابو محمد القم فراه عليه يوصى والعلاص ابو المواعظ
الحسن لفقنا وابو الحسن بن عبد الله واسمعهل جسر وعسرهم فراه عليه
فالوا انا الحافكة ابو القم عا فال قرأت على ابي غالب را البنا على محمد
الجوهري انا ابو محمد بن حيويه انا احمد بن معروف فابو عا بر فهم
لما اسر بعد انا اسر للباب الكلبي اخبرني خلف الزهرني فامانت
سكينة بنت الحسن بن عا وعلى المدينة خلد بن عبد الله بن اكرث
الحكم معال انتكروني حتى اصاب عليهما وخرم ال البقع في تحت ال العلقم
وموا الصواب فلم يدخل حتى الكاهن وخشوا ان تغير فاشترى والها
طافورا بثلث دينار فاما دخل امر شبيه بن نضاح فطلى عليهما رحما اللهم
احسبنا الحافكة ابو محمد القم فراه عليه فال اسدنا ابو رشو
الفرضي وغيره عن ابي محمد الجوهري عن ابي محمد بن حيويه انا الحسن بن
اسحق بن ابراهيم انا اكرث بن محمد انا محمد بن عبد الله بن محمد بن عا
سبع عشرة ومائة فيها ماتت سكينة بنت الحسن بن عا يوم الخميس
الحسن فلو من سبع الاولم احسبنا الحافكة ابو محمد
القم والعلاص ابو المواعظ الحسن فالا انا الحافكة ابو القم عا
فال ابو غالب الماوردي انا ابو الحسن السبكي انا احمد بن اسحق
ما احمد بن عثمان بن موسى با خلفه فال كنه سبع عشرة ومائة ماتت
سكينة بنت الحسن بن عا بالمدينة رحما الله ورعي فيها

واحد من ابواب

في نسخة ال العنبري في نسخة القم

عن ابو الحسن بن الماوردي

الجزء فسيه أخبار زلزلتي الإخيلية بنت عبد الله من الرجال
 صاحبة ثوبه بن الحمير بن سفير بن كعب وشعره
 وفيه حكاية عروته امرأة مثلهم عبد الملك ومزور
 وفيه قصيدة في السنة
 سماع لعل بن محمد بن علي بن محمد المعافى المالك من المذكورين فيه



هذا هو الكتاب الذي كتبه
 في سنة ١٢٨٥ هـ
 في شهر ربيع الثاني
 في مدينة طهران
 في دار الكتب
 في عهد
 في سنة ١٢٨٥ هـ

سكينة بنت الشهيد.. رواية شعرية

علي الصقلي (المغرب)

حوار بين الإمام الحسين عليه السلام والوليد بن عتبة والي يزيد على المدينة ورسوله إلى الإمام الحسين لأخذ البيعة له منه:

الوليد: خير التحية والسلام
للسليل خير كريمة
الحسين:



أهلا وسهلا بالوليد
بك أنت أنت، ولا أزيد
كفرا بشر الناس رب
دمشق صاحبها يزيد
الوليد: ولو إنه يهدي الحسين
الحسين: ولو أنه...

أه أرى
أن قد نبذت سبيله
أهلا وسهلا بالوليد
بك أنت أنت، ولا أزيد
ن ولن تكون عديله
ع وأن تكون خليله

الحسين: (في احتداد)

كيزيد، تبت يا وليد يداه
فيما عليه تحته صهبا
حق. وذلك ما أباد الله
عن دين ربات الهوى تقواه
أين الفضيلة؟ والتقى؟ والجاه؟
بايعت فيما تعلمون أباد
شاد الخلافة لليزيد وراد
قد شاد من ملك له وبناه
تولاه خيار المسلمين؟
فقد هبوا إليه طانعين

من ذا أطيع؟ ولست أعرف فاجرا
هذا الذي ما خاف لومة لائم
كلا! ولا في قتل نفس دونما
كلا، ولا هو عفا فأنحرفت به
أو مثل هذا من أبايع؟ ويلكم
إن كنت مثل أخي وكل عشيرتي
فلأنني ما كنت أعلم أنه
وأحالتها ملكا، ألا يا سوء ما
الوليد: أعلم يا حسين بأن هذا
وسر أبو يزيد بهم جميعا
الحسين:

فصدقتم مقال الخائفينا

أطاعوكم على خوف رثاء

وجوزي بالعقاب الصادقونا
بما كنتم جميعا تفعلونا
به من قائل حقا مبينا
يسعرها الأسى، لو تسمعونا
نبايعها أميرة مومينا
دماء بني أمية ما رويننا^(١)

وأنت المبجل في قومك
ولا خير يؤمل في كتمك؟

ككل صحابي من علمك
يحض على الشر ذكر اسمه!

أضحت أزمته، بكف يزيدا
ومؤيد ما ساءه تأييدا
في أن يوحد، سعيهم توحيدا
يأتي مجيدا بالفتوح مديدا
أنجادهما وسهولها والبيدا
ما كان مثلك شقها ليريدا

بمحرم ولو أن أشق وحيدا
مثلي يبايع فاجرا رعيديا^(٢)
يبغي لها - ما العمر طال - مزيدا
كلالا ولا أخذ الزمام رشيدا

أفلمست تآمن أن تظل فريدا؟

وكفى بأهل الحلتين شهودا
سألتك بيعة ربها تسويدا
وتقيم للبشرى بعطفك عيدا
ومحط من هبوا لها توطيدا

وكوفى كل كذاب مرء
ففظتم كل ذي شرف وعز
وهذا قائل حقا، وأكرم
يخاطبكم وملء حشاه نار
فإن تآتوا برملة أو بهند
حشينا الغيظ حتى لو شربنا

الوليد:

تأذن لي يا ابن فاطمة
لأجهر بالبر مما حملت

الحسين:

ألا قل، ويسا ليت أني أفيد
فأروي غليلي بأخبار من

الوليد:

إن الخلافة يا حسين كما ترى
ما في الكبار، سواك غير مبيع
جمعا لشملم المسلمين ورغبة
تقوى به الأمال في أسنى غد
حتى يعم الأرض نور محمد
أفهل تشق عصا يؤودك شقها؟

الحسين:

أقصر فما شقي العصا ليزيدكم
عار على من كان يعلم سره
ما إن له هم سوى آثامه
وهو الخليفة لا حميد خلقه

الوليد:

يا بن الرسول الأمر أصبح ما ترى



أم القرى قد بايعته ويثرب
إن الخلافة يا حسين لدولة
فإذا رضيت فإن جلق تحتفي
دار الخلافة تلك مطلع نورها

(١) شعر عبد الله بن همام.

(٢) الرعيدي: الجبان.

لا بل وأفئدة تروم جديدا
لتراه فتحا من هناك بعيدا

من مقال عافته أذني ونفسي
وترى هل يخور في الحلق بأس
ولكن دعاء مكرودس
وزور يكاد يدري بلمس
المشيد الحجا على خير أس
الخلق ما إن يرى مطاطئ رأس
ترك الناس منه في حال بأس
اشم منا الرسول صاحب خمس
وحبت شعلة الهدى كل جنس
جل ذو الفضل دون غين ويخس
مثله يا وليد ما عاش غرسي
جدير ببيعة وتأسى
هو أولى بها ... غدا خير درس

والى دمشق هوت وتهوي أعين
لا شيء غير الفتح يلهب شوقها
الحسين: (في احتداد أكثر)

أيهذا الوليد صه، صه، ودعني
إن تكن جئتني لتعجم^(١) عودي
وكمثل الشيطان تدعو إلى الكفر
زخرف القول ما تزودت لا غير
فاعلمن أنني أنا الثابت الرأي
أبلغن اليزيد أن ابن خير
لدنيء طبائعا وخلالا
أبلغن اليزيد أما بني هـ
وبأحضاننا النبوة قامت
وبنا الفتح كنا والختم، فضلا
أنا والله لن يبايع مثلي
ولنا موعد غدا لنرى أي
وغدا تعرف الخلافة أي

حوار شعري متخيل بين الإمام الحسين عليه السلام وزوجته الرباب وهما يناغيان ابنتهما سكينه:

الرباب:

بك وتفتح لهما الأبوابُ

ليسعد الحسينُ والربابُ

في نفسها مرددة:

حتى يحول كالرحيق الصابُ!

الحسين:

من ضاق ما أصابا
رباب منه قابا^(٢)
ن ربك الأبوابا؟

دعني رباب الصابا
دنا الرجاء وأنا
من ذا الذي يوصد دو

الرباب:

ئنة^(٣) كل عين
يسري بكل أذن

جل الذي يعرف خا
كما يحيط بالذي

(١) عجم العمود: عضه ليعلم صلابته من رخاوته، والمراد لتخثيرني.

(٢) القاب في الأصل: ما بين الوتر وقوسه، يقال: هو على قاب قوسين كناية عن القرب.

(٣) خائنة الأعين: ما تسارق من النظر إلى ما لا يحل.

أولاكه ممن شأن عليه - جل - يُثني؟ مثلي وحسن ظن أحقوق دون ممن صبوت ممن تمنني	يعلم من أنت وما أليس مثلك الذي حصافة وحكمة لذا فأنت وحدك تنال ما إليه قد الحسين:
دون فرض غدا لزاماً عليا	أنا لم أصب يا رباب إلى ما الرباب: أي فرض عنيت الحسين:
هرعوا بالآلوف أمس إليها من صحابي قد قام بين يديا	وعدي لمن قد وأنا في حمى الحرام ^(١) وجمع الرباب:
من طووا نحوك الفيافي ^(٢) طيا؟ سالت من كل صوب عشيا؟	أرجال العراق من أنت تعني وبهم مكة الفسيحة كالطوفان الحسين: أي نعم الرباب:
	ما رجال العراق؟ وما كنت به وأعدا بنييه وفيها؟ الحسين:
لست إلا أنا عليه وليا دون من أورث الخلافة بغيا ^(٣) كسرويا، رباب أو قيصريا؟	قد رجوا أن أحق حقاً مضاعفاً بابعوني على الجهاد دفاعا ومتى كانت الخلافة إرثا الرباب:
أنت وهم جندلوا أباك عليا؟ النور من أرضهم فعاد رزيا؟	يا ابن خير الوري أتأمنهم وهموا أخرجوا أخاك سليل الحسين: لم يعد يا رباب دوني ملاذ لهمو الرباب: ليتها الحقيقة هيا الحسين:
أصبح اليوم حبلهم في يديا بلغ الحكم من أذاه عتيا	هي لو تعلمين لا ريب فيها فلأخلص من جاءني مستغيثا الرباب:

(٣) المراد يزيد بن معاوية.

(٢) الفيافي: ج فيفاء، المضادة لا ماء فيها.

(١) المراد به البيت الحرام بمكة.

غاص في حمأة^(١) المجون زريا
حقدا بين الضلوع خفيا
ماته^(٢) صب كالأجاج^(٣) عديا

يا لهذا اليزيد لا زاد عمرا
حافظا عن أبيه عن جده الأكبر
وعليكم يا آل هاشم من جا

الحسين:

رحموا من رجالنا هاشميا؟
تتحامى ونتقي الأمويا

كبنى عبد شمس طرا وهل هم
ولذا صار مثل عهد علينا

الرباب:

فتجافوا عن القرابة عميا؟

سبط طه، ما أرتأ الحقد فيهم

الحسين:

قريش زمامها الحكميا
بين من كان دانيا أو قصيا
بعد من أثر الهدى أحمديا
بني هاشم لدين ودنيا
يتلقى من ربه الأمر وحيا

أننا قبل مبعث الحق أولتنا
ليس إلا لنا الزعامة فيها
وقضى باصطفاء أحمد منا
فإذا مجمع السيادة أحضان
وإذا مرشد الورى هاشمي

الرباب:

حينا بالحرب كان غنيا
الفتح لا قبله، عصيا آبيا^(٤)

آلذا صد عن نداء أبو سفيان
وله لم يدين سوى يوم جاء

الحسين:

كان في حربه الضروس سريا
نجواه^(٥) شاهدا سرمديا

هو ما قلت يا رباب وما إن
وكفى يا رياه بأكلة الأكباد

الرباب: وكظل لها ابنها

الحسين: وهو لحما ودما صنعها

الرباب: ومنها تهيأ

الحسين: وعلى نحو أمه حب سفك للدماء

الرباب: بل على الدماء ظل يحيا!

الحسين: وعلى المكر

(١) الحمأة في الأصل: الطين الأسود.

(٢) الجام: الكأس.

(٣) الأجاج من الماء المالح المر. (٩٣) ظل أبو سفيان يحارب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمدة ثماني سنوات قبل أن يسلم.

(٤) من الثابت أن أبا سفيان لم يسلم إلا يوم فتح مكة وكانما أسلم مكرها لا بطلا.

(٥) النجوى كالتنجي: من تساره وهو وصف بالمصدر يستوي فيه المضرد والجمع. والمراد بنجواه زوجته هند أم معاوية ولقبت

بأكلة الأكباد لأكلها كبذ حمزة عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الرباب: والخديعة	
الحسين: والدس	
الرباب: وما ليس مسلكا قرشيا	
أخوك الذي تردى فتيا؟	أو ما كان واحدا من ضحايا
فأضحى به ابن هند قويا	بعد أن بايع ابن هند ^(١) كما شاء
بأبنة الأشعث ^(٢) الكليلة وعيا	لم يسوء ظنه به فرماه
بمال يرجو به قتل أحيا	فهوى تحت سمها ويل من يغري
	الحسين: ليس بالمال وحده هو أغراها
	الرباب: بماذا سواه كان سخيّا؟
بانكاها يزيد الغويا	الحسين: وعده أنه سيصهرها منه
	الرباب: وعد عرقوب كان
	الحسين: هل كان إلا وعد عرقوب كل ما قال غيا؟
	الرباب: هكذا عاش
	الحسين: بل ومات كذا بالزيغ عن منهج الصواب رضا
	الرباب:
زائع جانب الصراط السويا	لا عفا الله عن معاوية من
	الحسين: وارتضى شر فاسق خلفا
	الرباب:
الله يأتى إليه أنقى محيا	ويل لها من خلافة ليس شيا
جاءها عامدا أثاما وخزيا	كان أولى به يخاف لقاء
	ظهره غير موقر ^(٣) بذنوب
	كيف يرضى وليا لعهد منه
	الحسين:
شهوة منه في عزوف عن الله	وهو الذي أمات وأحيا
	الرباب (مقاطعة):
	كان ليس عنده جل حيا!
	الحسين:
أدرى فكابر واجتباه إماما	شر العصاة رباب عندي من به
ليسوس وهو الفاجر الإسلاما	ألقي زمام الحكم في يد فاجر

(١) معاوية بن أبي سفيان.

(٢) زوجة الحسن بن علي شقيق الحسين عليهم السلام.

(٣) الموقر: المحمل حملا ثقيلا.

ما بين كاس طلا^(١) ورنه قينة^(٢)
ينهى ويامر باسم دين محمد
وغداً عليه سوف تشهد أمة
الرباب: لا غرو مثل يزيد يجرم عابثا
الحسين: قولي: لقد بلغ الزبي اجراما
متحديا رب البرية ساخرا
من سيد الثقلين^(٣)

الرباب (مقاطعة): يا لك ذاما^(٤)

الحسين:

وكأنما بالإثم عزة نفسه
وكان له هو وحده، الملك الذي
للسابقين إلى الجهاد تنافسا
أو ما اشتروا بدمائهم لمحمد
واسترخصوا أعمارهم فكانما
فالملك ثمة إنما لمحمد
لا لليزيد ورهط سفيان ومن
حتى سكيئة وهي غصن ناعم
أدري بما يجري

الرباب: وحقق إنها أدري ولو أضحت أقل كلاما

الحسين: أترى ربا، تطوي على لفح الأسى

الرباب:

ما مثلها من للأسى يعنو ولو
طبعت على مرح وظرف ضاحك
أو ما إليها نحن نسكن كلنا
حتى جعلت سكيئة لقبا لها
أو لست أنت بأنسها وحديثها
أو ليس سحر خطابها لك ما جلا
الحسين: حقا رباب فهل تدوم كذاك؟ هل؟

الرباب:

من لي فاكشف بعد، سر فؤادها
حتى أراه على الهناء أقاما؟

(١) الطلا (وهو مقصور من ممدود): الخمر.

(٢) القينة: المغنية

(٣) الثقلان: الإنس والجن.

(٤) الإل: العهد.

(٥) الدم: العيب والذم.

(٦) الحمام الزؤام: الموت الكريه أو السريع.

عقيلة بني هاشم

سلمان هادي آل طعمة:

عليك دموع من محبيك تذرف
لكم قاذني شوق لها وتشوف
تميل له الأبواب دوما وتعطف
ومعتكفا فيه الملائك تعكف
ومن مثلها في رهط أحمد يعرف؟
إليه غدا قلب المتيم يدلّف
وعيني له من خشية الله تطرف
يهز جناحيه حبورا ويهتف
فما خاب من قد جاءها يتلهف
مواقف لا تخفى ولا هي تضعف
وأم هي الزهراء بالفضل أعرّف
أشد من الكرب العظيم وأعنف
مقام رفيع عاطر الروض مؤنف
ومكرمة باتت على الناس تشرف
كما هضم المظلوم والمتحيف
وكل محب دمه متوكف
يذل لها جيش العدو ويرعف
فلم تخش من جور ولا تتخوف
لتزجره طورا وأخرى تعنف
وقد جئت بالأمر الذي ليس يوصف
أمام الهدى والزاهد المتعصف
إلى الشام في ظهر الهوازل تردف
تساق وفي قيد من الذل ترسف
وليس يخفها نازل متطرف
يضج لها الدهر الغشوم ويعصف
منشرة والقلب باسمك يهتف

ألا أيها القبر الزكي المشرف
رحال بها نور الجلالة ساطع
وقبر ثوت فيه سليفة حيدر
مقام زها قدرا وأصبح ملجأ
وعيبة علم الله عالمة الوري
وأي فؤاد لا يذوب تصدعا
مقام تجلى الله فوق شعاعه
إليها ذوو الحاجات تهوي كطائر
نقيبة أهل البيت روعي لها الفدا
أبوها أمير المؤمنين ومن له
أبوها هو الساقى على الحوض في غد
عليها رزايا الدهر تترى وأنها
كان لم تكن تدري الأعادي لزنب
لها خلق كالضجر عمت ظلاله
وقاست خطوبا وهي مهضومة الحشا
مصاب غدت تبكي العيون له دما
لها في عراض الطف أسمى مواقف
ففي كربلاء قد ساندت ثورة الأبا
أتت زينت للشمر تشفي غليلها
تقول له هل ترض بالصدر شيمة
أتجهل من من فضله غمر الوري
ولست بناس يوم سقيت بشجوها
ومن حولها أيتام آل محمد
بأقوالها هزت عروش أمية
وقد رفعت للحق أعظم راية
إليك ابنة الزهراء غر قصائد

حياة السيدة سكينه (عليها السلام)

«رد على كتاب الأغاني»

توفيق الفكي

لم نقصد في هذه الأوراق القليلة أن نستجلي كل ما في حياة السيدة سكينه بنت الحسين (عليها السلام) من تفاصيل فإن في حياتها ذكرى أليمة تتناول الجذور والأسس في عالم كان متداعيا يميل فيه البنيان إلى السقوط والانهار، وليس من المبالغة في شيء إذا قلنا أن الظرف لا يتحمل هذه الدراسة وما فيها من حوادث كانت تهز بالقيم المثالية.

ألم تكن السيدة في الركب الحسيني من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى كربلاء، ومن كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام إلى درج الجامع وهذا التنقل كان نتيجة لاصطدام مناهج دينية عالية سامية بمناهج سياسية جاهلية مُسفة، ويحتاج كل من المنهجين أن يرجع إلى بدايته وأغراضه وأسبابه وعوامله واستهداف هذه الناحية التاريخية يحتاج إلى وقت أوسع مما كتبنا فيه هذه الأوراق.

وكل ما أردناه أن نقف إلى جانب تلك النفثات السامة التي جاءت بها صاحب كتاب الأغاني متأثراً بعنعنات قبلية وعصبية أموية ليقضي قضاءً مبرماً على التقوى الروحية في البيت الهاشمي الكريم.

السيدة سكينه؛

سكينه بنت سيدنا ومولانا سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين السبط بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وأمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن وبرة بن ثعلبة بن عمران بن قضاة وأمها (ميسور) بنت عمرو بن ثعلبة ابن حصين بن صمصم، وقيل هي هند بنت الربيع بن مسعود بن مروان بن حصين بن كعب بن عليم بن كليب.

قال ابن السائب الكلبي: أقبل رجل في خلافة عمر بن الخطاب فحياه بتحية الخلافة وسأله عمر عن اسمه فقال: أنا نصراني أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فعرض عليه عمر الإسلام فأسلم وعقد له على من أسلم بالشام من قضاة، ولما حمل اللواء وأدبر تبعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ومعه ابنه الحسن والحسين (عليهما السلام) وقال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصهره وهذان ابناي من من ابنته وقد رغبتا في صهرك

فأنكحنا. فقال أنكحتك يا علي (الحياة) ابنتي وأنكحت الحسن أختها (سلمى) وأنكحت الحسين أختها (الرباب).

اسمها ولقبها:

واسم سكيئة أميمة وقيل أمينة آمنه وسكيئة لقبها لقبتها به أمها الرباب. وقال محمد بن السائب الكلبي النسابة، سألتني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) عن اسم سكيئة بنت الحسين (عليها السلام) فقلت أميمة فقال: أصبحت.

أمها الرباب:

قال هشام بن الكلبي:

كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين (عليه السلام) فقالت: ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورثت الرباب زوجها سيد الشهداء (عليه السلام) حين استشهد في كربلاء فقالت:

إن الذي كان نوراً يستضاء به	بكربلاء قتيل غير مدفون
سيط النبي جزاك الله صالحة	عنا وجنبت خسران الموزاين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به	وكننت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن	يغني ويؤوي إليه كل مسكين
والله لا ابتغي صهراً بصهركم	حتى أغيب بين الرمل والطين
ولها أيضاً في رثائه في قصر ابن زياد:	
واحسينا فلا نسيت حسينا	أقصده أسنة الأعداء
غادرود بكربلاء صريعاً	لا سقى الله جانبي كربلاء

فضلها وأدبها

كانت السيدة سكيئة (عليها السلام) سيدة نساء عصرها وأوفرهن ذكاء وعقلاً وأدباً وعفة. وكانت تزين مجالس نساء أهل المدينة بعلمها وأدبها وتقواها، وكان منزلها بمثابة ندوة لتعلم العلم والفقه والحديث تتألق وتزدهر بأرائها الصائبة السديدة ومأثور حكمها العالية، وفيوضاتها العلوية المباركة.

وكانت سكيئة في ماتم فيه بنت لعثمان بن عفان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد فسكتت سكيئة (عليها السلام) فقال المؤذن أشهد أن محمد رسول الله، قالت سكيئة هذا أبي أو أبوك فقالت العثمانية: لا أفخر عليكم أبداً.

وكانت عليها السلام تجيء يوم الجمعة فتقوم بأزاء ابن مطير وهو خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم إذا صعد المنبر فإذا شتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) شتمته

هي وجواربها فكان يأمر الحرس يضربون جواربها. وكانت صاحبة ظرافة ودعابة بريئة تنم عن أدبها النفسي العالي وصفاء روحها الشريفة فقد لسعتها (دبرة) فقالت لها أمها: ما لك يا سيدتي، فضحكت وقالت: لسعتني دبيرة مثل الأبيرة أوجعتني قطيرة.

وعن المدائني قال: بينما سكىنة ذات ليلة تسير إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول:
«لولا ثلاث من عيش الدهر،» فقالت لقائد قطارها: الحق بنا هنا الرجل حتى نسمع منه ما هذه الثلاث، فطال عليه لذلك حتى أتعبه، فقالت لغلام لها: سرانت حتى تسمع منه فرجع إليها فقال سمعته يقول:

«الماء والنوم وأم عمرو،» فقالت: قبحه الله أتعبني منذ الليلة. ويعتث يوماً إلى صاحب الشرطة أنه دخل علينا شامي فابعت إلينا بالشرط، فركب معه فلما أتى إلى الباب، أمرت ففتح له وأمرت جارية من جواربها فأخرجت إليه برغوثاً قالت هذا الشامي الذي شكونا، فأنصرفوا يضحكون.

مجالسها الأدبية

حدثونا عن مجالس أدبية كانت تعقد في دارها تحت إشرافها، فكانت تجلس للأدبيات والأدباء بحيث تراههم ولا يرونها وتسمع كلامهم ولا يسمعون كلامها، ثم تنيب عنها إحدى جواربها الأدبيات البارعات برواية الشعر لتؤدي عنها فصل الخصومات الأدبية، وتقدم للبارزين منهم الجوائز.

حدثنا عن هذه المجالس البريئة صاحب الأغاني كما تحدث بها مدونوا الأدب غيره لكن طريقهم واحد فيما نرى ولا نريد أن نقف منها موقف المنكر، كما وأنا لا نريد أن نقف موقف المثبت لها، لأنها لا تزال في حاجة إلى التمهيص والتحقيق فلا مساع لنقلها كما هي لأن صاحب الأغاني كان مسرفاً الأسراف كله في إتباع شهواته وميوله بعيداً عن التحقيق العلمي، متجهاً إلى ناحية خاصة من وزر الإثم والغواية. ولذلك ظهر التناقض في رواياته وبذل فيها التناكر.

وليس من المستصوب أن نطمئن إلى رواياته فنعطئها قيمة تاريخية، ون جاءت مروية بالسند.. وقد حدثونا عنه أنه كان أكذب الناس، أنه يدخل سوق الوراقين وهي عامرة مملوءة بالكتب فيشتري كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون روايته كلها منها^(١).

ونحن لم نقصد هنا إلى الكلام عن السيدة سكىنة من جميع نواحيها لنقوم بتحقيق هذه المجالس الأدبية وإن كان ليس فيها ما يشين مقام السيدة الجليلة أو يحط من مقامها السامي الرفيع فإنها اختصت من بين العقائل الهاشميات بالأدب وفنونه والحكمة البارعة لأداء رسالتها

الأدبية وخدمة لغة القرآن، كما اختصت العقيلة عمتها زينب الكبرى بالحكمة السياسية والأدب السياسي لمقاومة السياسة الشاذة بعد حادثة الطف الموقعة كما ألعنا إليه من قبل واطلع عليه القارئ الكريم.

ومهما يكن من شيء فإن هذه المجالس المنسوبة إليها سواء صحت أم لم تصح فإنها تعطينا صورة واضحة عن أدبها السامي واطلاعها على مذاهب الشعر وفنون الكلام وتعمقها باللغة وأسرارها. ولولا مكانتها من قریش، ومنزلتها من البيت الهاشمي وجمال أدبها، ولو لم تكن سيدة الأدباء في عصرها وأعلامهم كعبا في فن القول وأكثرهم اطلاعا على مذاهب الشعر والحكمة، وأوسعهم علما بالكلام المعجزة وأمهرهم بأفانين اللغة لما دان لها شيوخ الأدب والشعر، أو على أقل تقدير لما استطاع الرواة أن يفرضوا على فحول شعراء عصرها أمثال الفرزدق وجريير وكثير ونصيب والأحوص الخضوع لحكمها.

الطرة السكينية

كان عليها السلام تصفف جمتها تصفيفا لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك بين نساء المدينة وكانت تسمى (الطرة) السكينية، وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه.

حياتها بعد أبيها

وقد عاشت الصديقة سكينة بعد أبيها السبط الشهيد في كنف عمتها (الحوراء) زينب الكبرى، وفي رعاية أخيها الإمام السجاد زين العابدين (عليه السلام) ومن بعد بجوار الإمام محمد الباقر (عليه السلام) وأبناء أعمامها من الهاشميين الأنجاء حتى أيام الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وقد ذكر العالم الجليل المدقق الأستاذ السيد عبد الرزاق الموسوي المكرم في كتابه السيدة سكينة:

كانت أيام أبيها مبلغ النساء كما يشهد به قول أبيها الإمام الحسين (عليه السلام) للحسن المثنى يوم جاء يخطبها منه فقال: اختر إحدى ابنتي هاتين فاطمة وسكينة كانت فاطمة أكبر منها، ثم قال له الحسين (عليه السلام): اخترت لك فاطمة فهي أكثرها شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أما في الدين، فتقوم الليل كله وتصوم النهار وفي الجمال، تشبه الحور العين، وأما (سكينة) فغالب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل.

ولو لم تكن بالسن القابل لمقارنة الأزواج لأعتر به الإمام (عليه السلام) وقد عرفت ما تشير إليه كلمته الغالية في حق ابنته الكريمة، وهناك من المؤرخين من يحكي تزويج سكينة من ابن عمها عبد الله الأكبر بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين المقتول يوم الطف مبارزة وهو أخو القاسم لأمه وأبيه، وأما غيره من الأزواج فعلى ذمة التاريخ. انتهى.

أقول: وهناك من الأدلة التاريخية المجمع على صحتها تؤيد في أن سكينة قد تزوجت بعد ابن عمها عبد الله بن الحسن بن علي (عليه السلام) بمصعب بن الزبير زوجه إياها أخوها الإمام علي بن

الحسين السجاد (عليه السلام) ومهرها مصعب ألف ألف درهم وكان واليا على البصرة وكانت سكينه (عليها السلام) قد أشارت على مصعب بمشاركه حرب عبد الملك بن مروان لما خذله أصحابه فأجابها: وإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا
ويعد قتل مصعب جاء قوم من أهل الكوفة ليسلموا عليها فقالت لهم: الله يعلم أنني أبغضكم قتلتم جدي عليا، وقتلتم أبي الحسين، وأخي عليا، وزوجي مصعبا فبأي وجه تلقوني، أيتموني صغيرة وارملتوني كبيرة.

وفي رواية أخرى (قتلتم جدي وأبي من قبل واليوم قتلتم زوجي فلا مقام لي إلا في مدينة جدي). ومن دلالة سمو مكانتها من نفس أبيها العظيم سيد الشهداء هو اهتمامه الكبير بها دون غيرها. وقد طلب إليها -وهو يتهيا- لاحتماء كأس الموت ألا تحرق قلبه الشريف بدموعها ساعة الوداع وإلا تؤذيه بحزنها بانحيازها عن النساء بالبكاء في تلك الساعة الرهيبة فوقف (عليه السلام) يخاطبها بهذا الشعر الوجداني الخالد:

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي
لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي
منك البكاء إذا الحمام دهاني
ما دام مني الروح في جثمان
تأينيه يا خيرة النسوان

ومما رثت به سكينه أباهما سيد الشهداء قولها:

لا تعدليه فهم قاطع طرفه
إن الحسين غداة الطف يرشقه
بكف شر عباد الله كلهم
أمة السوء هاتوا ما احتجاجكم
الويل حل بكم إلا بمن لحقه
يا عين فاحفظي طول الحياة دما
لكن على ابن رسول الله فانسكي
فعينه لدموع ذارف غدقه
ريب المنون فما إن يخطئ الحدة
نسل البغايا وجيش المرق الفسقة
غدا وجلكم بالسيف قد صفقه
صيرتموه لأرماح العدى درقه
لا تلك ولدا ولا أهلا ولا رفقه
قيحا ودما وفي اثريهما العلة^(١)

وقالت عليها السلام لما مر القوم على القتلى رميت بنفسي على جسد أبي واعتنقته. فسمعت صوتا يخرج من منحره المقدس:

شيعتي ما أن شريتم
أو سمعتم بغريب
عذب ماء فاكروني
أو شهيد فاندبوني

ذكر جماعة من شيوخ بني هاشم أنه لم يصل على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير إمام إلا سكينه بنت الحسين (عليه السلام) فإنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إليه فأذنوا بالجنائزة وذلك في أول النهار في حر شديد، فأرسل إليهم لا تحدثوا حدثا حتى آجئ فأصلي عليها، فوضع النفس في موضع المصلى على الجنائز، وجلسوا ينتظرونه

حتى صار الظهر، فأرسلوا إليه فقال لا تحدثوا فيها شيئا حتى آجىء، فجاء وقت صلاة العصر ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء كل ذلك يرسلون إليه فلا يؤذن لهم حتى صليت العتمة ولم يجيء، ومكث الناس جلوسا حتى غلبهم النعاس فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون فأمر أخوها الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) من جاءه بطيب قال: وإنما أراد خالد بن عبد الملك فيما ظن قوم إن تنتن قال: فأتى بمجامر فوضعت حول النعش.

نحن نعلم وهؤلاء الرواة الوضائع يعلمون أيضا أن سكيئة عليها السلام قد نشأت في حضن الرسالة ودرجت في حجر الحسين إمام أهل الإباء وتغذت بلبان الأدب النبوي، وعاشت بجنب عمتها وسيدتها العظيمة الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبجوار أخيها السجاد الإمام زين العابدين، تحوطها هالة من رهط الميامين الأبرار من سادات بني هاشم الكرام، ثم هي زوجة كريمة ترعاها الغيور المغوار مصعب ابن الزبير ومن قبله كانت عقيلة ابن عمها الشريف عبد الله ابن الحسن الفقيه الورع.

وإن من يتربى ويتعرع في مدرسة الرسالة المحمدية، ويتفقه القرآن الكريم، ويتأدب بالأدب العلوي العالي ويتهدب بالتربية الحسينية الرفيعة مثل السيدة سكيئة بنت الحسين عليهما السلام لا يمكن أن ترضى لنفسها أو تسمح لصواحبها وأتراها من نسوة المدينة من أهل الشرق بالاجتماع مع رجل أجبن من مهمما كان شريفا عفيفا وهي تقوم بطلبه من مكة المكرمة ليحدثهن مع رفيقه الغريض المغني (بلهو الحديث) ويسهرن معها في مكان (الصورين) في ضواحي المدينة إلى مطلع الفجر، لاهين سامرين بلهو الحديث وقول الزور وحاشاها أن تكون كذلك وهي من بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وكيف تقدم تلك السيدة المطهرة على ذلك؟! وهي أعلم الناس بحديث جدها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) القائل^(١): (إن الله بعثني رحمة للعالمين، ولأصحح المعازف والمزامير وأمور الجاهلية وأوثانها وآزلامها).

وكيف يصدر منها ذلك؟!

وفي بيتها نزل الوحي والذكر الحكيم بتحريم لهو الحديث وقول الزور. فقال تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا، أولئك لهم عذاب مهين^(٢)). وقوله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ وقد أجمع علماء أهل البيت الهداة على أن معنى لهو الحديث وقول الزور هو الغناء وسائر الأقوال الملهية والمجالس الباطلة وأن استماع الغناء واللهو ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع.

وعلى كل فإن هذه الرواية لا تخلو من دس مفضوح، فإن السيدة سكيئة ما كانت يوما من الأيام برزة تجالس الشعراء أو تحضر مجالس الغناء سواء في دارها والعياذ بالله أم في خارجها وكيف تفعل ذلك وهي العالمة علم اليقين بأحكام الغناء في الإسلام كما ذكرنا طرفا يسيرا منها، أما ما

(١) أمالي الصدوق ص ٢٣٩.

(٢) سورة لقمان الآية ٦.

كان يعقده الشعراء من مجالسهم الأدبية تحت إشرافها فعلى ما وصف صاحب الأغاني، فكانت تقعد لهم حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم، ثم أنها تنيب عنها إحدى وصائفها البارعات برواية الأشعار والأحاديث لتقوم بإعلان حكمها الأدبي في فصل الخصومات الأدبية بين الشعراء، ولا غرو فقد خصها الله تعالى من بين الحرائر الهاشميات بالأدب والحكمة لغرض نشر أدب القرآن ولغته في اندية نساء المسلمين كما اختص عمتها الحوراء زينب الكبرى بالحكمة السياسية والأدب السياسي لمقاومة الاضطهاد الأموي بعد واقعة الطف المفجعة، وقيامها ببث الدعاية وتنظيم برنامجها ضد طغيان الحكم السفلياني حتى تحقق على يدها ما أهدفته النهضة الحسينية الجبارة من الأغراض الإصلاحية بإعلاء كلمة الحق والحرية وقهر الجبروت والقوة الغاشمة الأليمة.

سر الدس في الروايات

إن الأحقاد الأموية الموروثة والتخاصم بين أمية وهاشم والنزاع بين القوة والحق كل ذلك هو السر الدفين في دس تلك الروايات واختلافها أضف إلى هذا عوامل الفساد الأخلاقي الذي تسرب على قصور الخلفاء وشاع في ندى الأمراء، وانتشار القيان والغواني والسراري والجواري والغللمان في مجالس الحاكمين والعمال، وارتكاب الموبقات من شرب الخمر، وضرب الطنبور، واللغو بالمعازف، وصناعات الطرب، وسائر الملاهي، من متع الفسق والفجور التي انغمس في حمايتها أكثر الملوك والولاة وأولادهم وفتيانهم حتى اتسع الخرق على الرافق مما أدى في النهاية إلى اضمحلال الدولة وذهاب ريع أمية من الوجود.

وهذا التفسخ الأخلاقي الذي حل بالوسط الأموي قد أثار في نفوس دهاتهم الشعور بمركب النقص فاندفعوا بهذا الشعور الحاد إلى التذرع بكل ذريعة ووسيلة مهما كلفهم الأمر إلى رمي خصومهم بدنائهم وانتقاص أقدارهم فلم يفلحوا وكان سهمهم هو الدالف^(١) الطائش بالرغم من سفحهم الأموال الطائلة للمرتزقة من الشعراء وأغراء الزنادقة بالترغيب والترهيب لحملهم على وضع الأحاديث وتلفيق الروايات لتبرير شنعهم وجرائرهم بانتهاكهم الحرمات وهتكهم المحارم، فما زاد ذلك إلا سبة وشناراً. وافتضحوا بذنوبهم أمام محكمة التاريخ العادلة (وقد خاب من حمل ظلماً).

توفيت السيدة سكينه عليها السلام في سنة ١١٧ هـ بعد أن نيفت على السبعين من العمر. أما ما ذكره صاحب الأغاني من سائر أخبارها المفتراة والتي دسها بأجور بخسة بشتى الروايات المزيفة. فهي ألصق بسكينه بنت خالد بن مصعب بن الزبير التي كانت مولعة بمحافل الغناء مع الغناء مع عمر بن أبي ربيعة مع أتراب لها. ولاشك أن الأخطاء هي التي حملت صاحب الأغاني وأشباهه ممن لا يتورعون في تشويه الحقائق وطمسها لغرض الدس والكيد في آل البيت الميامين الذين شهد القرآن الكريم بتطهيرهم برغم أنوف الحاسدين الأرجاس..

﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢).

(١) الدالف: السهم الذي لم يصب الهدف، ويقصر دونه.

(٢) (سورة الأحزاب: ٣٣).

سكينة بنت الحسين بين الناس ومع الله

السيدة سكينة سليلة بيت النبوة والأصل العربي العريق فوالدها الإمام الحسين سيد الشهداء وخير شباب أهل الجنة وأُمها الرباب بنت امرئ القيس سيد بني كلب. ولدت رضي الله عنها سنة ٤٧ هجرية على أرجح الروايات فلم تشهد مصرع جدها الإمام علي كرم الله وجهه إذ كان قبل مولدها بسبع سنوات وكانت وفاة عمها الإمام الحسن وهي لا تزال طفلة تناهز الثالثة من عمرها فكانت في طفولتها المرحاة خلية البال عن المشاركة في آثار هاتين الفاجعتين إحساساً وإدراكاً ولكنها ما كادت تخطو نحو مرحلتَي الصبا والشباب وواكب ذلك توالي الأحداث الجسام على الأمة الإسلامية ففي سنة ٥٦ هـ نفض معاوية بن أبي سفيان عهده مع الإمام الحسين وراح يأخذ البيعة لابنه يزيد ليتولى أمر المسلمين من بعده بعد أن مهد لذلك أعواماً طويلاً. وقد امتنع عن هذه البيعة خمسة من أعلام أهل المدينة وأصحاب الرأي فيها على رأسهم والدها الإمام الحسين وكان الموقف المدلهم يملأ قلب وعقل الإمام سبط الرسول، وكانت السيدة سكينة في تلك الأونة بجانبه دائماً تخفف عنه بمرحها وإشراقها ومضت الأحداث إلى ما قدر الله فقد مات معاوية وبويع لابنه يزيد بالخلافة وكتب يزيد إلى عامله بالمدينة أن يأخذ البيعة قسراً ممن تخلف عنها من وجوه المسلمين وأبى الإمام الحسين أن يبايع شارب الخمر المعلن بالفسق المجاهر بالفجور كما كان رده على الوليد بن عتبة عندما عرض عليه البيعة وهاجر الحسين بأهله إلى بيت الله الحرام بمكة عصمة لدينه وعهده ثم كان استنجاد الألواف من أهل العراق بالإمام الشهيد وبيعته لهم لا يثنيه عن ذلك نصيح الناصحين من قرابته قائلاً: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ومضت الأمور إلى غايتها ونكت أهل العراق عن بيعتهم وتخلوا عن أمامهم ليواجه وحده في بضعة وسبعين من أهل بيته جيشاً أمويًا قوامه أربعة آلاف مقاتل ليكون قضاة الله وليروع العالم الإسلامي بمذبحة كربلاء وليرى المسلمون ولما يمض نصف قرن على لحاق رسول الله صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى نضراً من المسلمين أنفسهم يقتلون الحسين سبط الرسول وأبناء فاطمة الزهراء وأبناء الإمام علي وابني عبد الله جعفر شهيد مؤته ويسبون النساء وفيهم زينب بنت الزهراء وبنات الحسن والحسين ولا يبقون من نسل أهل البيت إلا صبياً عليل هو الإمام زين العابدين.

وتشهد السيدة سكيئة أحداث المذبحة المروعة وترى رأس أبيها الحبيب يُطاف بها في أحياء الكوفة كما طيف بها ضمن موكب سيدات أهل البيت في نفس الأحياء ثم في أحياء دمشق مقر الخلافة وشهدت لقاء هذا الموكب عبید الله بن زياد والخليفة يزيد بن معاوية وكانت نهاية المطاف مدينة جدها عليه الصلاة والسلام.

ثم عادت إلى الترحال مرة أخرى فصبحت عمتها السيدة زينب في خروجها إلى مصر بعد أن أحس الأمويون خطر مقامها في المدينة.

وعادت السيدة سكيئة إلى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب فأقامت في كنف أخيها الإمام علي زين العابدين ثم تزوجت بمصعب بن الزبير وإلى العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير ولكن الأيام لم تمهلها وجاء اليوم الذي وقفت فيه تودع زوجها مصعب وهو متأهب لقتال عن الملك بن مروان وقد خذله أهل العراق وتقدم يواجه مصيره مستبسلا ويقول لها (ما ترك أبوك يا سكيئة لابن حرة عذرا).

وفجعت في زوجها الماجد الكريم، وترملت فترة ثم تزودت بعبد الله بن عثمان الخزامي فأثمر زواجهما أولادها عثمان وحكيم وربيحة ولكن زوجها ما لبث أن أدركته منيته وعادت إلى الترميل مرة أخرى، وكانت زيجتها الأخيرة وقد جاوزت الأربعين من زيد بن عمر العثماني ولم يقدر لهذا الزواج أن يستمر طويلا لما رواه المؤرخون من حرص هذا الزوج على ماله.

ومضت سنوات طوالا كانت فيها السيدة سكيئة وقد جازت الخمسين من عمرها تحتل مكانة أدبية ناقدة يحتكم إليها الشعراء فتفاضل بين أشعارهم وتشدد رقابتها الأدبية عليهم إلى أن شارفت العقد الثامن من عمرها فانتقلت إلى جوار ربها راضية مرضية.

وقد تعددت أقوال الرواة والمؤرخين بشأن السيدة سكيئة فقد اختلفوا في تاريخ مولدها وتاريخ وفاتها وفي قبرها، فمن قائل أنها دفنت بالقاهرة وآخر يقول أنها دفنت بالبقيع، واضطربت أقوالهم بشأن أزواجها فمنهم من يقصرهم على اثنتين والبعض يقول ثلاثة وآخرون يذهبون إلى أن عددهم سبعة، ويخوضون في مجالس الشعراء لديها، فمن قائل أنهم كانوا يحتكمون إليها وراء حجاب ومن مجترئ إلى القول بأنها كانت تجالسهم وتأذن للناس فيجالسونها في مجالس الغناء والطرب ثم يشطح بهم الخيال الأثيم إلى القول بأن السيدة كانت مقبلة على الدنيا وعلى حياة البذخ والترف.

زيجاتها:

أما عن زوجها فالثابت والمتواتر من الرواة الثقات أن السيدة سكيئة لم تتزوج إلا زيجات ثلاث وكلهم من أعرق الأسر العربية ديانة وشرف محدد فقد تزوجت من مصعب بن الزبير الذي مدحه عبید الله بن قيس الرقيات قائلا:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وتطلع خصمه عبد الملك بن مروان إلى رأسه إذ حمل إليه بعد مصرعه فقال: متى تقدر قريش مثلك؟

ولما قتل زوجها في ساحة الحرب الحزامي وهو حفيد الزبير بن العوام وسليل آل خويلد بيت خديجة أم المؤمنين فانجبت منه اولادها، فلما تزوجت من بعده عبد الله بن عثمان لحقت به المنية تزوجت من بعده زيد بن عمر العثماني حفيد عثمان بن عفان.

ولما عرف عن هذا الزوج الأخير من الحرص وعدم وفائه بشروط لها كان قد شرطها على نفسه تم طلاقها منه ولم تتزوج أحدا من بعده.

وتعددت الزيجات في حد ذاته ليس محل غرابة أو انكار في البيئة العربية إذا ذاك، بل كان هذا هو العرف المتبع كلما ترملت سيدة من أصل كريم أسرع إليها الخطاب حرصا على شرف المصاهرة وكل ما كان واجبا مراعاته هو الحرص على التكافؤ في كل زواج تحقيق بالنسبة للسيدة سكينه.

مجالس الشعراء

أما ما قبل عن مجالس الشعر بدارها فيكفي لتبيان صورتها الحقيقية أن نسوق واقعة وردت في كتاب الأغاني نقلا عن محمد بن سلام وعمر بن شبة أن جريرا والفرزدق وكثيرا وجميلا ونصيبا اجتمعوا في ضيافة السيدة سكينه فمكثوا أياما ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم وكان حديثها من خلال وصيفة لها تخرج إليه لتسمعهم نفذ سيدتها لأشعارهم ثم تحمل لكل عطاء الذي أمرت به السيدة: فهل لم تجالس الشعراء وتحادثهم مباشرة كما يزعم المجترؤون بل كانت تسمع إليهم من خلال وراء حجاب ويسمعون ردها من خلال أمانها.

ولا يقبل عقلا ولا منطقا أن تكون الصورة غير هذه من حفيدة الرسول وفي ظل بيئة متمسكة باهداف الدين الحنيف يعايشها فيها أخوها الإمام علي زين العابدين ووجود بني هاشم وهم الذين ذكر الرواة أنهم غضبوا لمجرد أن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف تقدم لخطبتها وهو ليس كفؤا لها، فكيف يسكت أهل البيت عما زعمه بعض الرواة من أن بيت السيدة كان محلا لمجالس الغناء والطرب دون أن ينعوا ذلك.

بل كيف يقبل هذا الزعم والسيدة لم تأخذ دورها في النقد الأدبي ألا وهي تجتاز الحلقة الخامسة من عمرها فهل يقبل هذا السن الوقور أمثال هذه المجالس.

وأخيرا كيف يعقل حدوث ذلك والمآسي تحيط بالبيت الكريم وبيئة أهل المدينة، إذ ما كادت مأساة كريلاء تمضي بها السنون حتى كانت ثورة أهل المدينة على بني أمية واستباحة قائد جيش يزيد لدماء أولاد المهاجرين والأنصار، ثم الصراع بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان، فهل كانت هذه الأحداث الجسام تترك لأهل المدينة وللسيدة الكريمة سبيلا لمجالس طرب وغناء، إن لم يمنع الاعتداء بكرم الأصل والشرف الرفيع.

إن السيدة سكينه بكرم محتدها ووقار سنهها ودقة حسها وشعورها وتمكنها من أسرار العربية لغة كتاب الله الحكيم دان لها فطاحل الشعراء بإمامة النقد في عصرها، وليس هذا بمنقوص من قدرها، بل إن لها في هذا المجال فضلاً يعرف فلا ينكر، وليس هذا بمستغرب على سليله بني هاشم فقد سارت على درب جدها الإمام علي الذي ملك البيان والبلاغة وأبيها الإمام الحسين الذي قال معاوية بن أبي سفيان عندها طالع ردا له وجهه إليه: إنه لسان بني هاشم الذي يفلق الحجر.

قلب ممزق:

ولكن لب الحديث عن السيدة سكينه ليس أمر زواجها من هذا أو ذاك من أمجد قريش، وليس أمر نقد أدبي أو شعري، فكل هذه تصرفات ظاهرية لا تنفذ إلى أغوار النفس العالية لتكشفان حقيقة شخصية حفيدة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالترث أمام وقائع التاريخ الثابتة، وأعمال حكم المنطق والعقل فيها.

لقد واجهت السيدة سكينه في حياتها من المأسي والمحن ما ينوء القلب عن احتماله، فقد شبت وبيت أيها الحسين يلغه الحزن بفاجعة مقتل جدها الإمام علي ثم وفاة عمها الحسن، ووقفت بجانب أبيها وهو يرفض مبايعة يزيد بن معاوية وصحبته إلى معركة الشهادة في كربلاء وشهدت بعيني رأسها وهي لا تزال في ميعه الصبا مصارع أهل الإمام الحسين وأخوتها وسائر نسل جدتها فاطمة الزهراء وجدها الإمام علي، رأتهن تحزرووسهم ويسلبون ويتركون متجردين بالعراء، واقتدت مع سيدات أهل البيت في موكب الأسرى ليطاف بهم في الكوفة ودمشق كما طيف برأس أبيها الحبيب، وهكذا استقبلت شبابها بمشهد المذبحة المروعة، مذبحة الأب والأخ وابن العم وابن العمة والتمثيل بهم، فهل يعقل أن تغيب هذه الصورة عن عينها أو تندمل جراحها في قلبها؟.

وتزوجت بمصعب بن الزبير، زوج ماجد كريم أكنت له الحب، فإذا بها تفجع فيه ويأتي اليوم الذي تقف فيه مودعة إياه الوداع الأخير وهو متأهب للقتال وقد تخلى عنه الجند والأعوان ليلقى مصرعه وتجرعها الأيام مرارة الترميل وهي بعد شابة بعد أن ذاق من قبل مرارة اليتيم.

وتزوجت بعبد الله بن عثمان الحزامي ورزقت منه أولادا، ولكن الزمن لم يمهله لتنعيم بحياة عانية مستقرة إذ توفي زوجها وعادت للترمل مرة أخرى.

هذا القلب الكبير الذي تجرع مرارة الفواجع وكان يخرج من محنة لتسلمه الأيام لمحنة أخرى هل يترك الحزن فيه محلا لفرح أو مرح وقد أشختته الجراح.

فالقلب المكسور لا يتصور أن يجمع بين الحزن والفرح في وقت واحد، والمأسي التي مرت لا تقبل النسيان، وقد حدثنا التاريخ عن سيدات هدتهن الضجيعة فاستسلمن للحزن والبكاء فالخنساء ظلت تبكي أخاها صخرًا وترثيه بأشعارها السنوات الطوال، بل والرباب أم السيدة سكينه ظلت على حزنها على زوجها الإمام الحسين إلى أن أدركتها المنية.

وهو أمر يتمشى مع طبيعة الشخص العادي، إذ أن الحزين إذا أطلق لدموعه العنان قد يجد في ذلك تخفيفاً وتضريحاً عما يضيق به صدره.

ستار من المرح:

ولكن السيدة سكيئة كانت من نسج فريد، فرغم هذه المآسي الجسام كانت لا يفارقها مرحها وإشراقها، وكان والدها الإمام الشهيد يجد في ابتسامتها ووجها ما يخفف عنه ما يعانیه من هموم كبار، وقد عبر رضوان الله عليه عن هذا الإحساس فقال:

لعمري أنني لأحب دارا تضيفها سكيئة والرباب
أحبهما وأبذل كل مالي وليس بعاتب عندي عتاب

وكانت خلال الخطوب التي مرت لا تفارقها رياطة جاشها ولا مرحها ومحاولتها التسرية عن والدها وتبديد غيوم الهموم والأحزان التي كانت تخيم على أفراد القافلة الصغيرة الكريمة من أبناء بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء، لم تتخل عن ذلك إلا مرة واحدة في لحظة يعجز فيها البشر عن الاحتمال عندما خاطبها والدها هي وعماتها موصيا ألا يشققن عليه جييا ولا يخمشن وجها ولا يقلن هجرا.

عندئذ تمزقت أستار التجلد التي كانت تتمسك بها فانخرطت في بكاء مريير قطعه قول الإمام (سيطول بعدي عنك يا سكيئة فهلا ادخرت البكاء لغد وما غد بعيد) ..

وتزوجت بعد استشهاد والدها فإذا بها تطوي أحزانها على عتبة الزوجية وتستعيد مرحها وبشرها، لا تفارقها هذه الروح إلا في لحظة فراق الزوج الحبيب فقد ذكرتها بلحظة فراق الأب الحبيب، فتكشف عن مكنون قلبها وتهتف: وأحزنك عليك يا مصعب فيلتفت إليها وقد عرته الدهشة أو كل هذا لي في قلبك، فتجيبه: أي والله وما كنت أخفي أكثر.

وتمضي الأحداث بها وهي والمروح رفيقان لا يفترقان، تشيع السرور والانس حولها فما سمعت يوما شاكية ولا باكية.

فهل يقبل العقل والمنطق بكل المقاييس والموازين أن يكون هذا المرح صادرا حقيقة من أعماق هذا القلب الدامي؟

إن المرء ليس له إلا قلب واحد في جوفه وهذا القلب قد مزقته الأحزان، فليس للمرح مكان فيه، إذن فهذا المرح لا يمكن أن يكون تعبيراً عن القلب، بل هو ما يارسله على مكنون نفسه لتحبس حزنها وتكتمه دفيناً في قلبها ثم تتكلف هذا المرح مشبعة البهجة في كل من حولها، فاية إرادة قوية وجهد ساق بذلته السيدة الكريمة لتحمل نفسها فوق الأمها عبء التخفيف عمن حولها والتسرية عنهم. ثغر ضاحك وقلب بال شأي ثفل مضاعف تحملته النفس الكبيرة إنه لا يقوى عليه إلا من أعانه الله.

حقيقة الإخلاص:

وإذا انتهينا إلى أن ما امتحنتها به الأيام لا بد وأن يثقل قلبها بالهموم فلا يجعل مرحها إلا ستارا يخفي ما تحته من أخزان، فإننا نضيف إلى هذه النتيجة المنطقية واقعتين ثابتتين في

سجلات المؤرخين، فقد تقدم الحسن المثنى إلى عمه الإمام الحسين خاطباً فاختار له ابنته السيدة فاطمة النبوية وادرف: وأما سكينه فغالبا عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل.

وإذ يقول الإمام الحسين ذلك فإنه أمر واجب التصديق والتسليم.

والواقعة الثانية أن السيدة سكينه رؤيت وهي ترمي الجمار أثناء الحج فسقطت الحصاة السابعة من يدها فلم تتردد في خلع خاتم ثمين من أصبعها لترمي به بدل الحصاة.

ومن خلال هذه الوقائع تستبين حقيقة السيدة الكريمة.. فظاھرھا سيدة مرحلة مشرقة تزوجت وعاشت حياتھا واشتغلت بالنقد الأدبي والشعري، أما الباطن فسيدة أحبت الرزق قليلا وأحبت العبادة كثيرا، فهي منصرفة عن الدنيا مهينة للمال ترمي بخاتمها الثمين دون تردد لتستكمل شعائر دينها، وتمضي في تصرفاتها في الدنيا تنقذ ما يوجب عليها دينها. فتقبل على الزواج وقلبها متنطر بفاجعة كربلاء لتستكمل نصف دينها، فإذا ما تزوجت أعطت لزوجها ما فرضه الشرع فلم تحمله آلام محنتها بل طوت أحزانها وكتمتها لتوفر العلاقة الزوجية بشرها ومرحها. وتزوج مرة أخرى بعد أن ترملت وهي بعد شابة استكمالاً لذات الواجب الديني. وترزق أولاداً فتؤدي واجب الأمومة ورعاية الأسرة، فكل ما تخيله الناس متعة دنيوية لها كانت تؤديه تحقيقاً لنا فرضه الدين الحنيف وأوجبها عليها، لا يمنعها عن ذلك ألم دفن وجرح عميق.

ثم هي بعد ذلك مستغرقة في الله، لا تطلع أحداً على عبادتها إياه. فلا يستبين انصرافها للعبادة إلا من خلال رد أبيها لأحد خطابها.

ولعل هذا يتضح منه التفسير الصحيح لمرحها الظاهر أنها تكتم الامها فلا تشكو لأحد من العباد وتجعلها مناجاة بينها وبين ربها مرددة ما ذكره المولى عز وجل على لسان يعقوب عليه السلام: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله..

ولقد قيل في الإخلاص في العبادة: أنه ما استتر عن الخلائق وصفاً من العلائق.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يقول الله تعالى الإخلاص سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي).

اليس خلق السيدة سكينه هو حقيقة الإخلاص. ألم تستر عبادتها عن الخلائق فلم تظهر لهم إلا مرحها، فصفاً إخلاصها من العلائق الدنيوية فسمت بروحها إلى حقيقة الإخلاص. ولا عجب في ذلك فهي حفيذة رسول الله وينت خير شباب أهل الجنة.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

من أخبار السيدة سكينة بنت الحسين عليه السلام

السيدة محسن الأمين

الخلاف في اسمها

في تذكرة الخواص: اسمها أمنة وقيل أميمة، اسم سكينة أميمة وقيل أمينة، وقيل أمنة، وسكنية لقب لُقِّبَ به وقال مصعب: اسمها أمنة، وفي شذرات الذهب اسمها أميمة، وقيل أمينة وسكنية لقب لها وفي مرآة الجنان: قيل اسمها أمينة وقيل أميمة وهو الراجح، وسكنية لقب لها انتهى، وروى في الأغاني بسنده عن ابن الكلبي عن أبيه قال لي عبد الله بن الحسن ما اسم سكينة بنت الحسين فقلت له سكينة فقال: لا اسمها أمنة، قال وروي أن رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة فقال أمينة، فقال إن ابن الكلبي يقول أميمة فقال: سل ابن الكلبي عن أمه وسلني عن أمه وسلني عن أمي، قال المدائني حدثني أبو اسحاق المالكي قال سكينة لقب واسمها أمنة وهذا هو الصحيح (انتهى)، ووجدت في مسودة الكتاب ولا أعلم الآن من أين نقلته قيل اسمها أمامة ويمكن أن يكون أميمة تصغير أمامة.

وفاتها ومدفنها

وفي الأغاني بسنده ما حاصله: أنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك فأذنوه بالجنائزة وذلك في أول النهار في حر شديد فجعل يماطلهم إلى أن صليت العشاء ولم يجيء فجعلوا يصلون عليها جمعا جمعا فرادى وينصرفون فأمر علي بن الحسين (ع) من جاء بطيب وإنما أراد خالد فيما ظن قوم أن تنتن وأتى بالمجامر فوضعت حول النعش (انتهى) وفي طبقات ابن سعد اشترى لها كافور بثلاثين ديناراً.

وفي تذكرة الخواص: اختلفوا في وفاتها قال ابن سعد توفيت بالمدينة وعلى المدينة خالد بن عبد الله بن الحارث بن الحكم وأما غير ابن سعد فيقول أنها توفيت بمكة (انتهى) وفي شذرات الذهب توفيت بالمدينة والعامية تزعم أنها بمكة في طريق العمرة (انتهى) وفي مرآة الزمان توفيت سكينة بالمدينة الشريفة هكذا ذكر موتها بالمدينة في كل تاريخ وقفت عليه خلاف ما يقوله العامية من أنها مدفونة خارج مكة في القبة التي في الزاهر في طريق العمرة (انتهى) أما القبر المنسوب إليها بدمشق في مقبرة الباب الصغير فهو غير صحيح لإجماع أهل التواريخ على أنها دفنت بالمدينة ويوجد على هذا القبر المنسوب إليها بدمشق صندوق من الخشب كتبت عليه آية الكرسي بخط كوفي مشجر رأيت وأخبرني الثقة العدل الورع الزاهد العابد الشيخ عباس القمي النجفي

الذي هو ماهر في قراءة الخطوط الكوفية بدمشق في رجب أو شعبان سنة ١٣٥٦ أن الإسم المكتوب بآخر الكتابة التي على الصندوق سكينه بنت الملك، بلا شك ولا ريب، وكسر ما بعد لفظة الملك فالقبر إذا لإحدى بنات الملوك المسماة سكينه!!.

أمها

في الأغاني: أمها الرياب بنت امرؤ القيس بن عدي القضاعية وهي أخت عبد الله الرضيع أمها الرياب، ويسنده عن مالك بن أعين سمعت سكينه بنت الحسين عليهما السلام تقول عاتب عمي الحسن أبي في أمي فقال: (وفي بعض الروايات زيادة البيت الأخير:

لعمرك أنني لأحب دارا تكون بها سكينه والرياب
وأحبهما وأبذل جمل مالي وليس لعاتب عندي عتاب
فلمست لهم وإن عتبوا مصيخا حياتي أو يغيبني التراب

وروي أن يزيد بن معاوية لما أدخل عليه نساء أهل البيت قال للرياب زوجة الحسين (ع) أنت التي كان يقول فيك الحسين وفي ابنتك سكينه: لعمرك أنني لأحب دارا (الآيات) فقالت: نعم.

أزواجها

كانت سكينه قد سُميت لابن عمها القاسم بن الحسن فقتل يوم الطف، وفي الأغاني في رواية أسندها أو أول أزواجها ابن عمها عبد الله بن الحسن وهو أبو عذرتها وأنه قتل عنها ولم تلد له، وفي رواية أن أبا عذرها عمر بن الحسن بن علي وفي الطبقات الكبيرة لابن سعد تزوجها مصعب بن الزبير بن العوام ابتكرها فولدت له فاطمة وفي تذكرة الخواص في قول بعضهم أن أول من تزوجها مصعب بن الزبير قهرا وهو الذي ابتكرها ثم قتل عنها وقد ولدت له فاطمة وكان أصدقها ستمائة ألف درهم.

وفي الأغاني أن مهرها ألف ألف درهم وولدت له بنتا اسمتها الرياب باسم أمها وانها قالت خاتمتها مصعب وأحسن من الناس موفداً علي بن عبد الصمد.

وقال سبط ابن الجوزي ولدت من مصعب ابنة سمتها الرياب وكانت فائقة الجمال لم يكن في عصرها أجمل منها فكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ما لبسها إياه إلا لتفضحه (انتهى) ثم ذكر أبو الفرج من أزواجها عبد الله بن عثمان الحزامي وزيد بن عمرو بن عثمان والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها (انتهى) وفي تذكرة الخواص: تزوجها بعد مصعب عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن الحكيم بن حزام فولدت له عثمان الذي يقال له قرير أو قرين ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أخو عمر بن عبد العزيز ثم فارقتها قبل الدخول بها ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب الزبير خطبها فقالت:

أبعد ما قتل ابن الزبير لا والله لا كان هذا (انتهى).

أقوال العلماء في حقها

في تذكرة الخواص: لها السيرة الجميلة والكرم الوافر والعقل التام وهذا قول ابن قتيبة وكانت من الجمال والأدب والظرف والسخاء بمنزلة عظيمة وكانت تؤدي إلى منزلها الأدباء والشعراء والفضلاء فتجزئهم على مقدارهم (انتهى) وفي شذرات الذهب: جمالها وحسن خلقها مشهور وفي مرآة الجنان لليافعي: السيدة سكيانة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب كانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً.

أخبارها

حضرت وقعة الطف مع أبيها (ع) وشاهدت مصرعه وروى ابن طاوس في كتاب اللهوف أن سكيانة اعتنقت جسد أبيها بعد قتله فاجتمع عدة من الأعراب حتى جروها عنه (انتهى). وأخذت مع الأسرى والرؤوس إلى الكوفة ثم إلى الشام ثم عادت مع أخيها زين العابدين (ع) إلى المدينة وفي الأغاني بسنده عن مصعب كانت سكيانة ظريفة مزاحية (وفيه) قال محمد بن سلام كانت سكيانة مزحة فلسعتها دبرة فقالت لها أمها مالك يا سيدتي فضحكت وقالت لسعنتي دبيرة مثل الأبيرة أوجعنتي قطيرة ثم ذكر من مزاحها أشياء كثيرة لا حاجة بنا إلى نقلها. وفي شذرات الذهب، لها نوادر (منها) أنها لما سمعت قول عروة بن أذينة في رثاء أخيه بكر:

على بكر أخي فارقت بكرا وأي العيش يصلح بعد بكر

قالت ومن بكر؟ أهو ذاك الأسود الذي كان يمر بنا؟ قيل: نعم، قالت: لقد طاب بعده كل عيش حتى الخبز والزيت، وفي الأغاني عن أبي اسحاق المالكي، قيل لسكيانة أمك فاطمة وأنت تمرحين كثيراً، وأختك فاطمة لا تمزح فقالت لأنكم سميتموها باسم جدتها فاطمة وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام أمينة بنت وهب (هذا يدل على أن اسمها أمينة) وبسنده إن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خطب إلى عمه الحسين عليهم السلام فخيرهم في ابنتيه فاطمة وسكيانة فاختر فاطمة فكان يقال إن امرأة تختار على سكيانة لمنقطعة القرن.

وبسنده: كانت سكيانة في ماتم فيه بنت لعثمان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد فسكتت سكيانة فقال المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت سكيانة هذا أبي أو أبوك فقالت العثمانية لا أفرح عليكم أبداً وفي الأغاني بسنده: جاء قوم من أهل الكوفة ليسلموا على سكيانة فقالت لهم الله يعلم أنني أبغضكم قتلتم جدي علياً وقتلتم أبي الحسين وأخي علياً وزوجي مصعباً فبأي وجه تلقونني أيتمتموني صغيرة وأرملتكموني كبيرة (انتهى).

ولكنني أقول لها: إن أهل الكوفة شيعتكم ومحبوكم وناشرو فضائلكم قديماً وحديثاً دون غيرهم، وفيه ما حاصله أنه خرجت بها سلعة في أسفل عينها حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعينها فدعت بالطبيب فسلخ الجلد وأخرج عروق السلعة وكان شيء منها تحت الحدقة ثم رد الحدقة وهي مضجعة لا تتحرك ولا تنن وبرئت من ذلك.

وفيه بسنده: كانت سكيانة تجيء يوم الجمعة فتقوم بإزاء ابن مطير وهو خالد بن عبد الملك

بن الحارث ابن الحكم إذا صعد المنبر فإذا شتم عليا شتمته هي وجواربها فكان يأمر الحرس بضربون جواربها.

أخبارها مع الشعراء

في بعض الأخبار أنها كانت تجالس الأجلة من قريش ويجتمع إليها الشعراء وهو باطل وإنما كان الشعراء يجتمعون على بابها فتخرج إليهم بعض جواربها وتسمع أقوالهم وتسمعهم أقوالها بواسطة جواربها وعلى لسانهن، ففي تذكرة الخواص عن هشام بن محمد الكنبي.

وفي الأغاني بسنده عن عمر موقوفاً عليه وفيه عن أبي الزناد وبين الروايات بعض التفاوت ونحن نأخذ ما نذكره من مجموعها: قال هشام اجتمع على باب سكينه بنت الحسين (ع) جماعة من الشعراء لتخابر بينهم وكانوا يرضون بحكمها لما يعرفون من أدبها وبصارتها بالشعر فأحسنن ضيافتهم وأكرمتهم وكان فيهم الفرزدق وجربير وكثير وجميل ونصيب وفي رواية أبي الفرج أنهم اجتمعوا في ضيافتها فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم وقال هشام فنصبت بينها وبينهم وأذنت لهم فدخلوا عليها وكانت لها جارية قد روت الأشعار والأخبار وعلمتها الأدب فخرجت من عندها الجارية وفي رواية أبي الفرج ومعها قرطاس فقالت إيكم الفرزدق فقال: ها أناذا فقالت الست القائل:

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي فيرجى أم قتيل نحاذره
وزاد أبو الفرج:

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا واقبلت في إعجاز ليل أبادره
أبادر بـواوين قد وكلا بنا وأحمر من ساج تبص مسامره

فقال نعم فقالت فما الذي دعاك إلى إقضاء السر خذ هذه ألف دينار والحق بأهلك هذه رواية هشام ونحوها رواية أبي الفرج وفي رواية أخرى لأبي الفرج عن أبي الزناد أن الفرزدق لما قال ها أناذا قالت أنت الذي تقول:

أبيت أمني النفس أن سوف تلتقي وهل هو مقدور لنفسي لقاءها
فإن ألقها أو يجمع الدهر بيننا فضيها شفاء النفس منها وداؤها
قال نعم قالت قولك أحسن من منظرِكَ وأنت القائل:

ودعني بإشارة وتحية وتركنني بين الديار قتيلاً
لم أستطع رد الجواب عليهم عند الوداع وما شفين غليلاً
لو كنت أملكهم إذا لم يبرحوا حتى أودع قلبي المخبلاً

قال نعم قالت.. أحسنت أحسن الله إليك وأنت القائل:

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا
فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا
أحاذر بوابين قد وكلا بها
فأصبحت في القوم القعود وأصبحت
أحي فيرجى أم قتيل نحاذره
ووليت في إعجاز ليل إبادره
وأحمر من ساج تبص مسامره
مغلقة دوني عليها دساكره

قال نعم قالت سواة لك أفشيت السر فضرب بيده على جبهته وقال نعم فسواة لي ثم دخلت
الجارية على مولاتها وقالت أياكم جرير فقال: ها أنذا قالت أنت القائل:

رزقنا به الصيد الغزير ولم نكن
فهيهات هيهات العقيق ومن به
قال: نعم قالت أحسن الله إليك وأنت القائل:

كأن عيون المجتلين تعرضت
إذا ذكرت للقلب كاد لذكرها
قال نعم قالت أحسن وأنت القائل:

سرت الهموم فبتن غير نيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
لو كان عهدك كالذي حدثني
تجسري السواك على أغر كأنه

قال نعم قالت سواة لك جعلتها صائدة القلوب حتى إذا أناخت ببابك جعلت دونها حجاباً ألا
قلت:

طرقتك صائدة القلوب فمرحبا
نضي فداؤك فادخلي بسلام

قال نعم فسواة لي فالت فخذ هذه الألف دينار والحق بأهلك ودخلت الجارية وخرجت وقالت
أيكم كثير عزة فقال ها أنذا فقالت أنت القائل:

وأعجبني يا عز منك خلانق
دنوك حتى يطمع الصب في العبا
فو الله ما يدري كريم مطلته

قال نعم قالت أعطاك الله منك وأنت القائل:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر
فما أنا بالداعي لعزة في الوري
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة

قال نعم قالت أحسن الله إليك وفي رواية تذكرة الخواص أنها قالت لكثير أنت القائل:

يقر بعيني ما يقر بعينها
وأحسن شيء ما به العين قرت

قال نعم قال أفسدت الحب بهذا التعريض خذ ألف دينار وانصرف، ثم دخلت الجارية وخرجت
وقالت أياكم نصيب فقال هذا أنذا أنت القائل:

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى علي مكانها
قال نعم قالت قد رضيت من الدنيا إن تقودك بثينة وأنت أعمى وأصم قال نعم ثم خلت
وخرجت ومعها مدهن فيه غالية ومنديل فيه كسوة فيها خمسمائة دينار فصبت الغالية على رأس
جميل حتى سالت على لحيته ودفعت إليه الصرة والكسوة وأمرت لأصحابه بمائة مائة.
وفي رواية (تذكرة الخواص) أنها قالت لجميل جزاك الله خيرا جعلت لحديثنا بشاشة وقتيلنا
شهيدا قد حكمنا لك على الجميع خذ هذه أربعة آلاف دينار وانصرف راشدا (انتهى).
وفي الأغاني بسنده عن عامر الشعبي، قال وذكر أيضا أبو عبيدة معمر بن المثنى ورواه البيهقي
في (المحاسن والمساوي) أن الفرزدق خرج حاجاً فما قضى حجه أتى إلى المدينة فدخل على
سكينة بنت الحسين (ع) مسلما وينبغي أن يكون دخوله إلى دارها بحيث لا يراها بحيث لا يراها
وخطابه لها وخطابها له بواسطة بعض حواريتها كما في الخبر المتقدم فقالت له يا فرزدق من
أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنيه عزيز علي ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام
فقال أما والله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه فقالت لا أحب فأخرج عني ثم عاد من الغد
فدخل عليها فقالت يا فرزدق من أشعر الناس قال: أنا قالت كذبت صاحبك أشعر منك حيث
يقول:

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت إذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الأسرار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار
وفي (المحاسن والمساوي) قالت أشعر منك الذي يقول:

يا بيت عائكة السدي أعزل حيدر العدى وبه المواد موكل
أنسى لا مزحك الصدود وأنسى فسما إليك مع الصدود لأميل

فقال والله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه، فأمرت به فأخرج ثم عاد إليها في اليوم الثالث
فقالت يا فرزدق! من أشعر الناس؟ قال أنا؟ قالت كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول:
إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا
فقال يا نبي رسول الله ضربت إليك من مكة إرادة السلام عليك فكان جزائي منك تكذيبي من
أن أسمعك وبني ما قيل معه صبري تأمرين بتكفييني في ثيابي هذا وأشار إلى جارية من حواريتها
كانها تمثال، فضحكت سكينة وقالت: هي لك! وضمت إليها جارية وكسوة (انتهى).

ابن منير الطرابلسي

٤٧٢-٥٤٨ هـ / ١٠٨٠-١١٥٣ م

ولادته وتأديبه،

ولد ابن منير في وقت كانت فيه طرابلس تعيش أزهى سنوات تاريخها السياسي والحضاري، فمن الناحية السياسية كانت المدينة عاصمة لإمارة مستقلة يحكمها القضاة من بني عمار، وتمتد حدودها السياسية من مدينة جبلة الساحلية شمالاً، حتى جبيل في الجنوب على ساحل الشام وتنتهج سياسة محايدة بين دولتي السلاجقة في العراق والفاطميين في مصر.

ومن الناحية الحضارية كانت طرابلس تشهد أعظم حركة ثقافية وعلمية في تاريخها على الإطلاق، إذ كانت ولادة شاعرنا بعد سنة واحدة من تجديد بناء مكتبة طرابلس ودار الحكمة بها المعروفة بدار العلم في سنة ٤٧٢/١٠٧٩م على يد القاضي جلال الملك بن عمارة حاكم إمارة طرابلس المستقلة، ومن الطبيعي أن يكون ابن منير من بين الطلبة الذين ترددوا عليها وتخرجوا على أساتذتها في عهد ناظرها القاضي ابن أبي روح، فتلقى علم النحو على أستاذ الدار أبي عبد الله الطليلطي الذي أصبح فيما بعد ناظراً على دار العلم بعد القاضي ابن أبي روح وكان الطليلطي هذا أستاذاً للشاعر الدمشقي ابن الخياط الذي أقام في طرابلس بين سنتي ٤٧٦ - ٤٨٦ هـ مع غيره من الشعراء والأدباء الذين كانوا من طلبة الدار. كما أصبح الطليلطي أستاذاً خاصاً للأمير الشاعر أسامة بن منقذ في شيزر نحو عشر سنوات أيضاً.

وكانت مطارحات الشعر ومسابقاته والمناظرات والمناقشات العلمية والأدبية والفقهية والفلسفية تعقد بين وقت وآخر في مجالس الأمراء القضاة من بني عمار. الذين اشتهروا بأنهم كانوا يتمتعون بصفات علمية أكثر من كل ما كان لهم من صفات حربية حسب تعبير مؤرخ الحروب الصليبية ستيفن رنسيومان، فكانوا يجزلون العطايا والهبات للشعراء والأدباء وينفقون الأموال بسخاء لشراء المخطوطات من مختلف المصنفات ومن شتى الأقطار ويدفعون المخصصات الشهرية بالدنانير الذهبية، التي تضرب في طرابلس لطلبة دار العلم وشيوخها ونظارها والنساجة والوراقين الذين يعملون فيها ليل نهار.

في هذا الجو المفعم بالعلم أبصر ابن منير فنشأ بطرابلس وحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة والأدب وقال الشعر.

والجدير بالإشارة أن المصادر التاريخية الكثيرة التي تحدثت عن شاعرنا وأوردت قصائده وشيئاً من شعره لم تذكر اسم أي من شيوخه الذين درس عليهم وجل ما نعرفه أنه كان يحفظ

كتاب (الجمهرة) لأبي بكر بن دريد حفظاً جيداً، كما لم تعطنا المعلومات الكافية عن أسرته، فلم نعرف إن كان قد تزوج بطرابلس أو غيرها بعد خروجه منها، ولم نقف في كتب التراجم والسير وغيرها على اسم أحد من أبنائه فلعله لم يتزوج أو لعله تزوج ولم يعقب رغم أنه كان يكنى أبا الحسين، وتتوقف معرفتنا عند جد أبيه واسمه مفلح فهو إذاً:

أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح أبو الحسين مذهب الدين الملقب بعين الزمان المشهور بالرفاء.

وأما أبو المترجم المنير فكان شاعراً كجده (المفلح) كما في نسمة السحر، وكان منشداً الشعر العوني. ينشد قصائده في أسواق طرابلس كما ذكر ابن عساكر في تاريخ الشام ج ٢ ص ٩٧، وبما أن العوني من شعراء أهل البيت عليهم السلام ولم يؤثر عنه شيء في غيرهم، وكان منشده الشيعي هذا يهتف بها في أسواق طرابلس وفيها أخلاط من الأمم والأقوام كانوا يستقلون نشرتلهم المآثر بملأ من الأشهاد وبالرغم من غيظهم الثائر في صدورهم لذلك ما كان يسعهم مجابته والمكاشفة معه علي منعه لمكان من يجنح على العترة الطاهرة هنالك فعملوا بالميسور من الوقعة فيه من انه كان يغني بها في الأسواق كما وقع في لفظ ابن عساكر وقال: كان منشداً ينشد أشعار العوني في أسواق طرابلس.

واسقط ابن خلكان ذكر العوني وإنشاد المنير لشعره فاكتفى بأنه كان يغني في الأسواق زيادة منه في الوقعة وعلماً بأنه لو جاء بذكر العوني وشعره لعرف المنقبون بعده مغزى كلامه كما عرفناه، وعلم أن ذلك الشعر لا يغني به بل تضرب به الأذان لإحياء روح الإيمان وإرحاض معرة الباطل.

أما جده أحمد بن مفلح فكان يكنى (أبا منير) ووالده يكنى منير بن أحمد (أبا أحمد) ولقب منير بالرفا لأنه كان يرفو الثياب، على ما يذكر ابن عساكر وقد تعلم ابنه هذه الحرفة فاشتهر بها ايضاً.

وتصمت المصادر التاريخية على إعطاء أي ضوء عن حياة ابن منير في طرابلس التي ناهزت الثلاثين عاماً على الأرجح بينما نقف على أخباره وهو بدمشق وحلب وحماة وشيزر وغيرها. وهذا يقال ايضاً عن شعره، إذ لم نعرف له شعراً قاله في بلده.

وأغلب الظن أنه كان ينظم الشعر وهو في بلده قبل أن يغادرها فكان شعره هو السلاح الأساسي الذي اعتمد عليه في حياته التي قضاه متنبلاً بين دمشق وبغداد وحماة وشيزر وحلب.

وكان خروج ابن منير من بلده إبان الحصار الصليبي لها. ولعله كان ضمن جماعة من أهالي المدينة طلبوا الأمان من الصليبيين وخرجوا إلى دمشق قبل سقوط طرابلس بأيديهم في سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م.

ويظهر أن أباه توفي في طرابلس في وقت سابق لخروجه هو منها إلى دمشق إذ لم نسمع عنه شيئاً.

مني ومنك استفاد الناس ما كسبوا
 وكان ابن منير كثير الأعداء عنه، فقال له بعض الأمراء عنده، بعد خروج ابن منير: انظر أيها
 الأمير إلى قول ابن منير لك يهددك في هذا البيت: مني ومنك!
 وكان طغتكين رجلاً جاهلاً تركياً، وقد سمع الناس يقولون عند تهديد بعضهم بعضاً: مني
 ومنك..

فوقع ذلك في نفسه وغضب، وطلبه، فاخفى وخرج من دمشق.

ويضيف ابن العديم إلى ذلك قوله:

هذا معنى ما حكى لي قاضي العسكري، ويحتمل أن يكون خوفه واختفاؤه لمجموع الأمرين.
 ومهما يكن الأمر الذي استوجب خروج ابن منير من دمشق، فإن هذا لا ينفي عنه ميله
 الواضح إلى الهجاء في شعره، ولا شك في أن هجاءه ولسانه السليط، المقترن بتشجيعه كانا سبباً
 رئيسياً في تأليب الناس عليه، والعمل على الانتقام منه.

وقال ابن عساكر الذي رآه ولم يسمع منه شيئاً، إنه كان شيعي المذهب وكان هجاءاً سليط
 اللسان، ولكثرة ما هجا رجالات دمشق سجنه أميرها بوري ابن طغتكين مدة وعزم على قطع
 لسانه، فاستوهمه يوسف بن فيروز الحاجب فوهب له وأمر بنفيه من دمشق فلما ولي ابنه اسماعيل
 الحكم عاد ابن منير إلى دمشق.

ثم تغير عليه اسماعيل أيضاً، فطلبه وأراد صلبه، فهرب واخفى في مسجد الوزير أياماً، وهو
 بظاهر دمشق عند أبي اسحاق إبراهيم بن محمد القيسي، وكان صديقاً لابن منير.

ويبدو أن ذلك كان بعد سنة ٥٢٩ هـ إذ في هذه السنة فرّ الحاجب يوسف بن فيروز من اسماعيل
 أيضاً إلى تدمر، ثم خرج ابن منير من دمشق ولحق بالبلاد الشامية الشمالية، ثم عاد إلى دمشق
 بعد مقتل اسماعيل سنة ٥٢٩ هـ ولبث فيها مدة ثم خرج منها خائفاً من رئيسها ووزيرها مؤيد
 الدولة ابن الصوفي الذي تولى الرئاسة سنة ٥٣١ هـ حتى سنة ٥٣٩ هـ وذلك في عهد صاحبها مجير
 الدين أبق فانتقل إلى شيزر وأقام عند أميرها أبي العساكر سلطان بن منقذ الذي ولد مثله في
 طرابلس وفي ذلك يقول العماد الكاتب:

ولقد كان مقيماً بدمشق إلى أن أحفظ أكابرها وكدر بهجوه مواردها ومصادرها فأوى إلى
 شيزر وأقام بها، وروسل مراراً بالعود إلى دمشق فضرب بالرد وجه طلبها، وكتب رسائل في ذم
 أهلها، وبين عدره في تنكب سبلها واتصل في آخر عمره بخدمة نور الدين محمود بن زنكي -رحمه
 الله- ووافى إلى جلق رسولاً من جانبه قبل استيلائه عليها وتملكه لها، وارتمى عنده من الوجاهة
 والكرامة حللها.

وعندما كان ابن منير مقيماً في شيزر حضر إليه زين الدين ابن حليم يرغبه في العودة إلى
 دمشق وخدمة مقدم جيشها معين الدين أتر، ثم عاد وكتب له رسالة في ذلك عند مغادرته شيزر
 ولكن ابن منير كتب له جواباً بين فيه أسباب خروجه من دمشق وما لقيه فيها من أعدائه، وأنه

بات يناهز الستين من عمره، وقد ضرسته التجارب والأيام، ولن يعود إلى دمشق إلا إذا ضمن له حياته من الاغتيال وهو في الطريق إليها وعندما كان مقيماً في حماة سنة ٥٤٦ هـ حاصر نور الدين محمود دمشق، فأشده ابن منير قصيدة ينال فيها من صاحبها مجير الدين أبق ووزير ابن الصوفي ومنها قوله:

قل لميسر الدين وهو مجيره	بزعم له وجه الحقيقة أزيد
حملت الصليب باغيا، ونبذته	وتعرك مطووس النيات وأدرد
وحاربت حزب الله والله ذاهب	لناصرة ودين أحمد أحمد
تنصرت حيناً، والبلاء موكل	ولا بد من يوم به تنهود
تخذت بني الصوفي أسرا وأسرة	لكي يصنحوا ما في يديك فأفسدوا
لعمري لنعم العبد أنت تجيعه الـ	موالي وتواليه هوانا فيحمد

وهكذا نرى ابن منير يخرج من دمشق هارباً أربع مرات على عهد (طغتن) المتوفي سنة ٥٢٢ هـ ثم ابنه (تاج الملوك بوري) المتوفي سنة ٥٢٦ هـ ثم حفيده اسماعيل المتوفي سنة ٥٢٩ هـ ثم ابن حفيده المظفر أبق.

وكل ذلك بجريرة لسانه السليط، وهجائه الفاحش الذي كان يضرب به المثل. فعندما ذكر ابن واصل المتوفي سنة ٦٩٧ هـ بعض أشعار ابن عنين صاحب الديوان في كتابه منرج الكروب قال إنه كان هجاء، وإله في هذا الباب شيء كثير أرى فيه على ابن منير.

شعره الجهادي

ويتضح من شعر ابن منير في عماد الدين ونور الدين أنه بفيض حماسة وتشوقاً إلى تحرير بلاد المسلمين من الإفرنج، ويتسامى في قصائده الحماسية عن الصغائر والسناسف، من العنعنات المذهبية وغيرها. فهو على تعصبه العلوي يمدح الملوك الزنكيين السنة الذين ينافحون عن الدين الإسلامي ويجاهدون في الله حق جهاد، ويحررون البلاد من قوات الاحتلال الصليبية.

ولقد صورت لنا قصائده الحماسية، عصر الجهاد ضد الصليبيين بما فيه من الوقائع الحربية، وفتح المدن والحصون، وسقوط القتلى والجرحى والأسرى في تلك المعارك، فذكر أسماء الكثير من الأماكن التي شهدت جولات الصراع الحربي بين المسلمين والصليبيين، وأرخ لها في شعره وجاء ذلك من خلال ٦ ست قصائد في عماد الدين، و٤٧ سبع وأربعين قصيدة في نور الدين ذكرها أبو شامة في كتاب الروضتين.

وفي هذه القصائد يظهر أسلوب شاعرنا واضحاً في تصنعه البياني والبديعي واشتقاق الأفعال التي تتجانس مع أسماء ملوك الفرنجة وأمرائهم، مثل قوله من قصيدة يمدح فيها عماد الدين زنكي:

بعماد الدين أضحت عروة الد	ين معصوباً بها الفتح المبين
هم قسطنطين أن يضرعها	ومضى لم يحو منها قسطنطين

برنست رأس «برنس» ذلة
و«سروج» منذ وعت أسراجـه
سل بها حران كم حرى سقت
سمطت أمس «سميساط» بها
وقوله من قصيدة في نور الدين:

سل بصيرا: كم أعتقت يوم بصرى
كم عرام على «العريمة» شبت
ولكن هبوة بـ «هاب» وأختـيـ
بسط الذل فوق بسطه «باسو»
وقوله من قصيدة أخرى:

يمسى بنات في بونه
صدم الصليب على صلابه عوده
وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة
فانقاد في خطم المنية أنفه
ومضى يؤنب تحت «أنب» همة

أشعاره في دمشق:

ومما قاله في مدح دمشق:

سقى دمشق ومغنى للهوى فيها
لا زال للدوح عطارا يراوحها
دار هي الجنة المحبور ساكنها
تبارك الله كم من منظر بهج
بذوب صافية دقت حواشيها
يا هل ترد لي الأيام واحدة
ما بين ظبي بلحظ الطرف أقتصه

وله يذكر متنزهات دمشق وقراها ويمدح تاج الملوك بوري بن طغتكين وهي من قلائد شعره
وأجوده وأولها:

حي الديار على علياء جيرون
مراد لهوى إذ كفى مصرفة
بالتيربين ف مقري فالسرير ف جمـ
فالقصر فالمرج فالמידان فالشرف الـ

بعدهما جاست حوايا «جوسلين»
فرقت جماعها عنها عضين
بردا من يوم ردت «ماردين»
نظم جيش مبهج للناظرين

من أسار الموت الزوأم عتاقه
ضاق منه على الصليب خناقه
ها لها صكت الأسارى رباقه
طا، ولكن طواه عنه ارتفاقه

فوق القوانس والقنا قيناته
فتفرت أيدي سبا خشباته
بـ الروج ممقر ما جنت غدراته
يوم الخطيم وأقصرت نزواته
أمست زوافر غيها زفراته

حيا تهز له أعطافها تيهـا
وللسحائب خمارا يغاديهـا
إن لم تكنها والا فهي تحكيها
يستوقف الطرف في بطحاء واديهـا
وثوب صافية رقت حواشيها
من الهنات التي قضيتها فيها
وظبية بخداع القول أحويهـا

مهوى الهوى ومغاني الخرد العين
أعنة اللهو في تلك الميادين
ريا فجو حواشي جسر جسرين
أعلى فسطرا فجرمانا فقلبين

فأبل فمغاني دير قانون
رمل المصلى ولا أثلاث ييرين
وبرد أنفاس أصال التشارين
حربا وابلى لغروي في صريفين
يشدو ويسعده طير البساتين
عن طل أصداغ الرياحين
بدير مران أعياد الشعانين
يأتيك في كل حين غير مكنون
بيض المباسم في خضر الجفانين
عن الأدلة فيها والبراهين
آثار الطاف فخر الدين بالدين
من الموارن منها والعيرانين
أجرته في فلكي عز وتمكين
شمس محت كل تأثير وتزيين

إلى الغيضةتين وحمورية
دلاح مكفكة الأوعية

فالماطرون فداريا فجارتها
تلك المنازل لا وادي الأراك ولا
واها لطيب غديات الربيع بها
أشتاق برزة درنا والأرزة من
هيهات شط حميم الشط عن خضر
يؤم كافور حصباء العيون به
ويطيبني لدار الروم ما شهرت
أبدت دمشق ربيعا جل صانعه
سود الذوائب في حمر الخدود على
آيات حسن غنيات بأنفسها
كأن أطفاهها تجلو لأعيننا
عريق مجد يرى ساسان منصبه
وهمة قد سمت للملك تكلؤه
تنوج الملك من تاج الملوك سنا

وقال أيضا:

سقاها وروى من النيرين
إلى بيت لها إلى برزة

القصيدة التترية

تعتبر هذه القصيدة من أشهر قصائد ابن منير وأطولها قال داود الأنطاكي في مناسبتها:
الشيخ مذهب الدين بن منير الطرابلسي، وكان أدبيا ظريفا عارفا بالشعر والأدب وكان شيعيا
وكان السيد المرتضى الموسوي نقيب الأشراف بالعراق والشام، وغالب الممالك، وكان بينها وبين
مذهب الدين مودة.

قال ابن سعد في الطبقات: لأن السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم، وكان مذهب الدين
من أجلاء طرابلس فبعث إلى الشريف بتحف مع عبد أسود، فأرسل الشريف يعتبه في ذلك وكان
معروفا بالشهامة فمما قال له: أما رأيت شرا من السواد حتى ترسله إلينا؟
وحكى قاضي القضاة ابن البراج أن مذهب الدين لم يرسل إلى الشريف إلا العبد فقط فكتب
إليه: أما بعد فلو علمت عددا أقل من الواحد أو لونا أضر من السواد لبعثت به إلينا والسلام.
وكان مذهب الدين يهوى مملوكا له اسمه تتر وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة وكان إذا اشتد
غمه أورمي بمحنة نظر إليه فزال ما به، فحلف لا يرسل إلى الشريف الهدايا إلا مع أعز الناس
عنده، فجهزها مع مملوكه، وأخذ يقاسي مشاق فرقته.

فلما وصل المملوك إلى الشريف توهم أنه من جملة الهدايا تعويضا من ذنب العبد فأمسكه وطال الأمر فلم ير ما ينكي به الشريف ويبعثه على إرسال المملوك إلا إظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب أهل السنة، وأن دليل ذلك أمر عظيم أخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه، فأرسل إليه بهذه القصيدة، يذكر فيها وجده بالمملوك، وخروجه من المذهب وتلبسه بالتستر. والشريف المذكور في الخبر قد ظنّه بعض المتأخرين (الشريف المرتضى) وانزلق وراءه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية، ٢١/٣ وليس بصحيح فإن بين ولادة ابن منير ووفاة المرتضى نحو أربعين سنة فلا يمكن أن يكون هذا الشريف، هو الشريف المرتضى، وإنما هو شريف آخر كان يلقب بالمرتضى أيضا وقد سماه الشاعر نفسه في اثناء المنظومة (الشريف الموسوي ابن الشريف أبي مضر).

وأورد ابن حجة الحموي القصيدة في باب الهزل الذي يراد به الجد فقال: فمذهب الدين أحمد بن منير الطرابلسي قائد هذا العنان، وفارس هذا الميدان، وما ذاك إلا لأنه هاجر إلى مدينة السلام بغداد، والشريف الموسوي نقيب الأشراف بها، وبابه حرم الوافدين وبه يتابع الفضل التي هي مناهل الواردين.

وكان يقال إن الشريف المشار إليه من كبار الشيعة ببغداد، وعلى هذا أجمع غالب الناس فجهز إليه ابن منير عند قدومه بغداد هدية مع مملوكه (تتر) بل معشوقه الذي اشتهر به في الخافقين غرامه، وأبدع في أوصافه الجميلة نظامه، فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فأدخله في الهداية، وقصد أن يعوضه عن ذلك بأضعافه فلما شعر ابن منير بذلك التهبت أحشاؤه على مملوكه بل معشوقة (تتر) وكتب إلى الشريف على الفور:

عذبت طرفي بالسهر	وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي	من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثمانى الضنى	وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ما له	عن حسن وجهك مصطبر
يا قلب ويحك كم تخا	دع بالفرور وكم تغر
والأم تكلف بالأغن	من الظباء وبالأغر
ريم يفوق إنه رما	ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها	من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن قسي	لا يناط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيظ	بالخيوط ولا الإبر
تلهو وتلعب بالنعقو	ل عيون أبناء الخفر
فكأنهن صوالج	وكانهن لها أكبر
تخفي الهوى وتسره	وخفي سرك قد ظهر

افهل لوجدك من مدى
 نفسي الفداء لشادن
 رشا تحار له الخواطر
 عذل العذول وما را
 قمر يزين ضوء صب
 تدمي اللوا حظ خده
 هو كالهلال مثلما
 ويلاه ما أحلاه في
 نومي المحرم بعده
 بالمشعرين وبالصفاء
 وبمن سعى فيه وطا
 لئن الشريف الموسوي
 أبدى الجحود ولم يرد
 واليت آل أمية الـ
 وجحدت بيعة حيدر
 وأكذب الراوي وأطعن
 وإذا رووا خبر الغدير
 ولبست فيه من الملابس
 وإذا جرى ذكر الصحا
 قلت: المقدم شيخ تيد
 ما سل قط ظبا على
 كلا ولا صد البتو
 وأثابها الحسنى وما
 وبكى عثمان الشهيد
 وشرحت حسن صلاته
 وقرأت من أوراق مص
 ورثيت طلحة والزبي
 وأزور قبرهما وأز
 واقول: أم المؤمنـ
 ركبت على جمل وسا
 وآتت لتصلح بين جي

يفضي إليه فينتظر
 أنا من هواه على خطر
 إن تثني أو خطر
 ه فحين عاينه عذر
 ح جبينه ليل السعر
 فتري لها فيه أثر
 والبدر حسنا إن سفر
 قلبي الشجي وما أمر
 وربيع لذاتي صفر
 والست أقسم والحجر
 ف ولبي وأعتمر
 ابن الشريف أبي مضر
 إلي مملوكي تتر
 طهر الميامين الغرر
 وعدلت عنه إلى عمر
 في ظهور المنتظر
 أقول: ما صح الخبر
 ما اضمحل وما دثر
 بة بين قوم واشتهر
 ثم صاحب عمر
 آل النبي ولا شهر
 ل عن التراث ولا زجر
 شق الكتاب ولا بقر
 د بكاء نسوان الحضر
 جنح الظلام المعتكر
 حفه البراءة والزمـ
 ر بكل شعر مبتكر
 جر من لحاني أو زجر
 ين عقوقها إحدى الكبر
 رت من بينها في زمر
 ش المسلمين على غرر

فأتى أبو حسن وسد
وأذاق إخوته الردى
ما ضره لو كان كفاً
وأقول: إن إمامكم
وأقول: إن أخطأ معاو
هذا ولم يغدر معا
بطل بسواته يقا
وجنيت من رطب النوا
وأقول: ذنب الخارجي
لا ثائر لقتالهم
والأشعري بما يؤو
قال: انصبوا لي منيرا
فعلا وقال: خلعت صا
وأقول: إن يزيد ما
ولجيشه بالكف عن
وله مع البيت الحرا
والشمر ما قتل الحسيه
وحلقت في عشر المحر
ونويت صوم نهاره
ولبت فيه أجل ثو
وسهرت في طبخ الحبو
وغدوت مكحولاً أصا
ووقفت في وسط الطر
وأكلت جرجير البقو
وجعلتها خير المأ
وغسلت رجلي حاضراً
أمين أجهر في الصلا
واسن تسنيم القبو
وإذا امرؤ طلب الدلي
أو قال لي: أنا لا أسل
وكفضته وزجرته

ل حسامه وسطا وكر
وبعير أمهم عقر
وعف عنهم إذا قدر
ولّي بصفين وفر
ية فما أخطأ القدر
وية ولا عمرو مكر
تل لا بصارمه الذكر
صب ما تتمر واختمر
من على علي مغتفر
في النهروان ولا أثر
ل إليه أمرهما شعر
فأنا البريء من الخطر
حبكم وأوجز واختصر
شرب الخمر ولا فجر
أبناء فاطمة أمر
م يد تكفر ما غبر
من ولا ابن سعد ما غدر
م ما استطال من الشعر
وصيام أيام آخر
ب للمواسم يدخر
ب من العشاء إلى السحر
فح من لقيت من البشر
يق أقص شارب من عبر
ل بلحم جري البحر
كل والفواكه والخضر
ومسحت خفي في السفر
ة كمن بها قبلي جهر
ر لكل قبر يحتقر
ل ورد قولي واستمر
م قلت: هذا قد كفر
وكفى بقولي مزدجر

وأعنت ضلال الشآم
وأطعتهم وطعنت في الـ
وسكنت جلق واقتديت
بقر ترى بحليمهم
وهواؤهم كهوائهم
وعليمهم مستجهل
وخفيهم مستثقل
واقول مثل مقالهم
مصطليحتي مكسورة
وطباعهم كجبالهم
ما يدرك التشبيب تغر
واقول في يوم تحا
والصحف ينشر طيها
هذا الشريف أضلني
مالى مضل في الوري
فيقال: خذ بيد الشر
لواحة تسطو فما
فاخش الإله بسوء فع
والله يغفر للمسيء
إلا لمن جحد الوصي
واليكها بدوية
شامية لوشامها
ودرى وايقن أنني
وقصيدة كخريدة
حبرتها فغدت كزه
والى الشريف بعثتها
رد الغلام وما استم
وأثابني وجزيته
وظفرت منه بالمنى

على الضلال المشتهر
خبر المنعمن والأثر
بهم وإن كانوا بقر
طيش الظليم إذا نضر
وخليط مائهم القدر
وأخو الديانة محتقر
وثقيلهم فيه العبر
بالفاشدية قد فشر
وفطيرتي فيها قصر
جبلت وقدت من حجر
يد البابل في السحر
ر له البصيرة والبصر
والناس ترمي بالشر
بعد الهداية والنظر
إلا الشريف أبو مضر
يف فمستقر كما سقر
تبقى عليه ولا تذر
لك واحذرن كل الحذر
إذا تنصل واعتذر
ولاءه ولمن كفر
رقت لرقتها الخصر
قس الفصاحة لافتخر
بحر وألفاظي درر
غيداء ترفل في الحبر
ر الروض باكره المطر
لما قراها فانبهر
ر على الجحود ولا اصبر
شكرا وقال: لقد صبر
والصبر عقباه الظفر

قال ابن حجة الحموي إن هذه القصيدة مبنية على القسم وجوابه من البراعة إلى الختام وأما هزلها الذي يراد به الجد فإنه غاية لا تدرك، وطريق ما رأينا لغيره فيها مسلك.

ولما وصل القصيدة إلى الشريف ضحك وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذور وجهاز المملوك مع هدايا حسنة، فمدحه ابن منير بقوله:

إلى المرتضى حث المطي فإنه
تري الناس أرضا في الفضائل عنده
إمام على كل البرية قد سما
ونجل الزكي الهاشمي هو السما
وقد نسج على منوال ابن منير الطرابلسي في تتريته، عدة شعراء ومنهم القاضي جمال الدين علي بن محمد العبسي بقصيدة رواها السيد الأمين في أعيان الشيعة (في ترجمة المذكور) وخمسها الشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي.

ومن أشهر من جازاه في التتريه، الشاعر الشهير في عصره سبط ابن التعاويذي (٥١٩-٥٧٩هـ) فقد كتب بمثل التتريه إلى علوي وعده ثم أخلفه حين عزل الوزير مخدومه، وانقطعت رسومه وهذا ما قاله:

يا سمي النبي يا ابن علي
كيف أخلفتني وما الخلف بالمدي
أنت يا ابن المختار أكرم أن تذ
أنت أوليتني منك ابتداء
ولقد كان لأنقا بك أن تح
فأخو الفضل من يساعد في الش
ومتى ما استمر خلفك بالوع
صرت من جملة النواصب لا آ
وتغسلت واكتحلت ثلاثا
وتبدلت من ميتي في مش
وراني أهل التشيع في الكر
زائرا قبر مصعب بعد ما كن
وتخيرت أن يكون الزبيري
ورأتني البتول فاطمة الطه
فتكون المسؤول عن مؤمن آل

قامع الشرك والبتول الطهور
عاد من عادة الموالي الصدور
ظرفي أمر مستقل حقير
غير ما مكره ولا مجبور
مل ضعفيه عند عزل الوزير
دة لا في الرخاء والميسور
د ولم تعتذر عن التقصير
كل غير الجري والجرجير
وطبخت الحبوب في عاشور
هد (موسى) بجامع المنصور
خ بتاسومة وذيل قصير
ت أوافي دفين قبر النذور
رفيقي في يوم بعث النشور
ر وكضي في كفه المبتور
قيته أنت في عذاب السعير

قلت: ومن شعره أيضا فيما كتبه إلى الشيخ تقي الدين أبي الخير أمين الملك سلامة بن يحيى بن البققي:

قل لابن يحيى مقال غير غو
لا رافضي غث أقيم على ال
لم أنتفع مذ أقمت في حلب
وأن قلبي جو لأيام صف

أشهد من الآن أنني حموي
شيخين سوق البهتان بل أموي
طرفه عين بأنني علوي
ين ودائي من كربلاء دو

ما يصنع الحنبلي بالثنوى
يلوح من نقش نصي الغروي
بل كل وجه ذنوت منه زو
حتى كأني خلقت غير سو

ان منه من قبل شد وثاقي
علمته خيانة الميثاق
لام من بينهم نفور إباق
فاستقام النفاق بالاتفاق

وحرر الميرفي الوزن واحتاطا
فخط فوق الذي قد خف قيراطا

ب لمن ساقه القضاء إليها
دي ومكن حبله من يديها
صكة تطبع البدور عليها

يصنع بي كهلها ويافعها
كأنما عاينوا معاوية
لا أدب عاطف على أدبي
فالرزق لا مصقب ولا أمم

وقوله:

بأبي شادن توثقت بالأيم
فهو ان لا يكن لحرب فحرب
نفر من أمية نفر الإس
انفقوا في النفاق ما غصبوه

وقال:

كان خديه ديناران قد وزنا
فخف احدهما عن وزن صاحبه

في صبي سراج يسمى يوسف قوله:

يا سمى المتاح في ظلمة الج
والذي قطع النساء له الأيد
لك وجه مياسم الحسن فيه

وفاته:

توفي في جمادى الآخر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (عند جل المؤرخين) بحلب ودفن في
جبل جوشن بقرب المشهد الذي هناك، قال ابن خلكان: زرت قبره ورأيت عليه مكتوبا:

من زار قبري فليكن موقنا
فيرحم الله امرءا زارني
أن الذي ألقاه يلقاه
وقال لي يرحمك الله

في ديوان أبي الحكم عبيد الله أن ابن منير توفي بدمشق في سنة سبع وأربعين وورثه بأبيات
على أنه مات بدمشق.

مصادر ترجمته:

اعتمدنا بشكل أساسي على ديوان ابن منير الطرابلسي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري،
بيروت ١٩٨٦ وينظر مقاله المنشور في مجلة الفيصل، العدد ٧٧ سنة ١٩٨٣ ص ٧٧ وما بعدها.

والغدير للأميني ٤: ٣٢٦ وما بعدها، وله ذكر وافر في الكتب التالية:

نشرة الزمان ٨: ٢١٧، والروضتين ١: ٩١، والنجوم الزاهرة ٥: ٢٩٩، وفيات الأعيان ج ١ ص ٥١.
الخريدة للعماد الكاتب، الإنساب للسمعاني تاريخ ابن عساكر ٢: ٩٧، مرآة الجنان ٣: ٢٨٧، تاريخ
ابن كثير ١٢: ٢٣١، مجالس المؤمنين ٤٥٦، أمل الأمل للحر العاملي، شذرات الذهب ٤: ١٤٦، نسمة
السحر في الجزء الأول، روضات الجنات ٧٢، أعلام الزركلي ١: ٢٦٠، تاريخ آداب اللغة ٣: ٢٠، دائرة
المعارف للبستاني ج ١: ٧٠٩، أعلام النبلاء ٤: ٢٣١.

السيد حسين يوسف مكي العاملي

(١٣٢٦ - ١٣٩٧ هـ / ١٩٠٨ - ١٩٧٧ م)

المرجع الروحي للطائفة الشيعية في سورية

الدكتور محمد كاظم مكي

نشأته:



هو الحسين بن محمود بن إبراهيم بن يوسف ... بن مكي ... ، بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر، بن الإمام زين العابدين، بن الإمام الحسين بن الإمام علي، فهو حسيثي النسب، ويفصله خمسة وثلاثون جدياً عن الإمام حسين (عليه السلام) أما مكي فهو جده الخامس عشر، وإلى هذا الجد نسبت عائلته وبه تعرف اليوم في لبنان.

كان الحسين المكي، الرابع بين سبعة أخوة ذكور وأخت واحدة، ولد سنة ١٣٢٦ هـ. ١٩٠٨ م في بلدة حبوش قضاء النبطية في منطقة وجبل عامل من جنوب لبنان في بيت علم وتقى وفي أسرة عرفت بانصرافها إلى شؤون الدين والتشريع، فأبوه السيد محمود وجده السيد إبراهيم كانا من الأتقياء المهتمين بشؤون الإيمان، وعمه السيد حسن

يوسف مكي^(١) الفقيه المجتهد، اشتهر باجتهاده وتقواه فعرف في أوساط جبل عامل بالسيد الرئيس وذلك حين توليه مهمة الرعاية الدينية في منطقة النبطية لمدة تزيد على خمسة عشر عاماً وذلك بين ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م - ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م.

باشر الحسين دراسته الأولى في كتاب بلدته حبوش، ثم في مدرستها الرسمية، التي كانت تعتمد تدريس اللغة الأجنبية، وانتقل بعد ذلك إلى مدينة النبطية القريبة من بلدته، حيث أنهى في مدرستها الرسمية، دراسة الشهادة الابتدائية وكان يدير هذه المدرسة المربي المعروف المرحوم الأستاذ عبد اللطيف

(١) هو الحسن بن يوسف بن إبراهيم بن علي مكي، ولد في بلدة حبوش سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م أنهى دراسته الأولى في مدرسة جباع الدينية في قضاء النبطية - وأكمل دراسته الفقهية في جامعة النجف، متبحراً في بحوثه حيث قضى مدة ٢٢ سنة عاد بعدها إلى وطنه لبنان، أسس ذلك سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م وبعد سنة واحدة من عودته، كان له دور في الجهاد الوطني، حيث عرف بجراته وبالدفاع عن حقوق أبناء وطنه تجاه الدولة العثمانية توفي سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ودفن في النبطية.

فياض الذي تولى هذه المهمة بعد سنة ١٩٢٠م تاريخ الحاق هذه المدرسة بوزارة المعارف. بعد انتهائه دروس المرحلة الابتدائية التحق الحسين المكي، بالمدرسة الحميدية الجديدة في النبطية، التي كان قد تولى إدارتها ابتداء من ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م العلامة الشيخ محمد رضا الزين قاضي النبطية الشرعي آنذاك، وقد درس الحسين المكي في هذه المدرسة، اللغة والمنطق والفقه وبعض العلوم الدينية. التحق الحسين المكي بهذه المدرسة طالباً خارجياً في أول أمره، ثم أصبح من طلابها الداخليين، مع نذر من أبناء بلدته، وأبناء القرى المجاورة الذين كانوا يقصدون المدرسة الحميدية الجديدة للدراسة الدينية العامة، ولانتهاء المرحلة التحضيرية الخاصة، والمؤهلة للالتحاق بجامعة النجف الأشرف في العراق. وقد بقي الحسين طالباً في هذه المدرسة حتى سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م بينما كان العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين صادق، المجتهد والمسؤول الديني آنذاك في النبطية يشجع السيد محمود مكي، والد الحسين على إرسال ولده هذا، وأخيه الأكبر السيد علي إلى النجف للدراسة الفقيهية وكان الحسين يتشوق إلى ذلك.

التحاقه بالتعليم

بانظار التوجه إلى النجف، للدراسة الفقهية في جامعتها، ندب الحسين إلى القيام بمهمة تعليمية دينية، في محافظة البقاع من لبنان حيث أعطي إجازة بفتح مدرسة قرائية دينية في قرية علي النهري - قضاء زحلة - وكان ذلك بموجب المرسوم رقم ٦٥٣٧ الصادر عن رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك السيد شارل دباس بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٣٠ وكان السيد جبران تويني، وزير المعارف العامة والفنون الجميلة.

وقد بقي الحسين المكي يدير هذه المدرسة حوالي سنتين متاليتين، ألا أن حلمه في الوصول إلى جامعة النجف الأشرف، لم تحل دونه كل المهام الموكلة إليه، فتحقق حلمه في نهاية صيف ١٩٣١م / ١٣٥٠هـ.

الحسين طالب في جامعة النجف الأشرف

توجه الحسين إلى النجف بعد أن أكمل المقدمات العلمية الدينية في لبنان، وكان قد بلغ مرحلة من النضج والثقافة الدينية، ويبدو من العودة إلى مكتبته الخاصة، أن الكثير من الكتب التي امتلكها واطلع عليها قبل ذهابه إلى النجف، تدل على عمق ثقافته الدينية، المبكرة والتي تعود إلى سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م وهذه الكتب جلها من مؤلفات مفكري جبل عامل مثل الكفعمي والشهيد والبهاء العاملي. ذهب الحسين إلى النجف سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م برفقة طالب قديم في هذه الجامعة هو المرحوم العلامة الشيخ رضا فرحات، وكان العلامة فرحات قد عاد إلى وطنه لبنان لقضاء عطلة الصيف، فرجع إلى النجف يرافقه الحسين المكي، الذي حل في أول أمره في منزل الشيخ رضا فرحات نفسه، في محلة العمارة في النجف، حيث تواجد الطلاب العاملون المقيمون في النجف لزيارة الشيخ العائد، وللاستقبال الطالب الجديد، الذي كان يعرفهم الشيخ فرحات بشخصه قائلاً بعد

الإشارة إليه السيد حسين مكي أحد أرحام الجليل المقدس السيد حسن يوسف مكي، وذلك بسبب شهرة عنه المرحوم السيد حسن، والتي ظلت مستمرة بعد وفاته.

وقد كان هذا اللقاء بداية علاقة ود وصداقة بين السيد حسين مكي، والعلامة الشيخ حسين معتوق الذي كان قد سبقه إلى النجف الأشرف، لطلب العلوم الدينية وقد توثقت العلاقة بينهما فيما بعد، لتكون علاقة زمالة في البحث وعلاقة أخوة في الله، وعلاقة جهاد في سبيل الإيمان. وحيث أن الشيخ رضا فرحات كان يقيم في منزل مجاور لمنزل العلامة الشيخ علي الفقيه، الذي أصبح فيما بعد، وبفضل إقامة السيد حسين مكي في منزل الشيخ رضا فرحات، من أصدقاء السيد المكي.

وكان سماحة المرجع الشيخ محمد تقى الفقيه شقيق العلامة الشيخ علي الفقيه يتردد على منزل شقيقه ويلتقي صديقه الجديد السيد المكي، الذي أصبح فيما بعد شريك درسه، ورفيق بحثه، حيث أن السيد حسين مكي، بعد نزوله في بيت الشيخ رضا فرحات، انتقل إلى إحدى مدارس المدينة الجامعية في النجف الأشرف، هي مدرسة ميرزا حسين الخليلي الكبرى، التي ضمته مع الشيخ محمد تقى الفقيه.

وفي هذه المدرسة وخارجها وفي معاهد الدراسة في النجف، التقى السيد المكي نقرأ من الطلاب والعلماء العاملين، مثل أصحاب الفضيلة الشيخ محمد حسين الزين والسيد عباس أبو الحسن. وبعد مرور ثلاث سنوات على دراسته في النجف، عاد الحسين المكي إلى لبنان ليتزوج من كريمة المرحوم العلامة المقدس الشيخ محمد رضا الزين. وعندما عاد إلى النجف تابع دراسته على نفر كبير من العلماء والمراجع.

أساتذته وزملاؤه

تابع السيد حسين مكي رحمه الله، دراسته الفقهية المتقدمة الموسعة والمعقدة على كبار العلماء الأصوليين، والفقهاء الأعلام في جامعة النجف الأشرف، فقد درس أبحاث الكفاية في الأصول على العلامة المرحوم الشيخ خضر الدجيلي وتعمق في دراسة الأصول لدى العلامة السيد محمود المرعشلي ثم أخيراً عند المؤلف الأصولي الشهير الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني، صاحب كتاب (فوائد الأصول).

كما درس عند المرجع الشيخ حميد ناجي في الفقه والأصول أيضاً، حيث أتم عنده الاطلاع والبحث في كتاب المكاسب في معاملات الفقه للشيخ مرتضى الأنصاري.

أما الدراسات الفقهية الموسعة فقد باشرها عند المرجع السيد حسين الحمامي رحمه الله، ثم عند المرجع الأعلى المجتهد السيد محسن الحكيم رحمه الله.

وقد التقى عند هؤلاء الأساتذة المراجع، مع نفر من زملائه العلماء اللبنانيين كأصحاب الفضيلة الشيخ محمد تقى الفقيه، والشيخ إبراهيم آل سليمان، والشيخ حسين معتوق والسيد عباس أبو الحسن، والشيخ رضا فرحات، والشيخ علي العسلي والسيد هاشم معروف والشيخ

سليمان سليمان، والسيد محمد باقر (فضل الله).

كما التقى في النجف بعدد آخر من العاملين الذين سبقوه أو عاصروه كالعلامة المجتهد السيد عبد الرؤوف فضل الله، وشقيقه المرحوم السيد محمد سعيد فضل الله، هذا بالإضافة إلى زملائه من غير اللبنانيين.

درجة تحصيله

كان السيد حسين مكي، شغوفاً بالعلم، مقبلاً على البحث، راغباً في التحصيل مقدراً للوقت قيمته شعاره أن العمر فرصة أقصر من أن يتهاون فيها الإنسان لذلك وبعد إتمامه المقدمات الأساسية للدراسة الدينية. في جامعة النجف الأشرف، لم يكتف بأن يلتحق بحلقة واحدة في الدراسة، بل كان يتابع نوعين من المحاضرات، في العلوم الدينية المعقدة وذلك في دراستين واحدة نهائية، والثانية ليلية. وعندما بلغ مرحلة من البحث تفترض حضور دروس تعارف الأساتذة المراجع في جامعة النجف على تسميتها بدروس الخارج وهي في الواقع محاضرات في الفقه والأصول، تهدف إلى التدريب على الاجتهاد، حيث تطرح في الحلقات الدراسية التي تجري بإشراف كبار الأساتذة النظريات الأصولية والفقهية، فتقوم وتناقش في هذه المرحلة، التحق السيد حسين مكي، مع زميله العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه، والشيخ حسين معتوق، بمجلس الإمام المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم، وبمجالس بعض المراجع الآخرين في النجف، لكنه انقطع سنة ١٣٥٨ هجرية إلى محاضرات الإمام الحكيم، وتابع محاضرات الأساتذة الآخرين مثل السيد عبد الهادي الشيرازي وقد حضر عليه في الأصول، والسيد محمود الشاهرودي، وقد تابع حلقاته في أصول الفقه أيضاً، أما في دراسته الفلسفة الإلهية فقد التحق بمجلس السيد ملا صدرا الإيراني. وقد استمر عند كبار المراجع، يحضر حلقاتهم، ويعد أصول ومسودات مؤلفاته، وقد كان بعضها شرحاً وتعليقاً على محاضرات ومؤلفات هؤلاء الأساتذة في الفقه الجعفري وأوصله، وهذا ما فعله السيد المكي بالمحاضرات التي كان يلقيها السيد محسن الحكيم حول كتاب (العروة الوثقى). وقد كانت تعليقات السيد المكي هذه أساساً لمؤلفاته التي نشر بعضها فيما بعد، وبقي البعض الآخر منها مخطوطاً.

أما بشأن إجازات المراجع له فقد أجاز السيد المكي للمرة الأولى من أستاذه الشيخ خضر الدجيلي، أثر إنجازته دراسة (الرسائل للأنصاري) وبعد ذلك بزمان غير طويل، أصبح مجتهداً مطلقاً، فقد أجازته المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم بتاريخ ٣ رجب ١٣٧٣ هجرية، ومن جملة ما قال الإمام الحكيم في إجازته هذه أن السيد حسين يوسف مكي العامل في قد بذل جهده في تحصيل العلوم الدينية فحضر على جماعة من أعيان الفضلاء المحققين واستفاد من فوائدهم.. حتى حاز على ملكتي العدالة والاجتهاد وقوة استنباط الأحكام الشرعية، فهو فاضل محقق، وعالم مدقق ومجتهد مطلق، يرجع إليه في الأمور الحسبية، وفصل الخصومات وحل المشكلات، وقد عرفنا

ذلك كله بالعاشرة في مجلس الدرس والمذاكرة، فليحمد الله تعالى على هذه النعمة وليشكر عليها..
فإنها نضحة قدسية، ورشحة من رشحات النبوة، وقد أجزت له أن يروي عني جميع مع صحت
لي روايته عن مشايخي العظام، قدس الله تعالى أرواحهم، وعلى المؤمنين أن يفزعوا إليه في
مهماتهم الدينية، ويعرفوا قدره، ويحفظوا مقامه.
ورغم بلوغ السيد المكي هذه الدرجة العلمية فقد ظل مستمرا في حضور مجالس كبار الفقهاء..
مشاركا في المذكرات والحلقات بالإضافة إلى سعيه الشخصي للبحث والتأليف.

رعايته الدينية للطلاب العاملين في النجف الأشرف

كان الإمام السيد حسين مكي يعتبر أن خدمة الشرع الشريف: ليست فقط في أخذ الفقه من
ينابيعه في المصادر وبين يدي الأساتذة الأئمة المراجع بل أيضا في استمرار أعداد حملة هذا
الشرع، وإبراز النخبة من المفكرين في مجال البحث الفقهي والأصولي، لذلك فقد اهتم في
جامعة النجف بأن يتولى تدريس الطلبة من العاملين وغيرهم، وقد التقى في هدف الرعاية
هذا مع علامتين الشيخ حسين معتوق والشيخ محمد تقي الفقيه، فأقدم العلماء الثلاثة على
إقامة مجالس التعزية الحسينية، يدعون إليها الطلبة العاملين في يومي الخميس والجمعة،
فكانت التعزية تقام مساء الخميس ليلة الجمعة في منزل الشيخ محمد تقي الفقيه، وصباح
الجمعة في منزل السيد حسين مكي ومساء الجمعة في منزل الشيخ حسين معتوق وكان الغرض
من هذه اللقاءات اكتساب ثواب التعزية الحسينية أولا، وتوجيه الطلاب العاملين نحو الدراسة
ثانيا، وتفقد أوضاع تحصيلهم العلمي، واختبار مدى تقدمهم في هذا المضمار، عن طريق المذاكرة
والأسئلة التي كانت تلي مباشرة مجالس التعزية.

ومن أبرز ما نتج عن هذه اللقاءات قيام فكرة إنشاء مدرسة عاملية لبنانية في النجف يأوي
إليها الطلاب اللبنانيون، وقد ظهرت هذه المدرسة إلى الوجود بعد فترة وجيزة من الزمن بعد
سنة ١٩٥٦ وأسهم فيها حاليا نضر كبير من العلماء العاملين منهم الشيخ محمد تقي الفقيه
وللسيد حسين مكي.

هذا ولم يقتصر اللقاء بين الطلاب العاملين بإشراف أساتذتهم المذكورين على المجالس
الحسينية في الأيام المذكورة، فإن أيام العطل الأخرى والفرص كانت مجال نشاطات أدبية عابرة،
ومحور حركة فكرية ناشطة وقد بلغ عدد الطلاب العاملين في النجف الأشرف، أيام العلماء
الثلاثة: مكي، والفقيه، ومعتوق، حوالي ١٥٠ طالبا.

هذا وإن اللقاءات الفكرية للطلاب العاملين في مناسبات ومجالس دينية، كانت قد لقيت تشجيعا
من المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم قدس الله سره، وذلك رغبة منه في أن تكون هذه اللقاءات
سببا للتقارب بين الطلاب وأساتذتهم العاملين وطريقا للتقرب إلى الله، وفرصة للمذاكرة بالعلم.
وأدت فيما أدت إلى تجمع العاملين حول المدرسة التي تم إنشاؤها والتي ورد ذكرها إذا أصبح لهم بها.

لقاء وتقارب ومأوى شأن كل الجاليات العلمية الأخرى كالإيرانيين والأفغانين والأترار، والباكستانيين، والهنود والتبتيين وطلاب الخليج العربي، وقد قامت هذه المدرسة في حي السعد، المحلة الجديدة في النجف على مقربة من منزلي السيد حسين مكي، والشيخ محمد تقي الفقيه.

قيامه بالرعاية الدينية في العراق

من عادة المراجع الدينيين في النجف أن يكلفوا الدارسين في الجامعة الدينية، ممن بلغ درجة معينة من العلم والتفقه مهمة الرعاية الدينية في المدن والقرى البعيدة والقريبة من هذه الجامعة، دون أن يكون في ذلك انقطاع لهم عن الدرس والمواصلة، ففي سنة ١٩٤٦ أوفد السيد محسن الحكيم المرجع الأعلى، أحد طلابه السيد حسين مكي إلى بلدة (غماس) في قضاء أبو صخير في منطقة الديوانية -جنوبي العراق ليقوم بإرشاد المؤمنين هناك.

وفي سنة ١٩٤٧ أوفده المرجع الديني إلى بلدة الصويرة وهي مركز قضاء الصويرة من محافظة أو لواء الكوت في الوسط الشرقي من هذه البلدة، بين فترة وأخرى، خاصة في أشهر شعبان ورمضان ومحرم وصفر لتوجيه المؤمنين ورعايتهم وإرشادهم وإقامة صلاة الجماعة والعناية بأمورهم الاجتماعية، وتوحيد صفوفهم، وبقي في هذه البلدة حتى تاريخ انتقاله إلى دمشق، فكلف نجله العلامة السيد علي مكي القيام بمهمة التوجيه الديني فيها، وكان ذلك ابتداء من سنة ١٩٥٥ ميلادية، وكان الإمام الحسين المكي حين يزور العراق وعتباته المقدسة، كان يزور أيضا بلدة الصويرة التي ظل يحتفظ لها بود كبير، فقد كانت البلدة التي أحبها وأحب أهلها، وقضى فيها شطرا من عمره معلما وموجها، وتجدر الإشارة إلى أن آخر زيارة قام بها للصويرة كانت في ربيع سنة ١٩٧٦.

السيد حسين مكي في دمشق

انتقل الإمام السيد محسن الأمين إلى جوار ربه سنة ١٩٥٢ ميلادية بعد أن قضى في دمشق حوالي نصف قرن من الزمن موجها ومؤلفا ومرجعا دينيا كبيرا، فأنشأ أجيالا من المؤمنين وألف الموسوعة الإمامية الشهيرة (أعيان الشيعة) في أجزاءها التي فاضت على الخمسين، بالإضافة إلى مؤلفات عديدة فقهية، وتاريخية.

وبعد وفاة الإمام الأمين شغل مركز الرعاية الدينية في العاصمة السورية، فأجمعت كلمة المؤمنين والمراجع الأعلى السيد محسن الحكيم على أن يتولى الإمام السيد حسين مكي هذه المهمة، فحل في دمشق صيف ١٩٥٤ واستقر فيها عاملا على حفظ كيان المؤمنين دينيا واجتماعيا مزودا إياهم بالثقافة الإيمانية متحملا شأن كل العاملين في سبيل الدين والحقيقة المتاعب والمشاق، ولا بد لكل من يتصدى للمهمة الدينية في مستواها الأفضل أن يدفع ضريبة العطاء والنجاح، فاستنفذت السنوات الطويلة التي قضاها في دمشق، والتي تقارب ربع قرن من الزمن، كل جهده وتفكيره فأعطى وافرا وبذلا مخلصا من روحه وراحته، وأقام لا يفارق دمشق إلّا لماما وخصوصا في السنوات الأخيرة من حياته.

كان له في الرعاية الدينية نهج جديد، ومبدأ خاص طبقه عملياً لقد كان الاهتمام ينصب على رعاية الكهول والشيخوخ، لأنهم في الغالب أقرب إلى الله والإيمان، بينما رأى السيد المكي أن الدين للجميع وأن التقوى ليست قصراً على المتقدمين في السن، فقد توفر في الشباب كما في الكهول رغبة جامحة للعقدية يرفدها بالحياة ثقافة حديثة واسعة إلى جانب ثقافتهم الدينية المعمقة. إذ أن الشباب أكبر حاجة للرعاية والعناية، لذلك فقد خص السيد المكي فئة الشباب في المجتمع الدمشقي كل عناية، ومحضهم وده، بعد أن وجد فيهم الاستعداد الطيب والذكاء الوافر والثقافة الجامعية العالية، فنشأ منهم اليوم جيل من المتخصصين الناجحين في حياتهم العملية. والذين أكملوا ثقافتهم العامة بالثقافة الدينية، فكم بين الأطباء والمهندسين والمحامين والتجار والاختصاصيين والحرفيين الدمشقيين من وقور ورع تقي، ومؤمن عاقل رصين، يتمكن من تحمل المسؤولية الدينية وتأدية الطقوس وتلبية الواجبات، مع حيازته على ثقة إخوانه المؤمنين، وشعورهم بعدالة البعض من هؤلاء الشباب، مما يسمح بأن يتولوا إمامة المصلين.

إن تجربة المقدس السيد حسين مكي في رعايته الدينية للشباب، أكدت مجدداً أن لا مجافاة بين الدين الإسلامي، وبين العلم، وإن الدين والدنيا قد يجتمعان متوازنين لدى المؤمن المثقف، وليس أدل على تمكن المثقفين من متابعة الدراسات الدينية والتعمق بها، من أن بعض مؤلفات السيد المكي في الأصول وفي الفقه، لم تكن سوى محاضرات ومذكرات عرضت في لقائه الأسبوعي بالشباب الجامعي المثقف في منزله بدمشق، وإن كتاب قواعد الاستنباط الذي وضعه السيد المقدس في أصول الفقه مثل على ذلك فقد قال في مقدمة الجزء الأول:

وبعد فقد ساعد التوفيق على أن يجتمع لدي ثلة مباركة من شبابنا المتدينين في دمشق المحروسة من خريجي الجامعة السورية وغيرهم بقصد الثقافة في الدين، حتى حصل لديهم الاستعداد والقبالية لأن أملي عليهم هذه الدروس في علم الأصول^(١).

وهكذا اعتبر السيد المكي أن العناية بالإنسان في جنبته الروحية هي أرقى درجات العناية، دون أن تغفل إقدامه على مشاريع ومؤلفات يرد ذكرها في حينه، ولم تكن هذه المشاريع والمؤلفات، سوى العناصر الأخرى المتممة لتنفيذ خطته في إعداد الإنسان المؤمن المتوازن، فالإطار المادي من المشاريع والمؤسسات الدينية، والإطار العلمي من المؤلفات تسمح للمؤمنين بالممارسة الضمنية للشعائر وبالاعتراف من العلم الديني الصحيح، وظل كذلك حتى واجه ربه، فكانت فجيرة الشباب به كبيرة، فقد خسروا فيه الأب الروحي والمعلم.

ثانياً: علمه وعمله

علمه، روحانيته، مرجعيته، شهرة علمية مبكرة

كان السيد رحمه الله شغوقاً بالمعرفة مقبلاً على الدراسة الدينية بإخلاص عميق وقد وصف

(١) السيد حسين يوسف مكي العاملي: قواعد استنباط الأحكام، الجزء الأول دمشق ١٣٩١/ ١٩٧٢ ص ٣.



السيد حسين مكي خلال حفل في صحن السيدة زينب(ع)

سماحة العلامة الشيخ حسين معتوق صديقه وزميله السيد حسين مكي في مرحلة الدراسة في النجف، بقوله:

كان معروفا بالجد والتحصيل والمثابرة كان يحضر دروسه المعتادة عند أستاذته الأساسيين وكان يتابع عن طريق زملائه ما يفوته من محاضرات يلقيها مشاهير الأساتذة المراجع في جامعة النجف كان يتابع ذلك عن طريق الكتابة والمناقشة وكان يقوم بكل هذا بشكل غريب من الجلد والصبر والإقبال..

أما سماحة العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه زميل السيد المكي وصديقه وجاره في السكن إبان إقامتهما في النجف فهو يقول عن درسهما المشترك وإقبالهما على ذلك: كنا بعد حضورنا الدروس على السادة المراجع نعود إلى منازلنا وبعد الغروب بوقت قليل تبدأ عندنا مرحلة جديدة تمتد خمس ساعات ليلا وكل واحد بمفرده في منزله المجاور للآخر وفي غرفتي الدرس المتجاورتين. وكان من ينهي بحثه قبل الآخر يعد الشاي ويدعو صاحبه بالضرب على الحائط المشترك بين غرفتي الدرس فيحضر لشرب الشاي وتبدأ المذاكرة والمناقشة التي كانت تمتد غالبا حتى صلاة الفجر.

ويفضل الجد والجهد طار للمقدس السيد حسين مكي ولزميله الشيخ محمد تقي الفقيه

شهرة علمية مبكرة في الأوساط الفكرية والدينية في العراق وإيران ويحكي أنه في سنة ١٣٦٣ هجرية ذهب السيد المقدس والعلامة الفقيه إلى إيران لزيارة العتبات المقدسة وعندما وصلا إلى مدينة قم نزلا في مدرسة المروي الدينية توفيراً للتفقات وذلك لضيق ذات يدهما فعرف بنزولهما في هذه المدرسة علماء قم الذين أخذوا يترددون على هذه المدرسة للاجتماع بالعلامتين العاملين للمناقشة والمذاكرة فظن السيد والشيخ أنه من قبيل العادة التجارية في هذه المدرسة أن يحضر العلماء للمذاكرة والمناقشة يومياً.

وقد صادف أن حضر للقائهما بعض المشاهير من علماء إيران ووجهائها مثل الشيخ نور الدين أخو الشيخ شريعة مداري متولي شؤون مدارس ومساجد (سباه سالار) في حينه ومثل العلامة الشيخ الاشتياني، فرحبوا بهما ودعوهما واستضافوهما وبعد أن قضيا ثمانية عشر يوماً في هذه المدرسة أكملتا جولتهما في إيران لزيارة العتبات المقدسة وعادا إلى التجف، وصادف بعد عودتهما أن اجتمع أحدهما إلى السيد محسن الحكيم، بحضور السيد موسى بحر العلوم الذي تعرض في هذا الاجتماع لاحترام الإيرانيين للعلم والعلماء، وأكد السيد بحر العلوم ذلك مشيراً إلى التفاف العلماء الإيرانيين حول الشيخ الفقيه والسيد المكي، عندما كانا ينزلان في مدرسة المروي.

مؤكد أن هؤلاء العلماء كانوا يحضرون خصيصاً إلى هذه المدرسة للقائهما، فقد نفي إلى العلماء الإيرانيين أن اثنين من علماء جبل عامل المشهورين في العراق قد حضرا إلى قم وقد عرف الشيخ الفقيه حينذاك ومن خلال اجتماعه هذا بالإمام المرجع الحكيم وبالسيد بحر العلوم أن حضور العلماء الإيرانيين الكثيف آنذاك إلى مدرسة المروي لم يكن من قبيل الزيارة المألوفة يومياً بل كان سببه نزول العلامتين العاملين مدرسة قم، واللذين طارت شهرتهما المبكرة فوصلت إلى إيران دون أن يعرف ذلك.

وقد استمرت شهرة السيد المكي العلمية في توسع، وعندما حل في دمشق كان منزله ملتقى الطلاب والعلماء والمفكرين والفقهاء من أصحاب القضاء والفتيا، وأسائدة كلية الشريعة في الجامعة السورية، حيث كانت مجالسه معهم نوعاً جديداً من الفقه المقارن، الذي كان موضوع زيارات متبادلة.

وقد شغل البحث العلمي حيزاً كبيراً من يومه فقد ظل يواصل الدرس والمعرفة في مكتبته الكبيرة في منزله بحي الأمين في دمشق بالإضافة إلى فتاواه التي كان يأخذ بها أبناء دمشق وسورية وكل من يزوره من المؤمنين في لبنان والعراق وإيران وإن مكانته العلمية مهدت السبيل لمرجعيته فبعد وفاة المرجع الأعلى للشيعة في العالم السيد محسن الحكيم سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م وجهت إلى الإمام المكي الكتب وجرت الاتصالات المباشرة بشخصه لطلب رسالته العملية وتقليده مرجعاً في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩١ هـ ووصلته أول رسالة من بعض المؤمنين في بيروت يطلب فيها كتاب الرسالة العملية الخاص به وتوالت عليه بعد ذلك الكتب، والاتصالات مما جعلته يقدم في ٥ جمادى الآخرة سنة

١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م على طبع الجزء الأول من رسالته منهاج الصالحين التي وضعها قدس سره بناء على الرغبة الملحة من إخواننا المؤمنين في طبع رسالته العملية ليعملوا بها .
أما الجزء الثاني من هذه الرسالة فقد أنهى السيد المقدس وضعه وياشر طبعه قبل وفاته وتابع ولده العلامة السيد علي الإشراف على طبع الأقسام الأخيرة منه ونشره .
أما لجهة روحانية ودرجة تقواه فإن نضراً كبيراً من أصدقائه وزملائه ورفاق درسته مازال يتندر بمستوى التقوى والروحانية والتوكل على الله والصلابة في العقيدة التي مكنته خلال فترة إقامته في العراق من مواجهة ضيق ذات يده وكثرة حاجته بإيمان عميق، وفي حياته الخاصة قصص وأحداث يتداولها طلابه وزملاؤه تدل على ذلك .

أخلاقه وميزاته

عرف رحمة الله بصلابته في العقيدة وجراته على قول الحق رغم أن هذا الخلق العلوي قد كلفه الكثير من راحته وسلامته كان لا تأخذه في الله لومة لائم مع أنه لو أراد الراحة مع السلم، وتجنب المواجهة لفعل وقد قال عنه صديقه وزميله الشيخ حسين معتوق: كان جريئاً في الحق خشناً في ذات الله وله امتياز بالمصارحة .

ويقول عنه الشيخ محمد تقي الفقيه: أهم خصائصه، محافظته على حدوده الشخصية، كان رصينا وجدياً لا يتنازل عن مراتب الرجولة، كان شخصاً متزناً ومحافظاً، كان سخياً وكان يعطي في الله وكان متواضعاً يوصي بالتواضع .

أما العلامة الشيخ إبراهيم آل سليمان فيقول فيه: كان على ما به من حدة، سريع الرضى، صافي القلب، انطبع بأخلاق أساتذته انطباعاً ظاهراً، من صدق اللسان، وامتلاك أكمل الخصال، وضبط النفس حتى مع الخصوم في الرأي وقد كان أحد أخواني في الله قدس الله سره .
ويقول عنه الشيخ إبراهيم سليمان في مكان آخر:

كان عالماً فاضلاً محققاً مدققاً تقياً نقياً طاهراً كريماً شريفاً، لطيفاً، تقي السريرة، عظيم الولاء، جيد الحديث، مسترسلاً في أموره خشناً في ذات الله، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر .
ويقول عنه العلامة الشيخ علي العسيلي القاضي الجعفري في لبنان:

«كان المقدس الحجة، السيد حسين مكي في العراق وفي البلاد أخوا وفيها مخلصاً، وكنت اعتمد عليه في كثير من الأمور وكانت موضع ثقتي وكنت موضع ثقته» .

وكان السيد المكي يردد أقوال مشاهير العلماء في التواضع والابتعاد عن الشهرة والظهور والإعلام، حتى أنه لم يترك شيئاً عن سيرته وعن حياته رغم أنه كتب الكثير وألف الكثير ويخل على نفسه بالصفحات القليلة ورغم زيارات كبار القوم له من سياسيين وحكام وعلماء وإشراف أينما حل في العالم الإسلامي فقد كان يرغب في البقاء بعيداً عن الأضواء، بعيداً عن السلطة، كان مبدؤه أن لا إشراف في الدنيا، الإيمان وكفى والتعلق بالآخرة هو الأهم، يؤمن بمبدأ القيمة الذاتية فالظروف الطارئة في

رأيه قد تعطي قيمة ومكانة لشخص ما ولكن هذه القيمة وتلك المكانة تبقى طارئة كظروفها فإذا ما زالت هذه الظروف زال هذا الموقع وتلك المكانة فلا بد للإنسان السوي من أن يحافظ في نفسه على القيمة الذاتية الثابتة، كان يضع الله نصب عينه، حين يتكلم وحين يطلب وحين يواجه شيئا ما فهو إيمانه وصلابة عقيدته كان يتوجه لله بقلبه مع أنه يخاطب الأفراد الموجهين قرية.

لقد أثبت ذلك في سيرة حياته التي يعرف تفاصيلها كل من عايشه واتصل به في العراق ولبنان وسورية أنه كان يحارب من يستغل الدين وكان يردد دوما الدين عقيدة وإيمان لا تجارة.

أسفاره:

بالإضافة إلى زيارة العتبات المقدسة في العراق زار إيران زيارته الأولى سنة ١٣٦٣ هـ وتابعت زيارته لها مرات عديدة فعندما حل في دمشق سنة ١٩٥٤-١٩٥٥ ظل مستمرا في زيارته السنوية التقليدية للعتبات المقدسة في إيران، وكانت آخر زيارته لها في نيسان ١٩٧٤.

ذهب إلى حج بيت الله الحرام في المرة الأولى سنة ١٩٥٧ م وكان ذلك جوا، ثم حج بيت الله ثانية سنة ١٩٧٤ م / ١٣٩٤ هـ وقد رافقه في الحجة الثانية الحاج هادي الشبلي، من وجهاء حي الصالحية في دمشق.

وزار النجف للمرة الأخيرة، حيث تشرف بالعتبات المقدسة، كما زار مدينة الصويرة في العراق خلال شهر أيار ١٩٧٦.

برنامج عمله اليومي

كان ينهض رحمه الله فجر كل يوم ليصلي صلاة الصبح في مسجد الإمام علي في دمشق، المسجد القريب من منزله ليؤم بعض المصلين وعند طلوع الشمس يتوجه إلى زيارة ضريح السيدة زينب ويعود إلى منزله ليستقبل بعض طلابه الذير كانوا يترددون عليه لتلقي الدروس، كما كان يستقبل بعض طلابه الذين كانوا يترددون عليه لتلقي الدروس. كما كان يستقبل بعض المراجعين من طلاب الفتوى والاستشارة قبل أن ينصرف على التأليف والتأليف التي كان يتابعها حتى أذان الظهر فينصرف ثانية إلى المسجد ليؤدي صلاة الجماعة وبعد الظهر يعود إلى الراحة والكتابة واستقبال مراجعيه من المؤمنين بانتظار صلاتي المغرب والعشاء جماعة في المسجد نفسه أيضا.

وبعد عودته ليلا إلى منزله كان يستقبل بعض الشباب الجامعيين الذين كانوا يتابعون عنده الدراسات الدينية المعمقة والمتقدمة، أو يستقبل أصحاب الحاجات، والمراجعين المستفسرين.

كان يؤمن في منهجه اليومي بثلاث أمور:

- ١ - أن يؤدي الصلوات الخمس في المسجد.
- ٢ - أن يستقبل طلابه صباحا ومساء وفي جميع مستويات الدراسة.
- ٣ - أن يستقبل الفقراء والمعوزين والمستفسرين والمستفتين، كان يؤمن كل ذلك في نهار مليء بالعمل منظم بدقة.



مشاريعه

كان العلامة المقدس يؤمن بأن العمل هو الثمرة الفعالة للعلم وإذا كان البحث والتأليف والكتابة النافعة للمؤمنين هي بعض المظاهر العملية لاكتناز العالم علمه، فإن المشاريع التي تساعد المؤمنين في تادية واجباتهم الدينية، وممارسة شعائهم الثقافية وطقوسهم. وفي حفظ علوم الدين وتدارسها وتأمين الثقافة الدينية بواسطة المساجد والحسينيات والمكتبات بالإضافة الى إحياء مواسم الذكرى الدينية.

هذه المشاريع كان يعتبرها المظهر العملي الآخر فكان حيث يحل يشجع بناء المساجد والنوادي الحسينية والمكتبات ونسوية المقابر أو أنه يبادر فعلا إلى إقامة مشاريع من هذا القبيل في لبنان وسورية والعراق، حيث توزع نشاط عمره. ومن أبرز مشاريعه الباقية التي باشرها فعلا:

- ١ - مسجد الإمام علي في دمشق، أقامه في حي الأمين ضمن مجمع ديني يضم أيضا ناديا حسينيا ومكتبة، وقد أنهى تشييده سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- ٢ - مسجد النقطة في حلب سمي بمسجد النقطة بسبب سقوط نقطة دم من رأس الحسين بعد قتله في كربلاء ونقله منها إلى دمشق مروراً بحلب، وقد بنى هذا المقام سيف الدولة الحمداني حوالي سنة ٣٥١ هـ، ثم توالى العمارات عليه حتى نهاية القرن السادس الهجري. وظل على حاله إلى أن حدث في داخله انفجار وتهدم حوالي ١٣٣٧ هـ، وقد تعاون نضر من المؤمنين والعلماء وأصحاب الغيرة والأثرياء بالتبرع، بتوجيه من السيد المقدس لإعادة هذا البناء حوالي سنة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٨ م فقد غطى المحسن الحاج عبد الرزاق مرجان، وهو أحد وجود الخير في العراق بتبرعاته قسماً كبيراً من كلفة البناء^(١)، بينما توالى تنفيذ هذا البناء وإعادة ترميمه، جمعية الإعمار والإحسان في حلب برئاسة العلامة الشيخ إبراهيم الضرير.
- ٣ - مسجد جديدة يابوس. ويضم حسينية أيضاً. بدأت أعمال البناء فيه عام ١٩٧٦ م وقد تبرع نضر من المؤمنين لتغطية نسبة كبيرة من كلفته وتوفي السيد المقدس والبناء في مرحلته الأخيرة وتابع نجله السيد علي الإشراف على عملية إنتمامه. هذا إلى جانب مشاركته الجزئية في كثير من المشاريع المماثلة في بعض المناطق السورية واللبنانية.

وفاته

صباح الأربعاء ٥ ذي الحجة ١٣٩٧ هـ الموافق ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٧ أجريت للعلامة المقدس

(١) نشرت الموسم ملفاً ضخماً عن سيرة المحسن العراقي الكريم عبد الرزاق مرجان وولده عبد الوهاب مرجان (راجع الموسم،

جراحة بسيطة في أحد مشافي دمشق، غير أن وضعه الصحي ما لبث أن تدهور في اليوم الرابع لإجراء الجراحة، وشاءت إرادة الله تعالى أن يواجه السيد المكي ربه حوالي الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر الاثنين ٢١ تشرين الأول ١٩٧٧ الموافق عيد الاضحى لعام ١٣٩٧هـ، وكان رحمه الله قد صلى صلاة العيد على سريريه في المستشفى وحوله بعض أبنائه ونفر من المؤمنين، وبعد أن أنهى الصلاة توجه كعادته بالإرشاد والنصح لمن حضر من المؤمنين المتحلقين حول سريريه، دون أن يدري هؤلاء أن هذه الكلمات كانت التوجيهات الأخيرة للمرجع الكبير، حيث لم يكن ينتظر كل من سمع إرشاداته وكلماته وهو في منتهى الإقبال والوضوح أنه سيغادر إلى العالم الآخر في برهة قصيرة. وظهر الاثنين نقل جثمان السيد المقدس من المستشفى إلى منزله، وكانت شوارع حي الأمين وغيرها من أحياء دمشق، قد التفت بالسواد، وارتفعت أصوات مقرئي القرآن، في كل مكان تخالطها أصوات البكاء والنحيب على كل شرفة وداخل كل منزل.

تشيعه ودفنه

ظهر يوم الثلاثاء ١١ ذي الحجة ١٣٩٧ الموافق ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٧ صلى كبار العلماء والمجتهدين على جثمانه الطاهر في حسينية الإمام علي في حي الأمين- دمشق في الحسينية التي كان قد شيدها قبل عشر سنوات من وفاته، وحمل نعشه على الأكف مخترقا شوارع دمشق

باتجاه مقام السيدة زينب (ع)، في موكب حافل من أبناء العاصمة السورية، ومن الوافدين من جميع مدن سورية ولبنان، وجنوب خاصة، ووصل الموكب يتقدمه الجثمان إلى مقام السيدة زينب في الساعة الثانية بعد الظهر، وقبل أن يوارى في مثواه الأخير، في مقام السيدة زينب إلى جانب سابقه علامة الشام المرجع السيد محسن الأمين، لتضمهما حجرة واحدة، وهي الغرفة الثانية على يمين المدخل الغربي، لمقام السيدة زينب، أي المدخل الرئيسي، أقيمت بعض الكلمات التأبينية.



شارع الأمين يتشع بالسواد حزناً
على فقد المرجع آل مكي



موكب التشييع أثناء مروره في شوارع دمشق



الجهيمان الطاهر وهو مسجى في صحن السيدة زينب (ع) وأمامه جمع من العلماء

مراثيه:

مقتطفات من مراثية الإمام السيد موسى الصدر
رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله محمد وعلى أنبياء الله المرسلين وسلام الله على آل بيته وصحبه الطاهرين فمن أتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ صدق الله العظيم.
سادتي العلماء، إخواني الأساتذة، إخواني الأعزاء المسؤولين، فضيلة مندوب سماحة مفتي الجمهورية، أيها الأخوة الكرام، سماحة السيد الأخ السيد علي مكي حفظه الله، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

في ذكرى فقيدنا العالم الكبير وفي هذه الظروف القاسية التي تحتاج الأمة فيها إلى قيادات مخلصه أكثر من أي وقت آخر نتذكر عمق الخسارة فنتحمل أبعاد المسؤولية في هذا الموقف.
في التفسير الوارد الماثور في هذه الآية الكريمة أن المعنى بأطراف الأرض هم العلماء لأن الأرض لا تنتقص إلا من أطرافها والأطراف ليست أطرافاً مادية لأننا لا نشهد كما يشهدنا القرآن الكريم بانتقاص الأطراف المادية من الأرض، بل إن الأطراف التي تنتقص هي الأطراف الحقيقية للأرض، فالأرض تتحول في حركة التكامل الكوني إلى النبات، والنبات إلى الحيوان، والحيوان إلى الإنسان، فالإنسان أشرف انتاجات التراب، والإنسان في قمته عالم لأن القرآن يعلمنا هكذا ولأن العلم رؤيته وبالتالي فالعلم تحرر وسيادة فالإنسان يقف خاشعاً راهباً أمام المجهول يخشاه ويتجنبه حتى إذا عرفه يسخره ويستعمله في تحسين حياته وفي تمكينه من وضع خطوة أخرى، نحو معرفة شيء آخر، والسيطرة على شيء آخر، فبالتالي العلم سيادة لأنه يحرر الإنسان، فالعالم سيد وقمة وبالتالي فهو طرف الأرض والعلم في أنواعه كما نعلم يتصدى لخدمة الإنسان في معركتين: معركته مع نفسه ومعركته مع الحياة، فإذا كان الإنسان تقدم في معركته مع الحياة ومع الموجودات، تقدم حتى وصل إلى القمر فسخر الأرض والجبال والبحار والأشجار، وبدأ يسخر الفضاء، ودخل القمر، وبدأ يسخر النجوم، كما كتب الله له ذلك فإنه في معركته مع نفسه لا يزال يحبو، فيتأثر وينفعل، ويعيش صراعاً مريراً، بين مصالحه الذاتية وآرائه الخاصة، وأنانيته، وبين الحق والخير والتقوى، وإذا كان العلم ذلك العلم العظيم، من العلوم الطبيعية والرياضية والأدبية، والعلوم الإنسانية كلها، إذا كانت تتصدى لنصرة الإنسان في معركته مع الحياة فإن العلم الديني هو سلاحه الوحيد في معركته مع نفسه.
وإذا انتصر الإنسان في معركته مع نفسه فقد انتصر في معركته مع الحياة، وقد قال السيد



الإمام موسى الصدر خطيباً في صحن السيدة زينب(ع)

المسيح: ماذا يكون للإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه، إذ مبدأ التقدم، والطرف الحقيقي للأرض. ولخليفة الأرض الإنسان، الطرف الحقيقي، والقمة الحقيقية هي العالم الديني بالذات. الذي يربي الجيل، وينصر الإنسان في معركته مع نفسه. ويحرره من أنانيته ويجعله في بداية الطريق. وعند ذلك يتمكن من أن يسخر القوة القومية لخير الإنسان، وأن يحول الموجودات والمكتشفات والمخترعات، وكل أسرار الكون يجعلها في خدمة الحق والخير لا في خدمة إبادة الناس واستعمار الناس واستثمار الناس والتصنيف والحرب وشتى شؤون نتائج الحرب.

ومن هنا ندرك أن الطرف الحقيقي للأرض هو العالم الديني، وعندما نعيش ذكرى وفاة كبير من كبار علماء الدين نحس بأن أرضنا خسرت طرفاً شامخاً ويدا قوية، وعينا رائية وقلبا نابضاً، نحن يحق رغم أننا في حين حياتنا وفي حياتنا وفي حياة علمائنا لا نتفاعل، حتى لا أقول لا نستوعب ولا ندرك.

أيها الأخوة الأعزاء: وفي الحديث أيضاً إذا مات العالم، ثلم الإسلام ثلمة لا يسدها شيء، وهذا أيضاً تعبير عن الحقيقة، فالإسلام صامد بأبنائه، والإسلام متين بعلمائه ومصون برجاله، وإلا فالأمة أمام الخطر الداخلي أضعف منها أمام الخطر الخارجي، فإذا كان العدو يهدد الأمة بالسلاح والنار، وبالقنابل والدمار فإنه لا يتمكن من أن يهدد الأمة بالفناء فالأمة لا تقنى وإن مات منها عشرات ومئات وألوف وملايين فالأمة تبقى والشعب باق حكماً ولكن العدو الذي يهدد الأمة بالفناء هو العدو الداخلي هو التفكك هو الانهيار أمام معالم الأمم الأخرى، أمام التيارات الثقافية والحضارية، ما هي معالم أمتنا إذا فقدنا قيمنا فالأمم ليست بالتعداد وبالكثرة الكثيرة.

والعالم، بلسانه، بقلمه، بنقده، بثورته، برضاه، يحاول أن يتصدى للأخطار الداخلية، ولذلك فإن مداد العلماء، كدماء الشهداء، بل إن مداد العلماء أفضل لأن جهد العالم، هو تحول دمه، الدم الذي يتحول إلى قوة إلى كلمة، دماؤه تستعمل في مكافحة العدو الداخلي، فيصون الأمة بعلمه. وهنا نقف أمام الخسارة الكبرى، في ذكرى العلماء، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى القيادات.. نحن اليوم نشعر بالحاجة الملحة إلى القيادات التي تعالج أعداءنا الداخليين، إلى جانب التصدي للعدو الخارجي، والعدو الخارجي، اليوم يستعمل الأعداء الداخليين.

أيها الراحل الكبير، أيها الفقيد، سنبقى معك، نرفع رايتك ونكمل طريقك..

أيها الأخ العلامة السيد علي مكي، نحن نشعر بأن خسارتنا بأطراف الأرض، بفقده والدك، تتعالج بوجودك، وإننا نرى فيك شباب والدك الراحل، والناس هناك في دمشق، وهنا في لبنان ينظرون إليه باحترام كبير، ويعرفون بأن الثلمة بفقده والدك الراحل، ستسد بشخصك، وكلنا نساعذك، قدرنا وألستنا وقلوبنا إلى جانبك، ونسأل الله أن يأخذ بيدك لهذا التوفيق العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله بجميع مما مدّه علينا من كل شيء نعمه كلها والصلاة والسلام على خير خلقه وفضل من ربه
 محمد وآله وأئمة الهدى من أهل بيته أعلم الهدى ومصابيح الدجى وعلى العلماء السالكين
 المسالكين لأنهم البازيرون جهنم في تشبيه معالم الدين وأعلامه شأنهم ومنهم ولدى العالم العلماء
 المهذب الكامل الزكي النقي حجة الإسلام السيد حسين يوسف العالم على سلمه تعالى فأنزله
 الله وسدده قد بديل جهنم في تحصيل العلوم الدينية فنفذ على جماعة من أعيان الفضلاء المحققين
 واستخاضهم فوافوهم ولم يزل يكتب على الأرس والتدريس والتأليف والتصنيف والتبليغ
 والاستقامة مؤطبا على الطاعات عبادا في تحصيل العبادات الحيدة عونا له في ملكي العباد والعباد
 وقوة استباط العلوم الشرعية ولها التفصيلية ومما رجع به تعالى منيا بقوله
 فيظن أن كان منك من قد روى حديثنا ونظر في حالنا وعرفنا حكايا فليس منا
 به حكما فافقد معتبر عبيك حكايا فاحكم بحكمتنا فلم يقبل مننا فانا استغفركم الله تعالى
 وعيننا رد والراء علينا الراد على الله وهو على حد الشك بالله تعالى فهو فاضل محقق فافقد
 مدنى ويجهل مطلق يرجع إليه في الأمور الحسية وفصل المصوبات وحل المشكلات وقد عرفنا
 ذلك كله بالمطابقة في مجلس الأرس والمذكورة فليحذر من تعالى على هذه الصفة وليكفر علمنا
 وليحفظ بتمامها السامى فأنها نعمة قدسية وشهادة من شجاعة النبوة والامانة قدسية
 اقوى نقي على التشوف بها وقد اجزت أن يروى عنى جميع ما حقت له وابتدئ من مشايخي
 النظام قدس سرته تعالى وأمرهم ورفع مقامهم وعلى المؤمنين أن يرفعوا إليه في مقامهم قدسية
 ويروى قدره ويحفظ مقامه ويرفعوا جانيبه وقد أوصيته ونفسي بزيادته وروى في السوى
 والاحتياط في جميع الأمور فافترق الحياة وما توفيق الألبه عليه تركت واليه أئمت

والطاهر الطاهر
 الحكيم

حسبنا ونعم الوكيل
 ١٣٧٣
 ٢ جبا



صورة عن الاجازة المطلقه التي منحها المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم للعلامة

المجتهد السيد حسين مكي، بتاريخ ٣ رجب ١٣٧٣ هـ

كلمة الشيخ عبد الأمير قبلان (المفتي الجعفري الممتاز في لبنان) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لولي الحمد، والصلاة على أشرف الخلق وعلى آله وصحبه الطاهرين..

أيها الأخوة الأفاضل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المناسبة كبيرة بضخامة عنفوان صاحبها، ثقيلة بحجم الأثقال التي تركها، سنة وهي بحسابنا عمر قصير.

ذكرى الوفاء والإخلاص، لمن بذر في نفوسهم هذه المعاني، ومنهجهم قلبه وعمره، وهل جزاء

الإحسان إلا الإحسان.

سيدي يا حجة الله..

من محرابك، وفي رحالك نستشف معاني، ومن أجوائك نستلهم العزم والنشاط والمثابرة والإصرار ومن مناخك، نرشف نعيم علمك ومعرفتك وحكمتك.. رحلتنا اليوم إليك، لا تشابه تلك الرحلات، كانت للدرس والتأديب والمعرفة، ورحلة اليوم للذكرى والاعتراف بالجميل وكم هي مريرة وأليمة هذه الذكرى، جنناك من بلاد مولدك إلى موطن هجرتك حيث مقامك الأخير، لنلقي نظرة مشبعة عن حياتك، وجهادك المتواصل وصبرك على الشدائد، وجرأك على قول الحق، وإخلاصك المتفاني في سبيل مبدئك وعقيدتك.

كنت مثالا للعطف والمحبة مع كل الوافدين إليك، مثلت الصلابة والمتانة أمام كل التيارات والأهواء المعادية لخط وسلوكك وسيرتك التي كانت النموذج والمثال لكل من عاصرك وتعلمد على يديك علمتنا الإخلاص في زمن قل فيه المخلصون، وادبتنا بأخلاق آل محمد عندما كثر المنحرفون ونصحتنا عندما ذابت النصيحة ونفذ فيه الناصحون.

سيدي أبا علي:

فقدناك ونحن بأمس الحاجة إلى وجودك، رحلت عنا في عز تمامك وفي ليلة كمالك، وفي

خمة ظموحك.

إن ثقتك بنفسك كانت العنصر الأساسي في تكوين شخصيتك، جعلتك بقدرتك الخلاقة، ووضعتك أمام ظموحاتك مستثمرا كل مواهبك وكفاءاتك ويدون الثقة بالنفس لا يستطيع المرء أن يعمل عملا يذكر، إنك بواسطتها تغلبت على الصعاب التي اعترضت سبيلك في الحياة.

اعتمدت على نفسك والاعتماد عليها معناه الاستقلال الشخصي في تقرير المصير الذي يتوقف عليه مستقبل الإنسان ونجاحه.

أيها السادة..

إن ثقة المقدس الحجة السيد حسين مكي بنفسه، فتحت أمامه كل الأبواب الموصدة، وبعثت في شخصه الكريم الطموح والرقى، كان رحمه الله عالي الهمة قوي الشكيمة كان مثالا لما وصف به المتقين الإمام علي عليه السلام قال:

إنك ترى له قوة في دين، وحزما في لين، وإيمانا في يقين، وحرصاً في علم وعلماء في حلم، وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة، وتجملا في فاقة، وصبرا في شدة، وطلبا في جلال، ونشاطا في هدى، وتحرجا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمة الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يبيت حذرا، ويصبح فرحا، حذرا لما حذر من الغفلة، وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة.

الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، بعيدا فحشه، غائبا منكره، حاضرا معروفة، مقبلا خيره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، إن بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة أتعب نفسه لأخوته، وأراح الناس من نفسه، بعده عن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين وحنانة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخدعة.

أيها الأخوة..

كان المرحوم المقدس العلامة الكبير السيد حسين مكي العاملي، كان همه الوحيد إحياء التراث ونشر المعرفة مبكرا ليله واصلا نهاره في الكتابة والتأليف ليعيد لجبل عامل مكانته التاريخية والعلمية والدينية، ووضع نصب عينيه كل الأدوار التي مرت على جبلنا الأشم، فأراد أن يبعثه من جديد، وينفض الغبار عن القوم الذين ركبهم السبات والنوم العميق.

إنه الوثاق لا يضيره الفشل ولا يعوقه، كان الصبر محلية يتحلى بها، وهو مظهر من مظاهر الثقة بالنفس، وقوته مستمدة من الإيمان والنجاح نتيجة حتمية لها.

أيها الأخوة البررة..

إن لإيمان الحجة الكبيرة السيد حسين مكي بنفسه مستمد من الإيمان بالله، والإيمان يملأ القلوب طمأنينة، والنفوس إشعاعا، ويجدد النشاط للأفراد المنهارة، ويجعل الإنسان يستشعر لذة النضال، ويتذوق طعم الفوز، فإن في إيمان المرء بالله، قوة له، والذين لا إيمان لهم بالله هم أضعف الناس مهما كانوا في الظاهر أقوياء..

أيها السادة

إن أمتنا لم تفقد مكانتها، وأصبحت ذليلة خاضعة، إلا يوم قعدت لها الهمة دون بلوغ المعالي، وتسمن القمم، ففقدت ثققتها بنفسها، وأدخلت على عقائدها الدينية وتقاليدها الاجتماعية معاني التوكل الشواء، فخسرت بذلك فضيلة الشعور بالذات ومزية الحياة الفعالة الزاخرة

بالحيوية، ولم يبق لها من المعنوية إلا اجترار الأمجاد الغابرة في العصور الماضية، أو ضمن مجلدات صفراء تراكم عليها الغبار وأكلها النسيان.

وإن أعداء الأمة لم تستطع أن تنال منا ومن كرامتنا، فتستهين بنا، وتحطم قيمنا، وتنتزع منا الاحترام لأنفسنا، إلا يوم فقدنا الإيمان بالله الذي هو أصل الثقة بالنفس، وبدأنا نتمرغ على أعتاب الحاجة إليها، ونؤمن أن الاتكال على الآخرين مصدر رزقنا ومصر حياتنا.

إن سيدنا المقدس كان يرفض بعناد هذا النوع من الإنسان ويحتقره، بل كان يحترم ويقدر كل من اعتمد على نفسه وشق طرق الحياة أمامه بجهدته ونشاطه.

إن ذكراك يا سيدي جددت لنا الأسى والحزن، وتعاليمك ستبقى مع الأجيال، في عقولهم وقلوبهم، ستبقى حيا ورمزا لكرامتهم وعنفوانهم إنك مثلت بسلوكك خط الأولياء والعلماء، سيبقى مدادك شعلة وهاجة تضيء الدرر للسالكين، وبأنجالك الكرام وبالخصوص الأخ العلامة الفضال السيد علي حفظهم الله العزاء والسلوى، وسنبقى أولياء لخطك ومعهم مع كل كلمة كتبتها وخطها يراعى. فسلام عليك يوم ولدت ويوم انتقلت إلى جوار ربك، ويوم تبعث حيا.

مرثياته الشعرية

قال الشيخ محمد جواد الفقيه:

ولتنكس في أفقك الأعلام
أنه غاب فهو يوم حرام
عائر الخطو عمره أحلام
حنينا فصبحه آلام
فطيف تشده الأوهام
الدمع شجوا في ناظره ينام
من غامر المدى استفهام
البدر قسرا وتنطوي الأعلام
ترتوي من أريجها الأيام
بين برديك يستريح إمام
والإقدام إذ خار في الوغى مقدم
إن ضلت الهوى أقوام
الجيل فيها وتهدي الأفهام
الحق فيه وأشرق الإسلام

رحل النور فاحزني يا شام
إن يوما غيبت فيه تمنى
ذاهل هزه النداء فألوى
ليله ساهر تمطى عن السهد
سهد دائب وإن هومت عيناه
ضج فيه النعي حتى استحال
صارخا غص بالنداء وقد يسليه
أكذا يا أبا علي يغيب
أكذا ترحل الطيوب ولما
رحل النور من رحلت عظيما
جئت أرثي فيك الشجاعة
جئت أرثي فيك الفضيلة والإخلاص
كنت في الدرب شعلة يستضيء
أنا أرثي محراب قدس تجلى

غاب منذ غبت يا لهوم المقادير
لم تمت أنت.. يومك الرحب أمسى
لم تغب أنت هل تغيب طيوب
هل يغيب الضياء أن يحجب
لا تقل مات من بوهج سنا
لم يمت.. فهو في ضمير الليالي
وقال الشيخ عمار الخضري:

بكى الدين فيك الهدى والصلاح
بكتك الفضيلة ملتاعة
بكتك الدروس بكتبك الفروض
بكتك الصلاة بميقاتها
أسيدنا والخطوب الجسام
لعهذك في القلب باق مقيم
والشيخ محمد حسين الزين:

هل أستطيع النظم في الأحزان
خطب جسيم عم أمة أحمد
خطب الفتى السباق في ساح العلى
والمرتدي ثوب الفضيلة يافعا
للحكم والفتوى لأبناء الورى
جمع الفضائل جلها في شخصه
ليس العمامة وهي تاج عروبة
فأعزها في قوله وفعاله
وأعز شرعة جده بجهوده
بكرت سيدنا الجليل برحلة
حيث الملائك فتحت أبوابها
والحور من فوق الأرائك رحبت
أنا بأعظم حاجة لمثلكم..
أنا بهذا العصر صرنا أمة
لا أمة لمحمد خير الورى..
فكثيرنا نبذ الدين عاملا
لا كنت يا عيد الأضاحي بعدما

دعاء هوى فيومك عام
وله في فم الزمان كلام
الروض أن أثقل الغصون الرغام
الشمس ضباب أو يستبد غمام
عينيه للمدلجين فجر مقام
أحن قدس قيثاره الأيام

بكى فيك مفضاله ألا لمعي
تحن إلى عهدهما الممرع
بكتك المشاكل في المجتمع
وجاءت بأدمعها الهمع
توكل بالسيد الأرفع
وبين الحنايا وفي الأضلع

والخطب أذهلني وهز كياني
قاصيها محزون مثل الداني
خطب الحسين العالم الروحاني
والمجتبي من سائر الأقران
للصلح إن ما وافق الخصمان
وأجلها الإخلاص للرحمن
وشعار أهل العلم والإيمان
وسما بها صعدا على كيوان
وجهاده السامي الرفيع الشأن
قد أوصلتك إلى فسيح جنان
واستقبلتك بلهفة وحنان
وتزينت بالدرد والمرجان
نصر الهدى ونأى عن الشيطان
للكفر والإلحاد بالأديان
لا للمسيح الروح والإنسان
ونأى عن الإنجيل والقرآن
لف الحسين بأفضل الأكفان

وتعطر الوجه المنير بتربة
بنت الإمام أبي الأئمة حيدر
ومديرة الأيتام يوم مسيرهم
وخليفة الزهراء في خطب الأبا
كلتاهما أقتبس الفصاحة عن أب
صبرا علي بن الحسين وآله
أين النبي محمد ووصيه
هذي الرئاسة قد أتتك وراثه
فانهض بها نحو العلاء ولا تدع
وقال الشيخ جواد محمد جواد

نار حزن لها بقلبي استعار
والنهار المضيء عندي ليل
من فقدنا أباً رحيماً وكهفا
بل إماماً به إلى الخير يهدي
من فقدنا الحسين بدر الدياجي
ذاك مولى سامي المقام جليل
قد حلّى الجيد بالمعالي فأضحى
بحر علم جم اللالئ عذب
حجة عز في الفقاهاة شرواه
كان للدين ناصراً وعمادا
كان غوثاً للاجئين وغيثاً
خدم العلم خدمة ليس تخفى
تلك كتب الفقيد آيات صدق
ويدت من حقائق العلم فيها
وتربى على يديه شباب
لهف نفسي لقد مضى من نراه
فالتقى والندى وكل المعالي
وعيون الإسلام فاضت عيوناً
وعلموم الشريعة الطهر ثكلى
ونرى المسجد العظيم حزينا

ظهرت بزینب من بني عدنان
علم الهدى أخت الذبيح الثاني
من كربلاء إلى بنى سفيان
هاتى بيثرب تلك في كوفان
عدم النظير له بكل زمان
فالموت خُطَ على بني الإنسان
أين البتول الطهر والحستان
وجدارة بالفضل والإحسان
باباً لنقد ثابت الأركان

ليس تطفي لهيبها الأنهار
مد لهم خبت به الأنوار
كان يأوي لظله الأخيار
واليه في العضلات يصرار
من به كانت البلاد تُنار
مشرق الوجه قد علاه الوقار
للمعالي به العلى والفخار
زأخر الموج أين منه البحار
عليه في الفضل اثني الكبار
في زمان قلت به الأنصار
بيته كعبة للعفاة مزار
ظهرت في الدنى لها آثار
أينعت في الجنان فيها الثمار
في زهو عرائس أبكار
وكهول أفاضل أبرار
معقدا للرجا فعز اصطبار
لوعة بعد فقدته وانكسار
من دموع الشجى فهن غزار
قد ذوت في رياضها الأزهار
قد أطاحت بمعززه الأقدار

وينو الدين في أساهم حيارى
فعلى الراحل العظيم سلام
طيب الله تربه وحباه
وأدام الإله كل بنييه
فلنا فيهم العزاء خصوصا
خير من يخلف الفقيد بحق
قد حباه الإله علما وفهما
أيها المؤمنون قروا عيوننا
بعلي حسيننا ظل فينا
وسلام عليكم اهل ودي

وقال الشاعر كاظم الحاج وهيب:

جبريل هلل في السماء وكبرا
وملائك الرحمن في ملكوته
والعرش بشر بالنعيم حسيننا
والحور في غرفاتها استقبلنه
واتت لتهنئة الحسين أئمة
طافوا به غرف الجنان فشاهدت
وحظى برؤية آل بيت المصطفى
وهناك للسبطين قبل فاهما
وتسابق الأصحاب في تكريمه
لقى الحضاوة والتجلة عندهم
المرء في الدنيا خيال قد سرى
لا مرحبا إن جاءت الدنيا ولا
هي كالسراب يزيد مهجة وارد
غرادة يسبي الحليم خداعها
عشنا كأننا لن نعش ونموت عن
نبكي ونضحك للمنية والمنى
سلب الزمان من الأفاضل درة
قالوا حسين قد قضى فأجبتهم
ذب يا فؤاد أسى عليه وحسرة
ودع التصبر والعزاء ولا تلذ

هكذا الخطيب في دجاء يحار
طيب النشر بعده استغفار
جنة الخلد فهي نعم الدار
في حياة يسودها استقرار
بعلى فهو الذي نخترار
فهو في الدين حجة ومنار
ولديه من الصفات الخيار
وليكن في المسيرة استمرار
لم تغب منه تلكم الأنوار
ما دجى الليل أو أضاء النهار

لما حسين قد توسد في الثرى
صلت عليه مبرءا ومطهرا
في الخلد ينعم ضاحكا مستبشرا
فرايين وجهها بالهداية أنورا
نشرت عليه من الثناء الجوهرا
عيناه أنضر ما تشاهد منظرا
فسقوه من بعد العناق الكوثر
شوقا وعانق بالمحبة حيدرا
ذا ناطر مسكاً وذلك عنبر
للخلد راح مؤيدا ومؤزرا
والعيش مثل الحلم في سنة الكرى
أسفا إذا ولت وما الدنيا ترى
ظمأ ويملاً مقلتيه منظرا
مكرا ويطغي الفيلسوف الأكبرا
كثب كأننا لم نكن بين الورى
وكلاهما عبث يدور مكبرا
لو كلفوه بمثلها لتعذرا
بالشعر والدمع الهتون تحدرا
وعليه يا قلبي الحزين تظفرا
بهما وما وفيته أن تصبرا

ما بين آنة واجد واستعبرا
 قلبا فلم يغدر ولن يتغيرا
 جاء يحف به ولن يتكبيرا
 متواضعا ومهلا ومكبيرا
 فبكى عليك المسلمون تحسرا
 متخطيا حتى أتى أم القرى
 وبمصر عزى الناس فيك الأزهر
 كل الصويرة والمحب استعبرا
 كالظل تحت الشمس يمشي القهقري
 لهفي على الجسد المعفر في الثرى
 أبكي وفاء لا أكون مقصرا
 روحي وصرت من الأسى لن أشعرا
 تبكي عليك بدمع منها جرى
 قد عشت عيشا ناكدا ومكدرا
 يا حبذا اللقيا ولن يتأخرا
 علم بغير وداده لن أفخرا
 فلأنت في قلبي بقيت مصورا
 فلها (علي) بالسماحة نورا
 أوجدتم للخلق نورا مزهرا
 والهمه صبرا كي يخفف ما جرى
 كالمسك طيبا والنسيم معطرا
 في مقعد سام بلغت به الذرى
 جاورت ربك راضيا مستبشرا
 فاشكر عطاياه التي لن تحصرا

بجوار المصطفى جد الحسين
 والاصلاح بين المصطفين
 بالأمان في رياض الصالحين
 أمة المجد وهز الثقلين
 فقد من كان لها الكنز الثمين

واقطع عليه العمر ما طال المدى
 وأخفق بذكري من حباك بوردة
 لم تعله رتب العلا أو يطفه
 قد عاش مرموقا بكل تجلة
 دوى نعيك في المدائن والقرى
 والمسجد الأقصى به درج الأسى
 ما بين دجلة والفرات مآتم
 ودمشق روعها المصاب وأعولت
 يا راحلا خلفت بعدك كاظما
 أحسين يا رحماك كيف اضعتني
 وإذا بكيت على الحسين فإنما
 هذا إمام المسلمين هوت له
 لي عند ذكرك كل يوم مقلة
 إن عشت بعدك في الحياة فإنما
 نفسي تحس بأن يومي قد دنا
 ما قيمة الدنيا وقد سكن الثرى
 فارقتنا في القبر جسما طاهرا
 إن (الصويرة) ^(١) أظلمت وتكدرت
 يا خالق الكون العظيم بحق من
 فاحفظ لنا المولى (عليا) سلوة
 اليوم أرتجل القريض تحية
 تهدي إليك وأنت ترفل بالهنا
 حتى أستقر بك المطاف بحضرة
 هنالك أحمد في الجنان وآله

للسيد حسين حمدان الرياحي

نم قرير العين واهنا يا حسين
 وتبوا مقعد الأبرار والأخيار
 وتنعم واقض عيشا مفعما
 يا إماما روع الخطب به
 وكساها حلة الحزن على

(١) الصويرة: مدينة عراقية، كان وجهها الروحي السيد علي نجل الفقيد السيد حسين مكي.

لطريق الخير والحق المبين
ولشرع الصادق الداعي الأمين
الماء فينا وملاذ الخائفين
وأذبت الفكر شوقا وحنين
مخلصا رغم تجني اللائمين
سبل الإرشاد للمستترشدين
بعد أن عبَّدها للسالكين
ندوة طارت بلب السامعين
خدمة جلى لأرباب اليقين
مثلما شدت له الصرح المتين
وربوع الشام في يوم حزين
كل قلب لم تزل حبا مكين
الصدق ما يرجى بخير الوارثين
ذو اليد البيضاء والعقل الرصين
همتي بي دون كرب اللاحقين
أتمكن من لحاق السابقين
ونحييك بذكرى الأربعين
وأخلاء وأهلا وبينين
أمة الهادي ثقة مصلحين
طيب الأصل كريم النبعين
جدها المختار خير المرسلين
شرفت بين الورى دنيا ودين
سر عزيز الجنب وضاء الجبين
في رحاب الآل عيش الخالدين

كنت للأمة مولى هاديا
كنت نبراسا لأرباب النهى
كنت ريان نجاة إن طغى
قد صحبت العلم مشغوقا به
وقضيت العمر في خدمته
يا إماما شق في جنح الدجى
ودعا الناس إليها ناصحا
في ربي لبنان كم أحييت من
وهنا في الشام كم أسديت من
ونشرت العلم في أرجائها
فريى لبنان تبكيك أسى
ولئن غبت عن العين ففى
ولنا من بعدكم في خلف
ثاقب الرأي على المرتجى
سيدي معذرة إن قعدت
وكبا مهري في السباح ولم
وإذا جئنا لنحيي مأتما
ونعزي فيك شعبا ثاكلا
فلقد شيع من قبل بنو
شرف الدين سلسل المرتضى
جمعتكم أسرة واحدة
يا لها من أسرة طاهرة
يا إمامي وإلى دار البقا
واقم في جنة المأوى وعش

وقال السيد هاني خليل:

آل بيت الرسول كلهم شرفاء
أفردتهم عن الورى أشياء
أين كانوا وكيف راحوا وجأؤوا
وهم العلم والنهي والرجاء
وهم الحب بغضهم ضراء

أوقف الندب إنهم أحياء
خلدتهم على العصور صفات
فهم الخير والهدى للبرايا
وهم النور والضياء، والمعالي
وهم الفوز والنجاح المرجى

آل بيت الرسول، بيت علي
كلهم في حياتهم عظماء
يجد الناس في هواهم ملاذاً
ويرى المرء عندهم كل خير
يملاً الأرض ذكرهم وهواهم
إذ يرى البعض أنهم دون هذا
إنه العلم والحياة وخير
قلبه الرحمة الكبيرة للناس
سيفه الموت ذو الفقار مهيب
حسن ابنه وابن حسين
تنتهي عنده وعند نبيه
آل بيت الرسول يا لهم علماء
تنتهي عندهم مزايا التعالي
جدهم، أمهم، أبوهم، أخوهم
شيعة الله والرسول وبيت
ذهب، فضة، جمان، لآل
يركع الناس خشية وخشوعاً
حسن، كاظم، حسين، علي
آل بيت الرسول أفضل آل
حار ذو اللب بالذي كان منهم
فنفس ما فوقها من نفوس
ومحيط متن الهدى والمزايا
فلذا الشعر قاصر وفقير
ولذا الناس في هواكم تغنى
يعلم الله أنكم كل قدس
أنتم أتم الأمانة فينا
نرتجي الخير منكم فحسين
ملاً الكون ذكره فتراه
سيد القوم عالمًا كان فينا
منبع الخير والحنان المعلى
طيب، رائع، كبير، عظيم

حجة الله، وانتهى الأسراء
كلهم في فعالهم أتقياء
فإذا الناس منهم أغنياء
وفلاح فكلهم أكفاء
فهم الأرض والسما والفضاء
يا له البعض مقلدة عمياء
وفلاح وقسرة وقضاء
س ولكن صدره الهيجاء
تتقيه الغبراء والخضراء
فاطم زوجة فته يا ثناء
في خشوع وتنتهي الآراء
عند أبوابهم يرى العلماء
نسب، محتد، نقاء، صفاء
عمهم، ولدهم، هم عظماء
سجدت دون بابته الكبرياء
شرف، عزة، علو، إباء
حتى تتلى عليهم الأسماء
جعفر، فاطم، بهم زهراء
يعجز الرصف فيهم والثناء
وتبارى بما رأى الفقهاء
كبرياء ما فوقها كبرياء
حار في وصف ذاتها الحكماء
ولذا المدح بيعة واقتداء
وتراهم لذكركم أصدفاء
يعلم الله أنكم أكفاء
والهداة العظام والشفعاء
رحم الله روحه الألاء
ألف خير ذكره الأنداء
واسع القلب، طيب الأشداء
يشمل الكل من يديه العطاء
سيد، عالم، صفاء، نقاء

طبيع، طائع، علي علاء
بالذي كل آله العظماء
فاستقرت بكفه الجوزاء
فجنى من خيرها الفقراء
غاب عنا تولت الأشياء
ملاً الكون غيمة بيضاء
بابن هذا الحسين كان العزاء
سنؤليك فاستقم يا ولاء
يا (علي) فكل هذا قضاء
لتقى تحبه الزهراء
فلك الملك، والنهي والرجاء
شهداء من بعدهم شهداء

صادق، صالح صدوق، شريف
ورث الفخر عن ذويه فأهلاً
وارتقى المجد وانتهى للمعالي
وهب الناس علمه وهدايه
عاش للخير والصلاح فلما
فبكى الناس حسرة واصطباراً
وتوالى المعزون حيرى ولكن
قم تولي كما أبيتك فأنا
إنما العدل أن تكون ولياً
قم نول فأنت خير حفيد
وتقبل ولاءنا والتعازي
هكذا الدين والإمامة فينا

وللشاعر شوقي جلول:

والنسغ والثمرات والأوراق
سفن النجاة ببحرها المغراق
فوق الظنون وسبق كل سباق
رغم الزمان ورغم كل وثاق
سيفاً يجز مطامع الأعناق
نورا يضئ مشارق الإشراق
لله خالصة بدون نفاق
النابدون بهارج الفساق
أهل النهي والمنهج المصداق
كالنجم يهدي مسلك الطراق
أعظم بكل خليفة وخلاق
أحب بعيش الفقر والأملاق
ورضاكم نجوى من الخلاق
كانت لوجه الله والأحقاق
والحرب.. أما شممت عن ساق
ولدائه كنتم شذى الترياق
البحر أنتم والجميع سواقي

أكرم بجذر محمد والساق
فهمو الأزهري في صحارى عمرنا
السابقون السابقون وكلهم
الخالدون وما سواهم خالد
الحاملون الحق في أعماقهم
والحاضنون الدين في أحداقهم
الأمرون بكل أبيض فعلة
الزاهدون بكل منصب رفعة
الطيبون.. الطاهرون من الخنا
وحقائق الإيمان في البابهم
الدين والخلق المضئ شعارهم
يا جائعين.. وغيركم ملك الدنا
وإذا رضيتم لم يمل بك الهوى
وإذا غضبتكم غضبة مضرية
للسلم أنتم أصلها ودعاتها
بكمو استفاق الكون من غيبوبة
الله أدري حيث يجمع علمه

فإذا بقومي قبلة العشاق
لمجاهد.. سمح.. إلى سباق
ويقينه أحمى من الأحراق
منسوبة من أشرف الأعراق
ويسارها حلم مع الأشفاق
منحت شموخ الدهر للآفاق
لولا ضياع الحق والميثاق
ونجاحنا من دونما إخفاق
وبغير دين لا يتم تلاقي
يا راحلا: الحزن بعدك باق
يا ساكن الأكباد والأحداق
يزجيه مشتاق إلى مشتاق
وعليك نَعْقِدُ راية الأشواق
يا ليتَه قد مَرَّ دون فراق
بعد انطفائك أيما أطباق
كالسيف فردا ما له من واق
للأحمر المتنفذ.. البراق
للبيع في ذل وفي استرقاق
في الدور في الندوات في الأسواق
أعيتهم دوامة الإرهاق
كتوله المعشوق بالعشاق يزال معلقا
في غمد كفك طامحا لعناق
إن المطامع رأس كل شقاق
منساق في العمر أي سياق
نغرس بها معنى العفاف الواقى
أمل الحياة بوجهها المشرق
لكنه بالعلم كالعملاق
ضاقت عن استيعابها أفاقي
كالزهر عاش بموسم الإبراق
خيراته نتقا لدى السراق
لا زلتمو عوني ورأس وفاقي

وأعوذ للتاريخ أنثر دره
من أمجد أعطى المروءة روحه
لمصابر.. والنار تأكل قلبه
من هؤلاء الصيد قامت دولة
الحق والسيف الشجاع يمينها
كنا بعين الشمس أروع أمة
لم نخسر الأمجاد في أيامها
والدين ملحمة الزمان وكنزه
والدين معراج الحياة إلى العلا
يا حاضن الطوبى وحارس طيبها
يا دوحة الإيمان يا ألق السنا
أما الحنين له فقد بلغ الزبى
فلأنت بيت قصائدي ونعميها
يوم الفراق.. وليس تهدأ ناره
الجاهلية أطبقت بطقوسها
والدين عريان العقائد واجف
وسريرة الإنسان صارت سلعة
ونفوس هذي الناس أمست عرضة
والدين بات تجارة موروثه
والحافظون العهد بعدك قلة
تاج المروءة في علاك موله
سيف الفضيلة ما يزال معلقا
فاضرب به هام المطامع وامحها
والنفس ما بين الغواية والهدى
إن نحن غربلنا النفوس من الهوى
والمؤمنون على قليل عديد هم
ما كان بالعملاق في جثمانه
كتز من الثروات في تاريخه
كالنور مر مبددا ديجورنا
والكون لولا الصالحون لأصبحت
بيت النبوة والقداسة والرجا

كل المربح للنفاذ مصيرها
طبعي مودتهم وزادي حبهـم
أنا مذ ولدت رضعت صدق ولأثمـه
لا تسألوني الزرق كيف المـه؟
أنا في القيامة موثق بجرائري
وله ايضاً:

يا موحش الدار أشتات بقاينا
عرانس الخلد نادت فالتقت بها
وجدك المصطفى في الخلد متكئ
ونحن بعدك أكباد منتتة
رفيف روحك قد أبقت لنا صورا
ليهنك الموت.. أنت اليوم متحد
يا هاجر الدار لم تطفأ مواجعنا
منابر الحق كنت الأمس فارسها
وكنت ناصرها في كل موجعة
ملاعب المجد أين اليوم حارسها
مجالس الوعي تبكي فقد رائدها
لكم هديت.. لكم أحبيت من سنن
لكم سخوت على فقر ومسغبة
وكم عطفـت على الإحسان تجعله
من للهدى والأضاحي من سواك لها؟
دين قويـم وروح شامخ وسنى
يا تارك الدار، لا دار تؤسسنا
الزهد عندك أمر ليس يعرفه
والصدق مركبك الموفي بصاحبه
والدين عندك إيثار وتضحية
يا غرسة من أريج الله تفحتها
يمضي الزمان ويمضي في سفائفه
يا خالد الذكر دنيانا تجاذبها
كيف النجاة ولم تصدق سرائرنا
كيف الخلاص وأمر النفس يملكنا

وهواكم يزكو على الإنفاق
والسعي في مرضاتهم أخلاقي
ويفضلهم مبيضة أوراقـي
حب النبي وصهره أزراقـي
وسوى رضاكم لا يفك وثاقـي

الدمع سريالنا والحزن نجوانا
تغذ سيرك نحو الخلد عجـلانا
وحوله الحور زوجات ولدانا
تقطع العمر تبريحا وأشجانا
هيهات تغمرها الأيام نسيانا
مع الخلود.. طليق الروح هيماننا
نحسها في ديبب القلب نيرانا
وكنـت سيدها المطبوع أيماننا
وكنـت ناظرها.. والناس عميانا
قد آن تنحني من جرحها أنا
الله الله كم ثبت برهاننا
لكم وصلت لكم أقصحت تبياننا
ارضيت بالجوـد إنجيلا وقرآننا
رسول دينك.. نعم الدين إحسانا
للنور للحق بت اليوم عنواننا
وطيب أصل يظل العمر ريانا
ولا عداك حديث بات سلوانا
من راح يفرق في الأهواء نشوانا
على النجاة وإن أضناه أحياننا
أمانة تثقل الثقلين، ميزانا
أنفاسها عطرت أرجاء دنيانا
ونحن نطلب للإيمان ريانا
ريح المطامع أسرارنا وإعلاننا
كيف النجاة ولم تصف نوايانا
والمال قد صير الأحرار عبدانا

وعروة الدين تشكو من تمزقنا
الموت معجزة الرحمن ما فتئت
بيت الشفاعات آل البيت طاعتكم
يا آل أحمد إنني في مظلتكم
أنا المحب وأولادي ونفسي فدى
وللسيد محمد نذير صندوق:

خطب إليهم حل في أرجانا
رزق له اهتزت جوانح شرعة
يا راحلا رفقا بولد مسهم
قد شيعوا مذ شيعوك سرورهم
قد كنت طود تقى وإخلاص
ريبت جيلا بالفضيلة مولعا
وقضيت عمرك ناصحا ومجاهدا
وبذلت أنفوس ما ملكت إلى الورى
أنا لا أغالي قد سموت تفقها
ولكل مكرمة تسير مجليا
يا من غدا محبوب كل مهذب
رياك يوسف يا له من عالم
ورضعت من لبن الفضيلة والإيا
فنشأت حرا كيفما الوفا
ونهلت من بحر (الحكيم) جواهرها
(مصباحك الداعي) ينير لזائر
ودليل فيه من المناسك حجة
وبعصمة الأطهار شرح عقيدة
جمع الصلاة ومشهد وتمتع
لم أبك شخصا يا حسين وإنما
أبكي الشريعة فيك أنت عميدها
ولتفخر الولدان راح يضيضها
وأقبل أيا مولاي جهدا صاغرا
أرجو لهم طيب الحياة بعزة
يتجملون الصبر فهو ذريعة

متى يعود لنا الدين الذي كانا
يمناه تلحق أحرانا بأولانا
فرض من الله أوصانا وأوصانا
يا خير من برا الرحمن إنسانا
فلست أهرب في الدارين خسرا

أصمى القلوب وقرح الأجزاء
بؤسا وأكد وقعة الأحزاننا
ضرب قدك ضعضع الأركاننا
وهدوءهم واستقبلوا الأشجاننا
وحب واعتدال تمقت الشناننا
جددت فيه العزم والإيماننا
ودأبت ترفع للتقى بنيانا
أبشر فأمسى أجرك الرضوانا
أحجى الورى رأيا وأرفع شاننا
والى المعالي ترشد الشباننا
ولكل مقلّة ناظر إنساننا
فاق الألى لم يعرف البهتاننا
فرقيت في صرح العلى نشواننا
لم تلف خداعا ولا خوانا
شطآنه لم تعرف الأوهاننا
والشرع بات بمنهج عرفانا
ولكل معتمر نراه بياننا
ظلت قواعد للحجى تبياننا
كالألى منظوم حوت عرفانا
أبكى المروءة فيك والوجدانا
والبر والمعروف والإحساننا
والفقه والتأويل والقرآننا
قد أعجز غر الصفات بياننا
لتركبت دمعي قانيا هتاننا
طابت ملائكة وطاب مكاننا

(مهدي) و(كاظم) ثم(هادي) اية
كل أبي أريحي أمجد
أبناؤك الأبرار أكرم سادة
خير العزاء لنا وأفضل سلوة
ليت الردى يرضى بديلك فدية
فكلاكما عاشا يهيم بزینب
في غرفة بجوار (زینب) يا لها
جاورت (محسن) في ثراه بمنزل
تالله لو يشفي العليل مدامع
أيضي علالك إذا انتقينا أحرفا
أبكي بك الدين الذي أنت ابنه
من جيرة سعت بها علمانا
وكلاكما أضحى بها أهدانا
فجموعنا وقت الفدا قربانا
تطفي ضراما في الحشا نيرانا
تعلي لواء الحق أنى كانا
وعلىنا في الفقه صار لسانا
أكرم بهم أعظم بهم سلوانا
والله يجزي الصابرين جنانا
يحيون فيها لا يرون هوانا
واهناً بجنان النعيم مكانا
(فحسين) أقسم صافح الرضوانا



جموع المعزين تحتشد عند ضريح السيدة زينب عند دفن الجثمان الطاهر



ظاهر العمر ووقائعه مع شيعة لبنان

ظاهر بن عمر بن أبي زيدان: داهية شجاع يقال إن أصله من المدينة هاجر أحد جدوده إلى فلسطين ثم كان أبوه عمر حاكماً على صفد وما يليها في أيام ولاية الأمير الشهابي على لبنان، ولد ظاهر في صفد وتولى إدارة عكة، ثم خلف أباه على صفد، وقاتله سليمان باشا العظم والي دمشق سنة ١١٥٠ هـ فتحصن ظاهر في طبرية فأطلق عليها سليمان القنابل، ومات سليمان فجأة أو مسموماً، على أبواب طبرية، فاستفحل أمر ظاهر، واستقر في عكة وأحاطها بسور منيع. وأصبح حاكم عكة وصفد والناصرية وطبرية، وطمع بمدافع أقامتها حكومة الآستانة على شاطئ حيفا، فذهب إليها ونقلها إلى عكة، وغضبت الحكومة فأرسلت صادق فقاتله رجال ظاهر، وهزموا جيشه وتم لظاهر امتلاك ولاية صيدا وعكة وحيفا ويافا والرملة وجبل نابلس وشرقي الأردن وصفد وجبل عامل.

واعترفت حكومة الآستانة بولايته اضطراراً ثم خرج عليه رجل يدعي أبا الذهب، كان من قواد الجيش المصري، فأمدته الحكومة بقوة، فأنخذل ظاهر، ومات أبو الذهب فجأة في صيدا سنة ١١٨٨ هـ فعاد إلى ولايته الواسعة واستمر إلى أن جهزت الحكومة أسطولاً لاحتلال عكة، حينما كان ظاهراً متهيئاً للمقاومة غدر به مغربي من رجاله فقتل ودالت دولته^(١).

وقد تطرق لسيرته ومجمل أحواله ووقائعه مع الشيعة في جبل عامل (جنوب لبنان) المؤرخ محمد جابر آل صفا وفيما يلي بعض ما جاء في كتابه (جبل عامل في التاريخ).

هو رجل عصامي وبطل من أبطال الشرق، عظيم الهمة، شديد البأس واسع الحيلة، حكيم التدبير، وهو علوي النسب من سلالة زيد بن الإمام الثاني الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام كما يقول ميخائيل نقولا الصباغ مؤلف تاريخه بتعليق الخوري قسطنطين الباشا المخلصي. وقال فولتاي في حقه: إنه مضى زمن طويل على سورية لم تر رجالاً مثله وكانت أطماعه فوق قدرته وكانت العدالة ضاربة أطنابها في بلاده ولا فرق عنده في شمولها أهل المذاهب المختلفة. هاجرت عشيرته من المدينة المنورة إلى بادية حماة، فنزلت في بني أسد، وفي هجرتها الثانية حلت فلسطين واتحدت مع عرب بني صقر.

(١) الأعلام / ٢٣٧ نقلاً عن المقتطف ٣١٧/٢٨ و٤٦٢ وسيرة ظاهر العمر لميخائيل بن نقولا الصباغ.

ولد سنة ١٦٨٦م وقتل في سنة ١٧٧٦م في التسعين من عمره، وقد تولى حكومة صفد وطبريا وما يليها بعد أبيه الشيخ عمر بن أبي زيدان في سنة ١٧٠٦، وكانت عكا من ملحقات صفد، ولم تكن ذات منعة بل كانت أشبه بقرية حقيرة لا يسكنها إلا القليل من الناس، وجوارها بادية قفراء تسرح فيها قبائل البدو، ومياها تذهب ضياعاً من حولها فتفسد هواءها ميناؤها معطلة بتراكم التراب.

استولى عليها ظاهر سنة ١١٥٤هـ - ١٧٤١م واتخذها مقراً لحكومته، وفي سنة ١١٦٣هـ - ١٧٤٩م بنى أبراجها وشيد حصونها المنيعه ومألاها بالمدافع والذخائر وعززها بالسلاح وأحاطها بسور متين ولم يترك لها إلا بابين.

وازدحم الناس من أنحاء سورية وقبرص مهاجرين وفيهم المسلم والمسيحي وكان يرعاهم بعناية ويهتم بشؤونهم، ويتساهل بأمور عقائدهم، مما لم يكن مألوفاً في ذلك العصر.

وصاهر كبار رؤساء القبائل العربية المخيمة في سورية الجنوبية، فاشتد أزده بهم وسعى في سنة ١٧٦٨م فمنحته الدولة العثمانية لقب شيخ عكا وأمير الأمراء وحاكم الناصرة وطبريا وصفد وسائر الجليل، وفي سنة ١١٨٨هـ - ١٧٧٤م ورد الضرمان السلطاني بإحالة ولاية صيدا لعهدته.

وكانت له صلات مع علي بك الكبير حاكم مصر وكان هذا على وفاق مع امبراطورة روسيا كاترينا الثانية وقبصر النمسات وجرمانيا، وكاد يؤلف دولة صغيرة على ضفاف البحر المتوسط لولا معاكسة الأقدار وفساد بطانته وضعف عقلية أبنائه وانتفاضهم عليه مما كان سبباً لنزوال تلك الإمارة الضتية وضياح مجدها.

راع الدولة تعاضم نفوذ ظاهر العمر وأوجست منه خيفة فتربصت به الغوائل وكانت تقارير الجزائر، تتوالى بحقه إلى الاستانة بالوشاية والإغراء به، فجردت الدولة حملة عليه سنة ١١٩٠م - ١٧٧٦م بقيادة الوزير حسن باشا الجزائري فوافى سورية على ظهر الاسطول العثماني وألقى مراسه في ميناء صيدا.

وانفض من حوله ظاهر قواده وجنده وانتهى أمرة بأن أطلق عليه الرصاص مغربي من جماعة الدنكرلي فخر قتيلاً وفر أولاده ملتجئين إلى الشيخ ناصيف النصار في جبل عامل، وهو عثمان وسعيد وأحمد وصالح وأما ولده علي فكان معتصماً بدير ماريو حنا ثم استسلم بعضهم للوزير حسن باشا، فقتل أحدهم لقلته ظهرت من لسانه، وذهب بالباقي إلى استانبول.

وفقد علي ولديه الحسن والحسين وقتل غيلة في نابلس، وتبعثرت الاسرة بمرور الأيام وتقلبات الدهر وأخنى عليها الذي أخنى على لبد حتى اضطرت إحدى مخدرات هذا البيت إلى التسول كما ذكره الأمير حيدر في تاريخه.

ظاهر العمر في جبل عامل

لما أخضع ظاهر العمر البلاد التي تقدم الكلام عليها ودانت له سورية الجنوبية حول وجهه

إلى جبل عامل يريد أن يخضعه لسلطته غير أن جبل عامل في ذلك الوقت كان أمنع من عقاب الجو، ومجمل القول في تاريخه السياسي أوانتد أن الشيعة في جبل عامل، وكانوا من قبل حتى سنة ١٠٢١ هـ يعيشون في جبالهم مستقلين كما صرح بذلك جودت باشا في تاريخه، ولما التزم بلادهم فخر الدين المعني، وتعهد للدولة بتأدية أموالها الأميرية، وأرهقها عمال المعنيين جوراً واستبداداً، وأنزلوا بالبلاد أنواع البلاء، نهضوا في سنة ١٠٧٧ هـ لما ضعفت حكومة المعنيين في زمن الأمير أحمد، فطردوا عماله واسترجعوا استقلالهم.

ودارت رحى الحرب بينهم وبين المعنيين والشهابيين من بعدهم بقصد إخضاعهم بالقوة، وكانت الحرب بينهما سجلاً، ولم يظهر المهاجمون بطائل لأن الشيعة استبسوا في الدفاع عن حوزتهم، واستماتوا في الذود عن حياضهم، وبلغوا شأواً رفيعاً في شدة البأس والنجدة والحماس القومي. كانت الطائفية والفوارق المذهبية في ذلك العصر من أكبر الدواعي لإثارة الفتن واشتعال نار الحروب الأهلية ونال الشيعة منها قسماً وافراً لوقوع بلادهم في محيط يختلف عنهم عقيدة ومذهبا، فأصبحوا بحكم الطبيعة مضطرين لحفظ كيانتهم، ورد الطوارئ عنهم، وساعدهم وعورة البلاد ووضعها الجغرافي فنشأوا نشأة حربية رجالاً أشداء وأبطالاً مجريين لا هم لهم إلا شحذ السيوف وتوفير الذخائر الحربية وتمرين أبنائهم منذ الصغر على الحرب والجلاد.

تحرش ظاهر العمر بناصيف النصارى^(١) عميد عشائر جبل عامل، وناهيك بناصيف بطلا مغواراً وقائداً محنكاً جمع إلى الشجاعة والنخوة سخاء الكف وحسن التدبير والغيرة القومية والمروءة المحضة.

اتخذ ناصيف قلعة تبين مقراً لحكومته وكانت عامرة بأبراجها الشامخة وحصونها المنيعة وفي سنة ١١٦٣ هـ - ١٧٥٠م جدد بناء الحصون، في أنحاء البلاد وشحنها بالمقاتلة والسلاح وأوعز للزعماء والحكام بالانتقال إليها واتخاذها مراكز حكومية ويسط العدل وأمن السبل فدوى اسمه في الآفاق وكانت له هيبة تحنى له الرقاب.

تحرش ظاهر بالعميد الوائلي وكتب إليه أن يتخلى عن قريتي البصة ومارون بدعوى أنهما تابعتان لفلسطين، وأدرك العميد الغاية فرد رسوله رداً عنيفاً وقال له: قل لمولاك يتحرش بغيرنا فليس له عندنا إلا السيف والنار، وأصدر أمره حالاً بالتأهب للحرب وذهب الصوتان يوجب أنحاء البلاد للنفير العام، وبلغ ظاهر العمر جوابه، فطرد عمال ناصيف من القريتين، ونهض لاكتساح بلاد عاملة.

(١) كان الشيخان وناصيف صديقين حميمين وحليفين قويين أنجد الثاني الأول في حربه مع بني سقر والحوارث عرب مرج بني عامر بعدما هزموه في سختين من أعمال طبريا فاستظهر عليهم ناصيف وهزمهم ونفاهم إلى خارج فلسطين. وأنجده أيضاً يوم قانون وكان النصر حليفه، وأنجد ظاهر الشيعة يوم هجوم الأمير ملحم الشهابي على جبل عامل في سنة ١١٦٣ هـ، ويوم مرجعيون على الدروز والأميرين الشهابيين نجم والسيد أحمد، وكان النصر للشيعة وحليفهم ظاهر (الأعيان مجلد سادس صفحة ١٢٤) وإلى ذلك أشار الشيخ عبد الحلیم النابلسي والشيخ إبراهيم الحارثي.

فصدته خيول ناصيف عند الحدود ونشبت بينهما حرب ضروس وانتصر ناصيف في عدة معارك أخصها معركة (دولاب وطريخا) وفي هذه الأخيرة أكره ظاهر على التراجع فانقض عليه ناصيف ومكن الرمح من صدره ثم عفى واكتفى بسلبه فرسه المعروفة (بالبريصه) تصغير (برصة) التي قال فيها ناصيف كلمته المشهورة بعد استرد البصة وأعاد البريصه لظاهر: لا بأس أن أعدنا البريصه بعد أن عادت البصيصه (تصغير بصة) ولشعراء جبل عامل في وصف انتصارات ناصيف قصائد جمة نذكر منها قصيدة الشيخ إبراهيم الحارثي من شعراء ذلك العصر، وقد أرسلها للشاعر الفلسطيني الشيخ عبد الحليم النابلسي وكانت بينهما مفاخرات ومراسلات أدبية:

يا للرجال لمحنة لا يرتجي	غير «ابن نصار» يحل عقالها
«ناصيف» من يحمي الثغور ومن به	أبدت سماء المكرمات هلالها
بطل له ألقى الزمان قياده	لو طاولته الشامخات لطالها
ويد مقبلة البتان كريمة	مدت على المستضعفين ظلالها



شوس تمد من السيوف قصارها	يوم الوغى ومن الرماح طوالها
وافى بها في يوم «طريخا» وقد	جاست خيول الدارعين خلالها
طافوا عليها بالصوارم والقنا	فكأنهم قطع الغمام حيالها
فسطا ونادى لا فرار فأدبرت	تلك الجموع ونالها ما نالها
عافت هنالك خيلها وسلاحها	والرعب عن تلك السروج أمالها
يا عصبه رأت الجميل وما وفّت	وينت على نياتها أعمالها
وتعمدت سفك الدماء وما رعت	سنن النبي حرامها وحلالها
أنسيتم أيام «سرخين» التي	لم ينسكم طول المدى أهواها
جافت جفون كماننا طيب الكرى	فيها وعافت عذبتها وزلالها
والصقر لولا الخوف من عقباننا	ما أزمعت عن أرضكم ترحالها
أفما أبحننا في العراك غنيمه	أغنامها وخيولها وجمالها
حتى خلت لكم البلاد وأوترت	من كان يبغي حريها ونزالها
يفضي الجديدان الصفا وحقوقنا	تبقى وإن حاولتهم أبطالها

والقصيدة طويلة جداً وإنما اخترنا منها موضع الحاجة وقد أشار الشاعر لمعركة طريخا التي انتصر فيها ناصيف على ظاهر العمر كما مر، وأما الصقر فهم القبيلة المعروفة وقد نشبت بينها وبين الشيخ ظاهر حرب تغلبت فيها عليه وضايقته فاستنجد بحلفائه الشيعيين ولبي ناصيف الطلب وهاجم بني صقر فدارت بينهما معركة حامية الوطيس في المكان المعروف بسرخين وطفر بهم ناصيف ظفراً تاماً وشردهم إلى البادية منهزمين.

المعاهدة بين ناصيف وظاهر العمر

أسقط في يد ظاهر ورأى نفسه أمام قائد محنك وفرسان مجريين تعودوا خوض المنايا ولقاء الحتوف، وبينما كان في حيرة من أمره وإذ بأحمد آغا الدنكلي، وهو رجل مغربي كان في خدمة ظاهر، يسير خفية فيها جم قلعة تبين على حين غرة من الحامية القليلة، ويقبض على غلامين مراهقين من أبناء ناصيف ويفرُّ بهما إلى عكا.

ولا يعلم بالتحقيق إن كان ذلك بإشارة ظاهر أو فكر ارتآه الدنكلي من عند نفسه ليقت في عضد ناصيف ويرغمه على التراجع ومصالحة ظاهر بشروط مناسبة.

وعلى كل فإن عمل الدنكلي يدل على الغدر واللؤم وخسة النفس، ولا يصدر من ذي مروءة وشرف، وبلغ الخبر ناصيف وهو في ساحة العراق، فطارت نفسه شعاعاً غيرة على حرمة وأولاده فتراجع عن المعركة متعقباً آثار الدنكلي فلم يظفر به وعقدت هدنة بين الجيشين وخمدت الحرب خمود النار تحت الرماد.

احتفى ظاهر العمر احتفاء تاماً بابني ناصيف وأنزلهما مكرمين معززين في جناح خاص من قصره، وغمرهما بالألطف، وأنسهما بنفسه فكتب ابنا ناصيف إلى والدهما يصفان ما لقياه من إكرام ظاهر العمل ومروءته، وإنهما مع ما هما في من رعاية واحترام يطلبان تجهيز حملة لتخليصهما من الأسر فكتب إليهما والدهما ما معناه: إنه لم يهنأ له عيش، ولا غمض له جفن، منذ وقعا أسيرين، وأنه ينتظر انخفاض مياه الأنهر (وكان الفصل شتاء) التي سدت الطرق والمسالك فيثيرها حرباً شعواء تميد لها الجبال ويطيّر لها الهام.

فلما وقف والده على جوابه، أعاد الكتاب عينه لأبيهما بعد أن كتباً على حاشيته البيتين التاليين جواباً على اعتذاره:

كتب الزمان عجائباً	في جبهة الأيام سطرًا
هلاً سمعتم أو رأيتهم	أن نهراً صعد بحراً

وكان ظاهراً واقفاً على هذه المراسلات فدعى بالغلامين وسرحهما إلى أبيهما مكرمين بعد أن أهداهما جوادين من خيرة خيوله.

ثم توسط الأمر بين العميددين الشيخ سعد أخو ظاهر العمر فتصالحا وتصافيا وعقدا محالفة هجوم ودفاع وقعت في عكا في يوم الجمعة الواقع اليوم الثامن من جرب عام ١١٨١ هـ - ١٧٦٧ م، وحلفا اليمين على السيف والمصحف (القرآن الكريم) أن يكونا وشعباهما متضامنين ما دامت الأرض والسماء، وأعيدت البصة ومارون إلى ناصيف وبني بالقرب من الأولى خاناً يعرف للآن بخان ناصيف.

هذه مآثر ظاهر العمر، ودليل على رجاحة عقله وسمو الغاية التي كان يسعى إليها، فقد دل بحسن معاملته لابني ناصيف على غزيرة عربية فياضة بكرم الأخلاق وعلو الشيم، وغنم بذلك

ولاء شعب حربي نشيط له سطوته وخطورته في ذاك الزمن، وكان من أكبر العوامل على امتداد نفوذه وتعاضل سلطانه^(١).

موقف طائفي يؤدي إلى الاتحاد

وكان الحكام الإقطاعيون بجبل عامل يعنون عناية تامة بأهل اقطاعاتهم وأبناء طائفتهم أينما ساروا وحينما حلوا، وربما أوقع أحدهم قصاصاً صارماً أو شهراً حربياً عواناً انتصاراً لأبناء طائفته وانتقاماً ممن يعتدي عليهم.

يقول محمد جابر آل صفاء: قد حدثني السيد جهيز وهو شيخ طاعن في السن تجاوز المائة من سنه عرك وخبر ووقف على كثير من حوادث البلاد وهو من قرية الناقورة قال: إن أحد الباعة من أهالي جبل عامل ذهب يبيع عنبه في سوق البحصّة، وكانت تابعة إلى فلسطين، وحاكمها الشيخ ظاهر العمر، فاختلف بائع العنب مع بعض أهالي البصّة، وشتم الفلسطيني مذهب البائع العاملي وغيره بأنه متوالي واتصل الأمر بالزعيم العاملي الشيخ ناصيف النصار فركب في يوم السوق التالي مائة فارس إلى البصّة فأخطوا بسوقها من جميع أطرافه، وأمر الشيخ بالقبض على المعتدي، وحاكمه مع خصمه محاكمة علنية.

ولما ثبت اعتداؤه أمر بشنقه في ساحة السوق قصاصاً وعبرة لأمثاله ثم صرف خيله وسار في حاشية صغيرة إلى عكا فقابلته الشيخ ظاهر العمر بالحفاوة والترحاب، ولما بسط الشيخ ناصيف قضية البصّة وما أجراه، صوب عمله وأصدر منشوراً عاماً يعلن فيه اتحاد الطائفتين السنة والشيعية وينذر من يخالف بالعقاب الشديد^(٢).

معركة كفرنان - النبطية

وقعت هذه المعركة في الخامس من ربيع الأول سنة ١١٨٥ هـ - ٢٩٥ تشرين ١٧٧١ م وأسبابها أو ملخص الرواية التي استقيناه من أوثق المصادر هو: إن مكاريين من قرية (كفر رمان) وهي على ميلين من النبطية، مرا بعنّب لها بقرية نيحا الشوف فاعتدى عليهما بين الكرم بعض أهالي نيحا وسلبوهما وضربوهما ضرباً أليماً قضى على حياتهما.

فشكى أهل القتيلين أمرهما إلى الشيخ علي بن أحمد الفارس عميد آل صعب وحاكم المقاطعة، وكان مقيماً في قلعة الشقيف فكتب إلى الأمير يوسف الشهابي حاكم جبل لبنان يومئذ يطلب منه إرسال المعتدين لمحاكمتهم وذكر له أسماءهم فكتب إليه الشهابي بعدم إمكان القبض على الجناة وعرض عليه دية القتيلين توزع على أهالي نيحا، وأصر الصعبي على طلبه وكتب للأمير يوسف كتاباً شديداً للهجة قائلاً: إن الشيعة لم تعتد بيع دماء أبنائها بمال ونحن نعرف كيف نثار لبني قومنا.

(١) تاريخ جبل عامل ١١٥-١٢١.

(٢) المصدر نفسه ٩٦-٩٧.

واقترح بعض الشيعة قرية نيجا فقتلوا أربعة من أهلها بين الكروم في المكان الذي ضرب الرجال الشيعة، واتصل الأمر بالأمير يوسف فاحتدم غيظاً وكان الحقد يغلي في صدره لارتفاع شأن الشيعة واستفحال أمرهم وتطاولهم على أطراف الشوف ووادي التيم، وإنذارهم لدرويش باشا والي صيدا منذ انتصارهم في معركة البحرة وهزيمة عثمان باشا التي تلتها الأمير يوسف عن نجدته فيها.

فزحف الأمير يوسف لاكتساح جبل عامل بجيش كثيف يزيد على أربعين ألف مقاتل مؤلف من طوائف شتى كما ثبت من تقارير القناصل، ولما دخلوا البلاد من جهة صيدا يحرقون القرى، ويدمون المزارع ويقطعون الأشجار، من يقع في أيديهم من السكان الأمنيين، ولا يعفون عن شيوخ ولا صبية ولا نساء.

وكتب الشيخ علي الفارس إلى الشيخ ناصيف النصار شيخ مشايخ جبل عامل ببسط له القضية ويستخدمه للدفاع عن البلاد وحماية الطائفة فهب ناصيف للنجدة وأرسل الصوآت لجمع الجنود وكتب إلى حليفه الشيخ ظاهر العمر الزيادي صاحب فلسطين يطلب النجدة.

وصول الجيش المهاجم إلى النبطية وعاقبة البغي والغرور

وكان جيش الأمير يوسف يسير في أربع فرق فالفرقة الأولى وهي المقدمة وفيها الأمير يوسف في أول الجيش والفرقة الثانية وهي الجناح الأيمن كانت تسير في طريق جباع - فحومين - فحبوش - فالنبطية.

والفرقة الثالثة وهي الجناح الأيسر كانت تسير في طريق العرقوب - فالמידنة فالجرمق، فكفرتبنيت - فالنبطية والفرقة الرابعة وهي القلب كانت تسير في طريق جرجوع فعرب صاليم فالنبطية.

وكانت قوى الشيخ علي الفارس وأخيه الشيخ حيدر الفارس الذي كان في بدء الخلاف مقيماً في جبع فوافى أخاه إلى النبطية للاشتراك في الدفاع مؤلفة من فرقتين فرقة الفرسان وعددها خمسمائة من الأبطال المجريين كانت تقيم معه في قلعة الشقيف.

وفرقة المشاة وعددها ألف مقاتل من الشبان المتمردين على تسديد الرماية جمعها من النبطية وضواحيها وعسكر الشيخان بجيشهما في الضاحية الشرقية الشمالية من البلدة في أرض تسمى (قلادش) التي دعت بعد المعركة - بعريض القهوة - ولم تزل تعرف بهذا الاسم إلى اليوم لأن جيش الشيعة شرب فيها قهوة النصر والظفر.

ولما وصل طلائع الجيش المهاجم إلى جبع وأحرقها وقطعت أشجارها بعث الشيخ علي الفارس رسولاً آخر إلى الشيخ ناصيف النصار يخبره بحركة العدو ما فعله من الفضائح، ويستعجل قدومه.

وأرسل كشافاً يستطلع طلائع الجيش المهاجم، ويرقب حركاته ويقدر قوته، وعاد الكشاف

يهول بكثرة المهاجمين ووفرة معداتهم فانتهاز الشيخ وصاح به: اسكت قطع الله لسانك، وأمر بسجنه، وأرسل كشافاً آخر ورجع هذا وقد تعلم الأمثلة يهون الخطب ويزري بالعدو وبسيره غير المنتظم، وإن قسماً منه غير مسلح رافق الجيش للنهب والسلب، وإن الفوز سيكون حليف الشيعيين حتماً فأثنى عليه الشيخ وأمر له بخلة.

ديوان المشورة وتقرير خطة الدفاع

وعقد الشيخ علي الفارس ديوان مشورة من خواصه وكبار رجاله وخيرهم بين الذل والحياة بين حرب مجزية أو سلم مخزية وراءها سبي النساء والاستعباد وأخيراً دمار البلاد، فاختاروا الحرب والدفاع إلى آخر نسمة من حياتهم وصلوا جميعاً صلاة الموت ودعوا الله أن ينصرفوا ويخذل العدو الباغي عليهم، وبدأ الاستعراض ودب الحماس في النفوس، وارتفعت الأصوات بالحداء الحربي.

ووصلت مقدمة المهاجمين صباحاً إلى النبطية وفيها الأمير يوسف الشهابي فاحتلت الضاحية الغربية من البلدة ونصب الأمير سرادقاً كبيراً على البيدر الأعلى قرب الجبانة، ولم تكن الدور والأبنية اتصلت بالجهة المحتلة كما هي اليوم وإنما كانت البلدة تشغل بقعة ضيقة متلاصقة البيوت شرقي دار الحكومة. وأصبح الناس يرون مخيم الأمير وفي أعلى السرادق كرة من الذهب تشع في نور الشمس واجتمعت فرق الجيش كله في كضر رمان واتخذتها مركزاً.

انقلاب خطة الدفاع إلى الهجوم

ولما انفرد الأمير الشهابي عن الجيش وسار في المقدمة وأوى إلى سرادقه آمناً مطمئناً كأنه يسير في نزهة معتزاً بكثرة جيشه غير حاسب لأخصامه حساباً مما يخالف أبسط القواعد الحربية ويدل على الغرور وضعف الرأي.

رأى القائد الصعبي وهو الباسل المحنك أن الفرصة سانحة فعول على الهجوم بالفرسان بعد أن كانت الخطة دفاعية كما سبقت الإشارة، وخشي بادرة الحماس من الشبان المشاة فأمر بحجزهم في خان الميري الواقع في جوار بيت آل الفضل في النبطية، وأمر قائدهم الشيخ دندش بن أحمد الفارس أن يوصد الأبواب ولا يدع أحداً يتحرك إلا بإشارته لأنه لم يكن على ثقة أن جيشه القليل يفوز على ذلك الجيش العرمرم.

وعباً خيالاته تعبئة حربية محكمة، فأحاطت بفرقة الأمير من جهات ثلاث من الغرب والشرق تاركاً جهة الشمال ليسهل طريق الفرار والانسحاب، وبدأت المعركة بإطلاق الرصاص، فدعر الأمير يوسف، ورأى الخطر المحدق به، فارتبط وتشوشت جنوده وضيق المهاجمون الحلقة، فالتجأ إلى الفرار راكباً بغلة لا يلوي على شيء.

وكانت الأوامر أن لا يقطعوا عليه الطريق ولا يمس بسوء، ولما سمع الشباب المحصور بالخان أزيز الرصاص اشتد هياجه فنقب جدار الخان الشمالي، ولم تزل آثار النقب إلى اليوم، وتعبق

العدو فاشتبك معه في ساحات ثلاث (في الجزائر) شمالي البلدة، ووادي بو نعيم شرقيها. وبين زيتون كفرمان.

وكان جيش الشيخ ناصيف المؤلف من ثلاثة آلاف مقاتل قد وصل إلى قرب قرية شوكين وهناك التقى بكشاف يصيح (علق، علق الشر) أي دارت رحى الحرب، فأسرع برجاله سالكاً طريق (زيدين) ودخل البلدة من الجهة الغربية ليدهم مقدمة الجيش المخيمة غربي البلدة كما قدمنا، وتنكب عن طريق نبعة حبيب لأنها مضيق واقع بين جبلين فخاف الكمين، وسار بخيله خبيماً إلى ساحة العراك ورأى الحرب قائمة على قدم وساق فهجم هجوم المستميت ولم يلبث العدو أن ألوى عنانه متقهقراً إلى كفرمان.

ولما مالت الشمس إلى الغروب تحاجز الفريقان وأسدل الليل سدوله فانتشر جيش على تلك الروابي والتلال يوقد نار الحرب نار الحرب ويهزج بالعتاب والأغاني الحماسية.

وفي صبح اليوم التالي دارت رحى القتال بشدة وكان جيش العدو فقد حماسه وخمدت جذوته فانسل من حيث أتى راضياً من الغنمة بالإياب، وثبتت قليلاً بعض الفرق بقيادة المشايخ النكديين، وهجم الشيعيون بالسلاح الأبيض فانهزم الجيش كله انهزاماً تاماً يصعدون في جبل العرقوب وروابي سجد المطلة على سهل الميذنة وعقبة جرجوع، وحراب الشيعة تعمل في أقفيتهم وتذبحهم ذبح النعاج.

ومات أكثرهم خوفاً وتعباً وكانوا إذا علق رداء بغصن أو جب شجرة طرح سلاحه ووقف كالمذهول حتى يأتي من يقبض على حياته، وشاعت عنهم الكلمة التي سارت مثلاً يتدولاً الناس إلى اليوم وهي قول العالق بأغصان الشجر: يا شيخ جب أرخيني خذ القبق والسكيني.

ويقول المؤرخ العاملي الشيخ علي رضا إن الشيخ ناصيف النصر تعقب بنفسه الأمير يوسف الشهابي فأدركه في عقبة جرجوع فقتنق رأسه بالرمح، وأنزله عن ظهره بغلته إلى الأرض؛ وألبسه الفرو مقلوباً وقال له: عفوت عنك رافة بشبابك احتراماً لأسرتك وأنا ابن نصار، فأجابه الأمير يوسف: هدها أولاد أم علي، أي أنكم أهل للعفو «وأولاد أم علي» لقب يطلق على الشيعة وكانوا يفضرون به.

أما عدد القتلى فيقول الأمير حيدر الشهابي في تاريخه مجلد أول صحيفة ٩١: أنه ألف وخمسمائة قتيل، وإن الأمير يوسف لما وصل إلى كفرمان أحرقها وسار إلى النبطية فالتقى بطارش عسكر المتأولة، بنحو خمسمائة خيال فانكسر عسكر الدروز كسرة عظيمة ولم يكن في الزمان انكسر مثل تلك الكسرة ولولا ثبات الشيخ كليب نكد ووصول الأمير اسماعيل الشهابي لأجهز المتأولة على الجيش كله لأنهم كانوا كالغنم بين أيدي الذئاب^(١).

(١) وذكرها الشدياق في الأعيان صحيفة ٣٩٨ في حوادث سنة ١٧٦٨.

ويقول مؤرخو جبل عامل أن جيش الأمير يوسف ترك في ساحة القتال ما يزيد عن ثلاثة آلاف قتيل حتى قيل أنه كان بين القتلى أربعماية زوج أخوة أي كل اثنين لأب وأم.

وين بني متوال يا عز الرجال:

وحدثت شيخة هرمة من آل الحاج علي ووالدة السيد موسى أبو خدود تدعى الدرويشية بالماء والزاد وتسير زرافات من فرقة إلى فرقة تثير نخوة المقاتلة وحميتهم بالزغاريد والأغاني الحماسية كقولهن: وين راحوا أولاد أم علي وين سياج العذارى- وين بني متوال يا عز الرجال وإن فرسان الشيعة كانت تطلق طلقة واحدا من بنادقها ثم يضع كل بندقية وراء ظهره ويهاجم العدو يقاتله بالسلاح الأبيض وينقض عليه انقضاض البزة على الطير، وإن جثت القتلى غطت ضواحي النبطية وكفرمان وسهل الميدنة، وكان إذا ذهبن إلى ينبوع الميدنة لغسل ملابسهن لا يستطعن البقاء طويلا لفضاعة تلك المناظر الرهيبة ولبس الشوف أثواب الحداد حتى كانت النساء ترى كالغريان.

ووصلت نجدة الشيخ ظاهر العمر بقيادة ولديه الشيخ علي والشيخ عثمان بعد أن وضعت الحرب أوزارها وقيل أنهما تباطأ قصداً برأي الشيخ عثمان بين إخراج يحضر، ولما انجلت المعركة عن انتصار الشيعيين قال علي لعثمان: سود الله وجهك، كسب أولاد أم علي الحرب وكسبنا العار.

أقوال بعض الشعراء في هذه المعركة:

ولشعراء جبل عامل قصائد وزجليات في وصف هذه الحرب الطاحنة نذكر منها أبياتاً من قصيدة طويلة لشاعر زجلي فلسطيني يدعى (شناعة بن مريح) من شعراء ظاهر العمر:

وين مير الشوف يوسف يوم صال	من عرب صالين على الوادي نزل
في عساكر عدها تسعون ألف	أو تزيد عداد خوفاً أن نزل
قادهما من حمص لديره حما	لقرايا الشام صواتو وصل
من أرض بيروت للشوف العريض	من بلاد جبيل كم فارس وصل
شي دروز وشي يهود وشي صنوف	شي نصارا شي كراد وشي ملل
وانحدر بجموع ما إلهم عداد	يا جميل السترفي هذي الملل
وانتحي على لناصيف يقول	إن هذا الأمر ما عاد ينهمل
ما يخشى المير ديرتنا حرام	لو نبت من فوق راياته نخل
لبنني متوال ظهر العاديات	من متون الخيل يعضون الصقال
قادهما ناصيف كساب الثنا	وافترعها قبل أن جارت فحل
سيفهم ناصيف يا نعم العقيد	شاهرا للسيف في أيدي يقل
والذي فيهم سياج المحصنات	ذاك أخوه الليث محمود الخصال
يا علي الفارس يعارك في الجموع	شبه ليث صال وأشجع من بطل
عندما البارود زمجر واستطار	وأظلمن الأفق وأبرقن النصال

وأذهل الأبطال ركض الصافنات
صاح مير الشوف هاتولي الحصان
وين مير الشوف يوسف وين راح
يحسبون الحرب هي شلة حرير
لعبت الفرسان في ذاك المحل
عن عظم ما صار جابولو بغل
الذي للحرب راكبوا نفل
ويش يجيب الحرب لفزل الشلل^(١)

عناية العاملين بالأدب:

وبمناسبة هذا الشعر الزجلي ننقل هذا الكلام للمؤرخ نفسه محمد جابر آل صفا، يقول رحمه الله:

لأبناء جبل عامل ميل شديد للأدب، ورغبة تامة لاستظهار الشعر، يستوي في ذلك العامة والخاصة، يطربون للإنشاد ويرتاحون لنوادر الأدباء وطرائفهم وقد عرفنا كثيرا من العامة ممن لا عهد لهم بالتعليم ولا يعرفون شيئا من مبادئ العلوم العربية يحفظون الشيء الكثير من أشعار العرب، لا سيما أصحاب المعلقات ومذائح آل البيت النبوي ورأيت غير واحدة من رعاة البقر يستظهرون ميمة أبي فراس الحمداني التي أولها:

الدين مخترم والحق مهتضم وفيء آل رسول الله مقتسم
وميمة الفرزدق التي أولها:

هذا الذي تعرف البطحاء موطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
وغيرهما من شعر ابن أبي الحديد والأزري والكميت الاسدي وغيرهم، وقد كان لعهد قريب رجل اسكاف يدعي أحمد حرب، أميا لا يقرأ ولا يكتب غير أنه كان يحفظ قسطاً وافراً من أشعار العرب من قصائد ومقطعات وينظم الشعر بغير لحن فيجيده، ومن نظمه قصيدتان في مدح الزعيم الأكبر حمد البك معروفتان متداولتان.

وكانت دكان هذا الاسكاف أشبه بناء يؤمه الأدباء والشعراء يتذاكرون الشعر والأدب على نحو ما كان الشاعر الأمي الخبزازري في العصر العباسي.

وفي دير الزهراني، قرية تبعد عن النبطية بضعة أميال شمالاً، امرأة تدعى الحاجة رحمة الطفيلي، لم تزل في قيد الحياة وفي الستين من العمر، حضرت مجلساً أدبيين من أدباء جبل عامل اختلفا في تفسير معنى بيت لبعض الشعراء يقول فيه:

هوى ناقتي خلقي وقدامي الهوى وإنني وإياها لمختلضان

ولم يتفقا على وجه، ولكن الحاجة رحمة التي كانت تصغى لحوار الأدبيين حلت المشكل فقال لهما: إنني أعجب كيف غمض عليكما المعنى وأنتما من أبناء المدارس وأنا امرأة قروية لا عهد لي بالعلم ولا بالمدارس قد فهمته؟ إن الشاعر البدوي ركب ناقتة وقصد حببيته وترك فصيل الناقة في مأواه، وكان الراكب يستحث الناقة إلى الإمام ليصل إلى غرضه بالقرب العاجل، وهي تحاول النكوص إلى خلف لإرضاع فصيلها، فاتفقا غاية ومأرباً واختلفا قصداً وسيراً.

والشعر الزجلي منتشر في جبل عامل في القرى والحوضر ولهم فيه ولع خاص حتى لا تكاد تخلو قرية من شاعر زجلي يطلقون عليه اسم قوال، وقد برع بعضهم فيه براعه تامة وحذق ضروريه وأنواع كالمواليا والعتابا والقرادي والمطاليع والهجانيات، ولهم مقطعات وقصائد تنطوي على كثير من الحكم والفكاهة، اشتهر منهم في الجيل الماضي في الجهة الجنوبية، محمود حداثا من حاريص. وفي الجهة الشمالية الحاج قاسم فهد، ومصطفى وهبة، والحاج حسن حامد والحاج محمد شاهين، والحاج قاسم ظاهر في النبطية وفياض عياش، وإبراهيم عياش وقاسم حمدان وقاسم أيوب حرب، وإبراهيم حسين شاهين من حاروف، ومحمد الحاج طباحا من البابلية، وأسد البعلبكي، وموسى شريم، وعلي الحاج، ودياب نجم من محومين.

والشيخ علي زين من قلبا وتوفيق عبد الكريم صباح ولم يكن قرض الشعر في هذا العهد مقصورا على الرجال بل تعداه إلى النساء فنبت منهن شاعرات بارعات كالسيدة فاطمة كريمة أسعد بك الخليل المترجمة في كتاب الدر المنثور.

والسيدة زينب كريمة علي بك الأسعد، ووالدة محمد بك السهيل، الذي مر ذكره. والسيدة زينب علي فواز التي نشأت في تبين في كنف آل علي الصغير وهي ربيبة السيدة فاطمة الأسعد الأنفة الذكر، وعلى يديها تخرجت بالشعر والأدب، وطارت شهرتها في مصر وسورية ولها شعر رائق ومؤلفات نفسية وقد ترجمتها مجلة العرفان في المجلد الثامن صحيفة ٤٥٥. وفي عصرنا الحاضر نبغت بالشعر والأدب ونظم المقطعات الرائعة السيدة دنيا كريمة محمود بك التامر من آل علي الصغير، والسيدة فاطمة رضا كريمة العلامة الشيخ أحمد رضا، والسيدة زهراء الحر، والسيدة علية القبيسي.

ومن أقدم ربات الخدور اللواتي تفوقن في الشعر والأدب من نساء جبل عامل: أم علي نقيه بنت أبي الفرج غيث الصورية، ذكرها صاحب وفيات الأعيان وقال: إنها توفيت في سنة ٥٧٩ هـ وإنها مدحت الملك المظفر بن أخي صلاح الدين بقصيدة أتت فيها على وصف الخمرة، فلما وقف عليها قال: الشيخة تعرف هذه الأحوال من زمن صباها، فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية في وصف الحرب وقدمتها للملك ثم إليه تقول:

علمي بهذا كعملي بهذا.

ونبت من نساء العامة في هذا العهد امرأة في بنت جبيل تدعى منى كانت تحفظ الكثير من جيد الشعر وتفتح بيتها للأدباء والشعراء فيعقدون مجالس الأدب وكانت ذات نظر نافذ في النقد تناقشهم في ضروب الشعر وفنونه وكانت عدا اشتهاها بالأدب تعرف مبادئ علم الهيئة ومواقع النجوم^(١).

(١) تاريخ جبل عامل / ٢٩٢ وما بعدها.

شعراء أهل البيت (عليهم السلام) في مدينة حلب

مدينة حلب في طليعة المدن في ديار الشام بادبائها وفي مقدمتهم الشعراء الملتزمون الذين فاضت قرائحهم بدرر المديح للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وإن كان المغول قد دنسوا الشرق الإسلامي فقد صمدت الشام بوجوههم كما صمدت أمام حملات الروم والبيزنطيين وكان الحمدانيون وأميرهم سيف الدولة وشاعرهم أبو فراس في طليعة الصامدين، والمعروف عن الحمدانيين أنهم كانوا من الموالين المخلصين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد انجبت حلب شعراء حلّقوا في سماء الأدب ونبغوا بمدائحهم لأهل البيت وتقدم في هذا البحث مجموعة من هؤلاء الأفاضل مع نماذج من قصائدهم الغراء وذلك خدمة للأدب الملتزم.

خلاصة عن مدينة حلب،

مدينة حلب من المدن القديمة جداً في بلاد الشام، وقد تكون من أقدم المدن قاطبة في تلك البلاد العريقة، فقد ذكر بأنها (يرقي تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد^(١)) وتعرف باسم «حلب الشهباء» لبياض حجارتها^(٢) و (بلغت أوج ازدهارها في عهد سيف الدولة الحمداني في منتصف القرن العاشر للميلاد وقد اختارها سيف الدولة عاصمة له فدخلت عهد امجادها التي لم تشهد لها مثيلاً واصبحت مركزاً ثقافياً وشعرياً وعسكرياً^(٣)) وكانت الحملات تنطلق منها بقيادة الحمدانيين الشيعة على الروم البيزنطيين و (كانت سوق الشرق الاوسط الرئيسية في ظل الاتراك العثمانيين. واليوم هي . مركز صناعي في الجزء الشمالي من سوريا^(٤)) ويوجد مشهد يُنسب للإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بالقرب من حلب^(٥) وروي أن تاريخ بناء هذه المدينة القديمة يعود إلى زمان النبي إبراهيم (عليه السلام)، فعندما هاجر بغنمه من العراق نزل بها وكان (يحلب غنمه في الجمعات ويتصدق به فيقول الفقراء حلب^(٦)) وهكذا عرفت هذه المدينة باسم حلب،

(١) موسوعة المورد، منير البعلبكي، ج ١، ص ٧٢.

(٢) المعجم الوسيط، حرف الحاء.

(٣) موسوعة المورد، ج ١، ص ٧٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) دائرة المعارف الشيعية، حسن الأمين، ج ٣، ص ٣٧.

(٦) سفينة البحار، المحدث القمي، حرف الحاء.

وهناك رواية أخرى تقول أن ثلاثة أخوة في التاريخ القديم جداً كانت أسماءهم (حلب و حمص وبردعه، أخوة من عمليق فبنى كل منهم مدينة سميت به^(٧)) وقد نبغ فيها علماء وأدباء، نُسب كل منهم إليها فعرف بالحلي، (وفي اصطلاح الفقهاء الحلي هو ابو الصلاح تقي بن نجم الحلي الفقيه الجليل الذي قرأ على الهدى وعلى الشيخ ابي جعفر الطوسي، له كتب منها: تقريب المعارف. ووصف بأنه. الشيخ الفقيه في البلاد الحلبية، وعلي بن برهان الدين الحلي الشافعي صاحب الكتاب المعروف بالسيرة الحلبية، ومُدح الحلبيون في شعر العلامة الطباطبائي^(٨)) وأما الادباء والشعراء في حلب فما أكثرهم، ونستعرض في هذا البحث عدداً منهم.

الشاعر أبو فراس الحمداني

اسم هذا الشاعر الشهيد حارث وكنيته ابو فراس وقد غلبت كنيته على اسمه فصار يُعرف بأبي فراس، ومعنى أبي فراس الأسد^(٩) وكان قد ولد في مدينة منبج في شمال سورية سنة ٣٢٠ ثم انتقل إلى حلب وبقي فيها. وكان أبو فراس فارساً ومقداماً وشجاعاً كراراً ووصف نفسه جراراً ونزلاً حيث قال:

وإنني لجرار لكل كتيبةٍ مَعُوذَةٌ أَنْ لَا يَخْلُ بِهَا النَصْرُ
وإنني لنزال بكل مخوفةٍ كثير إلى نزالها النظر الشرُّ^(١٠)

وكان أبو فراس كثيراً في حروبه مع الروم الذين كانوا يحملون على البلاد الإسلامية وبصورة خاصة على دولة الحمدانيين الشيعة في بلاد الشام، وأبو فراس كان يرى في الحرب والحملة على الروم لذة لا تضاهيها لذة الطعام حيث قال:

فلا تصفن الحرب عندي فإنها طعامي مذقت الصبا وشرابي^(١١)
وقال أيضاً:

لا عز إلا بالحسام المخدم وضراب كل مدججٍ مستلثم
وقراع كل كتيبةٍ بكتيبةٍ ولقاء كل عرمرمٍ بعمرمرم
ورأيت عمري لا يزيد تأخري فيه ولا يفتنيه غير تقدمي^(١٢)

وكانت إحدى المدن التي يجمع الروم فيها جيوشهم اسمها «خرشنة» وكان أبو فراس قد حمل عليها عدة مرات ودخلها، وشاءت الأقدار أن يجرح في حملاته فأسره الروم ونظم في الأسر هذه الأبيات في مدينة «خرشنة» وهو أسير فيها:

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

(٩) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي، ج ٤، ص ٣٠٧.

(١٠) ادب الطف، السيد جواد شبر، ج ٢، ص ٦٣.

(١١) أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٣١٠.

(١٢) المصدر السابق، ص ٣١٢.

ان زرتُ خَرشنة أسيرا فلكم حلتُ بها أميرا
ولئن رُميتُ بحادثٍ فاللذين له صبورا
من كان مثلي لم يمت إلا أميرا أو أسيرا^(١٣)

وروي أن مدة أسره وكانت أربع سنوات وقد نظم فيها أشعاراً كثيرة^(١٤)، ولكثره أشعار أبي فراس في هذه السنوات الأربع فقد عرفت باسم «الروميات»^(١٥).

ومن أشعار أبي فراس الظريفة في أيام الأسر، أبيات خاطب فيها حمامة كانت على شجرة في المكان الذي كان فيه أبو فراس، حيث قال:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا هل بات حالك حالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمي في الحوادث غالي^(١٦)

ومع أن أبا فراس قد عانى في أيام الأسر فإنه قال ويكل شجاعة بأنه إذا نجا من الأسر سيعود للحرب ضد الروم حيث قال:

فإن عدت يوماً عاد للحرب والعلا وبذل النوى والمجد اكرم عائد
وقد نجا من الأسر هو ومن معه بضدية دفعها سيف الدولة للروم.
ومن أشعار أبي فراس في وصف الطبيعة الجميلة:

أنظر إلى الزهر البديع والماء في برك الربيع
وإذا الرياح جرت عليه في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا ثج بينها حلق الدروع^(١٧)
ومن أشعاره الحكمية:

كيف ابغي الصلاح من سعى قوم ضيعوا الحزم فيه أي ضياع
فمطاع المقال غير سديد وسديد المقال غير مطاع^(١٨)
وقال أيضاً:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه^(١٩)

ومن روائع هذه الأبيات التي ذكر فيها اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويضعته الزهراء عليها السلام والأئمة الاثني عشر:

(١٣) المصدر السابق، ص ٣٢٤.

(١٤) موسوعة المورد، ج ١، ص ٢٨.

(١٥) المصدر السابق.

(١٦) أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٣٥٢.

(١٧) أدب الطف، ج ٢، ص ٦٨.

(١٨) المصدر السابق، ص ٧١.

(١٩) المصدر السابق.

شافعي أحمد النبي ومولاي علي والينت والسبطان
وعلي وباقر العلم والصادق ثم الأمين^(٢٠) ذو التبيان
وعلي والخيران علي وأبود والعسكري الثنائي
والإمام المهدي في يوم لا ينفع إلا غفران ذي الغفران^(٢١)

وكان ابن سكره - شاعر العباسيين قد نظم قصيدة هجا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرد عليه أبو فراس بقصيدة طويلة ذكرت في كتاب اعيان الشيعة وفي كتاب ادب الطف، ومنتخب منها هذه الأبيات:

الدين مخترم والحق مهتضم	وفى آل رسول الله مقتسم
انى ابنت قليل النوم أرقني	قلب تصارع فيه الهم والهمم
ياللرجال اما الله منتصر	من الطفلة وما لله منتقم
بنو علي زعايا في ديارهم	والامر تملكه النسوان والخدم
للمتئين من الدنيا عواقبها	وان تعجل منها الظالم الأثم
لا بطغيى بنى العباس ملكهم	بنو علي موالىهم وان زعموا
انسخروا عليهم لا ابا لكم	حتى كان رسول الله جدكم
وما نوازى يوما بينكم شرف	ولا تساوت لكم في موطن قدم
الركن والبيت والاستار منزلهم	وزمزم والصفاء والحجر والحرم
صلى الله عليهم كلما سجت	ورق فهم للورى ذخى ومعتصم

وأما شهادة أبي فراس فبعد أن مات سيف الدولة صار ابنه أبو المعالي أميراً في حلب حدث اختلاف بين ابن سيف الدولة وأبي فراس فأقدم غلام لابن سيف الدولة واسمه (قرعويه) على قتل أبي فراس غدراً وخيانة وكان أبو فراس قد تنبأ بشهادته حيث خاطب بنته وكانت صغيرة بهذه الأبيات:

ابنيتى لا تحزننى	كل الأنام إلى ذهاب
ابنيتى صبرا جميلا	للجليل من المصاب
نوحى علي بحسرة	من خلف سترك والحجاب
قولى اذا ناديتنى	فعيت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فراس	لم يمتع بالشباب

وقد انتقم الله لأبي فراس من قاتله «قرعويه» حيث غضب عليه أبو المعالي بن سيف الدولة وقتله^(٢٢)، ورحم الله أبا فراس الذي خلف لنا ثروة عظيمة من الأدب الملتزم.

(٢٠) الأمين من ألقاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام (أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٥).

(٢١) أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٣٤١.

(٢٢) المصدر السابق، ص ٣٣٣.

الشاعر أبو بكر أحمد الحلبي

كان أبو بكر شاعراً مجيداً مطبوعاً مكثراً في القرن الرابع، يقول الشعر تأديباً لا تكسباً. وكان يصف الرياض والأزهار وله اشعار في مدائح أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم. وروي أن اسمه أحمد وكنيته أبو بكر، وفي رواية أخرى إن اسمه أبو بكر وله قصيدة في وصف حلب ومنزلاتها تزيد على مائة بيت وقال في أولها:

وسلا الدار سلاها

احبس العير احبسها

وقال في قصيدة أخرى:

فكم وكلت طرياً بالطرب
لديها إذا العيش لم يستطع
بها ومطارده والعذب
تर्फ وأوساطه من ذهب
فيجلى علينا جلاء اللعب
النبيين والمنخب المنتخب
اليه ومُسعدة في الثوب
الصلاة وقام بما قد وجب
رجاء المجازاة في المنقلب^(٢٣)

سقى حلب المزن مغنى حلب
وكم مستطاباً من العيش لي
إذا نشر الزهر أعلامه
غدا وحواشيه من فضة
تلاعبه الريح صدر الضحى
بنى المصطفى المرتضى خاتم
أخوه وزوج احب الورى
له ردت الشمس حتى قضى
وزكى بخاتم راكم

ومن أشعار أبي بكر الحلبي فقي مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم

السلام:

لم يحل ممضاها إلى ممضيها
شيئاً فتطلب فوق ما تعطيها
مع حب قاطمة وحب بنيتها
يبنى العلا بعلاهم بأنيتها
فيحق لي أن لا أكون سفيها
يلتذ ببرد رجائها راجيها
بعد الصلاة على النبي أبيها^(٢٤)

يارب قافية حلا امضاءوها
لاتطمعن النفس في اعطائها
حب النبي محمد ووصيه
أهل الكساء الخمسة الغرر التي
إن السفاه بترك مدحى فيهم
ارجوا شفاعتهم وتلك شفاعه
صلوا على بنت النبي محمد

ومن أشعاره التي يخاطب فيها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ويوم الحسين

عليه السلام وكربلاء:

ياخير من لبس النبوة من جميع الانبياء
وجدي على سبطيك وجد ليس يؤذن بانقضاء

(٢٣) المصدر السابق، ص ٢٥ (مطاردة في البيت الثالث: ساحاته).

(٢٤) المصدر السابق، ص ٢١.

يوم الحسين هرقت دمع الارض بل دمع السماء
يا كريلاء خلقت من كرب على ومن بلاء
من للمحنط بالتراب وللمفسل بالدماء^(٢٥)

وقال أيضاً:

وناج ما اسطعت من مناجاة	حي ولا تسأم التحيات
بالطف معلومة العلامات	حي دياراً أضحت معالمها
ل الله يامعدن الرسالات	وقل لها يا ديار رسو
الشمس أو البدر للبريات	وقل عليك السلام ما انبرت
الوحي ومستوطن الهاديات	هم مناخ الهدى ومنتجع
يتل صفوفاً من التلاوات	ان يتل تالي الكتاب فضلهم
أكرم بتلك الآيات آيات	خصوا بتلك الآيات تكمة
الله وألغوا عبادة اللات	هم علموا العالمين أن اعبدوا
فعجت منها بخير أبيات	عجت بأبياتهم أسائلها
لحودها أعظماً زكيات	على قبور زكية ضمنت
بعد رزياتهم رزيات	جلت رزايهم فلست أرى
ما حوسب الخلق للمجازاة	بهم أجازى يوم الحساب اذا
مازال من اربح التجارات ^(٢٦)	تجارتى حبهم وحبهم

الشاعر الامير عبد الله الخفاجي الحلبي

ينسب هذا الشاعر وقبيلته إلى امرأة اسمها (خفاجة) وكانت قد ولد لها اولاد وكثروا و تناسلوا ونسبوا اليها، وقال أحدهم واسمه ابو زيد: يركب منا على الخيل اكثر من ثلاثين الف فارس سوى المشاة. وابرز من نبغ من تلك القبيلة في القرن الخامس الامير عبد الله الخفاجي الذي كان يسكن في حلب، والظريف أن السمعاني وهو عالم في الأنساب قال عن شعر الخفاجي الحلبي: شعره مما يدخل الأذن بغير اذن، وبالإضافة إلى شعره فقد ألف كتاباً باسم: سر الفصاحة^(٢٧) وكان هذا الشاعر الحلبي اميراً في قلعة تقرب من حلب ومع مشاغله السياسية كان من رواد الأدب وقد تأثر بابي العلاء المعري^(٢٨) والشريف الرضي، بل كان تأثره بالشريف الرضي أكثر، فقد قال الشريف الرضي:

(٢٥) المصدر السابق، ص ١٩.

(٢٦) المصدر السابق، ص ٢٧ و ٢٨.

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٨٢.

دينٌ عليكُ فإن تقضه أحى به
وقال الشاعر الخفاجي الحلبي:

فكيف تقذف ودا كنت تحفظه
وقال الشريف الرضي:

ياقلب ما انت من نجد وساكنه
وقال الخفاجي الحلبي:

أهأ لقلبك من نجد وساكنه
ومن أشعاره التي يعلن اباءه مخاطباً أحد الأمراء:

يظن العدا أني مدحتك للغنى
فمن كان يبغي في المديح مواهباً

وعندما بلغ الخفاجي الحلبي الأربعين من عمره اسرع الشيب اليه فقال:

أناخ على الهم من كل جانب
وكنت أظن الأربعين تصده

طلبت الصبا من بعدها فكانها
وما ساءني فقد الشباب وانما

وما ساءني شيب الذوانب بعده
ولكنه وافى وما أطلق الصبا

فما كنت من أصحابه غير أنه

ولما كان الحمدانيون من قبيلة ربيعة، وهذه القبيلة قد نصرت الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام في حرب صفين، مدح الشاعر الخفاجي الحلبي أحد الأمراء الحمدانيين ذاكراً صفين في هذين البيتين:

كنتم بصفين أنصار الوصى وقد
فهي الخلافة ما زالت منابرها

وقال عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام مشيراً إلى ما قامت به بنو أمية من العمل

الشنيع:

أعلى المنابر تعلنون بسببه
تلك الخلائق بينكم بدرية

ويسيفه نصبت لكم أعوادها
قتل الحسين وما خبت أحقادها^(٢٢)

(٢٩) المصدر السابق، ص ٧٦.

(٣٠) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٣١) المصدر السابق، ص ٧٣.

(٣٢) المصدر السابق، ص ٧٢.

وقد استشهد هذا الشاعر مسموماً في قلعة قرب فحمل إلى حلب ودُفن فيها رضوان الله عليه.

الشاعر الأمير محمد بن عبد الله السوسي

قبل أن نشرح حياة هذا الشاعر الذي نشأ ومات في حلب في القرن الرابع نشير إلى أن كلمة «سوس» هي اسم لمدينة في إيران وأخرى في المغرب وثالثة في بلد الروم^(٣٤)، وقال المسعودي عن السوس في المغرب:

(والعمارة متصلة بساحل المغرب وبلاد إفريقية والسوس وطرابلس المغرب وقيروان...) (٣٥).
وقال أيضاً:

(وبلاد فاس ثم السوس الأدنى.. وبين السوس الأدنى والسوس الأقصى من المسافة نحو عشرين يوماً)^(٣٦).

وأما عن مدينة (السوس) في إيران فقد قال المسعودي:

(وغزا سابور.. بلاد الروم ونقل خلقاً من أهلها وأسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرها من مدن كور الأهواز.. والخز بالسوس)^(٣٧) ويظهر أن هذا الشاعر كان قد خرج من مدينة حلب وسكن لفترة غير قصيرة في مدينة (سوس) في إيران (والسوسى نسبة إلى السوس كورة في الأهواز فيها قبر دانيال عليه السلام معرب شوش)^(٣٨).

وجاء في ترجمة هذا الشاعر أنه (كان فاضلاً أديباً بحلب وسافر إلى فارس ثم عاد إلى محله)^(٣٩) أي مدينة حلب وتوفي في حدود سنة ٣٧٠ ودفن بحلب^(٤٠).

وكان موالياً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ومشغوفاً بالامام

الحسين عليه السلام، ولهذا قال:

أأنسى حسيناً بالطفوف مجدلاً	ومن حوله الأظهار كالأنجم الزهر
أأنسى حسيناً يوم سير برأسه	على الرمح مثل البدر في ليلة البدر
أأنسى السبايا من بنات محمد	يهتكن من بعد الصيانة والخدر ^(٤١)

(٣٣) أدب الطف، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٣٤) مروج الذهب، المسعودي، ج ١، ص ١٣٩.

(٣٥) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٣٦) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٣٧) أدب الطف، ج ٢، ص ١١٩.

(٣٨) المصدر السابق.

(٣٩) المصدر السابق.

(٤٠) المصدر السابق، ص ١١٨.

(٤١) المصدر السابق، ص ١١٧.

وخاطب الشاعر يوم عاشوراء الذي استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام عطشاناً
بالقرب من ماء الفرات حيث صار علماً بني أمية حاجزاً بينه وبين ماء الفرات:

يا يوم عاشوراء لقد خلّفتني ما عشت في بحر الهموم غريقاً
فيك استبيح حريم آل محمد وتمزّقت أسبابهم تمزيقاً
أذوق رى الماء وابن محمد لم يرو حتى للمنون أذيقاً^(١٢)

وخاطب الشاعر الحسين عليه السلام واصفاً آياه بأنه بضعة من فؤاد النبي صلى الله عليه
وآله وسلم:

فيا بضعة من فؤاد النبي بالطف أضحكت كثيراً مهياً
قتلت فابكيت عين الرسول وأبكيت من رحمة جبرئيل^(١٣)
كما خاطب هذا الشاعر صروف الدهر قائلاً:

يأنوب الدهر لم يدع لي صرفك من حادث سلاحاً
أبعد يوم الحسين ويحيي أستعذب اللهو والمزاحاً
ياسادتي يابني علي بكى الهدى فقدكم وناحاً^(١٤)

الشاعر عمر بن مظفر بن عمر البكري الحلبي:

عرف هذا الشاعر الحلبي بابن الوردى ونال شهرة واسعة بقصيدته اللامية وأولها:
اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل^(١٥)

وهو من شعراء القرن الثامن ونظم أرجوزة في تعبير المنام كما شرح الفية ابن مالك، وكان
في مطلع حياته فقيراً رث الهيئة فحضر مجلس أحد القضاة في الشام ونظم الشعر ارتجالاً
فنال مقاماً لدى الحاضرين^(١٦) وهكذا انتشرت شهرته كشاعر ذي صولة وجولة في رحاب الأدب،
وعرف بثقافته الواسعة وتصانيفه الكثيرة في التاريخ والجغرافيا والفقه واللغة والنحو^(١٧).
ونظم هذا الشاعر الحلبي قصيدة ذكر فيها مدينة حلب، وكان صاحب منصب فيها و

خاطب حاكمها بقوله:

يا كامل الفضل جمّ البذل وافرهِ جوداً مديد القوافي غير مُقتضب
أنّي أحبّ مقامي في حماك ومن يكن ببابك ياذا الفضل لم يخب

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) المصدر السابق.

(١٤) موسوعة المورد، ج ٥، ص ١٥٥.

(١٥) أدب الطف، ج ٤، ص ٢٠١.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

فانظر إليَّ وجِدْ عطفاً على عسى رزق يُعِين على سكتائ في حلب^(٤٨)
ومن أشعار هذا الشاعر الحلبي الجميلة هذان البيتان:
لم لا ترقُ لدمع عين مارقا وجوارح جرحي وبإل قد بلي^(٤٩)
موتي حسيني بها وملامكم فيها يزيد وقدرها عندي (علي)
ويعني الشاعر بعبارة (مارقا = مارقاً؛ ما انقطع)^(٥٠) ويظهر أن هذا الشاعر كان منعزلاً عن
أهل زمانه، لأنهم لم يكونوا على مرامه ولهذا نظم هذين البيتين مخاطباً بني زمانه: أبني
أبني زمانني ما أنا منكم وقول الحق يثبتُ
واذا نشأتُ خاللكم فالورد بين الشوك يَنْبُتُ
ومن أشهر قصائد هذا الشاعر قصيدته اللامية كما أسلفنا وفيها جوانب أخلاقية رائعة
وتشتمل على ما يقرب من سبعين بيتاً، وانتخبنا منها هذا الأبيات:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
واهجر الخمرة إن كنت فتى كيف يسعى في جنون من عقل ١٩
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرئ الا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلا أنما من يتق الله البطل
اطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
لا تقل أصلي وفصلي ابداً أنما أصل الفتى ما قد حصل
قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الأنسان منه أو أقل^(٥١)

وقد اقتبس الشاعر عمر ابن الورد قولة:

(قيمة الإنسان ما يحسنه) من الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:
(قيمة كل امرئ ما يحسنه)^(٥٢)

ومن أشعاره الجميلة:

ان لحسادي عندي يدا يحق أن يعرفها مثلي
ابدوا عيوبي فتجنبتها ونبهوا الناس على فضلي
وقال عن الدنيا بصورة حوار مقتبسا من كلام الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:
قلت لدنياي لم ظلمت بني علي المرتضى أبي حسن
قالت اما تنصفوا لطائفة أبوهم بالثلاث طلقني^(٥٣)
وقال عن الدنيا أيضاً:

دنيا تضام كرامها بلئامها ودليل ذاك حسينها ويزيدها
يا خاطب الدنيا الدنية أنها طبعت على كدر وانت تريدها^(٥٤)

وخاطب أهل البيت عليهم السلام بهذين البيتين:

(٥٠) موسوعة المورد، ج٥، ص ١٥٥.

(٤٩) المعجم الوسيط، حرف الراء.

(٤٨) المصدر السابق.

(٥٣) المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٥٢) أدب الطف، ج٤، ص ٢٠٣.

(٥١) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٧٨.

(٥٤) المصدر السابق، ص ٢٠١.

يا آل بيت النبي من بذلتُ
 من جاء عن بيته يسألكم
 ومن اشعاره الولائية:
 أراس السبب يُنقل والسبايا
 وقال أيضاً:
 حسنُ قدره على فيامن
 في ملامي يزيد موتي حسيني
 وكانت وفاة هذا الشاعر بحلب في سنة ٧٤٩ في طاعون انتشر فيها، وكان عمره ٥٨ سنة
 رضوان الله عليه^(٥٦).

نتيجة البحث

ان الولاء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام لم ينحصر عند
 اتباع مذهب أهل البيت بل ان جميع المذاهب الإسلامية تفتخر بولائها لآل رسول الله صلى الله
 عليه وآله السلام وهذا هو ديوان الإمام الشافعي وفيه أجمل وأروع مديح لأهل البيت، ومدينة
 حلب وهي من أقدم المدن في ديار الشام والشام كانت تحت سلطة الأمويين عشرات السنين، ونبغ
 فيها شعراء موالون بكل اخلاص لآل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والثمرة المهمة جداً
 لما قدمنا في هذا البحث هو أننا نحن المسلمين بأمس الحاجة إلى الاتحاد لنواجه اعداءنا واكثرهم
 حقداً وظلماً اعداءونا الذين احتلوا القدس الشريف ولا نجاة للقدس وتلك البلاد إلا بالاتحاد
 والأعتصام بحبل الله نزولاً عند امره جل شأنه حيث قال:
 «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»^(٥٧) كما قال عز اسمه «فألف بين قلوبكم فأصبحتم
 بنعمته إخواناً»^(٥٨).



حلب.. صورة تاريخية

(٥٥) المصدر السابق، ص: ٢٠٤.

(٥٦) المصدر السابق

(٥٧) سورة آل عمران المباركة الآية ١٠٣.

(٥٨) سورة آل عمران المباركة الآية ١٠٣.

مقامات الأردن (قائمة اجمالية)

- كهف سيدنا عيسى عليه السلام:** يقع في منطقة أم قيس (محافظة اربد) ويبعد حوالي ٩١ كم إلى الشمال من عمان، وقد وقعت فيه إحدى معجزات عيسى (ع).
- مقام النبي الخضر:** ويقع في محافظة اربد بيت راس.
- مقام ابي الدرداء:** ويقع في محافظة اربد على بعد ٨٠ كم من جنوب عمان.
- مقام النبي الياس:** ويقع في قرية ليست بمحافظة عجلون على بعد ١٥ كم منها.
- مقام عكرمة بن ابي جهل:** يقع بمحافظة عجلون بالقرب من مثلث دير العمادية وهو عبارة عن كومة من الحجارة يقول المجاورون له ان فيها قبر عكرمة.
- مسجد ومقام النبي هود:** ويقع على إحدى روابي مدينة جرش في بلدة هور على بعد ٤٥ كم من عمان.
- مسجد ومقام ابي ذر الغفاري:** ويقع في محافظة مأدبا.
- مقام النبي سليمان:** ويقع في قرية صرفا إلى الشمال الغربي من مدينة الكرك ويبعد عن عمان حوالي ١٦٠ كم.
- مقام زيد بن علي زين العابدين عليه السلام:** ويقع في شرق مدينة الرتبة في مدينة الكرك، ويتألف من بناء وسلاسل حجرية من الداخل والخارج.
- مقام النبي نوح:** ويقع في محافظة الكرك.
- مقام النبي لوط:** ويقع في محافظة الكرك.
- مقام الحارث بن عمير الأزدي:** ويقع في منطقة ذات أطلاح على بعد ٢٠ كم جنوب الطفيلة ويبعد عن عمان ٢١٠ كم باتجاه الجنوب. والحارث هو رسول رسول الله (ص) إلى أمير بصرى الشام وعندما وصل إلى الطفيلة قتله حاكم مؤته شرحبيل بن عمر الغساني.
- مقام فروة بن عمرو والحذامي:** وكان أميراً على قومه بين خليج العقبة وينبع، وبعد إسلامه قتله ملك غسان الحارث بن أبي شمر الغساني.
- مقام جابر بن عبد الله الأنصاري:** ويقع في محافظة الطفيلة.
- مقام ابي سليمان الداراني:** ويقع في منطقة الشوبك، محافظة معان على بعد ٢٠٠ كم من عمان.

مسجد ومقام النبي هارون: يقع على رأس جبل في منطقة وادي موسى قرب مدينة البتراء التاريخية ويبعد ٢٥٠ كم عن عمان، ويرجع تاريخه بنائه إلى العهد المملوكي.

جبل التحكيم (جبل أبو موسى الأشعري): يقع على بُعد ٢٥ كم إلى الشمال من مدينة معان في أذرح.

الشجرة التي استظل بظلها الرسول(ص): خلال تجارته إلى الشام، وتقع على الطريق الصحراوي الذي يربط بين مدينة المفرق ومدينة الروشد فيمنطقة البقيعاوية/ الصفاري وتبعد عن عمان حوالي ١٥٠ كم.



موقع كهف أهل الكهف ، الرقيم . أبو علندا
انظر تعليقنا عليه في بداية العدد ٧٩ - ٨٠ من موسوعة الموسم

مقام عبد الرحمن بن عوف: ويقع في منطقة الجببيه في عمان.

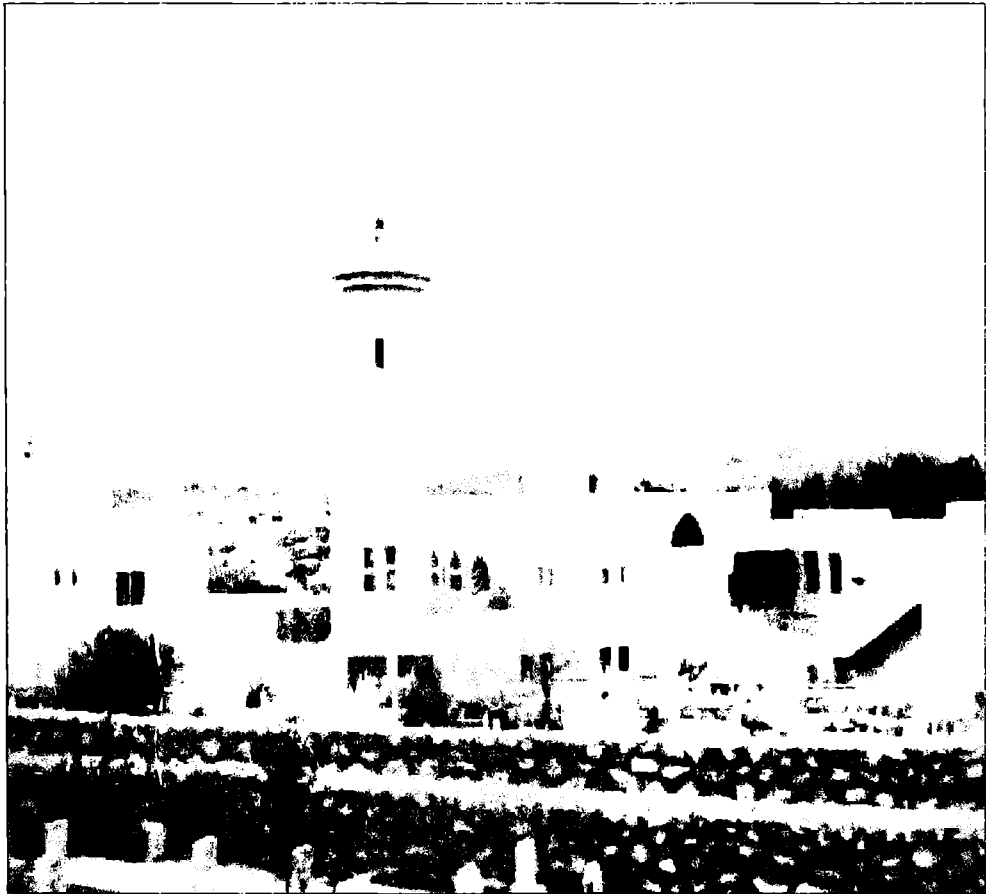
مقام بلال بن رباح: ويقع في قرية بلال/ وادي السير.

موقع موسى بن نصير: ويقع في ضواحي عمان (ابو نصير) حيث سميت هذه المنطقة

باسمه ومازال احفاده متواجدين في اليمن وسوريا والحجاز والاردن ومصر والمغرب يحتفظ بعضهم بشجرة عائلة خاصة بهم (nusair).

مسجد ومقام ضرار الازور: ويقع في بلدة ضرار من الاغوار الوسطى بالقرب من بلدة دير

علا وعلى بعد ٦ كم منها، ويبعد عن عمان حوالي ٥٣ كم.

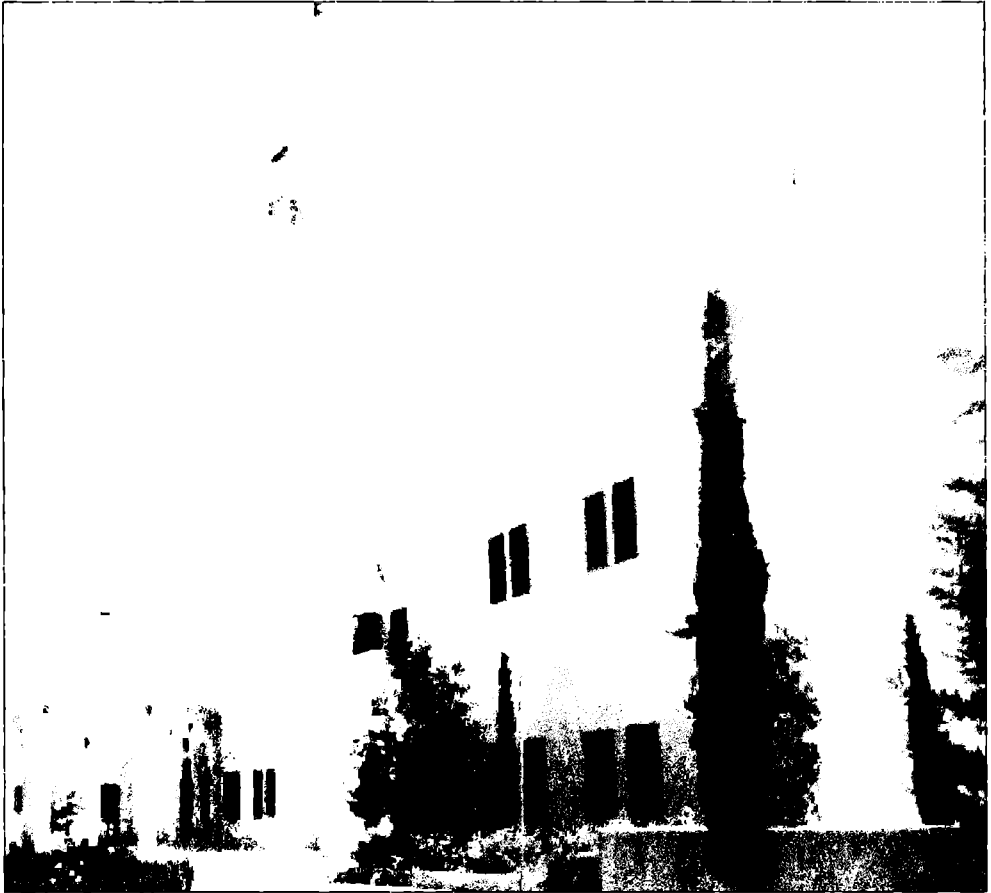


مسجد ومقام النبي يوشع بن نون عليه السلام

مسجد ومقام النبي شعيب: ويقع في محافظة البلقاء على الطريق المؤدي إلى الأغوار الوسطى في منطقة وادي شعيب المطلّة على وادي الأردن وعلى بعد ٤٠ كم من عمان.

مسجد ومقام النبي يوشع: ويقع على روابي مدينة السلط في محافظة البلقاء ويبعد حوالي ٢٥ كم إلى الغرب من عمان.

مقام النبي الخضر: ويقع في منطقة ماحص، محافظة البلقاء ويبعد نحو ٢٥ كم من عمان.



مسجد ومقام النبي شعيب عليه السلام

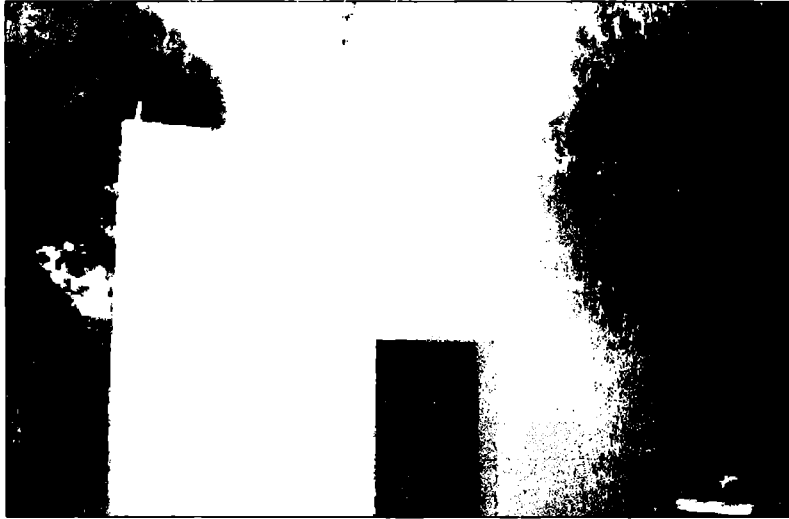
مقام السبط حزير: ويقع في وادي شعيب، محافظة البلقاء.

مقام ميسرة بن مسروق العبسي: ويقع في منطقة الصبيحي، محافظة البلقاء.

مسجد معاذ بن جبل: ويقع في بلدة الشونة الشمالية، على بُعد نحو ٩٥ كم عن مع عمان

مسجد شرحبيل بن حسنة: ويقع على بعد ٧٥ كم عن عمان في منطقة الأغوار الشمالية

على بعد ٢٣ كم من مجمع أبي عبيدة عامر بن الجراح.



مقام السبط
حزير، وادي
شعيب،
محافظة
البلقاء



مقام ميسرة بن
مسروق العبسي،
منطقة
الصبيحي -
محافظة البلقاء



مسجد معاذ بن جبل، بلدة الشونة الشمالية



كهف النبي عيسى عليه السلام، منطقة أم قيس، محافظة أريد



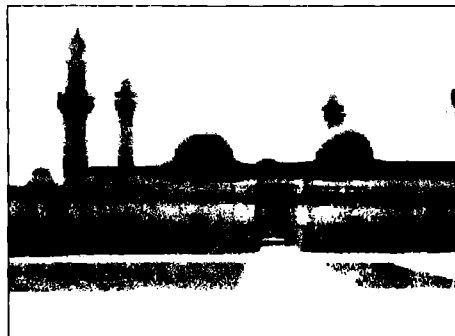
مقام نبي الله الخضر في بيت راس، محافظة اربد



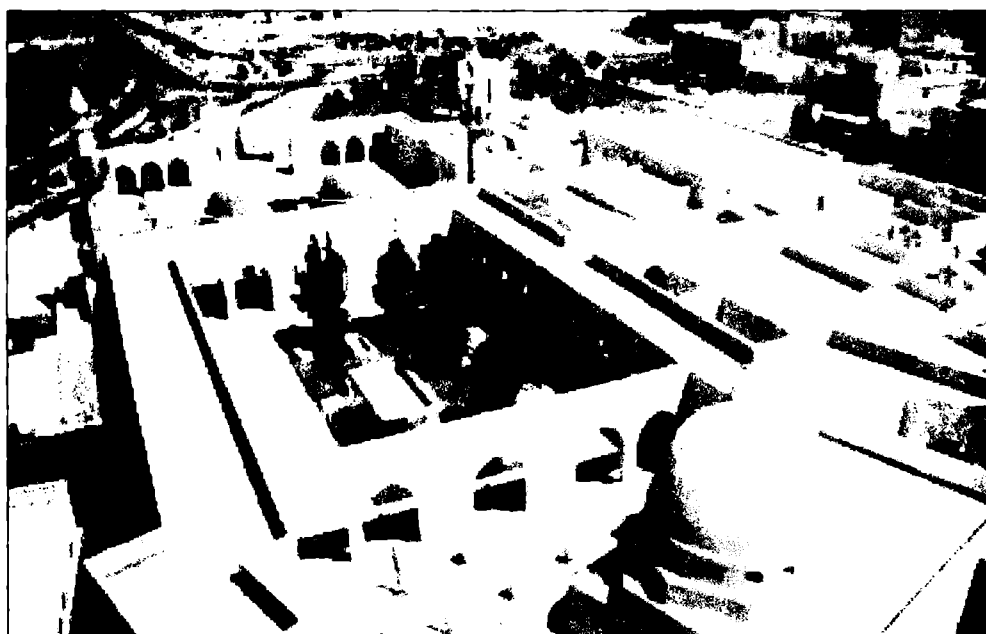
مقام النبي هود، بلدة هود، مدينة جرش



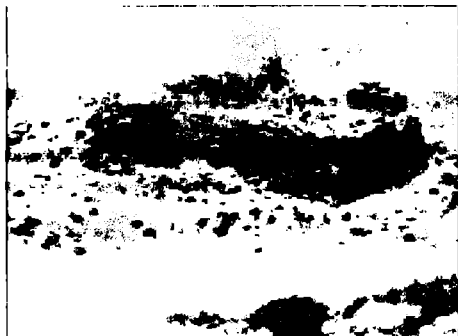
مقام عبدالله بن رواحة بجوار سيدنا جعفر



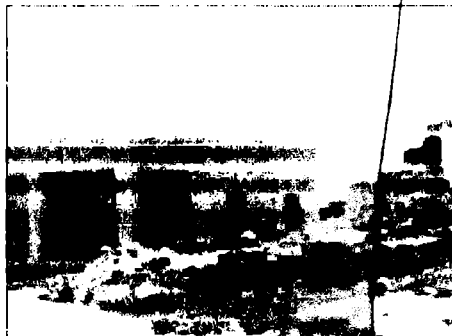
مقام سيدنا جعفر بن أبي طالب (رض)



مجمع مقامات الصحابة (شهداء مؤتة)، ١٤٠ كم جنوب عمان



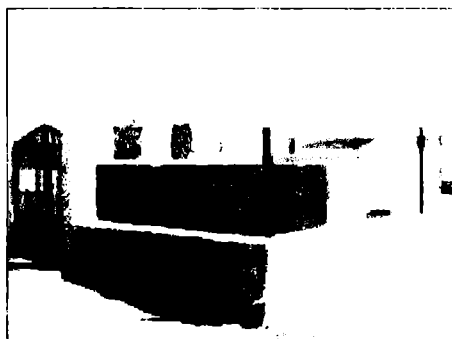
مقام النبي سليمان. قرية صرفا، الكرك



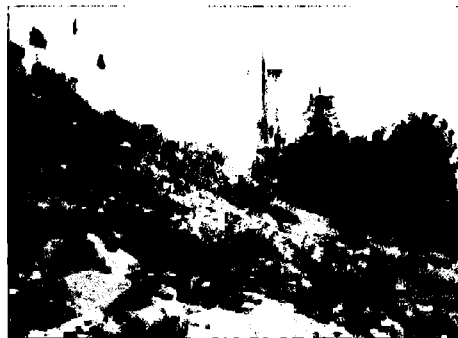
مقام أبي ذر العفاري. محافظة مادبا



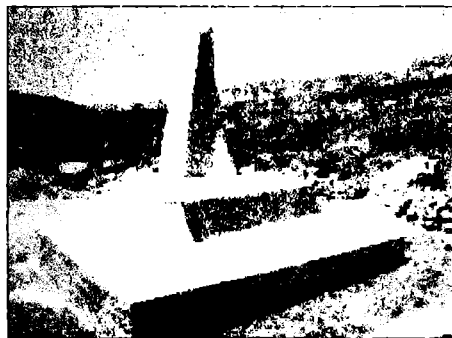
مقام النبي نوح. الكرك



مقام الشهيد زيد بن الإمام زين العابدين (ع). الكرك



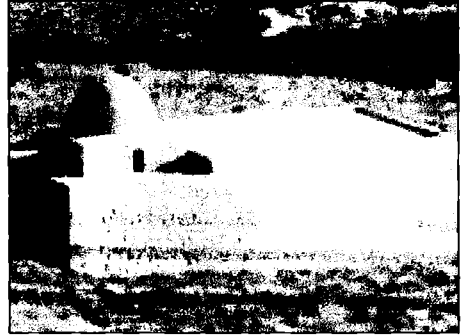
مقام الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري، الطفيلة



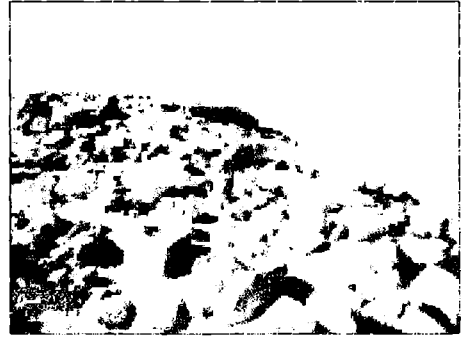
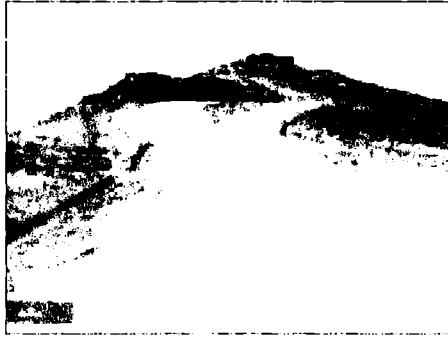
مقام فروة بن عمرو الجذامي، الطفيلة



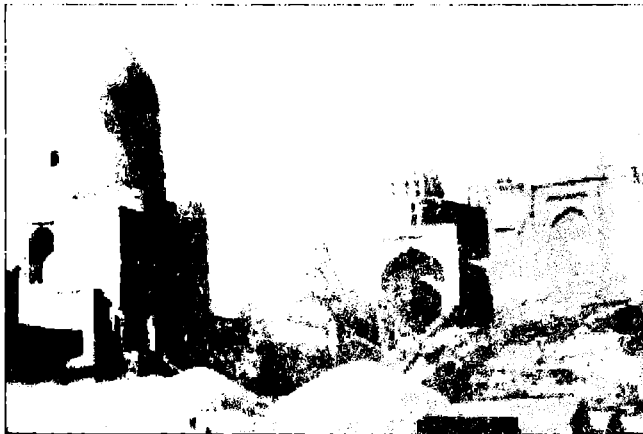
مقام النبي هارون، قرب مدينة البتراء



مقام أبي سليمان الداراني، الشوبك، معان



جبل التحكيم (جبل أبو موسى الأشعري) ٢٥ كم شمال معان في أذرح

ضريح الصحابي القثم بن العباس بمدينة طشقند اوزبكستان
أعاد ترميمه الملك الراحل الحسين بن طلال

شواهد قبور من مقبرة باب الصغير بدمشق

شاهد:

هذا قبر فاطمة ابنة أحمد بن الحسين بن السبطي توفيت رضي الله عنها في رجب سنة تسع وثلاثين وأربع مائة. «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ».

شاهد آخر:

هذا ضريح السيدة فاطمة الصغرى كريمة سيد الشهداء الإمام الحسين شهيد كربلاء عليهما السلام تشيد هذا المقام الشريف سنة ١٣٣٠ هـ.

شاهد برقم ٢٠. ٦٠١ هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله ومحمد رسول الله كل نفس ذائقة الموت هذا قبر الشيخ الإمام العالم الزاهد ضيا الدين شيخ الإسلام أبي الحسن علي بن عقیل بن علي بن هبة الله الشافعي أمام مشهد زين العابدين توفي ليلة الجمعة بعد أن صلى المغرب لست بقين من رجب سنة إحدى وستمئة وما زال ذاكر الله إلى أن توفي رحمة الله عليه.

شاهد برقم ٢٩ القرن ٦ هـ:

١. بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر بلال ابن حماسة مؤذن رسول الله صلى الله عليه ورضي عنه.
٢. جدد هذه القبة الشريفة ورثة المرحوم سليمان باشا رئيس الأوردوي الخامس في ١٥ شعبان سنة ١٢٨٩.
٣. جدد هذه القبة الشريفة عثمان اغا دار السعادة بالباب العالي في سنة سبع وألف من الهجرة المحمدية.
٤. بسم الله الرحمن الرحيم لمثل هذا فليعمل العاملون هذا قبر بلال بن رباح مؤذن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين وهو مولى أبي بكر الصديق خليفة رسول الله توفي بلال في سنة عشرين من الهجرة النبوية وكان مولده للشرة... وحين موته كان بضع... وستين سنة... ودفن في هذه التربة وكان اسم أم بلال حماسة رحمهم الله وجدد هذا المكان في سنة خمس وعشرين وستمئة.

«هناك من يقول هذا القبر لبلال ابن أبي الدرداء فإن بلالاً المؤذن دفن بداريا.. ونقل النووي انه دفن في مقبرة باب كيسان والله العالم».

شاهد برقم ٣٥-٧٠٨ قبر أحد العلويين:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر الفقير إلى الله تعالى السيد الحسين بن عبد الرحمن

بن عبد الكريم الحسيني في مستهل سنة ثمان وسبعمائة رحمه الله ورحم من ترجم عليه.
شاهد برقم ٥٤-١٠هـ:

سبحان الحي الذي لا يموت هذا قبر سيدي ابا بن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه
وعن الصحابة أجمعين توفي سنة ١٠٥.

شاهد برقم ٥٩ القرن ٦هـ شاهد قبر السيدة سكينة عليها السلام

بعد آية الكرسي كُتِبَ ما يلي:

هذا عمل محمد بن أحمد بن عبد الله رحمه الله

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَذَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَازُنُهُ وَسَرَجًا مُثِيرًا» بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا قَبْرُ سَكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ وَعَلَى آلِهِمُ الطَّاهِرِينَ. «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»
«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا».

شاهد برقم ٦٠ القرن ٦هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله هذا قبر أبي الدرداء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه.

شاهد برقم ٦١ القرن ٦هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر أم الدرداء أحد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رضي الله عنها.

رقم ٦٣ القرن ٦٩هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر كعب الاحبار وأحد التابعين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه.

رقم ٦٤ القرن ٦هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر عبد الله بن أم حرام.

رقم ٧٣ القرن ٩هـ:

هذا ضريح سيدنا اوس بن اوس الثقفي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

رقم ٧٤:

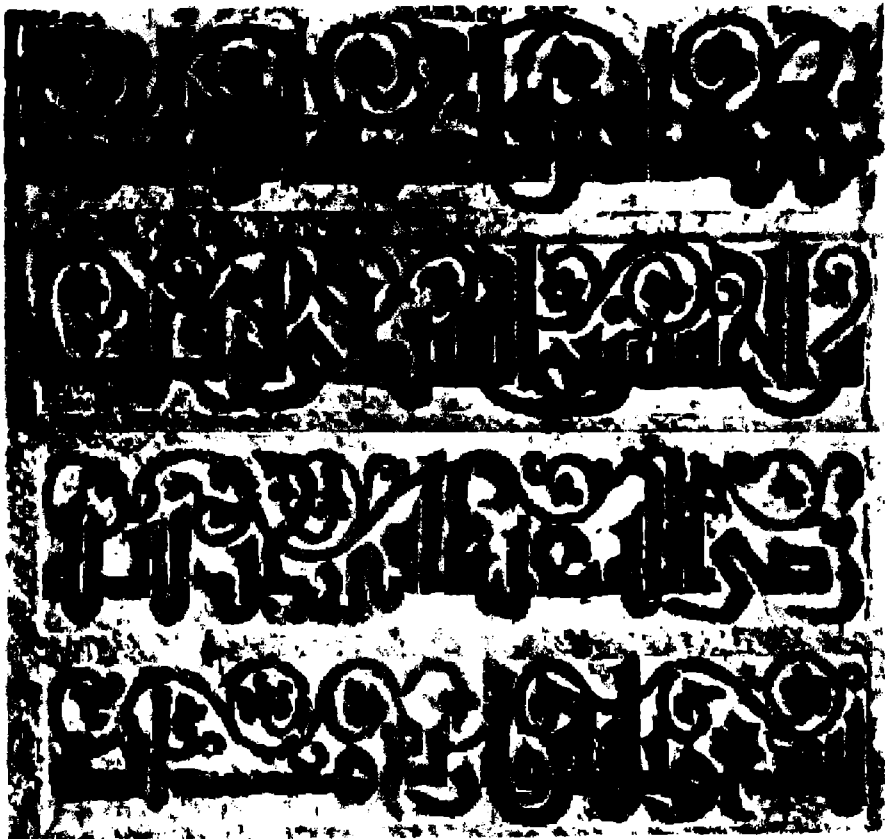
هذا مرقد سيدنا معاوية رضي الله عنه جدد هذا المقام صاحب الخيرات ادنوي الحاج
محمد باشا محافظ شام سنة ١١١٥.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

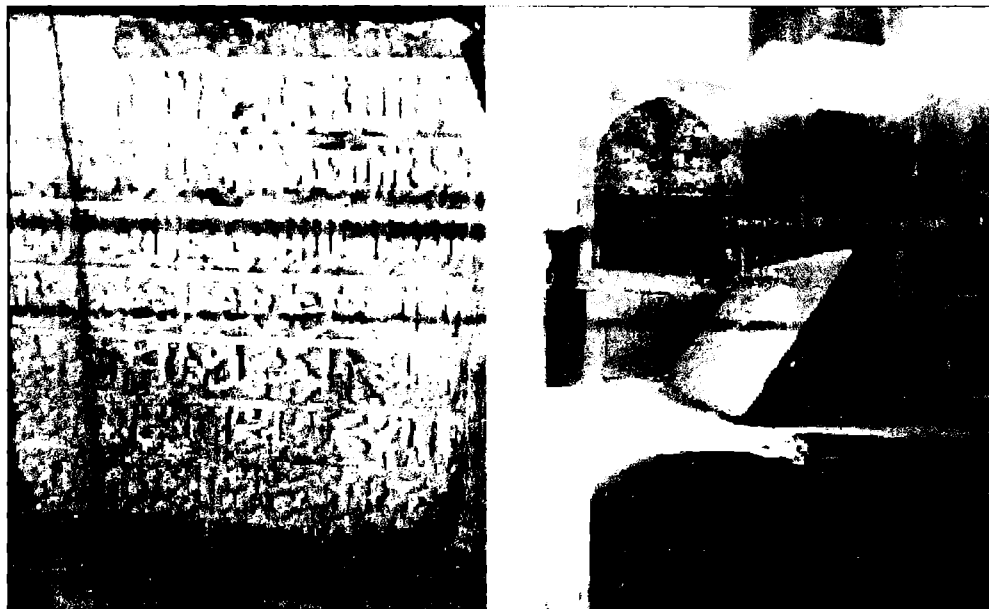
Khaled Moaz - Solange ory

Inscriptions Arabes De Damas, Les Steles funeraires

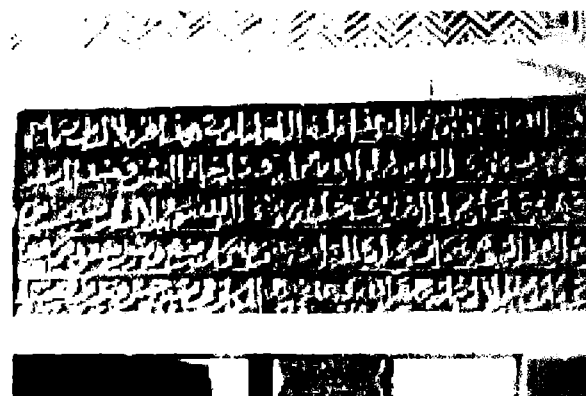
Cimetiere D'Al- bab Al sager Damas 1977.



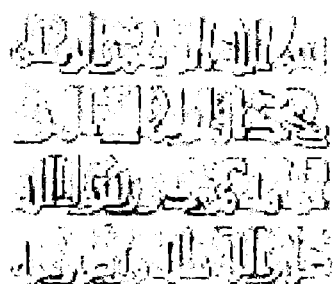
الشاهد (١)

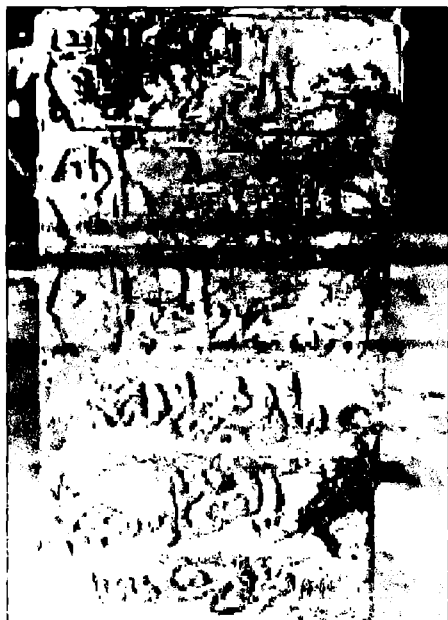


الشاهد (٢٠)



الشاهد (٢٩)





الشاهد (٥٤)



الشاهد (٣٥)



الشاهد (٦١)



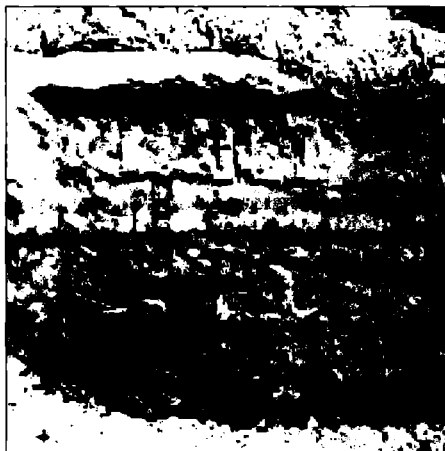
الشاهد (٦٠)



الشاهد (٥٩)



الشاهد (٦٩)



الشاهد (٦٤)



الشاهد (٧٤)





الشيخ عبد الرحمن الخير

(١٩٠٤-١٩٨٦م)

مثل في أعماله الطهرا
قالت بدا آثارنا الغرا
فهل ترانا نلتقي أخرى؟
ألقاك فيها تعدل العمرا

يا أيها (الخير) انت الذي
لاغرو فالألقاب وحي السما
قد طال عهد الهجر ما بيننا
انني لمشتاق إلى ساعة

عبد الوهاب الصافي النجفي

المرحوم الشيخ عبد الرحمن الخير علمٌ من أعلام العرب والمسلمين، عُرف بتقواه وصلاحه ووقاره، له مواقف محمودة مشهودة في الذود عن شريعة خاتم النبيين محمد (ص) أضف إلى ذلك جهوده في الأدب، ولم يكن ليرجو ربحاً مادياً مقابل ما يقوم به، ولا مطعماً دنيوياً، بل جلّ اهتمامه ان يكون عمله لله تعالى، فعمل الدنيا فان زائل وعمل الآخرة باق خالد.

حياته:

ولد المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن الشيخ ديب بن الشيخ سعيد بن الشيخ علي الخير في عام ١٩٠٤م المصادف ١٣٢٢هـ، وكان مسقط رأسه في (أرض سعادات) من حي «علوش» في قرية (القرداحة) التابعة لمحافظة اللاذقية، وقد ولد المرحوم في بيت علم وورع وتقوى، وكان والده يلقب بالدرويش لزهده وورعه، ولكونه عالماً حافظاً للقرآن الكريم. أما جده الشيخ علي الخير فهو الجد الأكبر للعائلة، ولُقّب بالخير لأجل مكرمة تبرّع بها للمحتاجين في إحدى السنوات المجيدة... تتلمذ الشيخ المرحوم عبد الرحمن الخير في أثناء طفولته على يد والده المرحوم الشيخ محمد، فتعلم مبادئ الإسلام الضرورية ومبادئ الصرف والنحو في كتاب (الاجرومية) ودخل الكتاب وهو ابن خمس سنوات فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ التجويد في القرآن الكريم، ثم دخل المدرسة (الرشادية) في قريته وعمره تسع سنوات، فتعلم قسماً من علوم العربية والحساب والتاريخ والجغرافية واللغة التركية، غير أنه بعد وفاة والده انتقل إلى مدرسة دينية علمية خاصة كان قد أسسها في قرية (العنازة) نخبة من فضلاء المشايخ، وكان ذلك في مطلع العام الأخير من الحرب العالمية الأولى.



وفي المدرسة المذكورة تابع الشيخ الجليل دراسته في الفقه الجعفري بكتاب (الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين) وهو من تأليف حجة الإسلام المجتهد المغفور له (السيد محسن الأمين الحسيني العاملي)، وتابع دروس الصرف والنحو والبلاغة والفقه الإسلامي على يد استاذ المجاهد المغفور له الشيخ علي عباس، أما باقي المواد الدراسية فقد درسها على يد نخبة من الاساتذة من رجالات الدين (الشايع) الذين تطوعوا للتدريس في تلك المدرسة. غير ان المدرسة اغلقت ابوابها في نهاية العام الثاني من افتتاحها بسبب نشوب الثورة ضد الاحتلال الفرنسي، وتطوع المدير والاساتذة والطلبة كبار السن في الجهاد ضد المستعمر الفرنسي. لكن الجيوش الفرنسية استطاعت احتلال من

الساحل وتطويق الثورة في جبل العلويين بسبب قلة أسلحة المجاهدين. وعطل كثير من اسلحة الثوار فحكم على كثير من المجاهدين بالإعدام والسجن.

وفي عامي ١٩٢٠ - ١٩٢١ تابع المرحوم الشيخ عبد الرحمن دراسته في الفقه الإسلامي وفقنون البيان والبديع على يد استاذ العلامة المجاهد المغفور له الشيخ سليمان الأحمد والد الشاعر المعروف بدوي الجبل، وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق. وكان الشيخ المرحوم عبد الرحمن يتلقى دروسه في بيت العلامة المجاهد الشيخ سليمان الأحمد في قرية (السلطنة) المجاورة (للقرداحة) وأهم ما قرأ عليه حينذاك بالإضافة إلى الفقه قسماً كبيراً من شعر الشريف الرضي والمتنبي وأبي العلاء المعري وأبي تمام وغيرهم..

وفي عام ١٩٢٢ افتتح استاذ المرحوم والشيخ علي عباس، المدرسة الخاصة في قرية (القرداحة)، وفيها استأنف الشيخ عبد الرحمن دراسته لعلوم الحديث والتفسير والفقه لكن حكومة الانتداب قررت جعل المدرسة المذكورة مدرسة حكومية تابعة لمديرية المعارف في (اللاذقية)

الأمر الذي جعل مديرها المرحوم الشيخ (علي عباس) يستقيل فتابع الشيخ المرحوم عبد الرحمن الخير دراسة اللغة الفرنسية في المدرسة لمدة ثلاث سنوات.

في عام ١٩٢٤-١٩٢٥ عين المرحوم الشيخ معلماً ابتدائياً في قرية (بيت الشيخ يونس) التابعة لقضاء (صافيتا)، ثم نُقل بعدها إلى مدرسة قرية (برمانة الشيخ) ثم نقل بعدها إلى إحدى مدارس اللاذقية، وبعد سنة إلى مدرسة (القرداحة) مديراً وتنقل في عدة مدارس حيث استقال من التعليم عام ١٩٤٣ بسبب عجز صحي في الحنجرة.

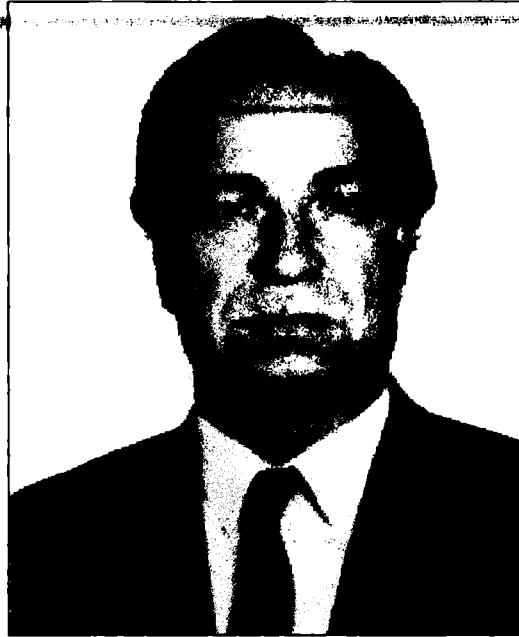
ثم عمل رحمه الله في مديرية (إدارة حصر التبغ والتنباك) حيث أحيل إلى التقاعد عام ١٩٦١ لبلوغه السن القانوني، فسكن في دمشق، وعمل بوزارة الأوقاف بصفة استشارية للتقريب بين أبناء المذاهب الإسلامية تحقيقاً لمقولة الله عز وجل في قرآنه الكريم: «إنما المؤمنون إخوة» وقد انتقل المرحوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الخير إلى جواريه صباح ١٨ حزيران (يونيو) عام ١٩٨٦ ودُفن في مقبرة السيدة زينب عليها السلام بناء على وصيته.

مؤلفاته:

- ١- تنقيح وشرح واختصار كتاب «المختصر الجامع في أصول الدين وفروعه» ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- ٢- الحق المبين في قضاء أمير المؤمنين «تحقيق ومراجعة ١٩٦٢».
- ٣- الصلاة والصيام وفق المذهب الجعفري ١٩٦٤.
- ٤- العقد التنظيمي ومجموعة مدائح ومراث وتآبين الولي الشيخ صالح ناصر الحكيم ١٩٦٤.
- ٥- تحفة المؤمن (في فضل يوم الجمعة واشهر رجب وشعبان ورمضان) ١٩٦٦.
- ٦- من نداء الإيمان (أحاديث القاها المغفور له من الأذاعة العربية السورية بين الأعوام ١٩٦٥-١٩٦٧ ط ١٩٧٢).
- ٧- للحقيقة والتاريخ (رد على سعد جمعة رئيس وزراء سابق في الأردن) ط ١٩٦٨.
- ٨- تعليق على فتوى رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (طبعت في إيران) ١٩٨٠.
- ٩- مناسك الحج على المذاهب الخمسة.
- ١٠- رد على ما نشرته مجلة الأزهر في عدديها لشهري شعبان ورمضان ١٣٧٠ هـ للكاتبين حسن عمر عمر، وعبد اللطيف المشتري، حول المسلمين الجعفرين في الإقليم الشمالي. سلمه باليد إلى الرئيس جمال عبد الناصر وإلى عدد من الشخصيات المصرية.
- ١١- نقد وتقرير لكتاب تاريخ العلويين لمحمد أمين الطويل طبع مكرراً (بدمشق).
- ١٢- موقف الإسلام من الأجهزة والتعظيم، بحث كتبه والقاء في المؤتمر الإسلامي العالمي لتنظيم والاديه، الرياض سنة ١٩٧١.
- ١٣- الرد على عبد العزيز بن باز سنة ١٩٧٦.
- ١٤- الرد على د. شاكر مصطفى حول عقيدة وتاريخ العلويين.
- ١٥- من طلائع النهضة الأدبية في مدينة اللاذقية، تراجع لعدد من العلماء والادباء نشر بعضه في مجلة الموسم (العددان ٢٣-٢٤).

محبة آل البيت الكرام

للشاعر الأستاذ علي الرضا بن زين العابدين الحسيني التونسي المحامي



«آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفوة الخلائق،

خَصَّهُمُ زَيْنًا بَاعْلَى الْمَزَايَا
وَحَمَاهُمْ مِنَ الْأَذَى وَالرَّزَايَا
وَانْتَسَابًا لِنُورِ خَيْرِ الْبَرََايَا
وَيَرْقَى وَيَغْتَنِي بِالْمَطَايَا
لَمْ تُخَالِطْهُ فِي هَوَاكُمُ دُنَايَا
مُسْتَجِيرٌ وَمُخْلِصٌ بِالنَّوَايَا
ذَلِكَ الْفَوْزُ بِالْهُدَى وَالْهَدَايَا

آلُ بَيْتِ الرَّسُولِ دَوْحَةُ طَهْرٍ
وَاصْطَفَاهُمْ مِنَ الْعِبَادِ جَمِيعًا
وَهُمْ صَفْوَةُ الْخَلَائِقِ عِرْقًا
مَنْ يَلِدُ بِالطَّهْوَرِ يَكْسِبُ طَهْرًا
أَيُّهَا الْأَلُّ حُبُّكُمْ فِي فُؤَادِي
وَأَفْسَحُوا بَيْنَكُمْ مَكَانًا لِنَبِيٍّ
وَارِدِهِ فَوْنِي بِرُكْبِكُمْ وَأَمْنُحُونِي

دمشق

من أعلام حلب المعاصرين^(١)

الشيخ عبد الرسول النبلي

الشيخ عبد الرسول بن علي بن حاج ابراهيم شربو المشهور في كتب التراجم بالنبلي. ولد في نبل حدود سنة ١٢٨٨ هـ. وهاجر إلى النجف الأشرف لطلب العلوم الدينية في اوائل القرن الرابع عشر. فبلغ درجة الاجتهاد في سن مبكرة لم تصل إلى الثلاثين عاماً، ولم تكتب له الحياة أكثر. وبالإضافة إلى بلوغه درجة الاجتهاد فقد نبغ واشتهر بعلم الفلسفة والف فيها كتاباً باسم: «شرح المقولات العشر».

سألت شيخنا الحجة الشيخ اغا بزرك الطهراني قدس سره عن معرفته بالمترجم فقال ما مضمونه: لا اتذكره جيداً، إلا أنني اذكر أن أهل العلم من أهل الفضل كانوا يشيرون إليه بهذا الشيخ عبد الرسول النبلي. وحدثني أكثر من مرة العالم الفاضل الشيخ اسماعيل الضرير عن استاذة. المرجع الديني في عصره. السيد حسين الحماشي (رض) انه كان يقول: ان البقاء لو كتب أكثر من ذلك للشيخ عبد الرسول لما تقدم عليه أحد في المرجعية، ولا يخفى على ما في هذه الشهادة من قيمة علمية وهي تعني: اجماع معاصريه من أهل الفضل على تفوقه في العلم وشدة ورعه وتقواه.

وقد ترجمه معاصره السيد محسن الأمين (رض) في كتابه: اعيان الشيعة ج ٣٩ ط ١ قال: الشيخ عبد الرسول الحلبي النبلي توفي في عصرنا في نبل. كان عالماً فاضلاً، تقياً، نقياً، حسن الأخلاق. جميل الصفات جاء مع اخيه الشيخ عبد الحميد إلى النجف الاشرف لطلب العلم أيام إقامتنا هناك.

وسافراً. المترجم وشقيقه. في بعض السنين لزيارة الحمزة والقاسم بنواحي الحلة. فقطع اللصوص عليهما الطريق فمانعهما الشيخ عبد الحميد فقتلوه. وبقي المترجم يطلب العلم في النجف، ويقرأ على فضلاء العلماء حتى بلغ درجة عالية من العلم، مع ورع وتقوى، واستقامة وأخلاق فاضلة.

وكان يقوم بأكثر لوائمه سيد من سادات النجف ذو دين وصلاح.. يسمى السيد علي الحماشي، وهو والد السيد حسين الحماشي أحد أعلام العلماء في النجف اليوم والمدرسين

(١) ممن ذكرهم الشيخ ابراهيم نصر الله في كتابه (حلب والتشييع) ص ٢٠٣-٢١٢، بيروت ١٩٨٣ م.

بها . وكان السيد حسين المذكور يقرأ على المترجم، ويساويه والده السيد علي بأبنة المذكور. بل يفضلته على ولده، وكان المترجم ساكناً معهم في دارهم. وكانت للمترجم مشاهرة يسيرة من المرزء السيد محمد حسن الشيرازي الشهير قبل اتصاله بآل الحماامي. فقطعت في شهر منسوب إلى الزهراء عليها السلام فأصبح مخاطباً لها عليها السلام عاتباً عليها في انقطاع مشاهرتة في الشهر المنسوب إليها ثم خرج من الدار فبينما هو يمشي في الزقاق وإذا بامرأة عربية بزى نساء النجف تناديه: قف يا شيخ، فوقف فقالت له خذ هذه الدراهم فهي زكاة. فأخذها فإذا هي بمقدار مشاهرتة بغير زيادة ولا نقصان، أخبرني بذلك من لفظه، بينهم، كل أخذ قطعة وأبقاها معه تبركاً وكان إذا احتاج أحدهم رهن تلك القطعة ولم يصرفها. وله من المؤلفات: «شرح المقولات العشر» بخطه.

أخبرني بعض اصحابنا في النجف انه وجدها فأشترائها وهي عنده بقي المترجم في النجف مشتغلاً بالعلم والافادة إلى أن اعتراه مرض، فذهب لتغيير الهواء، وتوفي رحمه الله تعالى». وكانت وفاته في نبل سنة ١٣١٨هـ، ودفن بقطعة أرض الحقت بالمسجد الكبير، وقد أصبح قبره اليوم في صحن المسجد.

قال الشيخ ابراهيم نصر الله: «ومن الشيخ عبد الرسول صاحب الترجمة أحب والدي العلم واهله. بالإضافة إلى نشأتيهما في بيتين شهيرين بالتدين، فكان جدائي يعلمان قراءة القرآن في البلد. وقد اوصى جدي لأبي ابنائه بان يخصص أحدهم أحد ابنائه لطلب العلوم الدينية، من أجل هذا وذاك فقد أحب والدي العلم ونذراني لله عندما كنت جنيماً لطلب العلوم الدينية. كانت ولادتي سنة ١٩٤٧م ولما بلغت سن السادسة عشر من العمر ذهبت بصحبة والدي إلى العراق.

وبقيت قريباً من عشر سنوات قضيتها في الدرس والبحث في جامعتي كربلاء والنجف الدينيتين ثم عدت إلى بلدي نبل لتحمل المسؤولية الدينية».

الشيخ ابراهيم الضرير

فاضل قام بتأسيس وبناء بعض المساجد في نبل وأحد الأعضاء المؤسسين لجمعية الأعمار والإحسان بحلب.

الشيخ عباس حاج خليل

أديب فاضل ورع حسن السيرة والأخلاق وأحد الأعضاء المؤسسين للجمعية الأنفة الذكر، نجله الشيخ محمد سعيد فاضل ورع وأحد أئمة المساجد في نبل. وأما قرية الزهراء: (النزاوله) سابقاً فهي متصلة بناحية نبل وعدد نفوسها ثمانية آلاف نسمة تقريباً قطن فيها من أهل العلم الشيخ امين آل شمس الدين كان فاضلاً شاعراً، ولم نعر على شيء من اشعاره وتاريخ وفاته. ونجله الشيخ عبد العزيز كان فاضلاً ورعاً حسن السيرة.

وفي محافظة ادلب قريتان من الشيعة الإمامية وهي الفوعة: وفيها جماعة من أهل العلم والأدب منهم: العالم الفاضل السيد محسن الحاج طاهر. له كتاب في طهارة أهل الكتاب. ومنهم: الأديب الفاضل الشاعر الحاج احمد رشيد مندو: له ديوان شعر طبع باسم «سوانح الافكار» وله ديوان شعر غيره. ومنهم: الأديب الفاضل الشيخ جواد محمد جواد. كما حظيت قرية الفوعة ببعض العلماء والأدباء من آل شمس الدين منهم:

الفقيه الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد تقي

وقد عرفه لنا حفيده الشيخ موسى تقي بـ العلامة الحجة الزاهد العابد الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد تقي ولد في الفوعة وتربى فيها وقرأ المبادئ الأولية والعلوم العربية على ابيه ثم ارسله والده إلى لبنان فاضاف إلى معلوماته قسماً وافراً من الفقه والاصول والمنطق، ثم مضى إلى النجف الاشرف لحضور حلقات التدريس لأكابر علماء عصره، وحصل على درجة الاجتهاد وعاد إلى مسقط رأسه «الفوعة» ولكن كانت اقامته في قرية كضريا وفيها قضى حياته وفيها توفي، وله قبر ويتبرك به رحمه الله برحمته الواسعة. ولم نعتز على شيء من آثار العلمية غير قصيدة في الرد على من قال بأن الله سبحانه يُرى بالعين منها:

أراك بعين لا أرى بها	سواك كما قد قيل فهو جنون
وكيف بلا كيف يرونك سيدي	لعمري أبي ان الجنون فنون
ولست بذئ لون فيدرك لونه	فهيهات ما قالوا بأن سيؤون
فمن عجب ان مثلوكم وأيقنوا	بأنك شيء لم تصله ظنون
وأنك قبل كيف والابن والمتى	وفي أزل الأزال انت مكين
تحير فيك الوهم حيرة جاهل	فإنك عن إدراكه لمصون
كسرت جناح العقل اذ راح يبتغي	وصولاً إلى عليك فهو زمين
أيذكر مخلوق حقيقة خالق	محال فهذا لم يكن فيكون
أحاديث وضع صححوها بزعمهم	أسانيدها مدخولة ومتون
وكل حديث جاء جاء غير مطابق	كتابك عندي مهممل موهون

وقد خلف الشيخ محمد علي نجله الآتي ذكره:

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد علي

ولد في العراق اثناء اقامة والده هناك، وعندما عاد إلى وطنه الفوعة كان الشيخ ابراهيم قد بلغ من العمر السنة الثانية، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره اشخصه والده إلى النجف الاشرف لطلب العلوم الدينية، ولما تم التحصيل عاد إلى وطنه الفوعة وقد تجاوز نشاطه الديني قرية الفوعة إلى غيرها من المدن والقرى القريبة منها.

وهذا ما تبين لي من خلال قراءتي لرسائله التي صنفها نجله الشيخ موسى وبوبها إلى ثلاثة اقسام:

١ المراسلات النثرية. ٢ الاشعار. ٣- المناظرات.

وهي كما تصفحتها في مواضيع شتى تدل على فضله، وسرعة بدهته وتنبهاته وهي لا تزال مخطوطة. ولم تزل حياته حافلة بالنشاط العلمي إلى أن توفاه الله إلى رحمته الواسعة وله من العمر اربع وثمانون سنة، وقد رثاه نجله الشيخ موسى بقصيدة ختمها بتاريخ وفاته منها:

يا كعبة الادباء كم من مهجة	ودت لجسمك ان تكون ضريحا
قد كنت للإسلام صارم عزه	ملاً القلوب من العداة جروحا
ابديت علمك للمهذب فاهتدى	واخو العمى والجهل ضل جموحا
قد اثبت التاريخ في تعظيمكم	متناً لابناء الدنيا وشروحا
يا نخبة العلماء ان فراقكم	ملاً القلوب تألماً وجروحاً
ولعام فقدك قد كتبت مؤرخاً	«ما شمت ابراهيمكم مرجوحاً»

ومن قصيدة للشيخ ابراهيم يمدح فيها عبد الحسين شرف الدين:

اترى البدر من سناك استعارا	فارانا ما حير الافكارا
وانرت السماء من فضل عقدي	ك الداراري فعمت الامصارا
وانحنيت قامة الهلال انخفاضاً	لعاليتك ذلة وصفارا
وبلحظيك غنية عن مدام	فيهما ضلت الانام سكارا
فيك من كل بهجة وجمال	وجلال ما روق الاشعارا
ايها الريم ما مررت بوادر	او بنادر الا تركت حيارا
كدت ولولا عبد الحسين وظني	بجداسيبه بلحدي اوارا
ياسما العزة التي اسبل الله	عليها من نوره الاستارا
يا ابا الماجد العلي اعتذارا	واخو المجد يقبل الاعتذارا
دمت ما دامت السماوات والار	ض وما اعقب النهار نهارا

ومن آل شمس الدين في الفوعة.

الشيخ موسى تقي

فاضل اديب شاعر بن الشيخ ابراهيم الأنف الذكر، ولد في قرية الفوعة سنة ١٣٢٠ هجرية. وهاجر إلى النجف الاشرف لتحصيل العلم، وبقي فيها مدة من الزمن ثم طلب من قبل اهالي الفوعة ليحل محل والده، فكان خير خلف لخير سلف ولا يزال في قرية الفوعة، وله مشاركات شعرية في الفوعة وغيرها، يتصل نسبه بالشهيد الاول ومنه إلى سعد بن عباد الانصاري وهو كما نقله لي:

الشيخ موسى بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد بن الشيخ تقي

بن محمد بن حيدر بن علي بن حسن بن زين الدين بن علي بن ضياء الدين بن محمد بن تاج الدين بن خير الدين بن علي بن ضياء الدين بن محمد بن علي بن اسد الدين بن السعيد الشهيد بن احمد بن محمد بن حامد بن مكّي بن علي بن يعقوب ابن علاء الدين قاسم بن ابراهيم المنتسب إلى سعد بن عباده.

وتقدم ان الشيخ محمد علي كانت اقامته ووفاته في قرية كفريا وهي مجاورة إلى قرية الفوعة في محافظة ادلب عدد نفوسها خمسة آلاف نسمة تقريباً وقد عثرت على كتاب خطي لجد والده الشيخ محمد بن حيدر بن زين العابدين بن حسن المنسوب للشهيد. هكذا ذكر المؤلف اسمه في اواخر كتابه الذي ألفه في المنطق ويخط يده وانه فرغ منه في اواخر صفر ليلة الجمعة سنة ١٢٠١ هـ في قرية كفريا.

وهناك وجود بعض الاختلاف فيما ذكره لنا الشيخ موسى عن نسبه وما كتبه احد اجداده في الكتاب المتقدم ذكره، كما تبين لنا ايضاً ان آل شمس الدين الذين هم في نبل والزهراء والفوعة كان موطنهم قبل ذلك قرية كفريا، وغير بعيد أن يكون الشيخ محمد بن حيدر من علماء حلب وهاجر منها إلى كفريا نتيجة ما لاقاه الشيعة في حلب.

والمعاصرون في كفريا من أهل العلم هم: العالم الفاضل الورع الشيخ اسماعيل الحاج حسين الضرير ولد في نبل وسكن كفريا وفيها قرأ عليه الشيخ يحيى صوفان قسماً من المقدمات وبعد ذلك ذهب إلى أم العمدة من قرى حمص للوعظ والارشاد.

والشيخ عبد المجيد عباس فاضل كانت دراسته في بيروت لبنان وبالقرب من كفريا معرة مصرين الحي الجنوبي فيها من الشيعة الامامية وفيه مشهد ينسب إلى الامام علي بن أبي طالب تاريخ بنائه قديم. وفي حلب نفسها اعتنق بعض علمائها مذهب أهل البيت ومنهم.

العالم الفاضل الشيخ سعيد دحدوح

أمين مكتبة الاوقاف بحلب، قال ابراهيم نصر الله وقد شافهني رحمه الله تعالى بذلك الا انه كان يتكتم وبالرغم من تكتمه فقد شهد له منبر الجمعة في حلب هجماته على الأمويين، واشاداته بآل البيت، وقد هوجم من أجل ذلك من بعض اعدائه وهو معروف بشدة حبه وولائه لأهل البيت عليهم السلام إلا أنه لم يظهر عقيدة الشيعة بالخلافة في حياته.

وعندما فتحت وصيته بعد وفاته وإذا من جملة ما فيها:

ما يكتب على قبري بعد الوفاة والانتقال إلى دار الخلود:

إلى أن غدت لا أستطيع له حصرًا	ألهي لقد أضحت ذنوبي كثيرة
علي وسبطيه وبضعته الزهرا	ألهي بحق المصطفى ووصيه
وجدتهم صديقة المصطفى الكبرى	وبالتسعة الباقيين من آل احمد
قد اتخذوا للآل ودَّهم اجرا	وأصحابه الغر الكرام الذين هم

تفضل على تلك الذنوب بأسرها
فان تعطني ذا يا الهي فأنني
بعضوك وأجعل لي بزمרתهم حشرا
«سعيد» بذى الدنيا وفي النشأة الأخرى

وتاريخ هذه الأبيات كما هو في وصيته: ١٠ جمادى الثانية ١٣٨٦ هـ موافق ٢٥ ايلول ١٩٦٦ م. إلا أنني وجدت بعضها في ديوان الحاج احمد رشيد مندو ويبدو أن المترجم أضاف إليها الأبيات الأخرى. وقد نفذت وصيته هذه وكتبت الأبيات المتقدمة على قبره وفيها تصريح بعقيدته الشيعية وقوله بخلافة الاثني عشر الأئمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وتوسله بهم إلى الله في العفو عنه، وأن يحشره في زمרתهم توفي المترجم بحادث سيارة في حلب وكانت وفاته ٢٧ رمضان ١٣٩٧ هـ وقد رثاه الشيخ موسى تقي بقصيدة ألقاها في اربعينية منها:

نزل القضاء بصاحبي وصديقي	رمز الفضائل والتقى المنطقي
ذاك السعيد ومن يضاهيه علا	بالوعظ والارشاد والتحقيق
فجرت دموعي للمصاب غزيرة	لكنها تحكي مدام عقيق
هذا هو الرزء العظيم وأنه	لأمض جرح في القلوب عميق
تزهو المجالس ان تصدر صدرها	برقيق وعظ للقلوب سبق
أما المناير ان رقا أعوادها	تاهت على الجوزاء والعيوق
فتخاله قساً بسوق عكاظه	يهدي الانام إلى أصح طريق
لكن محافل شيخنا وعظاته	فبمسجد الرحمن لا في السوق
يا (آل دحدوح) الكرام تصبروا	فالصبر توسعة لكل مضيق
والموت سهم لا نشك بانه	سيصيب كل مهذب وصفيق
موسى التقي يروم عفو عاجلاً	فالخطب فوق تفنن المنطيق



الروضة الزينبية المطهرة - دمشق - صورة من الداخل

مذبحة السادات في حلب ١٢١٢هـ

بعد أن أفل نجم التشيع في حلب، ابتعد الشيعة إلى القرى المحيطة بها، ومن بقي في المدينة فقد تسنن وفي ذلك يقول الغزي في تاريخه (١٩٢/١):

«ثم في حدود الالف. الهجرية. وما بعدها أخذ أهل التشيع يتنكرون ويأفعال أهل السنة يتظاهرون» «وربما كان أهل السنة في أواسط القرن الثالث عشر يظفرون بشيعي فعل منكراً، فيشهرهوا باحراق خشبة يطاف بها في شوارع حلب وينادى حاملها هذه خشبة فلان الرافضي، ثم انقطع هذا العمل لانقراض الشيعة وتلاشيهم بالمرّة، غير أنه لم يزل يوجد في حلب عدة بيوت معلومة يقذفهم بعض الناس بالرفض والتشيع، ويتحامون الزواج معهم، مع أن ظاهرهم على كمال الاستقامة، وموافقة أهل السنة والجماعة..»

أما مذبحة السادات التي جاءت نتيجة طبيعية للمد الطائفي الذي طال البلاد الحلبية في تلك الأزمان وعن وقائعها يحدثنا صاحب نهر الذهب (٣/٣١٢) فيقول: في رمضان في هذه السنة (١٢١٢هـ) عظمت الفتنة بين السادات واليكجيرية في حلب وجرى بينهما منازعة وقتال وتغلب اليكجيرية على السادات، فالتجأ (السادات) إلى جامع الاطروش، وحوصروا فيه، ومنع اليكجيرية وصول الماء اليهم؛ وشدّوا عليهم الحصار، ونفذت اقواتهم وعيل صبرهم واشرفوا على الهلاك من الجوع والعطش، فأستأمنوا اليكجيرية فامنّوهم على أنفسهم، وحلفوا لهم الأيمان المغلظة على ذلك، فوثق السادات منهم، وفتحوا ابواب الجامع.

فما كان إلا أن هجم اليكجيرية عليهم وفتكوا بهم: قتلوا وجرحوا وسلبوا، وسبوا. والسادات يستجيريون بهم، ويستغيثون بالنبي وآله، فلا يلتفتون اليهم، وكانوا يقتلون السادات على انحاء شتى فمنهم: من يقتلونه نحرأ في عنقه، ومنهم من ييقرون بطنه، ومنهم من يفلقون بالسيف هامته، ومنهم من يذبحوه من قفاه أو من عنقه، ومنهم من يطرحونه في البئر أو في حفيرة حياً.

وكان السيد يستغيث بشربة من الماء قبل أن يقتلوه فلا يغيثوه بل يقتلوه ظمأ... وقد نظم شعراء العصر في هذه الواقعة عدة قصائد نعوا فيها السادات وهجوا اليكجيرية، فمما قاله الشيخ محمد وفا الرفاعي من قصيدة قوله:

كل المصائب قد تسلى نوائبها الا التي ليس عنها الدهر سلوان

سرى بأخبارها في الناس ركباً
من النوايا أحداث وشبان
من العدو وللأعداء عدوان
فأمنوهم ولكن عهدهم خانوا
لكنهم مالههم عهد وإيمان
ضلت وليس لهم في القلب إيمان
كما تهجم جبار وشيطان
فبعضهم ذابح والبعض طعان
ضراب سيف وفكك وفكك
وقلبه لدماء الأمل ظمآن
بالسيف مستولع بالهتك ولهان
كما تكسر أصنام وأوثان
لهم عليهم يد والرب ديان



اذ يستغيثوا لهدت منك أركان
وحولها منه أيتام وصبيان
فمزقوه ومارقوا وما لانوا

يقول الغزي وهي طويلة، ثم يذكر قصيدة ثانية لمحمد أفندي منها:

المصطفى حبه من قبل ما كانوا
سلباً وقتلاً وما دانوا وما لانوا

فرعون أوصاكم فيه وهامان

لبنيك في الشهباء حلت منقصه
فغدت بهم أرجاؤه متقمصه
وكوى بني السادات ابن الحمصة
أعلامها بيد الخداع منكصة
مولى وعمهم العذاب وخصمه
ودماء آل بني الرسول مرخصه
شكواهم زفت اليك ملخصه

هي المصيبة في آل الرسول فكم
من آل بيت رسول الله شذمة
أووا لبعض بيوت الله من فرق
فجاء قوم من الفجار تقصدهم
وحالفوهم على فوز بأنفسهم
وكيف صح قديما عهد طائفة
سلوا عليهم سيوف البغي واقتحموا
وباشروا قتلهم فيما بدا لهم
أو باقر لبطون أو يمثل أو
أو مقتف أثر مهزوم ليقتله
أو خائض بدماء القوم مفتخر
أو كاسر عظم مفتول وقاذفه
وكل هذا وآل البيت ما رفعت

قلو سمعت عويل القوم من بعد
يارب أرملة ريعت بصاحبها
يارب والدة كبت على ولد

أهكذا تفعل الإسلام في نضر
سلوا عليهم سيوف الكيد وابتدروا
إلى قوله:

هدرتموا دم أبناء الرسول فهل
وقال بعضهم في هذه الحادثة أيضاً:

يا مصطفى ان القلوب منغصة
في جامع الاطروش سال نجيعهم
أدرك فجسم الدين أنهكه الضنا
عهدت إليهم بالامان وأصبحت
يا سينها في النازعات أحله ال
أدماء أعداء الا له ثمينة
فلأنت أولى بالجميع وهذه

حديث حجر بن عدي الكوفي سلام الله عليه وعلى أصحابه

إن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا، وقد قال المتلمس: لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلمها وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها إعتماً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطانني، ويصلح به ريعتي، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تتحم عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الإسماع منهم، وباطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والإستماع منهم. فقال المغيرة: قد جريت وجريت و عملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أوتذم ثم قال: بل نحمد إن شاء الله.

فأقام المغيرة بالكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهرًا لا يدع ذم علي والوقوف فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والإستغفار له والتذكية لأصحابه، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال: بل إياكم فذمم الله ولعن. ثم قام فقال: إن الله عز وجل يقول: كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل، وإن من تزكون وتطرون أولى بالذم فيقول له المغيرة: يا حجر لقد رمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك يا حجر ويحك إتق السلطان، إتق غضبه وسطوته، فإن غضبة السلطان أحياناً مما يهلك أمثالك كثيراً، ثم يكف عنه ويصفح، فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في علي وعثمان كما كان يقول وكانت مقالته: اللهم أرحم عتمار بن عضان وتجاوز عنه واجزه با حسن عمله فإنه عمل بكتابك واتبع سنة نبيك صلى الله عليه وآله وسلم واجمع كلمتنا وحقن دماننا وقتل مظلوما، اللهم فارحم أنصاره وأولياء ومحبيه والطلابين بدمه. ويدعو على قتلته فقام حجر بن عدي فنعر نكرة بالمغيرة سمعها كل من كان في المسجد وخارجاً منه وقال: إنك لا تدري بمن تولع من هرمك أيها الإنسان! مر لنا بأرزاقنا واعطياتنا فإنك قد حبستها عنا وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت بدم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين. قال: فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق والله حجر وبر، مر لنا بأرزاقنا واعطياتنا، فإننا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا شيئاً وأكثرنا في مثل هذا القول ونحوه.

إلى أن هلك المغيرة سنة ٥١هـ فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثم صعد المنبر فخطب ثم ذكر عثمان وأصحابه فقرظهم وذكر قتلته ولعنهم،

فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة.

قال محمد بن سيرين: خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر بن عدي: الصلاة فمضى في خطبته ثم قال: الصلاة فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من الحصى وثار إلى الصلاة وثار الناس معه، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه فكتب إليه معاوية: أن شدة في الحديد ثم أحمله إلي فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حجر أن يمنعوه فقال: لا، ولكن سمع وطاعة. فشد في الحديد ثم حمل إلى معاوية ساروا به وبأصحابه وهم:

١- الأرقم بن عبد الله الكندي من بني الأرقم.

٢- شريك بن شداد الحضرمي.

٣- صيفي بن فسيل الشيباني.

٤- قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي.

٥- كريم بن عفيف الخثعمي من بني عامر ثم من قحافة.

٦- عاصم بن عوف البجلي.

٧- ورقاء بن سمي البجلي.

٨- كدام بن حيان العنزي.

٩- عبد الرحمن بن حسان العنزي.

١٠- محرز بن شهاب التميمي من بني منقر.

١١- عبد الله بن حوية السعدي من بني تميم.

وأتبعهم زياد برجلين وهما: عتبة بن الأخنس السعدي، وسعيد بن نمران الهمداني، فمضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء (بينها وبين دمشق اثنا عشر ميلاً) فحبسوا بها فجاء رسول معاوية إليهم بتخليفة ستة ويقتل ثمانية، فقال لهم رسول معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنه قد عفى عن ذلك فابروا من هذا الرجل نخل سبيلكم قالوا: اللهم إنا لسنا فاعلي ذلك. فأمر بقبورهم فحضرت وأدنت أكفانهم، وقاموا الليل كله يصلون فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أول من جار في الحكم وعمل بغير الحق.

فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم. ثم قاموا إليهم فقالوا: تبرؤن من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة وهم:

١- حجر ٢- شريك ٣- صيفي ٤- قبيصة ٥- محرز ٦- كدام.

أخذنا من القصة ما يهمننا ذكره «راجع الأغاني لأبي الفرج ١٦: ٢-١١، تاريخ الطبري ٦: ١٤١-١٦٠، تاريخ ابن عساكر ٢: ٣٧٠-٣٨١، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٠٢-٢١٠، تاريخ ابن كثير ٨: ٤٩-٥٥».

محمد بن طلحة النصيبي الشافعي

أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي العدوي النصيبيني الشافعي ولد بالعمرية (من قرى نصيبي وولي الوزارة بدمشق ثم تركها وتزهد وهو أحد الصدور والرؤساء المعظمين، كان إماماً في الفقه الشافعي. بارعاً في الحديث والأصول والخلاف، مقدماً في القضاء والخطابة، متضلعا في الأدب والكتابة. موصوفاً بالزهد.

سمع الحديث بنيسابور عن أبي الحسن المؤيد بن علي الطوسي، وزينب الشعرية وحدث بحلب ودمشق وبلاد كثيرة وروى عنه الحافظ الدمياطي ومجد الدين ابن العديم وفقهه الحرمين الكنجي^(١) في «كفاية الطالب» قال في الكتاب ص ١٠٨: فمن ذلك ما أخبرنا شيخنا حجة الإسلام شافعي الزمان أبو سالم محمد بن طلحة القاضي بمدينة حلب.

أقام بدمشق في المدرسة الأمينية وترسل عن الملوك وساد وتقدم، وفي سنة ٦٤٨ كتب الملك الناصر. المتوفى ٦٥٥. صاحب دمشق تقليده بالوزارة فاعتذر وتوصل فلم يقبل منه، فتولاها بدمشق يومين كما في طبقات السبكي ٥: ٢٦، وتركها وانسل خفية وترك الأموال والموجود وخرج عما يملك من ملبوس ومملوك وغيره، ولبس ثوباً قطنياً وذهب فلم يعرف موضعه، وقد نسب إلى الاشتغال بعلم الحروف والأوقاف وأنه يستخرج أشياء من الغيبات. وقيل: إنه رجع ويؤيد ذلك قوله في المنجم:

إذا حكم المنجم في القضايا
فليس بعالم ما الله قاض
وقال فيه:

لا تركزن إلى مقال منجم
واعلم بانك إن جعلت لكوكب
وكمل الأمور إلى الإله وسلم
تدبير حادثة، فلسنت بمسلم

وتولى في ابتداء أمره القضاء بنصيبين، ثم قضاء مدينة حلب، ثم ولي خطابه دمشق، ثم لما زهد حج فلما رجع أقام بدمشق قليلاً، ثم سار إلى حلب فتوفي به.

تأليفه:

- ١- العقد الفريد للملك السعيد ألفه لنجم الدين غازي بن أرتق من ملوك ماريدين طبع بمصر.
- ٢- الدر المنظم في اسم الله الأعظم. توجد منه نسخة في مكتبة حسين باشا باستانبول رقمها: ٣٤٦. وذكر شطراً منه الشيخ القندوزي الحنفي في ينباع المودة ص ٤٠٣. ٤٧١.

(١) أبو عبد الله محمد بن يوسف القرشي الشافعي المتوفى ٦٥٨.

- ٣- مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصلاح.
- ٤- كتاب دائرة الحروف.
- ٥- نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر.
- ٦- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول. طبع غير مرة قال معاصره الأربلي في «كشف الغمة» ص ١٧: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول تصنيف الشيخ العالم كمال الدين محمد بن طلحة، وكان شيخاً مشهوراً وفاضلاً مذكوراً أظنه مات سنة أربع وخمسين وستمائة وحاله في ترفعه وزهده وتركه وزارة الشام وانقطاعه ورفضه الدنيا حال معلومة قرب العهد بها، وفي إنقطاعه عمل هذا الكتاب وكتاب الدائرقو وكان شافعي المذهب من أعيانهم ورؤسائهم .
- وينقل عنه السيد هبة الدين أبي محمد الحسن الموسوي مصرحاً بنسبة الكتاب إليه في كتابه (المجموع الرائق) الذي ألفه سنة ٧٠٣.
- ونسبه إليه ابن الصباغ المالكي المتوفى ٨٥٥ وينقل عنه كثيراً في «الفصول المهمة» وتوجد منه نسخة مخطوطة مورخة بسنة ٨٩٦ منقولة عن نسخة بخط المؤلف سنة ٦٥٠ في نحو ٢٥ كراسة في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب.
- وينقل عنه السيد الشبلنجي في «نور الأبصار» في مناقب آل النبي المختار.
- ولد المترجم سنة ٥٨٢ كما في طبقات السبكي، وشذرات الذهب، وتوفي بحلب في ١٧ رجب سنة ٦٥٢ كما في الكتابين: الطبقات والشذرات، وفي الوافي بالوفيات للصفدي والتاريخ له، والبداية والنهاية لابن كثير، ومراة الجنان للياضي، والأعلام للزركلي، وغيرها وقد سمعت ظن الاربلي بأنه توفي سنة ٦٥٤.
- توجد جملة من شعره في أهل البيت عليهم السلام في كتابه «مطالب السؤول» منها قوله ختم به الكتاب:

رويدك إن أحببت نيل المطالب	فلا تعد عن ترتيل أي المناقب
مناقب آل المصطفى المهتدى بهم	إلى نعم التقوى ورغبي الرغائب
مناقب آل المصطفى قدوة الوري	بهم يبتغى مطلوبه كل طالب
مناقب تجلى سافرات وجوها	ويجلو سناها مدلهم الغياهب
عليك بها سرراً وجهراً فإنها	يحلك عند الله أعلى المراتب
وخذ عند ما يتلو لسانك أيها	بدعوة قلب حاضر غير غائب
لن قام في تأليفها واعتنى به	ليقضي من مفروضها كل واجب
عسى دعوة يزكو بها حسناته	فيحظى من الحسنى بأسنى المواهب
ومنها قوله في ص ٨:	

هم العروة الوثقى لمعتصم بها	مناقبهم جاءت بوحي وإنزال
مناقب في الشورى وسورة هل أتى	وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

وهم أهل بيت المصطفى فوداهم
فضائلهم تعلو طريقة متنها
على الناس مفروض بحكم وإسجال
رواة علوا فيها بشد وترحال

أشار بهذه الأبيات إلى عدة من فضائل العترة الطاهرة مما نزل به القرآن الكريم في سورة الشورى وهل أتى والأحزاب. أما الشورى ففيها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّدَّ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾
وأما هل أتى ففيها قوله النازل فيهم: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۖ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾
وأما الأحزاب ففيها قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.
وقوله:

أصخ واستمع آيات وحي تنزلت
ففي آل عمران المباهلة التي
وأحزاب حاميم وتحريم هل أتى
واحسانه لما تصدق راكعاً
وفي آية النجوى التي لم يفر بها
وأزله حتى تبوأ منزلاً
وأكنفه لطفاً به من رسوله
وأرضعه أخلاف أخلاقه التي
وأنكحه الطهر البتول وزاده
وشرفه يوم «الغدير» فخصه
ولو لم يكن إلا قضية خبير
ومن شعره في العترة الطاهرة قوله:
يارب بالخمس أهـل العبا
ومن هم سفن نجاة ومن
ومن لهم مقعد صدق إذا
لاتخزني واغفر ذنوبي عسى
فإنني أرجو بحبي لهم
فهم لمن والاهم جنة
وقد توسلت بهم راجياً
لعله يحظى بتوفيقه

بمدح إمام بالهدى خصه الله
بانزالها أولاه بعض مزاياه
شهود بها أثنى عليه فزكاه
بخاتمه يكفيه في نيل حسنه
سواه سنا رشد به تم معناه
من الشرف الاعلى وآتاه تقواه
بوارق أشفاق عليه فرياه
هداه بها نهج الهدى فتوخاه
بأنك مني يا علي وأخاه
بأنك مولى كل من كنت مولاه
كفت شرفاً في مآثرات سجاياه

ذوي الهدى والعمل الصالح
واليهم ذو متجر رابع
قام الورى في الموقف الفاضح
أسلم من حر لظى اللاfach
تجاوزاً عن ذنبي الفادح
تنجيه من طائفة البارح
نجح سؤال المذنب الطالح
فيهدي بالمنهج الواضح

ومن شعره في قتله الإمام السبط عليه السلام قوله:

مقام سؤال والرسول سؤال	ألا إيها العادون إن أمامكم
وفاطمة الزهراء وهي تكول	وموقف حكم والخصوم محمد
له الحق فيما يدعي ويقول	وان علياً في الخصام مؤيد
وليس إلى ترك الجواب سبيل	فماذا تردون الجواب عليهم
ووزر الذي أحدثتموه ثقیل	وقد سؤتموهم في بنيتهم بقتلهم
سوى خصمكم والشرح فيه يطول	ولا يرتجى في ذلك اليوم شافع
رعايتهم أن تحسنوا وتنبأوا	ومن كان في الحشر الرسول خصيمه
ونهج هداهم بالنجاة كفيل	فإنهم آل النبي وأهله
لها غرر محلوة وحجول	مناقبهم بين الورى مستنيرة
فمنها فروع قد زكت واصول	مناقب حلت ان تحاط تحصرها
ظهرن فما يغتالهن أقول	مناقب من خلق النبي وخلقه

المراجع: «الغدير ٤١٣/٥ - ٤١٧. الاعلام: ١٧٥/٦، اعلام النبلاء ٤/٤٣٧، طبقات السبكي ٢٦٠/٥

وغيرها».



استقبال المحمل الشريف على أبواب الشام

رسائل نادرة

ضرب الحوطة على جميع الغوطة لشمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي

(٨٨٠-٩٥٣ للهجرة = ١٤٧٥-١٥٤٦ م)

اشتهرت غوطة دمشق قديماً بأنها إحدى جنان الدنيا الأربع وأجلها. وهي تتناول في الصحيح مجموع القرى التي في شرقي دمشق وشمالها فقط. وقد اتصف معظمها بالنضارة وجمال البقعة وصحة الماء والهواء. واجتماع اطياب الفواكة والثمار الى غرائب الأشجار والأزهار. فكانت في الغالب قبلة المتنزهين ومنتجع رواد اللهو والقصف. ولذلك تغنى بذكرها اعظم الشعراء الذين نشأوا بدمشق او وردوا اليها وفتنوا بمحاسنها وذاقوا لذة عيشها ونعيمها وقضوا في حدائقها وجواسقها اوقاتاً صفت لهم في الوقار ومعاطاة العقار. كابن عنين. وابن منير الطرابلسي. وعرقلة الدمشقي. وفتيان الشاغوري. وابن نقادة السلمي. ورشيد الدين النابلسي. وتاج الدين الصرخدي. وابن الساعاتي وشهاب الدين التلعفري. ومهذب الدين بن برهان الحلبي وكثيرين غيرهم. ولفريق منهم فيما عدا المقطعات قصائد مطولة منها مايري على مائة بيت عددوا فيها بلسان الشوق والحنين معظم هذه القرى والمتنزهات تعداداً هو اليوم زخر لنا ومصدر من اوثق المصادر لمعرفة مشتملات الغوطة بين عامر ودائر. وفي ذلك ما لا يخفى من بعض العوض عما فاتنا من جل المصنفات التاريخية والبلدانية. وفي مقدمة هؤلاء الشعراء الذين حفظوا لنا تذكارات الزمن الغابر وبكوا فيه الاطلال الدمشقية واطالوا في اطرء مغاني الفيحاء ورياضها الشهورة. العماد الكاتب الاصفهاني (٤٠٠ بيتاً) وسعادة الحمصي الضرير (٥٨ بيتاً) ومحاسن الشوا الحلبي (٩٥ و ٢٠ بيتاً) ومجد الدين بن الظهير الاريلي (١٠٣ أبيات) وشمس الدين بن سباع الصائغ (٥٦ بيتاً) ولعل الوقت يتسع لنا يوماً لنشرها.

وقد عني بعض المحدثين بكتابة اجزاء في اهم قرى الغوطة مثل ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق. ويوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد وشمس الدين محمد بن طولون الصالحي ولهذا الاخير جزء طبع في دمشق بعنوان «المعزة فيما قيل في المزة». ولكن فائدة المؤرخ من هذه الرسائل والاجزاء ضئيلة لا تغني كثيراً.

ومن أجل ما يتحسر على فقدده في هذا الباب من المؤلفات البلدانية الدمشقية «معجم القرى والبلدان» لعلم الدين البرزالي الدمشقي. لانه كان اعرف بمدينته وبرها كما يظهر من مطالعة بعض مجلدات الذيل الذي وضعه على تاريخ ابي شامة. فلم يبق لنا اليوم من كل ما كتب

في الغوطة ووصاف قراها الا ما نقله لنا عن بعضها دون استيفاء ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان. وهنالك ايضا اشارات يسيرة لا تخلو من بعض الفائدة يعثر عليها احيانا في كتب التراجم وذيول تاريخ دمشق. وقد راجعنا في تطوافنا على خزائن الغرب كل المؤلفات الموضوعة في وصف دمشق فلم نجد فيها ما يشفي غليلا خلا رسالة واحدة وقفنا عليها في خزانة جامعة ليدن في هولاندة وهي المذكورة في العنوان لابن طولون الصالحي الدمشقي. افادة الدكتور فان اردنوك خان كتب الجامعة انها وقعت اليهم ضمن مجموع لامين المدني يشتمل على ثمانية عشر مؤلفا منها خمسة عشر لابن طولون اولها كتاب المسائل الملقبات في علم النحو «جمع كاتبه محمد بن طولون الصالحي الحنفي لطف الله به امين. ويليه من تأليفه ضرب الحوطة على جميع الغوطة...» رقم ١٨٦٢ وهي بقلمه ولا تاريخ لكتابتها. تبلغ سبع صفحات وخمسة اسطر وكلمتين. في كل صفحة منها ٢٣ أو ٢٢ سطرا نسق فيها ابن طولون قرى الغوطة مرتبة على حروف المعجم. وقد استأذنا ادارة الجامعة في نشرها لفائدة طلاب تاريخ دمشق. فاجازه لنا الدكتورة فان اردنوك بلسان العميد وهو ما نشكره عليهما اجزل الشكر. وقد حافظنا على عبارتها واملائها ولم نختصر منها الا اسانيد الاحاديث في الصفحتين الاولى والثانية لطولها والاستغناء عنها اليوم.

حبيب زينات

قال ابن طولون:

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان العظيم المحيط علمه بكل قاص وداني. الباسط حلمه على كل خاطي وجاني. فمن عظم من خلقه فهو قبضته وعظيم قهره ذليل متواني. هو الاول ما له ثاني. وهو الآخر ولك ما سواه فاني العرش يقول سبحان من حمل عن الحملة اركاني. والكرسي يقول سبحان من ثبت قوائمي واحسن بنياني. والسموات تقول سبحان من هذب وحدانيته جميع سكانني. والفلك يقول سبحان مدبري في دوراني. والسحاب يقول سبحان من جعل بين السما والارض مكانني. والريح يقول سبحان من اجراني. والجبال تقول سبحان من ارساني. والارض تقول سبحان من على تيار الما دحاني. والأشجار تقول سبحان من يسع جريان الما في اغصاني. والزهر يقول سبحان من فتق كمي وغير الواني. والفواكه تقول سبحان من اينع بين طعمي هذا حامض. وهذا حلو. ومن ما واحد سقاني. والطير يقول سبحان من اطلق له بالمجد لسانني. والبعوض يقول سبحان من يسمع حس خفقان اجنحتي عند طيراني. والنمل تقول سبحان من يرزقني على ضعفي وفي الليل المظلم يراني. والليل يقول سبحان من سترني والظلام غشاني. والنهار يقول سبحان من اظهرني وبالنور كساني. والجنة تقول سبحان من وعد المتقين بنعيمي وحوري وولداني. والنار تقول سبحان من توعد المجرمين بعذابي ونيرانني. ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول سبحان من شفعتني في أمتي وارضاني. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاما ينجياننا من النيرانني.

ويعد فهذا تعليق سميته بضرب الحوطة على جميع الغوطة على حسب الامكان. وبالله المستعان.

قال ابو عبد الله بن شداد في كتابه الاعلاق في ذكر دمشق «اما صفتها فانها من احسن بلاد الشام مكانا. واعديلها هواء.. واطيبها نشرا. واكثرها مياه. واغزرها فواكه. واوفرها مالا. واكثرها جندا. ولها ناحية تعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة وتشتمل هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان وثلاثماية وخمسة واربعين بستانا. وعلى خمسمائة وخمسين كرما. وهي من شرقي دمشق وشمالها بها ضياع كالمدين مثل المزة. وداريا وحرستا. ودمر. وبلاس. وبيت لاه. وعقريا. وبها كلها جوامع» انتهى.

قلت أخبرنا أبو البقا محمد بن العماد العمري بقراتي عليه (باسناده إلى أبي الدرداء)... قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من مديان الشام» وبه (باسناده إلى أبي امامة) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تلا هذه الآية قوله تعالى «وَأَوْبَيْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ دَاتٍ قَرَارٍ وَمَعِينٍ». ثم قال هل تدرون اين هي قالوا الله ورسوله اعلم. قال: «هي بالشام بارض يقال لها الغوطة. بها مدينة يقال لها دمشق هي خير مديان الشام». وبه (باسناده إلى ابن عباس) انه قال: «ولد ابراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون». وبه (باسناده إلى عون بن مالك) قال: «تكون بينكم وبين الاضر فيسيرون اليكم على ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر الفاً. فسطاطاً المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق». وبه (باسناده إلى ابن حليس) قال: «اشرف عيسى بن مريم عليه السلام على الغوطة فقال يا غوطة ان عجز الغني أن يجمع منك كثيراً لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً».

قلت الحاصل ان الغوطة مدينتها دمشق الكبرى. وقد افرد لها تاريخاً معظمها الحافظ ابو الحسن بن عساكر.

ارزونا: وهي قرية تحت القابون التحتاني، وهي متوسطة لها جامع وماذنة، وشربها من نهر ثورا. وهي املاك لناس مختلفين. وقع بها تحديث بأجزاء. وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث.

الافتريس: وهي قرية بقرب جسرين. وهي متوسطة وشربها من نهر داعية. **أرزة:** وهي قرية ادركت بعض بيوت بها ولي الآن بها بيت بجنية وادركت جامعها بماذنة عند قبور الشهداء. ولها حدود في ديوان الجيش وشربها من نهر ثورا.

البويضة: وهي بلدة كبيرة قبلي دمشق بجامع وماذنة وكان لنا بها عشر. **الحدلية:** وهي قرية جامعة تحت يلدا. وبها جامع. وهي وقف على بيمارستان الصالحية

القيصري.

بيت رانس: وهي قرية تحت مدينة دمشق من جهة القبلة.

بيت سحم: وهي قرية بالقرب من عقريا وبها قطع على جماعة الحنابلة.

بيت الالهة: هي حارة من دمشق شرقيها. وبها جامع مبارك ادركت خطيبه صاحبنا الفاضل بدر الدين حسن البيت ليدي الحنبلي والآن قد خرب. وللناس فيه اعتقاد كثير. وعليها بساتين وارضية كثيرة وقع بها حديث كثير. وآخر من حدث بها شيخنا المحيوي النعيمي. وخرج منها جماعة من اهل الحديث.

بيت ابيات: حارة كانت غربي الصالحية. وقد خربت الحارة ولم يبق منها غير مسجد والطاحون. ثم خرب المسجد ووقع بها حديث كثير وفيها كان جماعة من اهل الحديث.

برزة: وهي قرية شرقي الصالحية في الجبل بها مقام ابراهيم يقال انه ولد فيه. وقيل بل اختبأ فيه. وقيل صلى فيه. وقد افردت لما ورد فيه جزءا. وماؤها من احسن مياه دمشق يأتي من وادي الجوز واليه ينسب نوع من التين الشتوي هو اجود جنس منه. ونوع من السفرجل هو من اجود انواعه. وقع بها حديث كثير من جماعة من الحفاظ وغيرهم. وقد حدثت بها مراراً. وكان بها من له سماع فيه وأم بجامعها وله ماذنة.

بالا: وهي قرية تحت المنيحة. وهي قرية حسنة كثيرة المفل. وفيها حصّة وقف على الجوزية وقف على الحنابلة اما ريع او نحوه.

برنايا: وهي قرية خراب فوق سقبا وقف.

بيت نايم: وهي قرية تحت جسرين كبيرة وقف وهي من جملة حساب المرج وهي أول قراه.

بيت سوا: وهي قرية متوسطة. وقع بها تحديث ببعض الاجزاء.

البوية: وهي قرية في المرج الشرقي وهي حصص وغالبها وقف. ومنها حصّة موقوفة على جامع الحنابلة.

تل الشعير: وهي قرية تحت البحدلية. خربة وقف على المدرسة القيمرية.

تل الذهب: وهي كانت قرية. وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم. واهلها يزرعونها وهي وقف وقع بها حديث يسير.

تل كردي: وهي قرية من قرى المرج لم اعرف حالها.

جرمانا: وهي قرية قبلي دمشق واهلها تيامنة. وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فان اهلها جميعهم من السنة.

جوهر: وهي قرية شرقي مدينة دمشق لليهود. وبها ثم جماعة من المسلمين وبها مسجد يقال له مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقع بها حديث كثير ومنها جماعة من اهل الحديث.

جسرين: وهي قرية تحت سقبا وكانت كبيرة الا أنها تلاشى امرها. وهي وقف وشربها من نهر داعية. وقع بها حديث في فوائد الرازي.

حريا: وهي قرية متوسطة من قرى المرج. وهي في اقطاع ثالث مقدمي الالوف بدمشق وقع بها تحديث الاجزاء.

حزة: وهي بلدة صغيرة تحت زملاكا لها مسجد وشربها من عين الرشيدية.

عمورية: وهي قرية شمالي سقبا متوسطة حسنة بها جامع يقال انه عمري. وهي وقف على اولاد السلطان الملك الظاهر وفيها املاك مستخرجة بالخراج.

هردان: وهي قرية تحت سقبا ايضاً. خربت كان لها حديث لجماعة من اهل الحديث. افرد لها الحافظ ابو الحسن بن عساكر جزءاً ثم افرد لها شيخنا المحدث ابو المحاسن بن عبد الهادي جزءاً آخر.

حرسا الزيتون: وهي قرية كبيرة جامعة. وهي في اقطاع النيابة كانت والان صارت وقف التكية. قال شيخنا ابو المحاسن «وهي قرية شر وفق. معروفة بذلك ومن المذكور بين الناس انها اول ما يخسف بها في اندنيا. وكانت قديماً قرية حديث وشربها من نهر يزيد وثورا. واليها ينسب التفاح النبطي. وقع بها حديث كثير خرجت لها جزئين وخرج منها جماعة من اهل العلم» انتهى قلت منهم الامام محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما.

حرسا القنطرة: وهي قرية قبلية صغيرة ولعلها من حساب المرج.

حزما: وهي قرية من قرى المرج. وثلاثها وقف على دار الحديث الاشرفية الدمشقية. وقع بها حديث كثير. قال المحدث ابو المحاسن «وقد افردنا لها جزءاً».

حران: وتضاف إلى العواميد فيقال لها حران العواميد. وهي قرية متوسطة من قرى المرج.

الحديدة: بالحاء المهملة. والناس يقولونها بالمعجمة تحت وهي قرية متوسطة من قرى المرج وهي في اقطاع النيابة.

الخيارة: وهي صغيرة من قرى المرج.

الحديثة: وهي قرية صغيرة تحت دمشق وغالبها يتكلم عليها المولى الخواجا زين الدين عبد الغني المزلق وقع بها حديث. وحدث فيها بعدة اجزاء.

داريا: بلدة كبيرة جيدة عذبة. بها جامع وهي من جملة بلاد السلطنة. وبها اراضي وقف نور الدين الشهيرة على طلبة العلم والصوفية الفقرا وبها قبر ابو سليمان الداراني. واليها ينسب البطيخ الجيد. وقع بها حديث كثير. وخرج منها جماعة كثيرون من اهل. قال شيخنا ابو المحاسن وقد افردنا لها مصنفاً ولم اقف فيه فافردت لها جزءاً لخصته من تاريخها وزدت عليه.

دقانية: وهي قرية صغيرة تحت ارزونا ولها جامع وعليها كروم وشربها من نهر ثورا.

دومة: وهي قرية كبيرة جامعة بشرقي حرسا وهي من امهات القرى من اقطاع امير كبير وشربها من نهر ثورا. وقع بها حديث وخرج منها جماعة من المحدثين والعلماء منهم الدومي المشهور.

الدوير: ويقال دير بن عصرون وهي قرية صغيرة في الجبل ونصفها أو نحو ذلك وقف الحنابلة من جملة وقف الجوزية.

الريوة: غربي النيرب في فم الوادي بها بيوت ودكاكين وحمام ويقال انها التي اوى اليها عيسى وامه وهي الآن مكان فرجة ويجتمع فيها على غير التقوى وقد خربت في ايامنا عدة مرار وعمرت وقع بها حديث وسماع في عدة اجزاء وافرد لها الحافظ الشمس بن ناصر الدين جزءا وتبعته في آخر ابسط منه.

زملكا: بلدة كبيرة جامعة. بها جامع وحمام وخلق كثير وهي من امهات الغوطة وشريها من نهر ثورا وبها موضع يقال له مزار ووقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من المحدثين والعلماء وخطيبها كان ولد شيخ الاسلام ابي عمر وله سماع كثير واستمر اولاده بها إلى الآن.

زيدين: وهي قرية في آخر الغوطة من اقطاع النيابة. ويزرع فيها البطيخ كثيرا ووقع بها تحديث ببعض الأجزاء.

الزعيزعية: وهي قرية من قرى المرج. وقع بها تحديث ببعض الأجزاء.

السويدا: وهي قرية من قرى المرج قرب البحرة.

سقبا: وهي بلدة كبيرة جامعة. وبها جامع وعدة مساجد وحمام وهي املاك لاربابها وغيرهم ومنها يستحسن بزر الخيار وشريها من نهر داعية وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من اهلها قال شيخنا ابو المحاسن ولاهها سماع وقد افردت لها جزءا.

الشجرة: وهي كانت قرية خربة. وهي من جملة صدقات الحنابلة.

الصالحية: قال شيخنا ابو المحاسن وهي اول قرى الغوطة وأم البلاد وعروس الشام يصلح ان تكون مدينة بسفح قاسيون محدثة اسلامية. أول من وضعها المقدسة. فانهم لما هاجروا من الأرض المقدسة إلى دمشق نزلوا مسجد ابي صالح. شرقي دمشق فاستوخموا تلك المحلة وملت منهم جماعة كثيرون في مدة يسيرة فصعدوا إلى هذا الجبل وبنوا به الدير المعروف بهم. وبهم سميت الصالحية لانهم كانوا من الصالحين الكبار. وكان منهم الشيخ أحمد والد الشيخ ابي عمر والشيخ موفق الدين. والحافظ عبد الغني والحافظ الضيا. والحافظ العماد. والإمام عبد الهادي واشباه هؤلاء... وكلهم أقارب. ثم اتبع البنا وبنو لهم الشيخ ابو عمرو سبع ميمات: المدرسة. والمسجد غربيها والميضاة والمصنع والمزيلة والمغسل والمسقا انتهى وقد افردت لها تاريخاً.

صنماء: قال شيخنا المحيوي النعيمي في مسودة تاريخه وهي قرية خربة وبقي مزارعها على نهر الخللخال بالقرب من المنبع خرج منها جماعة من المحدثين نحو عشرة انتهى.

الضمادة: ويقال لها الرمادة. وهي قرية بقرب عدرا خربت وهي وقف من جملة صدقات الحنابلة.

عين ترما: وهي قرية جامعة شرقي دمشق. وبها جامع وحمام ووقع بها حديث وكان لبعض

اهلها سماع ببعض الاجزاء وغالب الوادي التحتاني مع اهلها وشربها من نهر ثورا. وأما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية وبعضه من بردا.

عربيل ويقال عربين: وهي قرية جامعة. وشربها من نهر ثورا واليها ينسب العنب البلدي واللوز وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من اهل الحديث ولهم فيه سماع. **عنرا:** وهي قرية شرقي دومة. وهي في اقطاع النيابة كانت. والآن صارت وقفاً على التكية. وهي بلدة كبيرة بها كان قتل حجر واصحابه. وشربها من نهر ثورا. واليها ينسب البطيخ وقع بها تحديث يسير.

عقريا: وهي قرية شرقي يلدا كبيرة. وهي من جملة اقطاع النيابة. واليها ينسب القماش العقرياني. وقع بها حديث وخرج منها مجذبون.

قبر الست: وهي بلدة قبل دمشق يقال ان زينب بنت علي مدفونة فيها. وهي بلدة جامعة. وللناس ايام يخرجون اليها يحتجون بالزيارة ويتنزهون. ووقع بها حديث يسير وقد افردت لها تعليقا.

قرية سيدي مدرك: بالقرب منها وفي كونه هناك خلاف.

القابون الفوقاني: وهو قرية كبيرة برزة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق. وغالب اهلها تركمان وبها روسا واعيان. وشربها من نهر يزيد وقع بها حديث.

القابون التحتاني: وهو بلدة كبيرة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق. وبها خلق من تركمان وحوارنة وغيرهما. وبها يعمل خميس البيض النجس الخبيث. وقد افردت له تعليقا. وشربها من نهر يزيد. واليها ينسب الخيار الجيد. وقع بها حديث وخرج منها جماعة من العلما والصلحا.

القصير: ويقال قصير القوافل. وهي قرية متوسطة على طريق المارة. وهي في اقطاع رابع مقدمي الالوف بدمشق.

القصور: وهي بلدة غربي كفرسوسية. وقد خربت وهي إلى الآن خراب.

كفرسوسية: وهي بلدة تحت المزة. بها جامع وحمام. وهي بلدة جامعة طرية (كذا) وبها معصرة للزيت لان بها زيتون كثير. ووقع منها حديث وخرج منها محدثون منهم شيخنا الشمس الكفرسوسي الشافعي.

كفريطها ويقال كفريطنا: وهي قرية جامعة بها جامع وحمام ودكاكين. ويقال انه كان بها علما وسادات وروساء وتجار. وهي املاك متفرقة وبها عدة مساجد وشربها من نهر داعية. ووقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من الائمة المحدثين بل الحفاظ. منهم الحافظ شمس الدين الذهبي وولده المحدث ابو هريرة وغيرهما.

اللقيشا ويقال اللقيسا بالمهمله: وهي قرية من اشهر قرى المرج.

المحمدية: عند جسرين وهي قرية صغيرة من قرى المرج كانت خربت والان عمرت.
المنيحة: وهي قرية تحت دمشق جامعة. ولها جامع ولي خطابته في هذه الأيام صاحبنا القطب بن الصفوري الشافعي. وقال شيخنا ابو المحاسن ويقال ان بها قبر سعد بن عباد و ليس كذلك. انتهى. وقد افردت له جزءا ولها ايام يذهب الناس اليها للزيارة والتنزه على عادتهم وبها قطع وقف على الحنابلة تعرف بالجوزيات وقف المدرسة الجوزية وقع بها تحديث بعدة اجزاء وخرج منها محدثون منهم المنحي المشهور.

مسجد القدم: وهي قرية قبلي القبيات جامعة. بها جامع وهي عذبة من جملة بلاد السلطنة لانا س متفرقين قال شيخنا ابو المحاسن ويقال ان قدم موسى فيها وذكر بعضهم ان فيها قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو كذب. انتهى. وبالقرب منها الكتيب وقد افردت له مؤلفاً.
المزة: وهي قرية في سفح الجبل من الغرب كبيرة وبها عدة جوامع ومساجد وحمامات ودكاكين وهي قرية. قال السيد كمال الدين بن حمزة عندي لها تاريخ وتقصدته فلم اظفر به. فافردت لها جزءا وكانت قد أقطعت لبعض ولد اسامة بن زيد ووقع بها تحديث كثير وخرج منها محدثون منهم الحافظ جمال الدين المزي وولده وغيرهما.

مقنية والصواب قينية: وهي قرية خربت خلف ميدان الحصى. قال الاسدي في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة في ترجمة محمد بن هرون من ولد انس بن مالك الانصاري الدمشقي من سكان قرية قينية غربي المصلى. انتهى. وقال غيره ابو علي محمد بن هرون الانصاري الدمشقي القيني من سكان قرية قينية بظاهر باب الجابية مشهورة انتهى.

مقرا: وهي كانت قرية فخربت شرقي الصالحية. ادركت فيها السبع قاعات والان باقى بها مسجد ومادنة عند طاحونها على نهر ثورا.

النيرب: غربي الصالحية كان له اسم خاص. وبه بيوت وبساتين وهو الآن مضاف إلى اسم الصالحية وله جامع وحمام وقد خرب. ووقع بها سماع حديث كثيرا. قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيحه والنيرب من قرى الغوطة. أو هي قرية حسنة من محاسن قرى دمشق من اقليم بيت لهما. كثيرة المياه والبساتين وبها جامع حسن تقام فيه الجمعة. ويقال في شرقية قبر حنة ام مريم عليهما السلام. قال ابن شداد وليست مريم بنت عمران. ولها حكاية. وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ان الخضر ينتاب هذا المسجد ويصلي فيه. ويروى ان عيسى عليه السلام كان فيه. انتهى.

يعقوبيا: وهي قرية صغيرة غربي حزة وشربها من نهر ثورا. وقع بها تحديث ببعض الاجزا.
يلدا: وهي قرية قبلي المدينة بالقرب منها جامعة. وهي بلدة حسنة وقع بها تحديث وخرج منها جماعة من المحدثين منهم اليلداني الاول. ومنهم شيخ شيخنا ابي المحاسن هو شرف الدين اليلداني الطبيب.

انتهت رسالة ابن طولون

عبد الكريم الطاراني

المتوفى ١٠٤١هـ

عبد الكريم بن محمود الطاراني، من أهل طاريا (ببعلبك) ومنشؤه ومسكنه دمشق ذكره في خلاصة الاثر ١٢-١١/٣ وأشار إلى قصيدته في منع السب عن علي عليه السلام ومدحه لعمر بن عبد العزيز.

ومن شعره ما كتبه لأخيه محمد:

ولم ينقطع ذكرى لايماننا التي	تقضت بأرض الشام وهي بكم غر
وكيف وقد كنا جميعاً بالغة	وحاسدنا من غمه شفه القهر
ولكن قضى هذا الزمان بصدعنا	وتشتيتنا صبرا على ما قضى الدهر
فلله منا الحمد والشكر دائما	على المنن اللاتي يحل لها الحصر
ولا زلت ترقى ذروة العزم ما شدا	حمام على غصن وما اكتمل البدر
وحن إلى الاوطان كل مغرب	مشوقا إلى أهليه وانسكب القطر

(خلاصة الاثر ١٢-١١/٣، معالم الادب العربي لعمر فروج ٤٤٩/٢)

أحمد بدر خان

(ولد ١٩٤٢-...)

الدكتور أحمد فتحي بدر خان، ولد بدمشق تخرج من ثانوية جودة الهاشمي، أكمل الجامعة بدمشق ثم درس في معهد بليخانوف سنة ١٩٧٥ وحصل على شهادة في الاقتصاد، ثم أكمل الماجستير والدكتوراه، حدثني بأن له كتب مخطوطة منها:

١- الاقتصاد الاسلامي (دراسة مقارنة في مسألة القيمة والاسعار).

٢- تخطيط الاسعار.

٣- بحث بعنوان: أسس العمران الاقتصادي في نهج البلاغة.

مشاركة الشيعة في مؤتمر دمشق السري سنة ١٨٧٧م

أول مؤتمر اشترك فيه الشيعة للنظر في استقلال سوريا وفصلها عن جسم المملكة العثمانية. عقد سراً في دمشق في نهاية الحرب العثمانية الروسية سنة ١٨٧٧. فلما دارت الدائرة على الدولة العثمانية وانتصر الروس عليها في تلك الحرب الدامية وكادت القسطنطينية (العاصمة) تقع في ايديهم. فكر بعض الاعيان العرب في مصير سوريا ف عقدوا مؤتمر دمشق السري للبحث في هذه الشؤون. وكان يمثل جبل عامل في ذلك المؤتمر العالم الجليل السيد محمد الأمين من الأشراف الحسينيين سكان شقراء. جبل عامل. والنبيل الحاج علي عسيران رأس الاسرة العسيرانية المعروفة في صيدا، والشيخ علي الحر الجبعي، وشبيب باشا الاسعد الوائلي. وقد اقر المؤتمر اختيار الأمير عبد القادر الجزائري (نزىل دمشق) اميراً على سوريا. ونقل القرار للامير، المغفور له أحمد باشا الصلح الذي كان يمثل مسلمي الساحل. ثم تطورت سياسة الدول فصدت الروس عن الاسنانه، وعضدت الدولة العثمانية وحالت دون سقوطها فتأخر حل المسألة الشرقية ومن ثم طويت صحيفة ذلك المؤتمر.

وكان المفتي العاملي السيد محمد الأمين المار ذكره متطرفاً في عروبه، مجاهداً بفكرته السياسية، يحرض العامليين على الثورة، ويراسل الأمير الجزائري في دمشق بصراحة تامة. ويكتب على غلاف رسائله دمشق دار الامارة «بالقلم العريض». واتصل الخبر بالوالي التركي فنضى السيد إلى طرابلس الشام.

اعلام في دائرة الضوء

الدكتور حسين ابراهيم الحاج حسن (لبنان)

مما كتبه لنا بخطه

ولدت في قرية متواضعة من قرى لبنان. محافظة البقاع قضاء بعلبك اسمها شمسطار ابصرت فيها النور ١٩٣٣ تعلمت في مدرستها الابتدائية للصبيان حتى حصلت على الشهادة الابتدائية ١٩٤٨ ثم انتقلت إلى بيروت لاكمال تعليمي فدخلت مدرسة فرن الشباك في بيروت حتى حصلت الشهادة الاعدادية «البروفية» ١٩٥٢ وفي المدرسة نفسها دخلت إلى معهد المعلمين ثم عينت مدرساً في التعليم الابتدائي ١٩٥٤ في مدرسة رويسات البلوط قرب بحدود واستمرت في التحصيل العلمي وانا امارس وظيفة التعليم حتى حصلت على الثانوية العامة ١٩٦٠.

دخلت في معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية حتى حصلت شهادة الثقافة العامة ١٩٦١ ومنه انتقلت إلى الجامعة اللبنانية لاتابع دراسة الأدب العربي في كلية الآداب في نظام الشهادات حصلت على الأجازة في الأدب العربي ١٩٦٤ وعندها توقفت عن التعليم مدة ثلاث سنوات حتى سجلت موضوع ماجستير في الأدب العربي فحصلت على الشهادة ١٩٦٩ عنوان الأطروحة «الأسطورة عند العرب في الجاهلية، بإشراف الدكتور فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية حينذاك».

ثم عدت إلى اليسوعية ١٩٧٠ بعد أن توقفت التحصيل العلمي هذه الفترة لظروف عائلية. سجلت موضوع دكتوراه ١٩٧٠ في الجامعة اليسوعية بعنوان نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية بإشراف الدكتور عبد المجيد تركي وهو تونسي الأصل واستاذ في جامعة السوربون جاء إلى الجامعة اليسوعية على سبيل الاعارة.

عينت مديراً لمدرسة الغبيري الرسمية للصبيان ١٩٦٥ ثم انتقلت إلى التعليم الثانوي ١٩٦٧ واستمرت فيه حتى عام ١٩٧٦.

وفي سنة ١٩٧٧-١٩٧٨ أنشئ فرع الجامعة اللبنانية الفرع الرابع في البقاع. رحلة فترغت للتعليم الجامعي استاذ متفرغ ١٩٧٨ ومازلت حتى الآن أمارس التعليم الجامعي.

قبل دخولي الجامعة اللبنانية كنت قد درست في جامعة الموصل العراق كلية التربية منذ عام ١٩٧٢-١٩٧٧.

ومؤلفاتي هي:

- ١- علم الاجتماع الأدبي ١٩٨٣ المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر والتأليف بيروت.
- ٢- أدب العرب في عصر الجاهلية ١٩٨٤ الدار نفسها.
- ٣- حضارة العرب في عصر الجاهلية ١٩٨٤ الدار نفسها.
- ٤- أعلام في العصر العباسي ١٩٨٥ المؤسسة الجامعية.
- ٥- نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية ١٩٨٦ مؤسسة الوفاء.
- ٦- نظم اسلامية ١٩٦٧ المؤسسة الجامعية بيروت.
- ٧- الأسطورة عند العرب في الجاهلية ١٩٨٧ المؤسسة الجامعية.
- ٨- حضارة العرب في صدر الإسلام تحت الطبع.

اشتركت في المباراة التي دعا اليها الأستاذ محمد سعيد الطريحي مشكوراً حول الإمام الحسين (ع) فكتبت كتاباً بعنوان الرسالة في الثورة الحسينية الذي نأمل ان يبصر النور قريباً باذن الله والآن مكب على تأليف كتاب بعنوان الروابط الاجتماعية في الإسلام اشرفت فيه على النهاية والله ولي التوفيق.

وإني أرى أن من واجبي الشرعي ومن واجب كل مسلم ان يعمل قدر طاقته ليقدم ما يستطيع من خدمة للمؤمنين، عباد الله الصالحين إنه نعم المولى ونعم النصير.

عبد الرحمن الكواكبي

(١٢٦٥ - ١٣٢٠ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٢ م)

علم من اعلام الأدب في الشرق، عالم اجتماعي وداعية من دعاة الاصلاح الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. فكان بذلك من رواد النهضة الادبية والاجتماعية والوطنية ومن الدعاة للجامعة الإسلامية. احب الاصلاح وحرية الرأي والقول، فوسم حب الاصلاح وحرية الفكر كل عمل من اعماله وطبعاً كل اثر من آثاره القلمية. فكان من اكبر المناضلين فكرياً في العهد الحميدي، ولعله امرهم لساناً وأعنفهم هجومياً، فأطلق الدعوة إلى الجامعة الإسلامية تحت الخلافة العثمانية.

عرف بروحه السمحة، وبعده عن التعصب مع شدة تمسكه بإسلاميته، رأى رابطة الوطن فوق كل رابطة.

حلبى الأصل والمولد والنشأة سليل اسرة حلبية مشهود له بالفضل والعلم. تلقى علومه الابتدائية في مدارس حلب الاهلية، ودرس العلوم اللسانية والشرعية في المدرسة الكواكبية إحدى مآثر جدوده واتقن العربية والتركية.

مال للكتابة فاشتغل حيناً بتحرير جريدة «فرات» ثم انشأ تباعاً جريدتي «الاعتدال» و«الشهباء» ودخل في خدمة الحكومة فتقلب في وظائف عديدة كان مثال العالم الساعي وراء النهوض بالامة وإصلاحها وصلاحيها، فكان هذا مدعاة له لانتقاد الحكومة بعد ان عرف عنه حب الاصلاح وحرية القول، فاضطهد.

وجاء مصر ليخرج منها بعد قليل مطوفاً في زنجبار والحبشة وأكثر شواطئ شرقي آسيا وغربها، ماراً بجزيرة العرب والهند، وهو في ذلك يدرس العالم الإسلامي ويتبين مبلغ ما انحدر اليه وما يتسكع فيه من فوضى، فيرد فيما بعد اسباب هذا التردى إلى جملة من الأسباب الاصلية منها: حرمان الأمة من حرية القول والعمل، وإلى الجهل المطبق ولاسيما في امور الدين، وتشويش الدارة المركزية، والتخلف عن ركب الحضارة وعدم مجاراة الزمن، والفقر العام، وعدم الاهتمام بتعليم النساء وفساد الاسرة، وتفسخ الاخلاق.

ثم أب إلى مصر حيث استقر بعد طول المطاف، ومصر آنذاك مركز النهضة الأدبية، فلم يلبث أن تبوأ فيها مكاناً ممتازاً وأصبح فيها أحد اقطاب الرأي ومن الاعلام البارزين. فانتسب فيها إلى جمعية الكتاب المصرية، وحرر في «المؤيد».

مؤلفاته: Oeuvres

١- ام القرى، طبع مراراً مزين بالرسوم، وفيه تاريخ حياته (فيه وصف لمؤتمر خيالي فرض عقده

في مكة عام ١٨٩٨. حضرته وفود الدول الاسلامية وعددهم ٢٢ فاضلا. وصف فيه حالة العالم الإسلامي وشخص امراضه واعرب عن آرائه في الاصلاح وجمع كلمة المسلمين).
٢- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. مصر، مطبعة التوفيق ٩ ص ١٨٤، ومطبعة الامة ٩ ص ١٢٧ «هي كلمات حق وصيحة في واد، ان ذهبت اليوم مع الريح ستذهب غدا بالآوتاد». ضمنه مقالات سياسية في طبائع الاستبداد ودعوة جريئة إلى الحرية.

BIBLIOGRAPHIE مصادر ومراجع

كتب خاصة به Monographies

مجلة الحديث. عدد خاص به. ايلول. تشرين الأول ١٩٥٢. ساهم فيه ادباء مختلفون بالابحاث التالية:

- ١ سامي الكيالي. ذكرى الكواكبي بمناسبة خمسين سنة على وفاته. ص ٥٣٧.
- ٢ الدكتور اسعد الكواكبي (ابنه) عبد الرحمن الكواكبي، ص ٥٤٢-٥٥٤.
- ٣ صفحة لم تنشر من «طبائع الاستبداد» ص ٥٥٥-٥٥٨.
- ٤ محمد جميل بيه. عهد الكواكبي في العالم العربي. ص ٥٥٩.
- ٥ الدكتور عبد الرحمن الكواكبي. المبادئ الخالدة في كتابي طبائع الاستبداد وام القرى ص ٥٦٤-٥٧٨.
- ٦ محمد يحيى الهاشمي. الكواكبي باحث النهضة العلمية ص ٥٧٩.

كتب تناولته بالبحث. Ouvrages d'ensemble.

- احمد أمين. فيض الخاطر ٦: ١٧٩-٢٠٢.
- احمد أمين. زعماء الاصلاح: ٢٤٩-٢٧٩.
- زيدان. مشاهير الشرق ١: ٣٥٠.
- زيدان. تاريخ آداب اللغة ٤: ٢٧٠ العربية.
- الزركلي. الاعلام: ٤٨٥.
- سركيس. معجم المطبوعات. عمود ١٥٧٤.
- الشيخ أحمد راغب الطباخ. اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، ٧: ٥٠٧.
- طرازي. تاريخ الصحافة العربية ٢: ٢٢١ (مصورة).
- عبد الله كنون في كتابه «التعاشيب»: ١٣٦.
- مارون عبود. رواد النهضة الحديثة: ٢٠١.
- محمد حبيب أحمد. نهضة الشعوب الإسلامية: ٨٥-٨٩.

مقالات المجلات العربية Articles de revues

- محمد لطفي جمعه. ثلاثة رجال: الافغاني، الكواكبي، الثعالبي. مجلة الحديث ١١: ٦٥٠.
- برهان الدين الداغستاني. عبد الرحمن الكواكبي. الثقافة ٥: ٣١٠.
- محمد رشيد رضا. مصاب عظيم بوفاة عالم كبير. المنار ٥: ٢٣٧-٢٧٦.

- جرجي زيدان . السيد عبد الرحمن الكواكبي . الهلال ١٠ : ٥٩٤ .
- محمد راغب الطباخ . العلامة السيد مسعود الكواكبي . مجلة المجمع ١٠ : ٤٤ (هو شقيق عبد الرحمن) .
- كامل الغزي . عبد الرحمن الكواكبي . مجلة الحديث ، ١٩٢٩ ، ص ٤٠٥ - ٤٢٠ .
- سامي الكيالي . عبد الرحمن الكواكبي ١٨٤٩ - ١٩٠٢ - مجلة الكتاب ٣ (يناير ١٩٤٧) : ٤٣٧ .
- مجلة المشرق . عبد الرحمن الكواكبي ٢٣ (١٩٢٥) : ٣٨٣ .
- المقتطف . السيد عبد الرحمن الكواكبي . مجلد ٢٧ : ٦٢٢ .
- مجلة الحديث الكواكبي . مجلد ٢٥ (١٩٥١) : ٦٧٥ .

جَدِّي الكواكبي

بقلم الدكتور عبد الرحمن الكواكبي

في ظل الامبراطورية العثمانية، وتحت حكم خليفة المسلمين المقيم في الآستانة، عاش الشرق حقبا من الزمان سوداء، سادها الظلم والجهل والطغيان، وبدا تخلف العرب منذ دخلوا تحت حكم العثمانيين.

وخلال هذا الحكم الذي دام قرونا، أو في أواخره على الأصح، ظهرت صيحات خيرة تتلمس طريقها نحو النور، وتحاول ايقاظ الموتى، وحاول حكام استانبول القضاء، بكل ما أوتوا من وحشية، على هذه الافكار التحررية. غير أنهم فشلوا، وسارت القافلة في طريقها المحتوم. ومن بين هذه الصرخات التي ظهرت في الشرق الإسلامي، صرخة كان لها طابع خاص، واتجاه معين، قال عنها صاحبها وقد ضمنها كتابا «هي كلمات حق وصيحة في واد، ان ذهبت اليوم مع الريح، لقد تذهب غدا بالآوتاد».

صاحب هذه الصيحة هو عبد الرحمن الكواكبي.

ولد في حلب في ٢٣ شوال ١٢٧١ الموافق عام ١٨٥٤ ميلادي. وهو التاريخ الصحيح لمولده. أما التاريخ المعروف لدى أكثر من كتب عنه أو أرخ فخاطئ لأن هذا التاريخ الخاطئ هو التاريخ الرسمي المسجل في سجلات الدولة، وقد كان رحمه الله قد اضطر إلى أن يكبر سنه حتى يستطيع دخول الانتخابات عام ١٢٩٣هـ.

والده هو أحمد مسعود الكواكبي، أمين الفتوى، والمدرس في الجامع الأموي بحلب، وفي المدرسة الكواكبية فيها. ووالدته هي عفيفة بنت مسعود النقيب، مفتى انطاكية.

توفيت والدته في طفولته سنة ١٢٧٦هـ فحضرته خالته صفية حيث أقام معها في انطاكية حتى عام ١٢٨٢هـ. وقد أحسنت تربيته بما كان لها من ثقافة وأدب وذكاء لامع.

وحين عاد إلى حلب ادخله أبوه مدرسة الأسرة (الكواكبية)، حيث تولى هو تعليمه مع زمرة من فحول علماء البلد، وعلمه العلوم الدينية واللغوية. هذا بالإضافة إلى ما علمه إياه مدرسه

الخصوصيون من العلوم العصرية واللغات الشرقية. ولم يكن له حظ من تعلم لغة أوربية، عدا ما قام به هو من تعليم نفسه بما كان يطالع من كتب الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع، حتى أضحى فحلاً من فحول العلم والأدب.

الكواكبي يصفه أولاده:

يصفه عمي الدكتور أسعد الكواكبي، الحفيد الدكتور عبد الرحمن الكواكبي يراجع بروفات كتاب «طبائع الاستبداد» على نسخة وهو ثاني أولاده، فيقول:

«كان ربةً، لا بالقصير ولا بالطويل، قوي البنية صحيح الجسم، عصبي المزاج في تودة، اشهل العينين، أزج الحاجبين، أبيض اللون، واسع الفم، عريض الصدر، أسود شعر الرأس والذقن، متانقا في لباسه، جسورا غير هيأب فيما يعزم عليه، يتكلم بجهر هادئ وسلاسة وابتسام، يحسن السباحة والصيد والفروسية».

وأضيف أنا إلى ذلك ما عرفته عنه من عمي الدكتور رشيد ومن عماتي، انه كان لطيف المعشر جدا، طيب القلب، محبا لزوجته، وهي بنت أحد أساتذته الشيخ محمد علي الكحيل أمين الفتوى بحلب. كما كان محبا لأولاده محسنا في تربيته وتعليمهم.

يقول في رسالة لولده اسعد أرسلها من استانبول:

الكواكبي يعطف على زوجته:

«إذا والدتك نسينا فنحن لاننسها، ولا تخرج من فكرنا، لا في النهار ولا في الليل». ويوصيه في الرسالة بأن (يطبع) وجنات فاضل بالقبيلات. وفاضل والدي، وهو أصغر أولاده. ويختتم رسالته بقوله: «حافظوا على توصياتنا لكم، خصوصا من جهة كسب رضاء والدتكم، ومدارة وملاطفة أخوانكم...» الرسالة مؤرخة في شوال ١٣١٢.

وفي رسالة أخرى أرسلها من شرقي افريقيا، مؤرخة في ١٢ شعبان ١٣١٩ إلى: «ولدي أسعد ورشيد حرسهما الله»، يأمل فيها ان يكونا قد عادا إلى حلب من استانبول حيث «تقر بكم عين والدتكم العزيزة.. أما اشتياقي اليكم، فلا ادري اهو اكثر، أم صبري على الزمان أكثر، وأنا الآن أجاهد في معترك الحياة».

ويقول في رسالته ايضا: «ولا حاجة بأن أوصيكم بمواساة الجميع مدة وجودكم، فانتم الآن رجال لا أولاد، وهذه العائلة هي عائلة كل واحد منكم، وما أنا إلا رئيس عليكم ما دمت حيا، وأسعى لأقوم بإعدادكم لملاقاة الزمان وجهاده، وأول ما أوصيكم به هو تقوى الله».

علم الشرع واللغة غير كاف

ان حياة الكواكبي جزء لا يتجزأ من مبادئه فهو قد تخرج في مدرسة الحياة. وعندما تحدث ونادى بالاصلاح كان قد عاش في الفساد وعاركة، عاركة باليد واللسان والمال.

ولد في أسرة اشتهرت من قديم بالعلم الشرعي واللغوي، وتخصص ابناؤها في تولي مناصب الافتاء والقضاء والتدريس، إلى أن انتهى المطاف عنده وعند أخيه مسعود، وهو مثله رجل علم ودين وثقافة وقضاء. وأدركا أن الحياة في تطور، وأن بناء المستقبل يعتمد على علوم أخرى غير علوم الشريعة واللغة، فقاما بوجهان أولادهما إلى دراسة الطب والكيمياء والهندسة. ولقنا أولادهما هذه الفكرة

فانتقلت الروح العلمية اليهم، حتى كان بين حفيدات عبد الرحمن الكواكبي أول مهندسة في حلب. وبين حفيدات مسعود صيدلية كيميائية. لذلك نرى أن الكواكبي لم تكن دعوته في كتابيه الى تعلم العلوم العصرية الا صدى لما حققه بنفسه.

ونلمس حرصه على تثقيف أولاده الثقافة الصحيحة في ما يقوله لابنه أسعد في نفس الرسالة التي أتينا على ذكرها: «وأنا أرغب أن يتعلم أحمد اللغة الانجليزية». وأحمد أحد أولاده، وقد نشأ صيدليا.

وفي رسالة أخرى إلى ولديه أسعد ورشيد، وكانا يدرسان الطب في استانبول، يعلمهما فيها كيف يدرسان الانجليزية والفرنسية، وينصحهما بكثرة قراءة كتب هاتين اللغتين، وأن يقرأ أحيانا بصوت عال ليستقيم لفظهما.

يطلب المال لغاية:

كان جدي رحمه الله طموحاً إلى كل شيء في الحياة يرفع الانسان به مستواه. والمال وسيلة لهذا. وهو كان يريد المال لهذا، ويشكو ثقله. فما كان آل الكواكبي في يوم من الأيام ذوي مال ويسار. يدلنا على ذلك قوله لولده أسعد في رسالة له من استانبول أنه فهم رسالته أن الأسرة تشكو قلة المال، ويطلب منه أن يأخذ حاجتهم من الحاج عبد الحكيم جوده، وكان من كرام تجار حلب وصديقاً حميماً للكواكبي. وفي رسالة لهم يقول: «سامح الله والذي لم يجعل لي ملكاً مخصوصاً يغنيني عن مثل هذه المضاركة لعائلتي».

لذلك قام يبحث عن المال، وترك تخصصه الشرعي ليلقي بنفسه في خضم الحياة المادية. ونظراً لثقافته، فقد سعى إلى المال بالطريق العلمي الصحيح فنظم المشاريع ودرسها، وحصل من الامتيازات والرخص ما تعجز عنه الشركات الكبرى. حصل عليها وهو فرد واحد في بلد يسوده الجهل والفقر والرجعية العمياء. فكان فعلاً كناطخ صخرة.

من جملة مشاريعه مشروع تجفيف المستنقعات، والتنقيب عن المعادن. وتولى عملية حصر الدخان في حلب وولايتها، ومشروع جلب مياه نهر الساجور إلى حلب، وإنتاج الكهرباء من شلالات انطاكية. وتأسيس معمل لعمل الخزف الصبني. واستثمار المباد المعدنية في حمامات الشيخ عيسى ومد خط حديدي من حلب إلى السويدية على البحر. وإنشاء مرفأ على السويدية ولو أن مشاريعه هذه تحققت لكانت حلب اليوم من أسعد بلاد الدنيا.

وأضافة إلى هذه المشاريع قام بتولي رئاسة بلدية حلب، ورئاسة غرفة التجارة، والقضاء وكتابة العدل، وأنشأ الجرائد، فأصدر جريدة «الاعتدال» ثم «الشهباء».

ومع أعماله هذه كلها مارس المحاماة، وكانت مهنة المحاماة هي النقطة الحساسة في حياته. ففى خلال أعماله هذه كلها كان حراً، كريماً، ونزيهاً. لمس ما تعانيه الأمة من ظلم الطغاة واستبدادهم، ومن فساد الإقطاعيين وجبروتهم، فقام كمحام يدافع عن المظلومين ويكافح ضد حكام حلب من طغاة الأتراك، وكأنه تخصص في إقامة الدعاوي على الحكام لمصلحة المظلومين من أبناء الشعب. حتى أنه قام الدعاوي مرارا على جميل باشا والي حلب ليسترد منه أراضي اغتصبها من المزارعين. وكسب هذه القضايا جميعها.



الكواكبي في الوسط

يهاجر إلى مصر:

فكان سلوكه هذا ومقاومته للطغاة سبباً لنقماتهم عليه ومحاولتهم ايذاءه بمختلف الأساليب، من مصادرة للأموال، إلى حبس وأحكام بالإعدام. حتى قيض الله له الفرص فهاجر إلى مصر.

خلال معاركه العديدة هذه كان يدرس أحوال المسلمين عامة في أنحاء العالم، ويدرس أحوال العرب، ويدرس قضايا مجتمعه: الفلاحين، العمال، الاقطاعيين. الثروة وتوزيعها، العلم والعلماء، الجهل والمرض وانتشارهما، والاستبداد والظلم، والثورة الفكرية والثورة السياسية، كيف يجب أن تبدأ الثورة، وكيف يجب أن تنتهي؟

«أم القرى» و«طبائع الاستبداد»

درس كل هذا وكتب عنه مذكرات كثيرة، جمع بعضها في حلب في كتاب أسماه (أم القرى)، ثم أصدره في مصر.

وأخذ بعضها معه إلى مصر عند هجرته إليها ونشرها باسم (طبائع الاستبداد). وتنظم بعض مذكراته خلال رحلاته الطويلة في أفريقيا وآسيا حتى الصين وجمعها في كتابين هما: (صحائف قریش) و (العظمة لله). وقد فقدنا، وهما مخطوطان، ضاعا فيما ضاع من أوراقه ومذكراته عند وفاته.

تأتيه المنية في مصر

وفي مصر وافته المنية رغم شبابه وصحته وحيويته الجبارة، فليس المرض هو الذي سلبه نعمة الحياة، بل السر في فئاجان القهوة الذي شربه في مقهى يلدز، وشعر بعده بالألم يقطع أمعاءه، حيث توفي بعد قليل. وكان ولده كاظم وحده إلى جانبه.

أما رجال السلطة فقد جاءوا ليصادروا أوراقه ومذكراته وليسرعوا بدفنه في الصباح بأمر الخديوي عباس وعلى نفقته. وكانت وفاته رحمه الله في ٦ ربيع الأول ١٣٢٠ و ١٤ حزيران ١٩٠٢.

وزار الشاعر حافظ إبراهيم قبره فقال فيه:

هنا خيرُ مظلوم، هنا خير كاتب

هنا رجلُ الدنيا، هنا مهبط النُقى

عليه، فهذا القبر قبر الكواكبي

قفوا واقرأوا «أم الكتاب» وسلموا

(العري: ١٢)

الرحالة كاف عبد الرحمن الكواكبي؛ لعباس محمود العقاد

اهتم الدارسون المعاصرون بالكتابة عن المفكر السوري الشهير عبد الرحمن الكواكبي، وهو بهذا الاهتمام جدير. والصفة البادية في هذه الكتابات هي أنها حاولت أن تعرض آراء الكواكبي كما وردت في كتابيه الشهيرين «أم القرى» و«طبائع الاستبداد»، دون أن تدرس دراسة مستفيضة العصر والظروف التي عاش فيها الكواكبي.

وفي رأبي أن الدراسة العلمية الوافية للكواكبي لا تكون إلا تتبع ما نشر في صحف ومجلات ودوريات عصره. ومثل هذه الدراسة تتطلب جهداً كبيراً يبذله الدارس في البحث عن هذه المصادر، وهي مصادر متناثرة في المكتبات العامة والخاصة.

وإذا كان المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد لم يلم الماما بهذه المصادر، فإنه قد عوض عن هذا بذكائه وحسن تناوله للكواكبي: فهو قد أدرك ببصيرته ما خفي من المعاني في كتابي الكواكبي الشهيرين. ومع هذا فإن الكواكبي، في رأبي، ما زال بحاجة إلى مزيد من الدراسات تكتب عنه.

ابن حلب الشهباء

والكواكبي هو ابن حلب الشهباء، المدينة العريقة في القدم. وينتسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وتذكر شجرة نسبه أن من أجداده اسماعيل الصفوي الذي جلس على عرش فارس، وأسس فيها الأسرة الصفوية. وتقول الروايات أو أول من اشتهر باسم الكواكبي من العائلة هو محمد أبو يحيى بن صدر الدين، لأنه كان يعمل في الحدادة، ويتقن صنع المسامير التي تسمى الكواكب لاستدارتها ولعانها.

وقد رأى الكواكبي النور سنة ١٨٥٤م/١٢٧١هـ، حسب رواية ابنه الدكتور أسعد. وهذا التاريخ مخالف للأوراق الرسمية التي تذكر أنه ولد حوالي سنة ١٨٤٨/١٢٦٥هـ. ويبدو أن طفولته كانت مضطربة، فقد فقد أمه وهو في نحو السادسة من عمره، فأودعه أبوه حضانة خالته بأنطاكية حيث أقام بها إلى سنة ١٢٨٢هـ. ثم عاد إلى حلب ليلتحق بالمدرسة الكواكبية، ويتعلم فيها اللغتين التركية والفارسية، ومبادئ الرياضيات. وعلى يدي والده درس علوم الدين واللغة. وقد كان هذا الوالد من معلمي الجامع الأموي، وأصحاب المناصب الشرعية. وإلى هذا أضاف الثقافة الحديثة حتى ليخيل لنا أنه قد كرس وقته لاكتساب المعرفة. وقد برزت هذه الثقافة في كل عمل وكل إليه: في عمله في صحيفة «فرات» العربية التركية التي أنشأها المؤرخ التركي أحمد جودت باشا، ثم في صحيفة «الشهباء» التي أنشأها في حلب مع زميله هاشم العطار فكانت أول صحيفة عربية

فيها، وبعدها في صحيفة «الاعتدال» التي أنشأها بعد تعطيل «الشهباء» لصراحتها في نقد الإدارة التركية. ولكن «الاعتدال» لم تلبث أن لقيت المصير نفسه الذي لقيته «الشهباء» من قبل. ولما ينس من الإصلاح عن طريق الكتابة قبل العمل في وظائف الحكومة، وتولى في هذه الوظائف ضروباً متنوعة من أعمال الإدارة، والقضاء، والتعليم. وقد قام أثناء توليه هذه الوظائف بإصلاحات جمة: فزاد أجور العمال سداً لذرائع الرشوة والاختلاس، وضبط أعمال الغرفة التجارية بالاحصاءات ونظمها على غرار الغرف التجارية في البلاد المتحضرة، ووضع مشروعاً لإنارة المدينة وضواحيها بالكهرباء، وبناء مرفأ للسويدية وجلب الماء إلى حلب من نهر الساجور، وتجفيف المستنقعات التي كانت تنشر الاوبئة بين السكان.

وقد كان في كل أعماله التي تولاها صريحاً نزيهاً، فجرت عليه صراحته ونزاهته عداوة المسؤولين الذين كانوا يعيشون على الفساد. وهكذا أخذوا يكيدون له، مما اضطره إلى ترك بلاد الشام إلى مصر.. أرض الكنانة.

الرحالة كاف

وصل الكواكبي إلى مصر في منتصف شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨، وتوفي بها في شهر يونيو (حزيران) ١٩٠٢، وتخلل هذه الفترة رحلتان. يقول الشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار، أن الكواكبي «وجه همته أخيراً إلى التوسع في معرفة حال المسلمين ليسعى في الإصلاح على بصيرة، فبعد اختباره التام لبلاد الدولة العلية. تركها وعربها وأكرادها وأرمنها. ثم اختباره لمصر ومعرفة حال السودان منها، مناخ سواحل أفريقية الشرقية وساحل أسيا الغربية، ثم أتم سياحته فاختر بلاد العرب التي كانت موضع أمله أتم الاختبار فانه دخلها من سواحل المحيط الهندي، وما زال يوغل فيها حتى دخل سورية، واجتمع بالأمراء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والأدبي، وعرف حالة البلاد الزراعية... وقد انتهى في رحلته الأخيرة إلى كراحي في موانئ الهند، وسخر الله له في عودته سفينة حربية إيطالية حملته بتوصية من وكيل إيطاليا السياسي في مسقط. فطافت به سواحل بلاد العرب. وسواحل أفريقية الشرقية. فتيسر له بذلك اختبار هذه البلاد اختباراً سبق به الأفرنج. وكان في نفسه رحلة أخرى يتمم بها اختباره للمسلمين. وهي الرحلة إلى بلاد الغرب، ولكن حالت دونها المنية التي تحول دون كل الأماني والعزائم..»

وكان الكواكبي يوقع مقالاته عن رحلاته باسم «الرحالة كاف». وبهذا الاسم عرف.

قضيتان شغلته

وهاتان الرحلتان أعانتا الكواكبي في مهمته الإصلاحية، وأطلعته على أحوال البلاد العربية والإسلامية، أنضجتا آراءه في القضيتين اللتين شغل بهما عن غيرهما وهما قضية البحث في أسباب تأخر الأمم، ولا سيما أمم العالم الإسلامي، وقضية البحث في عوامل الاستبداد في حكم الدول، ولا سيما الدولة العثمانية.

وقد أودع الكواكبي زبدة آرائه عن قضية العالم الإسلامي في كتابه «أم القرى».. وأودع زبدة آرائه عن الحكم والاستبداد في كتابه «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد».. ويذكر الذين ترجموا له أنه وضع كتابا سماه «صحائف قريش»، وكتابا آخر سماه «العظمة لله»، وترك ديوانا من الشعر لم تبق منه غير كراسة فيها قصائد في الحكمة والنسيب والمدح والثناء والهجاء، وعدد أبيات هذه القصائد نحو ثلاثة آلاف بيت.

ويبدو أن «صحائف قريش» تذييل لكتابه «أم القرى» وأن «العظمة لله»، إضافة إلى «طبائع الاستبداد»، ولكن هذين الكتابين لم يريا النور، إذ صودرا مع أوراقه في حلب.

«أم القرى»

وكتاب «أم القرى» هو أول كتاب وضعه الكواكبي، ولكنه لم يضعه إلا بعد دراسة طويلة لحال المسلمين وأسباب ضعفهم وتخلفهم. وفي هذا الكتاب تخيل المؤلف أن جمعية «أم القرى» قد التقت في مؤتمر عام في مكة المكرمة. وفي هذا المؤتمر جمع الكواكبي مندوبين عن أمم العالم الإسلامي في المشرق والمغرب يمثلون الهند والصين والافغان والعراق والحجاز والشام ونجد واليمن ومصر وتونس ومراكش، وغيرها من الأقاليم، وألقى على لسان كل منهم خطابا يشرح حالة المسلمين كما اختبرها الكواكبي نفسه. وتنتهي أسباب التأخر التي ذكرها المؤتمرون إلى سبب جميع الأسباب في رأي الكواكبي، وهو الحكومة السيئة:

«فلماذا يضعف المسلمون؟

يضعفون لأنهم أهملوا آداب الدين التي نهضوا بها في صدر الإسلام.

ولماذا أهملوا آداب الدين؟

لأنهم جهلوا لبابه، وأخذوا منه بالقشور.

ولماذا جهلوا؟

لأنهم فقدوا الهمة، وقنعوا بالضعفة، واستكانوا إلى الخور والتسليم.

ولك أن تتابع حلقات السلسلة عكسا كما تابعتها طردا، فتقول انهم فقدوا الهمة لأنهم

جهلوا، وأنهم جهلوا لأنهم أهملوا آداب الدين، وأنهم أهملوا آداب الدين لأنهم ضعفوا»..

وهكذا نرى أن كل علة من هذه العلل هي مقدمة من جهة ونتيجة من الجهة الأخرى، إلا

الحكومة السيئة فإنها ملتقى الأسباب والنتائج في كل عرض من الأعراض.

«طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»

وكتابه «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» هو آية الكواكبي وهو يتألف من سلسلة مقالات نشرها لأول مرة في صحيفة «المؤيد» وتناول في كل مقالة منها عارضا من عوارض الاستبداد التي يشاهد أثرها في أحوال الأمم والأفراد. والمقالات بمجموعها تدرس العوارض الاجتماعية التي تصاحب الاستبداد في أحوال الدين، والعلم، والمجد، والثروة، والأخلاق، والتربية، والتقدم. وقد مهد الكواكبي لهذه المقالات بتعريف الاستبداد، ثم عقب عليها بوسائل الخلاص منه.

والسؤال الذي يجبهنا عنه التحدث عن «طبائع الاستبداد» هو: كم في هذا الكتاب من الكواكبي؟ وكم فيه من غيره؟

يرى الأستاذ العقاد أن الكواكبي استفاد كثيراً من كتاب بعنوان «مقالات في الاستبداد» Della Tirannide للفيلسوف الإيطالي فتوريو الفيري Alfeeri. وكان هذا الكتاب قد ظهر في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٧٧ م) وشاع بين أيدي التوار الإيطاليين، والواقع أن ما بين «طبائع الاستبداد» و«مقالات في الاستبداد» أكثر من تشابه. وأنه تشابه قد يصل أحياناً إلى درجة التتبع، فالكواكبي قد أخذ من الفيري أفكاره الرئيسية، ولكنه طبقها على المجتمع الإسلامي والعربي. ومن ينظر في الكتابين نظرة عابرة يرى أن كلا من الكتابين كتب في: تعريف الاستبداد وتعريف المستبد، ثم كتب عن الخوف والتملق والطموح، ثم كتب عن الانحلال والدين والمقابلة بين الاستبداد القديم والحديث وعن الشرف المزيف والمجد الكاذب، وعن نفوذ الزوجات في عهود الاستبداد، وعن وسائل المقاومة للاستبداد، وعن الشعوب التي لا تحس الطغيان والحكومات التي تترك البه. والفرق بين الفيري والكواكبي أن الكاتب الإيطالي قد طبق هذه الموضوعات على أحوال الأمم الأوروبية، بينما طبقها الكواكبي على أحوال الأمم الشرقية عامة، والإسلامية خاصة. ويتساءل الأستاذ أحمد أمين في كتابه «زعماء الإصلاح في العصر الحديث»: كيف وصل الفيري إلى علم الكواكبي؟ ولكنه لا يجيب على هذا السؤال.

ويرى الأستاذ العقاد أن الكواكبي عرف الفيري عن طريق الإيطاليين في حلب، كما أنه كان يلتقي بوكلاء الحكومة الإيطالية في شواطئ بحر العرب. وينقل على إحدى السفن الإيطالية باذن أولئك الوكلاء «فليس بالعسير بعد ذلك أن يعرف الكواكبي شيئاً عن الكاتب الإيطالي المشهور» كما وصفه في كلامه.

والأرجح في رأيي أن الكواكبي إنما اطلع على الكتاب في ترجمة التركية، وهي لغة يتقنها وقد قام بترجمة كتاب الفيري إلى التركية كاتب من أحرار الترك المهاجرين إلى سويسرة أسمه عبد الله أمين. والذي يدعونا إلى مثل هذا الاعتقاد أم ما بين الكتابين من تشابه يكاد يبلغ حد التماثل، لا يمكن أن يكون نتيجة اتصال بايطاليين قد اطلعوا على الكتاب وتحدثوا عنه إلى الكواكبي، بل نتيجة اطلاع على الكتاب نفسه. وبما أن الكواكبي كان يجهل اللغة الإيطالية إذن لم تبق هناك من وسيلة تفسر اطلاعه على الكتاب سوى وصول الترجمة التركية إلى يديه.

ويرى كتاب آخرون أن الكواكبي قد تأثر في كتابه بالكتاب الفرنسيين الذين مهدوا للثورة الفرنسية. يقول إبراهيم سليم النجار: «سبق لي أن قرأت في شبابي كتاب (الكونترا، سويسال) أي العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، ثم انقطعت عن الرجوع إليه، فلما قرأت كتاب «طبائع الاستبداد» أعاد إلى ذاكرتي كتاب الكاتب الفرنسي العظيم. ولو كان الشيخ العربي، يعرف ولو قليلاً، اللغة الفرنسية لاعتقدت أنه أخذ عنه أو احتذى حذوه، ولكن الحقيقة أن العقول النيرة والقلوب الكبيرة نيرة وكبيرة مهما اختلفت لغاتها وبلادها وأقاليمها...»

والحقيقة أن أولئك الذين لاحظوا تأثر الكواكبي بكتاب الثورة الفرنسية مصيبون. ولكن فاتهم أن هذا التأثر قد جاء عن طريق غير مباشر فالكواكبي متأثر أولاً وأخيراً بالفييري، والفييري متأثر إلى حد كبير بروسو، ومنتسكيو، ومكيا فيلي.

وليس التشابه موجوداً بين الكتابين فقط، بل بين الكاتبين أيضاً: فيين الكواكبي والفييري شبه كبير في السيرة والمنزعة وظروف الحياة، فكلاهما تعود الرحلة في طلب المعرفة بأحوال الأمم. وكلاهما اضطر إلى الكتابة في ظل الرقابة، وكلاهما نزل مختاراً أو مضطراً عن ثروته. وزاد الفييري فأسلم ما بقى له من الثروة إلى أخته لتسلمه منها نفقته التي يحتاج إليها، رغبة منه في التفرغ للرحلة والكفاح والدعوة باللسان.

وفاته سر من الأسرار

وتختلف الروايات في تفسير الأسباب التي أدت إلى وفاة الكواكبي، من جواسيس السلطان عبد الحميد الثاني، الذين دسوا له السم في الطعام. كما ترى روايات أخرى أنه مات بالذبحه الصدرية.

وضريح الكواكبي بالقاهرة بباب الوزير، وعلى صفحته المرمرية بيتان لحافظ إبراهيم

هما:

هنا رجل الدنيا، هنا مهبط التقى هنا خير مظلوم، هنا خير كاتب
قفوا واقروا أم الكتاب وسلموا عليه، فهذا القبر قبر الكواكبي

وإذا أردنا أن نوجز القول في الكواكبي، قلنا فيه ما قاله فيه الأستاذ العقاد:

«رجل دائم الشعور بعرويته، شديد الغيرة على نسبته العربية.. تجرد لرسائله وتفرد بها في بيئته، لأن هذا الاستعداد الموروث منذ القدم يسائده استعداد خاص به من فطنته وخلقه ومطالعته وبواعثه النفسية. فلا تكفيه الفطنة وحدها لأن الفطنة لا تقدم ولا تؤخر ما لم تساعد الخلاق التي تصبر على الشدة، وتقدم على المخاوف، وتضطلع بتكاليف النجدة والمروءة، ولا تغنيه الفطنة والخلق بغير البواعث النفسية التي تثير الضمير وتستجيش الخاطر، وبغير البيان الذي استفاده من دراسته واطلاعه وحسن اصغائه إلى ذوي المعرفة والخبرة من صحبه.

كان الرجل قضية حية متفقة المقدمات والنتائج.

كان شخصية قوية جلية لا موضع فيها لغموض أو التواء.

مفتاحها إذا التمسنا المفتاح لبعض زواياها أنها: شخصية عزيز قوم يغضب لكرامته وكرامة

قومه».

(العربي : ٧٧)

مفكر في باب الوزير

لم تكن رحلة البحث عن ضريح الكواكبي في مدينة القاهرة سهلة، فهيئة الآثار المصرية لم تدرجه في سجلاتها والذين كتبوا عن جوامع القاهرة ومقابرها وأسبلتها أهملوا الإشارة إليه لأسباب مجهولة.

كنت أتصور أن البحث عن مقبرة عبد الرحمن الكواكبي أمر هين، يندرج في سياق التحقيق الصحفي العادي، خاصة بعد أن نما إلى علمي أنه قد تم الوصول إليها من قبل لكن بعد الاتصال بهيئة الآثار المصرية الجهة المنوطة بالاختصاص بدا الأمر وكأنه أحد الألفاظ والأحاجي فقد أفاد مسؤولوا الهيئة بأن المقبرة ليست مسجلة أثراً، وبالتالي فهي غير مدرجة في سجلات الهيئة لكن يمكنك البحث عنها في مقابر مصر القديمة، أو الامام الشافعي، أو المجاورين، أو الغفير أو البساتين.. أو تمهلنا بضعة أيام حتى نستطيع أن نحدد لك مكانها بشكل تقريبي. ولم تسعفني محاولتي الاستعانة ببعض الأصدقاء من ذوي الخبرة بهذا الشأن، فقد جاءت هي الأخرى بالفشل وازداد حنقي حين تصفحت كتاب الدكتور سعاد ماهر الشهير بأجزائه الخمسة عن «مساجد القاهرة وجوامعها وأضرحتها ومقابرها وأسبلتها». وخرجت بخفي حنين، فليس في هذا الكتاب الضخم إشارة من قريب أو بعيد إلى مقبرة الكواكبي، على الرغم من أن قد أحصى عدداً هائلاً لمقابر أناس أقل منه شأنًا ومكانة.

وامام هذه المتاهة لم نجد أنا وزميلي المصور الصحافي مخلص ابراهيم بدءاً من التسليح بالصبر والادارة الخاصة، حتى توصلنا بعد يومين من الكد والبحث المضني إلى مقبرة الكواكبي، وقد أصابنا الوضع المزري للمقبرة بحالة من الأسى والمرارة، وبدونا غير مصدقين أنه هاهنا دفن علم من أبرز أعلام نهضتنا العربية، وأحد رواد جيل التنوير الأول.

صورة وصفية

تتوسط المقبرة مقبرتين أخريين بمقابر الوزير تحت سفح القلعة، وهي عبارة عن حوش ضيق مفتوح بلا سقف محاط بسور حديدي متآكل لا باب له، وتتناثر حول المقبرة من كل الجهات مخلفات شتى من القمامة، ولوحة البيانات الرخامية المصنوعة من المرمر. كما تشير إلى ذلك المراجع مهشمة تماماً، مما يجعل قراءة البيانات المدونة عليها أمراً شديداً الصعوبة، وليس واضحاً سوى بيتي الشعر اللذين رثا بهما شاعر النيل حافظ ابراهيم الكواكبي، وقد كتب على الجانب الأيمن للمقبرة وهما:

هنا خير مظلوم هنا خير كاتب

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى

قفوا واقروا أم الكتاب وسلموا عليه فهذا القبر قبر الكواكبي

أما المقبرتان الأخريان فهما للشيخ محمد الشافعي الرفاعي الشهير بالأربعين وقد توفي في ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٢٥، وسيدي محمد العراقي «عراقي» وقد توفي في ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٢٧. وصل عبد الرحمن الكواكبي إلى مصر. كما يقول الدكتور سامي الدهان في كتابه عنه. في ٢٢ رجب ١٣١٦ هـ فاراً من بطش حاكمها التركي الوالي عثمان باشا الذي كاد للكواكبي ودس عليه وأحاله إلى المحاكمة وأقاله من وظيفته وأدخله السجن مرتين برأته فيهما المحكمة. وتكتم الكواكبي خبر سفره إلى مصر حتى على أعز أخوانه وأصدقائه بل أنه أخبر صديقه كامل الغزي آنذاك أنه عازم في غده على السفر إلى استانبول ويروي الغزي: «كنت عالماً بكتابه «جمعية أم القرى» وقد شعرت منه بالعزم على طبعه فوق في نفسي أنه سيعرج على مصر لطبعه ونشره، إذ لا يمكنه أن يطبعه في غيرها. وحذرت من ذلك وقلت له إياك يا أخي والسفر إلى مصر فإنك متى دخلتها تعذر عليك الرجوع إلى وطنك، لأنك تعد في الحال من الطائفة المعروفة باسم «جون ترك» لايتأخر وسمك بهذه السمة قيد لحظة، لما اشتهرت وعرفت به من شدة المعارضة وانتقاد الأحوال الحاضرة، فقال لم أعزم إلا على السفر إلى استانبول للغرض الذي ذكرته لك ثم ودعني ومضى».

لكن عباس محمود العقاد في كتابه عنه «عبد الرحمن الكواكبي. الرحالة ك» يؤكد أن الكواكبي وصل إلى مصر في منتصف شهر نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٩٨ وتخلل فترة إقامته فيها رحلتان يقول عنهما صديقه صاحب المنار الشيخ رشيد رضا: «أنه وجه همهته أخيراً إلى التوسع في معرفة حال المسلمين ليسعى في الإصلاح على بصيرة، فبعد اختباره التام لبلاد الدولة العلية. تركها وعربها وأكرادها وأرمنها. ثم اختباره لمصر ومعرفة حال السودان منها، ساح منذ سنتين في سواحل أفريقيا الشرقية وسواحل آسيا الغربية، ثم أتم سياحته في العام الماضي فاختر بلاد العرب التي كانت موضع أمله أتم الاختبار، واجتمع بالأمرء وشيوخ القبائل فيها وعرف استعدادهم الحربي والأدبي وحالة البلاد الزراعية وعرف كثيراً من معادتها حتى أنه استحضر نموذجاً منها. وقد انتهى في رحلته الأخيرة إلى كراچی في الهند وساح في طريق عودته بسواحل بلاد العرب وسواحل أفريقية الشرقية».

ويورد جورج زيدان في كتابه عن مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر الكثير من أخبار رحلات الكواكبي وبأسف لضياح ثمار هذه الرحلات التي لم يسبقه إليها أحد، ويندر أن يستطيعها أحد غيره. أجواء قاهرة

سكن الكواكبي في أحد المنازل بشارع الإمام الحسين بالقرب من الأزهر في مدينة القاهرة وقد أثر الكواكبي ذلك لم لهذا الحي من عراقة وطنية وشعبية وحيوية خاصة لم تفقد بريقها حتى الآن. وسرعان ما عرف واشتهر خاصة بعد نشره كتابه «أم القرى» دون ذكر المؤلف. لكن صيته اتسع وانتشر بعدما نشرت له جريدة «المؤيد» مقالات متفرقة عن الاستبداد وقّعها بالأحرف الأولى من اسمه وجمعها فيما بعد وأضاف إليها وطبعت في كتاب بعنوان «طبايع الاستبداد» وقد أحدث الكتابان صدًى عميقاً في مصر وتلقفهما الناس بحماسة شديدة، كما أثار جدلاً واسع النطاق في أوساط النخبة المثقفة في

مصر وفي معظم البلدان العربية، وهربت منهما نسخ إلى سورية وزعت سراً، وقد صدر قرار من السلطان العثماني بمنع دخولهما إلى الممالك العثمانية.

وقد تسبب نشر هذه المقالات في منع المؤيد من دخول الدولة العثمانية حيث يذكر صاحبها الشيخ علي يوسف أن هذه المقالات كانت أشد على نفس السلطان من كل ما نشره الكتاب الأحرار في مصر وأوروبا، وأن مختار باشا المبعوث العثماني في القاهرة قد نصحه بعد النشر وبعث له من ينذره بسوء مصيره.

ويُفند العقاد ما قيل حول شائعة استخدام الخديو عباس الثاني الكواكبي في تحقيق حلمه في التوق إلى الخلافة، وأنه أرسل ليقوم بالدعاية له لقاء مرتب شهري قدره خمسون جنيهاً مصرياً، وليسعى لدى الشيوخ وعريان الإمارات بتوقيع عرائض يبايعون فيها الخديوي عباس بالخلافة كما قيل أن الكواكبي قد سافر في أنحاء الشرق في عام ١٩٠١ من أجل ذلك، وأنه اجتمع أثناء رحلته إلى الجزيرة العربية بقنصل إيطاليا بحديدة في اليمن من أجل هذا الغرض نفسه، وأن الدولة الإيطالية قد يسرت له الرحلة طمعاً في نجاح المسعى إلى خلع الخلافة التركية لتتمكن من تحقيق أطماعها الاستعمارية في شواطئ البحر، وفي ظل الخلافة العربية المنتظرة بعد إقامتها على مقربة من مناطق نفوذها.

ويرى العقاد أنه لا مصلحة للدولة الإيطالية في إقامة الخلافة بأرض يحتلها الانجليز ويسيطرون بها على شواطئ البحر الأحمر من شمالها إلى جنوبها. أما اتصال الكواكبي بالخديو عباس فيكفي في تفسيره أن الكواكبي قد وصل القاهرة خلال أزمة من الأزمات المستحكمة بين «عابدين» مقر الحكم في مصر و «يلدز» مقر الخلافة في الأستانة وبين «عابدين» و «نقابة الأشراف» التي كان أبو الهدى الصيادي يتولاها في عاصمة الخلافة. فلا غرابة إذن في اتحاد الخطة بين الخديو بين صاحب طبائع الاستبداد في تلك الفترة، ولا في التحالف بينهما في اتقاء الشر من دسائس «يلدز» ودسائس نقابة الأشراف في أونه واحدة.

ويؤكد العقاد أن تلك الفترة (١٨٩٨-١٩٠٢) كانت أصلح الأوقات لانتفاع الكواكبي في مساعيه بزيارة القاهرة. فقد استطاع أن ينشر مقالاته في «المؤيد» صحيفة الخديوي الشبيهة بالرسمية، ولولا ذلك لاضطر إلى الكتابة في الصحف المتهمه بخدمة الاستعمار تعصباً منها للدول الأوروبية على دولة الخلافة. ولم يسلك هذا الطريق داع من دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي إلا وتعثرت به السبل.

ويرجح العقاد أن الكواكبي طوى «طبائع الاستبداد» في حلب ولم يطلع عليه أصدقاؤه مثلما فعل مع كتاب «أم القرى» ويبرر العقاد ذلك بأن الكواكبي قد صرح في «طبائع الاستبداد» بالدعوة إلى الخلافة العربية، وأنكرها على بني عثمان ورماهم بالتواطؤ مع الدول الأجنبية على التنكيل بمسلمي الأندلس، ومسلمي الإمارات الآسيوية كما أنه يشتمل على مأخذ منكراً أخذها على الأمراء المستبدين وعزا فيها تخلف المسلمين إلى مساوئ هؤلاء الأمراء وسوء سياستهم وتدليسهم على رعاياهم وتقريبهم

للمفسدين والدجالين من الولاة ورجال الدين.

وبرغم ذلك يرى العقاد أن الكواكبي لم يفرغ من كتاب «طبائع الاستبداد» وأعداده للنشر والتلاوة إلا في القاهرة والتي يؤكد أنه وصلها في منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٨.

أما عن أخبار الكواكبي الأخرى في القاهرة فتؤكد المؤلفات التي تعرضت له أنه كان شديد الوقار والحلم والفطنة، عفا اللسان يتمتع بحسن الملاحظة وصدق الإرادة. كما كان يتجنب التحيز لفريق بعينه من أصحاب الخصومات السياسية. فكان يلتقي الامام محمد عبده وتلاميذه، كما يلتقي الشيخ علي يوسف وزملائه من أنصار السياسة الخديوية وكان يجتمع بكل من تجمعهم جلسة «سبلندبار» وجلسة «يلدن» وكانتا من أندية القاهرة المشهورة في تلك الفترة، وبينهم طائفة من حزب «تركيا الفتاة» وطائفة من دعاة الجامعة الإسلامية وكان المتطرفون من جماعة «تركيا الفتاة» يفضلون الجلوس بمقهى «يلدن» تفاضلاً باحتلال يلدز الكبرى مقر الخلافة في الأستانة في يوم من الأيام. وكان يحاورهم من دون تعصب ويصدر مفتوح، ولا يعرض عنهم، وربما كان بينهم أذنان مدسوسون من قبل السلطان عبد الحميد أو أعوانه، أو خدام الدسائس الأجنبية المتكرون في ثياب الوطنية، فيعرفهم أو لا يعرفهم ثم لا يبالي أن يستمعوا إليه ويستمتع إليهم. وأحياناً كان يعتصم بالصمت ساعات طويلة إذا تطرق بهم الحديث إلى غير ما يرضيه.

ومن أهم أصدقاء الكواكبي السوريين في مصر والذين هربوا إليها قبله الشيخ رشيد رضا، ومحمد كرد علي، وإبراهيم سليم النجار. وطاهر الجزائري، وعبد القادر المغربي، ورفيق العظم، وعبد الحميد الزهراوي وبعض الصحفيين. وكانوا مشهورين بسعة العلم والمعرفة والبلاغة والبيان وكان يلتقون كل مساء في مقهى «سبلند بار» بالقاهرة تجمعهم المودة والألفة والحب والتحاور في القضايا الوطنية وكرامة الإنسان العربي وحقه في الحرية والاستقلال والتمرد على العبودية والاستبداد.

عانى الكواكبي بعد رحلته في أواسط جزيرة العرب والتي قطعها على متون الجمال لأكثر من شهر فقد عاد إلى القاهرة من غير عمل يسد به نفقته لكنه ظل هادئاً يحلم برحلة أخرى إلى الغرب يستكمل من خلالها مشاهداته ومعارفه، لكن هذه الأمنية لم تتحقق فقد وافته المنية بعد ثلاثة أشهر من عودته إلى القاهرة مساء الخميس ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٠٢.

ليلة الرحيل

وقد تعددت الروايات عن ليلة وفاته فيروي أحد أصدقائه الشيخ صالح عيسى وكان مقيماً في مصر أن الكواكبي جاءته في يوم وفاته بطاقة دعوة من الخديوي وكان مصطحفاً بالاسكندرية لحضور ضيافة يقيمها في هذا اليوم في إحدى سراياته بالأسكندرية فأجاب الكواكبي الدعوة وركب قطار السرعة وقابل الخديوي وحضر ضيافته وعاد إلى القاهرة في نفس اليوم وفي الليل سهرنا معه في مقهى «استنبول» مع جماعة من أدباء مصر وأفاضلها يزيد عددهم على العشرة وكنت جالساً إلى جانبه. وفي الساعة الرابعة من تلك الليلة هممت بالقيام لأن النوم غلبني، فاستدعاني إليه وقال لي: أحس بوجع شديد في خاصرتي اليسرى وهو إذا دام معي ساعة أخرى فلا شك أنه قاتلي فقلت له:

لابأس عليك انشاء الله، ثم انصرفت إلى منزلي ورقدت في فراشي وما كاد شفق الفجر يلهب فحمة الليل إلا والباب يطرق علي ففتحت فإذا بالطارق ابنه كاظم فقال لي: إن أخاك والدي قد مات فدهشت من هذا الخبر المفاجئ.

أما الدكتور سامي الدهان فينقل في كتابه رواية أخرى مفادها أن الكواكبي مساء الخميس ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٠٢ جلس في مقهى يلدز قرب حديقة الأزبكية إلى أصحابه وأصدقائه ومنهم السيد رشيد رضا والأستاذ محمد كرد علي وإبراهيم سليم النجار وشرب قهوة مرة، وبعد نصف ساعة أحس بألم في أعضائه فقام للحال وقصد مع ابنه السيد كاظم في عربة حنطور إلى الدار وظل يقىء حتى قارب الليل منتصفه فأصيب بنوبة قلبية ضعيفة فأحس ابنه بالخطر وهب يستدعي أقرب طبيب من المحلة، ولما عاد بصحبة الطبيب وجد أباه قد فارق الحياة. وسرى الخبر صباح الجمعة بمدينة القاهرة فأمر الخديوي بدفن الكواكبي على نفقته الخاصة في قراقة باب الوزير بصفح المقطم واحتفل له السيد علي يوسف صاحب جريدة المؤيد بثلاث ليال حضر فيها القراء.

ويوضح العقاد أنه بسبب هذه الروايات المختلفة اتفق بعض الناس على ظن أن الكواكبي ذهب ضحية الغدر والدسيسة وأنه مات مسموماً بتدبير من أبي الهدى رئيس ولاية الأشراف أو من جواسيس السلطان عبد الحميد وعلى الرغم من أن أحداً في ذلك العصر لا يستبعد هذه الفعلة وأمثالها على المتهمين بها إلى أن أرجح الأقوال. حسب رأي العقاد. ماكتبه الأستاذ محمد لطفي جمعة في مجلة الحديث عام ١٩٣٧ إذ يقول: «أنه ذهب ضحية ذبحة صدرية». لكن مما يعزز هذه الشائعة العداء المستحكم بين الكواكبي والسلطان عبد الحميد، فيروى أنه ما كاد يتناهى إلى سمع السلطان عبد الحميد خبر وفاة الكواكبي إلا وأصدر ارادته إلى السيد عبد القادر القبانى صاحب جريدة «ثمرات الفنون» التي كانت تصدر في مدينة بيروت بأن يذهب سريعاً إلى منزل الكواكبي ويحضر جميع ما يجده من الأوراق ويرسله إلى المابين (الباب العالي).

وبعد خمس عشر سنة من وفاته نقلت مصلحة التنظيم المصرية رفاته في احتفال ديني مهيب إلى مقبرة خاصة ببعض مشاهير الرجال بمنطقة باب الوزير. وكتب اسمه وتاريخ وفاته وتاريخ نقله على صفيحة من المرمر، كما كتب أيضاً بيتاً شاعر النيل اللذان قالهما في رثائه. ولكن شتان بين هذا الاحتفال وما ألت إليه المقبرة الآن.

يبقى أن أقول أنه بالرغم من أن عبد الرحمن الكواكبي كان تلميذاً معاصراً لجمال الدين الأفغاني والتقى معه في الكثير من الأفكار حول الجامعة الإسلامية إلا أنه احتفظ للعرب بمركز الصدارة فيها مميّزاً بين الحركة العربية والحركة الإسلامية العامة. كما أنه استطاع بعقله الضد أن يفرق بين عوامل البقاء والنهضة في الأمم وبين مراسم السمات والزينة في الحكومات لذلك فليس غريباً أن ينادى بأن الحرية روح الدين. وأن وعي الحرية هو في صميمه إيقاظ الوعي الإنساني، وعي الحرية والكرامة في نفوس العرب والمسلمين وهو وعي يسبق تحقيق الحرية نفسها. وإلى الكواكبي يرجع الفضل في النظر إلى السياسة كعلم متشعب له فنونه ومباحثه الخاصة.

البحثري

ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري.
ولد بمنبج، شاعر يقال لشعره «سلاسل الذهب» وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم «المتنبي، وأبو تمام، والبحتري».
قال الأمازي في الموازنة: كان يكنى أبا عبادة ولما دخل العراق تكنى أبا الحسن ليزيل العنجهية والاعرابية ويساوي في مذاهبه أهل الحاضرة ويقرب بهذه الكنية إلى أهل النباهة والكتاب من الشيعة، وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن وأنه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه عدل إلى أبي عبادة والأول أثبت.

وقال اليافعي: كان البحتري أمير شعراء عصره ورئيس فصحاء دهره وشعره يقال له سلسلة الذهب وهو في الطبقة العليا، ولد بمنبج ونشأ بها ورحل إلى بغداد ومدح خلفاء وقته ووزراء عصره وامراء زمانه كما هو ظاهر في ديوانه وأقام بالعراق مدة طويلة ثم عرج إلى الشام واجتمع مع أبي تمام بحمص في أول أمره قبل شهرته ومعروفيته، واستفاد منه وكتب في إكرامه إلى أهل معرة النعمان فأكرموه وأعطوه أربعة آلاف درهم وهي أول إنعاشه.

تشيعه

قال عبد الجليل الرازي استاذ ابن شهر آشوب المازندراني: البحتري من شعراء الشيعة وكان خصيصاً بدعيل الخزاعي ومن اصدقائه كما في كتاب اكتفاء القنوع وغيره، ذكر ذلك في ترجمة البحتري. وخلوص دعيل في التشيع مشهور واكرام أبي تمام للبحتري أيضاً كذلك. ويظهر من الشيخ أبي عبد الله أحمد بن عياش في كتابه مقتضب الاثر في امامة الأئمة الاثني عشر ان البحتري وأبي الغوث الطهوي كانا من الشيعة الاثني عشرية، لكن البحتري يمدح الملوك وأبي الغوث يمدح آل الرسول، وذكر قصيدة لأبي الغوث في مدح الأئمة من آل محمد الاثني عشر، قال كان البحتري أبو عبادة ينشدها وتلك القصيدة لا يمكن ان ينشدها الا من كان الامامية لان من جملتها قوله:

ينابيع علم الله أطواد دينه	فهل من نفاذ أن علمت لأطواد
نجوم متى نجم خبا مثله بدا	فصلى على الخابي المهيمن والبادي
عباد لمولاهم موالى عباده	شهود عليهم يوم حشر واشهاد
هم حجج الله اثنتي عشرة متى	عددت فتاني عشرهم خلف الهادي
بميلاده الانبياء جاءت شهيرة	فاعظم بمولود وأكرم بميلاد

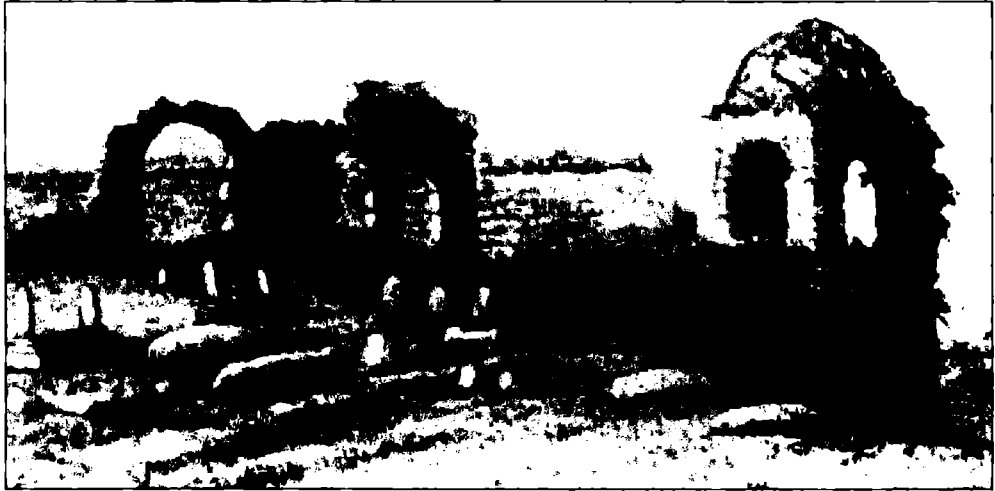
وهي طويلة كتبنا منها موضع الحاجة إلى الشاهد:

وللبحتري في هجو علي بن الجهم نديم المتوكل ابيات يعنفه على نصبه مذكورة في ديوانه المطبوع وغيره وما حركه على ذلك إلا التشيع منه قوله:

إذا ذكرت قريش للمعالي فلا في العير انت ولا النفير
وما رعنانك الجهم بن بدر من الاقمار ثم ولا البدر
لأية حالة تهجو علياً بما لفقت من كذب وزور
وله أيضاً في هجاء ابن الجهم المذكور وهي أيضاً في الديوان:

يا سواة من رأيك العازب وعقلك المستهتر الذاهب
ان وقفت سوقك او اكسدت بضاعة من شعرك الخائب
انحيت كي تنفقها زارياً على علي بن أبي طالب
قد أن ان يبرد معناكم لولا لجاج القدر الغالب

«اعيان الشيعة ج ١٠، الاعلام ١٢١/٨، وفيات الاعيان ١٧٥/٢».



مزارات الكرك

الأيام الصعبة*

توالت النكبات على الشيعة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ولم تكن عناصر قوتهم ومنعتهم واستقلالهم هي المستهدفة وحدها، بل تجاوز الأمر ذلك إلى استهداف وجودهم وكيانهم بذاته. فتألبت عليهم جهات متعددة وقوى متحالفة وفاعلة يغذيها دعم سياسي وعسكري ومالي محلي ودولي غير محدد. شنت عليهم حروب شرسة في ظل موازين قوى غير متكافئة هدفت إلى القضاء على تواجدهم في مناطق معينة ومحددة والاستيلاء على بلادهم وأملakهم بدفعهم شرقاً نحو السفوح والسهول إلى خارج ما كان يعتبر في ذلك الوقت من لبنان وتوجيه ضربة تهز عنفوانهم وإرادة الصمود والمقاومة لديهم لإقفال أي طريق قد يخرجهم من هذا النفق المظلم ويبعث في نفوسهم أمل الخلاص والعودة.

دخل جبل عامل في أقسى فترات تاريخه وأشدّها مرارة ومأساوية بعد معركة يارون ومقتل ناصيف النصار الوائلي الزعيم الشيعي التاريخي في أيلول ١٧٨١م. والذي فقد العامليون بعده استقلالهم الذاتي الاقتصادي والعسكري وكل ما نعموا به ودافعوا عنه بتشبت وعناد طيلة قرون ماضية، فاجتاحته عساكر الجزار لتنتشر الموت والدمار حيث مرت فتسبي نساء وفتيات، وتبعثر أهله وسكانه في كل أرجاء الأرض حتى وصل بعضهم إلى أقاصي الهند والأفغان، وبيع أطفاله ونسائه في الأسواق بيع العبيد الأرقاء بعد أن قتل وأسر معظم شيوخه وأعلامه وعلمائه وفر الباقون هرباً من المصير المرتقب. فضبط الجزار أملاكهم واستولى على مقتنياتهم ويسط يده على أراضي الدولة ومنها «جفتلك رأس العين» وقسم كبير من بساتين صيدا ومطاحن جبل عامل وكرومه وزيتونه ومعاصره. ووصل بعض أعلام العاملين إلى جبل حلب والأناضول، ومنهم من طلب الحماية في عكار وبلعك والهرمل. وتعرضت القرى باستمرار للنهب والسرقة والتعديات من جانب رجال الجزار ومماليكه وعساكره الذين كانوا يضربون خوات كبيرة ويجبون الضرائب عدة مرات في السنة ويعتقلون ما بقي من شباب وفتيان ليلقوا بهم في جحيم السخرة أو السجن^(١). لم يختلف كثيراً مصير بلعك مدينة الشيعة وملجأ شيوخهم وقادتهم وعلمائهم عما ابتلي به جبل عامل بعد أن استقبلت المطاردين والفارين من ديارهم أمام مظالم الجزار وأعوانه، فأكرمت وفادتهم وخفضت ما أمكن من معاناتهم وكانت قبل مدة وجيزة بقيادة أميرها حيدر قد ساهمت في دعم مقاومة الشيعة الآخرين في جبل لبنان أمام حملة التهجير والإبادة التي تعرضوا لها. فجاء دورها الآن لتدفع ثمن ما قامت به وتواجه غضب الولاة العثمانيين بعد أن اتفق الجزار مع محمد درويش باشا والي الشام فأرسل جيشاً قوياً إلى بلعك وصلها سنة ١٧٨٤م. واجتاحها

* مما اخترناه من كتابه الشيعة في لبنان

(١) ولاية سليمان باشا العادل، العورة، ص ٥٤.

بوحشية وألقى القبض على أميرها مصطفى وإخوته وأقاربه وساقهم إلى الشام حيث أعدم مصطفى وثلاثة من إخوته. وكما فعل جيش الجزائر في جبل عامل، دخل عسكر محمد درويش باشا إلى المدينة وأريافها وسبى الحريم ومنهن حريم الأمير نفسه. وهرب الحرافشة وأعوانهم وتواروا عن الأنظار، ولم يبق في بعلبك إلا الأسر المسالمة من الشيعة. فنكل بها وطوردت وصودرت دورها وأراضيها وتشنت شملها ومنعت من الانتفاع بالمرافق العامة، وقُضي على الحكم الشيعي ورجاله قضاءً مبرماً وعين رمضان آغا متسلماً وحاكماً على بعلبك قبل أن يتمكن الجزائر من إلحاق المدينة بسلطته ويحكمها بواسطة أحد مماليكه سليم آغا.

في جبل لبنان تعرض كل من بقي من الشيعة لأبشع ممارسات التنكيل والإذلال فأملاكهم تفتصب أمام أعينهم، ويطردون من بيوتهم وديارهم ويرغمون على مغادرتها إلى حيث لا يعلمون. يتحكم في مصيرهم جماعة من المغامرين المغمورين بعد أن مكّن لهم الاستعانة بسيف السلطان وهم من الذين نشأ معظمهم وتدرّب على أمور الحكم في بيوت حكامهم السابقين من الشيعة في الوقت الذي كانوا يخططون فيه لتأليب كل القوى وتجنيدھا للاستعانة بها على التنكر لهم والانقلاب عليهم.

«أرسل الجزائر حملة إلى بلاد المتاولة فدافعت قبائلها بشجاعة تحت قيادة الشيخ الحكيم والمقاتل القديم ناصيف النصار الذي سقط في المعركة. مشايخ المتاولة الذين كانوا يحمون ضيوفهم الشهابيين في فترات مختلفة لجأوا يفتشون عن مساعدة عند الأمير يوسف. لكنه قام بتسليمهم»^(١). أدرك القنصل الروسي دقة هذه المرحلة التي مرت على الشيعة وعلى لبنان بوجه عام قال: سنة ١٧٨٦م^(٢). تمكن درويش باشا من طرد الأمراء الحرافشة وتعيين متسلم من قبله يدير المنطقة مباشرة. «وفي جبيل اضعف الأمير يوسف آل حمادة المتاولة الذين كانوا يملكون هذا السنجق. وهكذا فإن المتاولة في سوريا دخلت انحطاط منذ ذلك التاريخ وبالرغم من أن أحفاد آل حرفوش يظهرون الآن من وقت لآخر حكاماً لبعلبك، فإنهم يقومون بذلك من قبل الباشا وباسمه. أما الحقوق الإقطاعية والسلطة المراقبة لها، فقد فقدت منذ عهد بعيد لما فقدت العائلات والقبائل اللبنانية سلطتها وخرجت عن المسرح السياسي فاسحة في المجال أمام الحكم التركي المباشر بكل لا أخلاقياته الموروثة»^(٣).

يختصر القنصل بازيلي حال المتاولة كما يراها بعد الهزائم المتكررة التي لحقت بهم. ولم يكن القناصل والمراقبون الآخرون بعيدين عن الصورة القاتمة التي رآها زميلهم الروسي، فإن القنصل الفرنسي هنري غيز يبدو أكثر انفعالاً حين رأى أن المتاولة قد طردوا من بلاد جبيل، فتراجع بعضهم إلى ضواحي بعلبك. أما الآخرون، فاحتفظوا ببعض القرى في مقاطعتي جبيل وبشري وكانوا فيها ذوي قوة وبأس. بيد أن الجزائر أتى عليهم نهائياً إثر قتله زعيمهم إن هذا الباشا جعل منهم فلاحين

(١) بازيلي، ص ٩٣.

(٢) التاريخ الصحيح ١٧٨٣م، ١٧٨٤م.

(٣) بازيلي، ص ٩٣.

مقابل أجر معين يتقاضونه. ومنذ ذلك أصبحوا يعيشون بؤساء ثم أرهقهم تعنت الحكام المسيحيين والأتراك الذين ناهضوهم فازدادوا فظاظاً وخشوناً^(١). ويرى القنصل غيز أن أقاليم البلان والخروب والتفاح والريحان والشحار كانت تخص المتأولة غير أن الشهابيين استولوا عليها بتشجيع من الجزار الذي ضايقه موقف المتأولة التهديدي لهذه الأقاليم التي كانوا يعيشون فيها فساداً كلما نشب خلاف بينه وبين الطائفة^(٢).

في هذه الفترة العصبية التي خسر فيها الشيعة كل مظاهر قوتهم وسلطانهم وعناصر استقلالهم الذاتي واستقرارهم الاقتصادي، لم يبق منهم في مدينة صور وقراها سوى خمسمائة عائلة لاجئة تقطن لبنان المقابل^(٣).

في فترة زمنية لاتتعدى العقد الواحد (١٧٧٣م. ١٧٨٤م)، تساقطت الكيانات الشيعية الثلاثة، وهي الوحيدة في بلاد الشام، واحدة إثر أخرى بعد أن واجهت قوى ظاهرة ومستترة داخلية وعثمانية ودولية، وكانت ضحية هجمة عاتية تعدت غايتها حروب الإخضاع المألوفة في الإمبراطورية العثمانية وسوريا خصوصاً حيث كانت غالباً محدودة الأهداف والنتائج. وقد اجتهد المهاجمون في تدمير البنية الأساسية لهذه الكيانات بكل عناصر تواجدها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وخصوصاً البشري للحيلولة دون بروز إمكانية ما في مستقبل قريب أو بعيد لاستعادة بعض معالم الحياة والنهوض المحتمل من كبوتها الحاسمة. ومن أهم التدابير للوصول إلى هذه الغاية كان القيام بزرع تواجده بشري هجين، ولاسيما في مراكز السلطة والقرار الإداري والعسكري وترسيخها على أنقاضه. وكانت هذه مهمة المتسلمين الأتراك الذين حكموا في بعلبك وبلادها وجبل عامل وتحت تصرفهم مزارع من الأرنؤوط والمغاربة ثابتة ومقيمة لمنع محاولات العودة من جهة، ولاستمرار عمليات النهب والضغط والتنكيل من جهة أخرى.

أما في جبل لبنان، فقد فرض الوضع الديمغرافي والسكاني المختلف أن يتحكم في عساكر الولاية مدنيون محليون بدون خبرة سابقة يمارسون السلطة باسم صبي ضعيف الشخصية وشرس الطباع. فلم يكن غريباً أن يتكهن لامارتين بانقراض المتأولة السريع^(٤) عندما عاين أحوالهم في هذه الفترة. ووافقه الكثيرون من مواطنيه على هذا الرأي لأنهم كانوا في كل زمن هدفاً لاضطهاد العثمانيين وإن اقتارهم إلى حماية دولية كبقية الطوائف اللبنانية ساهم في إضعافهم وانهارهم السريع^(٥). في الفترة السوداء التي أعقبت هذه النكبات المتلاحقة كلها والتي عصفت بالشيعة في مختلف ديارهم، كان من الطبيعي أن تصاب بالشلل ولو إلى حين جميع أنشطتهم السياسية

(١) بيروت ولبنان. هنري غيز، ص ٥٠ الجزء الثاني.

(٢) المصدر السابق، الجزء الأول ص ٢٢٢.

(٣) مشاهدات في لبنان Laorty لورتي، ص ١٧٨. لبنان المقابل قد يكون المقصود به الجبل الشرقي أو بلاد بعلبك.

(٤) رحلة إلى مصر والشام بالفرنسي فولني، ص ٢٤٧ وربما كان الكاتب يعبر عن وجهة نظر الإدارة التي كلفته بهذه الزيارة وكان فرجين على رأسها.

(٥) سوريا اليوم، شارم Charnes, G ص ٤١ تاريخ الموارنة، ابو عبد الله ص ١٦٢.

والاجتماعية التي عادة ما تبرز في الأحوال العادية والمستقرة وتختفي في أيام المحن والأزمات، لأن الجهد والهَم سينصرفان في العقود المقبلة إلى الملمة الجراح البليغة التي أصيبوا بها بدون أن تصيب مقتلاً منهم، وامتصاص الضربة التاريخية التي حلت بهم بدون أن تكون كافية لتحقيق نبؤات لامارتين وشارم وسياسات يوسف الشهابي وأحمد الجزار وعثمان باشا الكرجي.

إن الحياة الفكرية والأدبية المزدهرة منذ قرون في جبل عامل رحلت عن مراتع تألقها مع المهاجرين العاملين من الفقهاء والشعراء والعلماء، ولا زمتهم لتزدهر حيث حلوا في المنافي والمهاجر شعراً ينطق بالحنين إلى أيام العز والهناء في ربوع الصبا ومهد الذكريات تبكي الأندلس المفقودة وفيضاً من الفكر والأدب حملته المشردون معهم إلى ديار ترحالهم حيث أضيف إلى سجل العطاءات العاملة صفحة مجيدة من الفكر المهجري الذي لا تزال آثاره وتأثيراته حية في الكثير من أنحاء العالم الإسلامي وخصوصاً الشيعي.

لم يكد ينطوي القرن الثامن عشر حتى بدأت تلوح في مستهله نهضة سياسية وعسكرية واجتماعية شيعية تلح على استعادة مكانتها السابقة في ديارها الطبيعية التي اضطرت إلى هجرها. بعد أن تفاقم الاضطهاد على الشيعة في بعلبك وتشنت شملهم وصودرت دورهم وأرزاقهم ومنعوا من الانتفاع بالمرافق العامة، قام بعض المتمردين على ما حل بهم من ضنك وشدة واتصلوا بأمير حرفوشي من فرسانهم وحضوه على رفع الظلم والحيث عنهم واستعادة بلادهم وحكم آبائهم. فقام الأمير جهجاه إلى العراق حيث أمدته عشيرته «الخزاعل» بالمال، فعاد ليشعل ثورة عارمة ميدانها من زحلة إلى الهرمل. وخاض على امتداد سنوات طويلة حروباً ومعارك عديدة^(١). وكان الأمير بشير الشهابي في ذروة قوته بعد موت الجزار، فتدخل في النزاع وصار تدخله تقليدياً زاد من اضطراب الأمور في المدينة وملحقاتها التي فشلت كل محاولات عساكر الشام لإخراج الحرافشة من مركز الحكم فيها وتسليمه إلى آغا تركي يحكم باسم والي الشام ولحسابه حكماً مباشراً ومركزياً.

بعد اكتساح الجزار جبل عامل ونهبه وتدميره وتهجير بعض أهله وجميع شيوخه وأعلامه واصل العاملليون حرب عصابات لم تخمد طيلة ربع قرن، اضطرت سليمان باشا والي عكا سنة ١٨٠٤م. إلى عقد اتفاق معهم اعترف لهم فيه بنوع من الحكم الذاتي لجبل عامل، فعاد الشيوخ المهاجرون إلى بلادهم وبقي الاتفاق قائماً حتى عام ١٨٢١م، تاريخ الاتفاق الجديد الذي عقده العاملليون مع والي عكا عبد الله باشا أعد إليهم حكم بلادهم كما كان في السابق قبل معركة يارون ومقتل ناصيف واعترفت الدولة بابنه فارس شيخاً على مشايخ جبل عامل. فاتخذ بلدة الزرارية مقراً له وبنى فيها داراً للرئاسة على نفقة الدولة. ولم يعد لموظفي الولاية من سلطة على الجبل بل انحصرت الاتصالات والمسؤولية في عميده فارس.

عاد النازحون إلى جبل عامل وتحرر الناس من الخوف والقلق، فعاد إلى ازدهاره القديم في الاقتصاد والثقافة والحرب. وبلغ أزهى عهوده الأدبية والفكرية في عهد حمد الحمود حاكم جبل عامل وشيخ مشايخه بعد فارس الناصيف.

مزارات الكرك

مزار النبي نوح^(١)؛

ضريح نقر في الصخر، يمتد أربعين ذراعاً، أي قرابة ثلاثين متراً عليه بناء قديم رمم مراراً. وقد وصف المقام عبد الغني النابلسي الذي زار بعليك والبقاع العزيز سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م. قال: «فرزنا فيها نبي الله نوح عليه السلام، وفاح لنا من طي جوانبه نشرها، ورأينا طول قبره بمقدار شيت عليهما السلام. وذلك مقدار أربعين ذراعاً: مائة وعشرون بالشبر التام. وفوق قبره جبلون من الخشب بمنزلة السفينة المقلوبة، وقد صُفّت فوقها الكراميت من الفخار المشوي كأسطحة بلاد الروم، وحول القبر درابزينات منصوبة، وذلك القبر في صحن الجامع المبلط بالاحجار^(٢). المسجد: قام على الجانب الغربي من المزار، طوله أربعة عشر متراً وعرضه عشرة امتار. له محراب جميل، وبوابتان قديمتان في الجدار الجنوبي، الأولى عن يمين المحراب، والثانية عن يساره، وحجارتها متوسطة الاحجام ومنحوتة تعلوهما كتابات قديمة لكنها مهشمة. وله بوابة ثالثة في الجدار الشرقي تكون مدخله الحالي، وتقضي إلى الصحن المبلط. وفيه صفتان من الأعمدة كل صف يتكون من عمودين الأول عن يسار المحراب عليه كتابات ونقوش من عهد المماليك هي عبارة عن مراسيم تتعلق بالأوقاف. وضمنها كتابة من عهد الظاهر برقوق بإشراف الوالي الظاهري السيفي المنجكي، ونستنتج من وصف النابلسي للمسجد القديم ان التعديلات قد اصابته مع الزمن، لقد ألغى المنبر، كما ألغيت المئذنة القديمة التي كانت تنتصب في زاويته الشمالية عند رأس القبر وتحول مدخلها إلى خزانة صغيرة. ونقلت إلى طرف المقام الجهة الشرقية (عند أقدام القبر) هذه المئذنة الشاهقة استخدمت أيام السلم لإعلان الأذان، لكنها اتخذت أيام الحروب، معقلاً يتحصن به المدافعون عن القرية^(٣). جاء في وصف النابلسي للمسجد، وذلك القبر في صحن الجامع المبلط بالاحجار، وحول ذلك الصحن جدران الجامع مبنية بالحجارة المنحوتة. وفيها شبابيك الحديد تطل من العلو على تلك المروج والأقطار والجامع مبني مع القرية فوق الجبل، وفيه محراب ومنبر، وله منارة لطيفة فوق رأس القبر، بها ذلك الحسنُ اكتمل. وربما قال مؤذنها مكان حي على الصلاة، حي على خير العمل. وفي طرف صحن الجامع قبة مبنية من الحجارة المنحوتة، وتحتها فسقية يجري فيها الماء من ماء القرية، تطل تلك القبة على تلك الجهة المنعوتة^(٤).

مقارنة هذا الوصف مع الجامع الحالي يؤكد ان المئذنة نقلت إلى الطرف الشرقي. أما جدران الصحن وشبابيكه والقبة والفسقية.. فقد اندثرت جميعها حتى ان الماء قد جفَّ، وعلى

(١) نقلاً عن كتاب تاريخ كرك نوح للدكتور حسن عباس نصر الله ص ١٦٤-١٦٦ (دمشق ١٩٨٦).

(٢) حلة الذهب الأبريز: ٩٢. (٣) الصفدي: ١٤٧. (٤) حلة الذهب الأبريز: ٩٢.

الارجح ان الجامع اتخذ شكله الحالي بعد زيارة النابلسي بربع قرن تقريباً. أي سنة ١١٢٨ هـ/ ١٧١٥م بدليل كتابة منقوشة عن شمال المحراب هذا نصها: «سلام على نوح في العالمين. إنا كذلك نجزي المحسنين، أنشأ هذا البنيان السيد الشريف مرتضى بن علوان الحسيني المتولي بشرط الواقف. رحمه الله تعالى. سنة ثمان وعشرين ومائة وألف».

قبر حبله بنت نوح؛

ذكره الهروي في كتاب «الزيارات» اذ قال «وبالكرك ايضاً قبر حبله ابنة نوح عليه السلام»^(١). وأكد ذلك ابن جبير في رحلته. لكنه اندثر مع الزمن حتى ان النابلسي لم يعرف عنه شيئاً قال «ولم اعلم ان قبر ابنة نوح هناك فلم أزرها وما سمعت به من أهل تلك القرية»^(٢). وذكره ياقوت في مدينة عرجموس (عرجموش) قال «قرية في بقاع بعلبك يزعمون ان فيها قبر حبله بنت نوح عليه السلام» (معجم البلدان) (٩٩/٤) أقول: ربما كان مع القبور الكثيرة المنتشرة في دار المسجد.

قبر ابي يعقوب يوسف؛

ذكره الرحالة ابن بطوطة قال: وقصدنا فيها (أي بيروت) زيارة ابي يعقوب يوسف الذي يزعمون انه من ملوك المغرب، وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز. وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر. ويقال ان السلطان صلاح الدين وقف عليها الأوقاف، وقيل السلطان نور الدين، ويذكر انه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها»^(٣).

كرك نوح؛

إحدى أهم حواضر الشيعة ومركز ولاية البقاعين في العصر المملوكي ومن أكثر البلدان اللبنانية سكاناً في العهد العثماني^(٤). حافظت طيلة قرون متعاقبة على تألقها العلمي والديني فكان الإمام الأوزاعي من رواد مدارسها في القرن الثامن كما فعل الشهيد الثاني بعده بثمانية قرون ١٥٥٢م، واستمرت إلى جانب مشغرة وجزين مقصداً لطلاب المعرفة والعلم فترجم صاحب أمل الأمل لثلاثين عالماً كركياً كلهم من الشيعة وكذلك فعل ياقوت في معجمه وابن العماد في شذرات الذهب والمحبي في خلاصة الأثر وغيرها من كتب التراجم والسير التي خلدت نابهي من الشيعة انطلقوا من هذه البلدة العامرة بدور العلم ورجاله إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي، فوصل بعضهم إلى أعلى مراتب السلطة والنفوذ على الصعيد السياسي وإلى أقصى درجات التأثير والإنتشار في ميادين الإفتاء والفقه والعلم والأدب^(٥) حتى أصبحت نسبة العلماء إلى كرك نوح في إيران وربما في غيرها من الأمصار امتيازاً كبيراً لا يمكن إغفاله^(٦).

(١) الهروي: الزيارات: ١٠.

(٢) حلة الذهب الابريز: ٩٣.

(٣) رحلة ابن بطوطة: ٥٩.

(٤) نواحي لبنان، خليفة ص ٦٧، قدر الباحث عدد سكان ناحية كرك نوح اعتماداً على الدفاتر العثمانية الرسمية العائدة للقرن السادس عشر بـ ٢١٧٨٠، وهذا العدد يبلغ أكثر من أربعة أضعاف سكان نواحي بيروت وصيدا، ولا يفوقه من النواحي اللبنانية في هذا القرن الاسكان ناحيتي بعلبك وتبنين.

(٥) بلغ العديدون منهم مراتب الوزراء والصدور وشيوخ الإسلام الخ...

(٦) الهجرة العالمية، المهاجر ص ٢٣٣.

* هذه المادة بقلم المؤرخ الدكتور سعدون حمادة.

إلى جانب مكانتها العسكرية حافظت كرك نوح على اعتبارها من المراكز السياسية والإدارية المهمة في العهدين المملوكي والعثماني. وكانت محطة مزدهرة للقوافل بين الساحل اللبناني وبداية الشام ويعد أن كانت من أملاك ابن الحنش دخلت منذ مستهل العهد العثماني تحت سلطة الحرافشة وقد اهتمت بها الأسرتان خصوصاً لمكانتها الدينية ووجود المزار^(١) فيها فقصدتها الرحالة والمؤمنون تبركاً^(٢) أوقف على مصارفها محمد ابن ناصر الدين الحنش وقضية ضمت كثيراً من البساتين والطواحين وحبسها على عمارة النبي نوح وفرشه وتنويره والأنفاق على المجاورين والمنقطعين وأرياب الشعائر والخدمة^(٣).

وكانت منذ سنة ١٥٣٤م على الأقل من مراكز حكم الحرافشة ومقراتهم^(٤) انتسب إليها بعض اعلامهم^(٥) فكانت بعد بعلبك من أهم قلاعهم وضعوا فيها حامية عسكرية للدفاع عنها وكانت ولايتها تتأرجح بين حاكم يرتبط بأمير بعلبك^(٦) أو حرفوشي. يرتبط مباشرة بدمشق. وفي الحاليتين لا تخلو من قاض عثماني تناط به المراسلات الرسمية كان اسمه سنة ١٦١١م مولانا شعبان^(٧) وكان يتابع حالة الأمن في الناحية كلها التي تشمل كل المنطقة القريبة من بلاد بعلبك والبقاع المتاخمة لكسروان والبترون في جبل لبنان.

بقيت هذه الحاضرة الشيعية على ازدهارها حتى هاجمها فخر الدين سنة ١٦٢٢م على حين غرة واستطاع بعد مقاومة عنيفة للحامية الحرفوشية المتواجدة فيها. والمؤلفة من نحو مائة جندي والتي نزلت من البرج التي كانت تتحصن فيه على أمان علي ابن الشهاب، أن يدخلها وأحرق جماعته جميع البلد حتى لم يبقوا فيها بيتاً واحداً بلا حريق. وكانت هي وسرعين من أحسن البلاد^(٨) لم تنهض الكرك من كبوتها بعد ذلك أبداً فتحوّلت إلى مدينة محروقة وظلت نهضتها خجولة^(٩) ولم تعد أكثر من قرية كالعديد من قرى البقاع الأخرى وبقيت في حكم الحرافشة ومن أملاكهم حتى أهداها الأمير جهجاه الحرفوش لأولاد الأمير بشير الشهابي سنة ١٨٠٧م لاستغلال مواسمها^(١٠).

(تاريخ الشيعة في لبنان ١/ ٢٢٠-٢٢٢) للدكتور سعدون حمادة.

- (١) اشتهرت بمزار النبي نوح ومزار آخر لا ينته حبله.
- (٢) حلة الذهب الأبريز، عبد الغني النابلسي ص ٩٢-٩٤.
- (٣) صفحات من تاريخ الشيعة، عمرو ص ٣٠٥.
- (٤) أخبار الأعيان، الشدياق ط. بطرس البستاني ج ٢ ص ١٩.
- (٥) محمد بن علي الحرفوشي الكركي وغيره.
- (٦) رغم أنها من بلاد بعلبك والبقاع فقد عرفها بعضهم أنها قرية في أصل جبل لبنان وقيل عنها قرية بلحف جبل لبنان (رحلة النابلسي ص ٧٣).
- (٧) الإمارة الدرزية أبو حسين ص ١٧٨.
- (٨) تاريخ الصفدي، ص ١٤٧ راجع الحرافشة.
- (٩) دائرة المعارف، حسن الأمين ج ١٨ ص ٤٤٩.
- (١٠) راجع تفاصيل هذا الموضوع في فصل الأمير جهجاه. من كتاب تاريخ الشيعة في لبنان ويبدو أن تهقر الكرك بعد ازدهارها السابق ساهم في تعزيز بلدة زحلة وتقدمها على سائر البلدان القريبة منها.

أبو ذر الغفاري صورة لسماحة الإسلام.. وأخلاق العرب

عربي والعظيم صلاح الدين كامل شهرته

يمتليء صدر الإسلام بشخصيات جسدت قيم الدين الحنيف. وفي مقدمة هؤلاء كان الصحابة المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية. ومن بينهم أبو ذر الغفاري الذي كان يفترقه رسول الله إذا غاب وبيدته إذا حضر... شهد له عمر بن الخطاب بالبروة والكرم. دق ناقوس الخطر في عهد بن عفان فلم يسمعه الخليفة الثالث... فاعتيل وبدأت الخلافات تنخر في جسم الأمة الإسلامية.

عن كتاب للكاتب الهندي محمد يعقوب خان وهو من أدباء الهند وكبار مؤلفيهم وقد وضع هذا الكتاب الذي ننشر ملخصه هنا عن عهد عمر بن الخطاب. وقد «ضمنه قصة الفتى العربي أبي ذر الغفاري» وهي قصة رائعة تتجلى فيها الأخلاق العربية النبيلة، كما تتجلى فيها سماحة الإسلام وعدالة هذا الخليفة العربي العظيم.

ثم استعرض بعض الجوانب الشخصية من حياة أبي ذر الغفاري التي تتجلى فيها عظمة هذا الصحابي الكريم، والتي جاءت في كتاب «شخصيات إسلامية» للكاتب محمد الفاتح كريم عام ١٩٥٨.

ان قصة حياة أبي ذر، وهو جندب بن جنادة من قبيلة غفار أبو ذر كنيته ستبقى ماثلة تتحدى الاجيال وتوجه الأبطال، فقد ظل يناضل ويكافح ويجاهد وينافح، ويتحمل ولم يعبأ بما لقيه من أذى وعناد، وعسف واضطهاد، بل ظل مصرا على دعوته لا يحيد عن خطته، رغم مات عانى من كد وتعب، واجهاد ونصب، مؤملا أن يخفف عن كاهل الفقراء البؤس والشقاء، وأن يكفل لهم السعادة والرخاء، وفي ذلك خير للإنسانية وراحة البشرية، وقد اتسعت نفسه بمثاليات ضاق عنها التاريخ في عهده، وهو لذلك يعتبر أسطورة عصره. شقى كثيراً ليحقق العدل الكامل والانصاف الشامل، وما ضاقت نفسه، ولا لانت قناعه، فهو ينبوع قدوة، ومنهل مثل، شاء أن يقيم صرح الحرية والعدالة في كثير من الشعوب، ليقول إن الحرية لا تقوم في لون، ولا جنس دون جنس، فكانت رسالته الحق في صلابه، ليزهق الباطل دون هوادة.

جنة الصحراء

إذا انتصف الطريق بين مكة والمدينة أو كاد، طالع الشاخص إلى أحد هما غيضة، أخرج فيها ماء السماء نبت الأرض، فسمقت النخيل، وأشرأت أعناقها، وعرشت الكروم، وورقت ظلالها، واعشوشبت فيها مراعي الدواب، وانسابت مياه الينابيع عذبة صافية، وهبَّت عليها لرياح رخاء

منعشة، تمحو ما يخلفه القيظ من فتور الأجسام، وانحلال القوى، وتبعث النشاط، وتقوى العزائم، وتحفز الهمم. ولم يكن لمن يمر بتلك الغيضة بد من أن يحط فيها رحاله ليأخذ نصيباً من الراحة، ويملاً سقاءه من غير الماء، وهل يبتغي الضارب في الصحراء، الذي لفحه الحر، وأيبس حلقة الظمأ، وأضنى دابته الكلل والعطش، أكثر مما يجده في تلك البقعة من شتى المتع، وألوان الراحة؟

هدوء تام، وكل ما يحتاج اليه المسافر موفور، وصاحب الغيضة كريم مسماح، لا يصد غاديا ولا رائحا، ولا يرد واردا... وقد تواضع البدو على تسمية المكان «بجنة الصحراء» لأن منظر الطبيعة فيه ساحر فاتن، يهز أوتار القلوب، ويأسر النفوس، ويخلب الألباب، فأشجار النخيل، وعروش الكروم تناثرت هنا وهناك، وقنوات الماء تتراقص فوقها الظلال، وتلمع في قاعها دقاق الحصى إذا رأى وجه الشمس، وتتعانق على جوانبها الأزهار وتتصافح الورود.

صوت الضمير

استيقظ الشاب والشمس قبيل الغروب، فأسرع إلى ينبوع فأسبغ الوضوء، ثم وقف بين يدي الله، وقد ولي وجهه شطر المسجد الحرام، فأدى فريضة العصر في خشوع، ولما قضى صلاته، شكر ربه على سابغ نعمه، ثم أخذ يتهاى لاستئناف السفر، وتطلع حوالياً يبحث عن الناقة، فلما لم يجدها في مرمى نظره، بدأ في التجول للبحث عنها بين أشجار الواحة، ولما شارف البستان رآها قريباً من الباب جثة لا حراك بها ولا حياة، وأسودت الدنيا في وجهه، واشتدت اللهفة بالشاب إلى أن يعرف ذلك الأثيم الذي سدّد إلى ناقته ضربيته القاتلة، وما ان رآه البستاني الهرم، في ارتباك وحيرته حتى أسرع إليه في قلق واضطراب، وشرع يسرد له قصة تلك الناقة معه.

وفي ثورة الشاب وحدة غضبه، قبض على عنق الشيخ بيديه القويتين، ثم لطمه لطمة شديدة في غير وعي ولا شعور، فلم يحتملها الرجل لضعفه، فوقع على الأرض، ولفظ آخر أنفاسه... فسقط في يد الشاب، وثاب إليه رشده ففطن إلى قبح صنيعه، وشناعة جرمه، واستيقظ فيه ضمير المؤمن، واستيقن أن ما آتاه ليس من أخلاق المسلمين، وما هو إلا من نزعات الشيطان. وحمية الجاهلية الأولى، وأخذ ضميره يخزه وخزا مؤلماً، ويوبخه ويؤنبه. انه أزهق روحاً مؤمنة، كأن لم يقرع سمعه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس. ان دماءكم، وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ريكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»... انه اذن ارتكب اثماً لا يغفر وذنباً لا تقبل منه توبة، ولا تجدي فيه ندامة، ان في قول الرسول هذا من مبادئ الاسلام ما يكفل الأمن، ويشيع الهدوء والاستقرار.

وأخيراً رأى الشاب أن عليه أن يدير ماذا يفعل: ان أحداً لم يره وقد أجهز على البستاني، فان هو فر وهرب، فلن يكون من يشي به، وان ظل في مكانه فهذا اعتراف منه أنه القاتل، فماذا يكون الرأي؟ «الازهر ١٧ سنة ١٩٤٥»

أصغى الشاب إلى ضميره، فتحركت في قلبه النخوة، فأتجه إلى بيت رئيس الحي. بنفس مطمئنة، ودق الباب برفق، وطلب أن يقابل رب الدار، ثم اعترف أمامه بجريمته، وطلب منه أن يبعث معه من يشخص به إلى المدينة، ليمثل بين يدي العدالة... كان القائم بالأمر في ذلك الحين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ذلك الخليفة الذي شمل عدله الخافقين، وأضحى مضرب الأمثال، وشاع الأمن والاستقرار في عهده في طول البلاد وعرضها، واطمأن الناس على أموالهم وأرواحهم لما كان مشهوراً عنه من رعاية جميع المصالح، وعدم التفرقة في المعاملة.

عدل عمر

ولما أتم الشاب حديثه، طمأنه رب البيت على نفسه، ثم بعث إلى اثنين من أولاد البستاني، وقص عليهما ما كان بين الشاب وأبيهما، وقبل أن يتنفس الصبح أعد لهم عدة السفر، ووجههم إلى المدينة المنورة، ليحكموا إلى خليفة رسول الله، فيقضي بينهم بما في كتاب الله، ووصل الثلاثة إلى مقر الخلافة وحاضرة العالم الإسلامي. لم تكن هناك دور مشيدة، ولا حرس قائم، ولا حجاب تصد من له حاجة، وكان المجلس الذي يتقاضون فيه من أشرف المواضع، وأقدس الأماكن، مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.... أمام هذا المجلس الموقر، وتلك الهيئة التي ائلفت من خيرة الناس، وتستند في آرائها إلى مبادئ الإسلام، وتعاليم القرآن، مثل ابنا البستاني وقاتل أبيهما، وحيوا بتحية الإسلام، ثم قال أكبر الولدين:

يا أمير المؤمنين! قد جئناك بقاتل أبينا! لتحكم بيننا وبينه بما أنزل الله، فالتفت الخليفة إلى الشاب وقال:

أو حق ما يقول؟

فهز الشاب رأسه علامة الإيجاب... فوجه عمر الحديث إلى ابن القتيل قائلاً:

فصل لنا ما حدث لنرى فيه الرأي

وروي ابن القتيل القصة كاملة ثم صمت، فعم المسجد سكون رهيب، لم يقطعه إلا صوت

الخليفة وقد تحرك في مجلسه ثم قال في صوت قوي:

وهل لدى الشاب ما يرد به على هذا القول؟

كان الشاب حينذاك واقفاً أمام الجميع، أصفر الوجه، يكاد يذوب أسى وحسرة، فما ان سمع الخليفة يتكلم إليه حتى بدأ يرد عليه فقال: كل ما جرى على لسانه حق يا أمير المؤمنين، وان قلبي مغمم بالحزن والألم وليس يؤسفني أن رأسي سيقطع جزاء ما اقترفت من اثم، ولكنه يؤسفني أن حمية الجاهلية، أنستني تعاليم الدين، فلم أرحم الضعيف، ولم أوقر الكبير، في شخص البستاني، واستسلمت لثورة الغضب وحدة الألم حيث رأيت ناقتي، وهي عدتي في هذه الدنيا، جثة هامدة، واني يا أمير المؤمنين لا أملك إلا احترام القانون السماوي، وطاعة أولي الأمر.. وهذا رأسي وجب قطعه، فاني قاتل أثيم!

أثر قول الشاب في نفوس الحاضرين، وامتألت قلوبهم اعجاباً به، وتقديراً لشجاعته ونبل أخلاقه، ولم يكن الخليفة بأقلهم تقديراً لصراحته وانصياعه للحق فقال له:

شجاعة المسلم

هكذا يا بني يجب أن يكون المسلم، شجاعاً في الحق، صادقاً في القول، شديد الأسف على ما ارتكب من خطأ، فالإسلام دين الإنسانية والاخلاص والصدق والوفاء، والمروءة والكرم، لا يقر الخور، ولا الضعف، ولا الخداع ولا التناق، وليست في قواميسه مثل هذه الألفاظ التي تحمل معاني الانحلال والتخاذل، ولقد سرني يا بني منك هذه الصراحة، وإن كنت لا أملك إلا تنفيذ حكم الاسلام فيك ولو كنت عبد الله بن عمر.

فقال الشاب: يا أمير المؤمنين، اني مسلم قوي الايمان بعدالة أحكام ديني... غير أني أسألك يا أمير المؤمنين أن تهلني ريثما أعود إلى أهلي وبيتي، فاني مدين، ولبعض الناس عندي حقوق، ولا أحب أن ألقى الله قبل أن أبرأ من ديني، وقبل أن أرد لذوي الحقوق حقوقهم.. فهل تأذن لي في أن أرجع إلى أهلي، على أن أعود فأسلم اليكم عتقي، وأنا مستريح البال مطمئن النفس؟ وجم الجميع، وامتألت قلوبهم اشفاقاً أن يرفض الخليفة مطلبه، فلما شرع الخليفة يتكلم، أرهفت الاسماع وشرأبت الأعناق، وشخصت الأبصار ووجفت الأفئدة... وإذا بعمر يقول:

لك يا بني ما طلبت مشكوراً، على أن تقدم لنا من يضمن عودتك، ويكون فداءك ان قعدت عن الوفاء. انزعج الشاب لهذا القول، وتشتت أفكاره، وازدادت وساوسه، وتنازعت عواطفه شتى، ماذا يفعل وحقوق الناس وأماناتهم لديه، وهو نائي الدار، لا يعرف أحداً في المدينة، ليتقدم اليه ويسأله أن يضمن عودته لدى الخليفة، ومن ذا الذي يعرض حياته للضياع في مثل هذا الموقف وليست له به صلة، ولا تربطه وياه وشيجة نسب، ولم يكن له به سابق معرفة فيحكم ان كان صادقاً وفياً، أم خائناً كذوباً؟

مروءة أبي ذر

وكان الوقت كلما تقدم لحظة تضاعف اليأس. وازداد الضيق، وبينما هم على تلك الحال، اذا بشيخ ينهض من زاوية المسجد، ويتجه إلى حيث الخليفة ينتظر ما يأتي به الشاب، فلما حاذاه وقف وقال:

يا أمير المؤمنين، هذا رأسي أقدمه لك إن تخلف هذا الشاب عن مواعده الذي تضربه له. وها أنذا طوع أمرك فمرفي بما تريد.

اتجهت أنظار الجميع إلى الشيخ وشرأبت إليه أعناقهم فعرفوا أنه «أبو ذر الغفاري» صاحب رسول الله، فلم يستكثروا ذلك عليه، فهو من المسلمين الأول، أهل المروءة والنجدة، ورمز الإنسانية والتضحية. تنفس الناس الصعداء، وسرت في جنبات المسجد همسات خفيفة، وتحدث الخليفة إلى «أبي ذر» فقال:

اللهم اجز «أبا ذر» جزاء من فرج الكرب، ورفع الحرج، وأخذ بيد الحيران فأرشد الطريق.
انك يا «أبا ذر» مشكور العمل، مضاعف الأجر، أهل للمروءة والكرم، مثل للمسلم الذي يرعى أخوة
الدين، ورابطة الإسلام.

ثم التفت إلى الشاب وقال له:

أما أنت فقد أصبحت الآن في حل من أمرك، وإن موعدك صلاة العصر، وحدد له يوماً في
هذا المسجد.. فاذهب ابرئ ذمتك وعد الينا وليس في عنقك حق لأحد، لتلقى الله وليست
مطالباً بدين، ولا مضيقاً لحق.

فنظر الشاب بدوره إلى «أبي ذر» نظرة شكر، وحيا الجميع ثم انصرف، وقد أكد أنه سيرجع
في اليوم الموعد وخرج من المدينة، وتوجه إلى منازل قومه، وديار عشيرته، وهي شاسعة البعد عن
المدينة، والطريق إليها وعرة، وليس معه راحلة، وعليه أن يقطع المسافة مشياً على قدميه، في
غير تباطؤ ولا امهال... أخذ طريقه إلى بيته لا يمشي الهويني، ولا يهدأ ليلاً ولا نهاراً، حتى
وصل منكم القوى... ثم شرع في رد الحقوق إلى أصحابها. إلى أن دنت ساعة الفراق، وهاهي ذي
اللحظة الحاسمة التي ستشب فيها الحرب بين العاطفة والضمير، وسيكون عقل الشاب ميداناً
لتلك الحرب الضروس، وسيكون نهبا للأفكار، وستتنازعه شتى العوامل، أي في بوعده، ولا يحث
بعده ويذهب إلى غير رجعة، ويفارق البيت، الذي احتوى أعز الناس لديه، وأثرهم عنده، فلذات
كبه، والأم والأب، والزوج المخلصة؟ وهل في الوجود أحنى على المرء من هؤلاء؟... أم ينكت العهد،
ولا يصغي لنداء الضمير، ولا يعبأ بالشرف..

إن بيته في جوف الصحراء، وهيئات لجند الخليفة أن تمتد أيديهم في ذلك المكان
السحيق... لكن نوازع الشرف وصوت الضمير تغلبا على هواه، وانتصرا على عواطفه، وأسرع إلى
بعيره، واستحثه متجهاً إلى المدينة بين البكاء والعويل... وتأخر في الطريق، فقد تقطعت حبال
الهودج الذي فوق بعيره، واستحال عليه أن يواصل السير دون اصلاحها، ثم استأنف السير بعد
ذلك في سرعة بالغة.

اللحظة الحاسمة

تجمع الناس في المسجد حول الخليفة، وكان قد نودي في المدينة، أن سنفذ في هذا اليوم
الحكم على قاتل البستاني الذي كفله أبو ذر الغفاري... وحل الموعد ولم يعد الشاب، بدأ القلق
يساور النفوس... إن الجميع مشفق على أبي ذر، يخشى أن تذهب حياته ضحية مروءته، ونبل
خلاقه، وكانت الأبصار تأخذ كل قادم إلى المسجد من كل جانب، وفي النفس لهفة أن يكون هو
الشاب، بينما جلس أبو ذر ثابت الجنان، يتلو آيات الذكر الحكيم بصوت يقرب من الهمس، وليس
يشغله عما هو فيه أفكار سوء، ولا نظرات الرثاء والعطف تصوب إليه من الحاضرين..

كان الوقت يمضي، وجو المجلس يكفهر، ولم يعد الشاب في موعد، ثم تحرك الخليفة في

مجلسه، وتقدم أبو ذر يحفه الجلال والوقار، ويشع في وجهه نور اليقين، فلما كان بين يدي الخليفة وجه الحديث إليه فقال:

أحب يا أمير المؤمنين أن ألقى الله وقد خرجت من الصلاة... فلما أذن له عمر توضعاً فأسبغ وضوءه، ثم قام إلى الصلاة في خشوع، ولما فرغ من صلاته اتجه إلى المكان الذي أعد لقتله، وهو هادئ، والناس من حوله تنهمر دموعهم، حزناً وأسفاً على ذلك الصحابي الجليل، المسلم الكبير، الذي سيذهب فداء كرمه، ومروءته.

وفي غمرة الألم والأسى، وإذا بغبار يتصاعد في جانب الطريق ويدنو إليهم رويداً، فاستمهل الناس الخليفة حتى يتبينوا القادم، فأجاب لطلبهم... وتحولت الأنظار صوب الغبار، الذي جعل يتكاثر كلما ازداد اقتراباً، ثم لاح لهم شبح على بعير، فبدأ الأمل يستيقظ في نفوسهم، ولما عرفوا فيه الشاب تعالت أصواتهم بالتهليل والتكبير، وامتلات قلوبهم غبطة وابتهاجا لخلاص أبي ذر العظيم، وأعجاباً بوفاء الشاب، ولما مثل الشاب بين يدي أمير المؤمنين، كان منهك القوى وقال:

أرجو أن يغفر لي أمير المؤمنين هذا التأخير، فإن الشقة بعيدة، والطريق وعراً، والبعير ضامر هزيل، وقد تقطعت حبال الهودج وقضيت في اصلاحها وقتاً ليس بيسير ثم التفت إلى أبي ذر وقال: أما أنت يا أبي أسألك أن تعفو عني، فقد أزعجتك بهذا التواني والابطاء.. التفت الخليفة إلى الشاب وقال له:

وأي شيء دفعتك إلى العودة أيها الشاب، وأن تبر بوعديك، وقد كنت مستطيعاً أن تنجو برأسك؟

عضو المؤمن

فقال الشاب: والله يا أمير المؤمنين لم يكن من السهل أن أعود، لولا أنني عاهدتك تمهلي الرجوع، وليس مثلي الذي ينكث العهد، فقد تركت زوجي بين اليأس الرجاء، وأولادي تملأ الدموع مآقيهم، وأبي وأمي لا حول ولا قوة....

وامتلات نفوس الحاضرين أعجاباً بشجاعته، وتمسكه بشرفه، ولم يكن ابناً القتل أقل من الذين في المسجد أعجاباً بموقف الشاب الرائع، فتحركت فيهما النخوة العربية، والشهامة الإسلامية، وتقدما إلى الخليفة وقال له:

يا أمير المؤمنين، لقد قتل هذا الشاب أباناً وحملناه إليك لتقص لنا منه، ولكننا رأينا أن نتصدق بهذا القصاص، وكفارة لذنوبنا.. وها نحن أولاء نشهدك أننا قد عفونا عنه، ونزلنا عن كل حق لنا لديه في الدنيا والآخرة. فتعالت أصوات الحاضرين بعد أن عفا الخليفة عنه، وتصافح الجميع، وتقدموا إلى أبي ذر يشكروه، وهكذا كانت نهاية هذه الصورة الصادقة للمثل الشريفة العليا، التي أثبتت غرسها تلك القلوب المؤمنة.

رأى قومه يتهايمسون ويتناجون على غير ما اعتاد ودون ما ألف، فرأى بفراسته أمراً خطيراً وشيئاً عظيماً، وراح بين الهامسين، واندمج بين المتناجين وقف على حقيقة الأمر، واذ ذاك قام من

فوره إلى مكة حيث النبي العظيم والرسول الكريم الذي سمع به، وقد لف جسده بعباءة مهلهلة، واعتمر بعمامته السوداء... وصل والمسلمون الأوائل لا يجتمعون بالنبي الا خفية. حينما يظلم الليل ويأمنون عيون الرقباء، فما كانوا يجرؤون حينئذ على الجهر بدعوتهم، لأنهم لم يأمّنوا أذى جماعة البغي. وكان الصراع على أشده بين هذه الطبقة المسيطرة التي شاع فيها الفساد والانحلال والبغي والضلال، وبين قوي يانعة وتعليم نامية، تنبثق عن نظام جديد هو الحق والعدل والخير والهدى والمساواة والبر.

الصحابي الجليل

وتنقضي أعوام وأعوام، يهاجر الرسول خلالها من مكة، وينتصر جيش الحق في مواقع كثيرة، ومواطن عدة على جيش البغي والعدوان والظلم والطغيان، فلا يطيق أبو ذر ما هو فيه من خمود، وما صار اليه من جمود، فيلحق بالنبي في السنة السادسة من الهجرة، يشارك المسلمين السراء والضراء، والشدة والرخاء، ويجاهد ويصابر ويناضل ويثابر، مقيما على الصلاة، لا نفلك عن رسول الله، ويقدر الرسول فيه هذه الجوانب فيبتدئه اذا حضر، ويتفقدّه اذا غاب. وفي المدة التي لازم فيها أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهد كيف تطبق قواعد الإسلام. وكيف يتفق مال الدولة في مصالح العباد وخير البلاد... وكان الرسول يحرص على أن يصل العطاء إلى أهله بمجرد وصوله، دخل عليه أبو ذر مرة فوجده حزينا ثم عاد اليه في اليوم التالي فوجده ضاحكا، فسأله عن علة ذلك فقال عليه السلام: كان قد بقي عندي من مال المسلمين أربعة دنائير لم أكن قسمتها وخفت أن يدركني الموت، وهي عندي وقد قسمتها اليوم فاسترحمت. وكان المسلمون في عهد رسول الله منصرفين إلى الآخرة، الجهاد في سبيل الله، وظل المجتمع الإسلامي متماسكا قويا متحدا فتيا، يسوده الاخاء والتضامن والمحبة والتعاون حتى كان آخر عهد عمر....

مواجهة مع معاوية

وفي عهد عثمان، سلم إدارة الدولة لبني أمية. واحتكر الولاة مرافق الحياة، واتسع التفاوت بين الطبقات، واحتجز معاوية مال الشام ولم يوزعه على المسلمين، فأدى ذلك إلى أول وهن ظهر في الإسلام، ورأى أبو ذر ما سيجره تجمع الثروات في أيدي بعض الطبقات من ويلات، فنادى في الناس برأيه مؤملا العودة إلى تعاليم الإسلام، حتى يسعد المسلمون وتنجو الدولة من الفتنة العمياء، ونادى بأن يخرج الناس فائض أموالهم لصالح المسلمين، وألا يكتنزوا منها شيئا حتى ينجوا من عذاب الله مردداً وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

وسرت دعوته في الناس مسرى النار في الهشيم، ورددها الناس في أنحاء الدولة. وكان مما قاله أبو ذر «اني لأرى حقا يطفأ، وباطلا يحيا، وصادقا مكذبا، وأثرة بغير تقي، وصالحا مستاثرا عليه...»

وحاول معاوية أن يسترضيه بشتى السبل دون جدوى، بعث إليه يوما بثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر لرسول معاوية: «ان كانت من عطائي الذي حرمتومنيه أقبلها، وان كانت صلة فلا حاجة لي فيها» ورددها اليه.

وأيقن معاوية ألا سبيل إلى بقاء أبي ذر بالشام، فطلب إلى عثمان أن يستدعيه إلى المدينة، وكان لمعاوية ما أراد، وجاء أبو ذر إلى المدينة، وقد انهكت قواه، بعد ما طالت به الطريق، ونال منه الحر والظمأ، لأن الحراس الشداد لم يسمحوا له براحة، ورأى منه عثمان اصرارا على دعوته، وتمسكا برسالته، وأرسل اليه عثمان ليكف عن تلاوة الآيات والأحاديث، فقال: «أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى، وعيب أن أترك أمر الله تعالى، فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إلي من أن أسخط الله برضى عثمان!..»

ودعاه عثمان ذات مرة محاولا أخذه بالرفق، وقال لمن حوله «أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال أحدهم: لا يا أمير المؤمنين لو اتخذ لبننة من ذهب ولبننة من فضة ما وجب عليه بعد ذلك شيء». فقال أبو ذر: كذبت، ثم تلا قول الله تعالى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ».

نهاية مؤمن مكافح

وما زال أبو ذر مصرا على دعوته، لاهو ببريق الذهب مأخوذ ولا مبهور، ولا من خشية السلطان خائف أو مذعور، ينه الغافلين ويوقظ النائمين، وينير البصائر ويحي الضمائر، حاثا على التمسك بمبادئ الإسلام الكريمة. وتعاليمه القويمة حتى لا تتأثر الدولة بالانحراف، ولا يظهر بين بنيها الخلاف، فتسودهم المحبة ويزدادوا وحدة وقوة، مشفقا على الأمة أن تكون أحوالها مضطربة أو أوضاعها متقلبة، فتظل عظمة السلطان، ثابتة البنيان بعد أن خضعت لها القياصرة ودانت لها الجبابرة، فلا تتفرق شيعا متناثرة أو أحزابا متنافرة.

لكن عثمان وقد ضاق ذرعا بأبي ذر رأى أن ينفيه... وسار أبو ذر منفاه بالريذة بالبادية الشرقية، وليس معه إلا زوجته وولده وبنته، وسكن معهم في بلقعها الخاوي، لا يحزن على ما فاتته ولا يأبه لما أصابه، وبحسبه أن الله ناصر الحق، وقد مرت به أيام عصيبة، ومرت به ظروف رهيبة حتى قضى في منفاه في السنة الثانية والثلاثين من الهجرة، ولكن دعوته ظلت قائمة عالقة بالصدور، ووجدت الألسنة ترددها والرياح تحملها، فتنشرت في الآفاق، ولو أن المسئولين رشدوا لقول أبي ذر لما انتهى الأمر إلى قتل عثمان، فان هي الا سنوات ثلاث بعد وفاة أبي ذر حتى قامت الثورة واغتيل الخليفة الثالث، وتفرقت الأمة الإسلامية بعد أن كنت على كلمة رجل واحد... قال أحدهم «ليرحم الله أبا ذر... لقد سمعته يخاطب الناس، ويخاطب عثمان بمثل الكلمات التي سمعتها من أفواه الثائرين... هتف بنا: بشروا أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكارة». «مجلة

أبو ذر الغفاري

سعيد زاهد

في فترات من الزمن تنهياً أسباب العظمة^(١) لرجل من الرجال فيبدو مبرزاً بين أهل زمانه، ونفرض شخصيته عن جدارة وتحتل سمعته مكاناً كبيراً بينهم، وكثيراً بل غالباً وإن شئت فقل دائماً ما يضطهد هذا العظيم من حكام عصره ومن جمهرة الجهلاء المنافقين الذين لا هم لهم إلا أن يعيشوا على هامش الحياة وحول فتات موائد أصحاب السلطان يكيلون لهم المدح في غير تروٍ ويضفون عليهم صفات العظمة والفخار ويلبسونهم حلل المجد الزائفة. ولكن الدهر القاسي ذا العينين المفتوحتين لا يخدعه ذلك النفاق ولا يغره ذلك الرياء، فسرعان ما تزول الأبهة ولو بعد حين ويزول معها أنصاف الرجال وإمعات العصر وتبقى كلمة الحق ساطعة، وإن لم يدركها رجال العصر الذين أحاطوا بقائلها فلا بد أن يدركها رجال العصور التي تليه ويمجدوها ويخلدوا صاحبها ويضعوه في مكانه اللائق به بين عظماء الزمان، وتسير سيرته في الأجيال منارا يهتدي به، وعلماً يخفق، ومثلاً رائعا يشجع على قول الحق وإن أغضب الكثيرين.

ولقد ظهر في العصر الإسلامي يوم أن كانت الكلمة العليا في أنحاء المعمورة للمسلمين نصيب من هؤلاء العظماء إذا استعرضناهم بين خطرات الفكر فسرعان ما تبرز بينها شخصية فذة حفلت بآثارها كتب الفقه والدين، وصحابي جليل سمع بدعوة الرسول فامتثل بها قلبه فهجر بلده ليكون بقرب صاحب الدعوة حتى يعرفها على حقيقتها. عرف الدين الإسلامي وأخلص له وارتوى من مناهله العذبة ومنابعه الأصيلة، للازمته الدائمة لرسوله الكريم. وأضحى بعد وفاة الرسول أكبر مرجع لتفسير القرآن ورواية الأحاديث الصحيحة، لم يبهز عينيه لألاء الذهب ولا أبهة الغنى فطلق الدنيا وعاش مخلصاً لأحكام الدين ينفذها بكل دقة ويهتدي في ذلك بسيرة الرسول، وكم وقف مناضلاً في سبيل تنفيذ تعاليم الإسلام فلقى في ذلك ما يلقي المجاهدون المثاليون الذين لا هم لهم إلا أن يروا المبادئ الكريمة سائدة في عصرهم والعدالة الاجتماعية مرفوعة فوق ربوعها. تلك هي شخصية أبي ذر الغفاري الذي كثيراً ما اصطدم بالحكام الذين يميلون مع الهوى ويعشقون الظهور في جلال الحكم وسيطرة القوة، فكان له معهم نقاش احتدم أحياناً إلى درجة النضال وتأليب الجماهير عليه ودعوتهم إلى مكافحته.

(١) لنا رأي خاص في تفسير «العظمة»، فهي عندنا القدرة على قول الحق وعدم المبالاة بأي كبير في سبيله.

يحدثنا الطبري في تاريخه أن «أبا ذر وابن عبسه كلاهما يقول: لقد رأيتني ربيع الإسلام ولم يسلم قبلي إلى النبي وأبو بكر كلاهما لا يدري متى أسلم الآخر»^(١) «قال الواقدي: أسلم معه خالد بن سعد بن العاص خامساً، وأسلم أبو ذر قالوا رابعاً أو خامساً وأسلم عمرو بن عبسه السلمي فيقال رابعاً وخامساً»^(٢).

ولقد بلغ من تقدير الفاروق عمر بن الخطاب له أن «الحق (عمر) بأهل بدر أربعة من غير أهلها الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان»^(٣) ولا غرو في ذلك فقد ذكر الطبري أيضاً في تاريخه نصاً عن اسماعيل بن موسى السدي أنه قال: «أخبرني شريك عن أبي ربيعة الأيادي عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله تعالى أمرني بحب أربعة، قيل يا رسول الله من؟ سمهم لنا. فقال علي منهم، يقول ذلك ثلاثاً، أبو ذر والمقداد وسلمان، أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم»^(٤) لقد أحب الرسول أبا ذر لأنه كان من أعلام المخلصين للدعوة، بذل في سبيلها كل ما آتاه الله من فصاحة وحجة وبيان، وأحبه بعده كل خليفة، لم يمل مع الهوى، ولم يضق به إلى كل خليفة أو حاكم مال جانباً عنالحق ولم يراع الدقة في تنفيذ أحكام القرآن والسيرة النبوية. ولقد بلغ بهم الضيق منه أن عدوه تائراً ضد النظام العام وأمروا بنفيه إلى الريدة، وما كان هذا لبني من عزيمة المجاهدين الأحرار وخاصة أبا ذر الذي بلغ به التقديس للحق حد مخاصمة من صانع السلطان ولو مرة واحدة، فلقد ذكر الطبري أن ابن سعد روى عن أبي بريدة قال: لما قدم أبو موسى الأشعري لقي أبا ذر فجعل أبو موسى يلزمه، وكان الأشعري رجلاً خفيف اللحم قصيراً، وكان أبو ذر رجلاً أسود كثير الشعر فجعل الأشعري يلزمه ويقول أبو ذر: إليك عني، ويقول الأشعري: مرحباً يا أخي، ويدفعه أبو ذر ويقول لست بأخيك إنما كنت أخاك قبل أن تستعمل، قال ثم لقي أبا هريرة فالتزمه فقال مرحباً يا أخي، فقال له أبو ذر إليك عني هل كنت عملت لهؤلاء؟ قال هل تناولت في البنيان أو اتخذت زرعاً أو ماشية؟ قال لا، قال أنت أخي^(٥). هذه نتف من حياة الرجل العظيم أبي ذر الغفاري، عرف الحق وأخلص له ولم يتوان لحظة عن تنوير الناس وإرشادهم إلى حقوقهم في الحياة، فعد تائراً ونفي بالريدة، روى ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال: رأيت أبا ذر رجلاً آدم أبيض الرأس واللحية، قال أبو جعفر: وتوفي أبو ذر في خلافة عثمان بالريدة»^(٦).

(١) تاريخ الطبري مجلد أول جزء ثالث ص ١١٦٦.

(٢) تاريخ الطبري مجلد أول جزء ثالث ص ١١٦٨.

(٣) تاريخ الطبري مجلد ثان جزء أول ص ٢٤١٣.

(٤) تاريخ الطبري مجلد ثالث جزء رابع ص ٢٣٧١-٢٣٧٢.

(٥) تاريخ الطبري مجلد ثالث جزء رابع ص ٢٣٤٨.

(٦) مجلد ثالث جزء رابع ص ٢٣٤٨.

أبو ذر الغفاري

الدكتور وليد قسحاوي

انه كفاح بدأ من قديم وانها لأحدى الثورات البشرية الكبرى، الثورة العربية الإسلامية، التي ولدت قبل نيف وثلاثة عشر من القرون، تحمل آلام ملايين البشر وشقاءهم، وتسعى لتحقيق آمالهم. لم يكن همها أن يفتصب فرد أو أسرة عرشاً، أو أن تحتكر فئة قليلة مات هو حق للأكثرين، أو أن يستعيد أناس أناساً، كان همها أن تعترف لكل أنسان بحقوقه وتعيدها إليه، وان تنشر لواء الحرية والعدالة والسلام بين الجميع، وأن تحطم كل الأصنام، الفكرية والاجتماعية والاقتصادية منها، وتبنى مجتمعا سعيدا.

لم تكن قبيلة غفار قشرة اجتماعية مستبدة بالشعب، ولم يكن جندب وارث جاه وسلطان.. وانما تشكلا كلاهما، في واقعهما ومستقبلهما، في شخص أبي ذر الغفاري.

أبو ذر يجد شفاء تمرده عند رسول الله والخلفاء

وكانت بداية ذلك التشكل حين تمرد أبو ذر على واقع حياته وأوضاع عشيرته، وانطلق ضارياً في الأرض. باحثاً عن مستقبل أفضل له ولغيره، حتى وجده في دعوة محمد بن عبد الله، فلازمه وتبعه يقتبس منه ويستجيب له، فيغدو تائراً أصيلاً فطرة وصقلاً. وما كان دور ذلك الثائر يتجاوز دور التابع الواعي في ثورة يقودها محمد بن عبد الله، أو الخلفاء من بعده. إذ لم يكن في تلك المرحلة شيء الا وترضى عنه روحه التقدمية، وما كانت ثمة غاية انسانية خيرة تصورها له نفسه الا ويجد قاداته قد ساروا نحوها أشواطاً. فان تكن الغاية هي الهدى والعزة والخير، فمحمد بن عبد الله واضع أسسها في ذلك المجتمع، وأبو بكر خليفته في ذلك كله. وأن تكن الغاية هي الحرية والمساواة والعدالة، فعمربن الخطاب قد استوعبها وسعى لها كأقصى ما يسعى انسان.. ألم يقل لحاكم متعجرف: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار». ألم يأخذ على نفسه عهداً: «والله لئن بقيت لهم، لياتين الراعي، بجبل صنعاء، حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه؟».

أبو ذر في خلافة عثمان

لكن لما قتلت الأهواء الأجنبية عمر بن الخطاب، ووجدت الأهواء الداخلية متنفساً لها في عهد عثمان بن عفان، أدرك أبو ذر الغفاري بكل وعيه النكسة العنيفة التي أصابت الحركة

التقدمية، وتنبه للأخطار الفادحة التي أحاطتها بها تلك الردة.. فقد انحرفت تلك الحركة عن سيرها نحو تحقيق المساواة والحرية والعدالة، وبناء مجتمع قوي تقدمي، على أيدي أناس يحاولون جعلها مطية لمصالحهم الشخصية، يكتنزون بواسطتها الأموال، ويبنون عروشا يتوارثونها، ويستعبدون الناس ليسلبوهم حقوقهم.. وأدرك أبو ذر أن عثمان بن عفان ليس إلا شيخاً لا يملك من أمر نفسه شيئاً، وإنما أصحاب الأمر والنهي أقاربه، بنو أمية، الذين لم يتجاوز مفهوم كبيرهم أبي سفيان أكثر من كونه «ملكاً عظيماً» (و رأى أبو ذر بني أمية هؤلاء يسعون لجعل أنفسهم وأشياعهم طبقة حاكمة مستبدة، همها استغلال الناس واغتصاب حقوقهم والاستئثار بأموالهم).

وبعد أن كان عمر بن الخطاب قد قرر ابقاء الأراضي المفتوحة وقفا على المسلمين، أي ملكاً عاماً للأمة، جاء عثمان فأقطعها لأقربائه. ورأى الفوارق تزداد بدل أن تزول، بين غني وفقير، وقوي وضعيف، وسيد ومسود... ولم يكن هذا حقاً..

أبو ذر يقول لمعاوية: ان كان هذا القصر من مال المسلمين فهو خيانة، وان كان من مالك فهو أسراف

وتذكر أبو ذر قول نبيه له: «يا أبا ذر قل الحق وان كان مرا، ولا تخشى في الحق لومة لائم». وانطلق إلى الشام حيث كان معاوية بن أبي سفيان يبني ملكاً ويضخم ثروات أنصاره، ليقول الحق بين الناس.. يعرفهم بحقوقهم ويحثهم على التمسك بها واسترداد ما سرق منها.. ان مال الدولة مالهم، وليس للحاكم حق فيه أكثر مما لأي منهم.. وأن حق كل واحد منهم أن يعيش انساناً، بكل ما تعنيه هذه الكلمة ن كرامة وتحرر من الاستبداد والاستغلال. وهل اجمل من كلمته لمن حوله: «ان الله قد فضلك فجعلك انساناً، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعا»، أي لا تأذن لغيرك أن يفترسك، ولا تأذن لنفسك أن تكون مفترساً لغيرك، وذكر أبو ذر وقل نبيه: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».. فلما بنى معاوية قصراً له، بعث اليه يقول: «يا معاوية، ان كان هذا من مال المسلمين فهي الخيانة، وان كان من مالك فهو الاسراف». فلما أصم معاوية سمعه، ذهب ليقول له: «ان أموال الفتي من حقوق المسلمين، وليس لك أن تحتزن منها شيئاً. ولكنك خالفت الرسول وأبا بكر وعمر، وكنزتها لك ولبنني أمية.. لقد أغنيت الغني يا معاوية وأفقرت الفقير».

عمر يقول: فضول أموال الأغنياء للفقراء

ولم تكن دعوة أبي ذر في هذا السبيل إلا تعبيراً عن أمنية تمنّاها عمر بن الخطاب في أواخر عهده. حين قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء».

معنى الفضول عند نبي الله

والفضول كل مازاد عن حاجة الإنسان كما وضحها نبي الإسلام في حديثه: «هل لك من مال الا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت». وكل مال مكتنز لا يحتاجه صاحبه فضلة لم يستسغ وجودها قادة الحركة الإسلامية الأوائل. فكيف يستطيع أبو ذر أن يستسيغ عهدا يجعل ثروات المجتمع كله فضلات تملكها أقلية إلى جانبهم أكثرية تعد بالملايين.

أبو ذر يحمل مخفورا إلى الخليفة

وكلما انقضى يوم على أبي ذر ودعوته، ازداد التفاف الناس حوله وتجاوبهم مع هذا الإنسان الذي قام من بينهم، ينطق بلسانهم ويعبر عما في وجدانهم. وازداد تمردهم على السياسة الرامية إلى افقارهم واستعبادهم. وازدادت بالتالي نقمة الارستقراطيين الجدد والوالي المستبد، فأمرؤا بإرسال أبي ذر مخفورا معذبا إلى الخليفة حتى يدبره. ولم ينس أبو ذر التأثير أن يناشد الناس المودعين له ساعة الرحيل، أن لا يكون أي منهم للمجرمين ظهيرا، أو لأعمال الظلم مساعدا أو لهم معينا». وأن يهيب بهم قائلا: «ولا ترضوا أنتمكم بسخط الله، وأن أحدثوا ما لا تعرفون فجانبوهم، وأزروا عليهم، وأن عذبتهم وحرمتهم وسيرتهم».

وفي هذه الجملة الأخيرة تتضح جليا الوسيلتان المثاليتان اللتان اعتمد عليهما أبو ذر ودعا الناس اليهما. مجانية المستبدين أي مقاطعتهم، وتأزر الناس عليهم أي تعاونهم ضدهم، أو ما نصطلح اليوم على وصفه بتنظيم المقاومة وتكتيل القوى الشعبية المناهضة للظلم والاستغلال. وسلاح المقاطعة المنظمة، حتى لو كانت سلبية لا تتعدى الامتناع عن النفاق والمسايرة، كان عند أبي ذر وما زال حتى الآن، سلاحا ضروريا، ضرورة المصارحة والجرأة في وقول الحق ودفاع الإنسان عن حقوقه. ولعل أبا ذر أدرك أنه مهما يكن الشعب صغيرا، أو أعزل من كل سلاح مادي، فإنه يستطيع أن يحقق انتصارات كبيرة إذا استغل قواه المعنوية الهائلة والتزم وسيلة المقاطعة في أي نطاق وعلى كل مستوى.

كانت وسيلتا أبي ذر اذا المقاطعة وتجميع الصفوف، فماذا كانت وسائل خصومه وخصوم شعبه؟ لقد كانت وسائلهم أو بالاحرى أسلحتهم، هي أسلحة أمثالهم وخلفائهم في كل زمان ومكان.. الأغراء والتضليل، ثم الإرهاب، ثم الاضطهاد. وقد عانى أبو ذر من هذه كلها..

خدعة عثمان

لقد جرب معه الوالي معاوية، ثم الخليفة عثمان سلاح الأغراء، وحاولا شراءه بالتقريب

والمال. ولما أصر على رفض عطاياهم وبيع ضميره، لجأ عثمان إلى خدعة ظاهرها خير وباطنها شر: أرسل له عبداً معه مبلغ من المال، وأعدا أبا ذر أنه إذا قبل المال يصبح العبد حراً. ومضى العبد بالمال إلى أبي ذر، ملحاً عليه في قبوله بقوله: «اقبلها يرحمك الله، فإن فيها عتقي». وكان جواب أبي ذر للعبد: «أن كان فيها عتقك فإن فيها رقي».

فتوى كعب الاحبار

رفض أبو ذر أن يبيع ضميره وحرите بأي ثمن، بل رفض أن يبيع فكرة التقدمي ويتخلى عنه أمام المغالطة الجدلية، وكان ذلك حين تصدى لمناصرة عثمان اسراييلي تزيى بزي الإسلام، وكان من بطانة عثمان المقرية. فقد كانت إحدى فتاوى كعب الاحبار هذا لعثمان أن لا حق لأحد على الغني إذا أدى فريضة الزكاة، حتى لو بنى قصراً من قطع الذهب بدلاً من الحجارة (ولو كان الناس لا يجدون ما يأكلون). وكان جواب أبي ذر: «ألئن اغتصب الرجل أموال الناس وسلبهم حقوقهم بالباطل، ثم أدى الزكاة على هذه الأموال المغصوبة والحقوق المسلوقة تسميه مسلماً!» وعاد يقول: «من أين بهذا المال؟ هل أنزله الله عليه من السماء أم أخذه من حقوق الناس وأتاعبهم؟».

عثمان ينفي أبا ذر في أقصى البادية

ولما فشل سلاح الاغراء والتضليل، لجأ الحكام إلى سلاح الارهاب، فكان نفيه من الشام إلى الحجاز، وكان أن هدد بالقتل هنا بعد هناك، ولسنا نعرف كل ما سمعه من ذلك، ولكننا نعرف أنه قد اتهم المرة تلو المرة بافساد الناس واثارة الفتنة وتمزيق جماعة المسلمين، كما نعرف أن عثمان صرخ به يوماً قائلاً: «يا أبا ذر انك شيخ خرفت وذهب عقلك، ولو لا صحبتك لرسول الله لقتلتك». ولما لم يقتنع أبو ذر بأن ثورته للحق دليل على خرفه وذهاب عقله، ولما طفق كأس المستبدين والمستغلين بالتفاف الناس حول دعوته إلى العدالة والاعتراف لكل ذي حق بحقه كائنًا من أن يعامل بالسلاح الأخير، الاضطهاد. وهكذا ابلغه عثمان قراره: «اخرج عنا من بلادنا وجوارنا...» وإذا كانت البلاد قد غدت في عرف حاكمي ذلك الزمن بلادهم هم، ولم تعد بلاد الناس المواطنين أمثال أبي ذر، فقد كان معنى هذا الكلام نفي أبي ذر إلى أقصى البادية، حيث لا بشر ولا زرع ولا ضرع. ونفي أبو ذر إلى دنيا ليس فيها غير السماء والرمال، تنقاسمان ولده وبنته الوحيدين، فتأخذ الاولى روحيهما، والآخرى جثتيهما بعد موتهما.

أبو ذر يموت ويأبى أن يكفن من مال حرام

وما كان لأبي ذر ما يصله بالحياة، بعد أن انقطع اتصاله مع شعبه، ومات ولده في تلك البادية، وأمسى لا فرق عنده بين ان يبقى جسمه حياً أو تتوقف أنفاسه المتعبة إلى غير

رجعة. وما نطن إلا أنه تشبث بحبل الحياة أياما وليالي معدودات، خشية أن يموت ولا تستطيع زوجته دفنه، وقد غدت وحيدة، بل ليس عندها شيء تكفنه به. وما نطن إلا أنه قر عينا حين شاءت الصدق أن تمر جماعة من البدو على مقربة من منفاه فتستنجد بهم زوجته.. ومع ذلك لم يستطع أبو ذر أن يستسلم للموت، إلا بعد أن أيقن أن الذي سيكفنه ويدفنه من بين أولئك الرجال مؤمن ليس «أميرا أو عريفا أو بريدا أو نقيبا». وتأكد من أن الرداء الذي سيكفن به ثوب غزلته أم لابنها. فقد رفض أبو ذر حتى بيع جثته مقابل كفن من مال مستغل، أو أن يكون عليه فضل. حتى في الدفن. لشخص له صلة بالاستبداد أو الاستغلال.

تاب عثمان، ولكن بعد فوات الأوان

مات أبو ذر، لكنه مات حراً، ليترك الذين اضطهدوه عبيدا، ولو كانوا في الظاهر السادة المتحكمين في رقاب الناس وحقوقهم. فقد كان أولئك المستبدون المستغلون عبيدا لنزعاتهم ولنزواتهم ومصالحهم. حتى عثمان بن عفان كان عبدا لمصالح تلك الفئة المسيطرة المستغلة، ولم يستطع أن ينقذ منها حتى حياته. فانه لما اجتمعت نقمة الناس على نظام حكمه وفساد ولاته واعوانه، ورأى أن لا مناص من الرجوع إلى تعاليم رسوله وخليفته ونهجه، أعلن إلى الناس توبته قائلا: «استغفر الله عما فعلت وآتوب إليه... وليذكر كل واحد ظلامته لأكشفها وحاجته لأقضيها.. والله لأعطينكم الرضى ولأنحين مروان وذويه، ولا احتجبت عنكم». لكن مروان وذويه من بني أمية وامثالهم كانوا أقوى من أن يستطيع أن يتحرر من نفوذهم ومصالحهم، فشلوا أرادته، وأخمدوا نيته، اذا كانت قد وجدنا حقا، وكان عليه أن يدفع حياته بعد مائة من الايام ثمنا بسيطا لمصالحهم.. حتى هم ايضا، كان مصيرهم بعد مائة من السنين أن يدفعوا حياتهم ودولتهم ثمنا لجشعهم واستغلالهم.. وهكذا...

وهكذا مات أبو ذر في الصحراء حرا، لكن مضطهديه ومضطهدي شعبه ماتوا في القصور عبيدا.. وعاش شعب أبي ذر، رغما عن كل المستبدين والمستغلين، يناضل جيلا بعد جيل، وقرنا اثر قرن، في سعيه لتحقيق امانيه في الحرية والعدالة، وبناء مجتمع سعيد يتمتع كل مواطن فيه بحقوقه وكرامته الإنسانية. «مجلة العربي : ٤٥»

أبو ذر الغفاري

جلس جندب بن جنادة. والشمس استقر مسيرها وسط السماء، تلهب بأشعتها جوف
البيد، على رابية. برق شويهاته، خوف عسال نهم، ويمسح العرق الندي على جبينه الاسمر،
وعارضيه الخفيفين. ويستروح النسيم الرخاء

وكان الصحراء وخلوتها، قد بعثت في نفسه شيئا من الحيرة، واورثت عقله الكليل نتفة
من التفكير فاسترخى يفكر في هذا الكون، ويسرح ناظره في وسعة الوهاد، مأخوذاً بسر القوة
الخفية التي سيرت الكوكب الدري، وانبتت في الأرض بقلها والقثاء، فلم يحس إلا والإيمان يغمر
قلبه، وشعور خفي يدفعه لمعرفة هذا السر.

وبينا هو ينهض متثاقلاً، وإذا بأطلس شأبوب، مستجمع الجسم، ومتحفز للانقضاض
على جدي ممراح فصاح جنيدب البدار، ولحق بالذئب يسرة ويمنة، حتى أمن شره، واسلم الشياه
من الفتك الذريع.

وهم بالجلوس ثانية، ولكن نداء الضمير قد رن في معبد الضلوع، وشعاع الهدى قد اثار
هيكل القلب، فهب مذعورا، وجاء اخته قائلا (إلي بمزودتي ويردي ونعلاي، واحرسي وقيت العثار
شويهاطنا، فمكة تدعوني لدخولها، ونفسي تحدثني لرؤية هذا الداعية الجديد).

ووصل مكة فالفها كما هي بالامس الضريب، شامخة بقصورها، متفطرسة بمموليها،
باكية بتأوهات فقرائها، تمر بالقبائل من يزد وغطفان، وترزهي دروبها وندواتها بحلقات السماء،
من محدث بلذاذة العيش بين الغوطة وبصرى، ومن معجب بياوان كسرى وحدائقه الغناء، ومن
مترنم يشعر الضليل وصاحب الابلق المغوار، فاندس بين اقرب الحلقات، وقد تعالى شتمها لهذا
المعتوه اليتيم، هذا المجنون الذي جاء ليبدل عقائد الفوها، ويحطم أربابا عبدوها، ويمحق عادات
اعتنقوها، حتى وجم المتحدثون، مذلحوا شيخا وقورا يتهادى في مشيته، وعليه ما يكفيه من
الهيبة والجلال، فوقفوا كأن على رؤوسهم الطير للقدام ابي طالب شريف مكة والحطيم، وأصغوا
لحديثه عن ابن اخيه المنقذ وصدق دعواه وهم بين حارق الارم، وبين متقزز من الحديث وانقض
المجلس، وتفرق القوم ذات اليمين وذات الشمال، وسار ابو طالب صوب داره فتبعه جندب فاستوقفه
قرب الباب، وطلب منه الدخول لرؤية ابن اخيه، وليتزود من معين بلاغته ويشمل بسحر فرقائه،
فكان له ما اراد، وكان له قول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وعاد وهو يحمل اسم عبد الله بعد جندب، والإيمان يضفي على قلبه برودة هيبة ووقار، وروح الإلفة والتعاون تهديه نهج السراط المستقيم، وقام بين أبناء عمومته داعية دين الحق. ومنذر الجاهل بشر القومية والمجد والاباء ولقي العسف والمعونة، وتحمل الكرب والوزر بقلب صيرته وحدانية الله معدنا صلدا لا ترعزعه الاحداث حتى استقام الحق، وضاء العدل، ونادى المنادي، بين زمزم والحطيم (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد).

فسار أبو ذر صوب الصوت، وطلق مهد صباه، وكناس فتوته، وجاء نحو الهادي صلى الله عليه وآله وسلم الذي ما احس بقدومه إلا وقال لمن حوله من الاصحاب (أول من يدخل عليكم الساعة رجل من أهل الجنة) ودخل فاستقبله ملاذ العروبة، ورمز الأخوة والوحدة، مبتسما طروباً قائلاً (اهلا بالمطروود عن حرمني من بعدي، لمحبتك لأهل بيتي، فتعيش وحدك، وتموت وحدك، ويسعد بك قوم يتولون تجهيزك ودفنك، وأولئك رفاقي في جنة الخلد التي وعد المتقون).

لقد جاء أبو ذر(ع) ليقيم وصحبه بأي الذكر الحكيم، وبيارات الصفاح، وبالمغفرة عن المسيء، وبمساعدة البائس والمظلوم، دين صدق وحق، ويأوزرو بك يعرب حتى تجدع عرانيين الظلم، وتذك صروح الشرك، ويحل الاتحاد محل الفرقة، والاطمئنان محل الرعب، وتنبور الصفاة فتخرج كالجوهر الفرد تزين تاج الشعوب، وهذا ما كان.

لقد لازم أبو ذر(ع) رسول الهدى والمحبة صلى الله عليه وآله وسلم وسار وياه جنباً إلى جنب، فكان في هجرته أول الملبين، وفي بدرها اقدم الذائدين، وفي احدها حيث فرضعيف الإيمان، وأدبر المؤلفة قلوبهم، بقي كالحريت، يكر على الشرك بقلب لا يعرف الضرار، ويناضل جالوت الغطرسة، بعزم لا يعرف الهرب والإدبار.

هاهي تبوك وقد ثار فيها الغبار، وأطبق الافق، وبرقت اليمانية وتطاولت السمهريه، واختلطت الرايات بالرايات، فتكردت الصفوف على الصفوف، واربقت الدماء من فاغر الوتين، دماء ارهقت في سبيل مبدأ انساني سامي، واخرى ارخصت مدفوعة بأنانية الجاهلية.

وها هو ابو ذر، وقد تخلف عن القوم ثلاثة ايام، وكيف لا يتأخر وهو لا يملك شروى نقير وتحتة الجمل الأعجف، يقدم خطوة ويرد اخرى، وها هو وقد ترك الجمل، وسار حافي القدمين على الرمضاء التي تشوي الوجوه، وقارب القوم أو كاد، فنادى الهدى صلى الله عليه وآله وسلم. هو أبو ذر ألا ادركوه بالماء. وما أن وصلهم وادركوه إلا وياديه بالسؤال (يا أبا ذر معك ماء وعطشت؟) فياليت شعري بماذا يجيب الشيخ المجاهد بغير قوله (نعم يا رسول الله. بأبي أنت وأمي، انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت لا اشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
هنا تتجلى العظمة، وهنا تبرز صفة الشهامة والإباء، وهنا يتجلى جوهر الإيمان والتضحية
في سبيل المبدأ القويم.

لقد عز عليه وهو شيخ أحنت ظهره السنون، وانهكته المصائب وقطع طريقا وعرا، مستسلما
لحرارة الشمس، ولا فح البیداء.

أقول لقد عز عليه أن يبيل غلته، بماء قراح هو في حل من شربه، حتى يروح به عن سيده حر
الهجيرة وجلس ذلك الشيخ ثافية، بعد دهر لم يكن شيئا مذكورا، وقد جلل مضرقه الشيب وعبثت
بغضون وجهه حادثات الليالي، ونخرت جسمه آفة الضناء.

جلس وقد مضى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات....) وعمر بعده
صديقه في الغار، فتصرم حبله، وأعقبهما صديق الأرملة والأيتام، من دوح كسرى وقيصر، وأخرج
امته إلي شواطئ دجلة وغيطان الفرات، ودفع بهم إلى جنائن دمشق وأرز لبنان، مضى بنصل وغد
ساسان ذي الحدين فقام ذو النورين بأعباء الحكم، واشرايت الاعناق.

أقول جلس ذلك الشيخ، ونظره من وراء حاجبيه المتهدلين على مآقيه، فرأى القوم غير
القوم رأى الرعاة بدمشق برفلون، والصعاليك فوق شرفات الأيوان يثملون، والبعر قد استبدل
بالصافنات الجياد، وبيوت الوبر قامت بمكانها القصور السماء، وخبز الشعير طردته موائد طهارة
الفرس والروم، وأثواب الصوف أصبحت خزا وحريرا، واستبرقا وسندسا، ومرابي مكة في جاهليتها
ممول أهلها بالإسلام.

ورأى الزبير بن العوام يملك الف عبد بين رجل وامرأة، وألف حصان وقصور وأراضي في
العراق تدر عليه كل صبيحة الف دينار، وعبد الرحمن بن عوف، يمتلك الف بعير، وعشرة آلاف
شاة، وترك لأولاده أملاكا قيمتها أربعمئة الف دينار، وقصر معاوية يموج بالوفود والشعراء، ويزخر
بالعطايا والهبات ويبت المال يبذل للرئاسة والولاية ومروان بن الحكم طريد المنقذ والعمرين
يتربع على أرائك اللهو والسرور والغبطة والحبور.

أما المساواة وروح الإلفة، أما العطف والمواساة، فلا نصيب لهما بين الأصحاب، وأقوال سيد
البشرية من (لكل شيء مفتاح، ومفتاح الجنة حب المساكين) ومن (الساعي على الأرملة والمسكين
كالجاهد في سبيل الله)، ومن (اللهم امتني مسكينا وأحييني مسكينا، واحشني في زمرة المساكين)
هذه الأحاديث وغيرها كثير، استبدت بقول، (إذا مت ظمأنا فلا نزل القطر) رأى كل هذا ورأى
خليفة الإسلام معتكفا على قرآنه لا يحرك ساكنا ولا يستطيع رد غائلة الاعراب، فهب وفي قلبه عزم
الشباب، وفي جسمه روح الفتوة، وجار بين القوم في أسواق دمشق: (يامعشر الأغنياء، واسوا الفقراء،
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب اليم، يوم يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم
تكنزون).

ولكن معاوية انى له أن يستسيغ هذا النداء، وهيئات للسياسة أن تقر للحق بقرار فأخرج الشيخ تحت جنح الظلام، يتبعه الحشد البائس من الشيوخ والأطفال، وهو يودعهم الوداع الابوي الأخير، ويقول العبرة وتخنقه (ياها الناس اني موصيكم بما ينفعكم، وتارك الخطب والتشتيق ليبشر من مات منكم على هذه الخصال، برحمة الله وكرامته، ما لم يكن للمجرمين ظهيرا، ولا لأعمال الظلمة مصلحا، ولا لهم معينا).

وحل في المدينة، وهو كما في دمشق قد كان، ولكن ماذا يكون جزاؤه غير الرتبة مقره ومأواه. لقد سار للريذة وليس معه إلا زوجته وولده ذر وابنته، ونفر من صحبه، هم علي(ع) وعقيل والحسن والحسين، وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي، يردون عنه غائلة مروان، وهم بين مودع ومتحجب، ابو الحسن يودعه (يا ابا ذر انك غضبت لله ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقللا ونفوك للفلأ والله لو كانت السماوات على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجا يا ابا ذر أنت تعلم أنا نحبك وأنت تحبنا فاتق الله لإإن التقوى نجاة واصبر فإن الصبر كرم واعلم أن استثقالك الصبر من الجزع واستبطائك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع ويشيعه الحسن(ع) قائلا (يا عماء لولا انه لا ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيح أن ينصرف لقصر الكلام).

وسكن الشيخ الوقور، الشيخ الذي لم تلن قناته في الدفاع والجهاد، في بلقع الرتبة الخاوي لا انيس له إلا أهل بيته وهم له متوجعون.

وصبر على مر البلوى، فتحمل الجوع ورأى بأمر عينه الموت يبيد شريهاته، ويسطو الجوع على ولده فيغتاله من بين يديه، ويواريه قبره وهو يبكي ويقول: (رحمك الله ياذر، لقد كنت كريم الخلق، بار الوالدين، وما علي في موتك من غضاضة، ومابي إلى غير الله من حاجة، وقد شغلني الاهتمام لك عن الاهتمام بك، ولولا هول المطلع لأحببت أن أكون مكانك...) واعقبته الزوجة الرؤوم، فخرج ووحيده يتوسط الرمل، وهناك اغمض الجفنين، فندبته البنت، وجلست على مسرق الطريق حتى إذا ما رأت الركب العراقي مقبلا صاحت (هذا أبو ذر صاحب رسول الله) لقد ودع الحياة من قال الله فيه (لقد تاب الله على المهاجرين والانصار، الذين اتبعوه في ساعة العسرة). لقد قضى وهو يرتل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (العرفان ١٩٢٧/٨).

الصحابي الجليل عمار بن ياسر «رض»

٥٧ ق.هـ - ٣٧ هـ

د. أحمد السري

هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين ابن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب المذحجي ثم العنسي، أبو اليقظان. وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو حليف بني مخزوم. وأمه سمية وهي أول من استشهد في سبيل الإسلام وهو وأبوه وأمه من السابقين، وهو ممن عذبهم قريش بسبب إسلامه وقال الواقدي: إن ياسراً والد عمار عربي قحطاني مذحجي من عنس، إلا أن ابنه عماراً مولى لبني مخزوم، لأن أبيه ياسراً تزوج أمة لبعض بني مخزوم فولدت له عماراً. وكان سبب قدوم ياسر مكة أنه قدم هو وأخوان له، يقال لهما: «الحارث» و«مالك» في طلب أخ لهما رابع، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة. فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وتزوج أمة له يقال لها: «سمية»، فولدت له عماراً، فأعتقه أبو حذيفة، فمن هنا صار عمار مولى لبني مخزوم، وأسلم عمار ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار الأرقم.



وكان عمار آدم، طويلاً، مضطرباً، أشهل العينين، بعيد ما بين المنكبين. وكان لا يغير شيبه. وقيل: كان أصلع في مقدم رأسه شعرات.

ومن مناقبه أنه أول من بنى مسجداً في الإسلام وذلك حين أشار على النبي ببنائه وجمع مواده ووضعها.

وشهد عمار قتال مسيلمة: فروى نافع، عن ابن عمر قال: «رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة، قد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون، إني إني، أنا عمار بن ياسر، هلموا إني وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تتذبذب وهو يقاتل أشد القتال».

واستعمله عمر بن الخطاب على الكوفة، وكتب إلى أهلها: أما بعد، فإني قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبد الله بن مسعود وزيراً ومعلماً، وهما من نجباء أصحاب محمد، فاقتدوا بهما. ولما عزله عمر قال له: أساءك العزل؟ قال: والله لقد ساءتني الولاية، وساءني العزل ثم إنه بعد ذلك صحب علياً، رضي الله عنهما.



وشهد معه الجمل وصفين، فأبلى فيهما. قال أبو عبد الرحمن السلمي: شهدنا صفين مع علي، فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتبعونه، كأنه علم لهم. وروى عمار بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسل سيفاً. وشهد صفين ولم يقاتل. وقال: لا أقاتل حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تقتله الفئة الباغية». فلما قتل عمار قال خزيمة «ظهرت لي الضلالة». ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

وقد اختلصت في قتله، فقيل: قتله أبو الغدية المزني وقيل:



مشهد عمار (رض) - الرقة

الجهني، طعنه طعنة فسقط، فلما وقع أكب عليه آخر فاحتز رأسه، فأقبلا يختصمان، كل منهما يقول: «أنا قتلتته». فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار. والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وقيل: حمل عليه عقبة بن عامر الجهني، وعمرو بن حارث الخولاني. وشريك بن سلمة المرادي، فقتلوه.

وكان قتله في ربيع الأول أول الآخر من سنة سبع وثلاثين للهجرة/٦٥٧م. ودفنه «علي» في ثيابه ولم يغسله. وروى أهل الكوفة أنه صلى عليه، وهو مذهبهم في الشهيد أنه يصلى عليه ولا يغسل.

وله أحاديث، روى عنه علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو موسى، وجابر، وأبو أمامة، وأبو الطفيل، وغيرهم من الصحابة. وروى عنه من التابعين: ابنه محمد ابن عمار، وابن المسيب، وأبو بكر ابن عبد الرحمن، ومحمد بن الحنفية، وأبو وائل، وعلقمة، وزر بن حبيش، وغيرهم.

مراجع:

ابن الأثير: علي بن محمد، أسد الغابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠م، خير الدين الزركلي، الأعلام، ومراجع كثيرة. «الموسوعة اليمنية ص ٣١٩٥ - ٣١٩٦»

من نوادر عمار بن ياسر

قال بعضهم: كنا عند عمار يوم صفين، فقال: من الراجز؟ ارجز بالعجوزين. فقال له رجل: تقولون ذا يا أصحاب محمد! فقال: إن المشركين لما هجونا اشتد ذلك علينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قولوا لهم كما يقولون لكم. إما أن تجلس، وإما أن تقول.

لم يشهد بديراً أحد أبواه مؤمنان إلا عمار بن ياسر. وكان لذة^(١) النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان يحمي له الأرض يرعى فيها غنمه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما لكم ولابن سُمية؟ يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار.

وكان عمار يقول، الجنة تحت البارقة: يريد السيوف.

ووشى به رجل إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمار: اللهم إن كان كذب علي فاجعله موطاً العقب. كأنه دعا عليه بأن يكون سلطاناً يطمأ الناس عقبه. وقال يوم صفين: لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَات^(٢) هجر علمت أنا على الحق، ونهم على الباطل.

وقال له رجل: أيها العبد الأجدع. وكانت أذنه أصيبت في سبيل الله فقال: غيرتموني بأحب أذني إلي.

وقال لقوم: جرؤوا الخطير ما انجر لكم. الخطير: زمام الناقة، يريد: امضوا على أمركم ما أمكنكم.

ولما بايع أبو موسى قال عمار لعلي: والله لينقضن عهده، وليخلفن وعده، وليفرن جهده، وليسلمن جنده.

وقال: ثلاث من جمعهن خصال الإيمان: الإنفاق في الإقتار، والإنصاف من النفس، وإفشاء السلام.

(١) لدته: نظيره في العمر.

(٢) السَعَفَات: أغصان النخل إذا يبست.

الشهيد الذي اشتاقت اليه الجنة عمار بن ياسر

للكور أحمد الشرياضي

انه الصحابي الجليل ابو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر العنسي، الذي كان من السابقين إلى الإسلام هو وأخوه عبد الله، وأبوه ياسر، وأمه سمية بنت خياط التي كانت أمه عند أبي حذيفة، ثم زوجها لياسر بن عامر والد عمار، وهي أول شهيدة في الإسلام، قتلها أبو جهل عليه لعنة الله قتلة شنيعة، حيث طعنها بحربة في جسمها فماتت، فباء أبو جهل بالخيبة والعار، وفازت هي بالشهادة وعقبى الدار.

وقد اسلم عمار مع صهيب الرومي في وقت واحد، في دار الارقم بن أبي الارقم. وكان الذين أسلموا لا يزيدون عن الثلاثين إلا قليلا. وكان عمار أيضاً من القلائل الأوائل الذين أعلنوا إسلامهم: كابي بكر وبلال وخباب وصهيب، وتعرضوا لألوان من العذاب والامتهان بسبب هذا الاعلان. وكان عمار وابوه وأمه وأخوه يعذبون في الله تعالى على إسلامهم، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمر وهم يعذبون، وهو لا يملك لهم شيئا، وبه من الهم لأجلهم ما الله به عليم، فيقول: «صبر آل ياسر، فإن موعدكم الجنة». وفي يوم اشتد العذاب على عمار، ومر به الرسول فقال له عمار: يا رسول الله، لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صبرا ابا اليقظان، صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة.

وجاء في رواية أخرى: «صبرا يا آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت»^(١). وبلغ المشركون من الضجور انهم اخذوا جسم عمار بالنار، فدعا النبي قائلًا: يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار، كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم. واشتد العذاب يوماً بعمار ثم اشتد ثم اشتد، حتى فقد وعيه، واصبح لا يدري ما يفعل ولا ما يقول، فأمره المشركون أن يردد كلمات ضد دينه، فرددها بلسانه دون وعي، ثم ادرك بعد افاقته ما قال، فحزن حزناً شديداً، ولكن الرسول هون عليه الأمر بأن قال له: ان عادوا فقل لهم مثل قولك هذا.

وفي ذلك نزل قول الله جل جلاله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾. وكذلك نزل في عمار وامثاله من المعذبين قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَا لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٥ ص ٧٩٥.

وهاجر عمار مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وجاهد معه في غزوات بدر واحد والخندق وسائر الغزوات، واشترك عقب الهجرة في بناء مسجد الرسول، وكان الناس يحملون فيه لبنه لبنه (أي حجرا حجرا) وعمار يحمل لبنتين لبنتين، وكان يجعل لبنه منهما عن نفسه. والأخرى عن النبي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لناس اجر، ولك اجران. وآخر زادك شربة من لبن، تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة، ويدعونك إلى النار». ثم قال له: «يا ابا اليقظان، لا تشقق على نفسك».

فقال عمار: «يا رسول الله، اني احب أن اعمل في هذا المسجد». فقال له النبي: «انت من أهل الجنة، وتقتلك الفئة الباغية». وأخذت شواهد الإيمان واليقين والإخلاص تتجلى من عمار في أعماله وأقواله وتصرفاته وعواطفه، حتى كأنه قد صار نموذجا من الإيمان يتحرك على الأرض ويسعى بين الناس، ولذلك كان جديرا بتزكية الصادق الصدوق رسول الله حيث قال فيه: «لقد ملئ عمار إيمانا إلى مشاشه». والمشاش هو رؤوس العظام اللينة في داخل الجسم. وقيل امشاش رأس العظم. وفي رواية: «إلى أخمص قدميه».

وقال الرسول أيضا: «ان الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان». وفي بعض الروايات: «اشتاق الجنة إلى أربعة: علي وعمار وسلمان وخباب». وكان يحرص على مرضاة ربه. حسب اعتقاده. مهما كان الثمن، فكان يقول: «اللهم انك تعلم اني لو أعلم ان رضاك في ان اقتد بِنَفْسِي في هذا البحر لفعلت. اللهم انك تعلم اني لو أعلم ان رضاك ان اضع ظبة سيفي في بطني، ثم انحني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت، اللهم اني أعلم مما علمتني اني لا اعمل عملاً صالحاً هذا اليوم هو ارضى من جهاد هؤلاء الناسقين، ولو أعلم اليوم عملاً هو ارضى لك منه لفعلته»^(١). وكانت له شعاراته الرائعة في الجهاد، مثل قوله: «أيها الناس، الرواح إلى الجنة». وقوله: «صبرا، والله ان الجنة تحت ظلال السيوف».

وهكذا كان عمار عملاقاً في أقواله وأعماله، مثالا للمسلم الغيور في تحركاته وتصرفاته، ولذلك حق للسيدة عائشة ان تقول فيه: «ما من احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشاء أن اقول فيه إلا قلت، إلا عمار بن ياسر، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انه مليء إيمانا إلى أخمص قدميه»^(٢).

ولقد تلا عبد الله بن عباس قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ سورة الأنعام الآية ١٢٢. ثم قال: ان من جعل الله له نورا هو عمار بن ياسر، والماشي في الظلمات هو ابو جهل^(٣).

(١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٧. (٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٣٩. (٣) المرجع السابق.

وقال ابن عساكر: عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخلط الله الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحق حيث زال، ولا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً..



ووفي عمار للإسلام في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين، وحينما أقبل الخليفة الرابع الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه، وبسط يده القوية الفدائية في محاربة الطغيان ومقاومة الضلال، كان عمار بن ياسر من أسرع الناس إلى الوقوف بجانبه، وأظهر في القتال مهارة ملحوظة، ولذلك كان الإمام علي يجعله أميراً على الرجالة (المشاة) تارة، وعلى الخيالة (الفرسان) تارة أخرى.

وكان عمار يتحرق شوقاً إلى مواجهة الضالين بالموقف الصارم، فإما أن يستقيموا ويعتدلوا، وأما أن يعتزلوا ويوزلوا، وهو يرى في جهادهم تقرباً إلى الله عزوجل، وسبب تشريف وتكريم له ولا مثاله، ولذلك قام للإمام علي قبيل معركة «صفين»:

«يا أمير المؤمنين، ان استطعت إلا تقيم يوماً واحداً فافعل. اشخص بنا قبل استعار نار الضجرة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادعهم إلى رشدهم وحظهم، فإن قبلوا سعدوا، وإن ابوا إلا حربنا، فوالله ان سفك دمائهم، والجد في جهادهم، لقربة عند الله، وهو كرامة منه». أما ومضى عمار بقيادة الإمام علي إلى المعركة، متدثراً بالإيمان، طالباً إحدى الحسنين: أما نصرة للحق، وأما شهادة تأخذ بصاحبها إلى طريق الجنة، وهو يردد كلمات الثبات واليقين، والإصرار على الإقدام، وعدم التردد في الدفاع عن المبدأ، وكان مما يرتجز به يؤمّن قومه:

كلا ورب البيت لا أبرح أرجي	حتى أموت أو أرى ما اشتهي
لا افتأ الدهر أحامي عن علي	صهر الرسول ذي الامانات الوفي
ينصرنا رب السموات العلي	ويقطع الهام بحمد المشرفي
يمنحنا النصر على من يبتغي	ظلمنا علينا جاهدا ما يأتي

وكان الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه، لعلمهم انه مع الفئة العادلة، بشهادة حديث الصحيحين القائل: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية».

وشاء رب العزة ان يذوق عمار طعم الشهادة في هذه المعركة، في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، والعجيب كل العجب ان عمارة كان قد بلغ الثالثة والتسعين من سنوات عمره، ولكن هذا الشيخ الذي شاب شببته في الإسلام. وأشرف على المائة من الأعوام، ولم يتقاعد عن موطن الجهاد والاجتهاد، وحينما أحس بالموت من طعناته قال: أيتوني بشرية لبن فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن. وأتوه باللبن فشربه، ثم أوصى أن يدفن بثيابه، فدفنه الإمام علي بثيابه، وقال وهو بين الحياة والموت «الجنة تحت الأسنة، اليوم القى المحبة، محمداً وحزبه» ثم مضى ليلقى الأحباب هناك مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

علامة الهدى عمار بن ياسر

السيد صدر الدين شرف الدين

قد تعجب لكهل انصرف من عقدة الرابع أو كاد، يسلط عليه من حز الحديد، ومن لفح النار، ومن ضغط الماء، وعذاب نكر، فلا يستخذى للعذاب، ولا يحفل به، ولا يباليه، بل يقبل عليه مرة بعد مرة في مرات كثيرة، مطمئناً له، راضياً به، لكأن أطراف الأسنة والسنة النار، وضغط الماء أشياء من دغدغات حبيب تثير الرضا لا السخط، وتدعو إلى الاغترباط لا إلى الحزن، وتحى الرجاء لا اليأس.

وقد تعجب لشيخ ينصرف من عقده العاشر أو يكاد، يسلط هو على عدوه من سيفه ناراً تشبهها النار، ومن عزمه حديداً أصلب من الحديد، ومن اندفاعه سيلاً أعنف من السيل.

وقد يبطل عجبك من هذا وذاك، حين تعلم أن هذا الشيخ الفتى المستطيل، إنما هو ذلك الكهل الشاب المضطهد نفسه، وأن هذا الإنسان الراسخ في حاله، لم يستقبل الفتنة المنكرة كهلاً، ولم ينزل فيها للعذاب الشديد الغليظ عن بدنه، إلا من أجل عقيدة كانت ما تزال طرية الغرس في نفسه، وأنه لم يمتشق في شيخوخته سيفه العاصف المتأجج المرهوب المحبوب إلا من تلك العقيدة، وقد توطنت في نفسه وامتدت واستمكنت، فإذا هي روحه الذي يتنفس ودمه الذي يجري. وماذا تنتظر من شيخ تتيّم كهولته عقيدة نيرة، وتصبره على العذاب الشديد الغليظ فيها. وهي طرية الغرس لما تنتشر عروقها في أنسجته وشرابينه، غير أن تنتضيه ذلك السيف العاصف. وقد هبطت جذورها إلى أخمصه واشتبت خيوطها في مشاشه، وفشت منه في كل غدة، وفي كل حجيرة، حتى استحال دمه كله إيماناً وإخلاصاً، وحقا من الحق الصريح.

لم يكن الكهل الشاب يتلقى حز الحديد، ولفح النار، وضغط الماء، بلحمه ودمه، وإنما كان يتلقاه بعقيدته وإيمانه، فإذا لقي جلده: هذا الثوب، من العذاب الشديد الغليظ أذى وتبريحا، فقد كان نفسه، تلك الروح، تجد من التضحية لذة وترويحاً.

ثم لم يكن الشيخ الفتى يصارع عدوه بساعده وعضله، وإنما كان يصارعه بدينه ومبدئه، فليس هو. في واقعه. جارحة تكل، ولا سيفاً يفل، ولا ضربة تنبو، وإنما هو حقيقة تنصب على زيفها الصباب النور على الظلام يمزقه تمزيقاً، ويمحوه محواً.

فأي عجب بعد هذا في أن يصبر كهل على فتنة، أو يثبت على امتحان، مهما غلا هذا أو تلك في قسوة، أو بالغاً فيها؟ وأي عجب بعده في أن تشب شيخوخة هذا الكهل وقد تبين لها

الحق، ووضح له الطريق؟ وما حاجة الكهل والشيخ معاً إلى أجساد الشبان، وعضلات الأحداث مما تنتظره لصبر ممتحن أو إقدام مقدام؟ وما الفتوة؟ هل هي سن وميعة صبا؟ هل هي مرحلة معينة من مراحل العمر؟ الواقع أنها ليست كذلك، وإنما هي إيمان، يكبر حظك منها كلما كبر حظك منه، هي حماسة إيمان تلبس إهاب الكهول والشيخوخة، كما تلبس إهاب الشبان الأحداث، فتتشق في هؤلاء ما ينشئ الشباب الجلد القوى الصبور، وتحرك منه في هؤلاء وهؤلاء، ماتحرك من عزم ونشاط ونفاذ وحيوية وتوقد ومضاء. وكم يافع منطفئ الجدوة كليل الحد تسقطه الفتوة من حسابها وإن أعجبك منظره، وكم معمر متوهج الجمرة مشبوب الهمة تحتضنه الفتوة الأصيلة، وإن نبا في العين مظهره.

وكانت الفتوة تزيد في صاحبنا على نفسها في غيره زيادة مضاعفة. كان لا يشك هو، ولا يشك معه عدوه ولا صديقه في أن لسيفه ميزة، فإذا أهدت السيوف إلى خصومها ضرباً واحداً من الموت، فإن سيفه يهدي إلى خصمه وخصم صديقه ضربين: أيسرهما فناء الجسد، وأشقهما لعنة الأبد. ثم كانت تضاعف فتوته ميزة أخرى لنفسه كميزة سيفه. كان يعلم هو وعدوه وصديقه لا يجهلان أنه مع الحق سلم أو قتل، وأن خصمه مع الباطل انتصر أو خذل، وأية حماسة ادعى للفتوة من حماسة إيمان تهدي إلى عدوها موتين أحدهما أخزى من الآخر، وتدخر لصديقها حياتين أخراهما أبقي من الأولى؟

كهولة حرة برة بكرت بكهلها على الإسلام، قدمته أحد سبعة سابقين أولين، فنهض بأجسم أعباء الرسالة وأشققها، نهوض جهاد متصل، وتضحية صابرة وكفاح مر. وشيخوخة لم تقصر عن كهولته حرية ولا برا، قدمت صاحبها طليعة وفاء لروح الإسلام، فكان من الأحاد الأول الناهضين بأعباء الرسالة، نهوض إجهاد متصل، وتضحية صابرة وكفاح مر، فما التقت جبهتا صراع إلا كان (علامة هدى) في إهداهما سبيلاً. وأعدلها قضية. كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم راية للمؤمنين لم يتفقدوها الرسول في محنة قط. إلا وجدها رفاقه تقتحم الهول على (الشرك) عنيفة به صامدة لعنفه. ثم ظل بعد النبي راية للمؤمنين لم يتفقدوها روح الرسول في محنة قط إلى وجدها هناك رفاة تقتحم الهول على (الردة) عنيفة بها صامدة لعنفها.

قال المحدث: هذا كله جعل من (عمار) بن ياسر (علامة هدى) يموت من يموت إلى جنبه موقناً أنه غاد إلى الجنة، ويهلك من يهلك إلى جنب عدو هو موقناً أنه رانح إلى النار. وكان (عمار) يقول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث خلال من جمعهن جمع الأيمان كله: الانضاق من الإقتار. والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم». وكان ما عاش. هذه خلال الكريمة نفسها، فما رأيناه بشراً من البشر، ولكن رأيناه الأيمان بخلاله الثلاث هذه، يتحرك بين الناس عطاء وإنصافاً وسلاماً. هو العطاء والإنصاف والسلام محارباً كان أو مسالماً.

حليف مخزوم؛

أسمر اللون، عجت طينته بمسك، مديد القامة ولد من عائلة الرماح، بعيد ما بين منكبیه. صيغ تجسيدا للمهابة، أشهل أصلع، «في مقدم رأسه شعرات، وفي قفاه شعرات» كما قال معاصرو القصاص ذو الاداة:

«طويل الصمت كأنما تحدثه الملائكة، سديد الرأي لا يخدع عن الصواب، راجح العقل» ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما» كما وصف رسول الله - زكي النفس سخي اليد، هباب للحق. جريء به، لا يلوى فيه، ولا يصرف عنه».

ولد في حي بني مخزوم من (مكة) سنة ٥٧٠هـ أو نحوها، فقد كان تربا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. كما يقول هو. لم يكن أحد أقرب إلى النبي سناً منه، أما أمه «فسمية» بنت خياط، وكانت أمة لأبي حذيفة بني مخزوم، ولم تكن في أماء قريش أمه مثلها حرة في ذكاء القلب، وصحة العقل، وملاحة الوجه، وعفة النفس، وطهارة الذيل.

وأما أبوه فياسر بن عامر، عريي عنسى مذحجي قحطاني يمانى. أقبل من اليمن مع أخويه: مالك والحارث، يلتزمان أبا رابعاً لهم كان قذف به قدر من أقدار الحياة الكثيرة المصطلحة يوم ذاك على اليمن تفرق أهلاً، وتبعثرهم هنا وهناك، وتنفرهم من وطنهم الذي ألح عليه الجفاف، وابتلاه فساد الحكم بالقحط والمحن، والبطالة ونضوب العيش، فيهاجرون منه أفراداً ويهاجرون منه جماعات بحثاً عن الرزق. وتنقيباً عن العمل.

وكانت مكة مهاجراً تترى إليه الوفود اليمانية منذ تفرقوا أيدي سبأ، أمتها جرهم الثانية، وأمها خزاعة، وحكمتاها واحدة بعد الأخرى غالبتين على حكمها أهلها من بني إسماعيل، حتى استعاده (قصي) بن كلاب (٤٠٠م)، واستأنفه مضرباً. وأم غير جرهم وخزاعة غير مكة من الحجاز، فعمرت يشرب بالأوس والخزرج، وأم غير هؤلاء وأولئك غير الحجاز من العراق والشام واليمامة ونجد والعروض منتشرين كالجراد يملأون فراغ الجزيرة العظيمة، ويزودون هلالها الخصيب بما حملوه من كثافة، وما نقلوه من ثقافة وأوضاع.

وكانت مكة تمتاز على جميع هذه المهاجر بأنها دار أمن لا يأتيه الخوف من بين يديه ولا من خلفه. وبأنها دار رخاء ولا يدنو إليه الجوع من فوقه ولا من تحته، فضيها بيت الله وعليها سدنته الأسماح المطيبون، يبذلون لضيوفها الرفد والكرامة من أنفسهم، ويبسطون العدل في القضاء من حكومتهم، فهم أمنون وادعون، كافلون للأمن والدعة، لا يروعون ولا يروعون.

فلما ينس الإخوان الثلاثة من العثور على فقيدهم في مكة، انحسر عنها مالك والحارث، واستقر فيها (ياسر) حليفاً لمضيفه أبي حذيفة سيد مخزوم، يحفظه هذا، ويحفظ هو لهذا يده عنده، ويثبت احسانه إليه، وامتناعه به، بالوفاء له أكرم الوفاء وأصفاه وأخلصه. وكان أبو حذيفة كأكخيه (هشام) من قبل وكأكخيه (الوليد) من بعد، زعيماً سمحاً كريماً رضيعاً حافظاً للمعروف، مثيباً عليه، وكان حديبا على حليفه العنسى بوجه خاص. رؤوفاً به رحيماً، يؤثره بحب يضيفه إلى

ما أخذ به نفسه من حلفه، وربما أضاف إلى هذا أو ذاك شيئاً من احترامه لهذا العنسى الغريب الذي اضطراته الأقدار إلى الاعتصام بغير داره، وورثته إلى دار يطلب فيها الحماية من غير أهله، وعسى أن يكون، بل هو قد كان، ذا دار متبعة عزيزة، وذا أهل كرام أشداء، من أجل هذا حاله أبو حذيفة، ثم أحبه، ثم احترمه، ولم يخيب ياسر ظن حليفه، فوفى له، ثم تصرف بوفائه تصرف العقلاء الأعزاء الذين يلائمون بين أدب الغريب وضعف اللاجئ وبين كرامة النفس واستقلال الرأي، فكان من سلامة سلوكه ومن صفاء معدن حليفه معاً أن عرف بعد ذلك مخزوميا له ما للمخزوميين، وعليه ما عليهم. يطوف بأندية (قريش) ما يطوف حبيبا أثيرا محترما، لا يثقل على أحد بتكليف، ولا يستثقل أحد له ظلا.

وفي ذات يوم فكر أبو حذيفة بحليفه العنسى، فراه مستقيما لا تطيش به نزوات الرجال، ورأى أنه رجل لا بد لبيته من مرأة، ورأى أن الحياء والاقبال يحولان بينه وبين ما يطمح إليه كل رجل من زوج تدبر له المنزل، وتكشف عنه وحشة الوحدة، وترزقه خير الأولاد، فزوجه (سمية) بنت خياط أحب أمائه إليه وأحظاهن عنده وأكرم الأماء جوهرًا في ذاتها وطهارتها ثم كان من بره بحليفه وقدره الدقيق لمشاغره الحرة تحرير أبنائه من (سمية). لم يسأله ياسر ذلك، ولكنه هو أحس ما بنفس ياسر فرفع عنه بأريحية صناعة إنتاج العبيد والإماء، وكان أفضل (نقوط) عند ياسر حرية بطن سمية التي وقع منها على كنز أي كنز.

أوضاع مكة

درج الصبي عمار ناضج الصبا، خامر الطفولة، يثبت إلى النمو وثوبا، ويسبق الزمن إلى اكتمال الرجولة واستيفاء الذكاء جميعا، وكان ما بنفسه من طموح أعانه على القفز، وألغى عنه ما يفرض على غيره من حكم الزمن، وانتظار إذنه في الانتقال من مرحلة إلى مرحلة. ومن دور إلى دور، ومن حياة إلى حياة.

وشب الصبي الكبير، فهو الآن يقرب من العشرين إن لم يكن بلغها بعد، ذو هدى ووقار ويرب بوالديه، ورفق بعشرائه، يعفى الناس من شره، ويعفيه الناس من شرورهم، فهو صامت غاديا، وصامت رائحا، ذاهب في الجو من غدوه ورواحه مطرقا يرفع نفسه عما يدنس غيره من سادة مكة وعبيدها، ويبضها وأحابيشها ممن أبطروهم الغناء وأفسدهم الرخاء، ومال بهم الطيش إلى سفه ومجون، وتشدق ووقوع في أقوات الناس وأعراضهم.

وحسب الذين تعودوا صمت (عمار) أنه صمت الغريب المستضعف، يسبغه ويضفيه، فيحسن إسباغه وإضفائه أدب في نفسه، ووداعة في طبعه، ولين في مزاجه، وانصراف عما لا يعنيه. أما الذين عاشروه حق المعاشرة وبلوا دخائله حق البلاء، فكانوا يعملون أن لصمته مصدراً آخر أعظم من هذه المصادر كلها، وإن كانت هذه لمصادر حق تؤثر فيه الصمت، وتطبعه عليه. أما المصدر الخطير فكان تفكيراً ملحاً من تفكير حنيف. كما كانوا يقولون. أو وعى حر. كما تعودنا أن نقول اليوم. من وعى الأحرار المفكرين، وكان الوعي في عهده متملماً يبرق إلى الواعين، ويخامرهم،

ويؤامرهم، ويحثهم حثاً عنيفاً على إعادة النظر بهذه الوثنية المظلمة، وبهذه العادات الرثة، وبهذه الأنظمة البالية، ولكنهم كانوا يخشون الجهر، ويخافون الظهور، ولا سيما مستضعف كعمار، أكبر حجته في بقاءه بمكة حلف أبيه لأبي حذيفة، وكل قوته أنه منسوب إلى هذا الزعيم من مخزوم، فلما أحرأه إذ يضطرب وعيه بعيب للآلهة، أو نقد للتقاليد أن يتخلى عنه أبو حذيفة، وما أحرأه إذ يتخلى عنه أبو حذيفة أن تمرقه الشياطين، أو تتقاذفه الغلمان، أو تتخطفه الشياطين. فيذهب من أجل هذا صامتا صمته العميق المفكر، موادعا سادة قريش موادعه أخلافهم وعبيدهم. منتظراً مع هذا وذالك رحمة الزلزال التي يحسها في نفسه، ويحسها في نظرائه، ويحسها في سير الأحداث.

وكان خلال صمته ينتقد بينه وبين نفسه، وربما انتقد بينه وبين أبيه مصير مكة في عهده، وسوء منقلب سادتها أو أكثرهم ممن أسرفوا على مكة وعلى الناس وعلى أنفسهم، فارتدوا جبابرة يوشك أن يبذلوا أمن (البيت) خوفاً، ويعيدوا بشاشة الحياة عبوساً، ويردوا رجاء العيش شدة، فهؤلاء سفهاء من أمية وجمع وسهم وعدى، لا تكفيهم أفيأؤهم ومرابحهم، ولا تسد شهواتهم القيان ومن استزلهن الشيطان من نساء الحاضرة حتى يسطوا بتجارة الغرباء، ويغلبوا الزائرين على بناتهم، فيبلغوا حاجتهم من الأموال والأعراض بغزو من غزو البادية وأشنع وأشد استهتارا. قال لأبيه مرة: ويح هؤلاء السفهاء، ألا يتقون شر هذه البدع المنكرة في قدس بلدهم الذي به يحيون، إن لم يتقوها في زكاة أنفسهم، وتقوى ضمائرهم، ألا ينظرون إذا تسامح بشأنهم الناس من حجاج (البيت) ومصر في التجارة، أن يخلعهم من (البيت) ويزيلوهم من الحكم، أو يقاطعوهم إذا لم يستطيعوا إلى خلعهم وإزالته سبيلاً، فيميتوهم فقراً ومذلة وهواناً؟ ما رأيت طيشاً كطيش هؤلاء السفهاء! ولا يرى طيش كطيشهم يفسد على صاحبه آلة العيش بله عفة النفس وراحة الضمير!

فقال له ياسر: أراك منذ اليوم تكبر على سنك، وتسمو فوق شأنك أتسوق إلى هذا الحديث من نفسك؟ أم ألقى به اليك ملق أراد بك شراً.

قال عمار: لم يلق إلى بهذا الحديث إلا عيني المبصرة، وأذني السامعة، نقلناه إلى نفسي، ثم لم تنقله نفسي إلى أحد قبلك، ولم تنقله إليك إلا هذه الساعة، وإن كنت لأعلم أن نضراً من الصعاليك أمثالي ليننون أتيني، ويشكون شكواي. أترى تقرأ أعين الناس وتطيب نفوسهم بما تنكر الأعين والأنفس، من استرقاق الرقيق، واستضعاف الضعيف، وامتصاص الجهود باسم آلهة هي أشد رقا من الرقيق، وأعظم ضعفاً من الضعفاء؟

فقال له أبوه: قد أعلم ما تعلم يا بني، وأوقن بما توقن، وأزيد فاسمى لك نضراً من العبيد والأحلاف وبعض أبناء البيوت يشوكهم ما يشوكك، ولكن أكتم هذا في نفسك، ولا تجاوزه إلى أحد ممن في هذا الوادي، إن يدع عنك هذا النقد يثر عليك وعلي شراً لا نقدر على دفعه، ولا نقوى على تحمله، وتعلم يا بني أن لهذا (البيت) رباً يحميه، ويكشف عنه كل ضرر، وأنت لم تكن يوم

(الضيل) فقد كنت رضيعاً، وقد كنت أنا وشهدت يومه فيمن شهد، ورأيت كما رأى الناس عجبا، رأيت سيد قريش: عبد المطلب بن هاشم، يأمر أهل مكة أن يخلوا بين (برهة) الحبشي وبين (البيت) ولم يكن له ولا لقريش قبل بلقاء جيشه الجرار المنظم، ورأيت مطمناً يذبح الطمأنينة في أهل مكة، ويعددهم النصر دون قتال، وكنت يائساً. ولا أكتمك. في مكة مع اليائسين، شاكاً يوعد عبد المطلب مع الشاكين، ولكنني رأيت بأمر عيني هذه جيش (ابرهة) ممرقاً تمزيق، منكلاً به شر تنكيل، فما كاد يوعز الحبشي إلى جيشه بالهجوم حتى غام الجو واضطرب، وأخذ مخاض شديد، ثم أقبلت من مجاهله سحب من طير صغار تحمل في مناقيرها وأرجلها حصى صفارا، ثم ترمي الجيش المعتدي من حصاها بوباء، فلا ترمي إحداهن الحصاة الصغيرة على رجل إلا خرقتة ونشرت فيه دائن من حصبة وجدري، وما هي غير ساعة حتى انكشف العدو مقطعاً وانتصر (البيت) موفوراً، وجلت الطير مشكورة، ونزلت السماء تغسل بقايا البواء. ومنذ ذلك اليوم تعلمت أشياء نافعة كثيرة، تعلمت الإيمان برب البيت الذي يعبد عبد المطلب، لا بهؤلاء الأرياب الذين تعبدهم عامة قريش، وتعلمت أن إيمان المؤمن المستضعف أقوى من قوة الظالم المتعجرف. وتعلمت ألا أزيد بانتصاري للحق على طاقتي، ولا أعدو فيه طوري، نازلاً عن قيادته لأصحاب القيادة وأكفائها، كما نزل عبد المطلب لربه عن حماية (البيت) فيما أعجزه من حمايته دع هذا الأمر. يابني. لأصحابه، فأت بالقياس إلى هؤلاء السفهاء أضعف من عبد المطلب بالقياس إلى جيش ابرهة، وبنو عبد المطلب في حرصهم على قداسة (البيت) وأمن بلدهم وقدرتهم على الأخذ بأعراف هؤلاء السفهاء، حيث لا تقاس إلا بأحد غلمانهم، فدع لهم أولو أحد منهم أن يتحدث بهذا الأمر ويفشيه بين الناس، فإنه إن يفعل لا يجد أحد في مكة إليه سبيلا، وعساه إن فعل أن يبلغ من تأديب هؤلاء السفهاء ما يرضيك ويرضيني ورضيه، وسواء أبلغ من تأديبهم الحاجة أم لم يبلغها، فهو من حاله في حصن من الأذى، وفي قمة من طاعة الناس لأمره، وأصفائهم إلى قوله، أما نحن. يا بني. فليس من الأمر غير الرضوخ والصبر، فإن أبينا سلخوا جلودنا كما تسلك الشياه، ثم لا ينتطح في محنتنا عنزان. وليتنا إذ نسلخ نبلغ الحاجة من تعميم الخير، وإفشاء العدل، إذن يكون ثمننا مغريا، ولكننا لن نجد إذ نحدث الناس بهذه الأمور غير الاستخفاف والسخرية ولن نجد إذ نضحى غير اللوم والتقريع من جزاء. ألا تعلم يا بني أن التحدث بأمور العامة في نظام كنظامنا الحاضر وقف على الأقوياء من السادة والقادة والأشراف والنبلاء، وأنه محرم علينا نحن الضعفاء من الأرقاء والحلفاء والصعاليك والدهماء. وآخر ما أوصيك به أمران: أن تؤمن برب هذا (البيت) من إله عبد المطلب لا آلهة قومه. وأن تثق بهؤلاء النفر من هاشم، فهي. فيما رأيت وبلوت. أصحاب الخير في هذا الوادي، وعسى أن يكون لهم شأن في شكايتك هذه وهم بالغوه في هذه الأيام.

بهذا تحدثني نفسي حديثاً أستيقنه جملة، وأجهله تفصيلاً، وما أدري ما يأخذني من تريك: (الصادق الأمين) كلما رأيته. إن له طلعة لمحتها تضمن بشر عام وخصبه، وقد كان جده

عبد المطلب يتوسم به أعظم الخير، وينتظر أن يكون له شأن من شؤون السماء.
قال عمار لأبيه: لست أعدو لك رأيا، ولا أخالف لك أمراً، ولكني رأيتك تخضع الهاشميين
إلى إله غير آلهة قريش، فما هو هذا الإله؟ وما مكانه؟ وماذا عساه أن يكون؟ ولماذا لا يظهره كما
يظهر الآخرون آلهتهم؟

قال ياسر لابنه: أنا لا أعرف إله الهاشميين معرفة كاملة، ولكني أدركت فيهم وفي قومهم ما
يمكن أن أدير من عقلي، فوجدت لهؤلاء رأيا جميلاً في الله، ورأيا جميلاً في الحياة ليس لقومهم
مثلاً: وليس إله عبد المطلب إلهاً مصنوعاً لا ينصر إلا أن ينصر، ولا يعطى إلا أن يعطى، بل هو
إله صانع ينصر ولا يستنصر، ويعطى ولا يستعطى، ألم تر إلى ما حدثتك به من أمر (إبرهة)
وجيشه؟ ألم تر إلى تلك الطير الضئيلة التي لا نعرف مثلها في النسور، وإلى حصواتها الصغار
التي لم نعرف مثلها في الصخور، كيف أهلكك جيشاً لم تثبت له اليمن؟ ذلك كله مظهر من
مظاهر القدرة في إله عبد المطلب. فأين منه آلهة الناس مما يصنعون من تماثيل ودمى عمى صم
بكم لا تعقل، ولا تدفع عن نفسها شراً أن أردناها بشر، وإله مثل إله عبد المطلب. يابني. خليك أن
يكبر على طاقتنا، فإن يخضع إلى تصرفنا كي ننقله أو نحمله أو نعبد به كلما شئنا، كيف شئنا.
قال عمار: لست أعني بإظهاره تجسده ولا تمثيله، ولانقله من عليائه إلى مصارف هذه
الاحجار الصم العمي البكم، فليكن إظهاره بإظهار أمره وإقضاء سره وإعلان قدرته.

قال ياسر: لكل أجل كتاب. يابني. لا يسبقه ولا يتأخر عنه، وكيف يتأتى لعارفي هذا الإله
العظيم إظهار أمره قبل تحرير الناس من سيطرة الخرافة، وقيد العادة، وعبادة الذات، وسحر
الوهم. وهذه كلها جنود مجندة، ولا تكاد تحس المتحرر حتى تأخذ عليه الافاق، وتسد عليه الطرق.
وقد رأيت عبد المطلب برغم ذلك يتأتى الفرصة، ويسعى في مهل إلى خدمة ربه دون أن يحفظ
قومه أو يريهم فيفاجئهم شيئاً فشيئاً بسنن وتنظيمات تعدهم لما يسميه (الحنيفية) من دين
جده إبراهيم، ومن حكمته. في تأتيه الفرصة وتحببها. أنه بدأ بنفسه، فاجتنب الخمر على أنها
رجس. ولم يخرج قومه بحملها على اجتبابها. مكثفاً يهدد السلبية التي تقبح عادة من عاداتهم،
وتسفه حلماً من أحلامهم، وتنزل من عقول عقلائهم منزل القدوة، ثم فارقه في حقيقة دينهم
كله بسلبية أخرى دون إكراه، وذهب إلى غار (حراء) يتحنث وينسك معتزلاً آلهتهم متوجهاً إلى
إلهه بصومه وعبادته، مكثفاً أيضاً بسلبية تحقر الأوثان تحقيراً غير مباشر، وتشنع على الوثنية
والوثنيين تشنيعاً دوى في صدور الأحناف، ثم تجاوز حقل الدين إلى حقل الحياة بثورة أخرى
على شكل آخر، فأهان (أساف ونائلة) إلهي النحر والأضحيان بحفرة عندهما بئر زمزم، وقده
تكلف بهذه الثورة بعض الجهد، واحتمل بعض المشقة، ولكنه انتصرو وأعلن من نصره هذا نصرين
عظيمين، على الخرافة والتقاليد، انتصر على (أساف ونائلة) باستخفافه بهما، وإعلانه ضعف
خطيرهما وانتصر على عجز الإنسان باكتشافه ماء زمزم: هذه البئر التي لا تنزف أبداً ولا تدم. ثم
كانت له آيات أحدثت في سور القوم المسحور كثيراً من الصدوع، وفتحت به كثيراً من الثغر في

جهاد صادق كان يصرع الأوهام في هذا البلد شيئاً بعد شيء، ويؤلب عليها أهله والأقرب من عشيرته وصديقه، فإذا جاء اليوم الخطير وجد طريقه ممهداً.

قال عمار: ولماذا لم ينصره. يا أبت. ربه نصرأ حاسماً بأية كطير أبابيل، وما باله يؤتبه النصر شيئاً بعد شيء كالمدین المطول لا تطيب نفسه بالوفاء جملة، فيسد دینه أقساطاً.

قال ياسر: هذه مسألة قد يكون على أقل من الجواب عليها: وقد يكون عند أبي طالب حلها أو بعض حلها، ولكني أظن رب عبد المطلب ربا في قدرته الهائلة غنيا في ذاته، وإنه في قدرته الهائلة رب رؤوف حلیم غير ذي انتقام، فهو في غناه الذاتي قادر على الإمهال، نشيط على الصبر، كالدائن السمع يسدى بالإدانة أيادی عدة لا يداً واحدة: يداً في الدين، ويداً في أرباح الدين، ويداً ثالثة في إمهال المدين حتى يدركه يسار النفس ويسار المال، وهو في غناه الذاتي بعد هذا كله حيث لا يضره غى الناس، ولا نفعه رشدهم، فسيان عنده علموا أو جهلوا، وسيان عنده سفهوا أو عقلوا، وسيان عنده شقوا أو سعدوا، لا يناله من أحوالهم كلها ربح ولا خسارة، وإنما يريد لهم ما يريد من خير، ويأبى لهم ما يأبى من شر، ثم لا يليق بغناه الذاتي فقر التدخل بأحوالهم على نحو الجبر، لذلك لا يكرههم على الفضيلة إكراها، وإنما يخيرهم، ويخلى بينهم وبين ما يشاؤون من فضيلة أو رذيلة، في أناة من لا يخيفه الفوت، ولا يعجزه الطلب.

وهو من رافته، بمكان الألوهة، ينظر منه إلى أعدائه نظره إلى أصدقائه، كلهم عباده، كلهم عياله، وكلهم حرى عنده أن يحيى ويعيش ويسعد، لا يأتي التفاوت في هذه الأمور من قبله، وإنما يأتي من قبلهم، صدره ليس ضيقاً كصدورنا. يابني. حرجاً بالحسد، فواراً بالقمة، بل هو صدره الرحب الفسيح الخافق بالحب والرحمة والغفران، فلو قد عجل على الخطئين بالنقمة، وأغلق في وجوه العاصين أبواب التوبة، لم يكن حالذاك إلهاً، وإنما كان ملكاً جباراً تعروه الخطيئة، ثم يجب عليه القصاص، ثم إذا فعل ما تتمناه أنت من معاملة الناس قل لي: من يبقى من البشر على وجه البسيطة؟ وإذا أخلى البسيطة من الناس، قل: من ذا الذي يعرفه بعدهم؟ وما الفائدة بعد ذلك من الأنظمة والشرائع والقيم؟ بل ماذا يبقى للحياة كلها من الغايات والأغراض والأهداف؟ تعلم. يابني. أن رب عبد المطلب رب لا أطول من أناته، ولا أوسع من رحمته، ولا أغنى من ذاته، لا يكره بل يخير. ولا يعنف بل يلفظ، ولا يعجل بل يمهل ولا يعسر بل ييسر، وقلما يظهر من قصاصه، ثم لا يقتص إلا إذا طفق الكيل، وإلا إذا توقفت على القصاص حكمة من حكمه البالغة، أو خيف انقطاع هذا الخيط الضعيف الذي يشد الأرض إلى السماء.

قال عمار لأبيه: لله حرة انكشفت عنك. يا أبتى. إنني لأشرب كلمك هذا كما أشرب الرحيق، فينشر في نشوة سأسأل شاريي الخمر عن ديببها، يخيل لي. يا أبة. بعد الذي سمعت أنك لست إنساناً، وإنما أنت ملكٌ يفرس في ريشاً من أجنته، بقيت عندي مسألة لا أحب أن يفوتني علمها.

قال ياسر لابنه: قل وخالك ذم إن يكن عندي خير فهو لك.

قال عمار: يا أبتى رأيتك تعظم من بني هاشم ما لا تعظم من بني مخزوم. وقد أعلم أن بني هاشم أرفع مكانة، وأعز نفرا، ولكن مخزوما حلفاؤك، وذووا الفضل عندك، أليس من الوفاء لهم أن تحبس عليهم ميلك.

فقال له أبوه: وصلتك رحم يابني. أنا إنما أعظم الحق بمعزل عن هاشم ومخزوم. ولو حدثتك بحديث القلب والعاطفة لكنت جديراً بالميل إلى أحلافك كما زعمت، ولكني أعلم أن ميلي العصبي ككل عصبي، لا يغني عن الحق شيئاً، ولا يغير منه شيئاً، وقد رأيت يعيني رأسي وعيني يقيني. ومن أربع. أن الفرق بين هاشم وبين عامة قريش، وأفضلهم مخزوم، كالفرق بين إله هاشم وبين آلهة قريش. أولئك أرواح برة نشيطة عاملة مدركة، وهؤلاء تماثيل جامدة ثقيلة بغیضة فإذا تحركت لم تأت بخير.

خذ الحق. يابني. حتى من نفسك، فورب عبد المطلب لو فارقتني أنت فيه لفارقتك، ولكان أعظم بري بك وحيي إياك أن أدخلك عليه، أو أدخله عليك ما استطعت، فإن لم أستطع كان أعظم حبي إياك وبري بك أن أرثي لحالك من بعيد هذا قياس وفائي لمخزوم: أهبها قلبي وأمتع عنها عقلي إلا في الحق فإن خالفت الحق رجوت لها أن تعرفه، وهذا أعظم الوفاء. ويلغا من حوارهما هذا الحد.

قال المحدث: وكان حوارهما هذا من حديثهما الصباحي، وكان صباح (مكة) صباحاً قرشياً مترفاً، تحتشد فيه الأندية، ويطيب فيه الحديث، وكان ياسر يتخلف عن نادي بن مخزوم أحياناً ليجلس إلى ابنه يجاذبه كلاماً هو أشبه بالدرس منه بالعبث والمفاكة اللذين تصرف بهما قريش السأم عن الوقت، وكان لباس من ملاحظته وعقله وتجربته وحكمته اليمانية ما يؤهله أن يقع من ابنه موقع المعلم من التلميذ.

قال المحدث: وقطع عليهما حوارهما ذلك الصباح هتاف هبط عليهما من (أبي قبيس) كما هبط على غيرهما، وعلى غير بيتما، من متحدث (مكة) وأنديتها، وقطع من الأحاديث كلها ما قطع من حوارهما ذاك، وأنصتا فإذا الهتاف يهبط من (أبي قبيس) نقياً صافياً حاراً مشيراً ببعث الروع والروعة جميعاً، وتابعاه بكل حسهما، وبما اقشعر من بدنيهما، فإذا هو يردد هذه الأبيات في نقاء وصفاء وحرارة وإثارة:

يا للرجال لمظلوم بضاعته	ببطن مكة نائي الحي والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته	يا أهل (فهر) وبين الحجر والحجر
هل منصف من بني (سهم) فمرتجع	ما غيبوا؟ أم ضلال مال معتمر

قل عمار: أرايت. يا أبتى. إلى ما حدثتك عنه من سفه هؤلاء؟ لقد بلغت الشكوى منهم رؤوس الجبال.

فقال ياسر: ما شككت. يابني. أن طفولتك تنفتح عن شباب رشيد، ولكن احفظ عني ما أمرتك به صدر حديثي أنفاً، وانهض الآن فاقتص لنا أثر هذا الخبر، ما خطب هذا

الهاتف يصاحب (مكة) بهذه الشكوى المرة؟ وما عسى (مكة) أن ترد على هذا المظلوم من مظلمته الصارخة؟

ولما عاد ياسر قال لأبيه: أم يخطئ علمك ببني هاشم من صلاحهم شيئاً كان الهاتف رجلاً من (زيد) أقبل إلى الحاضرة ببضاعة ثمينة ابتاعها منه أبو عمرو العاص بن وائل السهمي، فأواها إلى بيته ولما بدفع ثمنها لأخي زيد، ثم غيب وجهه، وبطلبه الزبيدي فيعجزه الطلب، ويبتغي متاعه فيمتنع عليه المتاع، ويلتمس بني سهم يشكو اليهم أخاهم فلا يجد وجوهاً، بل يجد أقضية، ويبلى في طلب حقه بلاء حسناً، فيطوف على أندية قريش من ظهراء (سهم) فلا يجد غير اعتصاب على الاغتصاب، وغير ممالأة على الغزو المجرم، وغير عفو من الجميع عن العاص يشتري منه عفواً عن مثلها يأتيها حرب بن أمية، وأبي بن خلف وغيرهما من فتاك مكة وعصابتها. وانتهى الأمر إلى (أبي قبيس) يشكو أمره إلى قريش مجتمعة، بعد أن شكا إلى أكثرها متفرقة، راجياً أن يكون لشكواه العلنة شأن وتأثير، ويرسله. كما سمعنا. صوتاً يهوى من العلياء كما ينزل الصوت من السماء.

قال عمار متابعاً: ولقد جهدت أن أحس وقع هذا الصوت العادل، وأرى إلى أثره المرجو في هذا الحرم من وطن السلام، فلم أجد غير قفر يبسط ظله الصحراوي على كل مكان إلا واحة تنشز فتتهزل للنداء اهتزاز نجدة وأريحية وإيمان.

قال ياسر: لعلك انقلبت عن نادي الزبير بن عبد المطلب؟ فقال عمار: ما أعلمك بهؤلاء النفريا أبته؟ وقد تركته يتحرك في اتجاه حلف يضع حداً لهذه المهازل، لكأنك تنظر إليه بما حدثتني عن رجل الانقلاب وصاحب الساعة. قال ياسر: ما ظننته هو بالذات. وما أظنه صاحب الساعة التي أعني، وإن كان لمن معدانها وأسبابها. ومالك تعجل ولكل أجل كتاب؟

قلا المحدث: وولع الصبي بعد ذلك ولوعه الهائم بالعدل، وأولعه العدل بالهاشميين ذلك الولوع الهائم أيضاً. وكان بكر اهتماماته اهتمامه بنتائج صفقه الزبيدي غداً على أبيه مرة عادياً. وقص عليه قبل أن يلفظ أنفاسه النبأ التالي:

أثمر مسعى الزبير بن عبد المطلب. فاجتمع له مؤتمر عقده في دار عبد الله بن جدعان التيمي، وألفه من بني هاشم وبني أسد وبني زهرة وبني تيم، وحضر معهم تربي (الصادق الأمين) فتماسحوا بكفهم، وتحالفوا ليكون مع المظلوم حتى يؤدوا له حقه، ما بل بحر صوفة، فلا يظلم بمكة غريب ولا قريب، ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه حتى يردوا له مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم، وتحالفوا على التأسى في المعاش، والتساهم بالمال أيضاً. وقد أسمى الزبير حزيه هذا (حلف الفضول). وكانت أولى ثمراته انقاذ حق الزبيدي من فرعون بني سهم.

وأقبل على أبيه ذات يوم يقص عليه: دخل السوق تاجر من بني بارق فباع بضاعته من أبي خلف الجمحي، وهو. كما تعلم. مطول سيء المخالطة، فاضطر البارقي لرفع أمره إلى حلف

الفضول، ويقول له الزبير: أخبر أبيأ أنك أبلغتنا شكواك ثم عد إلينا إذا لم تخرج إليك حقت. فاتاه فأخبره فأخرج إليه حقه.

وقص عليه مرة فقال: قدم خثعمي إلى مكة تاجراً، ومعه بنت ايها (الفتول) وهي أوضاً فتاة، وأصبح نساء العالمين، ويراها نبيه بن الحجاج السهمي فيرى منها ما يبهره، ويطير نفسه حولها فيؤا إلى أن يطبق عليها وينزعها من يد أبيها. ويقتحم عليها وجه أبيها وصدره، ثم يتركه بعدها خزيان أسفاً، يقلب في أثرها طرف خاسر حائر خائر، ويقال له: وهو سادر: عليك بحلف الفضول، وكأنما أدركه الفرج، فينشط ويعود من حلف الفضول ومعه رسل الزبير إلى نبيه يأمرونه بإخراج الفتاة إلى أبيها، فيناشدهم نبيه أن يمتعوها بها سواد ليلة، فيقولون له: قبحك الله ما أجهلك! والله ولا شخب لقحة. أخرجها والا. فيخرجها صاغراً، وتخرج مكرمة.

ويقول ياسر لابنه: كان عبد المطلب قبل (الفضول) وكانت رسله تحل هذه المشكلات، أغرى حرب بني أمية أحد رجاله باغتيال ثرى مستضعف، واغتيل المسكين فاحترق تركته، ورفعت القضية إلى عبد المطلب، فأعاد سيد قريش التركة إلى الورثة، وغرم حرباً دية القتل مائة ناقة. ثم تمر الأيام أخذاً برقاب بعض، وعمار يغدو على أبيه من أطرافها ويمسى بخير من هذه الأخبار، وبفكرة من هذه الفكر، لا يمل هو، ولا يمل أبوه، لعل أباه أعرف منه بهذه الأخبار وهذه الأفكار، ولكنه يصغى إليه إصغاء المشجع، ويعلق على أخباره تعليق المربي. وكان بعد كل إصغاء، وبعد كل تعليق يأمره بالتحفظ، ويوصيه أن يحفظ ما يأمره به. وكان الصبي يختم كل قصة وكل فكرة بقوله: لله أبوك يا أبتى. لم يخطئ علمك بيني هاشم من صلاحهم شيئاً؟



سور الرقة الأثري

عمار بن ياسر

الشيخ عبد الله المراعي

للمصحابة فضل ومقام جليل، وفيهم القدوة الحسنة والمثل الصالحة للسير على مناهجهم، وهم يتفانون في الفضل وفي السبق إلى الإسلام، كما يتفانون في التفقه والإمام بالأحاديث النبوية والعلم والحدق في فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله.

ولقد كان عمار بن ياسر من هؤلاء الذين علت أقدارهم، وسمت مداركهم واستناروا وامتازوا بسبق إسلامهم، ورضى رسول الله عنهم ووصفهم بالأوصاف الكريمة، فقد روى على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «جاء عمار يستأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيب» وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أبشر عمار تقتلك الفئة الباغية»، ولقد تحققت تلك النبوءة. وسترى كيف تحققت هذه النبوءة الصادقة. وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ماخير عمار بين أمرين إلا اختار أرحدهما» وعمار هذا هو ابن ياسر ويكنى بأبي اليقظان وجده عامر الكنانى المذحجى العنسى وأمه سمية.

ولقد كانت أسرة عمار من الأسر المستضعفة في بدء الإسلام، حين كانت للمشركين صولة، وللطاعين دولة، وللباطل سلطان وللشرك صولجان، فقد ماتت سمية والدة عمار في العذاب على يد أبي جهل، فكانت أول شهداء الإسلام. ولقد مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أسرة عمار وهم يعذبون في الله من أجل إيمانهم فقال: «صبرا آل ياسر موعدكم الجنة».

ولقد امتاز عمار بنشاط ملحوظ مادي ومعنوي، فلقد كان جريئاً في إسلامه شجاعاً في الدفاع عن عقيدته، مضحياً من أجلها بروحه ودمه، فقد حدث عن إسلامه فقال: لقيت «صهيب بن سنان على باب دار الأرقم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها فقلت ما تريد؟ قال: وما تريد أنت، قلت أريد أن أدخل فأسمع كلام محمد فقال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا» وكذلك أسلم والده وأخيه عبد الله بن ياسر.

ولما سطع نور الإسلام بالمدينة وأصبحت هي القلعة المنيعه، والحصن المكين للإسلام، عزم عمار على المساهمة في اعلاء كلمة الإسلام، وتمكين دعائمه بيثرب، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة إلى المدينة فأذن له. وكان عمار أول من بنى مسجداً في الإسلام بناه في المدينة وسماه قباء.

ولم يكن عمار من الخاملين أو الكسالى الذين يهابون الحرب، ويرهبون الوغى فقد شهد بدراً واحداً والخندق وبيعة الرضوان، وبجانب هذه الشجاعة والورع الحربية، والقوة المعنوية التي أمتاز بها عمار كان معروفاً بسداد الرأي، وسعة الحيلة، والخبرة بالشئون العامة، فقد ولاد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، أمر الكوفة فكتب بذلك إلى أهلها يقول: «أما بعد فقد بعثت إليكم عماراً أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من نجباء أصحاب محمد فاقثدوا بهما».

فهذه شهادة من عمر الذي يعرف أقدار الرجال، ويعرف كيف ينتخب ولاته وكيف ينقب عن صفات الرجال الذين يصلحون لتدبير الأعمال، ويمتازون بالخبرة والنزاهة في سيرتهم ويؤدون للرعية مآلها.

ولقد كان عمار يعرف منزلة الكرامة ومكانتها في دين الرجل، فما كان يرضى الدنية ولا يقبل الضيم ولا يرضى الذلة، فقد خاصمه خالد بن الوليد يوماً فأغلظ له فانطلق عمار إلى الرسول يشكو، فجاء خالد وعمار يشكو فجعل يغلظ له أيضاً، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ساكت فقال: عمار يارسول الله ألا تراه كيف يفعل؟ فرفع رسول الله رأسه وقال: «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله» قال خالد «خرجت فما كان أحب إلي بعد من رضا عمار فلقيته فاسترضيته فرضي».

والناحية الهامة في التشريع التي أمتاز بها عمار أنه كان مفتياً في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان خبيراً بالأحكام وعلمها، غواصاً على المعاني والبواطن والحكم والتي شرعت من أجلها الأحكام، فقد كان يسهل عليه الجواب حين يفاجأ بالسؤال فكان الاستفتاء لا يذهله ولا يدهشه، كما يحدث لمن قصرت مداركهم فلا يحسنون الانتفاع بما يحفظون، ولا يستطيعون استنباطاً مما يروون. ولقد جمع إلى هذا الفكر المستنير والرأي الصائب والفهم الحاذق إحاطة لعدد وفير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى له الصحيحين اثنان وستون حديثاً.

وقد كان ثباتاً ثقة في خلقه ودينه. وأخذته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد روى عنه علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وجابر بن عبد الله، وعدد وفير من الصحابة كما روى عنه من التابعين ابنه محمد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وغيرهم. ولقد تحققت عند موته نبوءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي سبق أن أشرنا إليها، فقد كان عمار في جيش علي، فقتله أصحاب معاوية في واقعة صفين التي حدثت بينهم وبين أصحاب علي رضي الله عنه سنة سبع وثلاثين من الهجرة، وعمره أربع وتسعون سنة، ولما بلغ مقتله عمرو بن العاص قال «والله لوددت أن أكون ميت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، ودفنه علي بن أبي طالب ولم يكفنه، ولم يغسله لأنه شهيد».

فرحم الله عماراً فقد كان سباقاً إلى الإسلام، سباقاً إلى الجهاد، سباقاً إلى الحق، مضحياً في سبيل عقيدته ومبدئه بروحه ودمه، وجعل الله لنا فيه القدوة الحسنة.

الإمام الشيخ زين الدين «الشهيد الثاني»^(١)

(٩١١ - ٩٦٥ هـ)

الإمام الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح الملقب بالشهيد الثاني تلميذ العلامة الحسن بن المطهر بن مشرف العاملي الجبعي وفي بعض كتبه زاد على نسبته التحاريري^(٢) وفي «روضات الجنات الطاووسي»^(٣).

كان نسيج وحده في استجماع الفضائل. والحرص على تحصيل العلوم والفنون والرحلة في طلبها إلى أكابر الشيوخ من الفريقين السنة والشيعة. وإمام عصره في التحقيق وكثرة التصنيف والتأليف مع الإجادة حتى بلغت مصنفاته ما بين مطول ومختصر ستين كتاباً. وما كتبه بخطه من الكتب مائة كتاب وشرح جل كتب الشهيد الأول في الفقه. ومن أوليائه بين العلماء الأمامية أنه أول من مزج في شروحه الشرح بالمتن وهي الطريقة التي استفادها من شراح علماء السنة ولم تكن معروفة عند علماء الإمامية. وأول من صنف في الدراية.

ترجم نفسه ترجمة مطولة مفصلة ممتعة تبتدئ بتاريخ ولادته. وتنتهي بأول سني محنته. وهذا ملخصها:

ولد سنة ٩١١ وختم القرآن الكريم سنة العشرين. وقرأ على والده أوليات العلوم إلى سنة ٢٥ وفيها توفي والده فارتحل إلى مدرسة ميس الكبرى وانتقل منها سنة ٩٣٣ إلى كرك نوح. وعاد إلى وطنه جبج سنة ٩٣٤ وسنة ٩٣٧ رحل إلى دمشق فقرأ على محمد بن مكي^(٤) من الطلب شرح الموجز النفسي. وغاية القصد في معرفة الفصد من مصنفاته. وفصول الفرغاني في الهيئة. وبعض حكمة الإشراق للسهروردي. وعلى الشيخ أحمد بن جابر الشاطبية في علم القراءة والقرآن بقراءة نافع وابن كثير

(١) لقب بذلك تمييزاً له عن الشهيد الأول الأنصاري الذي أطلق عليه هذا اللقب بعد مقتل صاحب الترجمة.
(٢) نسبة إلى التحارير وهي من قرى جبل عامل الجنوبية الدارسة. والمطلون أن موقعها في الأرض المسماة في هذه الأيام بوادي الشحارير على بعد ميلين من قرية ميس. وذكرها الشيخ محمد الحياي (نسبة إلى قرية بني حيان من عامل الجنوبي) في مقطوعتين من شعره فقال في إحداها:

حييت يا شام من شام ومن وطن
ولا تعداك جون المزن يا وطني
وإن أكن قاطناً أرض العراق فني
أرض التحارير لي قلب بلا بدن

(٣) والراجح أنه محرف عن الطلوسي نسبة إلى طلوسة وهي من قرى جبل عامل الجنوبية على مقربة من ميس وأرض التحارير.

(٤) كان عالماً بالطلب والهيئة والهندسة ذكره ابن العودي وصاحب أمل الأمل وصاحب خطط الشام توفي سنة ٩٣٨.

وأبي عمرو بن عاصم. وعلى الشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي^(١) جملة من الصحيحين وأجازه روايتهما مع ما يجوز له روايته بمدرسة السليمية في الصالحية. وسنة ٩٣٨ رجع إلى بلدة جبع. وسنة ٩٤٢ هاجر إلى مصر وحضر حلقات دروس أربعة عشر عالماً من مشاهير علمائها في مختلف العلوم^(٢) ومنها سافر إلى الديار الحجازية سنة ٩٤٣ لتأدية فريضة الحج بصحبة الشيخ أبي الحسن البكري أحد شيوخه. وعاد سنة ٩٤٤ من الحجاز إلى وطنه. وسنة ٩٤٥ سافر إلى العراق ثم إلى بلاده. وسنة ٩٥١ شخص إلى قسطنطينية يصبحه تلميذه الشيخ حسين بن عبد الصمد الهمداني^(٣) الجبعي والد العلامة البهائي والشيخ محمد بن العودي الجزيني^(٤) وبعد مكثه بها مدة ثلاثة أشهر ونصف موفور الحرمة عند علمائها ذوي الولايات الدينية الكبرى وحصوله على براءتين من السلطان سليمان العثماني إحداهما له بالتدريس في المدرسة النورية في بعلبك. والثانية لتلميذه الشيخ حسين بن عبد الصمد في إحدى مدارس حلب غادرها وقد عرج في طريقه على العراق. وسنة ٩٥٣ قفل إلى البلاد وياشر التدريس في المدرسة النورية البعلبكية التي فوضت إليه ولاية التدريس بها. يدرس في المذاهب الخمسة. ويعلم كثيراً من الفنون. ويصاحب أهلها على اختلاف أرائهم أحسن صحبة.

ويفتي أهل كل مذهب بما يوافق مذهبهم. وهو بين الجميع. نابه الذكر، علي القدر، وافر الحرمة، ثم فارقه مختاراً غير مبخوس الوزن إلى بلده جبع. فأنصب فيه على الدرس والتصنيف. عازفاً عن الدنيا وزخارفها. مرتفعاً مع انصبابه على العلم بما يبلغه الكفاف والعفاف إلى سنة ٩٥٥ التي انتهت بها أيام أمنه. وابتدأت أيام مخاوفه من الأعداء تدبر له المكائد. وتلفق فيه المحاضر. وظاهر حاسديه عليه بعض ولاية السوء من الحشويين ولم يشنه ذلك كله عن التصنيف حتى أنه صنف شرحه على اللمعة الدمشقية بمجلدين كبيرين في مدة ستة أشهر وهو مستتر عن العيون والأرصاد بظلال الأشجار وهذا الشرح جاء من خيرة كتبه.

ولما جد به الطلب ولم تغفل عنه عيون الوشاة فر إلى الحجاز فلقق به رسول السلطان وقبض عليه وجاء به حتى إذا اقترب من قونية قتله بإشارة بعض الجهلة وحمل برأسه إلى السلطان فأنكر فعلته وأجازه بالقتل بسعي صديق صاحب الترجمة السيد عبد الرحيم العباسي مفتي قسطنطينية وصاحب كتاب معاهد التنصيص.

وروى بعض مترجميه إن أصدقاءه الكثيرين من دمشق وغيرها من علماء وقته كتبوا يستشفعون به إلى السلطان حين جد به الطلب وكان مقتله سنة ٩٦٥. (٥)

(١) من أعيان علماء دمشق في المائة العاشرة نحوي فقيه محدث مؤرخ له مصنفات كثيرة في التاريخ على اختلاف ضروبه توفي سنة ٩٥٣. عن خلاصة الأثر.

(٢) ذكر أسماءهم بالتفصيل مع وجيز من وصف فضلهم وأحوالهم في ترجمته وقد أجازه كلهم.

(٣) تخرج بالترجم له وأقام مدة في بعلبك وبها ولد له العلامة البهائي. ثم سافر إلى خراسان بعد أن درس مدة في مدرسة حلب التي فوض إليه التدريس فيها. وأقام مدة في هرات. ثم انتقل إلى البحرين وبها توفي سنة ٩٨٤ وله مؤلفات في مختلف العلوم وديوان شعر. وقد أجازه شيخ المترجم له إجازة عامة.

(٤) كان مرافقاً لصاحب الترجمة في الحل والترحال وقرأ معه في دمشق الصحيحين على الشيخ شمس الدين بن طولون الأنف الذكر وأجازه بروايتهم وصحبه إلى مصر والعراق وقسطنطينية وبعلبك مدة إقامته بها وكتب رسالة خاصة في ترجمة أستاذه ضم إليها ما كتبه عن نفسه. وما تجدد له من الحوادث وعدد مصنفاته. وذكر تلامذته وولده ولم يدع شاردة ولا واردة من أحواله إلا وقد ذكرها وله شعر متوسط ورثي أستاذه بقصيدة مطولة.

(٥) بحث الشيخ سليمان ضاهر. مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٩ (١٩٢٩)، وأعيان الشيعة ١٤٧/٧.

تحقيق في مقتل الشهيد الثاني

الشيخ محمد باقر المجلسي

قال العالم المتتبع الفاضل السيد حسن الأمين رحمه الله:
أجمع الذي تعرضوا لترجمة الشهيد الأول، محمد بن مكي، على ذكر قصة الياوشي
وذكرها أكثرهم من دون أن يشير إلى أن له علاقة باستشهاد الشهيد، بل ذكرت مرسله ككل حادث
من أحداث حياة الشهيد الثاني.

ونحن نأخذ هنا النص الذي وردت به في موسوعة أعيان الشيعة:
«مما عرف عن الشهيد رحمه الله، أن رجلاً مشعوذاً ظهر في جبل عامل وادعى النبوة
واسمه محمد الياوشي من قرية تسمى برج يالوش، فحاربه الشهيد وقضى عليه في سلطنة
برقوق، ويقال: إنه كان من تلامذة الشهيد فوقع بيد الشهيد كتاب شعوذة فسلمه إليه لينقله،
فأخذه وغاب ثم رجع وأخبره بإتلافه كاذباً وأخفاه عنده وتعلم منه الشعوذة وعمل به حتى ادعى
النبوة».

ورد ذلك في أعيان الشيعة من دون تعليق وتفصيل، وكل ما أرادته صاحب أعيان الشيعة هو
أن يكون أميناً في الحديث عن حياة الشهيد فينقل كل ماورد عنها.
وهذه القصة، كما ترى، غامضة كل الغموض لا يمكن أن نستنتج منها . كما وردت . أية
حقيقة، فربما لها أصل ثم زاد فيه المزيدون.

هل الرجل مشعوذ أم مدعي نبوة؟ وما هو كتاب الشعوذة الذي اقتبس منه شعوذته؟ وما هو
الخطر كان يخشاه الشهيد على الناس من هذه الشعوذة؟ ثم القول: إن الشهيد حاربه، ولم يكن
القول: إنه قاومه أو قاوم دعوته... فكلمة حاربه تعني أن جمعين التقيا بالسلاح في قتال، وهل
هانت عقائد العاملين إلى حد يستطيع مدع النبوة أن يجمع منهم جموعاً تحمل السلاح وتقاتل
بين يديه مؤمنة بنبوته المدعاة؟

وهل الشعوذة تستطيع أن تقنع أناساً مؤمنين بدينهم بأن يتركوا هذا الدين، وينضموا إلى
صاحبها، وأن يحملوا السلاح ويستهنوا بالموت حمية لها؟
ثم ما هو موقع الشهيد التنفيذي في تلك الآونة، وما هي قدرته على حشد الحشد المسلح
وقيادته للقتال، وأين هي السلطة القائمة من ذلك كله؟

(١) أحد كبار الباحثين والمحققين واساتذة الحوزة العلمية في قم المقدسة وهذه مقتطفات من كتابه (الشهيد الأول: حياته
وأثاره) قم ١٤٢٦ هـ ص ١٠٧-١١٠) (ص ١١٧-١٢٦).

جميع هذه الأسئلة وكثير مثلها، تحتاج إلى أجوبة، ولكن لا مجيب لأنه لامصادر ولا تفاصيل يرجع إليها من يحاول الإجابة.

لذلك ستظل قصة الياوشي قصة يمتزج فيها الخيال بالحقيقة، وحين يتسع الخيال فيها تضيق معه الحقيقة! على أنه لا بد لنا من التساؤل: هل لقصة الياوشي ارتباط بقضايا التمرد على برقوق؟ ثم غلب على هذا الارتباط موقعها المحلي، فعادت محلية بحتة؟ نستطيع أن نجزم بأن لا علاقة لها بالأحداث التمردية التي أشرنا إليها من قبل، وأنها أمر عاملي بحت، غابت عنا حقائقه، وضاعت في طيات الزمن تفاصيله..

هذا النص الذي حفظه صاحب اللؤلؤة، مأخوذاً عن المقداد السيوري، يرينا حقيقة مأساوية عاشها جبل عامل، هؤلاء العامليون الذين استطاعوا التغلب على الضغط الصليبي فحفظوا كياناتهم واستمسكوا بعقائدهم، واجهوا بعد الجلاء الصليبي ضغطاً من نوع آخر مارسه عليهم المماليك، فكان عليهم أن يعودوا من جديد للصبر على الشدائد ومقاومة الاضطهاد بقواهم المعنوية، لتظل عقائدهم التي ارتضوها لأنفسهم سليمة.

يصف المقداد، في مادونه، الواشي الأول بمحمد بن مكي بأن وشايته جاءت بعد ظهور أمارة الارتداد منه. ثم يصف الواشي الآخر بأنه ارتد عن مذهب الإمامية. ثم يصف الذين كتبوا محضر التشنيع على محمد بن مكي بأنهم كانوا ممن يقول بالإمامة والتشيع ثم ارتدوا عن ذلك، ويقول إن عددهم كان سبعين...

ولنا أن نقول: إن حركة الارتداد هذه لم تكن بنت ساعتها، وإن ارتداد هؤلاء المرتدين كان نتيجة محاولات طويلة امتدت حوالي سبعين سنة. أي منذ جلاء الصليبيين وحلول المماليك محلهم. فالذي يبدو جلياً هنا أن عملية اضطهاد واسعة للعاملين قام بها المماليك لتحويل أبناء جبل عامل عن عقيدتهم استعملت فيها مختلف أساليب الوعد والوعيد والترهيب والترغيب. وإن ثمرة هذه العملية التي طال أمدها سبعين سنة كان ارتداد سبعين عاملياً عن مذهبهم، فاستغلوا للشهادة علي محمد بن مكي.

ولو أن الذين أرادوا هلاك محمد بن مكي وجدوا في جبل عامل أكثر من هذا العدد من الشهود لسجلوا أسماءهم مع السبعين. ولكنهم لم يجدوا فلقأوا إلى الساحليين الذين لم يكونوا على مذهب الجبليين فسهل عليهم أن يشهد من هؤلاء على محمد بن مكي ألف شاهد. إذن فالوعد والوعيد والترهيب والترغيب، والاضطهاد بجميع أنواع الاضطهاد، ووسائل الترويع التي لجأ إليها المماليك طوال سبعين سنة لم تنجح إلا بتحويل سبعين رجلاً

ويبدو جلياً أن محمد بن مكي، منذ عودته من العراق، قد وقف بصلاية أمام اضطهاد المماليك للعاملين وأمام ما يبذلونه من جهد في تحويلهم من حال إلى حال. وأنه عانى منهم ما عانى... وهكذا نرى أن معركة محمد بن مكي كانت متعددة الجبهات، وأنه كان يقاتل من أجل تحقيق عدة أمور: كان يقاتل لنشر العلم في قومه العاملين. ويقاتل لحفظ عقائدهم. ويقاتل

جور الحكام الظالمين وأتباعهم. ويحارب «ممخرقات» فريق من التصوفة وشعوذاتهم وروحهم الأنهازامية.

وبذلك كثر أعداؤه والساعون لهلاكه والقضاء عليه، وقد ورد في ما نقل عما ذكر المقداد السيوري «أن ممن تعصب عليه وساعد في إحراقه يقال له: محمد ابن الترمذي مع أنه ليس من أهل العلم وإنما كان تاجراً فاجراً».

فمن هو ابن الترمذي هذا؟ وما شأنه في التعصب على العالم العامل وهو مجرد تاجر لا شأن له في العلم؟ ولماذا بلغ به التعصب على أن يساعد في إحراقه؟ ثم ما هو نوع هذه المساعدة؟ هل سعى مع الساعين في أن لا يكتفي بقتله، بل أن يحرق جثمانه بعد القتل زيادة التشفي؟ أم أن مساعدته كانت بالاشتراك في إحراق الجثمان الطاهر؟ وقال المرحوم السيد حسن الأمين رحمه الله:

هذه هي التهمة التي وجهت إلى العالم العظيم محمد بن مكي، هذا العالم الذي رفض إغراءات الملوك بالالتحاق ببلاطاتهم، وأثر العيش في القرية مع الفلاحين والفقراء لينهض بمجتمعهم الذي أقعد الاحتلال الصليبي طوال عشرات السنين، هذا العالم الذي هاجر في صباه وشبابه إلى البلاد العربية طلباً للعلم، ليعود فيزود به شعبه فينقذه من الأمية والجهل. هذا العالم الذي كان أساتذته علماء من مكة والمدينة وبغداد والقدس ودمشق والحلة، رحل إليهم ودرس عليهم فأجازوه وروى عنهم.

هذا العالم يوجه إليه أولئك الطغاة هذه التهم ليستحلوا دمه! (١)

نعم، لم يكن ذنب الشهيد سوى الترويج والدعوة لعقيدة الشيعة الحقّة والسعي لنشرها، وما أثار الشهيد ومصنفاته. خاصة رسالة العقيدة الكافية الآتية في ضمن البحث عن مؤلفات الشهيد وأثار العلمية. إلا خير دليل على براء ساحته المقدسة من الاتهامات التي ساقها له المخالفون. وقد أنشد الشهيد أثناء حبسه في قلعة دمشق أشعاراً يخاطب فيها بيدمر حاكم دمشق يُبرئُ ساحته من الاتهامات التي نسب إليه. ومن جملة هذ الأبيات:

يا أيها الملك المنصور بيدمر	بكم خوارزم والأقطار تفتخر
إنّي لداع لكم في كل أونة	وما جنيت لعمري كيف أعتذر؟
لا تسمعن في أقوال الوشاة فقد	باؤوا بزور وإفك ليس ينحصر
والله والله أيماناً مؤكدة	إنّي بريء من الإفك الذي ذكروا
الفقه والنحو والتفسير يعرفني	ثم الأصولان والقران والأثر

خدمة الملوك المظلوم والله: محمد بن مكي الشامي

قال العلامة السيد محسن الأمين رحمه الله:

ويعلم من هذه القصيدة عدة أمور تاريخية وهي: أنه كان قد وشي بالشهيد قدس يره إلى الأمير منجك قبل هذا فلم يقبل الوشاية، وأن الأمير حاجب وأستاذ الدار كانا يعلمان ذلك، وأنه كان يحج في كل سنة، وأنه كان في السنة التي استشهد فيها قد حج، وكان أمير الحج محمد بن بيدمر، وأنه كان له خلطة مع أرباب السلطنة وأركان الدولة^(١). وقال بعض المعاصرين في رد هذه الاتهامات:

أما لجهة السب فإنني أميل إلى تبرئة الرجل منه. لقد حقق الشهيد خلال سنين عديدة صلات طيبة بالمراكز العلمية السنية في المنطقة، وقرأ على كثير من شيوخها، وظل حتى أواخر عمره يقيم مدداً غير قصير في دمشق، حيث كسب لنفسه مركزاً علمياً ممتازاً وتقديراً. ونسجل هنا شهادة الجزري التي يقول فيها: «صحبني مدة مديدة فلم أسمع منه ما يخالف السنة»^(٢). وهذا يدلنا على دقة الرجل، حتى لقد كان يحرص وهو يخطط للبيعة الدمشقية أن لا يطلع عليه أحد. رجل كهذا في دقته ومرونته وسعة أفقه لا يمكن أن يلجأ إلى النيل والسب، وعلى كل حال فلماذا يفعل؟ في تقديرنا إن هذا السب ليس أكثر من ترديد لتهمة تاريخية ضد الشيعة كانت دائماً أرخص وأيسر وسيلة للاستثارة عليهم^(٣).

نعم كان الشهيد يراعي التقية، ودعا في آخر إجازته لابن الخازن. التي كتبها في دمشق قبل شهادته بسنتين تقريباً أي ثاني عشر شهر رمضان عام ٧٨٤. للمصاحبة، حيث قال: والحمد لله أبد الأبدین، وصلى الله على أفضل الخلائق أجمعين... وعترته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتخبين^(٤).

وقال صاحب الرياض:

نقل عنه رحمه الله أنه كان في الأيام يشتغل بتدريس كتب المخالفين ويقرئهم ولم تحصل له فرصة لتدريس كتب الشيعة لشدة التقية إلا في الليل بقدر ما بين المغرب والعشاء، فكان يدرس في ذلك الوقت الشيعة حين الخلوة في بيت معين عمله تحت الأرض^(٥). وقال وكان بينه وبين علماء السنة مخالطة كما يبدو مما مر وصرح به الشهيد الثاني^(٦). وقال بعض المعاصرين:

(١) أعيان الشيعة ج ١٠، ص ٦١.

(٢) غاية النهاية ج ٢، ص ٢٦٥.

(٣) الهجرة العالمية إلى إيران ص ٨٣.

(٤) بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٢.

(٥) تعليقة أمل الأمل، ص ٨٠.

(٦) الروضة البهية، ج ١، ص ٢٤.

ومن حرص الشهيد على توحيد الكلمة.. كان يُخفي ما كان بيده من كتابه حين كان يزوره أعلام السنة في مجلسه، حتى أنه عدّ من كراماته أنه حينما ابتدأ بكتابه اللمعة الدمشقية لم يمر عليه من زائر علماء السنة ووجهاء دمشق إلى أن تمت كتابة هذه الرسالة في سبعة أيام^(١). وهذه الرواية تدل على حرص الشهيد أولاً على عدم إثارة المسائل الخلافية، والمحافظة على وحدة الكلمة بين المسلمين في ظروف اجتماعية مضطربة... وتدلل ثانياً على أن بيت الشهيد كان أهلاً بمختلف الطبقات من علماء ووجهاء وشيعة وسنة من دمشق وخارجها.

ولم يبق الشهيد... في دمشق عاطلاً عن العمل والنشاط، ولم ينتقل من جزيّن إلى دمشق لغير سبب... فقد حاول أولاً أن يكونَ لنفسه مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية والفكرية، وهو عمل جبارٌ إذا لاحظنا الظروف التي عاشها الشهيد والفجوات الكبيرة التي كانت بين السنة والشيعة في ذلك الوقت.. وقد كان الخلاف في وقته قائماً على قدم وساق بين السنة والشيعة، ومن ورائها كانت الصليبية تُغذّيها وتُلهّمها بمختلف الوسائل، وكانت الحكومات تجد في ذلك كله إلهاءً لذهنية المسلمين وتخديراً لنفوسهم^(٢).

وعليه فإن الاتهامات التي ساقها له علماء العامة جاءت صرفاً لتبرير عملية قتله الفجيعة رحمه الله، والذي يبدو أن خطوات الشهيد السياسية ونشاطاته هي التي أدت إلى قتله من قبل الحكام كما قال بعض المعاصرين:

مسألة أخيرة تتصل بقتل محمد بن مكي ربما كانت هي السبب الأول والأخير في قتله، وهي صلته بحليف شيعي علوي لتيّمور هو السلطان علي بن مؤيد ملك خراسان.. الذي كانت بينه وبين الشهيد «مودّة ومكاتبّة على البعد إلى العراق ثم إلى الشام»^(٣).... ومما يكمل هذا الاتجاه أن السلطان المذكور أرسل رسولا إلى الشهيد.. يستقدمه إليه.. ولكن الشهيد أثر أن يبقى حيث هو، وأرسل إليه رسالة اللمعة بقصد تفقيحه في المذهب الإمامي ومساعدته في تنظيم دولته على أساس منه.. وبهذا يبدو وأن قتل الشهيد الأول كان أدخل في السياسة منه في العقيدة^(٤)... ومما يدل على نشاطات الشيعة في عصر الشهيد نص التوقيع المُسهب الذي أوردته القلقشندي في صبح الاعشى. وفيه الكثير من الافتراءات على الشيعة. نورد لكم خلاصته:

قال القلقشندي:

وهذه نسخة توقيع كريم. بمنع أهل صيدا وبيروت وأعمالهما من اعتقاد الرافضة والشيعة وردعهم، والرجوع إلى السنة والجماعة، واعتقاد مذهب أهل الحق. ومنع أكابرهم من العقود الفاسدة والأنكحة الباطلة، والتعرض إلى أحد من الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) وأن لا

(١) الروضة البهية، ج ١، ص ٢٤.

(٢) الروضة البهية، ج ١، ص ١٣٠-١٣١، المقدمة.

(٣) كما قال الشهيد الثاني في الروضة البهية، ج ١، ص ٢٤.

(٤) الصلة بين التصوف والشيعة، ج ٢، ص ١٣٩-١٤٠.

يدعوا سلوك طريق أهل السنة الواضحة، ويمشوا في شرك أهل الشك والضلال، وأن كل من تظاهر بشيء من بدعهم قوبل بأشد عذاب وأتم نكال، وليُخمد نيران بدعهم المذلّمة وليبادر إلى حسم فسادهم بكلّ همّة، وتصريفهم عن التهوّك في مهالك أهوائهم إلى مانصّ عليه الشرع واعتبره، وتطهير بواطنهم من رذالة اعتقادهم الباطل إلى أن يعلنوا جميعهم بالتراضي عن العُشرة، وليحفظ أنسابهم بالعقود الصحيحة، وليداوموا على اعتقاد الحق والعمل بالسنة الصريحة. في خامس عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعمئة^(١) وهي:

«...وقد بلغنا أن جماعة من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كل من الجهتين وضياعها، وأصقاعها وبقاعها، وقد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرروه ويثوه في العامة ونشروه، واتخذوه ديناً يعتقدونه وشرعاً يعتمدونه، وسلكوا منهاجه، وخاضوا لجاجه، وأصلّوه وفرّعوه، وتدينوا به وشرعوه، وحصلّوه وفصلّوه، ويلغّوه إلى نفوس أتباعهم ووصلّوه، وعظّموا أحكامه، وقدّموا حكماءه، وتمّموا تبجيله وإعظامه، فهم بباطله عاملون، وبمقتضاه يتعاملون، ولأعلام علمه حاملون، وللفساد قابلون، وبغير السداد قائلون، ويحرم حرامه عائدون، ويحمي حمايته لائذون، وبكعبة ضلاله طائفون، وبسدة شدته عاكفون، وإنهم يسبون خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، ويستحلون دم أهل السنة من المسلمين، ويستبيحون نكاح المتعة ويرتكبونه، ويأكلون مال مخالفيهم وينتهبونه، ويجمعون بين الأختين في النكاح، ويتدينون بالكفر الصراح، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الخبيث، والمذهب الذي ساوى في البطلان مذهب التثليث. فأنكرنا ذلك غابة الإنكار، وأكبرنا وقوعه أشد إكبار، وغضبنا لله تعالى أن يكون في هذه الدولة للكفر إذاعة، وللعصية إشادة وإشاعة، وللطاعة إخافة وإضاعة، وللإيمان أزجى بضاعة وأردنا أن نهزّ طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جند الإمام، تستأصل شأفة هذه العُصبة المُلحدة، وتطهر الأرض من رجس هذه المفسدة، ثم رأينا أن نقدّم الإنذار، ونسبق إليهم بالإعذار، فكتبنا هذا الكتاب، ووجهنا هذا الخطاب، ليقرأ على كافتهم ويبلغ إلى خاصتهم وعامتهم، يعلمهم أن هذه الأمور التي فعلوها والمذاهب التي انتحلوها تبيح دماءهم وأموالهم، وتقتضي تعميمهم بالعذاب واستئصالهم، فإن من استحل ما حرم الله تعالى وعرف كونه من الدين ضرورة فقد كفر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ عطفاً على ما حكم بتحريمه، وأطلق النصّ فتعين حمله على تعميمه، وقد انعقد على ذلك الإجماع، وانقطعت عن مخالفته الأطماع، ومخالفة الإجماع حرام بقول من لم يزل سميعاً بصيراً: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. ونكاح المتعة منسوخ وعقده في نفس الأمر مفسوخ، ومن ارتكبه بعد علمه بتحريمه واشتহারه، فقد خرج عن الدين برده الحق وإنكاره، وفاعله إن لم يتب فهو مقتول، وعذره فيما يأتيه من ذلك غير مقبول،

(١) الصواب: «أربع وثمانين وسبعمئة». راجع الهجرة العالمية إلى إيران، ص ٧٤-٧٥.

وسب الصحابة (رضوان الله عليهم) مخالف لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعظيم، ومنابذ لتصريحه باحترامهم وتبجيلهم، ومخالفته عليه السلام فيما شرعه من الأحكام، موجبة للكفر عند كل قائل وإمام، ومرتكب ذلك على العقوبة سائر، وإلى الجحيم صائر. ومن قذف عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) بعدما برها الله تعالى فقد خالف كتابه العظيم، واستحق من الله النكال البليغ والعذاب الأليم، وعلى ذلك قامت واضحات الدلائل. وبه أخذ الأواخر والأوائل، وهو المنهج القويم، والصراط المستقيم، وما عدا ذلك فهو مردود ومن الملة غير معدود. وحادث في الدين، وباعث من الملحدين، وقد قال الصادق في كل مقالة، والموضح في كل دلالة: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، فتوبوا إلى الله جميعاً، وعودوا إلى الجماعة سريعاً، وفارقوا مذهب أهل الضلالة، وجانبوا عصبية الجهالة. واسمعوا مقالة الناصح لكم في دينكم وعوا، وعن الغي ارجعوا، وإلى الرشاد راجعوا، وإلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض باتباع السنة بادروا وسارعوا، ومن كان عنده امرأة بنكاح متعة فلا يقربها، وليحذر من غشيانها وليتجنبها، ونكح أختين في عقدين فليفارق الثانية منهما، فإن عقدها هو الباطل. وإن كانتا في عقد واحد فليخرجهما معاً عن حبالته ولا يماطل. فإن عذاب الله شديد، ونكال المجرم في الحميم كل يوم يزيد، ودار غضب الله تنادي بأعدائه: هل من مزيد، فلا طاقة لكم بعذابه ولا قدرة على أليم عقابه، ولا مفر للظالم منه ولا خلاص، ولا ملجأ ولا مناص، فرحم الله تعالى امرأً نظرت لنفسه. واستعدت لرمسه، ومهدت لمصرعه، ووطأت لمضجعه، قبل فوات الفوت، وهجوم الموت، وانقطاع الصوت، واعتقال اللسان. وانتقال الإنسان، قبل أن تبدل التوبة ولا تقبل، وتذرى الدموع وتسبل، وتنقضي الأجال. وينقطع الأمل ويمتنع العمل، وتزهق من العبد نفسه، ويضمه رمسه، ويرد على ربه وهو عليه غضبان، وإن سخطه عليه بمخالفة أمره قد بان، ولا ينفعه حينئذ الندم، ولا تقال عثرته إذا زلت به القدم، وقد أعذر من أُنذر، وأنصف من حذر، فإن حزب الله هم الغالبون، والذين كفروا سيغلِبُون «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» «الهمنا الله وإياكم رشدنا، ووفق إلى مرضيه قصدنا، وجمعنا وإياكم على الطاعة، وأعانتنا جميعاً على السنة والجماعة بمنه وكرمه»^(١).

كما تلاحظون فقد ساق التوقيع مختلف التهم للشيعية، ومهما تكن فهي ترشدنا وتقودنا إلى نشاطات الشيعة المتأثرة بفعاليات الشهيد الأول آنذاك^(٢).

خذ نضيف إلى ذلك أن الحكام أعدموا في عصر الشهيد في مدينة دمشق بالتحديد ثلاثة من الشيعة في الأعوام ٧٤٤، ٧٥٥، ٧٦٦، حيث كانت سوق قتل الشيعة بتهمة كونهم «رافضة» دائرة، يقول كبير علماء السنة ابن كثير الدمشقي في حوادث شهر جمادى الأولى من سنة ٧٤٤: وفي صبيحة يوم الإثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن ابن الشيخ السكاكيني على ما ظهر منه من الرفض الدال على الكفر المحض، شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي

(٢) الهجرة العاملية إلى إيران ص ٥٩-٨١.

(١) صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٤-٢١.

بشهادات كثيرة تدل على كفره، وأنه رافضي جلد، فمن ذلك تكفير الشيخين (رضي الله عنهما) وقدفه أمي المؤمنين عائشة وحفصة (رضي الله عنهما)، وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد وإنما مرسلًا إلى علي، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة (قبحه الله) وقد فعل وكان والده الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيدًا، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير، ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني ما مات حتى رجع عن مذهبه، وصار إلى قول أهل السنة، فالحق أعلم. وأخبرت أن ولده حسنًا هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة^(١).

ويقول أيضاً في حوادث سنة ٧٥٥هـ:

نادرة من الغرائب

في يوم الإثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق وهو يسب كل من ظلم آل محمد، ويكرر ذلك لا يفتر ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنازة الحاضرة، على أن الناس في الصلاة، وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به، فلما فرغنا من الصلاة نبهت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس. فجئت إليه واستنطقته من الذي ظلم آل محمد؟ فقال «أبو بكر الصديق»، ثم قال جهره والناس يسمعون: «لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد». فأعاد ذلك مرتين. فأمر به الحاكم إلى السجن، ثم استحضره المالكى وجلده بالسياط، وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذي لا يصدر إلا عن شقي. واسم هذا اللعين علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير (قبحه الله وأخزاه) ثم لما كان يوم الخميس سابع (كذاو والصواب: تاسع) عشرة عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هنالك، فقدر الله أن حكم نائب المالكى بقتله، فأخذ سريعاً فضربت عنقه تحت القلعة، وحرقه العامة وطاقوا برأسه البلد ونادوا عليه: «هذا جزء من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكى وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة الغلاة، وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر^(٢) أشياء في الكفر والزندقة (قبحه الله وإياهم)^(٣).

ويقول أيضاً في حوادث شهر جمادى الآخرة من سنة ٧٦٦هـ:

قتل الرافضي الخبيث

وفي يوم الخميس سابع عشره أول النهار وجد رجل بالجامع الأموي اسمه محمود إبراهيم الشيرازي، وهو يسب الشيخين ويصرخ بلعنتهما، فرفع إلى القاضي المالكى قاضي القضاة جمال

(١) البداية والنهاية، ج ١٤ ص ٢٤٤، انظر الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٤، الرقم ١٥٥١، شهداء الفضيلة، ص ٧٣-٧٤، أعيان الشيعة ج ٤ ص ٦٢٨، خاتمة مستدرك الوسائل ج ٢٠، ص ٢٦٦، ط الجديدة.

(٢) يعني العلامة الحلي (طاب ثراه).

(٣) البداية والنهاية ج ١٤، ص ٢٨٧، انظر الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٣٤-٣٥، الرقم ٩٣ و ص ٨٣، الرقم ٢١٣، شهداء الفضيلة ص ٩٧-٩٨.

الدين المسلاتي فاستتابه عن ذلك وأحضر الضراب فأول ضربة قال: «لا إله إلا الله، علي ولي الله». ولما ضرب الثانية لعن أبا بكر وعمر، فالتهمه العامة فأوسعوه ضرباً مبرحاً بحيث كاد يهلك، فجعل القاضي يَسْتَكْفُهُمْ عنه فلم يسطع ذلك، فجعل الرافضي يسب ويلعن الصحابة، وقال: «كانوا على الضلال». فعند ذلك حُمِلَ إلى نائب السلطنة وشُهِد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة، فعند ذلك حكم عليه القاضي بإراقة دمه، فأخذ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة (قبحه الله). وكان ممن يقرأ بمدرسة أبي عمر، ثم ظهر عليه الرفض فسجنه الحنبلي أربعين يوماً، فلم ينفع ذلك، وما زال يُصرِّح في كل موطن بأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر مذهبه في الجامع. وكان سبب قتله (قبحه الله كما قبح من كان قبله) وقُتِلَ بقتله في سنة خمس وخمسين^(١). قال البغدادي في ترجمة الشهيد:

محمد جمال الدين مكي... العاملي الجزيني (الجزين على وزن السكين: موضوع «كذا، ظ: موضوع» في البحرين) هو من غلاة الشيعة مات مقتولاً بدمشق سنة ٧٨٢ اثنتين وثمانين وسبعمائة^(٢). وفي كلامه هذا عدة أخطاء:

(أ) استشهاد الشهيد في عام ٧٨٢ خطأ قطعاً، والصحيح هو عام ٧٨٦.

(ب) قوله: «الجزين... موضوع في البحرين» أيضاً خطأ فاحش، بل هو موضع في لبنان.

(ت) قوله: «هو من غلاة الشيعة» أيضاً باطل، وبطلانه واضح لمن له أدنى دراية.

قال الشيخ محمد رضا شمس الدين رحمه الله:

الذي أراه أن الشهيد سُجِنَ مرتين: أولاً قبل أن يقتل بأربع أو خمس سنين، وفيه ألف اللعة... وثانياً قبل أن يقتل بسنة، وهو الذي استشهد بعده^(٣).

أقول: هذا الكلام لا يوجد من يؤيده في المصادر التاريخية، ولم يقل أحد أن الشهيد سُجِنَ مرتين. والذي يبدو أن ما حدا بالشيخ شمس الدين إلى هذه المقالة هو قول الشيخ الحر العاملي: «وفي مدة الحبس ألف اللعة الدمشقية في سبعة أيام»^(٤)، ولكننا أشرنا فيما تقدم إلى عدم صحة هذه المقولة، هذا أولاً: وثانياً فإن الشيخ الحر العاملي اعتبر تأليف الشهيد للعبة الدمشقية في نفس السجن الذي أدى إلى شهادته وكان في السنة الأخيرة من حياته، لأن الشيخ الحر قال:

وكانت وفاته سنة ٧٨٦... بعدما حُبِسَ سنة كاملة في قلعة الشام، وفي مدة الحبس ألف اللعة الدمشقية^(٥). وعلى هذا. ولو أذعنا للفرض المحال بأن الشهيد ألف اللعة في السجن اعتماداً على قول العاملي (طاب مثواه). فإن هذا الأمر لا يقودنا إلى أن الشهيد سجن مرتين.

(١) البداية والنهاية ج ١٤، ص ٣٥٤، انظر الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٢١، الرقم ٨٧٨، شهداء الفضيلة ص ٨٠.

(٢) هدية العارفين ج ٢، ص ١٧١، وذكر في عدة مواضع أخرى أيضاً قتل الشهيد في سنة ٧٨٢.

(٣) حياة الإمام الشهيد الأول، ص ٧٣.

(٤) أمل الأمل، ج ١، ص ١٨٣.

(٥) أمل الأمل ج ١، ص ١٨٢-١٨٣.

وكما تقدم. نقلاً عن تلميذ الشهيد الفاضل المقداد. فإنَّ الشهيد قُتلَ بالسيف، ثمَّ صُلِبَ ثم رُجم ثم أُحرق ببلدة دمشق، وعلى هذا فليس له قبر يُزار، وهو كما يقول الشاعر الفارسي:

بعد از وفات تربت ما در زمين مجوى در سينه هاى مردم عارف مزار ماست^(١)

ولكن قال الشيخ محمد رضا شمس الدين رحمه الله:

إنه لم يعرف وجود قبر للشهيد، لأنه أُحرق جسده وذُري في الهواء. وقيل: «إنه جُمع رفاقه بعد الإحراق ودُفن بالشام». وقد أخبرني بعض أدباء النجف المعروفين أنه شاهد قبره وعليه اسمه في الشام. ولبعدنا عنها الآن لن يتيسر لنا البحث عن ذلك^(٢).

ومهما يكن فقد مضى الشهيد بمآثر كبيرة وأعمال جليلة وآياد بيضاء على الفقه والشرعة، خلّده ودرجت اسمه في سجل الخالدين من المجاهدين والعاملين في سبيل الإسلام... (فرحمه الله يوم ولد، ورحمه الله يوم استشهد في سبيل الله، ورحمه يوم يُحشر)^(٣).

مكاتبة علي بن مؤيد إلى الشهيد الأول،

بسم الله الرحمن الرحيم

يُخَلِّفُ رِيحَ الْمَسْكِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ	سَلَامٌ كَثُرَ الْعَنْبَرُ الْمَتَضَوِّعُ
سَلَامٌ يَضَاهِي الشَّمْسَ فِي كُلِّ مَطْلَعٍ	سَلَامٌ يَبَاهِي الْبَدْرَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
بَجْدٍ سَعِيدٍ فِي نَعِيمٍ مُمْتَعٍ	عَلَى شَمْسِ دِينَ الْحَقِّ دَامَ ظِلَالُهُ

أدام الله مجلس المولى الإمام، العالم العامل، الفاضل الكامل، السالك الناسك، رضى الأخلاق، وفي الأعراق، علامة العالم، مُرشد طوائف الأمم، قُدوة العلماء الراسخين، أسوة الفضلاء المحققين، مفتي الفرق، الفاروق بالحق، حاوي فنون الفضائل والمعالي، حائز قصب السبق في حلبة الأعاضم والأعالي، وارث علوم الأنبياء والمرسلين. محيي مراسم الأئمة الطاهرين، سر الله في الأرضين، مولانا شمس الملة والحق والدين. مد الله أطناب ظلاله بمحمد وآله في دولة راسية الأوتاد ونعمة متصلة الأمداد إلى يوم التناد.

وبعد فالمحبُّ المشتاقُ إلى كريم لقائه غاية الاشتياق وأن يتشرف بعد البعاد بقرب التلاق.

حَرَمَ الطَّرْفُ مِنْ مُحْيَاكَ لَكِنْ حَفَظَ الْقَلْبُ مِنْ حُمَيَّاكَ رِيًّا

ينهي إلى ذلك الجنب، لازال مرجعا لأولى الالباب: أن شيعة خراسان (صانها الله تعالى عن الحدثان)، متعطشون إلى زلال وصاله. والاعتراف من بحار فضله وإفضاله. وأفاضل هذه الديار قد مرّقت شملهم أيدي الأدوار، وفرقت جلهم بل كلهم صنوفُ صروف الليل والنهار. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام رب العالمين): «ثلمة الدين موت العلماء». وإنا لا نجد فينا من يوثق بعلمه في فتياه، أو يهتدي الناس برشده وهداد. فيسألون الله تعالى شرف حضوره والاستضاءه بأشعة نوره، والافتداء بعلمومه الشريفة، والاهتداء برسومه المنيفة. واليقين بكرمه العميم وفضله

(١) يعني: لا تبحث عن قبر لنا بعد الممات، فإن مزارنا يكمن في صدور العارفين.

(٢) حياة الإمام الشهيد الأول ص ٦.

(٣) الروضة البهية ج ١، ص ١٤٨، المقدمة.

الجسيم أن لا يخيب رجاءهم ولا يرد دعاءهم ويسعف مسؤولهم، وينجح مأمولهم.
إذا كان الدعاء لمحض خير على يدي الكريم فلا يرد
امتثالاً لما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾.

ولا شك أن أولى الأرحام بالصلة الرحم الإسلامية الروحانية، وأحرى القربيات بالرعاية



الشيخ حسين الوثاقي - الشيخ رضا المختاري - الطريحي

القرباية الإيمانية ثم
الجسمانية، فهما عقدتان لا
تحلها الأدوار والأطوار، بل
شعبتان لا يهدمهما إعصار
الأعصار، ونحن نخاف غضب
الله على هذه البلاد، لفقدان
المرشد وعدم الإرشاد.

والمسؤول من إنعامه العام،
واكرامه التام أن يتفضل علينا،
ويتوجه إلينا، متوكلاً على الله
القدير، غير متعلل بنوع من
المعاذير، فإننا بحمد الله نعرف قدره
ونستعظم أمره، إن شاء الله تعالى.
والمتوقع من مكارم صفاته

ومحاسن ذاته إسبال ذيل العفو على هذا الهفو. والسلام على أهل الإسلام
فلما وصل هذا الكتاب إلى الشهيد أبي التوجه إلى إيران واعتذر إليه وصنف له اللمعة
الدمشقية، وأعطاهها شمس الدين الأوي فأتى بها إلى علي بن مؤيد.
قال العلامة السيد حسن الأمين رحمه الله:

وازن الشهيد بين واجبه في وطنه وواجبه في خراسان، فلم يتردد في عدم الاستجابة لدعوة
علي بن المؤيد. لأن وطنه كان أشد الحاجة إليه. والأمر هنا يختلف عما كان عليه بعد ذلك في أيام
الصفويين حين استدعوا العلماء العاملين فلبوا دعوتهم، لأن جبل عامل أيام الصفويين كان
مملوءاً بالعلماء الذين كان يمكن أن يستغني عن بعضهم فيتركوه إلى إيران، في حين أن محمد
بن مكي كان وحيداً في جبل عامل في أيام السريداريين، لذلك لم يستجب لدعوة علي بن مؤيد^(١).
صارت اللمعة محطاً لأنظار الفقهاء، وأصبحت من أشهر المتون الفقهية، فكتبوا عليها
الشروح الحواشي^(٢)، ومن أهمها وأشهرها الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، وكان هذا
الشرح أيضاً موضع اهتمام الفقهاء على مر العصور فكتبوا عليه الحواشي والشروح^(٣).

(١) الشهيد الأول ص ١٠٢.

(٢) انظر الذريعة ج ٦، ص ١٩٠ و ج ١٤، ص ٤٧-٥١، مقدمه أي برفقه شيعة ص ١٣٨-١٤١.

(٣) انظر الذريعة، ج ٦ ص ٩٠-٩٨، مقدمه أي برفقه شيعة ص ١٨٤-١٩٤.

الصلة بين شيعة بلاد الشام وفقهاء العراق ودور الشهيد الأول في حماية التشيع في جبل عامل

الدكتور جودت القريني

بدأ فقهاء الحلة بالضمور السياسي بعد أن بلغوا أوجهم زمن العلامة الحلي يعيشون ضمن التركة العلمية التي خلفها هذا الفقيه المجدد. وقد اقتصر الفقهاء الذين جاؤوا بعده في الحفاظ على كتبه، والاهتمام بشرحها وتهذيبها. ولعل الأثر المباشر في ذلك يرجع إلى التغيرات السياسية التي طرأت بعد سقوط بغداد وانهايار دولة الأيلخانيين عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م. ولم يذكر أي نشاط سياسي لفقهاء بعد رحيل العلامة عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م حتى بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي سوى ظهور أسماء علمية أمثال فخر المحققين ابن العلامة (ت: ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، وابن العتائقي (ت: ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)، والمقداد السيوري (ت: ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م).

إن عصر العلامة الحلي كان عصراً متميزاً من عصور ازدهار التاريخ الشيعي في جانبه العلمي والسياسي. وقد اشتهر بين علماء الطائفة بالقباب لم يعهد إطلاقها على غيره من الفقهاء مثل «آية الله على الإطلاق»، «العلامة»، و«الإمام»^(١).

كما أصبح عصره فاصلاً بين حقبتين زمنيتين، حيث أصطلح إطلاق تسمية المتقدمين على الفقهاء الذين سبقوا عصر العلامة، والمتأخرين على الفقهاء الذين تأخروا عنه^(٢). أصبح المركز العلمي للحلة مديناً للجهود الكبيرة التي قدمها العلامة، وقد استطاع فقهاء جبل عامل أن يحملوا هذا الفكر، ويحافظوا عليه عبر الأجيال الآتية من العلماء.

لم تكن الصلة بين شيعة بلاد الشام، وفقهاء العراق إلا امتداداً لصلات قديمة تعود في تاريخها إلى الصلة بين حلب وصيدا وطرابلس من جهة، وفقهاء بغداد من جهة أخرى. وقد بقيت هذه الصلة بعد ضمور مدرسة بغداد، وظهور مدرسة الحلة.

وتعود صلة فقهاء العراق بشيعة بلاد الشام إلى زمن انتشار التشيع في هذه البلدان ابتداءً من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومنذ قيام الدول الشيعية. فقد حكم الحمدانيون حلب والموصل من سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م حتى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م. كما حكم البويهيون العراق وفارس من عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م إلى عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، أما الفاطميون فقد إمتد حكمهم في مصر والشام من

(١) روضات الجنات، ج ٢ ص ٩٤، ٢٦٩.

(٢) مقدمة محسن العراقي على الكتاب (مجمع الفائدة والبرهان) للإسيد أحمد الأربيلي (قم ١٩٨٢) ص ١٥.

عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م حتى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م. وقد ذكر السيوطي أن في السنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م وما بعدها من السنوات «غلا الرفض (يعني التشيع) وفار بمصر والمشرق والمغرب»^(١).

كان الشيعة في بلاد الشام على اتصال بفقهاء العراق منذ عصر المفيد والمرتضى. ولعل أبرز وثيقة على ذلك المسائل التي أجاب عليها المرتضى الواردة عليه من مدينة صيدا والمسماة «أجوبة المسائل الصيداوية»، وكذلك الأجوبة الفقهية التي أرسلها إلى أهل طرابلس والمتضمنة أكثر من رسالة^(٢).

كما أن تأثير فقهاء بغداد إمتد إلى صور صيدا من خلال تلامذة المفيد، والمرتضى، ومن بينهم الشيخ أبو الفتح الكراجكي (ت: ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) الذي كان مرجعاً للامامية هناك^(٣). وبقيت الصلة بين جبل عامل والحلة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وما بعده عاملاً مشجعاً لهجرة بعض العاملين للدراسة على يد المحقق الحلبي والعلامة وفخر المحققين. وكان من بين هؤلاء العاملين إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني (ت: ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) الذي عاد إلى وطنه بعد إكمال دراسته هناك^(٤). وطومان المناري (ت: ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) الذي هاجر إليها أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وأجازه علماؤها أيضاً^(٥).

وممن قصد الحلة الشيخ صالح بن مشرف العاملي الجبعي (جد الشهيد الثاني)، ودرس على يد العلامة الحلبي، وكذلك جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي العاملي الذي تتلمذ على المحقق جعفر بن سعيد، وابن الحسام العاملي الذي أجاز عام ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م من قبل علماء الحلة. ومن خلال ما أشار إليه الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ / ١٦٩٢ م) وهو أول من كتب عن علماء جبل عامل، من أسماء بعض الفقهاء الذين ينتمون إلى قرية على يد الشهيد الأول (٧٣٤ ٧٨٦ هـ / ١٣٣٣-١٣٨٤ م).

وبالرغم من وجود حرية تمتعت بها بلاد الشام قرابة قرنين من الزمن ابتداءً من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، إلا أن هذه المدة لم تسجل لفقهاء الشيعة تاريخاً مكتوباً، ولم يصل منها ما يمكن أن يعد أثراً مهماً. ولعل السبب يرجع إلى أن الفقهاء في بلاد الشام لم يسجلوا أي نشاط سياسي بالرغم من وجود دول شيعية كان من الممكن أن يستغلوا وجودها لصالحهم.

وفي هذه الفترة بالذات نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي كان التشيع في

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٦.

(٢) رسائل الشريف المرتضى. المجلد الأول (جواب المسائل الطرابلسية الثانية) ص ٣٠٩ (جواب المسائل الطرابلسية الثالثة) ص ٣٥٩.

(٣) لؤلؤة البحرين. ص ٣٣٨، والنوري، مستدرک وسائل الشيعة ج ٣ ص ٤٩٧.

(٤) الحر العاملي، محمد بن الحسن، أمل الأمل في علماء جبل عامل، ج ١ (النجف، ١٩٦٥) ص ١٤١.

(٥) أعيان الشيعة ج ٧، ص ٤٠٢.

بلاد الشام (سورية ولبنان) يدفع ضريبة إزدهاره في العراق وفارس (إيران) بفضل الصلة بين القيادة الروحية المتمثلة بالعلامة الحلي، والسلطة الزمنية المتمثلة بالسلطان المغولي أولجايتوخان المعروف بخدابنده. وقد قام المماليك بعد أن تسلموا السلطة في بلاد الشام من الأيوبيين عام ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م^(١) بتوحيد الجبهة الداخلية السنية لغرض وقفها أمام المطامع التي أثارها المغول في السيطرة على بلاد الشام.

ومن جراء ذلك كان التشيع في بلاد الشام كما يذهب بعض الباحثين، منقطعاً في وسط عدائي مما اضطر الشيعة إلى الأعتزال في قرى جبلية، وتوطنهم قرى قديمة كالكرك، وكانت هذه القرى تقع في مناطق مُحصنة، وصار مأمناً انصرفوا فيها إلى الدراسة^(٢).

كانت كسروان إحدى المناطق الجبلية المحصنة التي يقطنها الشيعة. وبعد المذابح التي تعرض لها الشيعة على يد الجيوش المملوكية أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي والمتخذة فتاوى ابن تيمية في إهدار دمائهم مبرراً لها، لم يكن هناك أي وجود شيعي في لبنان، بل تفرقوا في قرى البقاع وجزين، وقد اضطر الشيعة أمام هذه المذابح إعتقاد التظاهر باعتناق المذهب الشافعي طيلة القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي^(٣).

وقد أطلق عليهم المقداد السيوري لقب أهل السواحل المتسننين، كما لقبهم المؤرخ الشيعي الخونساري «الشيعة المتخاذلة»^(٤).

ويبدو من خلال رحلة ابن جبير (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) التي كانت عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م أن الشيعة في بلاد الشام كانوا أكثر عدداً من أهل السنة^(٥)، كما ذكر ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) أن مدينة حمص كانت مليئة بالنصيرية الذين وصفهم بأن أصلهم الإمامية الذين يسبون السلف^(٦)، ويقصد بهم (الصحابية).

ومع مرور الزمن بدأت فقهاء الشيعة في بلاد الشام تحركاً لإعادة بناء المذهب من جديد بالرغم من الظروف العدائية التي تحيطهم. كان قطب هذه الجهود الفقيه محمد بن مكي العاملي الملقب بعد مقتله عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٣م بالشهيد والذي يعرف الآن (بالشهيد الأول)، إلى إعادة تجربة العلامة الحلي ولكن على أرض بلاد الشام هذه المرة.

الشهيد الأول: فقيه جبل عامل

هاجر الشهيد الأول إلى الحلة سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، وحضر على علمائها، واختص بفخر المحققين ابن العلامة الحلي. وقد بالغ هذا الأستاذ في تقديره واحترامه ونعته بأوصاف عظيمة، ولقبه

(١) وفیات الأعيان، ج ٢ ص ٢١٠.

(٢) الشيباني ج ٢، ص ١٢٩.

(٣) مكي، محمد علي، لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، (بيروت: ١٩٧٩م)، ص ٢٣٠.

(٤) روضات الجنات، ج ٧ ص ١٢.

(٥) رحلة ابن جبير ص ٢٨٢.

(٦) معجم البلدان، ج ٣ ص ٣٤٢.

بالإمام^(١). وكان له الأثر في تشكيل إتجاه عقلي متحرر مكنه من الدراسة بعد ذلك في معاهد مصر والمدينة والقدس، وعلى يد أساتذة من المذاهب السنية كما تذكر المصادر التي أرخت له^(٢).

وتتجلى هذه الظاهرة في شخصية علماء جبل عامل بالخصوص وهي دراستهم على يد علماء المذاهب السنية بعد تخرجهم على يد علماء الشيعة، وهي ظاهرة تُعيد للأذهان ما كان عليه علماء الشيعة ببغداد، وتلمذتهم على يد المعتزلة في زمن الخلافة العباسية. وقد ذكر الشهيد الأول في أجازته لتلميذه ابن الخازن أنه يروي عن نحو أربعين شيخاً من علماء مكة والمدينة وبغداد ودمشق وبيت المقدس^(٣).

إزداد الموقع العلمي للشهيد الأول أهمية بعد رجوعه إلى جزي، وابتدأ نشاط ثقافي فأسس معهداً لتدريس العلوم الدينية على مستويات متفاوتة. كما ظهر كشخصية قوية إلتف حوله الشيعة هناك، وكانت مهمته منصبه على إرجاع الهوية المفقودة للشيعة التي ضاعت ضمن زحمة التيارات السياسية المناوئة لهم.

ويذكرنا موقفه هذا بموقف الشيخ المفيد الذي عانى من ضياع الهوية الشيعية في زحمة التيارات الفكرية التي ظهرت في عصره، والتي تمثلت بظهور تيارات منحرفة. إلا أن الضياع الذي أصاب الشيعة في بلاد الشام كان ضياعاً سياسياً تجلى في عدم التسامح مع المذاهب غير السنة، ومحاربة جميع المذاهب الأخرى التي تعتبر خارجة عن المذهب السني المعتبر.

وقد سعى الشهيد الأول إلى إعادة تنظيم هيكلية حوزته العلمية بخلق أجهزة تمثله وترتبط به. فقد أصبح كيان «الفقيه» عبارة عن أجهزة من «الوكلاء» يرتبطون به، ويتصلون بالقواعد الشعبية. وقد اعتبر مؤرخ سني أن سبب مقتل الشهيد الأول مرتبط بهذا التحرك، لأنه «شرع بالعمل في منطقتة الجبلية بعيداً عن أعين السلطان في دمشق، وعين له نواباً على المناطق في طرابلس وغيرها»^(٤).

ومن الناحية التاريخية إستنتج السيد محمد باقر الصدر أن بسط ذراع الفقيه بتعيينه (الوكلاء) وفرض جباية الزكاة والخمس على أتباعه هو على ما يبدو أول تطبيق عملي كان الشهيد الأول قد إتبعه لإنشاء كيان مترابط لأول مرة في تاريخ الزعامة الدينية^(٥).

وقد لاحظ زين الدين الجبعي العاملي الملقب بالشهيد الثاني (قتل سنة ٩٦٥ هـ/ ١٥٥٨ م) أن الشهيد الأول رأى لزوم دفع الأخماس إلى «نائب الإمام»، أي الفقيه الجامع لشرائط الحكم^(٦). ويبدو أن هذه العبارة الفقهية استعملت لأول مرة على لسان الشهيد الأول من بين الفقهاء.

(١) روضات الجنات، ج ٧ ص ٣.

(٢) أعيان الشيعة ج ٧ ص ٦٠.

(٣) روضات الجنات، ج ٧ ص ٢٩ والبحراني لؤلؤة البحرين ص ١٤٣.

(٤) شذرات الذهب، ج ٦ ص ٢٨٤.

(٥) الصدر، المحنة ص ٤٢.

(٦) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج ٢ ص ٧٩.

وقد إدعى البرر فيسور Madelung أن لقب (نائب الإمام) أول ما ظهر خلال العصر الصفوي. وربما كان اعتقاده من (الفرمان) الذي كتبه السلطان طهماسب إلى الشيخ الكركي، والذي لقبه فيه بنائب الإمام. والحقيقة أن هذا اللقب كان موجوداً قبل الدولة الصفوية بقرنين من الزمن^(١). إن جهود الشهيد الأول جعلت منه شخصية تمثل ثقلًا اجتماعياً جعل السلطة المملوكية تتوجس منه خيفة وذلك من خلال محاولته لاسترداد الوعي الشيعي، وتكوين حركة لها وضع سياسي في وسط مُعادٍ لابنائها. وقد طفقت السلطة المملوكية باستمالاته كقوة يمكن التفاهم معها ضد خصومها، والتخلص منه بخدعة سياسية لم يظن هو نفسه إليها.

فقد ظهر قوة، مناوئة للمماليك بقيادة محمد الياوش المقتول سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م وهذه القوة التي كانت في حسابات السلطة السياسية قوة حصينة لا يمكن القضاء عليها إلا بالخدعة، لم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عنها سوى أن جهاز الحكم في دمشق أمدَّ الشهيد الأول بالعون العسكري للقضاء عليهم. من جانب آخر اتهمت المصادر الشيعية الياوش بالشعوذة، وإعادة النبوة، كما ذكر أيضاً أنه كان من تلامذة الشهيد الأول ثم انحرف عنه^(٢).

ولم يشر أحد إلى الهوية المذهبية لليالوش. ومن الممكن القول إنه كان على رأس قوة شيعية ليست إثني عشيرة، ولم تكن هناك في تلك الفترة أية مجموعة قريبة من المذهب الإثني عشري إلا جماعة النصيرية الذين لعبوا دوراً في تلك المناطق.

استظهر الشيخ محمد مهدي الأصفي أن الشهيد الأول كان يتردد على دمشق ليكون على مقربة من الأحداث السياسية. وقد مكنته هذه الإقامة أن يفرض نفسه على مجتمع الشام بشكل عام ومجتمع دمشق بشكل خاص، وأن ينفذ إلى جهاز الحكم ويستثمره لأهدافه، وبذلك استطاع أن يقنع جهاز الحكم بضرورة محاربة الياوش^(٣).

إلا أن الواقع التاريخي يكشف أن المماليك سعوا للحيلولة بين إتحاد هاتين القوتين بخلق نقاط الفرق بينهما، وتآليب الطرفين للقضاء على بعضهما الآخر. ويبدو من بعض المصادر الشيعية التي ذكرت أن (الياوش) كان من تلامذة الشهيد الأول فإن ذلك يقوي الاحتمال بمحاولة الشهيد العمل على إرجاع (النصيرية) إلى المذهب الإمامي الأمر الذي لا يلائم السياسة المملوكية. وفعلاً فقد نجح المماليك بإحداث شرخ بين الطرفين وصل ذروته بقتال منظم يدل على وجود قوة بشرية فاعلة في كلا الجانبين، حيث نجح هذا المخطط، فالتقى الجمعان في النبطية بمعركة سقط فيها الكثير من أتباع الشهيد الأول مما حدا تسميتها «معركة الشهداء». لكن النصر كان حليفهم في النهاية حيث قتل محمد الياوش بسيوف المماليك، وفتوى شيعية إمامية سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م، أي قبل مقتل الشهيد الأول بعام واحد.

(١) يراجع بهذا الصدد مقال:

Madelung W. Authority in Twelver Shi'ism in the absence of the Imam, p.186.

(٢) روضات الجنات، ج ٧ ص ٤.

(٣) مقدمة الشيخ محمد مهدي الأصفي على اللمعة الدمشقية، ص ١٣٦.

وبعد انتصار محمد بن مكي بمعركة الشهداء حاول أم يمتد إلى أوساط «أهل السواحل المتسننين» من الشيعة الذين تستروا باعتناق المذهب الشافعي، فعمل على قيادتهم^(١)، إلا أن السلطة المملوكية أفشلت معادلاته بالتزام جانب حركة اليالوش هذه المرة فأصبح يقودها زعيم آخر هو تقي الدين الجبلي (من أهالي الجبل)، ومن بعده يوسف بن يحيى. وقد توثقت علاقة هذين القائدين بممثل المماليك بيدمر الخوارزمي حاكم دمشق فكان من جزاء ذلك أن اعتقل الشهيد الأول وأودع السجن.

حاولت السلطة المملوكية دراسة ردود الفعل من قبل أتباعه. وخلال عام كامل على اعتقاله وجدت ظروفًا مناسبة للتخلص منه. فقدم إلى المحاكمة بتهمة عديدة^(٢).

وفي المحاكمة التي أعقبت سجنه تحالف (القضاة) على إعدامه، حيث سعى القاضي الشافعي بالتواطؤ مع القاضي المالكي على إيراد الشهيد الأول مورد التهلكة فصدر الحكم عليه بالموت قتلاً، ثم صلباً ورجماً وإحراقاً، وذلك في قلعة دمشق سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م بمشاركة الحشود الجماهيرية العارمة.

فلقد قيل إن القاضي الشافعي نهى المالكي، الذي يقضي مذهبه بالإعدام، عن الحكم عليه بالموت، غير أن رأي المالكي بإعدامه غلب لكثرة المتعصبين عليه، فحكم عليه الموت قتلاً، ثم صلباً، ورجماً، وإحراقاً^(٣)، وبذلك تخلصت السلطة السياسية من خصم كان يؤلب القوى عليها، وأرضت الفقهاء والعامّة بإعدام رجل كانوا يعتبرونه عدواً هادماً لمعتقداتهم^(٤).

وبمقتل الشهيد الأول بدأت صفحة جديدة من تاريخ جبل عامل. فقد زالت القيادة الدينية من جزين، وأصبح الاقطاع الشيعي مسيطراً في الجنوب، وقد بدأ نفوذ بعض العوائل الشيعية في الظهور حتى أصبح لهم دور في النزاع مع الأمراء المماليك، كما أنهم أصبحوا من القوى الاقطاعية الشيعية في الجنوب التي بقيت مسيطرة حتى عام ٩٠٩هـ/١٥٠١م، ولم ينته دورها إلا مع الفتح العثماني لبلاد الشام عام ٩٢٣هـ/١٥١٦م^(٥).

أما تلامذة الشهيد الأول ووكلاؤه فقد اكتسبوا أهمية أكبر بعد رحيل أستاذهم محمد بن مكي، وكان لهم فضل الحفاظ على خطه العلمي. واستمراره من بعده. جمال الدين أحمد بن النجار، الذي جمع تحقيقات شيخه الشهيد الأول، ونظرياته في الفقه، وكذلك أولاده الثلاثة: الشيخ جمال الدين حسن، وأخوه ضياء الدين أبو القاسم علي، والشيخ رضي الدين محمد، وابنته الفقيهة فاطمة المدعوة بست المشايخ. وكان أبوها الشهيد يأمر النساء بالاعتداء بها، والرجوع إليها في المسائل الفقهية^(٦).

(١) الأمين، الأعيان، ج ٧، ص ٦١.

(٢) البحراني ص ٩٥.

(٣) روضات الجنات، ج ٢، ص ٦، وابن العماد الحنبلي، ج ٦، ص ٢٩٤، (حوادث سنة ٧٨٦هـ).

(٤) الشيبني ج ٢ ص ١٤١.

(٥) مكي، ص ٢٥٤، ٢٦٩.

(٦) روضات الجنات، ج ٧، ص ٢٣.

أما الوضع السياسي والاجتماعي فقد بقي متميزاً في المناطق الشيعية بنظام إقطاعي مستقل، ونشاط مذهبي قام به الفقهاء الشيعة بشكل مكنهم من السيطرة على الحياة الثقافية بأكملها^(١).

وقد انبعثت فترة جديدة تميزت بنهضة علمية واسعة امتدت لتشمل المناطق المتاخمة له من سهل البقاع^(٢). ولاحظ بعض الباحثين أن الفترة التي جاءت بعد مقتل الشهيد الأول حجت حياة الشيعة في لبنان ولكن ظهر أن هذه الطائفة لم تقطع أسباب العلم بل احتفظت به على صعيد عال^(٣)، حيث تمكنت هذه البقعة الصغيرة من الأرض خلال قرن من الزمن أن تنتج فقهاءً كان لهم دور كبير في إرساء دعائم الدولة الصفوية بإيران والتي قامت بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٥-٩٣٠ هـ/ ١٥٠٠-١٥٢٤ م). وقد تزامن قيام هذه الدولة الشيعية بنهضة علمية في جبل عامل نادرة المثال، وكان فيه على محدودية رقعته عدد من لمجتهدين يزيد على ما كان في أية منطقة شيعية أخرى^(٤).

كان الصفويون يطلبون الغطاء الشرعي لحكمهم المناهض لخلافة الأتراك، فأفادوا من المجتهدين، ومنحواهم مناصب رسمية في الدولة. وكان العلماء الكركيون يبعثون الرسائل من إيران إلى إخوانهم في كرك وبعلبك وجبل عامل يحثونهم على الالتحاق بهم للعمل على نشر المذهب الشيعي وتثبيت دعائمه^(٥).

وكان سقوط دولة المماليك على يد السلطان سليم العثماني عام ٩٢٣ هـ/ ١٥١٦ م قد أوجد تغييراً أساسياً في الحرية التي تمتعت بها المؤسسة الشيعية قبل هذا التغيير للانصراف الكلي للعلوم الدينية البحتة.

وقد حمل العثمانيون مشاعر عدائية ضد التشيع نتيجة صراعهم مع الصفويين مما ساعد الفقهاء من الهجرة عن موطنهم، وجعل لهم مبرراً للانصواء تحت مظلة الصفويين التي هي مظلتهم في نهاية المطاف.

(١) المهاجر، جعفر، الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي ص ٩١.

(٢) الهجرة العاملية، ص ٨٩.

(٣) مروة، التشيع بين جبل عامل إيران ص ٢٣.

(٤) الوردی، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج ٢ ص ٦٤.

(٥) نصر الله، تاريخ كرك، ص ٨٨.



من تاريخ الحياة العلمية في جبل عامل

محمد جابر آل صفا العاملي

الحياة العلمية في دورها الأخير - أثر المدرسة الحميدية في جبل عامل
قضى مؤسس المدرسة الحميدية العلامة السيد حسن يوسف الحسيني نحبه سنة ١٣٢٤-
١٩٠٦ فأغلقت أبوابها وانصرف طلابها وكانت آخر مدرسة دينية على النهج القديم في جبل
عامل.

وهجرت المدرسة فأسرع إليها الخراب وتساقطت سقوفها وجدرانها فأصبحت أثراً بعد عين
بعد أن كانت دار علم وفضل وروضة وثقافة وتهذيب ست عشرة سنة وبقيت خراباً يباباً ما يقرب
من عشرين عاماً حتى نهض الزعيم الأريحي يوسف بك الزين فجدد بنيانها بمساعدة أخيه
الفاضل الحاج حسين الزين في سنة ١٣٤٢-١٩٢٣ وحول الغرف الجنوبية إلى أقبية متينة البناء
وأصلح الغرف الشرقية وجلب إليها الماء في حوض كبير فأنفق على هذا المشروع نحو ألف ليرة
ذهبية فيما نقل لنا واستلمت إدارتها جمعية المقاصد الخيرية فأتمت ترميم الغرف الشمالية
وأنشأت في ساحتها حديقة صغيرة وبلغ مجموع ما أنفقته على الترميم ثلاثمائة ليرة سورية
واتخذت فيها مدرسة لتعليم الناشئة على طرز المدارس النظامية وهي تضم مائة وسبعين تلميذاً
وفيهما أربعة أساتذة.

أما الفوائد العلمية الثقافية والمنزلية الأدبية والمعنوية التي أحرزها أبناء الشيعة في جبل
عامل وغيره من المدرسة الحميدية فهي جزيلة وفيرة فقد نبغ فيها الشاعر والأديب والمترسل
والخطيب وارتفع مستوى البلاد الأدبي وارتقت منزلتها الاجتماعية وأخرجت عدداً ليس بقليل
من العلماء الأفاضل والشعراء والأفذاذ والأدباء والكتبة المجيدين.

فمنهم من انتخب للانتظام في سلك المجمع العلمي العربي في دمشق الضيحاء وكان من
أعضائه اللامعين ومنهم المؤلفون في متن اللغة والمؤرخون^(١) ومحررو الصحف والمجلات ومن
تولى القضاء ومناصب الافتاء^(٢).

(١) منهم العلامة الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والأول اختير لعضوية المجمع في سنة تأسيسه ١٣٣٨-١٩٢٠ وله
في مجلته أبحاث جليلة وهو مؤلف قاموس المختصر الجامع في اللغة أخذ بتأليفه بطلب هيئة المجمع في دمشق وله
رسالة الخط والدروس الفقهية وهداية المتعلمين لطلبة المدارس (مطبوعة) وله كتاب في فروق اللغة اسماء (الوافي
بالكفاية والعمدة وهو كتاب نفيس جيد الترتيب) لم يطبع) ورسالة مخطوطة في ما بين أهل السنة والشيعة من الاختلاف =

واشهر تلامذتها الذين اتموا علومهم في جامعة النجف الأشرف عدا من تقدم ذكرهم العلماء الأفاضل الشيخ رشيد قاسم قعون (زيدين) المتوفى في سنة ١٣١٧ - ١٨٩٩ والشيخ حسين حسن نعمه والشيخ محمد حسين شعيثاني (انصار) والشيخ محمد علي نعمة (حبوش) والشيخ علي حلاوة (القاقية) والشيخ محمد علي المقدادي (فرون) والذين لم يهاجروا إلى النجف عدا من سبق ذكره الشيخ احمد عبد المطلب مروه (الزراية) والشيخ حسن حوماني (حاروف) والشيخ محمد مصطفى عاصي (انصار) والشيخ صلاح الدين سلامه (النبطية) والسيد علي جواد فحوص (جبشيت) وهؤلاء توفوا خلال الحرب العظمى والشيخ ابراهيم محمد حمام «جبشيت» المتوفى في سنة ١٣٣٤ - ١٩١٥ والسيد هاشم عباس المتوفى في سنة ١٣٣٥ - ١٩١٦ والشيخ نصر الله حمادي (الكوثرية) المتوفى في سنة ١٣٣٦ - ١٩١٧ والسيد خليل هاشم (نصار) والشيخ محمود فخزي (الزراية) والشيخ عبد الرضا شعيثاني (انصار) والشيخ صفى الدين سلامه (النبطية) والشيخ حسين محمد صفا (الكفور) والشيخ عبد الله حسن صف (زيدين) والشيخ عبد الله علي صفا

= في الاصول والفروع منها نسخة في مكتبة الاستاذ محمد كرد علي وهي احد مصادر كتابه خطط الشام وعشرات من المقالات نشرت في العرفان والمقتبس وغيرها من الصحف والمجلات. والثاني اختير لعرضية المجمع في سنة ١٣٤٦ - ١٩٢٧ وله في مجلته مقالات رائعة وهو مؤلف كتاب الذخيرة في سيرة الانمة الاطهار عليهم افضل الصلاة والسلام اجاد فيه كل الاجادة نظما ونثرا (مطبوع) ولا غرو فالشيخ من فحول شعراء العروبة وله عدة رسائل نشر بعضها في العرفان منها رسالة في قلعة الشقيف ورسالة في معجم قرى جبل عامل ورسالة في سيرة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ورسائل تاريخية لم تطبع وعدة مقالات وابحاث قيمة نشرت في الصحف والمجلات. ولكاتب هذه السطور كتاب الشذرات في الفلسفة والطبيعيات ضم اشهر الآراء العلمية والابحاث الكونية مع بعض الحواشي والتعليقات وله تاريخ جبل عامل الذي نشرت بعض فصوله في العرفان والكناش في الادب والفريق في خمسة اجزاء والمذكرات في التاريخ والاجتماع ولاداب في ستة اجزاء ومختارات في الشعر القديم والحديث في خمسة اجزاء. ومنهم العلامة الفاضل الشيخ احمد عارف الزين مؤسس جريدة جبل عامل المحتجة ومشئ مجلة العرفان التي خدمت الثقافة العربية وابناء الشيعة الامامية اجل خدمة وكانت إحدى مقومات النهضة العلمية في جبل عامل وميدانا لمباراة كتاب العربية وبخاصة ادباء الشيعة منهم واطهار مواهبهم وله من التأليف تاريخ صيدا ومختصر تاريخ السبعة ورسالة عنوانها حقائق ودقائق وقد نشر عدة رسائل وعلق عليها الحواشي منها كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه وديوان السيد جعفر الحلبي وهو احد جامعي ذلك السفر الادبي النفيس المعروف بالعراقيات والعالميات عدا عشرات المقالات نشرتها العرفان الزاهرة التي اخرجت إلى اليوم سبعة وعشرين مجلدا هي دائرة علم وادب ومعلمة تاريخ وفلسفة واجتماع.

(٢) ومنهم الكاتب الاجتماعي والشاعر الفذ والأديب العزيز المادد الأستاذ محمد علي الحوماني منشئ العروبة ومؤلف كتاب الأمل ونظام ديوان السانس والموسوس وغيره من الكتب والابحاث القيمة الرائعة ومنهم العالم الفاضل الكاتب الاديب الشيخ حسين مروه الطالب في جامعة النجف الاشرف واستاذ اللغة العربية في احدى مدارس العراق الكبرى وهو والحوماني من خريجي مدرسة النبطية في عهدها الثاني. ومن تلاميذها الذين تولوا القضاء المرحوم الشيخ اسد الله صفا قاضي الشرع الجعفري في صيدا المتوفى سنة ١٣٥٤ - ١٩٣٥ والعلامة السيد احمد علي احمد فحوص الذي خلفه في القضاء والعلامة الشيخ رضا الزين نجل العلامة الفقيه المؤلف الشيخ محمد سليمان الزين تلميذ العلامة المحقق الشيخ عبد الله نعمه والأول تخرج في جامعة النجف الاشرف واليوم يتولى رئاسة المحكمة الشرعية الجعفرية في النبطية ومنهم العلامة السيد علي زين عضو محكمة التمييز الجعفرية في بيروت والعالم المرحوم الشيخ توفيق الساروط مدرس بعلبك.

(زيدين) والشيخ امين مزهر (زيدين) والشيخ حسن اسعد غندور (النبطية) والشيخ امين الحاج اسعد حيدر (زيدين) والشيخ محمد قاسم البيطار والشيخ محمود عباس البيطار (النبطية) والسيد سليم موسى ابو خدود (النبطية).

وفي المهاجروا البحار فئة صالحة من ابناء الشيعة اسسوا الجمعيات وانشأوا الصحف وجاهدوا في سبيل المبادئ الوطنية وعملوا في حقل العروبة فرفعوا شأن الطائفة وشادوا ذكرها الطيب نذكر منهم الأديب الصحفي الشيخ عبد اللطيف الخشن (سحمر) منشئ جريدة العلم العربي التي تصدر في الارجنتين (الجمهورية الفضية) وهو من اكبر دعاة النهضة العربية وانصار الجامعة الإسلامية في جنوبي اميركا وقد وقفنا له على مراسلات مع ملوك العرب وامرائها في شأن القضية العربية وابحث تدل على عقل راجح ومعلومات واسعة وغيره صحيحة. ومن المجاهدين في سبيل النهضة العربية من ابناء الشيعة في تلك الأصقاع الشيخ عبد المحمود النجدي (كفرمرمان) والسيد نعيم قاسم الجزيني (كفرحتى) والسيد توفيق الزين (شحور) والشيخ خليل بزة (بنت جبيل) والشيخ يوسف كمال (دبعال) والسيد رشيد محمد الزيات (صور) والشيخ خليل شومان (جوبا) والسيد عبد اللطيف فخري (الزرارية) وغيرهم ممن لم نحضرنا اسماؤهم.

ولابد قبل انتهاء البحث عن المدرسة الحميدية في النبطية واثرها في المجتمع العاملي ان نذكر على سبيل الاستطراد ان الدراسة والمدارس الدينية قديمة العهد في هذه البلدة تمتد إلى القرن السادس او السابع للهجرة.

روى بعضهم أن فريقاً من الأشراف ممن يمت بنسبة للسادة بني زهرة المعروفين بفقهاء حلب ونقبائها هاجر إلى جبل عامل لما اشتد الاضطهاد على الشيعيين وزالت دولتهم في الشمال فسكنوا (النبطية) (والسادة آل بدر الدين منهم فيما نقل لنا) وانشأوا فيها مدرسة لتعليم علوم الدين كان موقعها في الحي الشرقي من البلدة بجانب المسجد الصغير الذي لم يزل قائماً إلى اليوم واما المدرسة فلم يبق لها اثر.

والظاهر ان النبطية كانت في عهد اشهر علمائها العلامة الشيخ علي بن يونس النباطي المتوفى في اواخر القرن العاشر. إحدى قواعد العلم الكبرى في جبل عامل يقصدها العلماء من الآفاق لأخذ عن علمائها الأبرار كما هو الحال في قدوم الفيلسوف العلامة الشيخ داود بن عمر الانطاكي إلى النبطية ومقابلته للعلامة الأقدس الشهيد الثاني فيها كما رواه لنا استاذنا الجليل المرحوم السيد محمد علي إبراهيم وكان يسكنها فرع من اسرة الشهيد نفسه كما سيرد عليك وقد بلغت أوج عزها العلمي في القرن العاشر والحادي عشر للهجرة فأخرجت عدداً وافراً من العلماء ذكر منهم العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب كتاب الوسائل المتوفى في سنة ١١٠٤-١٦٩٢ في كتابه (أمل الأمل في علماء جبل عامل) ستة عشر عالماً نذكر اسماءهم بنصها الحرفي على التوالي.

- (١) الشيخ أحمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن سليمان العاملي النباطي كان عالماً فاضلاً أديباً وكان رفيق المؤلف في الدرس على الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني العاملي توفي هو وأخوه الشيخ سليمان في النبطية في سنة (١٠٧٧ - ١٦٦٥).
- (٢) الشيخ أحمد بن سليمان النباطي يروي عن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني اجازة وقرأ عنده وكان عالماً فاضلاً ومحققاً ماهراً وشاعراً أديباً.
- (٣) الشيخ أحمد بن موسى العاملي النباطي والد الشيخ علي النباطي كان فاضلاً صالحاً سكن النجف الأشرف ومات بها.
- (٤) الشيخ بهاء الدين بن علي العاملي النباطي كان من الفقهاء الصالحاء المعاصرين سكن النجف ومات بالحلّة.
- (٥) الشيخ حسن بن سليمان بن الحسين بن محمد بن أحمد بن سليمان العاملي النباطي فاضل صالح معاصر.
- (٦) الشيخ حسن بن عبد النبي بن علي بن أحمد بن محمد العاملي النباطي كان عالماً فاضلاً منشأً فقيهاً من تلامذة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني.
- (٧) الشيخ عبد النبي أبو الشيخ حسن المتقدم ذكره هو أخو الشيخ زين الدين الشهيد الثاني روى عنه الشيخ حسن بن العشرة العاملي الحانيني كان عالماً فاضلاً ماهراً أديباً شاعراً منشأً فقيهاً محدثاً صدوقاً جليل القدر قرأ على أبيه وعلى جماعة من العلماء العاملين العاملين منهم الشيخ نعمة الله ابن محمد خاتون والشيخ مفلح الكونيني والشيخ إبراهيم الميسي وغيرهم واستجاز من الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني ومن السيد محمد بن أبي الحسن الموسوي فأجازاه وله كتاب حقيقة الأخبار وجهينة الأخبار في التاريخ وكتاب نظم الجمان في تاريخ الأكابر والأعيان ورسالة سماها فرقد الغرباء وسراج الأدباء ورسالة في الشفاعة ورسالة في النحو وديوان شعر كبير يقارب السبعة آلاف بيت.
- (٨) الشيخ حسن الفتوني العاملي النباطي كان فاضلاً صالحاً معاصراً.
- (٩) الشيخ حسن بن الفتوني العاملي النباطي كان فاضلاً صالحاً جليل القدر.
- (١٠) الشيخ زين العابدين بن محمد بن أحمد بن سليمان العاملي النباطي كان فاضلاً صالحاً عابداً زاهداً ورعاً فقيهاً محققاً جليل القدر قرأ عند الشيخ محمد الحر الجبعي وروى عنه وكان من تلامذة الشيخ حسن بن الشهيد الثاني.
- (١١) الشيخ سليمان بن الحسين بن محمد بن أحمد بن سليمان العاملي النباطي كان عالماً فاضلاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً تقياً وكان هو وأخوه الشيخ أحمد من رفقاء المؤلف في الدرس وقد ماتا في سنة واحد ١٠٧٧-١٦٦٥ كما مر معنا.

(١٢) الشيخ عبد الملك بن علي بن أحمد بن محمد العاملي النباطي أخو الشيخ زين الدين الشهيد الثاني كان فاضلاً فقيهاً صالحاً عابداً شاعراً أديباً يروي عن والده^(٣٦) الشيخ حسن بن عبد الملك ويروي هو عن أخيه وعن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي سمعته عن جماعة منهم السيد محمد ابن محمد العيناثي ابن بنت الشيخ حسن المذكور.

(١٣) الشيخ علي بن أحمد بن موسى العاملي النباطي كان فاضلاً ورعاً عالماً صالحاً مشهوراً جليل القدر سكن النجف ومات بها قرأ على الشيخ محمد بن الشيخ حسن العاملي وله شرح الاثنا عشرية في الصلاة لشيخنا البهائي.

(١٤) الشيخ زين علي بن يونس العاملي النباطي البياضي كان عالماً فاضلاً محققاً مدققاً ثقة متكلماً^(٣٧) شاعراً أديباً متبحراً له كتب منها الصراط المستقيم إلى مستحقي التقدير «كبير حسن» ورسالة سماها الباب المفتوح ما قيل في النفس والروح ورسالة في المنطق سماها اللمعة

(٣٦) كذا نص العبارة في النسخة الخطية التي بين ايدينا ولعل صحتها بروي عنه ولده الشيخ حسن لأن اسم ابيه علي كما ترى.

(٣٧) المتكلم العارف بعلم الكلام والحكمة الالهية ولم يذكر المؤلف مولد ووفاة هذا العالم الجليل والظاهر انه كان حيا في عصر الشهيد الثاني المتوفى في سنة ٩٦٦- ١٥٥٨ واخبرني بعض الفضلاء في مكاتب النجف الأشرف مؤلفات عديدة لعلماء جيل عامل ومنها الصراط المستقيم للشيخ علي بن يونس واما كتابه مختصر مجمع البيان فقد رايت نسخة خطية منه عند آل الهمداني بالنبطية الذين اطلق عليهم لقب الصباغ لعهد قريب وهي وقف الشاطري المحرفة عن الاشتهري كما سيرد عليك والاشتهري نسبة إلى مالك بن الاشتهر من اصحاب الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وطول هذا الكتاب (٣١) سائتمتر وعرضه (٢٢) سائتمتر وعدد صفحاته ثمانمائة صفحة مكتوبة بقلم نسخي جميل على ورق متين وقد كتب في آخرها ما يأتي (هذا آخر ما تيسر من مختصر البيان لعلوم القرآن وفرغ منه مؤلفه علي بن يونس البياضي أصلاً النباطي مسكناً الامامي مذهباً والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وكتبه لنفسه فقير عصره وامسه العبد القليل عملاً الكثير زلال محمد بن محمد بن حسن بن محمد بن سليمان الاشتهري عامله الله بلطفه الخفي بمحمد وآله وصحبه ضحوة النهار التاسع عشر من صفر الخير لسنة ألف احسن الله ختامها بخير وسلامه) انتهى. وتحت هذا الكلام صيغة الوقفية ونصها (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواقف على الضمانات العالم بالسرائر والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين الذين حبهم اشرف الذخائر وبعد فإني وقفت هذا الكتاب لتفسير القرآن على ولدي عبد الله بن محمد بن حسن بن سليمان الشاطري ثم من بعده على ذريته ممن يتصف بالعلم الشريف فإذا انقضوا والعياذ بالله فعلى القراء المتصفين بقراءة العلم من المؤمنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وفقاً صحيحاً شرعياً لا يباع ولا يوهب ولا يتملك وقد اشترطت على من يأتي بعدي ان يصلح ما فسد من هذا الكتاب من حجب واوراق وتجديد قربة إلى الله وقد كتبت به بيدي الثانية وانا الفقير إلى الله) (محمد بن حسن بن محمد بن سليمان الشاطري العاملي)

وتحت الختم ونقشه

(توكلت على خالقي عبده محمد)

شهد بذلك الشيخ علي بن حسين علوية

شهد بذلك الشيخ جابر محمد بن فتح الله

شهد بذلك الشيخ محمد بن علي بن يونس الصيداي

شهد بذلك أخي الشيخ صالح بن حسن بن محمد سليمان الشاطري «في سنة ١١٣٣»

شهد بذلك الشيخ محمد حاطوم بن فتح الله

شهد بذلك الشيخ حسن بن حسين خاتون

ومختصر المختلف ومختصر مجمع البيان ومختصر الصحاح ورسالة في الكلام ورسالة في الإمامة.

١٥) الشيخ محمد بن زين العابدين بن محمد بن أحمد بن سليمان العاملي النباطي كان فاضلاً أديباً شاعراً قرأ على أبيه وعلى والدي وعمي الشيخ محمد الحر.

١٦) الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن موسى العاملي النباطي فاضل صالح معاصر سكن أصفهان إلى الآن «انتهى ما نقلناه عن امل الأمل».

الاتجاه الجديد في نشر التعليم

تبدلت الأوضاع وتغيرت أساليب التعليم في جبل عامل بعد اغلاق مدارسها القديمة وسرت في البلاد روح التجدد والسير على المنهاج الجديد تبعاً لحاجة ومقتضيات العصر وفترت الهممة وقلت الرغبة في نفوس طلاب العلوم الدينية الذين كانوا يرحلون إلى العراق لإكمال علومهم في جامعة النجف الأشرف. وكانت خطة سير الخلف على طريقة السلف واشتغال أبناء العلماء بطلب العلم (منذ نعومة أظفارهم) في المدارس الدينية قاعدة قل من يشذ عنها وقد تبدلت هذه الخطة اليوم وتمرد العدد الأكبر من أبناء العلماء على إبانهم فأحجموا عن الرحيل إلى النجف الأشرف وخلعوا العمامات وبدلوا زياً لبستهم وانتظموا في سلك المدارس العصرية وتقلدوا الوظائف الحكومية وغيرها.

وكان لتغيير أساليب المعيشة والميل إلى الرفاهية اثر ظاهر في هذا التحويل ولم تعد أجسامهم تقوى على احتمال حر العراق والعيش تحت جوه الملهب يضاف إلى ما ذكر قلة موارد الرزق حيث كان الاهلون من قبل يقومون بنفقات المشتغلين بطيبة خاطر حتى أموال الزكوات التي كانت تبذل في هذا السبيل من الحبوب ونحوها تزيد عن الحاجة فلا يجد باذلوها من يقبلها فيطرحونها في المساجد ليأخذ منها ذوو الحاجة ما يبتغونه وهناك أسباب أخرى لا مجال لذكرها ومن الغريب ان هذا الإعراض عن درس علوم الدين وتضاؤل عدد المشتغلين بها سنة بعد سنة لم يطفن لمعالجته وبحث أسبابه ونتائجه وإصلاح نواقصه أساطين علماء الشيعة في الديار العربية في حين ان إخواننا أهل السنة شعروا قبلهم بهذا النقص وشرعوا من زمن بعيد بإصلاح الجامعات الدينية وتحسين أساليب التعليم في الجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في مراكش.

حركة التجدد في النجف الأشرف

جمعية العلماء في جبل عامل

ظهر في النجف الأشرف لعهد قريب شعاع من الأمل وحركة تجدد ورغبة مجدة لتبديل الأوضاع القديمة وإصلاح التعليم قام فئة من الشباب المثقف وذوي الوقوف على الحركة العلمية في العالم تبشر بمستقبل زاهر والأمل معقود أن تعم هذه الفكرة كبار العلماء والمدرسين ومن يدهم إدارة الجامعة النجفية فيتخذون من تقدم جامع الزيتونة والقرويين والجامعة الأزهرية مثالا يسيرون على منهاجه وخطة مثلى يمشون على غرارها ونسأل الله الهداية.

وساءت الحال في جبل عامل بعد أن أغلقت دور العلوم الدينية وخشي ذوو الغيرة من علماء الشيعة أن يؤدي هذا التقهقر إلى الإخلال بالواجب الديني وجهل القواعد وانحلال العقيدة فأسسوا جمعية العلماء العاملة وسنوا لها قانوناً خاصاً طبعوه في كراس ونشروه على الناس والفوا اللجان لجمع المال لتأسيس مدرسة كلية كبرى في إحدى حواضر جبل عامل لتدريس علوم الدين وماتقضي الحاجة من العلوم العصرية وأقبل الناس على هذا المشروع وتبرعوا له بأموال طائلة غير أن هذه الجمعية اصطدمت بعقبات شتى يضيق المقام عن استيعابها فأبطأ سيرها وضعف الأمل بنجاحها بعد أن مضى على تأسيسها ما يقرب من ست سنوات ولم يظهر منها أدنى فائدة وإلى الله مصير الأمور.

الحياة العلمية والمقارنة بين العهدين الأول والثاني

انقضى عصر الإمامين الشهيدين الأول والثاني والمحققين الميسي والكركي ومن تلاهم من علماء اعلام وفقهاء اجلاء، بعد أن شيّدوا المدارس وأسسوا المعاهد ونشروا العلم والثقافة وحفّلت مكاتبتهم بالكتب النفيسة وجابوا البلدان والامصار ووقفوا على الحركة العلمية في العالم الاسلامي ودرسوا مناهج التعليم والتدريس درساً دقيقاً وعادوا حافلي الوطاب بالعلم والعرفان. وسرى على خطتهم المثلى ونهجهم السديد تلاميذهم ومريدوهم ومن تخرج على ايديهم من العلماء والمشتغلين فتولى الشيخ حسين عبد الصمد الجبعي العاملي الهمداني التدريس في إحدى مدارس حلب ثم ولده العلامة بهاء الدين العاملي الفيلسوف الذي ذاع ذكره وسما قدره فتولى مشيخة الإسلام في اصفهان ورئاسة العلماء في الدولة الصفوية ثم ترك الوظائف ونفض يده من مظاهر الدنيا فساح في طلب العلم ثلاثين عاما وجاب الاقطار الإسلامية شرقا وغربا ودرس على كبار علماء المذاهب وألف كتبه النافعة الحافلة بالفرائد والفوائد.

ثم ابن اخته العلامة الشيخ محمد بن علي من آل خاتون^(١) الذي رحل إلى طوس والهند وتوطن في حيدر اباد الدكن فتلقاه ملكها السلطان محمد قطب شاه السابع بالترحاب وعرف فضله وأعلى

(١) آل خاتون أسرة عريقة من الاسر العلمية في جبل عامل سكنوا قرية عيناتا أولا ثم انتقلوا الى جوبا ونبع منهم علماء اعلام ومنهم العلامة الشيخ محمد علي خاتون رئيس مدرسة جوبا في عهدها الاخير ولقب خاتون اتاهم من جهة الام ومعناه بالفارسية السيدة أو الاميرة وقد ورد في بعض مخطوطات جبل عامل ان احد الملوك المصريين (قيل هو الملك الافضل ابو الحسين علي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب القصة المعروفة والابيات التي ارسلها إلى الخليفة الناصر لدين الله العباسي) جال في جبل عامل فوصل إلى عيناتا وضرب خيامه في ضاحية القرية وكان سمع بذكر عالم جليل يقيم فيها فارسل يستنيزه وقال اني قادم والقادم يزار فارسل اليه الشيخ اننا رويانا (اذا رأيت العلماء على ابواب الملوك والامراء فينس العلماء ويثس الملوك والامراء واذا رأيت الملوك والامراء على ابواب العلماء فنعم الملوك ونعم العلماء) فمشى اليه الملك بنفسه وزاره في معهد الدرس وسمع درسه وحديثه فأعجب به كثيرا واتصلت بينهما المودة فصاهره الملك وازوجه ابنته (الخاتون) وقد اطلق على اسرتهم هذا اللقب من ذلك العهد. وقضية الافضل مع الناصر اوردها ابن خلكان وغيره من المؤرخين على الوجه الذي نذكره ملخصا قالوا ان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب لما دنا اجله قسم الممالك بين اخيه الملك العادل ابي بكر وابنائهم الملك الافضل علي والملك العزيز عثمان فكانت بلاد الشام من نصيب الملك الافضل وبعد وفاة ابيه صلاح الدين في سنة (٥٨٩-١١٩٣) اتفق عمه واخوه فاستخلصا منه حكومة الشام ونفياه إلى سمساط (بلدة بين ملاطية وروم قلعة) فتوفي بها في سنة (٥٩٥-١١٩٩) وقيل وفاته كتب إلى الخليفة الناصر في بغداد الابيات المشهورة هي وجوابها.

مقامه وتولى في عهد ولده السلطان عيد الله في سنة ١٠٣٨-١٦٢٨ منصب الصدارة العظمى وامارة المملكة بأسرها وأجاز له الجلوس عند سرير الملك وتولى السفارة بين السلطان والشاه عباس الصفوي اكثر من مرة ولم يزل رسمه باقياً في المتحف البريطاني إلى اليوم وله عدة مؤلفات وقبره في حيدر اباد معروف يزار.

والمقام يضيق عن استيعاب تراجم العلماء والفضلاء الذين هاجروا من جبل عامل ورحلوا في طلب العلم إلى البلدان القاصية وتولوا المناصب الرفيعة وكان لهم حظ وافر في ادارة الممالك وسياسة الشعوب مما نراه مدونا في كتب التراجم والمطولات وقد زاد عدد العلماء في ايامهم فاصبحوا يعدون بالآلاف حتى لم تكن تخلو قرية من عالم فاضل اوفقيه ورع. وقد مرينا اجتماع سبعين عالما مجتهدا في تشييع جنازة واحدة في احدى القرى وان عدد العلماء الذين فروا من ظلم الجزائر وغدره زاد عن السبعين وارتقى فن التأليف في ايامهم إلى الذروة العليا فقد ورد في روضات الجنات وامل الأمل وغيرها ان مؤلفات الشهيد الأول والثاني والمحققين الميسي والكركي بلغت المئات عدا مؤلفات آل الأمين في شقرا وآل فضل الله في عيناثا وآل صدر الدين وشرف الدين ونور الدين وآل ابراهيم وآل الحر وآل نعمة وآل شمس الدين وآل يحيى وآل سليمان وآل خاتون وآل مروة وغيرهم ومعظمها مطبوع في الهند وايران والعراق ولم تزل منها أمهات كتب التدريس في كليات النجف والهند وايران وبلاد الروس ويرجع اليها تسعون مليوناً من المسلمين الشيعة في مختلف الامصار الإسلامية.

وتلا هذا العصر آخر نبغ فيه علماء افاضل وفقهاء اجلاء لم يكونوا أقل علما وأدنى منزلة من علماء العهد الأول فقد قاموا من تلك النكبة المريعة (نكبة الجزائر) ينفضون غبار الموت وشرعوا ببناء ما تهدم من المدارس وتجديد مدارس من بيوت العلم وتنظيم مجالس التدريس فاعادوا للعلم سيرته الاولى وساروا على خطة من سلف في نشره وتعميم فوائده وتخرج على ايديهم فريق كبير من أهل العلم والأدب والشعراء الفحول واللغويين الأفذاذ ممن يعد في الرعيل الأول.

غير أن خطاهم كانت قصيرة في الرحلة إلى الأفاق وارتداد مناهل العلم في مراكز التدريس الكثيرة في العالم الإسلامي فلم نسمع عن أحد منهم انه ام دمشق او حلب او مصر أو غيرها من بلدان المسلمين لغرض علمي أو درس مناهج التجدد واصلاح التعليم في كليات اخوانهم أهل السنة فأخذ عنهم أو حصل على اجازة منهم كما كانت الحال في عهد اسلافهم ممن أتينا على سيرته من علماء العهد الأول.

ومن درس الدواعي والعوامل التي ادت إلى هذا الجمود يجد من أهم اسبابهم الخطط السياسية التي سرى عليها الاتراك (من عهد سليم الأول) إذ كان من اقاصي امانتهم اضعاف العرب وإذلالهم ومحو حضارتهم والاستئثار بمقدرات المسلمين وبذر الخلاف بين الطوائف والعناصر واثارة النزاع والتعصب بين أهل المذاهب وتدمير معاهد العلم ودور الثقافة واهمال التعليم حتى البسيط اهمالا فاضحا فانتشر الجهل وعمت الامية وتداعت المدارس العلمية التي كانت تعد بالمئات في المدن السورية للخراب ونقص عددها نقصا فاحشا .

وكان من سوء سياسة الترك وفساد إدارتهم وسوء حظ الأمة العربية أن فريقاً من قصيري النظر ممن ينتسب إلى العلم جاراهم على هواهم وسرى على خطتهم الخرقاء فاصدروا الفتاوى بتكفير بعض الفرق الإسلامية واستحلال دمايتهم واموالهم ولا ذنب لهم سوى انتسابهم لمذهب الأئمة من أهل البيت النبوي المطهر فكانت النتيجة أن بعدت الشقة بين أهل السنة والشيعة واستحكم الخلاف فضاقت المصلحة العامة ورسخت قدم الدخلاء والمتغلبين.

ان في سيرة الإمامين الشهيدين ومن تلاهم من عظماء علماء الشيعة ورحلتهم في سبيل العلم والإرشاد إلى البلاد النائية وامتزاجهم بالعلماء والمدرسين في دمشق ومصر واخذهم اجازاتهم واستحصال بعضهم على برأت سلطانية لتعليم علوم الدين والفقه والفتيا على المذاهب الخمسة لاكبر دليل على عظمة تلك العقول التي اثارها الله بنور العلم والتي لم يكن هدفها سوى الحرص على الوحدة الإسلامية ومحو التعصب وتطهير النفوس من ادران الجهل. وسلمت تلك النهضة من دسائس الترك التي اخرتها مائة عام إلى الوراء وسارت سيرها الطبيعي لنفذت إلى المقصود وبلغت الغاية ولما وصلت البلاد العربية إلى الحالة المؤسفة التي نراها اليوم وكان تغيير وجه التاريخ في الاقطار العربية لاسيما في مصر وسوريا والعراق.

وقد ادرك في هذا العهد فريق كبير من مفكري المسلمين وعلمائهم من أهل السنة والشيعة في الاقطار الثلاثة الأنفة الذكر مبلغ الخطأ الذي ارتكبه اسلافهم بدسائس الترك وما جره استسلامهم لهم من الخذلان على الاسلام والعرب وشعروا بالخطر الذي يهدد الأمة بالاستعباد والفساد فبدأوا يعملون بجهد ونشاط واخلاص للتقريب بين عناصر المسلمين وطوائفهم ومحو الخلاف المذهبي الذي جسمته الدعاية السياسية ولم يكن من جوهر الدين في شيء.

ولا يسع المقام استيفاء اسماء العلماء الذين ظهروا في جبل عامل في عهده الأول ومقدار مالهم من التأليف والآثار العلمية مما هو مدون في الموسوعات غير انا نكتفي بسرد اسماء اشهرهم ذكرا واغزهم علما وافرهم معرفة وفضلا لاسيما الذين كثر تآليفهم ورحلوا إلى الاقطار القاصية ونالوا المناصب الرفيعة.

فمنهم أبناء الشهيد الأول الشيخ رضي الدين ابو طالب محمد والشيخ ضياء الدين ابو القاسم علي والمنصور الشيخ حسن وامهم الفاضلة ام علي وكان الشهيد يثني عليها ويأمر النساء بالرجوع اليها واختهم السيدة ام الحسن المعروفة بست المشايخ (وقد مر ذكرها) خمسة من أهل العلم والفضل والورع والتقوى يضمم بيت واحد انه لدليل ناصع على ما لرافع بنيانه العظيم من فضل واسع وعلم وفير.

ومنهم الشيخ نقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن اسماعيل العاملي الحارثي الكفعمي مولدا اللويزي محتدا الجبعي أبا الحارثي نسبا والتقي لقبا الإمامي مذهباً هكذا انتسب في آخر كتابه المصباح وقد ترجمه صاحب امل الأمل والشيخ يوسف البحراني في كتابه لؤلؤة البحرين والشيخ احمد المقرئ الاندلسي في نضج الطيب وكلهم اثنوا على علمه وادبه وهو تلميذ

الشيخ علي بن يونس العاملي النباطي الذي سبق ذكره والشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين علي بن شمال العاملي المشغري وكانت قراءته على الثاني في سنة ٨٤٨ - ١٤٤٤ والكفعمي نسبة إلى كفعم قرية خربة بالقرب من قرية جبشيت على نحو ثلاثة أميال من النبطية غربا وقبره معروف فيها واللوية قرية من أعمال جزين جنوبي جبع على مقربة من ينبوع نهر الزهراني وله شعر رائق ومؤلفات ورسائل أشهرها المصباح المعروف بكفعمي ورسالة أسماها محاسبة النفس اللوامة.

ومنهم الشيخ عز الدين الحسين بن عبد الصمد بن محمد الحارثي الهمداني الجبعي والد العلامة البهائي وهو تلميذ الشهيد الثاني وقد مر ذكره أقام مدة في بعلبك وبها ولد ولده البهائي وتولى التدريس في إحدى مدارس حلب ببراءة سلطانيه (كما تقدم) ثم سافر إلى خراسان وأقام مدة في هرات وكان شيخ الاسلام بها ثم انتقل إلى البحرين وفيها توفي في سنة ٩٨٤ - ١٥٧٦ وعمره ٦٦ سنة وله مؤلفات في مختلف العلوم وديوان شعر وقد أجازه شيخه الشهيد الثاني إجازة عامة.

ومنهم الشيخ محمد بن العودى الجزيني وكان مرافقاً للشهيد الثاني وتلميذه وقرأ معه في دمشق الصحيحين على الشيخ شمس الدين طولون وأجازه بروايتهما وصحبه إلى مصر والعراق وقسطنطينية وبعلبك وكتب رسالة خاصة في ترجمة الشهيد ورثاه بقصيدة طويلة.

ومنهم الشيخ جمال الدين أبو المنصور الحسن بن زين الدين الشهيد له التصانيف الجليلة الجامعة إلى غزارة العلم بلاغة العبارة منها معالم الدين وملاذ المجتهدين في علم أصول الفقه وهو كتاب يدرس إلى اليوم في مدارس الشيعة وقد ترجمه المحبي والخفاجي وابن معصوم وغيرهم وكلهم اثنا عليه وذكروا علمه وأدبه وهو من شعراء الدرجة الأولى في عصره توفي في سنة (١٠١١ - ١٦٠٢) في جبع وقبره معروف فيها إلى اليوم.

ومنهم الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي من أكابر علماء عصره المحققين له مصنفات جيدة في فنون العلم وشعر وتتر رحل طلب العلم إلى دمشق واختلط بفضلائها وقرأ عندهم في علوم شتى ومن جملة شيوخه الشيخ شرف الدين المترجم في خلاصة الأثر المتوفى في سنة ١٠٣٨ - ١٦٢٨ وكان رفيقه في الدرس الشيخ محمد بن الحرفوشي وروى عنه ولده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور رد صلة الأمير يونس الحرفوشي صاحب بعلبك وهي صلة لا يستهان بها تورعا كما رفض التماس بعض ملوك عصره حضوره اليهم للاستفادة من علمه تجنباً للظهور وابتعاداً عن رجال الدنيا رحل إلى العراق ثم إلى مكة فأقام بها مجاوراً خائفاً من حساده إلى أن توفي في سنة (١٠٣٠ - ١٦٢٠).

ومنهم ولده الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي. ذكره غير واحد من رجال المعاجم كالمحبي وابن معصوم صاحب أمل الأمل والبحراني وأخوه في الدر المنثور وكلهم أطروا علمه وأدبه رحل إلى إيران وقرأ على العلامة البهائي ثم قصد إلى مكة وتوفي فيها في سنة ١٠٦٤ - ١٦٥٣ وهو شاعر من الطبقة الأولى في عصره.

ومنهم الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني المار ذكره ولد في بعلبك في سنة ٩٥٣ - ١٥٤٦ وهو من أقطاب العلم ورجال الفنون وفلاسفة العصر ساح في طلب العلم

ثلاثين عاما وتوفي في اصفهان في سنة ١٥٣١-١٦٢١ ودفن في المشهد الرضوي وهو صاحب كتاب الكشكول والمخللة والزبدة في الاصول والخلاصة في الحساب المترجمة إلى اللغات الاوروبية وله مؤلفات كثيرة عد منها صاحب امل الآمل نحو خمسين كتابا ورسالة بالعربية والفارسية.

ومنهم الشيخ حسن بن علي بن حسن بن احمد بن محمود العاملي الكونيني المعروف بالحائيني نسبة إلى كونين وحائين وهما قريتان متجاورتان من قرى جبل عامل الجنوبية وعلى ميلين أو ثلاثة اميال من تبينين كان ابوه الشيخ علي عالما من اهل المدينة المنورة انتقل إلى جبل عامل واتخذ وطنه له ترجمه المحبي واثني عليه وذكره صاحب امل الآمل وله مؤلفات ادبية منها كتاب حقيبة الاخيار وجهينة الاخبار وله ديوان شعر توفي في سنة ١٠٣٥-١٦٢٥.

ومنهم السيد جمال بن السيد نور الدين علي بن علي بن أبي الحسين الموسوي العاملي الجبعي ذكره صاحب امل الآمل وقال في حقه عالم فاضل محقق مدقق ماهر اديب شاعر كان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا وقرأ في دمشق على العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب الأشراف وسافر إلى مكة وجاور بها ثم إلى مشهد الرضا(ع) ثم إلى حيدر آباد ليصبح مرجع فضلائها واكابرها وله شعر كثير وحواشي وفوائد كثيرة واخوه السيد علي من الشعراء أقام بمكة وعنه اخذ المحبي ترجمة اخيه وقال انه توفي في مكة مجاورا في سنة ١٠٩٨-١٦٨٦.

ومنهم السيد حبيب الله بن الحسين بن الحسن الحيني الموسوي العاملي الكركي الملقب بمرزا حبيب كان عالما جليل القدر عظيم الشأن كثير العلم والعمل سافر إلى اصفهان وتقرب عند الملوك حتى جعلوه صدر العلماء والأمراء وولده السيد ميرزا علي رضا كان محققا مدققا متكلم عظيم المقام تولى مشيخة الإسلام في اصفهان وتوفي في سنة ١٠٥١-١٦٤١.

ومنهم السيد حسين بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن العاملي الجبعي كان عالما جليل القدر والشان قرأ على ابيه صاحب المدارك وعلى الشيخ بهاء الدين وغيرهما وسافر إلى خراسان وسكن بها وتولى مشيخة الإسلام بالمشهد المقدس الرضوي التدريس في الحضرة الشريفة تحت القبة الكبيرة الشرقية. ومنهم السيد ميرزا محمد معصوم بن ميرزا مهدي بن ميرزا حبيب الله الموسوي العاملي الكركي كان فاضلا عالما محققا وهو حفيد السيد حبيب الله الأنف الذكر وتولى مشيخة الإسلام في اصفهان وتوفي في سنة ١٠٩٥-١٦٨٣.

ومنهم السيد محمد مهدي بن ميرزا حبيب الله الموسوي الكركي كان عالما فاضلا جليل القدر عظيم الشأن عليه اعتماد الدولة في اصفهان.

ومنهم الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري الإمام المحدث الكبير صاحب كتاب امل الآمل والوسائل في الحديث وغيره من المؤلفات الكثيرة جلها في علم الحديث وله شعر متوسط ترجمه ابن معصوم والبحراني والمحبي ترجمة طويلة وذكره الشيخ رحمه الله الهندي في كتابه اظهار الحق واستشهد ببعض آرائه سافر إلى إيران وأقام في طوس وبها توفي في سنة ١١٠٤-١٦٩٢.

ومنهم الشيخ محمد بن خير العاملي العنقاني نسبة إلى عنقانا (قرية بالقرب من جبعل) له مختصر تاريخ جبل عامل من سنة ١٠٤٣ إلى ١١٥٣.

ومنهم العلامة الشيخ محمد بن علي الخاتوني ابن اخت البهائي وهو وزير السلطان عبد الله قطب شاه سلطان حيدر آباد الدكن وقد مر ذكره.

ومنهم الشيخ محمد بن احمد المعروف بالحريري الحرفوشي العاملي اللغوي النحوي اتصل بالسلطان عباس الصفوي شاه ايران وتقلد رئاسة العلماء وقد نسبته معظم من ترجمه إلى عامل كما نسبوا العلماء الكركيين والبلعكيين وهي نسبة ادبية ومذهبية لا جغرافية لأن الكرك وبلعك لم تكونا من اعمال عاملة وانما كانتا متصلتان ببلاد عاملة في الادب والمذهب والسياسة وقد توفي في سنة ١٠٥٩-١٦٤٩.

ومنهم الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الاصفهاني كتاب الدر المنثور من المأثور وغير المأثور وغيره من الكتب الممتعة اودع في ذلك الكتاب تراجم آبائه مفصلة وترجمة له مطولة وله مؤلفات كثيرة وقد كتب بخط يده سبعين كتابا ولد في سنة ١٠١٣-١٦٠٤ وتوفي في سنة ١١٠٣-١٦٩١.

ومنهم السيد ابو الحسن موسى بن حيدر الحسيني العاملي مؤسس مدرسة شقراء التي مر ذكرها وهو من كبار العلماء واهل الفضل توفي في سنة ١١٩٤-١٧٨٠ وتخرج على يده كثيرون من علماء جبل عامل وشعرائه.

ومنهم العلامة الجليل الشيخ علي بن يونس النباطي الذي اتينا على ذكره في عداد العلماء الاجلاء الذين نبغوا في النبطية في الفصل الذي قبل هذا.

هذا ما وقفنا عليه من سيرة مشاهير علماء جبل عامل في العهد الاول وقد تقدم عن مشاهيرهم في العهد الثاني في فصل خاص عدا عن المئات من الأدباء والشعراء.



قائد عاملي بين أتباعه - القرن ١٩ م

موقف الاتراك من شيعة الشام

حين تم للسلطان سليم الاستيلاء على القاهرة ودخلها في ٣ محرم سنة ٩٢٣ هـ الموافق ٢٦ كانون الثاني ١٥١٧ م، وكان يتظاهر بالجامعة الاسلامية فيطمئن الناس حتى دانت له الاقطار العربية بأجمعها يقول المؤرخ محمد جابر آل صفا:

وتمشت الدولة التركية على طريقة الدولة المصرية في ادارة شؤون البلاد السورية. ولم يغير سليم الاول شيئاً من اوضاعها فأقرها على أساليب حكمها ومناحيها. وكانت مقسمة إلى اقسام. كل قسم يسمى نيابة. فأبدلت بكلمة ايالة أو ولاية يحكمها وال برتبة وزير ترسله العاصمة. ولا تتجاوز سلطته مدن الساحل وبعض المدن الداخلية والضواحي. وبقي الحكم في داخلية البلاد اقطاعياً.

أما حالة الشيعة في عصر الترك فنقول بالاجمال انهم لم يكونوا اسعد حالاً وأنعم بالاً من بقية الطوائف وأهل المقاطعات بل كانت وطأة الترك عليهم أشد وقعاً، وظلمهم اعظم أثراً. وقد نال الشيعة من أذاهم واضرارهم الشيء الكثير بسبب الفروق المذهبية والتعصب الديني. فنكّلوا بعلمائهم واستحلوا دمائهم وشتتوا شملهم. وصادروا مكاتبهم وجعلوا مؤلفاتهم طعاماً للنار. وساروا بالبلاد على سياسة الافكار والتدمير وجمع الاموال.

واعظم نكبة حلت بأبناء الشيعة في عهد الدولة العثمانية كانت في عصر سليم الاول. فان هذا الجبار العاتي أثار حرباً عواناً دامت سنين على الشاه عباس الصفوي سلطان ايران. وفتك فتكاً ذريعاً بالشيعة المقيمين على الحدود الإيرانية فذبح منهم اربعة واربعين ألفاً من رعيته بلا شفقة ولا رحمة ولم يكن لهم ذنب سوى انهم على مذهب الشيعة الامامية مذهب الشاه اسماعيل. واصابت شروره مدينة حلب وكان معظم اهلها من الشيعة الامامية فقتل منهم مقتلة عظيمة وجلى من بقي منهم إلى الضواحي في جهات ادلب. وهاجر بعضهم إلى جبل عامل فتوطنوه ومنهم السادة آل بدر الدين المتصل نسبهم بالاشراف من آل زهرة فقهاء حلب.

وامتد البغي إلى الشيعة المقيمين في سوريا الجنوبية فاشتد الاضطهاد والضغط عليهم. واضرم الاتراك العداوة بينهم وبين أهل السنة كما جرت عادتهم (فرق تسد). فاستصدر الفتاوى من بعض علماء دمشق باستحلال قتالهم، وهدر دمائهم، ومحو آثارهم واستعباد ذريتهم وان لا

تقبل لهم توبة إلى آخر ما ورد من فتاوى الشيخ نوح حكيم الحنفي لمثبتة في كتاب «العقود الدرية في الفتاوى الحامدية» جزء اول طبع مصر سنة ١٣٠٠ هـ صحيفة ١٠٢. ومن شاء فليرجع اليها يرى العجب العجائب وفي الرد على هذه الفتاوى يقول العلامة المؤرخ الشيخ علي السببتي من ابيات (وكان الشيخ نوح قد صاغها في احدى جنائن دمشق).

فقولاً لهذا، اتعس الله حبرها لقد انتجت يوم الجنية اولاداً

وكانت هذه الفتاوى التي تصدر تحت ستار الدين، والدين بريء منها، سبباً لاهراق دماء طاهرة لا ذنب لها سوى انتسابها لمذهب اهل البيت النبوي. ولا فرق بينه وبين مذاهب المسلمين إلا ببعض الفروع. وبالإجمال ان الشيعة لم ينلهم من الأذى في عهد الصليبيين مثلما نالهم في عهد الاتراك المسلمين.

وقد اجمع المؤرخون ان الادارة التركية العثمانية طيلة اربعمئة عام كانت شر ادارة منيت بها الامصار التي دخلت تحت حكمهم وظللتها رايتهم. وقد تمشوا في ادارة ممالكهم المترامية الاطراف على القاعدة التي وضعها (ارسطو) فيلسوف اليونان وأوحى بها لتلميذه اسكندر المكدوني: «من تمزيق وتفريق بين الطوائف التي خضعت لسلطانهم واختلفت عنا ديناً وعرقاً».

فسادت الفوضى واختل الأمن، وانتشر الفساد. وخربت القرى وهجرها السكان، وتلفت النفوس، وبارت الزراعة، وداهم البلاد الفقر، وعم اليأس والشقاء^(١).

ذبلت زهرة تلك المدن وذوت نضارتها وبدأت تتفكك اطرافها. وتحفز كبار الزعماء لنبد الطاعة والطموح إلى الاستقلال. وتدنّت الادارة التركية الى درجة سيئة. وكانوا في العاصمة يبيعون المناصب بالمزاد. وكان معظم الولاة من ذوي الاخلاق الفاسدة لاهم لهم الا جمع الاموال، ومصادرة اغنياء الشعب، والتضييق عليهم حتى اتى زمن وبعض الناس يحمد الله على الفقر^(٢).

وكانت سياستهم في بلاد العرب تدور على اضعاف قوى الأمة واذلالها، وتعرية مدنها من

(١) ورد في كتاب الإسلام والحضارة العربية للاستاد كرد علي الجزء الثاني صحيفة ٣١٥: «كانت الدولة اذا غضبت على احد ارباب المقاطعات ترسل اليه حملة يكون اول عمل لها قطع اشجار المقاطعة وتخريب بيوت السكان فزادت البلاد خراباً فوق خرابها. فقد كان مثلاً في اعمال حلب ثلاثة آلاف ومئتا قرية تدفع الخراج قبل استيلاء العثمانيين فنزل عددها إلى اربعماية في عهدهم. وكان في غوطة دمشق في أواخر عهد المماليك ثلاثماية وخمسون قرية لا تزال اكثر منها ظاهرة. ولا غادر الترك البلاد كان في الغوطة نحو ستين قرية فقط. وهكذا يقال في بقية الاقطار».

(٢) كانت المناصب بالمساومة فكانت شراء الولاية بثمانين الف إلى مائة الف ريال (والريال يساوي نصف ليرة فرنساوية ذهباً) ووظيفة الدفتردار (مدير المالية) تباع باربعين او خمسين الف ريال والقاضي اقل من ذلك وجميعهم يستعوضون عن مصاريفهم من الاهالي. وجمع عبيدي باشا والي حلب بمدة خمسة عشر شهراً نحو اربعة ملايين ليرة ذهبية من الضرائب التي فرضها على جميع ارباب الحرف، حتى على منظفي النارجيلات. وجمع سنان باشا فاتح اليمن وتونس ووالي الشام ومصر ثروة قسم عظيم من الولايات العربية تفوق الحصر. وهو الذي غدر بامراء اليمن ومشايخها وكانوا قد جاءوا للسلام عليه، فأمر بقتلهم، ففرس بين العرب والترك احقاداً دامت قروناً. وهكذا كانت حال أحمد باشا الجزائر والي صيدا وعكا فلم يبق ثروة ولم يعف عن انسان.

ذخائر العلم والبضاعة، ومحو مجد العرب من سجل التاريخ للاحتفاظ بالخلافة الاسلامية التي اغتصبها سليم الاول من المتوكل على الله الخليفة العباسي في مصر كما ذكر ابن اياس عن اعمال السلطان سليم في مصر وتدمير مدينتها.

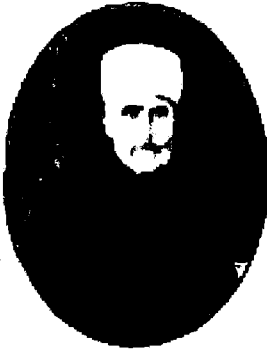
ورد في مجموعة العلامة اللغوي الشيخ علي السبتي التي نشرتها مجلة العرفان في المجلد الخامس صحيفة ٢١ مايلى:

ان الشيعة في اوائل حكم الاتراك العثمانيين وقعت بينهم وبين الطوائف المجاورة عدة معارك كانت الحرب فيها سجالات فمنها معركة انصار سنة ١٠٤٨هـ-١٦٣٨م) مع الأمير ملحمة بن معن. ومعركة عيناتا سنة ١٠٧٠هـ-١٦٥٩م) ومعركة النبطية سنة ١٠٧٧هـ-١٦٦٦م ومعركة وادي الكفور سنة ١٠٧٨هـ-١٦٦٧. ومعركة انصار الثانية سنة ١١٤٧هـ-١٧٣٤ مع الامير ملحمة ابن الامير حيدر الشهابي. ومعركة ميس ومرج قدس سنة ١١٥٦هـ-١٧٤٣ مع سليمان باشا العظم.

هذا ما ذكره العلامة السبتي، يقول محمد جابر آل صفا معلقاً على ذلك: ولم يذكر أحد من مؤرخي جبل عامل تفصيلاً وافياً عن هذه المعارك سوى قولهم ان الحرب كانت سجالات وان كفة النصر في معظمها كانت اميل إلى جهة الشيعة منها إلى جهة اخصامهم. خلا المذبحة التي وقعت في قرية (انصار) وهي قرية المعروفة في شمالي جبل عامل وكانت مقر حكومة آل منكر في سنة ١٠٤٨هـ - ١٦٣٨م وفيها دخل الامير ملحمة بن معن قرية انصار بحجة التفتيش على خصمه الامير علي علم الدين. دخلها دخول مسالم ولما استأمن القوم امر بهم فذبهم عن آخرهم في المرج المعروف لأن بمرج الدجاج. وكان عدد القتلى ١٦٠٠ قتل وأباح البلدة ثلاثة أيام.

والمذبحة الثانية حصلت في القرية ذاتها سنة ١١٥٦هـ - ١٧٤٣م ويطلقها الامير ملحمة بن الأمير حيدر الشهابي. فقد قام هذا بعسكره من لبنان متظاهراً انه يقصد جهة فلسطين بطريق الساحل. ولما وصل إلى محاذة قرية انصار داهمها في يوم الجمعة، والقوم عزل من السلاح، يؤدون الفريضة في جامع منصور. وقيل جامع السرايا وكان حاكمها (علي سليمان منكر) فذبح منهم الف قتيل، وقيل ألف واربعماية. حتى مال الدم في الارقة. وفي هذه المذبحة قتل ثمانية من آل منكر، وسبعة من مشايخ آل صعب وثلاثة عشر من الحمادية.

والمجمع عليه من اقوال المؤرخين في جبل عامل ان مواقف المهاجمين في مذابح انصار لم تكن مواقف مشرفة. وأن الشيعة أخذوا غيلةً وغدراً ولئن اغفل ذكر هذه الحقائق بعض المؤرخين اللبنانيين سيراً مع الهوى والغرض، واغضى عن ذكر دفاع الشيعة المجيد، وانتصاراتهم الباهرة ومواقفهم الشريفة مع اخصامهم هؤلاء، والدفاع عن حوزة البلاد ضد الاجنبي الدخيل، فلا يخلو الامر من منصف لاتطاوله ذمته على كتم الحقائق والحق لا يعدم انصاراً.



الشيخ سليمان ظاهر^(١)

(١٢٩٠ - ١٣٨٠ هـ = ١٨٧٣ - ١٩٦٠ م)

لي مثال وراءه نفس حر
خفيت دقة ولم تبق الا
لم تدنس بخدعة أو بلبس
شبحاً مائلاً لتصوير شمس
مولده ونشأته:

ولد في الثالث والعشرين من آذار سنة ١٨٧٣ في النبطية من أبوين صالحين^(٢) وفي سنة ١٨٨٣ دخل إحدى كتاتيب بلده فقرأ القرآن وتعلم قليلاً من الخط والإملاء في سنة واحدة وخرج منها وفي نفسه نزوع إلى التعلم ورغبة غرسها فيه والده ولكن أسباب التعليم كانت لذلك العهد غير صالحة في بلده وهو في سن لا تنهيا له الرحلة فيه إلى طلب العلم في غيره فعني بتجويد الخط بنفسه، في سنة ١٨٨٥ اخذ يتردد صبيحة كل يوم على العلامة السيد محمد نور الدين صديق والده في قرية النبطية الفوقا وهي على نصف ميل من بلده فيدرس عليه بعض المتون في علم النحو حفظاً، ثم ارتحل إلى قرية النميرية وهي على خمسة أميال من النبطية من أعمال الشقيف ودخل مدرستها التي افتتحها في ذلك الحين مؤسسها العلامة السيد حسن ابراهيم فأقام بضعة أشهر واقفلت المدرسة فرجع إلى بلده وفي سنة ١٨٨٦ قدم النبطية العلامة السيد محمد ابراهيم بدعوة من أهلها ليعلم ويرشد فيها فقرأ المترجم عليه العلوم العربية وأدبها وشيئاً من الفلسفة القديمة والألهيات، وفي تلك الاثناء نبه شأن مدرسة بنت جبيل لمؤسسها العلامة المرحوم الشيخ موسى شراره وغصت بطلابها من الفضلاء والادباء فارتحل المترجم إليها واقام بضعة أشهر ورجع في أيام عطلتها السنوية وكان آخر العهد بها لوفاء مؤسسها فعاد للدرس على استاذة السيد محمد ابراهيم وفي سنة ١٨٨٦ رجع الى الدرس على أول أساتذته السيد محمد نور الدين الذي أحيا مدارس آبائه في النبطية الفوقا وقد نسل إليها الطلاب من كل حذب وصوب فدرس فيها على العلامة الشيخ جواد السبيتي بعضاً من شرح الشمسية في المنطق وشرح التلخيص

(١) المصادر مجله العرفان المجلد ٤٨، اعيان الشيعة ٣١٠/٧، الاعلام ١٣٤، ١٣٥ ومجلة المجمع بدمشق ٤٢٥/٨ و ٥٠٠/٣٦.

(٢) هو سليمان بن محمد بن علي بن ابراهيم بن حمود بن ظاهر زين الدين العاملي النباطي الشيعي ينتسب إلى العلامة السعيد الشهيد زين الدين المعروف بالشهيد الثاني العاملي الجعي نزح والد المترجم هو واخوه الحاج حسين وحسن ظاهر من قرية دبين على غلوة سهمين من جديدة مرجعيون واسرة ظاهر في النبطية تنتمي إلى هؤلاء الاخوة الثلاثة اما والد المترجم محمد فقد كان زاهداً عابداً محباً للعلماء توفي في سنة ١٩٠٣ وت خلف بصاحب الترجمة وبالحاج قاسم وبالحاج علي وأمين.

في البيان إلى سنة ١٨٩٢ وهي السنة التي قدم فيها من النجف الاشرف العلامة الكبير السيد حسن يوسف الحسيني العاملي إلى النبطية بدعوة أهلها وأنشأ فيها مدرسته الحميدية التي أصبحت مثابة العلماء ورحلة الطلاب فدخل المترجم فيه ودرس على الأستاذ المحقق الشيخ أحمد مروءة أكثر المطول في البيان وشرح الشمسية في المنطق واكمل دروسه في هذين على رئيس المدرسة العلامة السيد حسن مع كتاب معالم الدين في أصول الفقه وبعض كتب الكلام ودرس عليه الفقه الاستدلالي وكان يلقي على الطلاب دروس المنطق والبيان والكلام إلى سنة ١٩٠٦ وهي السنة التي توفي فيها رئيس المدرسة استاذة فتفرق شمل الطلاب واقتلت المدرسة وانعكف على التحصيل بنفسه مطالعة في الكتب العصرية وأخصها مجلة المقتطف وغيرها من المجلات العربية الراقية فكان له في ذلك قدم صالحة.

نشأته الأدبية والصحفية

نما فيه الميل إلى مدرسة الادب العربي وإلى التمرس بالكتابة والتمرن على أساليبها العصرية نابذاً الجمود على الطريقة القديمة التي كانت متبعة في البلاد وشرع بمراسلة بعض الصحف في بيروت ودمشق وانتدبه صديقه الطبيب أسعد رحال لكتابة المقالة الافتتاحية في جريدة المرج التي كانت في جديدة مرجعيون فكان يكتب لها إلى ان وقفت. وأنشأ صديقه الحميم الشيخ أحمد عارف الزين مجلة العرفان وجريدة جبل عامل فكتب فيهما مقالات اخلاقية وتاريخية واجتماعية وسياسية إلى ان أقفلت الثانية ومشى مع الأولى إلى آخر أيامه في موضوعات مختلفة أدبية وتاريخية وراسل مجلات المباحث والآثار والمقتبس.

نشأته الشعرية

ولع المترجم بنظم الشعر سالكا فيه الطريقة العصرية وتفرّد فيما كان ينظمه بأسلوب خاص وطرق موضوع المدينة ونعى على من استهوتهم بزخارفها وكان يسترسل إلى ذلك في قصائده حتى التي تكون في موضوع الرثاء أو المديح أو الوصف ولما بعث بقصيدته في مدح امبراطور الألمان إلى صديقه ابراهيم بك الأسود الذي لم يكن له قبل ذلك صلة به وانما بعثها تلبية لدعوته الشعراء إلى مدح ذلك الامبراطور الذي زار عاصمة العثمانيين وسوريا فتقبلها ذلك الصديق بقبول حسن وأحلها في الصدر بعد قصيدته في كتابه الرحلة الامبراطورية ومن ذلك الحين اشتبكت بينهما وشايخ الصداقة وكان له منها الأثر المجيد ونشر له في جريدته وفي كراس على حدة قصيدته الانسان والسلم والحرب وهي التي نظمها أيام حرب روسيا واليابان ونالت منزلتها في عيون الادباء وقرظتها الصحف ونشر له فيما عدا العرفان في المقتطف والمباحث والآثار والمقتبس عدة قصائد في الطبقة الأولى.

مؤلفاته

له كثير من المؤلفات وقد طبع منها الذخيرة إلى «المعاد» و«الفلسطينيات» و«الآلهيات» و«تاريخ قلعة الشقيف» اما ما لم يطبع منها فانه أكثر من الذي طبع وهو: رسالة في أحوال أبي

الأسود الدؤلي ورسالة في نقض مذهب دارون على اسلوب التحليل العلمي وكتاب الشعر العاملي المنسي جمع منه ثلاثة مجلدات وتاريخ الشيعة السياسي ومعجم قرى جبل عامل والملحمة العربية والقصة في القرآن وديوان شعره الضخم والرحلة العراقية والرحلة الإيرانية، وبنو بويه في التاريخ وبنو عمار في طرابلس.

حياته السياسية

عني بالسياسة وهو في الثامنة عشرة من عمره وتدخل في شؤون بلاده وصحب مع صديقه الشيخ أحمد رضا استاذهما السيد حسن يوسف صاحب الكلمة المسموعة في أكثر تجواله في جبل عامل.

وكان ينتقم من السياسة الحميدية القائمة على الارهاق ومطاردة المستنيرين والحجر على الحرية ولذلك كان قابل كغير من طلاب الاصلاح الانقلاب العثماني بأمال واسعة ولما رأى أن الانقلاب مقتصر على الصورة دون المادة وعلى العرض دون الجوهر اظهر التنديد بأعمال الاتحاديين واستغفى من جمعية الاتحاد والترقي وكان في هيئتها المركزية بالنبطية ووقف موقف المعارضة وجر ذلك عليه وعلى من يرى مثل رأيه في النبطية نكبات.

نكباته وسجنه

فتشت مكتبته ومكتبتا صديقيه الشيخ أحمد رضا والاستاذ محمد جابر سنة ١٩٠٤ بسعاية مدير ناحية الشقيف يومذاك إلا أن وطنية المندوب للتفتيش جميل أفندي الحسامي ومصاحبه الأمير عز الدين الشهابي وتساهل قائمقام صيدا لذلك العهد كامل بك أنقذتهم من مخالب تلك السعاية وفي ٥ حزيران ١٩١٥ سيق مع من سيق يومئذ إلى الديوان العرفي في عاليه للمحاكمة السياسية وكان في القافلة الأولى التي بلغ عدد مسجونها تسعة وعشرين عينا من أعيان صيدا والنبطية وصور ومرجعيون وبيروت وبعد ثلاثة وخمسين يوماً خرج مبرءاً من التهم السياسية وكان لصديقيه الأمير شكيب ارسلان والسيد محمد كرد علي يد بيضاء في المدافعة عن مسجونى هذه القافلة.

بعد الحرب

انظم بعد الحرب إلى دعاة الاستقلال العربي وبعد الاحتلال بأيام ندب إلى وظيفة مستنطق في محكمة صيدا التي تألفت بالانتخاب وانتخب يومئذ رياض بك الصلح حاكماً لصيدا وهو الذي دعاه لوظيفة الاستنطاق لما يعلمه من فضله واستعداده فلم يسعه الرفض وظل فيها زهاء اربعة اشهر ثم أقيل منها لأسباب سياسية وخدم القضية العربية خدمات جلى وارتبط بدر الاعتماد العربي في بيروت إلى أن كان احتلال دمشق وعند مجيء اللجنة الأميركية كان في مندوبي جبل عامل المفوضين ببسط أمانهم لدى اللجنة المذكورة ومن مندوبي جمعية نشر العلم في صيدا لهذه الغاية ولكن حاكم صيدا القومندان شارينتيه حال بينه وبين مقابلة اللجنة وأخذ منه ومن بعض مناصري مبدئه الصيداويين عهداً خطياً في عدم الدخول مع الجماعات وعدم مقابلة

اللجنة الأميركية ومنعه من الخروج من صيدا الا بعد ذهاب اللجنة بأيام وفي ١٧ أيار سنة ١٩٢٠ سيق المترجم مع صديقه الرضا خفية عن الناس في سيارة مخفوفين إلى صيدا وذلك عند ابتداء الزحف على جبل عامل من القوة العسكرية الفرنسية وبعد ثلاثة عشر يوماً كانا فيها تحت المراقبة قضياها بصفة (قلعه بند) اذن لهما بالرجوع وكانت قد انتهت أعمال الحملة العسكرية ثم دعي بعد ذلك بخمسة أيام في من دُعي من العلماء والأعيان للاجتماع الذي عقده الكولونيل نيجر في صيدا لفرض الغرامة المالية على جبل عامل وتقرير الشروط لكف الحركات العسكرية.

في القضاء زمن الانتداب

عين حاكم صلح في الهرمل ثم نقل إلى جونية فالنبطية ولكن نزاهته وعدله ووطنيته الصحيحة لم تسمح له بالبقاء في الوظيفة، كثرت الوشائات عليه، وكان له مع مفتش العدلية الفرنسي مواقف مشهورة ثم استقال وطلق الوظيفة غير آسف عليها.

الجمعيات

دخل جمعية التعاون الخيري العام سنة ١٨٩٣ وكان هو وصديقه رضا وجابر مؤسسي المحفل العلمي العاملي وكانوا في الهيئة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي ولكنهم اعلنوا بعد ذلك انسحابهم منها لما ترضهم أعمالها.

وكان عضوا في الجمعية الخيرية العاملة التي تأسست في النبطية سنة ١٩٠٨ ولكن عمرها كان قصيراً وعضوا في جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بالنبطية وأحد مؤسسيها ورئيسها بعد وفاة العلامة الرضا.

اعماله

كانت أعماله العامة لا تنفصل عن أعمال صديقه الشيخ أحمد رضا فلم تجل فكرة في خاطر واحد منهما لاصلاح القطر إلا كان جال مثلها في خاطر الآخر او نزل الآخر على رأيه فيها وبقياً سائر في طريق واحد في هذا السبيل ولم يختلفا في المقصد والغاية وطافا الجهات الأربع من جبل عامل في سبيل الدعوة إلى المدرسة العاملة باسم الزعيم كامل بك الأسعد ولكن لم يكن نصيب هذا الطواف في آخر الامر غير الاخفاق فطويا صحيفة هذا العمل من هذا الطريق واتبعوا طريقاً غيره وهو بذل الوسع بمعاونة افاضل النبطية لترقية مدرسة النبطية والعناية بأوقافها التي أوجدتها جمعية المقاصد الخيرية فكان للسعي بعض الثمرات ولو سكنت نائمة المعاكسات لكانت الثمرة اقرب اجتناء.

حياته الاقتصادية

أعطى التجارة بعضه فلم تنقد اليه وما كان للمرء أن يصرف مواهبه إلى غير وجهتها ولم يخلق استاذنا تاجراً ولكنها الضرورة وقلة موارد الرزق مع التعفف فكان حظه من كل عمل اقتصادي مارسه حظ الأديب الشرقي فلم يفلح في عمل تجاري قط. وهو في طلبه الرزق كالراقم على الماء قطع حياته ولم يلب له العيش من قناته ولم يغير الدهر شيئاً من عفته وابانه.

حياته العائلية

اقترن سنة ١٨٩٤ باينة خاله وكانت من فضليات النساء وفارقت الحياة قبل تمام العام فكان ذلك أول طائف من الجزع مس قلبه وفي سنة ١٩٠١ اقترن بكريمة من كرائم آل بدر الدين الأشراف ورزق منها بنين وبنات وأكبر أولاده محمد رؤوف كاتب عدل النبطية اليوم والثاني من أولاده أحمد المساعد القضائي في المحكمة الشرعية بالنبطية والأديب الشاعر المعروف والثالث عبد الله الأستاذ في معاهد الحكومة الرسمية ومؤلف كتب الجغرافية النافعة.

مزاياه النفسية

هو عزيز النفس ابي الضيم بعيد عن المواربة والمداهنة ثابت على مبدئه وفي لأصدقائه.

مختار من شعره

قصيدة من منظومات الحرب بعد الافراج عنه مطلعها:

شر البلاد بلاد بها الأسافل سادوا للجهل فيها نفاذ وللعلوم كساد
وليس يخصب فيها الا الجفا والبعد فشا التفرق فيها كما استطال الفساد
كانما القوم ممن ابقت ثمود وعاد

ومنها:

ورب ليل كساني من ظلمتيه سواد ابراده السود منه على الهلال حداد
ان رق كان له من سواد حظي امتداد وان كتبت فمالي الا دجاء سواد
كان أنجمها من بداعي المستجاد
كانما من سناها ضياؤها مستفاد كأنهن قلاص بناظري تُقَاد
ما كان يألف جفني وجفنه السهاد كأنما بين طرفي وبينهن طراد
فهل لها كفضاؤدي ترق فيه فؤاد

ومنها:

كم رحلت أنشد من لا يهزهم انشاد لهم أردت رشاداً وهم ضاللي ارادوا
ملوا حديثي ولكن صدى حديثي اعدوا هواي اسعدهم لا ريم النقا او سعاد
لي راحة من شقائي إن من شقائي استفادوا

ومن قصيدة يصف بقايا مجاعة الحرب العامة ویتاماها بعث بها إلى صديقه الشاعر عمر

الرافعي مستنطق محكمة بداية صيدا يومذاك:

عظفت على مستهذفين لأسهم رمتهم بها عن قوسها نوب الدهر
بقايا رزايا الحرب لم يبق منهم سوى شيخ باد ببال من الطمر
وترديد انات بحيزوم ناحل على الهيكل العظمي في نفس يجري
يروح ويغدو طواوياً من حشاشة تكاد شظاياها تطير من الصدر
وان يلتبس قوتاً وتمشي به المنى اليه فلم يظفر بغير اذى الزجر
فيرجع في يأس ولم يلف مطرحا بقي جسمه البالي من الحر والقر

إذا مات لم يدرج باكضان ميت
ولو أن ما في قلبه من لواعج
كأن قلوب الناس قدت من الصفا
ذوو اوجه لم يجن من قسماتها
راوا ما يذيب الجامدات اقله
وحر افتقاد الوالدين وغربة
خلائف عمران بن حطان في الفلا
يمدون للاحسان راحا فتنثني
وقال من قصيدة طويلة يذم فيها الانسان وما اولع به من الظلم وسفك الدماء:

غراء ارضك اصبحت حمراء
أصابها داء الخمار فصيرت
ام مسها كلب فأعضل داؤه
ورأت سماءك تستطال فصيرت
ام غرها مدنية قد نافست
فاستبدلت بالاسودين الارجوا
نزلت سويداء القلوب ولم تدع
ولكم لها فينا يدا سوداء لم
ما انبتت ان انبتت ارض تقل الـ
واذا سماهم امطرتهم سحبها
مالأت فنونهم البسيط وانما

وقال من قصيدة نظمها عام ١٩٢٠م و١٣٣٨هـ بعد معركة ميلسون ومقتل يوسف العظمة:

أمل بصدر العرب والاسلام
يا يوم وقعة ميلسون كم جوى
أخمدت من عزمات يوسف جذوة
الويته عن سرجه من بعدما
ما كان فيك الفيلقان لبأسه
وينقع خيليه غدوت وبيضه
ومنها:

ما كان ذاك بموهن لك عزمة
لهضي على الخلق الجميل تزيينه
للعرب بعدك كم لواعج زفرة
فلتبكينك امة ناصحتها
مشتقة من نبيعة الاقدام
بطلاقة من ثغرك البسام
ومدامع تجري عليك سجام
وينصحها استعذبت كأس حمام

وقذفت نفسك في المهالك راغبا
لا يوحشك بالفلأ رمس طووا
فلك الانيس به ضمير صنته
وبه تطوف مدى الزمان مواكب ا
لا يذهبن دمك الحرام مضيعة
هل انصف الحلفاء قائد امة
حلوا الذي عقوده في ايمانهم
اين البوارق وهي برق والقنا
اين الصواهل ان جرت في حلبة
تختال تحت فوارس عربية
صوت بعالية الحجاز مشى إلى
قد ناصروا الخلفاء في يوم به
هبت بنصرهم عليهم ريحه
تلك الصنائع اوقرتهم نعمة
وقال بعنوان «حول المدرسة العاملة»:

اغني وهل في الحي مصغ فيطرب
الاقل لساقى الكاس دونك فاحتفظ
ودعها سلافاً في ضمائر دنها
اغرك منهم حضر فحلومهم
وما حضر الاجسام يوماً بحضر
اغني بشعر لو روى الدهر بعضه
اهزبه في الحي قوما وليدهم
منينا بقوم جاهلين بجهلهم
وماذا اعدوا في جهاد حياتهم
الا هل لنشئ اليوم للغد ادع
انادي ولا القى بناديه سامعا
افني كل يوم استرد نوافرا
وما شاقني منها «سليم» ولم يكن
ولي مقبول شهد لراج وعلقم
ولي قلم كالصل بين اناملي
يمج لعابا كالتزعاف لمعشر
يقلبه في الطرس فكر ابن حرة

عن عيشة ذلا بموت كرام
لك في محانيه عظام عظام
عن هاجسات الوزر والآثام
لاجلال والاكبار والاعظام
فالعرب بعدك عنه غير نيام
أرعى الانام لموثق وذمام
وهي الغموس بمدفع وحسام
شهب طوالع في سماء قتام
لم تدرك ايديها من الاقدام
معروفة الاخوال والاعمام
ارض العراق إلى ربوع الشام
مطرتهم الهيجاء سحب حمام
واليهم ارخست بكل زمام
لو كافوا الانعام بالانعام

اهم نوم ام هم عن الدار غيب
عليها فما في الحي صاح فيشرب
وما هي الا جندوة تتلهب
بها طار في الاوهام عنقاء مغرب
واحلامهم عن نجعة الفكر عزب
لغنى به في الدهر شرق مغرب
يجرعه الصابين كهل واشيب
الا ان شر الجهل جهل مركب
اذا فيهم صالت اسود واذوب
يصول بها ان اغضب الحي مغضب
واشدو وما غير السواجع تطرب
ويوحشني في الحي سرب ويرب
يروغني ان روع القوم اعضب
لباغ ولا يألو يمر ويعذب
ينضضه تأنيب من لا يؤتب
على انه من خمرة الكأس اطيب
يصرفه قلب على الخطب قلب

وما البرق اذ يمضي على الطرس راجلاً
يريك خفايا «الراديوم» اذا مشى
اذا غيب الرأي الشجاع بموقف
اهز شعور القوم فيه وانما
أهتف في قومي وارجع خائباً
كأنني ولم اضمم ببردي عزمة
واني امرؤ يوماي في الدهر مهرق
وان ركوب الهول اسهل مطلباً
ومن لم يخضب وفرة الصبح بالدجى
ولم يك مشاء على شوكة القنا
فليس له في غارب العز مقعد
حنانيك ربي هل تروض خلائقاً
حنانيك هل تهدي صراطك معشراً
حنانيك هل تطوي على الضيم منهم
حنانيك حتماً تبيت نفوسهم
تطير شعاعاً بين جهل وفرقة
حنانيك هل من عاطف من حشاشة
فيسلمه للعلم يوم له صوى الر
حنانيك ربي هل نرى اليوم منجداً
أصبراً وفينا الحرفي عقر داره
كأن لم تكن من امة عربية
انطوي على الشح الاكف وانها
ونترك فتياناً ببحر ضلالها
الا حامل عني لقومي الوكة
كأنني وان اطنبت في العتب موجز
ايسلبنا هيابة القوم عزنا
ويجسم فينا الجهل خيلتي وشوبه
اذا ما عبساً جيتشيه همزاً وشادمة
ويسرتاد فينا مرتج الضيم حاسر
فأيسن الانباء العائلي وعصبة
وهل تدرك الاقوام شأوا لغاية
وما شرع من قد راح يوماً بعلمه

باسرع منه وهو في الافق خلب
بقرطاسه يوماً يخط ويكتب
فلم يخف يوماً قط عنه المغيب
امات شعور القوم ملهى وملعب
وقد فاتني الشأو الذي اتطلب
ي صاحبها حزم ورأي مهذب
اخط به او منبر فيه اخطب
لمن فاته شأو بعيد ومطلب
ويرعى الدراري وهي تنأى وتغرب
يعانقه فيها سنان واكعب
وليس له في صهوة المجد مركب
فيسلس منها للعلو المتصعب
طريقهم عن نهجها للحب انكب
قلوباً على شحنائها تتغلب
شظايا على ايدي الهوى تتشعب
وليس عليها من يغار ويغضب
على نشئه يحنو عليه ويحذب
شاد واعلام السعادة تنصب
غيورا ومنه الكف تمرى فتحلب
جنيب بايدي الضيم والجهل مصعب
وقد عرقت فينا نزار ويعرب
لتخجل قطر الغيث والغيث صيب
وتياره يطفو بها ثم يرسب
على العتب يطويها فتى متحذب
وكم موجز في العتب من راح يطنب
ويذهب فيه العاضة المتوثب
على انفسنا نحسن اخيائليه نجلب
فمننا نجيشيه انفسنا المصعب
ويسوردنا حموض الهوان مهصب
بغير اباها لم تكن تتعصب
ومن دونها للعلم شأو مغرب
يدل ومن في جهله راح يعجب

كأن جهول القوم في داء جهله
 اترجون خصباً في العقول وربكم
 اذا هاج نبت العلم فيكم فهل ترى
 اذا لم تنيروا جوكم بضياؤه
 الا في سبيل الله نشئ يقيمه
 الا في سبيل الله نشئ يعنله
 اذا رائد الاقوام اكذب اهله
 ايقعدنا عن نهضة عاملية
 ويظفر منا بالمقادة سائرا
 ويطوي على الدنيا الضلوع ولم تكن
 يزهد فيها غيره غير انه
 ويتخذ الدين الصحيح حبالا
 اعدلا بأن يدوي الصحيح طبيبه
 ويارب ليل خضب بحر ظلامه
 خفيف الشوى ينأى ويدنو كأنه
 قطعت به بحري ظلام وعثير
 اجاذبه فضل الزمام كأنني
 اسير ويسري في ذمام تنائف
 فهل انعلته اربع الرياح اذ سرى
 فوالله ما ادري أفي الارض مأرب
 ومن نهر (سيحان وجيحان) مشرب
 اذا خلع الليل الدجوجي برده
 كأنني به سيارة في يد الفضا
 كأن بساط الرياح اعطاه عدوه
 تعانقه الارواح حتى كأنه
 يخال اديم الافق روضا ومنهلا
 ففي الافق من نهر المجرة مورد
 فوالله ما ادري اللريح نسبة
 كأنني به في الصبح صيتي اذاعة
 واسرع منه خاطري اذ اجيله
 يراع كأن (الكهرياء) بشقه
 اذا ما شدا في الطوس يوما مغردا

ندا الناس مهنوء الملائين اجر
 من الضيم غفل أو من العلم مجذب
 لكم تلعة خضراء منه ومذنب
 فلا زال يغشاكم من الضيم غيب
 ويقعده جهل وسعي مخيب
 مؤدبه يا بئس ذاك المؤدب
 فلا الماء مورود ولا النبت طيب
 اخو سفه في غيه متنقب
 بنا حيث لا يهوى العلاء ويرغب
 على غيرها منه الضلوع تحذب
 على كل ما تحويه غيران مؤتب
 لها واليها كل غمياء يركب
 ويشكو اليه داء المتطبيب
 ينادمني فيه شهاب واشهب
 على طول ما يطوي من البعد يقرب
 ووجه الفضا من ذا وذياك اكهب
 بكفي زمام الريح والبرق اجذب
 ولا تختشي هولا ولا نتهيب
 يقاد بأيدي السائرات ويجنب
 له ام له في قبة الافق مأرب
 له ام له عند المجرة مشرب
 عليه فمن صبغ الدراري يخضب
 لها في نواحيه مراح وملعب
 كأنني (سليمان) به يوم اركب
 لسامية الارواح ألف محبب
 اذا طار عدوا وهو صاد ومسغب
 وروض ولكن بالدراري معشب
 له ام له عند الاهلة منسب
 وفي خاطر الظلماء سري المحجب
 بجو المعاني او يراعي المثقب
 فاي فؤاد منه لا يتكهرب
 فما منه تحنان الاغاريد أطرب

كأن سويداء الفؤاد مداده
وان يراعا يستمد مداده من القلب هل يخفى عليه مغيب
بصير بسر الاجتماع كأنما
اذا ما شكا اشجى القلوب وزفرة
عتبت لعلمي ان فيكم بقية
اتغمض عين العاملي وقومه
ولا بلد تحنو عليهم ولا رثى
كأن لهم في كل ارض جناية
ففي ارض «حوران» طريد وآخر
يطوفون في آفاقها اثر مكسب
يساقون فيها سوق عجم ولم تكن
وما ذنبهم الا جناية جهلهم
اذا المرء لم يذهب على ضوء علمه
ولم يتسق دين ودنيا لامة
ادين بلا دنيا ودنيا لمن غدا
اذا جهلت اسباب داء اجتماعنا
اذا البدر عنا غاب والبدر كامل
اذا اخلفت فينا السحائب عهدا
وان شاع عنا نهضة ثم لم يكن
فهل غاية للعالملي وراءها
اذا اليوم ولي وهو كالامس لم يكن

وقال سنة ١٩٢٥م ابان الثورة السورية الكبرى من قصيدة:

في الشام قوم أضاق الدهر أمنهم
بالامس كانوا وظل العيش منبسط
يجري لهم (بردى) خفضا وينزلهم
وآمنات عوادي الدهر غافلة
ترى مقاصيرها من بعد منعها
كأنما النار فيها وهي ساطعة
من صدرها حر انفاس تدفعها
وصرها مثلها هاو ومنهدم
أخرجن صفرا كف غير مالكة
ومطفل غاب تحت الردم واحدها

وروعتهم افانين السياسات
منعمين بغدوات وروحانات
من (غوطيته) بروضات وجنات
مد الزمان اليها كف روعات
يدكها القذف من جو السماوات
وللدخان سحب بالردى شات
من قلبها زفرات اثر انات
على جسام تفتدى بالحشاشات
الا بقية انفاس ولوعات
كما تغيب غرب في الغيايات

وكلها والاماني المضمحل
وذلة بالشفوف السابريات
بالكسروي ولا بالكسرويات
حماة صب الردى صوب الشقاوات

مقسم لها ما بين حيرتها
سرعان ما بدلت بؤسي بأنعمها
تلك الليالي ولم تحفل اذا هجمت
وفي الجنوب وحوران واختهما

مراثيه

مما رثي به العلامة الشيخ سليمان الظاهر قصيدة للشاعر محمد كامل شعيب العاملي قال فيها:

وغيضت العلوم الزاخرات
فهن عن العيون محجبات
كأراد الشوموس مشعشات
كما تهمني الغواصي الهاطلات
عقود الدروهي مرصعات
بأكليل الجهاد مكللات
وهن مدى الحياة الباقيات
فما ذوت الدوالي المثمرات
ولحمتها الشروح الضافيات
كأزهار الريى متضوعات
غلالتها عليك المكرمات
وابلغ من عطايتك ذي العظا
مباحث في الصحائف بينات
وقد كانت تضيق به الجهات
رعونتها النفوس الخيرات
به من هولهن مزلزلات
عليه اليوم تحسده اللغات^(١)
به ولهن فيه مؤسسات
بعاملة البنون ولا البنات
ولا مال يبرز ولا هبات
كأنهم الدراري النيرات
وممن لا تلتين له قناة
كما جفت لبنينهم الدواة
لأرباب اليراع مبعثرات
وهم لبنائه العالي بنا

بكت أي الكتاب المحكمات
وخبئت اللآلئ كالغواني
أخا التسعين وهي بكل داج
هطلن بعامل مزننا ثقالا
وقلدن البيان من اللآلي
صحائف وهي ناصعة بياضاً
فإن تك قد طويت فكيف تطوى
وان يك جف منك العود وهناً
سداها العلم والادب المعلى
شمائل كلها عبق وطيب
خطبت المكرمات فتى فزرت
ملأت مسامع الأيام وعظاً
وما فقدتك «عاملة» ولكن
أصبح في مضيق بحر علم
ثلاث نوائب ذهبت ضحايا
هوت في عامل فاذا الرواسي
فطاحل شيدوا للضاد ركناً
ولولاهم لما تليت دروس
ولا نفضت غبار الجهل عنها
فلا رتب لهم ألوت عنانا
مضوا متسابقين إلى المعالي
وكل منهم صعب مراساً
أرى الأقلام قد أقت عصاها
ولولاهم لما انتظمت صفوفها
هموا كانوا لعاملة منارا

(١) يقصد الشاعر بذلك المترجم وقريته الشيخ أحمد رضا ورفيقهما الشيخ عارف الزين.

أعضاء جمعية العلماء العاملة

قانون جمعية العلماء العاملة الأساسي وقانونها الداخلي

أصدرت جمعية العلماء العاملة قانونها فاذا هو في ٢٢ مادة.

وهاك أسماء أعضائها مرتبة على حروف الهجاء وقد انتخبت منهم ١٥ عضواً عاملاً ترى حرف (ع) على اسمه وانتخبت أميناً للصندوق من غير أعضائها وهو نجيب بك عسيران النائب والوجيه المعروف.

الهيئة العامة الدائمة لجمعية العلماء

العاملية مرتبة اسمائها على حروف المعجم

(ع)	السيد علي فحص	(ع)	الشيخ احمد رضا (محاسب)
(ع)	السيد محسن الأمين		الشيخ اسد الله صفا
(ع)	السيد محمد ابراهيم	(ع)	السيد امين علي احمد الحسني
	الشيخ محمد امين شمس الدين		الشيخ جواد كوثراني
	الشيخ محمد بسمه		الشيخ حسن شمس الدين
	السيد محمد حسين فضل الله	(ع)	الشيخ حسين مغنية (مدير مسؤول)
(ع)	الشيخ محمد الحر	(ع)	الشيخ حسين نور الدين
(ع)	السيد محمد صفى الدين	(ع)	الشيخ سليمان ظاهر (كاتب)
	الشيخ محمد علي مقداد		السيد عبد الحسين زين
	الشيخ محمد علي نعمة	(ع)	السيد عبد الحسين نور الدين
	الشيخ محمد قاسم عز الدين	(ع)	الشيخ عبد الكريم الزين
(ع)	الشيخ منير عسيران		الشيخ عبد الكريم مغنية
	السيد مهدي ابراهيم		الشيخ عبد الله حب الله
	الشيخ موسى قبلان		الشيخ عبد الله الحر
(ع)	الشيخ يوسف الفقيه	(ع)	الشيخ علي حلاوة



من اليمين الصف الأول: الشيخ جواد كوراني، الشيخ يوسف الفقيه، السيد مهدي إبراهيم، السيد محمد يحيى صفى الدين، الشيخ علي أكبر الصف الثاني: السيد محمد إبراهيم، الشيخ حسين مغنية، السيد محسن الأمين، الشيخ حسين نور الدين، الشيخ محمد الدين، الشيخ عبد الله الحر، الشيخ منير عسيران، الشيخ محمد أمين شمس الدين، السيد أمين علي أحمد الحسن، السيد علي فحوص.

الصف الثالث: الرابع من الصف: نجيب بك عسيران، الشيخ سليمان ظاهر، الشيخ أحمد رضا، الشيخ أسد الله صفاء، الشيخ محمد علي، الشيخ علي خلاوة.

رد على وليم مارتان هل طلب الشيعة الحماية من فرنسا؟

الشيخ سليمان الطاهر

نشرت القبس الدمشقية في عددها ٢٣٣ الصادر في شعبان ١٣٥١ هـ و ٢٠ كانون الاول سنة ١٩٣٢م تصريحات لأحد الكتاب الفرنسيين وهو المسيو وليم مارتان وكانت قد نشرت لأول مرة في جريدة دوجنيف وعريتها (القبس) وأعاد التنويه بها السيد نجيب الرئيس بكلمة نشرها تحت عنوان (النصارى والشيعة في نظر فرنسا) وصدرت ضمن كتابه الموسوم (نضال):

ونظراً لما تضمنه آراء وليم مارتان من أمور كانت مورد استياء الشيعة واستنكارهم، فقد تولى الرد عليها أحد علماء الشيعة ونشر في الجريدة نفسها وهذا هو نص الرد:

طلعت افتتاحية العدد ٢٢٧ من قبسكم الاغر المصدرة بعنوان آراء بعض الفرنسيون في سورية وبخلاصة آراء وليم مارتان الكاتب الافرنسي صاحب جريدة دو جنيف في مهمة دولته في سورية وأعجبت جد الإعجاب بتعليقكم على تلك الآراء ولا سيما بما يتعلق بتعرضه للأقلية الشيعية وانها مشمولة مع النصارى بحماية امته بزعمه وتحليلكم موقف الشيعة ومكانتها العددية في الطوائف اللبنانية وعزة جانبها في لبنان وعريبتها الصريحة واخوتها الحقيقية للطائفة السنية وما إلى ذلك من الابحاث التي اصابته الواقع ولا يرتاب فيها إلا كل مكابر او من يرمي إلى اهداف اخرى لا يثمر فيها الثمرة المقوّة واني مع اكباري لهذه الافتتاحية لا أرى مندوحة عن تأييد ما جاء فيها من الآراء السديدة ودحض ما لعله يعلق ببعض النفوس الضعيفة من الغربيين وغير الغربيين في موقف الشيعة الصريح حيال اخوانهم السنن المسلمين واخوانهم العرب وهم منهم من الصميم وحيال القضية العربية الخاصة والعامة وما إلى ذلك مما فيه مقنع للمتكلمين عنهم بغير الحق وردعهم عن التعرض لهم عند سنوح كل فرصة للتفريق والإصابة اغراضهم السياسية من ذلك التفريق وهم اعرف بامورهم واجدر من كل من ينصب نفسه من الغرباء للذود عن حقوقهم وصاحب البيت أدري بالذي فيه .

الشيعة مسلمون

المسلمون فرقتان كبيرتان السنة والشيعة وما كانت الاختلافات المذهبية بينهم إلا أموراً اجتهادية لا تعدو اختلافات المذاهب الاربعة السنية ولا يصل اثرها الى جوهر الدين وكل ما جنوه من ثمرات التفريق في الاحقاب الخالية لم يكن من غير صنع السياسة ومن عمل المتغلبة ولا اثر

فيه البتة للاختلاف المذهبي وان صبغته السياسية الجائرة بالوانه وهم اليوم بفضل تداعي الأمم الغربية اوجهاً ويداُ ولساناً إلى انتقاص اطراف بلادهم بشتى الوسائل اخوان لايتناكرون ولا يتدابرون وكلهم في بقعة من بقاع الارض وفي كل مصر من الامصار على اختلاف اجناسهم وتباعدهم ديارهم عامل على صدغارات الاعداء وعلى الرجوع إلى الوحدة الإسلامية التي لا تتجزأ لرد تلك الغارات عن العبث بدينهم واستقلالهم.

لم يدع المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس الشريف في العام الماضي من مائة وسبعة واربعين زعيماً دينياً ودنيوياً من مسلمي الارض كافة مجالا لترديد اعدائهم كلمة التفرقة بين فرقهم وكان في المؤتمرين المسلم الشيوعي الإمامي والزبيدي والمسلم السني والخارجي الأباضي وكادت تنحصر الإمامة بالمصلين في المسجد الأقصى في الجمعات وغير الجمعات باعضاء المؤتمر وغيرهم طيلة اجتماعات المؤتمر بالإمام الشيوعي الإمامي حتى كان يبلغ عدد صفوف المسلمين المؤتمين به ما يربو على عشرة آلاف مصل وقد رددت مدى هذه الظاهرة الشريفة وغيرها من ظاهرات الوحدة الإسلامية في مفاوضات المؤتمر صحف فلسطين وسورية ومصر والعراق والصحف الأجنبية على اختلاف لغاتها وعلى مرأى ومسمع من مراسليها الذين لم تفتهم جلسة من جلسات المؤتمر ولا اجتماع من اجتماعاته ولا نظن ان هذه الدلائل الناصعة على وحدة الفرقتين السنة والشيعة وهذا الحدث الإسلامي العظيم في تاريخ المسلمين في هذا العصر مما جهله وليم مارتان واضرابه ولكنه لا يكتب للتاريخ على وضع الحقيقة بل يكتب هو وغيره للسياسة ولصلحة امته فحسب.

شعبة سورية عرب

اشيعة سورية عرب باصولهم وعرب بلغتهم وهم اعرف بانسابهم العريقة الصريحة من الغريب عنهم ولا يضيرهم شيئاً انكاره عروبتهم والسنة اخوانهم في العروبة كما هم اخوانهم في الإسلام وان جل مسيحيي سورية يرجعون إلى اصول عربية وان حملت السياسة فريقاً منهم على انكارها والتمسك بالاصل الفينيقي وما الفينيقيون الذين يزعمون الانتساب اليهم إلا أمة بادت كما بادت ثمود وعاد وطسم والعماليق.

شعبة سورية والانتداب

ان شيعة سورية كسنيي سورية ومعتدلي المسيحيين السوريين لم يكونوا راضين بالاوزاع الشاذة التي حملها اليهم الانتداب منذ بدء الاحتلال إلى يوم الناس هذا وان ما قاموا به من الاحتجاجات عليها ومنها التجزئة الممقوتة ما لو جمع لبلغ مجلداً ضخماً وان جبل عامل وقد رافقت قضيته في كل الادوار قد قام بنصيبه من الواجب في مقت تلك الاوزاع وان عندي من المذكرات الدالة على مشاركته العاملين في تحرير البلاد واستقلالها ما لو جمعته لبلغ كتاباً.

حماية فرنسا الاقلية الشيعية

زعم وليم مارتان ان من جملة واجبات امته حماية الاقلية الشيعية ولست ادري ولا المنجم يدري ما الذي حمله على هذا الزعم الغريب فإن ادعى ان الاقلية الشيعية في سورية عامة وفي لبنان خاصة طلبت من دولته حمايتها فليبين اسماء الطالبين وليبين ممن طلبتها هل من اخوانها المسلمين السنين ام من اخوانها المسيحيين ام انها تبرعت بتلك الحماية الموهومة؟ ان الشيعة لم يطلبوا الحماية يوم كانوا اقلية ضئيلة في جنب اخوانهم السنين يوم كان لهم الحكم والسلطان كما طلب اخوانهم المسيحيون او كما تبرع بها بالاحرى لمصالحهم لا لمصلحة المسيحيين بعض الدول الغرب فكان لتلك الحماية اثرها غير المحمود عليهم فإذا لم يطلبها الشيعة في عهد الحمایات فكيف يطلبونها اليوم وفي ذلك اليوم كانوا اقلية وهم اليوم ليسوا باقلية والحمد لله لا في لبنان وهم كثرة في انفرادهم واكثر بانضمامهم إلى اخوانهم السنين والمعتدلين المسيحيين ولا في سورية وهم والسنة سواء .

وان كانت تبرعت دولته بحمايتهم فقد رأينا اثر تلك الحماية من بدء الاحتلال إلى اليوم رأيناها فيما رأيناها فيما اصاب العاملين منمصائب لانشاء أن نعيد حديثها وحسبهم تلك الضريبة التي فرضت مائة الف ليرة واستوفيت اضعاف ذلك دع اموراً أخرى جرت هي كل ما في قوة الغالب المنتقم من تدمير وارهاق رأيناها في توزيع الحقوق والوظائف والمغانم في لبنان على النسبة الطائفية فكانت في العدد الثالثة وفي التوزيع الاقلية الضئيلة ولا ادل على تلك الحماية المزعومة من توزيع عشرين الف ليرة ونيف على المدارس الأهلية اللبنانية ولم يصب مدارس جبل عامل منها شيء ولا مدارس بعلبك .

رأيناها في لا مساواة في المغارم والمغانم فعلى شيعة لبنان الغرم وليس لها شيء في الغنم هذا مثل من امثلة حماية الأقلية الشيعية المتبرعة بها حكومة الانتداب بزعم (وليم مارتان) وحسبنا بهذا النموذج من الحماية عن الإفاضة التي نخشى معها سامة القراء .

الشيعة تطلب الوحدة لا الحماية

الشيعة طلاب وحدة لا طلاب حماية وإذا تبرعت حكومة الانتداب بهذه الحماية واحتملت عبأها فإن شيعة جبل عامل ولبنان لا يرتاحون اليها وهم لم يبلغوا منها مأرباً ويرون مصلحتهم برفع وطئتها الثقيلة عن فرنسا وضمهم إلى سورية وإلى اخوانهم المسلمين السنين وإن كانوا اكثرية.

الدكتور حسن عباس نصر الله

١٩٤١

الدكتور حسن بن عباس بن حسن بن نصر الله برؤ القيسي العجمي ولد في بعلبك سنة ١٩٤١ وتلقى علومه في مدارسها ثم نال دبلوم دراسات عليا من جامعة القديس يوسف بيروت سنة ١٩٨٠، عمل مدرساً ثم استاذاً جامعياً وأصبح رئيساً لقسم اللغة العربية في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية. فرع البقاع وتنقل في عدة مناصب اكااديمية زار فلسطين بصحبة العلامة الشيخ حبيب آل ابراهيم سنة ١٩٦٢، ورحل إلى العراق صيف ١٩٧٢ وحضر وساهم في الكثير من المؤتمرات ونشر عدد من الكتب والأبحاث القيمة من أبرزها: تاريخ بعلبك، ذو الرمة شاعر الصحراء، ألوان الكلام الادب السياسي الملتزم في الإسلام، الحركة الادبية في النهضة العراقية، الامام الحسين قبس من نبوة، حركة التصوف في بعلبك وغيرها، يمتلك مكتبة ثرية جداً ومتحفاً يضم مجموعة نفيسة من الآثار والمقتضات العتيقة.



الدكتور نصرالله في مكتبته

الشيخ أحمد رضا

(١٢٨٩-١٣٧٣هـ/١٨٧٢-١٩٥٣م)



أديب لبناني من كبار الادباء العربية، في سوريا ولبنان وكاتب شاعر، ناثر ولغوي ضليع، وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق، واحد كبار علماء جبل عامل الاعلام في النصف الاول من القرن العشرين. وهو من اركان رجال الاصلاح في جبل عامل من لبنان الجنوبي، واحد الثالوث الذي انطلقت منهم النهضة العلمية والاجتماعية الحديثة، (الشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان والشيخ سليمان الضاهر). زرع بذور اليقظة الوطنية والفكرية في العهد العثماني خلال النضال المتواصل في ذلك العهد فحكم عليه الديوان العرفي العسكري في عاليه. كذلك تعرض لنقمة الفرنسيين في عهدي الاحتلال والانتداب.

ربطته بالامير شكيب ارسلان وعبد الكريم الخليل وبالسادة: رضا الصلح ورياض الصلح والشيخ عبد القادر المغربي وياسين الهاشمي وسعد الله الجابري اوثق الصلات.

له مباحث علمية ومقالات ومحاضرات تبرز فيها كفاءته بعلوم اللغة خاصة، نشر معظمها في «العرفان» وفي «المقتطف» وفي «مجلة المجمع» بدمشق.

ولد في النبطية ودرس في كتاتيب بلده ثم على بعض علماء الشيعة فاخذ عنهم الادب والتاريخ والمنطق وعلوم الدين. من مؤلفاته: رسالة الخط (صيدا ١٩٠٤)، الدروس الفقهية (صيدا ١٩٣٤)، رد العامي الى الفصيح (صيدا ١٩٥٢)، العراقيات (بالاشتراك مع الزين وضاهر) صيدا، المتن (معجم لغوي).

الأمراء الحرفوشيون حكام بعلبك والبقاع وما يليها

علي اسكندر المعلوف



توطئة

ان اشتغالي بالتاريخ الوطني حداني إلى تتبع كثير من الأخبار المندرسة والتواريخ المشوشة فتقصيت البحث عنها بمراجعات كثيرة معتمدا على مراجع من كتب مخطوطة ومطبوعة وتعالق على اشباهها من المؤلفات وعلى روايات شيوخ وشيخات وكثرة سؤال وبحث فانجلى لي كثير من الغوامض وحللت بعض المشاكل بما وصلت اليه يد التنقيب وما ساعدني

عليه الجلد وانفسح له الذرع والوقت فوضعت لمثل هذه المباحث كتاب (الأخبار المروية في تاريخ الأسر الشرقية) وقد ملأ الآن تسعة مجلدات ضخمة وبدأت بالعاشر منها ولعله يكون آخر الأجزاء اذا لم ينكشف لي اشيء جديدة بالتدوين. وكذلك وضعت كتاب (تاريخ سورية المجوفة) أي وادي العاصي والليطاني بردي حتى بدمشق وانطاكية وحدود فلسطين أو وادي التيم كما كان يطلق ذلك على هذه الاماكن في القديم وفيها مباحث كثيرة عن قدماء الحكام ولاسيما الأمراء الحرافشة الذين لم اجد الآن من تعرض لتاريخ مفصل لهم مع أنهم قد حكموا عدة قرون ولهم علاقات شديدة بتاريخ سورية القديمة وكان لهم من المنزلة ما كان لحكام عهدهم من الأمراء التنوخيين والمعنيين والشهابيين العربي النجار والمشهورين في تاريخ البلاد الوطني المحبوب. ولقد سالت جهابذة علماء الشيعة الأفاضل في جبل عامل وغيرها عما يعرفونه عنهم من الأنباء والانساب والحوادث فلم ألق منهم مجيباً غير جهل شؤونهم الانزراً منها فاعتمدت على المراجعة والتنقيب والسؤال من كثير من شيوخهم وشيخاتهم واستطلعت طلع اخبارهم من جدودي الذين رووا بعض اخبارهم وحفظوا بعض آثارهم لأنهم كانوا من المقربين منهم النائلين الخطوة لديهم في تضاعيف القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد وقد تركوا اوراقا تتعلق بأولئك الأمراء مما فصلته في كتابي (دواني القطوف) المطبوع وفي مطالعته غنى عن تفصيل ما جرى لهم في تلك البقاع مما اطلت فيه الكلام واقتضت البحث في تاريخي الاسر وسورية المجوفة وتاريخ زحلة وبعد أن وقفت على بعض مخطوطات في مدينة بعلبك مقر الأمراء الحرفوشيين أحقابا طويلة كلفت صديقي الشيخين علي النقي زغيب وتوفيق الصاروط

من ادباء تلك البقعة الطيبة فساعدتني بافادات اضيفتها إلى مالدي ورأيت نشر ذلك تحقيقاً لتاريخهم والله اعلم بما وراء ذلك من المكتومات التي تكشفها الأيام فتجلو مبهمها .

اصل الحرافشة وانسابهم

ينتسب الأمراء الحرفوشيون إلى خزاعة بن لحي بن عمرو بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر وقيل إنهم قحطانيون من الأزد وكانت مواطنهم في انحاء مكة المكرمة ولهم ولاية البيت الحرام قبل قريش الذي كانوا احلافهم فلما اتصلت تلك الولاية بأبي غبشان وخسرهما كما هو مذكور في التواريخ هجروا البيت فانخزعووا وتفرقوا فاشتهروا باسم خزاعة وتدير بعضهم بغداد وهم فيها إلى اليوم باسم عرب خزاعة أو الخزاعل من الشيعة^(١) وباسم آل عبيد من السنة فمن خزاعة هؤلاء جاء فريق مع عمر بن الخطاب (رض) كان رأسهم دعبل الخزاعي وقيل حرفوش الخزاعي حامل رايته فشهدوا فتوح الشام واستقروا مدة في غوطتها وانتقلوا إلى بعلبك وكان منهم نصر الخزاعي فيها حين مرور سببايا اهل البيت من العراق إلى الشام.

أما تسميتهم (بحرفوش) فلم نجد احداً تعرض لها من النسابة ولا المؤرخين ولكن المتداول على السنة بعض معمرهم كما نقل لنا جدودنا المتصلون بهم أن أحد اسلافهم اشتهر في بعلبك باسم (حرفش أو حرفوش) فنسبوا اليه ولا تزال اطلال قرية (حرفش) شرقي بعلبك على بعد ساعة ونصف منها إلى جنوبي قرية (عين يرضيه) تدل على هذه التسمية فلعل ذلك السلف سكنها فنسب اليها والله اعلم.

واول من ذكر في التواريخ التي بين ايدينا منهم هو الأمير علاء الدين الحرفوش الذي نال امرة الطبلخانة من الرتب العسكرية العليا في ايام ملوك الشراكسة نحو سنة ٧٩٢هـ (١٣٩٠م) وكان قائدا لعشران البقاع في موقعة منطاش المشهورة فقتله منطاش وكان قد قتل قبله اياه واخاه ولم نعلم اسميهما^(٢).

وكان قد نال قبله في عصره هذه الامارة من الوطنيين البعلبكيين علاء الدين بن معبد وابن حميد ولها شروط ذكرها المقريزي في كتاب (السلوك) والقلقشندي في (صبح الأعشى) وغيرهما . ولم نجد للأمراء ذكراً بعد ذلك الا بعد الفتح العثماني بنحو ثلاثة ارباع القرن. والظاهر أن السلطان سليما الفاتح العثماني لم يؤمر الحرافشة على بعلبك لمناهضته للشيعة ولهذا ذكر ابن اياس في تاريخ مصر أن جان بردي الغزالي نائب الشام من قبل ملوك آل عثمان تحايل على ناصر الدين ابن الحنش شيخ الاعراب والبقاع وقتله وقتل شخصاً آخر من مشايخ العربان يقال له ابن الحرفوش وحرز رأسيهما الى ابن عثمان بحلب^(٣).

(١) ولقد عرف الحرفوشيون لأنسابهم الخزاعل وفر بعضهم اليهم في بعض الحوادث التي هجروا فيها بلادهم ومقر ولايتهم.

(٢) راجع تاريخ بيروت لصالح ابن يحيى طبع الآباء اليسوعيين في بيروت صفحة ٢٤٨ و ٢٤٩ .

(٣) راجع تاريخ مصر لابن اياس (٣: ١٦٢) من طبعة مصر ١٣١٢هـ.

وبدء حكم الحرافشة الذي ذكره المؤرخون كان سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩١ م) واول حاكم منهم في بعلبك الأمير علي بن موسى ومنه تسلسل الامراء إلى اليوم والمشهور أن الحكومة العثمانية قرضت هذه الأسره فبقي منها أربع نساء فقط ^(١) احداهن كانت حاملا فاخفت في قرية الحرية قرب بعلبك فوضعت غلاما سمته اسماعيل فمن هذا الأمير تسلسل عشرة ذكور كانوا رؤوس الأسرة وذلك في اوائل القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر للميلادز وبقيتهم الآن في قرى بلاد بعلبك مثل سرعين وشعث ويودية والنبي رشاده. ولهم بقايا في الاستانة بعد نضيم اليها وفي القطر المصري. وكان بأيديهم لوح نحاسي في انسابهم اخذه منهم ابراهيم باشا المصري كما يقال وبقاياهم اليوم قليلة ومعظمهم اخنى عليهم الدهر فنالتهم ايدي الفاقة والعسر الان نرا قليلا منهم لا يزالون في يسر وبسطة من العيش ولا سيما من كان منهم في الاستانة ومصر فإنهم بمراكز كبيرة وجاء عريض.

حكمهم وما يتعلق به

بدأ حكم الحرافشة في بلاد بعلبك تاريخيا سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩١ م) وانتهى فيها سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٦ م) فتكون مدة حكمهم بتقطع احيانا نحو قرنين وثلاثة ارباع القرن وكانوا عمالا للحكومة التركية من قبل ولاية الشام وطرابلس وصيدا فاستعمروا بعض القرى واكثرها فيها قصورهم وعقاراتهم ومواشيهم واتصلوا بالبقاع ايضا فعمرت بهم القرى البعلبكية مثل مدينة بعلبك وقرى سرعين ورأس بعلبك واللوبة والهرمل. والقرى البقاعية مثل كرك نوح وقب الياس ومشغرة فحضرنا بعض القبائل البدوية من عرب وأكراد مثل بني حمية الاكراد وغيرهم. واتخذوهم عوناً لهم لبسائتهم. واتصلت بهم اسر اخرى من الشيعيين كآل الحاج سليمان والمسيحيين فكانوا مدبرين لهم وكتّابا وتقرب منهم الشعراء فمدحوهم واجزلوا صلاتهم ونبغ من هؤلاء الأمراء شعراء ومؤلفون. وكثيرا ما كان الحرفوشيون يتلاعبون بمقاطعتي طرابلس وصيدا المجاورتين لهم تلاعبا كثيراً.

ولقد عضدوا المسيحيين بفضل مدبريهم منهم وبينهم العلوفيون أسلاف كاتب هذه المقالة بل جدوده خاصة وآل المطران البعلبكيون وغيرهما.

والتجأ اليهم الشيعيون من جبل عامل ولبنان في ايام ضيقهم فاحسنوا وفادتهم. وقر من وجههم كثير إلى أنحاء أخرى ولا سيما النصارى وكان الحرفوشيون مثل بقية الاقطاعيين من اتراهم الامراء يضمنون المقاطعات من مقام الولاية ويدفعون عنها مالا مقطوعا ثم يصادرون الأهليين ويأخذون من اموالهم وحاصلات أراضيهم ما تسول لهم النفس أخذه. وقد لا يبقون على شيء ولا يذرون ولا سيما لمن خالفهم أو مال إلى اعدائهم وعضد خصومهم فوفرت عقاراتهم

(١) ولهن قصة غريبة مع من اختبان عندهم في بلاد بعلبك لاملح لتفصيلها الآن.

ومواشيهم واموالهم ولكنهم اذابوا كل ثروتهم الواسعة بمظاهريهم وحبهم للعظمة والجاه وكرمهم الطبيعى شأن السلائل العربية الأصل فكانوا اشبه بملوك مستقلين في اماراتهم ولهم عادات في تحصيل المال المكسور واخذ الحق من القوي للضعيف ومن الظالم للمظلوم. ومقر مارتهم الرئيسي (بعلبك) فيسجنون وينفون ويضربون ويقاصون بجميع ألوان العذاب ويصادرون اموال الرعية ناهين أمرين كما يشاؤون.

وكثيراً ما كانوا يتقربون إلى عظماء الدولة ووزرائها وحكامها ويصاهرون من يجاورهم من امراء لبنان وبقية المقاطعات ويأخذون منهم نساءهم مثل الأمراء بني سيف حكام طرابلس والامراء آل معن حكام لبنان الجنوبي وكانوا يلقون الفتن بعضهم مع بعض ويتطرقون إلى فتن الحكام والرعية فيمدون ايديهم إلى المطامع والاستثثار وينزعون إلى الاستبداد في الحكم والعناد في الرأي فكانوا مدة حكمهم شرارة تضرم نيران القتال والخصام في قلب سورية ولبنان إلى أن ضرب على ايديهم ابراهيم باشا المصري في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الماضي واوقفت تيارات استبدادهم الدولة العثمانية في اوائل النصف الثاني من القرن المذكور. فتمكنت الدولة المصرية ايام حكمها في سورية من نزع عقارات الأمراء الحرفوشين من ايديهم وعينت لهم عوض ذلك رواتب مائة الف غرش توزع عليهم.

ثم تمكنت الدولة من نقيهم إلى الاساتنة وجزيرة كريت وغيرها فنزعت الحكم من ايديهم وصادرت عقاراتهم وقصورهم.

وكانت لهم اماراة الطلبخانة من راية وطوخ وطبول وزمور فإذا مشوا تدق أمامهم الطبلتان وتقدمهم رايتهم الحمراء ذات الخط الأخضر وعندهم السيطري كالحاجب (أو الياور) يحفظ الباب ويناديه الأمير ليجلب القهوة والشبق (الغليون) ونحو ذلك من الضيافات اكراما لضيوفهم وكانوا يتناولون القهوة قبلهم وكلهم مولعون بالشبقات والقهوة وركوب الخيل ولعب الميدان وصيد الحجل ولهم (الخوالية) وهم كالجند في تحصيل الأموال والصوباشية في اعمالهم.

وللحرافشة ايداد جميلة في الأبنية والترميمات والحصون ونحوها مثل تجديد الأمير يونس الحرفوشي لمسجد النهر في بعلبك وعليه تاريخ شعري لسنة ١٠٢٨هـ (١٦١٧م). وبناء قصر الأمير عمر حاكم بعلبك سنة ١٠٧٧هـ (١٦٦٦م) التي نظم فيه قصيدة ختمها بتاريخ الشيخ عبد الرحمن التاجي وتشيد دار الأمير اسماعيل في بعلبك سنة ١١٤١هـ (١٧٢٨م) فأرخها الخوري نقولا الصائغ بابيات. ومن اهم ابنيتهم دورهم في بعلبك معروفة اليوم بدور الحكومة وبعض الأعيان وفي القرى مثل سرعين والنبي رشاده وقب الياس ومشغرة والكرك ومن حصونهم اللبوة وقلعة قب الياس وحدث بعلبك وحصن القردوح وغيرها.

واشتهروا بجمال الصورة والهيبة والتنافس بالجياد المطهمة والاسلحة الثمينة وتروضوا بالفروسية والصيد واشتهروا بالبسالة في الحروب مما هو مدون عنهم في بطون التواريخ. ومع كل ذلك عرفوا بالفتك والغدر حتى بذوي قرياهم كما يشهد التاريخ.

الامراء الحرفوشيون العلماء منهم وبعض آثارهم

نبغ من هذه الاسرة علماء وشعراء ومؤلفون جمعت من تراجمهم ما استطعت في كتابي (تاريخ سورية المجوفة) واليك الآن لمعاً منها:

الأمير موسى الحرفوش

ذكره النجم الغربي الدمشقي في ذيله المسمى (لطف السمو) على تاريخه (الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة) وهما من مخطوطات دار الكتب العامة في دمشق المعروفة بالظاهرية فقال فيه ما ملخصه منه ومن غيره من المخطوطات والتعاليق:

هذا الأمير موسى بن الأمير علي بن موسى المعروف بابن الحرفوش ولي اماره بعلبك بعد قتل ابيه. وكان المترجم اقرب اهله الى التسنن. والحرفوشيون من امراء خزاعة في بعلبك. وكان بطلا شجاعا جوادا مثل اسلافه وله وقائع في تاريخ الحرفوشيين ومن شعره ما رواه صاحب (أمل الأمل في علماء جبل عامل) وهو الشيخ محمد الحر العاملي وفيه فخر:

كأن راس جيوش الضد ليس له	علم بأن بلادي موطن الأسد
ومن مهابة سيفي في القلوب غدت	ام العدو لغير الموت لم تلد
فليرقبوا صدمة مني معودة	أن لا تقر لها الأعداء في البلد
ألست نجل (علي) وهو من عرفوا	منه المخافة في الأحشاء والكبد
وانني أنا موسى منه قد ورثت	كفي سيوفاً تذيب الأرض في الجلد

وقد راسل ومدح الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين والد الشيخ علي صاحب الدر المنثور وغيره. وتوفي هذا الأمير سنة ١٠١٦ هـ (١٦٠٧ م) في دمشق ودفن في مقبرة الضراديس بالقبة المعروفة بقبة (بني الحرفوش).

الأمير محمد بن علي

هو الأمير محمد بن علي بن أحمد الحرفوشي الحريري العاملي الدمشقي ترجمه المحبي والبيديعي وابن معصوم وغيرهم فقالوا ما مجمله: (نسأ في دمشق حامل الذكر يصنع القماش (العنايات) المتخذ من الحرير فلقب بالحريري وكان مولعا بالعلم اديبا شاعرا لغوياً تحوياً يقصده كثير من الطلبة وهو في حانوته يشغل فيقرأون عليه ولم يكن يشغله شاغل عن العلم أكثر من الشعر) واخرج من دمشق لقصة لا موضع لها هنا فهرب إلى حلب فالحجم فعظمه سلطانها شاه عباس واسند اليه رئاسة العلماء في بلاده. واشتهر بعلمه ومصنفاته.

وفي المكتبة الظاهرية الأنفة الذكر بعضها اتصل بها على يد المجمع العلمي ويسعيه. وتوفي في بلاد المعجم سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م). ومن شعره الحماسي ما قاله من قصيدة يذكر بها اسلافه مضمناً بين المتنبي:

الحمد لله احرزت الكمال وما ارجوه مما لدى اهل العلى حسن

أصاب اهل المعالي دونه الوهن
وحزت مجدا به العرفان مقترن
وأعلنت وكفى من ينكر العن
في ذاك منفعة تلفى فتمتهن
ذو فاقة وهبوا ما عندهم وغنوا
وهم على الجود والمعروف قد مرثوا
منهم وجودا ولو ارواحهم وزنوا
عني ولا ارتفعت من صرفه المحن
العلياء من بأسه الضراء اذ فطنوا
على ذوي الفضل طورا وهو مؤتمن
والقلب في سجنه بالضيق مرتهن
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وهيات يلقي النصر غير مصيب
سهام دعاء عن قسي قلوب

ما نابني من صديق يدعي الرشدا
فاعتضت منه بمذق باللسان غدا
لا اصطفى في الوري لي صاحباً أبدا

وليس بشيء تقننيه وتختار
مضاهي لا تنفك في قلبه النار

ضر حماك زاد بي التبريح
جسد لم تصح منه الروح

وله قصائد ومقاطيع بديعة بعضها في مدح الأمير محمد المنجكي المشهور وفي شيخه
شرف الدين والشيخ عبد اللطيف المنقاري والنجم الحلفاوي الحلبي في دمشق وله مجاميع
بديعة وديوان شعر رآه صاحب أمل الأمل في بلاده العاملية ورثاه عند موته.

وطلت فوق السهى قدراً ومنزلة
وطبت اصلا وقدري قد زكا شرفاً
ونلت فضلا به الاعداء قد شهدت
فالشمس ينكرها الخفاش ليس لها
انا ابن قوم اذا ما جاء يسألها
يعضون عمن أتى في حقهم سفهاً
ويرغبون شراء المجد مكرمة
لكن دهرى لم ينهض بكل كلة
كأنه قد أتاني أن يذيق بني
ولم يزل قدر اهل الجهل يرفعه
كم قلت في ظلمه والناس في سعة
(ما كلما يتمنى المرء يدركه

ومن لطيف تفننه قوله

تروم ولالة الجور نصراً على العدى
وكيف يروم النصر من كان خلفه
وقوله في صديق له غير وفي واجاد:

اشكو إلى الله لا اشكو إلى احد
صافيته من ضميري ود ذي ثقة
فعدت من بعده والدهر ذو عجب

وقوله في غليون التبغ:

يقولون في الغليون فرطت رغبة
فقلت لهم ما ذاك إلا لكونه

وقوله في صديق محموم

انا مذ قيل لي بأنك تشكو
أنت روعي وكيف يبقى سليماً

ولده الشيخ ابراهيم

وهو الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد بن الأمير علي الحرفوشي العاملي الكركي نسبته إلى كرك نوح في بلاد البقاع كان فاضلاً صالحاً قرأ على أبيه وغيره وتوفي بطوس نحو سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٧٠ م).

محاضراتهم وازجالهم

ومن لطيف محاضراتهم أن الأمير عمر ابن الأمير اسماعيل ابن الأمير علي ابن الأمير موسى الحرفوشي كان مطروداً من بلاده وموجوداً في بلاد كسروان (لبنان) في حمى آل الخازن سنة ١٠٨٣ هـ (١٦٦٠ م) فكتب بخطه حاشية على قطعة من (وفيات الأعيان) لابن خلكان موجودة اليوم في مكتبة دير الشير قرب سوق الغرب في مشارف بيروت^(١) وهي من خزانة الشيخ أبي نوفل نادر الخازن ونسخت له سنة ١٠٧٩ هـ (١٦٦٨ م) والكتابة تدل على أن الأمير الحرفوشي الموما إليه ترك الملك لأخيه ولما كان حبرها كاد يمحي أصلحها بخطه القس يواكيم المطران البعلبكي سنة (١٧٦٠ م) وهذا نصها:

صار منافرة بين سيف الدولة ابن حمدان وأخيه ناصر الدولة الأكبر سناً فقال ناصر الدولة هذه الأبيات:

تركت لك العليا وقد كنت أهلها	وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
وما ردني عنها نكال وإنما	تنحيت عن حقي فتم لك الحق
ولابد لي من أن أكون مصلياً	إذا كنت أرضى أن يكون لك سبق

ومن ازجال الحرافضة التي تناقلها القوم في بلدهم قول الأمير جهجاه ابن الأمير مصطفى يشكو انسابه وخاصته ويصف بعض مواقفه في قصيد طويل أرسله لأخيه الأمير سلطان قال منه.

مقالات الخزاعي في بيوت	ويتمعن بها من كان واعياً
ألا يا غادياً مني وسلم	وسلم لي سلام بلا انقطاع
وسلم لي على الديرة وأهلها	وباقية الأمارا والتباع
تعتب لي عليهم بالملامة	وذكرهم بأيام الشنناع

ثم قال فيه يتهدد انسابه

أنا لوكون قاصد لجفاكم	بخلي جسامكم تجوي المشاعي
وشوقكم أنا بعض المراجـل	وخلي خيولكم تغدي شلاعي
ولولا الخوف من أخت الأماره	وحق البيت مع ابن الرفاعي
تاكنت الرمم فيكم طرايح	فرايس للطيووره والضباع
كفيت الشر وانطيمهم قضايا	رحمه لهم من أمانات الخزاعي

(١) راجع مجلة الآثار (٣: ٤٢٦ و ٤٢٧).

ومنه قوله لما عاد من بغداد لقتال العبد حاكم بعلبك

أنا ببغداد^(١) ما عندي علايم
وجاني كتاب خط من يديها
فعرف عن جميع الصار فيكم
نهزت العبد هات لي المعنقية
وجيته مطوحاً من فوق حمرا
ورمحي من جبل بغداد جبته
غطست وحببت من بغداد اليكم
وعود الزان يرقص في يميني
سألت العبد اين يكون حاكم
دعيتـه مرتـمي غربي بعلبك
وفصلته انا قهرا ورغماً

بهذا الأمر ما عنا إطلاع
معلم بالورق روس السباع
فطاش العقل من حين استماعي
عليها إعتلي رهط الخزاعي
سريعة الجري لينة الطباع
وساقي حريته سم الافاعي
تاشيل الضيم عنكم في ذراعي
وسيفي مجرده عاطول باعي
قالوا بالصفاء والكاس داعي
بحد السيف قطعتـه قطاعي
على البيدا بقي اربع رباعي

فأجابه اخوه الأمير سليمان يقول من قصيدة طويل

قال الخزاعي الذي بات ساهر
ولي همة تعلو على كل ماجد
ولي حربة بالبـدو ما صار منها
ولي سيف ماضي الشرفتين مجرب
ولي حصان يحير الناس وصفه
يخسى المهلهل إن كان حاز مجدي
ولا بوخـنسا شبيب التبـعي
ولو كان عصرنا مثل المـضون سابق
لكنت بعون الله اخلي سروجها
أنا خوك يا جهجاه في كل ريبه
أنا الزير أنا عنتر أنا ولد مصطفى
أنا التمساح أنا كسار المراكب

ولي قلب اقوى من صفا الجلود
وشاعت لي مزايا بالكرم والجود
والدرع سابغ من عمل داوود
سم الافاعي يرى في الحد مرصود
ابو عرقوب ما مثله بعصرنا موجود
ولا عنتر بالمـراجـل عندنا معدود
ها لكان بالزرقا وقـرم عنود
فارس لفارس بالوغى معدود
من كف ماجدو ادعيهم بوسط لحد
أنا سور للزينات بيوم نكود
أنا مرهب الفرسان بضرب العود
أنا فارس الهيجا أنا المحمود

ثم عدد المواقع الذي ابلي فيها، إلى غير ذلك من الأقوال.

وهكذا ترى لهم اقوالاً من الازجال والعتابا والموايا والأناشيد الوطنية سمعت بعضها من افواه
انسابي وغيرهم يتناقلونها بالرواية والإنشاد وكلها في الفخر والحماسة والعتاب ووصف المواقع
والوعيد والتهديد مما يدل على افتتانهم على الحكم وتخاذلهم في طلبه وتعاديهم لأجله. وما آفة
الشرق إلا الانقسام جعلنا الله ممن تتوحد كلمتنا لإعلاء الوطن وشأن بنيـه إنه السميع المجيب.

(١) سار إلى انسابه عرب الخزاعل في بغداد لفتنة في قومه على الحكم وعاد لقتال العبد حاكم بعلبك وهذه القصيدة تروى
على اوجه مختلفة.



أحمد عبید

(١٣١٠-١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩-١٩٨٨ م)

هو أحمد عبید بن محمد حسن بن يوسف بن عبید (الذي تنسب الأسرة إليه) ابن سليمان آغا وتنسب أسرته إلى سيدنا أنس بن مالك (رض).

ولد بدمشق ودرس في كتاتيبها ونشأ محباً للتراث وكتب اللغة والتاريخ والأدب، فأسس في شبابه (المكتبة العربية) وانضم

إليه أخوته حمدي ومحمد توفيق ونجحا في ادراستها نجاحاً باهراً، والفضل في ذلك كله لحسن أدائه وواسع معرفته وإطلاعه وتوفره على صلات باكثر الأدباء العرب وخاصة من هم في الشام ومصر والعراق حيث كانت النهضة الأدبية على أوجها قبل وبعد منتصف القرن العشرين الماضي، وكانت مكتبته محجاً لعموم الباحثين عن العلم والمعرفة، ويكفي أن يكون أحد روادها والمستفيدين من علمه ومعرفته الدقيقة بالكتب، الموسوعي خير الدين الزركلي، الذي أشار إليه في مواضع كثيرة جداً في كتابه الشهير «الأعلام».

وكنت من المتابعين لنشاطه والمترددین على مكتبته بالشام «المكتبة العربية»، وربطتني صداقة بابنه الأستاذ رجاء ومن خلاله تعرفت على والده الجليل شيخ الوارقين أحمد عبید قبیل وفاته بسنتين قليلة في الثمانينيات من القرن الماضي. فاستقبلني أحسن استقبال وجرى معه حديث طويل حول نشر الكتب وتحقيقها وحدثني عن صلاته برجال الفكر والتعلم وجهوده الحثيثة لشراء المخطوطات التي كان يبيعها غالباً إلى المكتبة الظاهرية العامة حرصاً منه على أن تبقى بدمشق وأن تكون تحت متناول أيدي الباحثين وحدثني عن ذكرياته مع الشيخ أبي اليسر عابدين (حفيد ابن عابدين صاحب الحاشية) وعن الشيخ عبد القادر المغربي والشيخ محمد دهمان وما كانت في مكتباتهم الخاصة من المخطوطات النادرة، كما يحتفظ بذكريات عزيز عليه مع الشيخ راغب الطبايح (من حلب) والشيخ طاهر النعسان (محقق تاريخ الرقة) وأنشدني من شعر النعسان قوله في الصداقة:

بللى ومروؤاتي بها أتمتع
وما أنا في مال له لي مطمع
غفرت الذي يبدو وما أتوقع
شوائب مهما غاب أو رحت أزمع
عذرت عساه للسجية يرجع
قراني بها أني أشاء يوقع
فليس إلى درك التقاطع مهيع
أحيد وما أسلو ولا عنه أقلع

صديقي عرضي حيث كنت أصونه
أوطد نفسي في ولائي مخلصا
إذا ظهرت منه بوادر زلة
جعلت مواخاتي له لا تشوبها ال
وإن هو يوماً قد تنكر معرضا
فليس صديقي عادة قد تمتل
وتطليقها ما كان قط كما تشا
وما أنا عن عرضي ولا عن مروءتي

وأما صديقه محمد كرد علي فقد ذكر لي انه كان يزوره في اليوم الواحد اكثر من مرة. وممن كان يستفيد من خبرته ومكتبة ذكر بالاضافة إلى الزركلي، عمر رضا كحالة، وسعيد الافغاني وشكري فيصل، وصلاح الدين المنجد وفي القاهرة محمد محمود الطناحي وفيما حدثني به انه اول من أصدر تقويم الحائط (الروزنامة) ولم يكن قبله احد قد اصدره في الوطن العربي، وكان ذلك سنة ١٩١٧.

وعن المكتبات التجارية التي عاصرها فهو يذكر مكتبة سليم القصيباتي، ومكتبة محمد هاشم الكتبي وأخوه أمن وابن اخته. وقبلهم كان السيد محمد الحنفي الذي طبع كتاب يتيمة الدهر لأول مرة، قال: وهناك مكتبة جامع الروضة وكانت في الدرويشية ويشرف عليها الشيخ السكري.

ومن الادباء العراقيين الذين كانت له معرفة بهم الدكتور مصطفى جواد، ومحمد بهجة الاثري، وعباس العزاوي، أما السيد محسن الأمين العاملي وولده السيد حسن الأمين قال انهما من خُص معارفه، وحدثني انه دخل الى احتفال بدمشق اقيم تكريماً للشاعر المهجري ايليا ابو ماضي وكان السيد محسن الأمين العاملي جالساً في صدر المجلس، قال: وكان والله كأنه المعري هيبه وجلالاً، وكأنه هو المحتفى به.

وتربطه صلات بالادباء المصريين ويتجار الكتب فيها وكان يذهب باستمرار لزيارة القاهرة لما يتطلبه عمله في تجارة الكتب.

وكان اكثر ما يؤلمه البخل والإعراض والحرص الشديد التي عرف بها أصحاب الكتب النادرة اذ لا يسمحون باعارتها أو أن يطلعون عليها الباحثين الراغبين بالمعرفة والعلم، اما الكتب التي ألفها وحققها فقد تزيد على الخمسين عدداً، ومنها مشاهير شعراء العصر في الاقطار العربية (جمعه وفسر الفاظه اللغوية)، وكتاب تهذيب تاريخ ابن عساكر وسيرة عمر بن عبد العزيز على مارواه الامام مالك بن أنس وأصحابه، وكتاب طرائف الحكمة، وكتاب ذكرى الشاعرين شاعر النيل وأمير الشعراء. ومختصر طبقات الحنابلة والاصل لأبي ابي يعلى والاختصار لمحمد بن عبد القادر النابلسي، وكتاب روضه المحبين لابن القيم. وللسيد أحمد عبيد ديوان شعر قال انه لدى السيد نزيه البعلبكي صاحب (عالم الكتب) بيروت. ومن شعره قوله:

يقولون أسراب الغواني سوائح	فهلا بعثت الطرف فيهن رائدا
نراك اعتزلت الغانيات فكلمنا	سنحن صرفت القلب عنهن ذاذا
وما ذاك شأن الشاعرين وإنما	أخو الشعر من تلفيه بالفيد واجدا
لقد ملت عن طيب الحياة وصفوها	بميلك عن حب الحسان نواهدا
رأيت غرام الضائعات مضلة	يكدر من هذى الحياة المواردا
يقود زمان النفس للشر عنوة	وذو اللب من قد كان للنفس قائدا
إذا ما أطعت النفس في اللهو والهوى	ضللت وخير الناس من كان راشدا

قلت: هذه الترجمة اعتمدت فيها على مقابليتي مع الاستاذ احمد عبيد، وقد وجدت له تراجم اخرى يمكن الاستفادة منها ومن ذلك ما ورد في تاريخ علماء دمشق ٣-٥٣٨-٥٤٤، وفي الكراسة الموسومة بـ «إلى والدي أحمد عبيد أمين التراث العربي» والتي دونها نجله السيد زاهر والمطبوعة بدمشق في ١٩٨٩/٥/٣.

السيد علي حامد الحسيني ١٩٢٠م = ١٣٣٩هـ

الحاج حسين الشاكري



السيد علي بن السيد حامد ميهوب، ينتمي إلى السيد إسماعيل نقيب أشراف دمشق الشام، حتى يصل نسبه إلى الشريف محمد بن إسماعيل ابن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ولد في قرية الشيخ بدر من ضواحي طرطوس في سورية، ثم هاجر إلى النجف الأشرف في أواخر الأربعينيات الميلادية قبل الحرب العالمية الثانية أو أوائلها للدراسة والتحصيل في حوزة النجف العلمية على أساتذة أجلاء درس المقدمات ثم السطوح.

وفي سنة ١٩٥٤م تزوج من كريمة العلامة الشيخ حسن البهبهاني، وهي ابنة خالة المؤلف، وأنجبت منه ولدين وبنات واحدة وهما السيد عدنان والسيد حامد، وقبل وفاتها تزوج من ابنة أختها كريمة الحاج عبد الأمير السعداوي من تجار النجف وغماس وأخيرا سكن بغداد، وأنجبت منه ولدين وبنتين، وهما: السيد جعفر والسيد حيدر.

في سنة ١٩٦٣م انتقل من النجف الأشرف إلى مدينة الكاظمية المقدسة، وهناك لازم آية الله السيد إسماعيل الصدر وكان يحضر دروسه، ودروس السيد هادي الحسيني التبريزي.

وفي سنة ١٣٨٩هـ = ١٩٧٠م، وبعد هجرة السيد مرتضى العسكري أرسله الشهيد الصدر الأول (قدس سره) وكيلاً عنه في حسينية آل مباركة في الكرادة الشرقية ببغداد.

وفي سنة ١٩٨٠م اعتقل من قبل السلطات الجائرة في العراق، ضمن الحملة الشرسة التي شنتها على العلماء والمؤمنين، خاصة وكلاء الشهيد الصدر (قدس سره)، وبعد الإفراج عنه غادر العراق مع أهله إلى بلده سورية ومكث فيها سنتين. وفي سنة ١٩٨٢ هاجر إلى إيران، وجعل مدينة قم المقدسة دار هجرة له، ثم واصل دراسته الحوزوية فيها على أفاضل أساتذتها، ثم عاد إلى بلده

سورية سنة ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ وسكن دمشق الشام.

له تقريرات أساتذته في دروس الخارج فقهاً وأصولاً، ولا يزال حياً يرزق وقد جاوز الثمانين عاماً من عمره المديد، أما أولاده السيد جعفر والسيد حيدر من زوجته الثانية فقد سكنا معه في سورية لإكمال دراستهما والتكسب، وجميع بناته متزوجات.

أما ولده الأكبر السيد عدنان السيد علي حامد:

فقد ولد في النجف الأشرف أوائل جمادى الأولى سنة ١٣٧٥هـ = الشهر الأول من سنة ١٩٥٦م. انتقل مع والده إلى الكاظمية ودرس في مدارسها الابتدائية والمتوسطة حتى عام ١٩٧١م حيث انتقل مع والده إلى الكرادة الشرقية. بغداد. فدرس في مدارس الإمام الجواد عليه السلام. وبعد مغادرة والده وأهله إلى سورية بمدة هاجر إلى إيران عبر الحدود الشمالية للبلاد، ونجى بأعجوبة من خطرين أثناء العبور كادت تؤدي بحياته، الأولى غرقاً حين عبوره النهر، والثانية بواسطة الأكراد المعادين لإيران جماعة «قاسلمو»، وبعد وصوله إيران التحق بمعسكر تدريب في الأهواز وذلك في سنتي ١٩٨١-١٩٨٢م، ثم التحق موظفاً بقسم رعاية شؤون الأسرى التابع لمكتب آية الله السيد محمد باقر الحكيم وغيرها، بعدها التحق بمكتب الثورة الإسلامية في العراق والمجلس الإسلامي الأعلى للعراق.

ثم انتقل إلى قم وعمل في مكتب آية الله السيد محمود الهاشمي، والتزم معه بالعمل في شؤونه الإدارية والتحقيقية إلى هذه الساعة، ولا يزال مشغولاً في تقويم ما يصدر من دائرة المعارف من كتب وموسوعات، ولا سيما إعادة تحقيق كتاب الغدير للعلامة الأمين (قدس سره)، كما قام بالمراجعة والتقويم لإعادة طبع المجلدات الثلاث من كتابنا (علي في الكتاب والسنة)، متزوج وله ولد واحد وهو السيد (أحمد) وثلاث بنات.

الولد الثاني السيد حامد السيد علي حامد:

ولد في النجف الأشرف سنة ١٩٥٧م وانتقل مع والده إلى مدينة الكاظمية المقدسة، ودرس في مدارسها الابتدائية، وفي سنة ١٩٧١م انتقل مع والده إلى الكرادة الشرقية. بغداد. كما سبق ذكره، ودخل مدرسة الإمام الجواد عليه السلام. وفي سنة ١٩٧٧م هاجر إلى النجف الأشرف لمواصلة دراسته وكان يقيم في المدرسة الشبرية حيث يواصل دراسته الحوزوية على فضلاء أساتذتها. كما كان يواصل دراسته الأكاديمية في إعدادية الحبوبي بالنجف الأشرف.

وفي سنة ١٩٨٠م ترك العراق إلى سورية مع والده على إثر الهجمات الشرسة والحملات الظالمة من قبل السلطات الجائرة في العراق خاصة على المؤمنين وطلاب الحوزة.

وبعد ثلاثة أشهر قصد إيران وسكن في قم المقدسة مواصلاً دراسته الحوزوية على فضلائها،

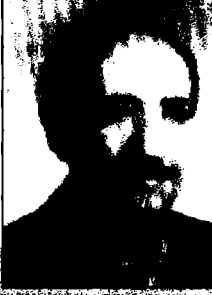
ومن أساتذته السيد هاشم الهاشمي الكليايكاني، والشيخ هادي آل راضي، والشيخ باقر الإيرواني، وغيرهم. ومنذ عشرين سنة كان متابعا لجمع تراث الشهيد الصدر الأول وكل ما يتعلق به. وقام بعدة سفرات إلى خارج إيران لجمع كل ما يحصل عليه من رسائل خطية أو استفتاءات وغيرها، حتى أصبحت لديه مجموعة كبيرة نادرة، وكان ينوي طبعها على شكل موسوعة، لكنه حولها إلى الهيئة العلمية بطلب من أمانة المؤتمر العالمي للسيد الصدر، الذي عقد في طهران عام ٢٠٠٠م. وله حوار مفصل عن موسوعته نشرته مجلة الموسم في عددها ٢٦/٢٧ الصفحة ٤٧٥ في عشر صفحات مع المترجم له السيد حامد علي الحسيني.

كما قام بفهرسة موسوعة أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، صدر المجلد الأول منه، وهو الآن مشغول بإعداد المجلد الثاني.

كما يعتزم تحقيق ديوان شعر جدّه لأمنه المرحوم العلامة الشيخ حسن البهبهاني المخطوط. ومنذ عشر سنين يمارس التدريس في مدارس الحوزة العلمية العراقية بقم المقدسة. متزوج وله ولدان وهما: السيد علي والسيد حسن وبنت واحدة.

وأخيراً لبى نداء ربه السيد علي حامد في دمشق الشام يوم الأحد ١٤ جمادى الأولى من سنة ١٤٢٤ هجرية عن عمر ناف على السبعين عاما من مرض ألم به عجز نطس الأطباء عن علاجه ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف بوصية منه رحمه الله وحشره مع أجداده الطاهرين وحسن اولئك رفيقا، إنا لله وإنا إليه راجعون.





الدكتور نادر نظام طهراني

ولد في حي الأمين بدمشق سنة ١٩٣٣، أكمل الدراسة الإعدادية في المدرسة المحسنية بدمشق ونال بعدها شهادة الدراسة الثانوية من ثانوية أسعد عبد الله عام ١٩٥٢. نال الإجازة في اللغة العربية وآدابها من الجامعة السورية ١٩٥٨، والدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ١٩٧٣. من كلية اللاهيات بطهران عام ١٩٦٧، واشتغل بطهران معاوناً لرئيس تحرير مجلة (الآخاء). كما عمل مدرساً للغة العربية حتى ١٩٦٥، ثم أستاذاً في عدد من المعاهد العليا إلى جانب عمله في القسم العربي بالإذاعة والتلفزيون، وأصبح رئيساً للجنة تنسيق البرامج، ثم مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون في خوزستان، وانتقل إلى جامعة جندي شاپور ١٩٧٧ وأسس القسم العربي بها، وبقي مديراً لها حتى ١٩٩٣، وانتقل إلى جامعة العلامة الطبطبائي بطهران ١٩٩٣. عضو في اللجنة العلمية لمركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى ومستشار في مجلة العلوم الإسلامية.

له ديوان شعر بعنوان «الحن الخالد» طبع سنة ١٩٦٣، ومن مؤلفاته: نصوص من النثر والشعر في العصر الحديث، العروض العربي، نصوص من النثر والشعر في العصر الجاهلي، وللسيد سيمون حمصي دراسة عن شعره في دمشق. ومن شعره في ذكرى المولد النبوي الشريف:

صديق الوعد واستوى الميزان	وأفاقت على الهدى الأكوان
شع نور السماء في موئل النو	ر وسارت بذكره الركبان
وتداعت معابد الشرك طراً	وهوت في رحابها الأوثان
يا رسول التقى وخير نبي	كيف تأتي بمثلك الأزمان
أودع الحق في لسانك سحراً	لم يطاوله في البيان لسان
أنت سر الحياة في شريعة	الخلق وعقل ينيره الإيمان
أيها الغافلون في ظلمة الوه	م أفيقوا ففجركم فرقان
صيحة ردد الضمير صدها	فأصاغت لوحيا الأذان
فإذا صحراء مكة خلد	تتلاقى بظلمها الأوطان

وله بعنوان: أين كنت.

هذه سيمفونية الزواج التي تعزف عادة مساء كل يوم في دور المتزوجين.

ها قد أتيت، فأين كنت؟ إلى متى هذا السهر
في كل يوم تختفي، وأظل حيرى في ضجر
أتراك تذهب ههنا، وأههنا، تبغي السمر
إنني أشك، كيف لا؟ كم في غيابك من خطر
أتريد مني أن أظل حبيسة بين الحجر
وتعيش أنت كما تريد! بلا سؤال أو خبر
ما كان لي أن أرتضي زوجاً غريباً في سفر
يمضي الليالي ساهراً ويجيئني وقت السحر
لكن حظي سيء، فلأبك من سوء القدر
كم كنت أنعم بالحري، فبت عنك بالوهر
وحرمتني شتى المنى ورميتني بين الحفر
وسلبتني ماء الحياة ففاض في روضي المطر



لاتذرفي دمع الملامة ما جريت إلى خسر
أنت المنى أنت العيون، فهل أعيش بلا بحر
هذي دموعك ومض برق كيف يسلبها القمر؟
وربيع ثغرك كم حوى عطراً وحدث بالزهر
وحنين صوتك من صدى الأحلام، من روح الوتر
وصفاء خدك من سنا الإشراق بل أبهى أثر
وطيوف شعرك سحر ليل ذاب في ألق الدرر
يافتنتي أنت المدام، ورشف خمرك بالنظر
أطيب كأس غير كأسك، لا ومن أوري سقر
هزي إليك بجذع نخلي. واجعلي قلبي الثمر
ما همت يوماً في الهوى إلا وكنت جنى الفكر
وقد أطلت ملامتي ياكنز عمري المدخر



أنا لم ألك ولم أثر لكن قلبي قد عثر
أقول عني فتنة والروض من حسني ازدهر
إنني أرى النعمى ترف ولم أعد أرجو وطر
هذي الحياة جميلة فعلام تهتك بالكدر
ياشاعري ما انت إلا كرم روحي المعتصر

مهما غصونك هرمت، ورعى جناها المنحدر
فالجذر في روضي سيبقى دون رغبات البشر
لكنني أخشى عليك، وقوع غضنك في القدر
والشر يبدأ واهنا، والبرج أوله حجر

وله أيضاً:

لاتسألوني عن هوى الأحباب	فلقد شغلت عن الهوى بكتابي
عينان لا تريان إلا حسنه	ولطالما ملك الجمال شباي
أجلو الحقيقة والعيون كليلة	وأطوف فوق مراتع الألباب
في كل منتزه لدي خميلة	أودعت فيها صبوتي ورباي
قد كنت في هذا الوجود مغامرا	أرتاض بين خطيئة وصواب
في السالكين أذيب ضائع مهجتي	وأشق دربي في قفار عذابي
أرتاد بين العارفين وفي الحشا	ظماً إلى صرف من الأكواب
ياظامئين إلى الكؤوس تناولوا	من منهل الإسلام كل طلاب
فهنا بروض العلم يرتاد المنى	ويطوف أهل الوجد بالأطياب
تروي المعارف كل صب واله	يالهدف قلبي للهوى الغلاب



«معجم البابطين ٥/٤٥٠-٤٥١، الادب العربي المعاصر في إيران/١٦٨».



منزل دمشقي

رضا آل مرتضى

١٢٨٥ - ١٣٢١ هـ = ١٨٦٨ - ١٩٠٣ م

رضا بن سليم بن علي بن موسى بن علي بن مصطفى فضل الله بن مرتضى بن علي بن محمد بن أبي طالب بن علي بن علوان بن علي بن حسين صاحب الأوقاف ابن موسى بن علي بن حسين بن محمد بن موسى بن يوسف بن محمد بن معالي بن علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم رضي الله عنهم^(١). فقيه شيعي، شاعر ولد بدمشق سنة ١٢٨٥، وشدا من التعليم حين نشأ ما كان يشدوه أمثاله في عصره، ولكن نفسه طمحت إلى ما فوق ذلك، فقصده قرية شقراء بجنوب جبل عامل في لبنان؛ والتحق بمدرستها وهو في سن الثلاثين، وكاد يكون أكبر طلابها، وحصل فيها بمدة قصيرة علوماً كثيرة، وفيها تفتحت شاعريته. ولما رجع إلى دمشق اتصل بفريق من الأدباء والشعراء، وجرت بينه وبين الحاج محمد حسن عبد الله مراسلات شعرية، لم تدون فيما تركه من آثار.

شارك أخاه السيد عباس في إدارة مهام مسجد السيدة زينب رضي الله عنها، وكانت هذه المهمة مع الإشراف على أوقاف المسجد في آبائهما منذ مئات السنين.

ومن جميل شعره قوله يمدح سيدنا علياً عليه السلام:

إلى ذاتك العليا مدائحنا تهدي	أيما بدر تم في سناه الوري تهدي
ويا شمس فضل أشرقت في سما العلا	ففاق على شمس الضحى نورها وقدا
ويا ركن دين ثابت لو تجمعت	عليه الوري لن تستطيع له هدا
ويا سيف عدل أحسن الله صنعه	وتكلم في أهل الضلال له حدا
ويا فاضلاً لا يدرك الدهر كنهه	ويا بحر علم ما عرفنا له حدا
ويا حجة الرحمن، يا منهج التقى	ويا سيداً عاد الزمان له عبدا
ويا روح قدس جل عن وصف واصف	وجلت بأن تحصي مآثره عدا
ويا حيدر الكرار، ياليت غالب	ويا من به أزر النبي قد اشتدا

(١) قال الحصني نقلاً عن الصيادي في الروض البسام عن هذه الأسرة: «ومنهم جماعة بعلبك وغيرها من نواحي الشام قدم جدهم من اليمن وتوطنوا بدمشق، ونسبهم في بني الإمام إبراهيم المرتضى نسب صحيح وذكر الكثير من أسلافهم صاحب المشكاة وغيره. وهم يتصلون بالإمام إبراهيم المرتضى من طريق السيد أبي السعادات المرتضوي. أطلب في نسبهم الحمزاوي مفتي دمشق، وقدمهم على غيرهم وأثنى عليهم فذم طاعنيهم وأدى حق المودة في القرى بصللة رحم البطل المرتضوي».

لأنت ابن عم المصطفى زوج فاطم
لقد كنت أوفى الخلق في نصر أحمد
وأطوعهم أمراً وأجملهم رضاً
وأثبتهم ديناً، وأرجحهم تقى
وأجزلهم فضلاً، وأجودهم عطاً
وأكبرهم شأنًا، وأرفعهم علًا
وأشجعهم قلباً، وأعظمهم قوى
وأطيبهم أمًا، وأكرمهم أباً
مواليه يحظى في الجنان منعماً
وربك يصلي من يعاديه لظى
أتتك أمير المؤمنين خريدة
تسير ورحب الأرض من أرج الثنا
رجوتك يا مولى الأنام قبولها
عليك سلام الله يا سيداً له
وقال مفتخراً:

ألا أيها الدهر الخؤون إلى متى
إليك فإنني لست ممن إذا بدا
أخشى ولي نفس إلى ملتقى الردى
فلا أنا ذو رأي ولا أنا ذو حجي
إذا نوب الدنيا ادلهمت فإنني
وإنني من القوم الذين إذا دعوا
متى أومضت يوم الحروب نصولهم
أسنتهم يوم الكفاح كأنها
أناملهم كالمرن تهمي مواهباً
تردوا جلابيب الفاخر والعلال
وقال:

أنوافح عبقث من الجنات
وجاذر تعطو بأكناف الحمى
ويدورتم فوق أغصان بدت
بأبي ظباء كلما عادوتها
من كل فاتنة اللحاظ إذا رنت
تزري على مقل المها بعيونها

أبو الحسنين الساميين الوري جدًا
وأمحضهم حياً، وأخلصهم ودًا
وأصدقهم وعداً، وأحفظهم عهداً
وأطهرهم ذيلًا، وأكثرهم حمداً
وأغزهم علماً، وأسمحهم رفاً
وأوفرهم حظاً، وأوضحهم سعداً
وأبسطهم كفاً، وأطولهم زنداً
وأشرفهم نفساً، وأنجبهم ولداً
وليس يرى حراً هناك ولا برداً
إذا نضجت جلدًا له جددت جلدًا
كشمس الضحى وجهاً وغصن نقا قدا
يفوح فيحكي نشره الطيب والندا
وإن تك عن عليك قاصرة حمداً
تحيات رب العرش عمر المدى تهدي

بنار الجفا توري فؤادي وتسعر
له فادح يخشى لقاء ويحذر
تحن ولي قلب على الضيم يصبر
إذا راعني من حادث الدهر منكر
بها من جميع الناس أخرى وأجدر
لبذل نفوس في الوغى ماتا خروا
تخال دما الهامات كالمرن تمطر
نجوم سماء في دجى النقع تزهو
وراحاتهم منها الندى يتفجر
وفي بردة المجد الأثيل تازروا

أم حمرة بصحائف الوجنات؟
أم خرد غيد من الفتيات
أم أوجه تزهو على القامات
نظراً تشب بهجتي جمرات
سلبت فؤاد الصب باللحظات
وتشابه الغزلان باللفتات



الشاعر رضا آل مرتضى

ديوان المرتضى

للشريف السيد مرتضى بن السيد سليم مرتضى
الدمشقي العلوي الموسوي

عني بطبعه وأخراجه معينا

سيد رضا مهدي تضي

المطبعة العلمية

١٣٩٦ هـ - ١٤٠٤ هـ

مصقولة الخدين إن عاينتها أثرت وجتنها على المرأة
أنفاسها تشفي السقام وريقها يحيا به العشاق بعد وفاة
جرت على الأرجاء فاضل بردها فغدت بطيب أريجها عطرات
لعب الدلال بعطفها فتمايلت تيهأ كغصن البان أو كقناة

وقال مخمساً:

محيالك أم شمس ووجههم أم بدر وفرعك أم ليل وجيدك أم فجر
وخالك أم مسك ونشرك أم عطر وقدك أم غصن وخدك أم زهر
وثفرك أم كاس وريقك أم خمر؟

رميت بسهم اللحظ عن قوس حاجب فؤاد محب لا يصان بحاجب
وسلطت أفعى أرسلت من ذوائب عليه ومن صدغيك سود عقارب
تحير فيها العقل المجرد والفكر

ومقلتك الكحلاء جل المكون بها كل مخلوق من الناس يفتن
أتعرب عن أوصافها الغرألسن ولم تحكها من أعين العين أعين
ولولا مغانيها لما عرف السحر

وقدمك من فرط الدلال تأودا فخرت له الأغصان للأرض سجداً
ووجهك تحت الشعر للصب قد بدا درى الفرق ما بين الضلالة والهدى
ولكن لكل منهما أحوج الأمر

على خدك الزاهي من الحسن نضرة لها في قلوب المستهامين حسرة
وفي فيك ريق ليس تحكيه خمرة إذا وقعت منه على البحر قطرة
تحول عذباً من عذوبتها البحر

بنضسي فتاة يبهر العقل جيدها وتزري على شمس النهار عقودها
وتخجل رمان الجنان نهودها وتهزؤ بالروض الأريض برودها
ويحكي فتيت المسك من طيبها النشر

أرتني الجفا لا عن ذنوب جنيتها ولا عن أمور منكرات أتيتها
ولا عن عهد في الهوى ما رعيتها ولكنها جاءت بهذا فديتها
مخافة أن يفشى لها في الورى سر

توفي بدمشق في ٤ ربيع الأول سنة ١٣٢١هـ، ١٩٠٣م.

المراجع: الجزء الرابع من تاريخ علماء دمشق:

ترجمة خطية بقلم الأستاذ محمد سعيد الطريحي.

حلية البشر ٦٧٤/٢. أعيان دمشق ١٣٦. منتخبات التواريخ ٨١٣.

الروض البسام ٤٧

مقام السيدة زينب الكبرى في بلدة راوية وسدنته السادة آل مرتضى



البلدة الطيبة

من يراجع صحائف التاريخ الدمشقي منذ أواخر القرن الأول للهجرة حتى اليوم يجد اسم زينب (ع) في ترددها على اقلام المؤرخين، ومن يتعقب مسار مقامها الشريف لا يتعذر عليه أن يرى كيف أخذت معالم المرقد الطاهر تزداد شيوعاً مع الأيام ليصبح على مدار تاريخه أثراً كريماً يؤثر في دنيا المسلمين في أهم جوانب الوصية النبوية بمودة ذوي القربى وفق ميثاق القرآن وعهد مهمما بغدت المسافات. لأن المودة تجري في عروق الوفاء بكل مسلك يفصح عن فكرة المودة للسابقين باحياء أمرهم وتراثهم ليشمل الوفاء في امتداد الزمن مقرونا بإعمار مزاراتهم لتصل إلى ما يملأ الروح بسر الفضيلة وأطياف القيم.

كذلك يعتبر مقام السيدة زينب الكبرى (ع) في بلدة راوية في غوطة دمشق من أهم المزارات الإسلامية في أقطار العالم ومن روائع فن العمارة الإسلامية. نزوره أفواج المؤمنين وقلوبهم مفعمة بالإيمان، فينعمون في عتباته الطاهرة بنفحات روحية تملأ أحاسيسهم بعبق التقوى والخشوع.

البلدة الطيبة:

ومن هنا أمكن لمؤرخي المدن أن يميزوا راوية السيدة زينب (ع) بما اصطبغت ثقافتها بصبغة روحانية يضرب بها الأمثلة عن كرامات السيدة ومقامها. فتسمع من أهلها من يروي قصص شفاء المرضى. وتسمع منهم كذلك من يحدثك عن قصص استجابة الدعاء، وإغاثة الملهوف، ولقد وضع للزوار مآثرة تلك الشهادات وضوحاً أصبحت معه زينب المقام ملاذاً أحاط بالبلدة الطيبة، فإذا كانت المدن قد نشأت وازدهرت لأسباب اقتصادية أو سياسية أو غيرها.. فإن بلدة السيدة زينب (ع) تعتبر خير نموذج للبلدان التي تأسست وازدهرت بعامل روحي متميز. وفي الواقع، تُدين بلدة السيدة زينب (ع) بوجودها وتوسعها العمراني وازدهارها الاقتصادي والحضاري إلى وجود مقام السيدة زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب (ع) والسيدة فاطمة الزهراء (ع).

كان موقع هذه البلدة يُعرف قديماً باسم قرية راوية، التي كانت مؤلفة من بضعة بيوت طينية بسيطة ومتواضعة جداً، وقد تزايدت أهميتها كثيراً منذ أقامت فيها السيدة زينب الكبرى (ع) حتى غدت القرية الصغيرة المتواضعة بلدة حديثة مقدسة متجددة الاتساع العمراني المستمر

والمزاييد على الدوام، تحيط بها بساتين وحقول غوطة دمشق الشرقية المشهورة بجمال طبيعتها وتنوع ثمار أشجارها المختلفة.

يحد بلدة السيدة زينب (ع) شمالاً قرية ببيلا، وشرقاً قرية عقربا، وغرباً قرية يلدا وحجيرة وجنوباً حوش قوبل.. وتروي أراضيها مياه قناة تنبع في قرية يلدا، أضف إلى ذلك أن في غربها نبعاً على شكل قناة تروي أراضي حوش قوبل

آل المرتضى وثمانيئة عام من الولاية على المقام

ثم يصل مقام السيدة زينب (ع) إلى ما وصل إليه من ألق الرفعة وتواتر الاستبشار، تهوي إليه أفئدة الزوار من جميع أنحاء الدنيا إلا بفضل جهود متواصلة وعطاءات مباركة قام بها المتولون المتعاقبون السادة الحسينيون والموسويون نسبة إلى الإمام الحسين والإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) وهم آل مرتضى ممن كانوا ولا زالوا ينعمون بأجيال متلاحقة من النقاء والنقضاء، يتوارثون بموجبات وصية الوقف الولاية على هذا المقام المبارك العامر بذكر الله وتقوى الله، فظهرت كراماته بعمارة الروح ونقاء القلب وصدق الاستقامة وخشوع الابتهاال ...

وكان أول قائم بشرف تخليد هذه الروضة جد الأسرة الكريمة صاحب هذا الوقف المؤيد السيد حسين بن شيخ الإسلام موسى من أعلام القرن السادس الهجري الذي وقف جميع أملاكه في قرية زاوية المعروفة ببلدة قبر الست احتساباً إلى الله سبحانه، في تعظيم شعائر الله وإحياء أمره في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وقد تم توقيع الواقف المذكور في عقد الوقف المؤرخ في أواسط ربيع الأول ٧٦٨ هجرية، وذلك نقلاً عن الأعلام الشريعيين المؤيد له والصادر عن المحكمة الشرعية بدمشق بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٠١٠ هـ وتم توثيقها بأقلام وإمضاء أكابر العلماء والفقهاء والمحدثين «رحمهم الله» منذ صورها وحتى الراهن المعاصر، ويقود على تنفيذها الأرشد فالأرشد من ذرية الواقف وما زال العمل سارياً بهذه الوقفية التاريخية حتى الآن إلى أن تسلم عهد أمانتها السيدان الفاضلان الدكتور هاني مرتضى والمهندس السيد محمد رضا مرتضى، ومن بعده وحتى الآن الدكتور السيد هاني مرتضى والمهندس السيد مهدي مرتضى وعضوية المهندس السيد مازن هاني مرتضى.

وبذلك تثبت شرعية جميع ما يتصل بهذا النسب الطيب والسداة المباركة على أوقف عمدة الطاهرين السيدة زينب (ع) من حقوق وواجبات، وقد تشرفت بمطالعة نص الوقفية ومخطوطه ومعايشة السادة المتولين من آل مرتضى وشهدتهم يضيئون المعنى الكريم للنسب الكريم، ويوقعون بالتضحية المؤمنة والعمل الصالح أروع التوثيقات الناطقة الحية بما آل إليه الخدم الشريف من جمال وكمال وتلك الشهادة العظيمة في اتصال حقائق التاريخ بحقيقة الواقع وصروحه المتألثة بالخير والعطاء والنماء.

المتولون المتعاقبون من آل المرتضى

متولي المقام الأسبق السيد سليم مرتضى:

وفي عهد شملت ست غرف تبرع ببنائها السادة آل نظام ورُصف جزء من الصحن القديم بالحجر الأسود. وتم تجديد المئذنة القديمة. كما تمت الكتابة الحديثة على داخل القبة بالسنان. ونُقلت فيها أسماء الأئمة الإثني عشر (ع).

انتقل إلى رحمة ربه يوم الخميس ١٤ شعبان ١٣٦٤ هـ // ١٩٤٦م ودفن عند قبر السيدة زينب

(ع).

متولي المقام السابق السيد مهدي مرتضى:

ولد المرحوم السيد مهدي مرتضى عام ١٣٠٧ هـ الموافق ١٨٩٠م في دمشق في حي الشرفاء وتلقى علومه باللغتين العربية والتركية في مدرسة السلطاني يوم كانت البلاد تروح تحت الحكم التركي. ولما كان والده السيد رضا شاعرا وتقيا ورعا درس العلوم الدينية في بلدة شقراء (لبنان) لدى بعض الفقهاء. فقد نشأ السيد مهدي نشأة دينية مولعا بالشعر والأدب ونمت معه هذه المواهب مع تقدمه بالسن. حتى أنه أسس مكتبة خاصة ضخمة تضم عيون كتب الدين والأدب والتاريخ.

وعندما توفي والده السيد رضا (وكان مع أخيه السيد عباس متوليين على المقام) عمل السيد مهدي بالإشراف مع عمه السيد عباس على إدارة المقام. وكان إلى جانب عمله هذا يقوم بعمل تجاري في متجر يملكه.

لقد نهج السيد مهدي خلال حياته على نهج جده الحسين بن علي (ع) وذلك من خلال مقارنته للظلم والاستبداد. فآذرا نفسه لتحرير وطنه من الإستعمار الفرنسي.

فقد ساند الثورة السورية في بداية الاحتلال الفرنسي، ثم واكب العمل الوطني منذ بدايته، وعمل جنباً إلى جنب مع نخبة من الوطنيين المخلصين أمثال شكري القوتلي، وجميل مردم بك، وسعد الله الجابري، ولطفي الحفار، وصبري العسلي، وفخري البارودي، وغيرهم من كبار الوطنيين، ونال ثقة زملائه في النضال حيث أوكلوا إليه إدارة مكتب الكتلة الوطنية التي كانت تضم نخبة من رجالات الوطن. وهذا المكتب هو المسؤول عن تنظيم النضال ضد المستعمر، وكان (رحمه الله) همزة الوصل بين رجالات الكتلة وزعماء الأحياء المنتشرين في كافة مناطق دمشق والمحافظات، يبلغهم التعليمات ويعملون على تنفيذها. وكان (رحمه الله) ضليعا في مخاطبة الناس على مختلف فئاتهم ولديه قوة إقناع قل نظيرها في المحدثين والخطباء.

ومن منطلق النضال الوطني قاد حملة مقاطعة شركة الكهرباء الأجنبية، كما قاد الإضرابات التي قامت في البلاد ضد المستعمر، خاصة إضراب ١٩٣٧م، المشهور بإضراب الـ ٥٠ يوماً، وقد شعر الفرنسيون بخطرهم وعملوا على اعتقاله عدة مرات، فما من مرة اعتقل فيها الوطنيون إلا وكان

في طليعة المعتقلين، فدخل سجن تدمر العسكري، وسجن الرمل في بيروت. وسجن المية ومية قرب صيدا، وسجن قلعة راشيا، وسجن القلعة بدمشق، وكان يخرج من السجن ويعود من المنفى وهو أشد إصراراً على مقارعة الإستعمار فيتابع نضاله، وقد كان خلال الفترة التي قضاها بالسجن والمنفى يعكف على مطالعة الكتب الأدبية والتاريخية والدينية الغنية بها مكتبته. ويعقد ندوات أدبية من أن لأخر بين زملائه في السجون .

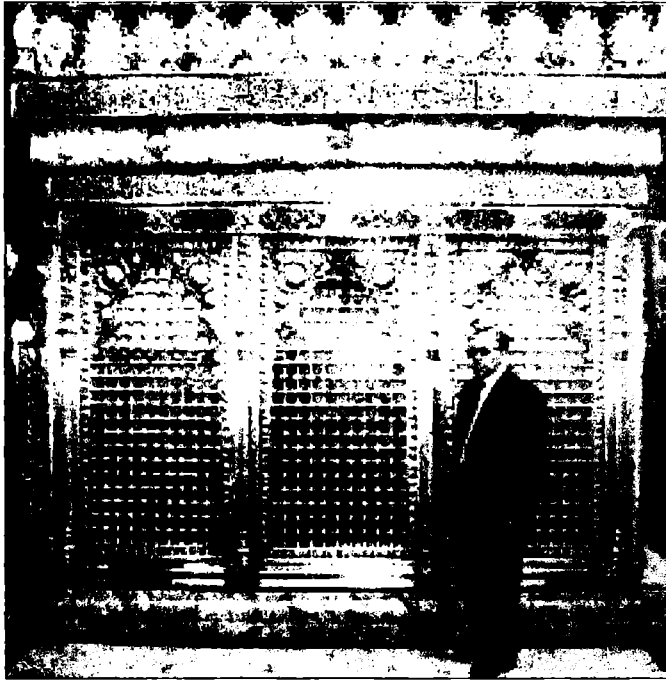
تولي المقام السيد المهندس محمد رضا مرتضى (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م)

ولد السيد المهندس محمد رضا مرتضى في دمشق عام ١٣٤٣ هـ الموافق ١٩٢٤ م، وتلقى علومه فيها حيث حصل على الشهادة الثانوية.

ومن ثم تابع دراسته في اختصاص الهندسة في كلية الهندسة الفرنسية في بيروت عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٦ م، انتقل بعدها إلى باريس ليكمل تخصصه العلمي في كلية الأشغال العامة والصناعة والبناء، وحصل منها على بكالوريوس بالهندسة المعمارية والإنشائية عام ١٩٤٩ م وكان الله سبحانه وتعالى أراد له أن يختار هذا الاختصاص ليتولى إعمار المقام بأهون السبل وأحسن الشروط.

وقد عمل في اليمن لصالح إحدى شركات المقاولات الفرنسية عام ١٩٥١ م حيث اكتسب خبرة

عائبة.



بعد وفاة السيد مهدي والد السيد محمد رضا صدر قرار من المديرية العامة للأوقاف في سورية يسميه متولياً ل مباشر العمل في مقام السيدة زينب (ع) مع خاله المغفور له السيد محسن مرتضى كشريكين بالتولية وذلك ما بين عامي ١٩٥١ و ١٩٧٥ م.

أبدى خاله السيد محسن رغبة بالتخلي عن مسؤوليته بالتولية لابنه الدكتور هاني عمل السيد

المهندس رضا آل مرتضى أمام المقام الشريف

محمد رضا معه. كمتولين بدءا من عام ١٩٧٥ وحتى هذا اليوم وكان وما زال التعاون بينهما على أحسن وجه وأثمر بالكتير الطيب في كل ما أنجزته لجنة الإشراف من أعمال. وقد بدأ التطور النوعي في المقام بفعل هذه الرؤية الإستراتيجية التي ارتسمت معالمها في كل تخطيطته تنفيذاً تبعاً بحسب تراتبية الإمكانيات والضرورات.

ويقول السيد محمد رضا: تلاحقت الأعوام على درب العمر سنوات حافلة بالتجارب. وما أن بلغت منتصف العقد الرابع من عمري حتى بدأت رحلة العمل لإعداد تصميمه شامل المخططات مقام السيدة زينب (ع) فأخترت لنفسي احتمال الأمانة التي نهض بها جدي ووالدي وخالي من قبل.

منطلقات التجديد والتحديث:

بفعل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسببية التي تزامنت مع نهيات الحداثة الثانية لم يكن في المقام الشريف من الأبنية ما يستحق الإبقاء عليه إلا عشر غرف بنيت تبعاً منذ عام ١٩٣٠ بشكل حديث.

أما الحرم المبارك فكان يحتوي على رواق واحد. وستوف بنيت بشكل بدائي. أم جدرانه فكانت من اللبن وفيها شقوق عديدة. وله تخذ الأقواس الداخلية من الحجر من بعض التصاميم لعدد سلامة الأساسات. وكان السقف من الخشب المكسو بالترميميد. والقبلة مبنية بالاجر مكشوفة بظيقة من الرصاص. بالإضافة الى ذلك لم تكن في المقام مراكز للوضوء والمطهرة مسببة وفق الأسس الفنية والصحية.

المخطط العام:

بعد المداولة والتساور مع خاتمة المعمور له السيد محسن. فإن أول عمل قام به المهندس محمد رضا في المقام هو إعداد مخطط تنظيمي عام لإعمار وتطويره. بشكل يكون الحرم الجديد هو المركز الذي يتوسط صحناً فسيحاً تحيط به سبعون غرفة. تمتد على قاعات فسيحة في رواق نصحن. وجناحين كبيرين للمطهرة والوضوء للنساء والرجال. وخدمات أخرى منها جامع يقع بجوار المقام على الشارع العام. واثنان عشر متجراً من الناحية الغربية.

وقد عملت لجنة الإشراف على تنفيذ مشاريعها وفق منهج مدروس تبعاً حسب توافر التمويل وترتيب الأولويات. وما كان يمكن تحقيق تلك الأموال الواعدة إلا بعدما شكل المجتهد الأكبر المعمور له السيد محسن الأمين لجنة لإعمار المقام نذكر منهم: الحاج مهدي البهبهاني. السيد محسن مرتضى. السيد عباس مرتضى. السيد عبد العزيز شمع. السيد عبد الله النحاس وبذلك كانت الإنطلاقة الأولى لتأمين الموارد اللازمة لتنفيذ المخططات الأولية للعمل المبارك وتوضيح البيانات التي صدرت في حينه أسماء المتبرعين الحسنيين. وفتاوى المراجع بإجازة التبرع من الحقوق الشرعية لأغراض البناء في المقام وتوسعته.

في خدمة الوطن وشهادات التقدير:

إلى جانب الجهود الكبيرة التي بذلها السيد محمد رضا في لجنة الإشراف لتصميم وتنفيذ منشآت المقام، ومساهمته بإدارته، فقد عمل على مدى ثمانية وثلاثين عاماً في خدمة الدولة في عدد من المجالات الحيوية، فبدأ عمله الوظيفي عام ١٩٥١م مهندساً في مؤسسة مياه عين الفيحة في دمشق، ثم رئيساً لمكتب الدراسات، فمديراً للشؤون الفنية، وأخيراً تم تعيينه عام ١٩٦٩م مديراً عاماً ورئيساً لمجلس إدارة هذه المؤسسة بموجب مرسوم جمهوري صدر لهذه الغاية، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٩٠م حيث تقاعد عن العمل، ومنذ هذا التاريخ انصرف السيد كلياً للعمل في مقام السيدة زينب (ع) باذلاً كل وقته وإمكاناته للعمل الفني وإدارة المقام بالتنسيق مع شريكه بالتولية الدكتور السيد هاني مرتضى حفظه الله.

لقد حقق السيد محمد رضا خلال عمله الوظيفي في مؤسسة المياه مشاريع غاية في الأهمية، حيث وضع خطة بعيدة المدى لتنفيذ مجموعة مشاريع تؤمن مياه الشرب لمدينة دمشق على المدى البعيد، وتتضمن تنفيذ قناة جديدة لجر المياه إلى المدينة دمشق، ومجموعة خزانات مياه بسعة ١٢٠ ألف متر مكعب، وشبكة أنابيب لتوزيع المياه بطول ١٠٠ كيلومتر مع ما يتبعها من أعمال ملحقة بها، وبلغت الكلفة الإجمالية لهذه المشاريع حوالي ملياري ليرة سورية، ما يعادل ٢٠٠ مليون دولار وبالسعر الرسمي. وقد وافقت الجهات المسؤولة على هذه الخطة، وتم تمويلها من الدولة ومن الصناديق العربية والدولية، ونفذت هذه المشاريع بتقنية عالية وأمانة وإخلاص حتى غدت المؤسسة نموذجاً في حسن الإدارة والدقة في التنفيذ، وقد أصبح المهندس السيد محمد رضا من خلال عمله موضع ثقة وتقدير الجهات المسؤولة، حيث تم تكليفه إلى جانب عمله الأساسي بمؤسسة المياه بمهام أبرزها:

- كُلف بمديرية الشؤون الفنية في معرض دمشق الدولي ما بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٤م.
- سُمي بمرسوم جمهوري عضواً في مجلس إدارة المشاريع الكبرى.
- سُمي بمرسوم جمهوري رئيساً للجنة عقود الفرات التي تعاقدت على مشاريع الفرات الكبرى.
- اعتمدته الهيئات الدولية والعربية خبيراً استشارياً في قضايا مياه الشرب.
- اعتمد من قبل منظمة الصحة العالمية خبيراً استشارياً وكلفته بمهام في عدة دول.
- اعتمدته الصندوق العربي للإنماء والاقتصادي والاجتماعي خبيراً له وكلفه بمهام عديدة.
- سُمي عضواً في اللجنة الفنية الدولية للمركز الفرنسي لمعالجة قضايا مياه الشرب والصرف الصحي لمدة عشر سنوات.
- حصل على وسام الاستحقاق السوري تقديراً لخدماته.
- حصل على وسام جوقة الشرف من الحكومة الفرنسية تقديراً لكفاءته.

وقد شارك السيد محمد رضا في أغلب المؤتمرات العربية والدولية حول مياه الشرب التي عُقدت في بداية الخمسينات وحتى عام ١٩٩٠م، وقدم بحوثاً فيها حول مختلف المشكلات المتعلقة



رئيسة باكستان الراحلة الشهيدة بنازير بوتو وبجانبها السيدة الدكتورة نجاح العطار والدكتور هاني مرتضى والمهندس رضا مرتضى في مقام السيدة زينب (ع)

بمياه الشرب وإدارة مؤسساتها، وخاصة حول: عدادات المياه، والتسرب في الشبكات، والتكنولوجيا الملائمة في الدول النامية، وإصلاح أقنية جر المياه، وإدارة مؤسسات المياه.. كما أعد مؤلفاً حول (مشكلات مياه الشرب في القطر العربي السوري وطرق معالجتها)، اعتمد من قبل البنك الدولي، وترجم إلى اللغة الإنكليزية ليكون دليل عمل في الدول النامية. إلى ذلك كان السيد محمد رضا عضواً فعالاً في مجالس إدارة عدة نواد وجمعيات خيرية وأدبية واجتماعية، منها النادي العربي، ونادي الطيران الشراعي السوري، وجمعية المدرسة المحسنة، ونادي الرابطة الأدبية الاجتماعية.

رسالة التولية على المقام،

بعد تقاعده من العمل في الدولة عام ١٩٩٥، لم يترك جهداً ولا نشاطاً لمقامه يستغنى به عن تحقيق المشاريع المتبقية فيه والوصول به إلى المأمونية الكاملة، فاستعان الكامل مع شريكه بالتولية الدكتور السيد هاني مرتضى.

كذلك صممت لجنة الإشراف خطة واضحة لتحديد المقام الشريف جديداً يليق باسم صاحبه الطاهرة وعلى صورة لم تسبقها صورة هندسية أخرى، لعبت اهل البيت (ع)، فمنذ العام ١٩٥١م وإلى هذه اللحظات الراهنة، شهد مقام السيدة زينب (ع) في عهد لجنة الإشراف تطوراً نوعياً يعبر عن تلك الرؤية الموحدة بنسيج متناغم يفتح محراب السيدة على منبرها، على محاضن عطائها الخيري والاجتماعي..

وهذا إذا لم تكن أن ترى المقاد الفسيح ممتداً على مترواح المسجد الكبير المتصل بتوسعة
الصحاح الشمالي المفتوح على متحف دالته لترات السيدة (ع) وأثارها الجليلة وسواها من المشاريع
التي تمنيت أن أراه منذ أكثر من خمسين عاماً فتحقق منها ما تحقق وكأنه الحلم الذي يصرده
المؤمنون بمساهماتهم وجهودهم، وتلك هي سعادتي التي ليس لي سعادة بعدها بعد حسن العاقبة
وحسن الختام.

تقد كانت سلسلة الأعمال الهندسية التي قدمتها على أرض المقاد المبارك تصور وجهة نظري الهندسية
وهي: كيف يمكن لتاريخنا الإسلامي المشرق أن يكون معاصراً ومتشاركاً في بناء حاضرنا ومستقبلنا؟
وبذلك تقف على الصورة الحية لمرآة عن تلك الأعمال التي أزهرت بفكرات لجنة الإشراف وارتبطت
بعضب بعض كآية من آيات الفن الإسلامي وكشاهد من شواهد الإبداع في هذا الوطن الجميل.
تقد حرصت منذ بداية العمل على أن أحقق بالمخططات التي قدمتها للمقام هويته
الإسلامية في دلالة تندمج فيها تأملات العقل بوجودان القلب، وإبراز الملامح المنسقة المتكاملة في
خيوط هذا الاندماج بأدق تفاصيلها المتألفة حتى إذا ما نفذت بصائر الزوار إلى تلك الشواهد
والمتاهات في المقاد أحسوا بشعوره الداخلي ومضة متوائمة في هذا التوازن المثير لونا ونقشاً
وفضاءً لا متاهياً من الضوء يتنزل على النصريح ويصعد منه كأنه ترتيلة الآية القرآنية: «إليه
يصعد الكلمه الطيبه والعمل الصالح يرفعه» (فاطر: ١٠).

كنت أعلم أن مضمونات هذه الخصوصية الثقافية لا تأتي من فراغ فجمعت بين لغة
القرآن الكريم واللغة في خطاب السيدة زينب (ع)، ليستطلع الناظر من بديع المزاجية بين الفن
السوري والفن الإيراني نموذجاً جديداً من ترتيل الهندسة لهذا الخط المثير للتأمل والتفكير.
وما من مرة تأملت في أثر تلك الخطوط البديعة من تجليات التعاون بين خبراء الجمهورية
العربية السورية وخبراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلا وخالطني في نفسي السؤال: ماذا
يحدف منها؟ وماذا يضاف؟ لتمتد مؤثرات هذا التجانس بين بصر وبصيرة من جيل إلى جيل.
ليظن خسوف الإيمان بين يدي المقاد محوفاً بأبعاده وأروقته ومقروناً بفكرة الديمومة الخالدة
نوحى السماء ليملاً أسماعنا بقوله سبحانه وتعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويظهر لكم تطهيراً» (الأحزاب: ٣٣).

كذلك نزلت لجنة الإشراف بخرائط المقاد إلى ما يتولد عنها من أفكار وصور وإحياءات.
يستدل منها الزائر جمال عقيدته في تجريدتها وشمولها وكأنه واقف على ضفاف اعماق الينابيع
يحياء لنمو من بمعنى التواصل مع كلمة الإيمان.

كنت أبحث عن الموسيقى الباطنية للهندسة فمنها نستلهم حقائق التجريد الذي يصبو
إلى تجميل الذاكرة العربية والإسلامية ماداً وأباداً من تاريخها العريق وتراني أسأل نفسي اليوم
هل استطاعت رؤيتي هذه أن تجمع، وعلى نحو فريد، شيئا من خصائص ثقافتنا في انطباعاتها
توحيدية العظمة كما ظهر في مشهد الحوزاء زينب (ع) العالمة العابدات.

لجنة الإشراف والدراسات التفصيلية التنفيذية:

وفي ضوء ذلك قامت لجنة الإشراف بتنفيذ وإنجاز كامل الدراسات ولا سيما الخطط التي وضعها المهندس السيد رضا مرتضى:

- دراسة الغرف المحيطة بالصحن والقاعات الواقعة في زواياه وعلى طابقين.
- دراسة مراكز الطهارة والوضوء .
- دراسة جامع السيدة زينب (ع) .
- دراسة الدكاكين الواقعة على الشارع العام .
- دراسة تبليط الصحن بالحجر المجلي .
- دراسة تجديد بناء الحرم كاملاً من أروقة وجدران وسقوف وقبة (وكان التصميم بحق آية من الإبداع بالفن المعماري والإنشائي).
- دراسة تركيب خزان عام للمياه وتمديد شبكتي مياه ومجار.
- دراسة مركز للتوليد الكهربائي وتكليف خبير بدراسة الشبكة الكهربائية.
- دراسة بناء المستوصف الملحق بالمقام وتجهيزه .
- دراسة المسلخ الجديد لتذبح فيه النذور على أحدث الأسس .
- دراسة المقبرة القديمة ثم دراسة المقبرة الجديدة وتنظيمها وفق أحدث الأسس. ودراسة مركز استقبال ومفصل الأموات.
- دراسة تنفيذ قبة إضافية فوق القبة القائمة بينهما فراغ حيث أن القبة القائمة هي ذات طراز أندلسي كروي. والقبة الواقعة فوقها ذات طراز عباسي وذات رأس مخروطي .
- دراسة إقامة مجمع السيدة زينب (ع) للأبحاث والمعلومات. مع مجموعة من الخبرات الاختصاصية.

ثم في مرحلة لاحقة قام المهندس محمد رضا بالتعاون مع مكتب الدكتور نزار الثفراييين البرغلي بإعداد دراسات مهمة تشمل:

١. مداخل المقام الرئيسية من الشرق والغرب والشمال والجنوب.
 ٢. دراسة الواجهة الشمالية والواجهة الغربية.
 ٣. إنشاء المئذنتين الشرقية والغربية بارتفاع ٤٥ متراً.
- ولا تزال لجنة الإشراف على المقام ساهرة على رعاية المشاريع الراهنة والمستقبلية ليتصر الألاحق منها بالسابق كما يتصل الزمن المبارك في كل عمل لا يرجو إلا حسن العاقبة. وحسن التوفيق. ولن يضيع الله سبحانه أجر من أحسن عملاً.

متولي المقام السيد الدكتور هاني مرتضى «ترجمته بقلمه» (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٩ م)



أكتب هذه المداخلة عن سيرة حياتي في رحاب المقام الطاهر للسيدة زينب (ع)، وأحاول اختصار ما أكتب من ذاكرة العقل ووجدان القلب لأعتبارين أساسيين:

أحدهما: سعة الموضوع المتصل بجوانب الخبرة التي وضعتها كاملة للتعاون في خدمة المقام. وثانيهما: سعة المشاريع التي نهضت بمواكبتها ومآزرتها والإشراف على تنفيذها طوال عقود من تولي السدانة المباركة التي انطلقت من شرف أمانتها منذ بواكير الفتوة والشباب في عهد والدي المغفور له السيد محسن مرتضى.

فلقد ولدت في حي الأمين في عام ١٩٣٩ م، وترعرعت بين أفياء الأسرة الكريمة وانتسبت إلى

المدرسة المحسنية عام ١٩٤٦ م. وتابعت على مقاعدها دراستي الابتدائية والثانوية وحصلت من - فرعها العلمي - على الشهادة الثانوية بدرجة امتياز..

وفي تلك المرحلة بدأت تترسخ في قلبي صورة المقام الروحية كلما شهدت والدي - رحمه الله - مسكوناً بفكرة المقام الشريف وتلبية حاجاته الضرورية. وهنا أتذكر وجهه المشرق إلى جانب سماحة الإمام السيد محسن الأمين لتشكيل أول لجنة تعنى بإطلاق حملة التبرع لمشاريع المقام، وعلى همة الوالد وصبره كانت النواة لإنماء الوقف الزينبي على امتداد الآمال المعقودة لإحياء المنطقة التي تحيط بالمقام..

وعلى شغفي بطلب العلم فقد انتسبت إلى كلية الطب في جامعة دمشق عام ١٩٥٨ م وتخرجت منها عام ١٩٦٥ م واختصاص في طب الأطفال وشهادة زمالة لكلية الملكية الكندية - الدكتوراه في الطب ليفتح الله عليّ لمتابعة الاختصاص في مجال طب الأطفال - بشهادة البورد الأمريكية - في الأمراض الانتانية عند الأطفال وشهادة الممارسة في الطب في كندا LMCC سنة ١٩٧١ م. وطالما تطلعت إلى تنظيم شؤون المقام وتنميته فكنت أرسل الوالد ويراسلني بكل ما وضعه من خطط لتوفير الازدهار المرجو من إعمار المقام وتوسعته.

وبنعمة الله سبحانه منحت بجدارة عالية جميع شهاداتي العلمية من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وعدت منها عام ١٩٧٢ م لأنهض بخدمة العلم في التجنيد الإلزامي ما بين عامي ١٩٧٢ م و١٩٧٤ م.

كذلك صاحبت والدي قبل السفر وبعده في أهم المفاصل العمرانية من تاريخ البناء، فتعلمت

كثيراً من خبرته وعطاياه، وتعلمت أكثر دوافع الخير، من خصاله وسجاياه. حتى إذا استقربي المطاف في سورية توليت الإشراف على المقام بصورة رسمية عام ١٩٧٥م لأعمل على تحقيق غاياته السامية مشرفاً ومتولياً مع شريكي بالتولية المهندس السيد محمد رضا مرتضى، وفي بالي أن الباقيات الصالحات خير عند ربك وأبقى.

وعلى الرغم من مشاغلي رئيساً لشعبة الأمراض الإنفانية في مشفى الأطفال منذ افتتاحه في عام ١٩٧٨م، ومدرساً في كلية الطب بجامعة دمشق، وأستاذاً مساعداً عام ١٩٨٠م، وأستاذاً بكرسي الجامعة نفسها عام ١٩٨٥م، ورئيساً لقسم الأطفال في كلية الطب بجامعة دمشق، ورئيساً لمجلس إدارة مشفى الأطفال ما بين عامي ١٩٨٧م و١٩٩١م ورئيساً لجمعية أطباء الأطفال السورية من عام ١٩٨٩م إلى عام ١٩٩٥م، فإن المقام الشريف كان ولا يزال مدار اهتمامي الأكبر والتزاماتي الدائمة.

وبالرغم من أعباء العمل عميداً لكلية الطب في جامعة دمشق أعوام ١٩٩١م وحتى عام ٢٠٠٠م، ورئيساً لجامعة دمشق ٢٠٠٠م - ٢٠٠٣م، ووزيراً للتعليم العالي من عام ٢٠٠٣م إلى عام ٢٠٠٦م، فقد شاركت وبصورة فعالة في مؤتمرات طب الأطفال محلياً وعربياً وعالمياً، كما ساهمت بالإشراف على عدد غير قليل من المؤتمرات العلمية والفكرية لتنشيط الحوار والمحاضرات ذات الصلة وشاركت في عشرات الأبحاث المنشورة في المجلات والدوريات الطبية إضافة إلى الإشراف على عشرات رسائل خريجي كلية الطب السنة السادسة جامعة دمشق حتى منحت وسام أكاديمية ألبرت شوايزر عام ٢٠٠١م لأعمل نائباً لرئيس هذه الجمعية ٢٠٠٨م، وقد قُدمت لي جوائز تقديرية من مختلف جمعيات أطباء الأطفال في الوطن العربي وحوض البحر الأبيض المتوسط، وحصلت على جائزة تكريم من المجمع الثقافي العربي في بيروت، وعلى تكريم خاص من قبل الحكومة الإيرانية في حفل رسمي بمكتبة الأسد تقديراً لجهودى العلمية والتعاون الثقافي بين البلدين، ورغم ذلك كله فقد أثرت أن أجعل من المقام صرحاً من المؤسسات التي تعزز أواصر العلاقة القائمة بين تاريخ الحوار زينب (ع) ورسالتها المتفاعلة بقضايا الأمة وأمانها.

وفي هذا الإطار عملت جاهداً على تعميق الاسس والمرتكزات التي بلورها والدي رضوان الله عليه بكل ما وضعته يده الطاهرتان من حجر الأساس لمختلف الأبنية التي كانت بمضمونها الاجتماعي والثقافي والخيري والإنساني معبرة بأروع التعبير عن وجه هنا ووجه هناك من وجوه المقام المتنوعة في ألق الترابط بين الإنسان والمكان.

ومنذ اللحظة الأولى لمباشرة مسؤولياتي التي نهضت بها على درب الأعمال الحيوية والإنشائية في المقام عملت وما زلت أتابع العديد من الأعمال مع شريكي بالتولية السيد المهندس محمد رضا مرتضى حفظه الله، لتستمر الجهود الواعدة بإشراف المهندس السيد مهدي مرتضى والمهندس السيد مازن مرتضى على نهج الحكمة التي ازدان بها المتولون المتعاقبون.. وكان أول ما توارد من أفكار ساهمت في التخطيط لها ومتابعة إنشائها وتنفيذها هي إخلاص

تية وصدق التعاون ليكون المثل الأعلى في دنيا المتاربع دالا على خصائص رسالة أهل البيت (ع) ورسالة زينب (ع) في كل مجال يتميز بقواه العمل الصالح وفق ما تستدعيه ضرورات الواقع ومكثافته الشاحه حتى بات تحديث المقام وتضويره واضحاً في بضع سنين.

ولعمد ضررت هذا المثل من التعاون لأنه هو الذي دفع الأعمال المباركة في تسلسل خطواتها مثل بيت من القصيد لا يكتمل شطره الثاني إلا على إيقاع ما جاء به الشطر الأول.

وما هـ أجدني أسير أغوار تلك الأياد في كثير من حالات المقام بالتعاون المثمر الذي استهدف في كل مرحلة من مراحلها أن ينتقل بالإجابة عن سؤال كيف كان المقام المبارك إلى الإجابة التفصيلية عن سؤال كيف يجب أن يكون في حاضر ومستقبله؟ فإذا كانت الذاكرة وفيه لتاريخ التكافل بين لجنة الإشراف وأصدقائها من المتبرعين فأذكر أنني حرصت على هذا التكافل بكل ما جاءت به أعوام البناء من شتى جوانبها وأذكر منها:

أعمال الكشي المختلفة حيث عقدت لجنة الإشراف العديد من الاجتماعات مع المتبرعين الجساني لأعمال الكشي المختلفة داخل الحرم. أما أعمال الكشي خارج الحرم فقد تابعتها سجد مع السيد حسن حيدري. وأشرفت على التصميمات حتى تم تأمين كافة الإمكانيات المستلزمات للوصول بهذا المشروع الهام إلى صورته الحائية المتكاملة والجميلة.

بلاط ورخام الأروقة للصحن الشريف.

عندم شعرت لجنة الإشراف أن المقبرة القديمة بجوار المقام لم تعد تسع المزيد من القبور، قررت اللجنة دراسة إحداث مقبرة جديدة قريبة وفي أرض مناسبة. وتابعت الموضوع من النواحي القانونية والإدارية والهندسية. ومبادلة الأرض التابعة للمقام بأرض مناسبة وقريبة من المقام الشريف. نظراً لأهمية هذا الموضوع عند المسلمين الذين يرغبون في دفن موتاهم في مكان أقرب ما يكون إلى رحاب المقام. وبذلك أنجزت المقبرة الجديدة على أسس حديثة ومنظمة.

كذلك نهضت لجنة الإشراف لرعاية شؤون المستوصف الخاص بالسيدة زينب (ع) حيث أشرفت عليه. شراف التوجيه من النواحي الطبية والخدمية للوصول به إلى أفضل الحالات التي تمكن من خدمة زوار المقام الشريف.

ويتوفيق من الله سبحانه وتعالى وضعت اللجنة كامل التصميمات والرسوم لإنشاء وإكساء المذلتين المشاهقتين اللتين ترتفعان في الصحن الشريف. حيث عملت البعثة الإيرانية المختصة على تنفيذ إكساتهما بالكاشي وسيبقى هذا الأثر يحمل قيمة جمالية وفنية بالشكل والرسم والرسمة والزخرفة.

وما رنت أذكر باعتزاز كبير سعي اللجنة للحصول على القفص الفضي الجديد بدل القفص النحاسي فوق المصريح الشريف. وذلك بالعمل الجاد لتابعة تأمين المتطلبات اللازمة لذلك مع المشيرين.

وعلى هدي التعاون المثمر تضوا المقام بوضع مشروع القبة الذهبية موضع التنفيذ حتى

أصبحت معلماً مهماً من معالم المقام الشريف، وارتفعت إلى فضائها السماوي آية من آيات الفن المعماري البديع.

أما المشروع الحيوي والهام الذي حرصت عليه لجنة الإشراف فهو «مجمع السيدة زينب (ع) للمعلومات والأبحاث»، وتم إنشاء هذا المجمع في الزاوية الشمالية الشرقية من الصحن الشريف. ويضم قاعة ومستودعات.. وقاعة للباحثين ومستودعا كبيراً للكتب ومنتدى الباحثين وفيه مدرج حديث ومنظم. وسيكون هذا الصرح العظيم المرجع المهم لجميع العلماء والمفكرين ويجمع التراث الفكري والديني والتاريخي (المخطوط أو المطبوع) لآل البيت عموماً وللسيدة زينب (ع) خصوصاً باللغة العربية وباللغات الأخرى. وسيتم جمع المعلومات وتبويبها وأرشفتها وحفظها وفق أحدث الوسائل والطرق المكتبية حيث تم استخدام الحاسوب (الكومبيوتر) لتسهيل تناول المعلومات. وسيكون لهذا المجمع الحضاري الدور المستقبلي الكبير والفعال في دعم مسيرة وفضائل آل البيت (ع). وفي بال اللجنة المشرفة على المقام مواصلة السعي الدؤوب لتطوير هذا المجمع ورفعته بكل ما يتطلبه من دعم مادي ومعنوي.

قامت بزيارة إيران ضمن الوفد الحكومي الرسمي الذي ترأسه الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي في القطر. طرحت هناك مع المسؤولين الإيرانيين إمكانية الدعم المادي والمعنوي لوزارتي الثقافة والتعليم للمساهمة في إنجاز وإكمال مشروع «مجمع السيدة زينب (ع) للمعلومات والأبحاث».

شاركت في الإطلاع وانتقاء المخططات والرسوم الهندسية للصحن الشمالي التي قام بتنفيذها المكتب الهندسي للدكتور الفراهي الذي ساهم في بعض الأعمال الهندسية ضمن المقام الشريف (مداخل المقام الخارجية، المئذنتان، الواجهات الخارجية على الطريق العام). وسيكون الصحن الشمالي المقترح الرئيسي للزائرين الكرام الذين يشكلون الآلاف في المناسبات الدينية. ولقد سعت جاهداً مع شريكي بالتولية المهندس السيد رضا مرتضى لتأمين الموارد المناسبة والكافية لإقامة هذا المشروع الحيوي مع العلم أن هذا المشروع سيتفرع عنه مشروع الصحن الجنوبي الذي هو قيد الدراسة حالياً ليصبح المقام باحلي وأحسن صورة ومتكاملاً.

أما ما يتعلق بمشروع فندق السيدة زينب (ع) للسياحة والزيارة، فقد بذلت جهوداً كبيرة لزيادة حصة المقام من هذا المشروع نظراً لقناعتنا بأن الأرض ثمينة وقيمتها كبيرة. ولا تتناسب مع ما حصل عليه المقام في العقد البدائي. وبناء على ذلك، قمنا المهندس السيد محمد رضا مرتضى وأنا، باجتماعات متواصلة ومتكررة مع الشركاء. وتوصلنا إلى إقناعهم بإعطاء المقام حصة مناسبة. واستطعنا أن نصل إلى القرار المناسب وهو إعادة الفندق من حيث الملكية إلى المقام بعد أربعين سنة من الاستثمار مجاناً ودون أن يدفع المقام أي مقابل. وبذلك حصلنا على مكاسب كبيرة للمقام ذات قيمة مادية ومعنوية، ويعطي للمقام ريعية ودخلاً مادياً يساعده على استمرارية تخديمه ويكفل له استمرارية التطوير والإنماء.

أنقذ أخيراً إلى أن هذه المساهمات النوعية كانت كلها ضمن المخطط الخاص والعام الذي وضعته اللجنة، حيث تم تجديد وتحديث طرق العمل في كافة نواحي المقام الشريف. وسيبقى العمل الجاد والمخلص والذوي هو الطريق نحو تطوير المقام الشريف والوصول بمستوى الخدمات إلى الحد الأعلى ليكون كما هو دائماً وأبداً مؤثلاً للزائرين، ومقصداً للمؤمنين الذين يسعون لزيارة السيدة زينب (ع) ومقامها الشريف من كافة أصقاع العالم ومختلف البلاد.

لقد كانت تلك بعضاً من الجهود المتواضعة التي بذلها آل المرتضى في خدمة مقام السيدة زينب (ع) فإن أكن قد وفقت فذلك ما أردت. وإن أكن قد أخفقت فحسبي أنني أخلصت النية، والله من وراء القصد. والأمل كله معقود على المهندسين الشريفيين مهدي ومازن مرتضى لترجمة مشاريع المستقبل إلى واقع حي ينبض بروح المقام الطاهر ورسالته.

تولي المقام السيد المهندس مهدي مرتضى (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م)

وُلد السيد مهدي محمد رضا مرتضى في دمشق عام ١٩٥٨ م الموافق فيه ١٣٧٧ هـ. وفتح عينيه على طلب العلم منذ نعومة أظفاره على مدى سنوات الإبتدائية في مدرسة اللايك العلمية، وترعرع فيها متفوقاً على أقرانه حتى حصل على شهادته الثانوية بتاريخ ١٩٧٦ م، ومنها توجه إلى الجامعة الفيدرالية السويسرية للعلوم والتكنولوجيا في لوزان ليحصل بامتياز على درجة ماستر في الهندسة المدنية بين عامي ١٩٨٧ - ١٩٨٣ م. وأتيح له في تلك الفترة التعليمية إتقان اللغتين الإنكليزية والفرنسية بالإضافة إلى لغته العربية الأم .. ما فتح له أفق العمل في - أبو ظبي - بالإمارات العربية المتحدة كمهندس مشروع القروي للبناء والتقنيات من ١٩٨٤ - ١٩٨٧ م. استطاع خلالها أن يتوج خبرته العلمية والعملية كمسؤول عن طاقم مهندسي المشروع. وعلى شغفه بطب العلم انتسب إلى جامعة تورنتو - كندا من ١٩٨٨ - ١٩٨٩ م. حيث حصل على شهادته في إدارة مشاريع البناء التي ازدانت بسورات نوعية في الإدارة. وقد عين مديراً لتنسيق مشاريع لشركة قابنوس لبناء من ١٩٨٨ - ١٩٩٢ م. بجدارة أوكلت إليه مهام التخطيط والمتابعة والتنسيق لعدة مشاريع في وسط مدينة تورنتو. في عام ١٩٩٢ م عاد إلى دمشق ليتسلم الإدارة العامة للشركة السورية لتجهيزات توزيع الوقود واستيراد السيارات والشاحنات بين عامي ١٩٩٣ - ١٩٩٨ هـ.

قام بتأسيس شركة من موقع شراكته في شركة «أوفتيك» للتجهيزات والتقنيات الصناعية لتأمين التجهيزات الخاصة بنقل السوائل، ولا يزال حتى تاريخه مديراً لها. وفي عام ٢٠٠٦ قام بتأسيس شركة الخدمات المتطورة للأنابيب مع عدة شركاء. وهي الشركة الأولى التي باشرت العمل في سورية بنظام الدفع الإلكتروني من أجل إداة تكلفة استهلاك الوقود بالإضافة إلى اعتماد نظام GPRS الذي سمح للمؤسسات الكبرى بمراقبة وتحديد مكان أسطول سياراتهم في جميع أرجاء القطر.

عن وزارة الأوقاف، شريكاً بالتولية على مقام السيدة زينب (ع)، فوضع كامل خبرته الهندسية والعلمية لينهض بواجب المسؤولية على نهج آبائه وأجداده مجدداً عهد والده بمثل ما عاهد أجداده:

تمضي كما كانت أوائلنا تمضي ونفعل مثلما فعلوا

ولم تكن هذه الأمانة الملقاة على عاتقه إلا ميثاقاً من موثيق الوفاء للولاية التي سيحمل أعباءها واستحقاقاتها ليبدأ مسؤولياته في ترجمة مشاريع المستقبل - إلى مشاريع حية في الحاضر تُعلي البناء الذي ارتضع عالياً بالخير والبر والنماء.

متولي المقام السيد المهندس مازن مرتضى (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م)

ينفرد مقام السيدة زينب (ع) في راوية دمشق بمأثرتين:

المأثرة الأولى: أنه من أقدم المقامات الروحية التي يلتقي على زيارتها المسلمون منذ القرن الثاني للهجرة وحتى الراهن المعاصر.

المأثرة الثانية: أنه من أكثر المقامات التي يجتمع على زيارته المؤمنون من جميع دول العالم. من هنا وفي رحاب السيدة الطاهرة (ع) تأثرت بطفولتي كلما زرتها برفقة والدي الدكتور هاني مرتضى كابلغ ما يكون الأثر الجميل من تجليات الإيمان الخاشع بين يدي هذا المقام الشريف.

وقد رأيته أول ما رأيته بأجلى ما وضعته لجنة الإشراف على المقام من أفكار وتصاميم لتطويره وتحديثه ليغدو كما هو الآن واحداً من أهم المعالم الإسلامية والثقافية والاجتماعية في بلاد الشام، وما زال يستوقف نظري ذلك الركن الهادي من مكتب الإستقبال وقد جلس فيه والدي مع المهندس السيد محمد رضا مرتضى فأسمع منهما لوامع الحديث المهموم بتوسعة المقام وتحسين مرافقه، والتخطيط لأداء هذا الواجب الذي أُلقي عليهما لحمل هذه الأمانة المباركة.

وما كنت أحسب بعد عودتي إلى الوطن الغالي أن أشاركهما مع الصديق العزيز المهندس مهدي محمد رضا مرتضى للنهوض بشرف الواجب المتصل بين الآباء والأبناء.

وما زلت أنعم النظر في إنجازات المقام الخالدة مبهتلاً إلى المولى سبحانه أن يمن عليّ بالتوفيق لخدمة رسالة العقيلة زينب (ع) ليستقر معنى الهيبة والجلال من ضوء قبّتها الذهبية في المعنى الرائع لكلمة الوحدة والتوحيد.

وعلى هدي نعمة التوحيد وكرامة الوحدة ستصفو قلوب زوار الحوراء زينب (ع) بمرتجى شفاعة محمد وأهل بيته الأطهار (ع).

ويأخذني الإهتمام اليوم أكثر من أي وقت مضى لأتعلم من مدرسة أبي، وأواصل منهاجه الحكيم في العمل والتضحية والأخلاق بوصفها المثل العليا لاقتداء اتخذ بالسلف على امتداد الحياة وقد عشت حياتي ممتلئاً بهذه التربية التي غرسها فينا والدي واهباً عمره لكل خير يخدم بناء المقام وبناء الوطن.

ولدت في بيروت عام ١٩٧٤م، وتلقيت علمي الابتدائية والثانوية في دمشق، ثم ذهبت إلى كندا لمتابعة البكالوريوس الخاصة في علوم المعلوماتية - أنظمة البرامج من جامعة كونكورديا - مونتريال.

ثم ذهبت إلى المملكة المتحدة لأحصل فيها على شهادة ماجستير في علوم الإستثمارات من جامعة ميدلسيكس - لندن.

وبالإضافة إلى ذلك أتمتع بكفاءة عالية وخبرة طويلة في مجال الأعمال التقنية والمصرفية. وفي وقت مبكر قمت بإدارة أنظمة القواعد والبيانات المعقدة، وكنت فاعلاً حيوياً في مهام المساعدة التقنية لبنك مونتريال لمدة خمس سنوات.

بعد عودتي إلى دمشق عام ٢٠٠٤م قمت بتدريس الهندسة المالية في الأكاديمية العربية للصيرفة.

وقد شاركت في لجنة سوق دمشق للأوراق المالية كمؤسس شارك وبشكل فعال في إطلاق الأنشطة الأولى لسوق دمشق، ولا أزال عضواً ناشطاً فيها.

كذلك ساهمت بتأسيس أول شركة تأمين خاصة هي شركة التحويل النقدي والتبادل وأول شركة قابضة في الجمهورية العربية السورية في عام ٢٠٠٦م. وأطلقت قسماً جديداً في المجموعة المالية السورية SGF أورين إنتركاب (ORION INTERCAP) المتخصصة الأولى في سوريا في مجال تقييم الشركات، زيادة رأس المال وصفقات الإستحواذ والاندماج.

وما زلت أعمل حتى الآن رئيساً لمجلس إدارة (IMFX) - تحويل العملات الدولي لتبادل العملات والتحويلات النقدية. وأشارك بقا عليه كرئيس وطني سابق وعضو مجلس شيوخ ومؤسس عضو للفرقة الدولية الفنية JCI في سورية، وهي اتحاد عالمي للقياديين ورواد الأعمال الشباب، وأواصل عملي حالياً كنائب للرئيس العالمي مخصص لمنطقة إفريقيا والشرق الأوسط.

بموجب نص الوقفية على المقام الطاهر صدر قرار من وزارة الأوقاف بتسميتي عضواً في لجنة الإشراف على مقام السيدة زينب (ع) لأساهم في إدارة المقام وخدمته، وأشارك فعلياً في الإجتماعات الخاصة للجنة الإشراف على مقام السيدة زينب (ع) فأبذل قصارى جهودي لتنفيذ مشاريع الحاضر والمستقبل بإذن الله.

محمد علي الجمال

خطيب جامع الزهراء

١٣١٣-١٤٠٤هـ=١٨٩٥-١٩٨٤م



ولد بدمشق سنة ١٣١٣ لوالدين فقيرين من أسرة متواضعة. فلما بلغ الخامسة ألحقته والدته بأحد المكاتب (الكتاتيب) وكانت على أميتها تقدر العلم. وتهتم به. وتوجهه إليه. ولهذا نقلته إلى مدرسة الآباء العازاريين. فأتقن فيها الفرنسية. والرياضيات. والإنشاء. وغيرها من العلوم العصرية. ولكن فقره منعه من متابعة الدراسة. فانقطع عن المدرسة. وعمل كاتباً عند أحد كبار التجار لسنوات عديدة. كان يتردد خلالها على السيد محسن الأمين. ولأزمه الملازمة التامة. وعليه تخرج في الفقه الإسلامي وعلوم العربية. وكان يشجعه. ويدفعه للعلم. وقد أتقن القرآن الكريم وجوذه.

اشتغل بالتعليم في المدرسة المحسنية. وكان أحد القائمين عليها. فعمل فيها مشرفاً. وتولى إدارتها مدة.

واستمر فيها قرابة ثلاثين عاماً. وخصص أوقاته المسائية للتدريس والمحاضرات بشكل دائم. واستمر على ذلك حتى السنوات الأخيرة من حياته. كما كان يشرف على تعليم القرآن الكريم وتحفيظه وعليه تخرج كثير من القراء والحفاظ.

تولى الإمامة والخطابة في جامع الزهراء بحي الأمين. وبقي فيها نحواً من خمسين سنة. ساهم في الإذاعة السورية منذ إحدائها بإلقاء المحاضرات الدينية والتوجيهية. وكذلك عبر التلفزيون. كما ساهم في بث الأحاديث الإرشادية من بعض الإذاعات العربية. عند المناسبات القومية والدينية. هذا إلى جانب مساهمته في تأسيس عشرات الجمعيات الخيرية.

شارك في تأليف كتب التربية الإسلامية للمدارس الرسمية الإعدادية والثانوية. وترك عدداً من المؤلفات.

أحد علماء دمشق المشهورين. عمل في حياته لجمع شمل المسلمين. وتقريب وجهات النظر بين علماء المذاهب. توفي بدمشق سنة ١٤٠٤هـ. وهو والد الوزير السوري الأسبق عمار الجمال رحمهم الله.

صفحة من تاريخ الوقف الجعفري بدمشق

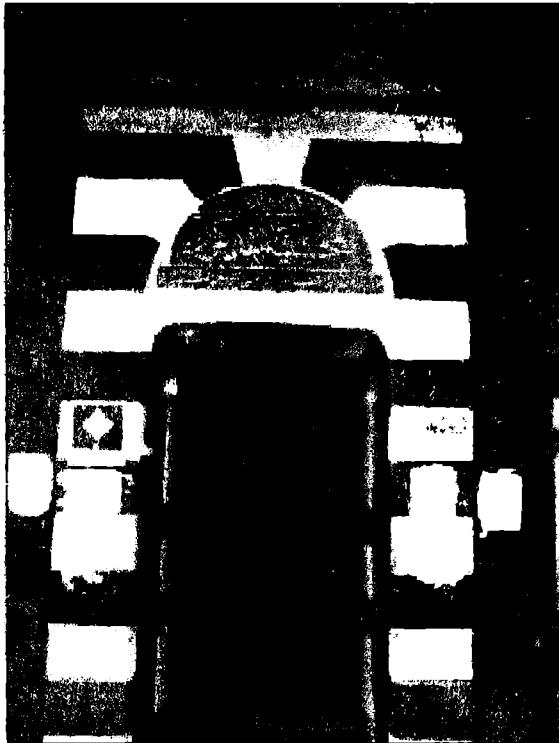
جمعية الثانوية الحسنية أحد نماذج الأوقاف الإسلامية في القرن العشرين

أ. د. محمد عبد الحليم

١- المقدمة:

لقد كان لنظام الوقف عبر التاريخ دور إيجابي كبير على كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حيث ارتبطت بهذا النظام مجموعة كبيرة من الأنشطة والمؤسسات والمشروعات التي عملت في صميم البناء الاجتماعي الحضاري وغذت نسيج شبكة العلاقات الإنسانية التراحمية على كل المستويات ابتداء من الأسرة والعائلة مروراً بالجماعة أو الطائفة - من أهل حرفه من الحرف - وانتهاء بالمجتمع أو الأمة ككل

٢- أهمية الوقف



نظام الوقف هو من النظم الاجتماعية - ذات الأبعاد المتشعبة - التي عرفتھا المجتمعات العربية الإسلامية ومارستها بانتظام منذ فجر الإسلام إلى العصر الحديث^(١) وكان للوقف حضوره الدائم في حركة المجتمع وتطوره من خلال مساهمته عبر التاريخ في حل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية عبر مؤسساته الخيرية على اختلاف أنواعها بشكل يوفر الدعم الذي يساهم في توفير الكثير من الخدمات بطريق تتسم بالتلقائية واللامركزية والاستقلالية والذي بالنتيجة يعود بالنفع العام على الدولة وليس العكس^(٢)

ومن الأبعاد المتعددة والمهمة لنظام الوقف كان البعد الثقافي الذي نما



السيد محسن الأمين

وتطور من خلال مؤسسات التعليم كالمساجد والكتاتيب ودور العلم والمكتبات والربط والزوايا التي كانت تعتمد في نفقاتها على الهبات والأوقاف وهذا بالتالي كرس الدور الكبير للأوقاف في نمو الحركة التعليمية والثقافية وتطورها في معظم مراحل التاريخ الإسلامي وعلى وجه الخصوص زمن المماليك في كل من بلاد الشام ومصر وفي المرحلة العثمانية رعت السلطنة الأوقاف بشكل عام وأضافت إليها أوقافاً جديدة وضعتها تحت إشرافها لتنظيمها بسبب ما كانت تعانيه من فساد وفوضى^(٣) وجعلها .. الأوقاف .. عنصراً متحركاً في بنية المجتمع قادراً على التفاعل مع بقية العناصر الأخرى .

وانطلاقاً من البعد الثقافي لنظام الوقف فإن ما سيعالجه هذا

البحث جمعية الثانوية المحسنية في دمشق كنموذج من نماذج الأوقاف الإسلامية في القرن العشرين .. يحقق أحد الأبعاد المهمة لنظام الوقف في المجتمع ألا وهو البعد الثقافي لذلك وقبل المضي في الحديث عن هذه المدرسة لا بد من تقديم لمحة عن وضع التعليم في أواخر العصر العثماني في دمشق حيث كانت المعاهد التعليمية القائمة قليلة العدد من جهة وفي غاية التنوع والاختلاف من جهة أخرى فهي إما مدارس رسمية حكومية تعلم باللغة التركية أو مدارس طائفية تختص بكل جماعة دينية ومذهبية على حدة أو مدارس إسلامية تقليدية ملحقة بالمساجد والجوامع العامة والتدريس فيها يسير وفق أساليب قديمة لم تتغير وتتطور منذ قرون^(٤) .

أما المدارس الحكومية الرشدية^(٥) فقد أسست في القرن التاسع عشر في عهد السلطان محمود الثاني المتوفى في ١٢٥٤ هـ - ١٨٣٩ م بهدف إصلاح نظام التعليم وإعداد الطلاب لدخول المدارس الثانوية العسكرية التي أنشأها السلطة العثمانية لغايات عسكرية^(٦) .

وأما المدارس الطائفية فقد بدأ التأسيس لها منذ نهاية القرن الثامن عشر وبالتحديد خلال فترة نابليون بونابرت على مصر ١٢١٢-١٢١٣ هـ/ ١٧٩٨-١٧٩٩ عندما بدأت البعثات التبشيرية^(٧) وخصوصاً الفرنسية منها بمحاولات في عاصمة الخلافة العثمانية للحصول على تراخيص لفتح بعض المدارس في المنطقة^(٨) وقد رسخ بقاء هذه المدارس واستمرارها وازدياد عددها دعم الدول الغربية لها مادياً من خلال مدها بالأموال ومهنيًا من خلال الضغط على السلطنة العثمانية لمنح رعاياها غير المسلمين امتيازات تجعلهم يتصرفون بحرية وكأنهم ضمن دولة واحدة وقد ترجم هذا الدعم عملياً عندما بدأت السلطنة بسلسلة من الإصلاحات التنظيمية الخيرية ومنحت السلطنة العثمانية امتيازات خاصة لما يمت بصلة إلى الشؤون الدينية والمذهبية وسمحت للطوائف المسيحية واليهودية حق تأسيس المدارس وإدارتها أيضاً^(٩) .

وكان نظام المدارس هذا خاصاً بغير المسلمين ولم يتمتع المسلمون من العرب بالامتيازات التي كان يتمتع بها إخوانهم المسيحيون أو اليهود في أمور المدارس والتعليم ولذلك فقد انحصرت

المعاهد التعليمية أمام هؤلاء بالمدارس الوقفية القديمة التي لم تنل أي خط من الإصلاح كالمدارس الرسمية التي كانت تعلم باللغة التركية^(١١).

وبالرغم من محاولة السلطنة تغيير سياستها التعليمية في البلاد العربية بشكل عام وليس في سوريا فقط بعد انقلاب المشرقية عام ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٨ م ومحاولتها فرض الرقابة على المدارس الطائفية والأجنبية إلا أن جهودها باءت بالفشل^(١٢) وكذلك كررت محاولة إصلاح التعليم في عهد الحكومة العربية السورية في عهد الملك فيصل الأول ١٣٣٦ - ١٣٣٨ هـ/ ١٩١٨ - ١٩٢٠ م ولكن انتداب فرنسا لسوريا منع هذه الخطوة من التطور لتبدأ سوريا مرحلة جديدة على كل المستويات^(١٣).

لمحة تاريخية عن المدرسة المحسنية

سبق إنشاء المدرسة المحسنية المدرسة التي سميت بالمدرسة العلوية والتي تقع في محلة القيمرية بالخراب بزقاق الشرفاء في باطن دمشق الشام وكان ذلك عندما زار العلامة المجتهد محسن الأمين ١٢٨٤ - ١٣٧١ هـ ١٨٦٧ - ١٩٥٢ م^(١٤) دمشق في بداية القرن العشرين ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م وقد استرعى اهتمامه الوضع الذي كان عليه الناس من جهل وتخلف كما ورد ذكره في سيرته^(١٥) وردنا دمشق في أواخر شعبان من سنة ١٣١٩ في أواخر الخريف فوجدنا أمامنا أمورا هي علة



جثمان السيد محسن الأمين أثناء الصلاة عليه في مسجد بني أمية الكبير

العلل ولا بد في إصلاح المجتمع من النظر في إصلاحها.

١- الأمية والجهل المطبق فقد وجدنا معظم الأطفال يبقون أميين بدون تعليم وبعضهم يتعلمون

القراءة والكتابة في بعض الكتاتيب على الطراز القديم.

٢- وجدنا إخواننا في دمشق متشابكين منقسمين إلى حزين بل إلى أحزاب وقد أخذت منهم

الحزبية مأخذها... فوجهننا اهتمامنا إلى إصلاح منهم هذه الأمور... أما الأمر الأول وهو أمر

التعليم فبدلنا غاية الإمكان في تعليم العلوم العربية لمن يمكن تعليمهم.

وجه المجتهد جل اهتمامه لإصلاح أمر التعليم بسبب ما رآه من تخلف و جهل ويقول في

هذا^(١٦) الصدد «فبدلنا غاية الإمكان في تعليم العلوم العربية لمن يمكن تعليمهم فصاروا بفضل

ذلك أهلا لأن يتكلموا في مجالس العلماء وينظروا الفضلاء» ثم خطا الخطوة الأهم في مجال

الإصلاح الذي كان يبتغيه بأن أخذ مع بعض أهل البر والإحسان «دارا عارية بدون أجرة ونقلنا

إليها الكتاب الموجود في المحلة وجعلناها مدرسة باسم المدرسة العلوية وابتدأنا بإدخال العلوم

الحديثة إليها بشكل ضعيف كما هو الشأن في ابتداء كل عمل وكذلك استأجرنا دارا لتعليم

الإناث^(١٧) إلى جانب تعليم البنين.

وبعد ذلك قام السيد محسن الأمين مع كل من الحجاج عباس رضا ويوسف بيضون وسليم

العضل والأخوين مصطفى وسليم صوان والأخوين عبد الله وحمزة الروماني بشراء وقف الدار

التي أنشأها محسن الأمين لتكون المدرسة العلوية^(١٨) انطلاقا من أن إرادة الواقف في حجة

الوقف هي إرادة محترمة وتعتبر دستورا يجب الرجوع إليه في كل صغيرة وكبيرة في شؤون الوقف

وبالرغم من تحديدها في بعض الحالات^(١٩) وهذا ما يؤمن للمدرسة الموقوفة ضمان البقاء

والاستمرار وللإمعان في حماية هذه المدرسة فقد أوقف لتأمين نفقاتها عدد من العقارات^(٢٠)

نقلت المدرسة العلوية إلى مكان آخر في نفس محلة الخراب التي أصبح اسمها فيما بعد

محلة الأمين نسبة للمجتهد محسن الأمين^(٢١) - عندما وفق الله لشراء دار ثانية هي أحسن من

الأولى بمراحل ومن أفخر دور دمشق^(٢٢) شريت بقيمة ألف وخمسمائة ليرة عثمانية ذهباً وأصلحت

بخمسمائة وهي تساوي أضعاف ذلك^(٢٣)

وبعد إنشائها تم أيضا وقفها كسالفاتها إضافة إلى وقف بعض المحسنين عقارات لتغطية

نفقاتها^(٢٤) وأصبحت تعرف باسم جمعية المدرسة المحسنية نسبة إلى مؤسسها السيد محسن

الأمين

٣- تطور المدرسة المحسنية

كانت المدرسة المحسنية عند إنشائها ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م تدرس خمسة صفوف ابتدائية فقط

حسب النظم التعليمية المعمول بها آنذاك أما الصف السادس فكان يدعى بـ الأول الثانوي ولكن

المدرسة كانت تقوم بتعليم الأيتام والفقراء على نفقتها فقد أسست جمعية لتأمين نفقاتها

والنظر في شؤونها وأموالها وأوقافها بموجب نظام خاص بها عليها التقيد به وقد رخص لهذه

الجمعية رسمياً بتاريخ ١٩٣٣/٩/٢٦ تحت رقم ٦٧٧٢^(٢١) تحت اسم جمعية المدرسة المحسنية لتعليم الذكور ومركزها دمشق الشام^(٢٢) وجدد هذا الترخيص للجمعية بموجب المرسوم التشريعي عن المدارس الخاصة^(٢٣)

استطاعت جمعية المدرسة من خلال نشاطها ودعم وزارة التربية للتعليم الخاص على اعتبار أنها مدرسة خاصة وتبرعات المحسنين وواردات الأوقاف أن تنشط وتتوسع بشكل أصبحت تضم فيه مكتبة عامة للمطالعة باسم المكتبة المحسنية ٢٧ وقسم داخلي للطلاب القادمين من خارج دمشق وفرع ليلي لتعليم الأميين ونشرة شهرية باسم صدى المحسنية ٢٨ ويصف مؤسسها السيد محسن الأمين الحالة التي أصبحت عليها المدرسة عام ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م فيقول -وقد أصبحت المدرسة اليوم حين تحرير هذه الكلمات وهو السابع من شهر شوال سنة ١٣٧٠ هـ الحادي عشر من تموز ١٩٥١ على أتم نظام وأحسن انتظام ذات صفوف ثانوية وقسم داخلي تفوق جميع مدارس دمشق التي من نوعها بحسن تنظيمها والمحافظة فيها على التحلي بأخلاق إسلامية فاضلة ونجاح طلابها في الامتحانات مائة بالمائة..

وقد كان هذا النجاح الذي حققته مسيرة الثانوية المحسنية الدافع لاتباع المذهب الجعفري وقف مدارس أخرى إضافة إلى المحسنية للذكور واليوسفية للإناث وهذه المدارس هي المحسنية للإناث وتتبع للجمعية المحسنية وتشغل عقار المدرسة العلوية التي أوقفها المجتهد محسن الأمين قبل المحسنية المعهد العربي للذكور وتتبع جمعية المعهد العربي الهاشمية وتتبع جمعية الدارالهاشمية وروضة الآداب وتتبع جمعية روضة الآداب والإسعاف الخيري وتتبع جمعية الإسعاف الخيري وزين العابدين وتتبع جمعية الفقير واليتيم^(٢٤)

٤- دراسة الوثيقتين الوقفيتين :

لقد أنشئت كلتا المدرستين العلوية^(٢٥) والمحسنية^(٢٦) بموجب وثيقتين وقفيتين سجلتا لدى محكمة دمشق الشرعية في وزارة العدلية في الجمهورية السورية وكان تاريخ الوقفية الأولى في شهر ذي الحجة ١٣٢٢ هـ شباط ١٩٠٥ م ٣٣ والثانية في ١٧ ذي الحجة ١٣٥٥ هـ الموافق ٢٧ شباط ١٩٣٧ م والوثيقتان عبارة عن صورتين طبق السجل عن الوثيقتين الأساسيتين لدى المحكمة وقد كتبنا بخط اليد ووقع على سلامة ما ورد في الوثيقة المدرسة العلوية ما سمي آنذاك بـ رئيس الكتاب في ٣ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ الموافق ١٥ تموز ١٩٣٤ م أما الوثيقة المدرسة المحسنية ٣٤ فقد وقع على سلامة ما ورد فيها ما دعي به رئيس الديوان في ١١ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ الموافق ٣٠ أيار ١٩٣٩ م وتوجد هاتان الوثيقتان إضافة إلى باقي الوقفيات وكل الأوراق الثبوتية التي تتعلق بهاتين المدرستين لدى الهيئة الإدارية لجمعية الثانوية المحسنية.

١- وصف الوثيقتين :

نتيجة لتشابه عناصر وصيغة الوثيقتين للمدرستين العلوية والمحسنية فقد تمت دراسة الوثيقتين معا دون اللجوء لدراسة تفصيلية لكل واحدة منها على حدة .

تتألف كل من الوثيقتين الأولى والثانية من ورقتين قياس ٤٢ سم × ٣٠ سم وتتألف الوثيقة الأولى من ٢٨ سطرا أما الوثيقة الثانية فتحتوي ٤٤ سطرا مزيلة على اليمين واليسار بخط صغير كما يلي :

أساسي	ضبط	صحيفة	سجل	عدد
٣٢٤	٩٣	١٤٢	١٧	٢٤٦

«أخرجت هذه الصورة من سجلها المحفوظ بناء على طلب السيد عباس ابن محمد مرتضى باستدعائه المؤرخ ٢٤ ١٩٣٩٩ المحفوظ وعليه صدقت بأنها طبق الأصل. وعلى يمين الورقة الأولى في الأسفل كتب :

«إن الأصل كان قد أعفي من الرسم بالاستناد إلى المرسوم الجمهوري رقم ١٤١٦٩/١٠/١٩٣٦ المدون بالنشرة الرسمية عدد ٤٤ صحيفة ٥٣٧ وعليه استوفى الآن الربع الخارج عن هذه الصورة.. وهنا يوجد عدد من الأختام للمحكمة الشرعية على كل ورقة من الوثيقتين لتأكيد صحة الصورة أيضا يوجد على الورقة الأولى للوثيقة الثانية حاشية للرئيس الديوان تثبت صحة الصورة المنقولة عن الأصل مع التاريخ والتوقيع وفي أعلى الوثيقة يوجد ثلاث طوابع عليها ختم المحكمة الشرعية وتوقيع رئيس المحكمة بينما الوثيقة الأولى لا تتضمن سوى توقيع رئيس الديوان ورئيس الكتاب والأختام

ب- عناصر الوثيقتين :

ورد في الوثيقة الأولى اسم القاضي وتوقيعه - الافتتاحية - افتتحت هذه الوثيقة ب الحمد لله تعالى - التعريف بالواقف - إثبات ملكية منفعة العين المنشأ للوقف - موضوع التصرف الوقف - الموقوف - أقسامه - وحدوده الأربعة - إثبات صحة التصرف وتأيبده وتخليده - شروط الواقف - النظر على الوقف وصلاحيات الناظر - تسليم الوقف للتسجيل - تولي الواقف - نظارة الوقف - إتمام إجراءات الوقف وإثبات صحته .

لقد حكمت كلتا الوثيقتين بلزوم التبرع ولكن لم تشترط لوجود الالتزام وتحقيقه توافق إرادتين كما يقول الفقهاء بالتعريف الخاص^(٢٢) بل أنشأت بإرادة واحدة أي تبعا للتعريف العام للعقد^(٢٣) لأن وقف المدرستين هو تصرف يترتب عليه الالتزام تجاه أتباع المذهب الجعفري . أخرج الواقفون المذكورون وقضهم عن ملكهم وأبانود عن حيازتهم وجعلوه وقفا لأن يكون كل منهما مدرسة لتعليم الذكور من طائفة الشيعة الجعفرية

ت- الواقف :

لقد تحقق في كل من الوثيقتين الوقفيتين سلامة الواقف من حيث البلوغ والعقل والحرية وعدم السفه والغفلة وهذا ما كان واضحا في الوثيقة الأولى عندما ذكرت الحمد لله تعالى بمجلس الشريعة الغراء بدمشق الشام المحروسة أجله تعالى لدى الحاكم الشرعي الواضح خطه وختمه في أعلاه حضر السيد محسن أفندي بن السيد عبد الكريم أفندي بن علي أمين المعروف



الذات وأشهد على نفسه الأشهاد الشرعي في صحة منه وسلامة وطوعية واختيار من غير اكراه ولا إجبار وجواز الأمر الشرعي انه يوم تاريخه وفق ثم تتابع الوثيقة ذكر باقي الواقفين للعقار .

أيضا الوثيقة الثانية أوردت أسماء الواقفين وأكدت سلامتهم العقلية بالقول : مجلس الشريعة الفراء المنعقد لدى صاحب السماحة السيد عبد المحسن أفندي السطواني بن القاضي بدمشق الشام حالا دام فضله وزيد في علاء حضر كل من الحاج رضا بن الحاج علي بن أبي طائب النحاس والحاج مهدي بن الحاج حسن بن محمد علي اللحام والحاج حسن بن الحاج محمد علي بن سعيد الحلباوي والأخوين وهما الحاج كامل والحاج محمد علي ولدا محمد بن حسن نظام المكلفين السوريين المعروفين جميعا بتعريف كل من سعيد أفندي بن محمد بن صادق الخياط وسعيد أفندي بن علي بن مهدي شعبان جميعهم من سكان محلة الخراب بدمشق ومن شيعة الجمهورية العربية السورية التعريف الشرعي وأشهد على أنفسهم الحاضرون المرموقون الأشهاد الشرعي وهم بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعا من سلامة العقل وصحة الجسم وجواز التصرفات الشرعية طائعين مختارين قائلين أنا وقضنا^(٣٧)

ث- إثبات صحة التصرف :

يصبح الوقف عند معظم الفقهاء بالقول والفعل الدال عليه والفاطر الوقف ستة وهي

ألفاظ صريحة : وقفت. حبست. سبلت وإذا ما وردت واحدة من هذه الثلاثة وقفا من غير انضمام أمر زائد وألفاظ كناية وهي حرمت، أبدت، تصدقت^(٣٨) والوثيقتين تضمنتا الصيغة الدالة على صحة التعريف وتأكيده وتأكيده وتخليده كصدقة جارية عندما ذكر «.....قائلين أننا وقفنا وحبسنا وخلدنا تقربا إلى الله العظيم وطلبا لثوابه ما هو جار بملكننا عن الحاضرون^(٣٩) جميع الدار الكائنة في محلة الخراب وقفنا صحيحا شرعيا وحبسنا مؤبدا مرعيا لا يباع ولا يوهب ولا ينقل إلى ملك أحد من الناس وهكذا يجري ذلك أبد الأبدين ودهر الدهرين إلى أن يرث الله الأرض وما عليها^(٤٠)

ج- إثبات ملكية منفعة العين للمنشئ :

تضمنت الوثيقة الأولى والثانية الصيغة الدالة على إثبات ملكية المنفعة العين للمنشئ ففي الوثيقة الأولى «... أبد وحبس وخلد ما هو جار في ملكه وطلق تصرفه وحيازة يده ومنتقل إليه بالشراء الشرعي بموجب سند الطابو المؤرخ في شهر نيسان سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف حياله التي غرته تسعة وخمسين الانتقال الشرعي بالطريق المرقوم وذلك جميع الدار الكائنة باطن دمشق الشام بمحلة القيمرية بالخراب بزقاق الشرفاء....^(٤١)

وفي الوثيقة الثانية نجد أن ملكية الواقفين وعددهم ثلاثة كانت «..... لجميع الدار الكائنة في محلة الخراب الموصوفة في المحضر ذي الرقم ٢٨١ بموجب الثلاث سنوات التملك المؤرخة ١٠/١١/١٩٣٦ المشعرة بتملك كل واحد منا الثلث ثمانية قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطا من مجموع الدار بحقوق ذلك كله وتوابعه ولواحقه ومرفقاته وطرائقه وما يعرف به وما يعزى إليه من الجوانب والجهات وما هو جار بملكننا عن الحاضران الرابع والخامس كامل ومحمد علي و تحت تصرفنا مناصفة بيننا جميع الدار الكائنة تابع المذكور الموصوفة بالمحضر ذي الرقم ٤١٣ الجارية بملكننا بموجب سندي التملك المؤرخين في ثاني أيلول سنة ١٩٣٦ م بحقوقها ومرافقها وما تعرف به وما يعزى إليها من جميع الجوانب والجهات^(٤٢)

ح- موضوع التصرف - الوقف - أقسامه وحدوده الأربعة :

الحبس هو حبس العين على ملك الواقفين والتصدق بالمنفعة أو حبس العين على ملك الله سبحانه وتعالى على وجه يعود نفعه للعباد لما فيه إدامة العمل الصالح والتقرب إلى الله عز وجل^(٤٣)

الوقف هو حبس العين على ملك الواقفين وقد ورد لفظ الدال على الوقف بالفعل الماضي - وقف- بصيغة تحرير موضوع على النحو التالي ذكره «..... وقف وأبد وحبس وخلد ما هو جار في ملكه^(٤٤)

خ- الموقوف وأقسامه وحدوده :

اشتراط الحنفية أن تكون العين الموقوفة صالحة للبقاء لذا قرروا أن الأصل في الوقف أن

يكون عقارا والعقار في نظر الفقهاء هو الأرض^(٩٥) وأكثر الفقهاء يرون أن الوقف يصح أن يكون من العقار ومن المنقولات ما دام يمكن الانتفاع بالعين مع بقاء أصلها وفي الوثيقة الأولى^(٩٦) قد ورد وصفا كاملا لمشمولات العين الموقوفة وحدودها «..... وذلك جميع الدار الكائنة.... المشتملة على ساحة سماوية ومساكن ومنافع شرعية المحدودة القبلة دار الوقف سيدنا الحسين وتام دار نسيم بن شمعون عباره وشرقا دار مايير بن عذرا بن مايير هوارى وشمالا دار حسين بن محمد علي بن جواد اللحام وتامه دار وقف بني السفطي وغربا الدخلة وفيها الباب بحق ذلك كله المعلوم ذلك.....».

أما الوثيقة الثانية فلم يرد فيها هذا التفصيل في الدار وحدوده إنما ذكر الموقع ورقم المحضر الذي وضعت به «..... إننا قد وقفنا جميع الدار الكائنة في محلة الخراب الموصوفة بالمحضر ذي الرقم ٢٨١ بموجب الثلاث سنوات التملك المؤرخة في ١٠ / ١٩٣٦ وجميع الدار الكائنة تابع المذبور الموصوفة في المحضر ذي الرقم ٤١٣ الجارية بملكتنا»^(٩٧).

د- الاستحقاق في الوقف :

من المتفق عليه بين الفقهاء أجمعين إذا استثنينا فقيه العراق الأول الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه لزوم الوقف على جهات البر والميزان الفاصل بين جهة البر وغيرها أن من جهة البر هي التي يكون الوقف عليها من جنس القربات التي قرررها كالوقف على المساجد والوقف على المصحات ودور العلاج وعلى اليتيم وغير ذلك^(٩٨) لذلك نجد أن الواقفين في كل من الوثيقتين الوقفتين للمدرستين العلوية والحسنية قد اشترطا أن يكون الوقف لتعليم الذكور من أتباع المذهب الجعفري «... وجعله مدرسة لتعليم العلوم الدينية وتعليم القرآن الكريم والتجويد وتعليم سائر العلوم واللغات وغير ذلك من العلوم وكل ما لدينا من المصالح والمنافع الخيرية كالصلاة جماعة وفردا وسكن كل من يقوم بوظيفة التعليم والإرشاد وغير ذلك من ذكر وعند تعذر جعله مدرسة فيكون لباقي المصالح والمنافع الخيرية وإن أمكن العود عاد وعند عدم إمكان ما ذكر من عموم المنافع الخيرية والأمور الدينية عاد ذلك وقفا صحيحا على الفقراء من أمة محمد عليه أفضل الصلاة»^(٩٩).

بينما نجد أن وقضية المدرسة الحسنية (الوثيقة ٢) تؤكد إن تعذر أن تكون مدرسة لتعليم الذكور فإنه «..... يصرف ريعها على مدرسة الإناث للطائفة المذكورة في سوريا ولبنان وإذا السكن عودها مدرسة عاد وقفها مدرسة الوجه المتقدم وهكذا يجري ذلك إلى الأبد الأبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.....»^(١٠٠).

ذ- شروط الوقف

الواقف في وقفه حر مختار فالوقف قربه اختيارية فيمن يشاء وبالطريقة التي يختارها والشروط الواردة في الوثيقة تعتبر دستور الوقف^(١٠١).

وشروط الوقف التي يشترطها وقفه هي التي تنظم الوقف ما لم يرد نهى من الشارع عنها

والوقفيتين هنا حددنا الجهة التي يقع عليها الانتفاع من الوقف والنظر على الوقف وصلاحيات الناظر .

ز- الناظر على الوقف

النظارة على الوقف عدالة وكفائية وناظر الوقف أمين على ما تحت يديه من أموال الوقف ووظيفته حفظ الأصل والعمارة والأجاره وتحصيل الربيع وتنميته وقسمته على أربابه^(٢٢٢) .
والواقف هو أقرب الناس إلى الوقف وأولى الناس بولايته واحضهم بإدارته وحمايته^(٢٢٣) .
وهي الوثيقتين قد اشترط ان يكون العلامة محسن الأمين هو الناظر على الوقف ففي الوثيقة الأولى^(٢٢٤) :

... وشرط الواقف اتابه الله جزاء عمله شروطاً أكد الحث عليها وجعل المرجع والمصير إليها من أمر النظر والولاية على الوقف المرقوم لنفسه مدة حياته ثم من بعد وفاته فعلى كل من الحاج يوسف بن الحاج محمد بن الحاج يوسف بيضون والحاج عبد الله والحاج حمزة وندا الحاج عباس بن الحاج علي رضا ومن بعده كل منهم فعلى الآخر ومن بعدهم جميعاً فلمن يكن عالم عاداً معلماً مرشداً من أهل الخراب بدمشق الشام فإن لم يوجد فلعدول المؤمنين القاطنين في المحلة المرقومة فإن لم يجد فلراي الحاكم الشرعي بدمشق الشام ومنها جعل شريكاً معه بأمر الولاية على الوقف المرقوم على أن يتم أمر الحكم والتسجيل^(٢٢٥) .

بينما في الوثيقة الثانية أصبح الناظر على الوقف بعد السيد محسن الأمين.

... لجمعية المدرسة المحسنية للذكور العلوية الإسلامية سابقاً القائمة بسنن المدرسة المذكورة المنتخبة من قبل الطائفة المذكورة بدمشق الشام حسب قانونها المعترف به من قبل وزارة الداخلية رقم ٦٧٧٢ بتاريخ ١٩٣٦/٩/٢٦ م وعند عدم وجود المدرسة المذكورة لعدم وجود الجمعية يكون الناظر لعدول المؤمنين من الطائفة يجري انتخابهم من الطائفة المذكورة بدمشق ضيق قانون انتخاب جمعية المدرسة المشار إليها^(٢٢٦)

لقد أعطت الوثيقة الثانية الناظر صلاحيات اضافية عن ما وجد في الوثيقة الأولى حيث

ذكرت

... إذا أراد الناظر أن يخرج منها دكاناً أو خلافه بحيث لا يضر بالمدرسة ولا يخرجها عما وقفت لأجله يكون المخرج منها وقفاً عليها يصرف ريعه على المدرسة فله ذلك لأحد المداخل مع الناظر بإرادة الوقف المذكور ولا تغير عما عينه الواقفون بوجه من الوجود^(٢٢٧) .

ز- تسليم الوقف للتسجيل

لقد حددت الوثيقتان الصفة الدالة على تسليم الوقف لمتول شرعي لإتمام التسجيل كشرط لصحة تنفيذ التصرف ... وسلم الواقف المرقوم وقفه هذا إلى الحاج عبد الله بن الحاج مصطفى بن الحاج علي دروان الحاضر بهذا المجلس بعد أن جعله شريكاً معه بأمر الولاية على الوقف المرقوم إلى أن يتم أمر الحكم والتسجيل فتسلمه منه^(٢٢٨)



بينما نجد في الوثيقة الثانية^(١٠) قد ذكر « ... وأخرج الواقفون المذكورون وقمهم عن حيازتهم وأبأنوه عن ملكهم وجعلوه وقفا صحيحا ... »

س- تولي الواقف نظارة الوقف

لقد وضع الواقف يد نظره على العين ورفع ملكه عنها بعد إتمام إجراءات التسجيل والصيغة الآتية توضيحا لذلك :

« ... ووضع يد الولاية نفسه على الوقف المرقوم وجرى ذلك بعد أن صار الاستلام رسميا عن الدار المرقومة ... »^(١١) ولا تختلف الصيغة في الوثيقة الثانية عما ورد في الوثيقة الأولى من حيث تولي الواقف لنظارة الوقف.

ش- إتمام إجراءات الوقف وإثبات صحته

لقد تمت إجراءات الوقف وأصبحت صحيحة نافذة بعد تسليم الوقف للتسجيل وتولي الواقف نظارة الوقف كما يتضح ذلك في الفقرة الآتية:

ولما تم أمر هذا الوقف وكمل نظامه ولزمت شروطه واستقرت أحكامه أراد الواقف الرجوع عن هذا الوقف ورده إلى ملكه كما كان قبل الوقف متعللاً بعدم اللزوم عند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان عليه الرحمة والرضوان لكونه قبل الحكم والتسجيل وكون التولية على النفس فعارضه الشريك في ذلك متمسكا بصحة هذا الوقف المرقوم وشروطه...^(٢٢١)

ص- التاريخ

التاريخ جزأ هام من أجزاء الوثيقة وعلامة هامة من علامات الصحة والإثبات لتحديد زمن التعرف وقد ورد التاريخ الهجري في الوثيقتين والميلادي في الوثيقة الثانية فقط في الأولى يذكر... حرر في اليوم السادس من شهر محرم الحرام سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف هجرية،^(٢٢٢) وفي الوثيقة الثانية ذكر^(٢٢٣)... حرر ذلك وجرى في سابع عشر من ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة والف هجرية الموافق / ٢٨ شباط ١٩٣٧ ميلادي.

ض- التوثيق الرسمي

وفيه ذكر المكان الذي يمكن العودة إليه لإثبات صحة الوثيقة رسمياً في محكمة دمشق الشرعية في وزارة العدلية في الجمهورية السورية وكان كالتالي :

أساسي	ضبط	صحيفة	سجل	صحيفة	عدد
٣٢٤	٩٣	١٤٢	١٧	٨١	٢٤٦

ولكن هذا التفصيل يوجد فقط في الوثيقة الثانية أما الوثيقة الأولى فلا تحوي أي توثيق يدل على مكان وجودها لدى محكمة دمشق الشرعية سوى الترويسة التي على يمين الورقة الأولى وهي كالتالي

الجمهورية العربية السورية

وزارة العدلية

محكمة دمشق الشرعية

عدد

ط- الحاشية

لا تحتوي الوثيقتان الأصليتان على حاشية بينما الوثيقة الثانية فإنها تحوي حاشية تثبت أنها صورة طبق السجل وقد ورد فيها ويخط صغير

أساس وقفيات سجل

٦

٦

لدى التدقيق ظهر أن كتاب الوقف هذا المسجل في سجل المحكمة الشرعية في دمشق الخالي من شائتي التصنيع والتزوير ومصدق عليه بخاتمها ويتوقيع سماحة القاضي الشيخ عبد المحسن أفندي الأسطواني لذلك وعملاً بالقرار ذي الرقم ٢٧٥ الصادر ٦ نيسان ١٩٢٢ عن رئيس الاتحاد



السوري الذي يخول محكمة التمييز تصديق مثل هذه الحجج المصدقة فأجمعت الآراء ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦، ١٥ تموز سنة ١٩٣٧ على تصديقه وإعادته إلى سماحة القاضي المشار إليه ليعيده إلى مبررد بعد الإشارة على قيده في السجل المحفوظ ٧ ف و ١٥/

محكمة التمييز طبق الأصل

الرئيس رئيس الديوان

توقيع

هـ- مقارنة الوثيقتين

تشابه الوثيقتين من حيث أسلوب الكتابة واللغة فالوثيقتان مكتوبتان بخط عادي مقروء من خطوط القرن العشرين الذي يمتاز بالبساطة والبعد عن التعقيد أيضا تشابهت الوثيقتان في طريقة كتابتهما حسب ما كان منتشرا في تلك المرحلة حيث لا يوجد بين السطور الوثيقتين نقصا أو فواصل بين العبارات والسطور متوالية والمواضيع متلاحقة دون وقفة أو فواصل وبما أن الوثيقتين هما عبارة عن صورة فلا يمكن تمييز لون الحبر لمعرفة الفرق بين لون الحبر في الوثيقتين أيضا تشابه الوثيقتان من حيث أسلوب الكتابة واللغة فالوثيقتان كتبتا في الثلث الأول من القرن العشرين بالرغم من أن الأولى كتبت في المرحلة العثمانية والثانية أثناء الانتداب الفرنسي على سورية أيضا الوثيقتان ختمتا بأختام المحكمة الشرعية الذي صدرت منها مع التاريخ وتوقيع ما دعي برئيس الكتاب على الأولى ورئيس الديوان على الثانية تثبيتا على صحة ما ورد في الوثيقتين لأنهما صورة طبق السجل عن الأصل ولكن الوثيقة الثانية تحوي مكان

وجود أصل الوثيقة في سجلاتها في المحكمة الشرعية أما الوثيقة الأولى فلا تحوي أي تفصيل عن مكان وجود الأصل سوى ختم المحكمة الشرعية

أيضا هناك تشابه في الوثيقتين من حيث العناصر وسردها ما عدا ما يتعلق بالمحضر الموقف ففي الوثيقة الأولى هناك وصف للعقار وحدوده أما الوثيقة الثانية فقد أشير لرقم العقار فقط من خلال هاتين الوثيقتين فقد تحقق حبس عقارين بشكل لا يستطيع أحد أن يتصرف بهما لا بالبيع ولا الرهن ولا الهبة ولا النقل بالبركات لتصرف منفعتها لجهات البر والخير ذلك التبر الذي ترجم بوقف عقارين ليكونا في النهاية مدرسة أصبحت نموذجا يحتذى لإنشاء عدد من المدارس على نفس النهج إضافة إلى ذلك أن الثانوية المحسنية هي من المباني الأثرية في مدينة دمشق القديمة في محافظة دمشق وهذا ما يزيد من أهميتها ويستوجب دراستها عمراذيا

٦- ملكية ومخطط العقار ٢٨١-٤١٣ :

لم تذكر الوثيقة الثانية أوصاف العقار ٢٨١ والعقار ٤١٣ الذي أوقف لتأسيس المدرسة المحسنية وبالعودة إلى الصحيفة العقارية^(٦٦) ومطابقتها للمخطط الذي وضعته أمانة المساحة والتحسين الزراعي في ٢٢ أيلول ١٩٣٦ م^(٦٧) تبين أن ملكية العقار المدرسة المحسنية قبل شرائها ووقفها كانت ما يلي :

العقار المشار إليه بحرف H باسم الحاج مهدي بن محمد الحلباوي والعقار المشار إليه بحرف K باسم عزت بيك وبديري بك ولدي زبو ؛ بك العظم مناصفة بينهما والعقار المشار إليه بحرف A باعتبار ثلاثمائة وأثنى عشر سهما منها مائة وستة وخمسون سهما باسم فاطمة بنت أحمد الصباغ ومائة وخمسة وثلاثون سهما باسم آل الخير ولدي حامد نويلاتي والعقار المشار إليه بحرف C باسم عارف محمد الحلاق وسليم بن الياس الصالحاني مناصفة بينهما بموجب قرار اللجنة الثانية المؤرخ في ١٣ كانون الأول ١٩٣٦ م رقم ٤١٧ وعليه حرر في ٢٣/٥/١٩٣٢ م

أ- مخطط البناء وموارده :

H - وهي الدار الأولى وبنائها من حجر ولبن وتحتوي على طابقين

١- الطابق الأرضي - يحتوي على أربع غرف للسكن ومطبخ وفسحة سماوية وإيوان وبحرة ماء ودرج وحمام

٢- الطابق الأوسط H - يحتوي على ثلاث غرف للسكن وممشى ومشرقة

B - LIB - الدار الثانية : وتتألف من درج حجر عائد للأقسام LI وغرفة للسكن

وممشى ومطبخ L خمس غرف سكن ومشرقة كبيرة J سطح دكان

C.K - الدار الثالثة : وتحتوي على عشرة غرف للسكن وصوفاة^(٦٧) كبيرة ومطبخ وغرفة

صغيرة وغرفة للمؤن ومخزن حطب وثلاثة فسحات سماوية وأربع بحرات ماء K يحتوي على

سبع غرف للسكن وصوفتين ودرجتين D دكان . E دكان.

وبموجب محضر العقد المؤرخ في ٢/٩/١٩٣٩م رقم /٢٣٩٧/ أفرز هذا العقار إلى قسمين أخذ الأول منهما الرقم /٤١٣/ ^(٣٨) وبقي الثاني رقم /٢٨١/ قسم /٣/ وأدلت الأحرف الباقية بأرقام وأصبحت أوصاف العقار كما تبين في بيان الأعمال الفنية كما يلي :

عقار مؤلف من خمسة أقسام ذات حق ركوب :

- القسم الأول يشير إليه رقم /١/ وهو عبارة عن الدار المرموز إليها بحرف HA في هذه الصحيفة

- القسم الثاني رقم /٢/ وهو عبارة عن الدار المرموز إليها بحرف ١٤١٣ في هذه الصحيفة

- القسم الثالث رقم /٣/ وهو عبارة عن دار للسكن بناؤها من حجر وخشب وتراب مؤلفة من طابق سفلي وطابق أول الطابق السفلي يحتوي على مدخل وتسعة غرف وإيوان ومطبخ وبيت خلاء وخمسة بحرات وفسحتين سماويتين وأربعة أدراج الدرج الأول من حجر ينزل بواسطته إلى قبوين أرضيين والدرج الثاني من خشب يؤدي إلى سقيفة والدرج الثالث والرابع يؤديان من وإلى الطابق الأول الذي يحتوي على سبع غرف وصوفه وممشى وبيت خلاء وحمام وسقيفة ودرج خشب يؤدي إلى السطح عقد ١٩٥٩/٦٢٦م

- القسم الرابع رقم /٢/ وهو عبارة عن المخزن المرموز إليه بحرف A في هذه الصحيفة

- القسم الخامس رقم /٥/ وهو عبارة عن الدكان المرموز إليها بحرف E في السجل العقاري

ب- التطورات التي حصلت للعقارين الموقوفين ^(٣٩) :

بموجب محضر العقد المؤرخ ٣/٣/١٩٥٩م رقم /٦٢٦/ لقد وُحِدَت الأقسام ١ و ٢ و ٣ من العقار رقم /٤١٣/ و /٢٨١/ قسم ٢ و ٣ لتوحيدهم مع القسم ١ من العقار رقم /٢٨١/ وأصبح هذا العقار مؤلف من ثلاثة أقسام ذات حق ركوب ^(٤٠)

وأيضاً بموجب العقد رقم /٣٦٥٣/ تاريخ ١٥/١٠/١٩٦٣ م وقرار من السجل العقاري رقم ١ تاريخ ٤/١/١٩٦٤م وُحِدَ القسم ٢ من العقار رقم /٤١٩/ من القسم ١ من العقار رقم /٢٨١/ وبنتيجة ذلك صار توحيد العقارين رقمي /٤١٩/ و /٢٨١/ وصححت الأوصاف وأصبح هذا العقار مؤلفاً من أربعة أقسام ذات الأقسام ركوب أشير إليها بالأرقام ١ و ٤ و ٥ و ٦ ^(٤١) وفي النهاية وضع ملخص لكل ما مضى بالصحيفة العقارية مفاده أن كامل الأقسام ١ و ٢ و ٣ من العقار ٢٨١ وكامل العقار ٤١٣ عبارة عن مدرسة للذكور المحسنية بناؤها من حجر واسمنت مسلح ولبن وخشب مؤلف من ثلاثة طوابق أرضي ووسطى بين الأرضي والأول وأول ولها أربعة أبواب على الطريق ^(٤٢)

الخاتمة

نالت الثانوية المحسنية شهرة كبيرة في دمشق منذ نشأتها واستقطبت أعداداً كبيرة من الطلاب في كل المراحل الدراسية - ابتدائي - إعدادي - ثانوي - وبالرغم من أنها أنشأت كوقف من

أجل تدريس الذكور من أتباع المذهب الجعفري إلا أنها في حقيقتها كانت مؤسسة تعليمية تربوية استقطبت أتباع كل المذاهب الإسلامية وحتى المسيحية - لمن لديه الرغبة لتلقي العلم فيها - من طلاب وأساتذة على مدى القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر^(٣٧) وهي تستقطب طلابها من كل أنحاء مدينة دمشق وضواحيها^(٣٨) ولدى العديد من أبناء المدينة الرغبة بالانتماء إلى هذه المدرسة بسبب ما تقدمه من اهتمام تربوي وتعليمي لتنشئ طلابها تنشئة صحيحة عدا التزامها بالمحافظة على هوية الطالب الوطنية والقومية وهذا التوجه الذي ما تزال ملتزمة به حتى الآن قد حدد في أحد بيانات الجمعية المحسنة الذي جاء فيه « تعلن أنها كانت وما تزال تضع نصب عينيها تحقيق الأهداف الرئيسية التالية » :

١- الناحية الدينية والخلقية

٢- الناحية العلمية لتخرج طلابا عمليين مزودين بأكبر نصيب من المعرفة

٣- الناحية القومية لتنشئ طلابا على محبة أمتهم وبلادهم

٤- التوجه إلى الروح العلمية بعيدة عن المؤتمرات الحزبية أو السياسية

٥- مساعدة الطلاب الفقراء والأيتام^(٣٩)

وبالرغم من أن هذه المدرسة قد أنشئت على أسس نظام الجمعية الوقفية إلا أنها من أوائل المدارس الخاصة في دمشق التي أنشأت كمؤسسة تربوية تعليمية تعلم العلوم الحديثة من لغات أجنبية وجغرافيا وتاريخ ورياضيات الخ

الحواشي:

(١) إبراهيم البيومي غانم : نحو إحياء دور الوقف في التنمية المستقبلية، مجلة المستقبل العربي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية بيروت عدد ٢٣٠ أيلول ١٩٩٨ ص ٩٧ سيشار إليه عند وروده فيما بعد ، غانم نحو إحياء دور الوقف .

(٢) للمزيد غانم نحو إحياء دور الوقف ص ١١٢

(٣) عن الوقف في العهد العثماني الأخير يمكن الرجوع إلى محمد كرد علي خطط الشام ٦ أجزاء، جزء ٥ ١٩٧٠ ص ٢٢٠-١١٣

(٤) فاضل مهدي بيات : دراسات تاريخية للعرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية

الطبعة الأولى دار المدار الإسلامي بيروت ٢٠٠٣ ص ٣٢٣ و٣٣٣ وسيشار إليه عند ورود فيما بعد البيان الدراسات

(٥) وهي المدارس التي تقابل المدارس المتوسطة الحالية وأول مدرسة تقابل اسم الرشدية أقيمت في اسطنبول سنة ١٨٣٨

في عهد السلطان محمود الثاني عندما أقدمت الدولة على إصلاح مدارس الصبية وفي عام ١٨٤٥ اعتبرت مدارس

الرشدية من النوع المتوسط وتقوم بتأهيل الطلاب للالتحاق بدار الفنون أي الجامعة وثبت بذلك مكانها في داخل

النظام التعليمي الثاني للمزيد عن التحليم في الدولة العثمانية وفي الولايات العربية العثمانية أكمل الدين أوغلي

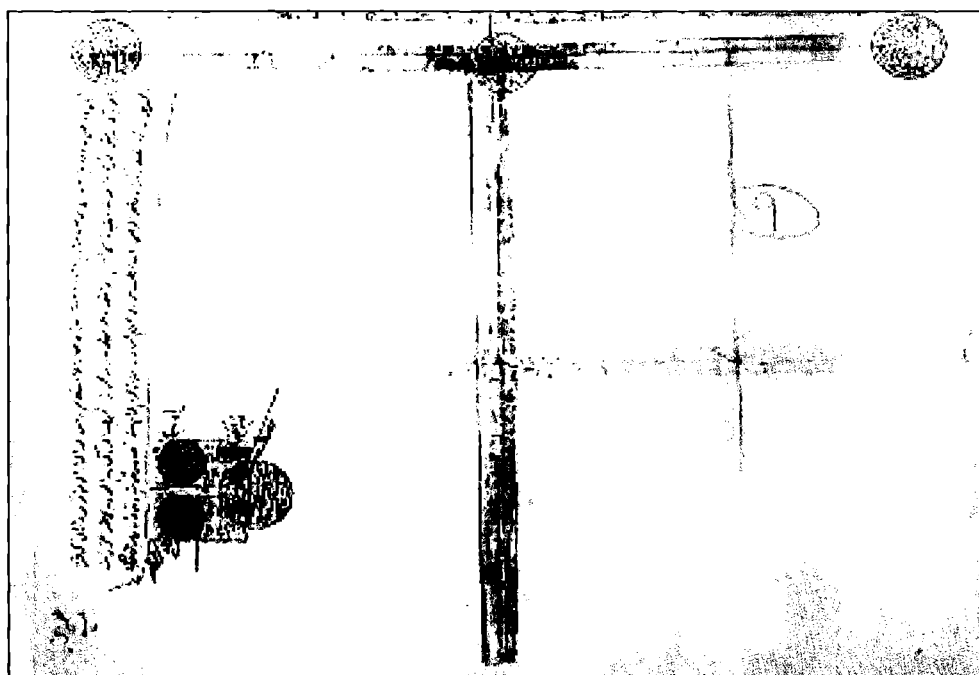
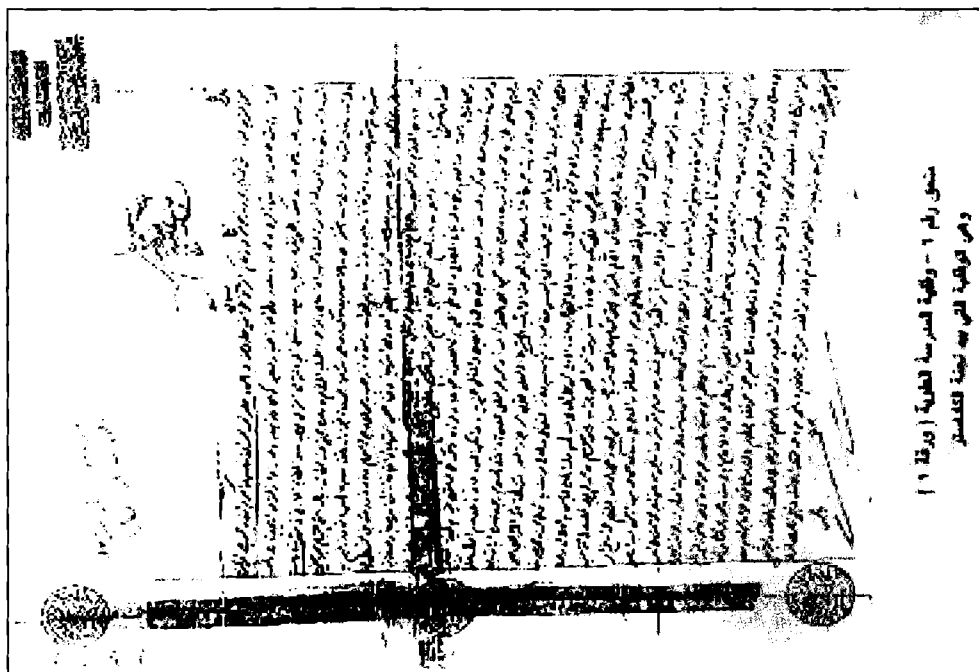
الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ٣ مجلدات ترجمة صلاح سعادوي منظمة المؤتمر الإسلامي باسطنبول استانبول

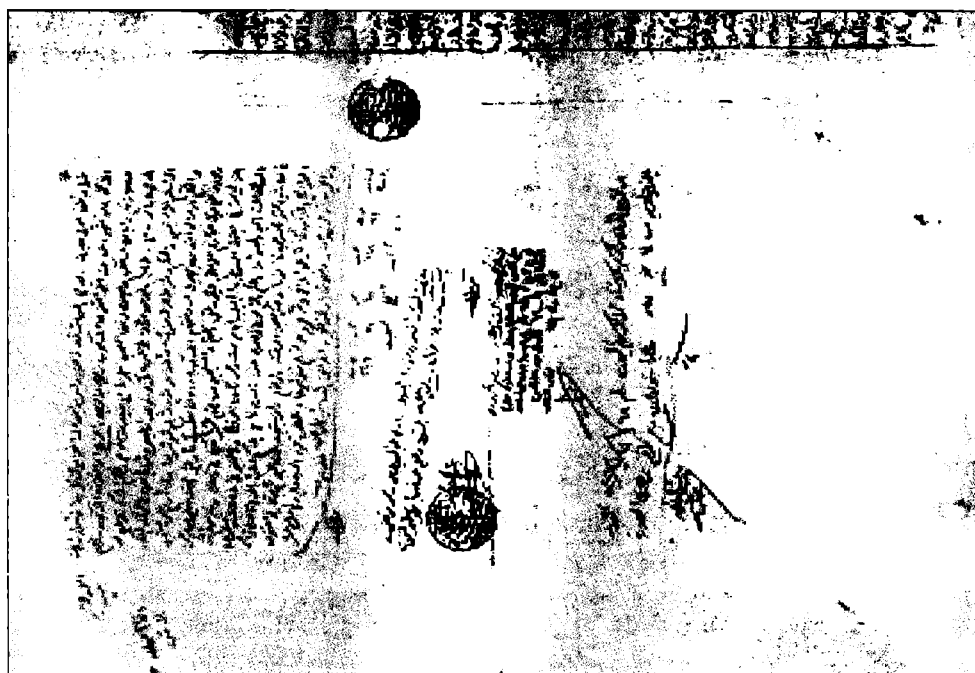
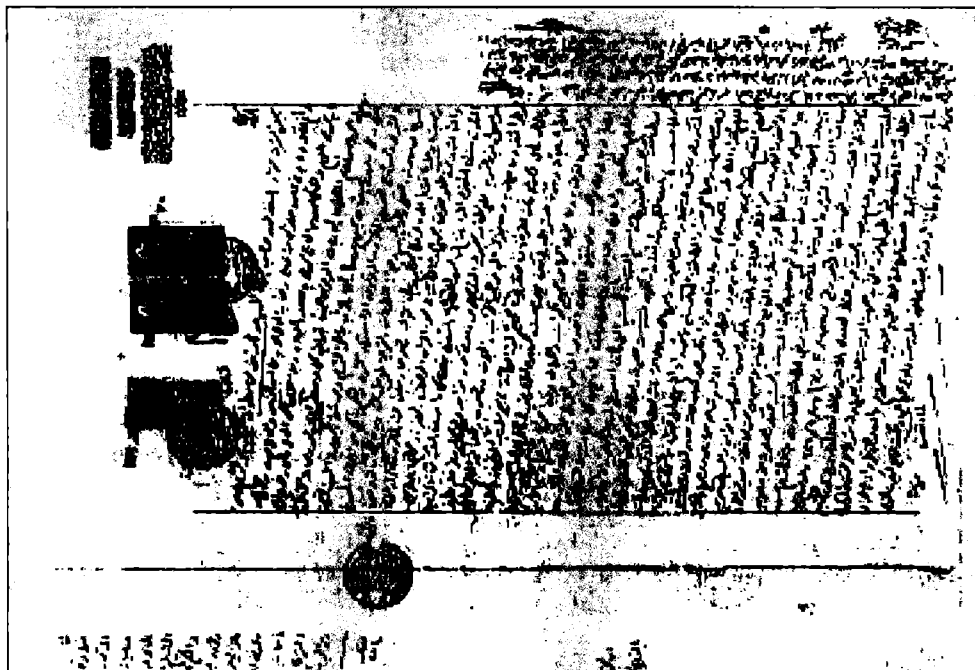
١٩٩٩ المجلد الثاني ص ٥٣٥-٥٣٩ سيشار إليه عند وروده فيما بعد أوغلي الدولة العثمانية أيضا البيات دراسات

- (٦) لم تنحصر الإصلاحات والتنظيمات العسكرية التي بدأت في عهد السلطان مصطفى الثالث ١١٧٠-١١٨٧ هـ ١٧٥٧ - ١٧٧٤ م بشؤون الجيش فقط بل تعددت ذلك إلى شؤون التعليم بوجه عام. ساطع الحصري البلاد العربية والدولة العثمانية طبعة ثالثة بيروت ١٩٥٦ م ص ص ٧٦-٨٦ سيشار إليه عند وروده فيما بعد الحصري البلاد العربية
- (٧) نعمان القساطلي الروضة الغناء في دمشق الضيحاء الطبعة الثانية دار الراشد العربي بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ ص ١١٨ عن التعليم والبعثات التبشيرية محمد عبد الرؤوف سليم متصرفه جبل لبنان عدد من المؤلفين الأزمة اللبنانية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٨٧ م ص ١٥٤ .
- (٨) للمزيد مسعود ضاهر الدولة والمجتمع في المشرق العربي ١٨٤٠-١٩٩٠ م ص ٣٧ هامش ١٤ .
- (٩) أوغلي الدولة العثمانية ص ٥٢٧
- (١٠) لأخذ فكرة عن طريقة التدريس في هذه المدارس التي درس بها نخبة من معاصري ذلك المرحلة يمكن العودة إلى خيرية قاسمية حياة دمشق الاجتماعية كما صرورها المعاصرون في أواخر العهد العثماني مطبعة الداودي دمشق ٢٠٠٠ م ص ص ٥٢-٧٩
- (١١) محمد توفيق فتوح سياسة التعليم في سوريا منذ العهد العثماني حتى العهد العاصر رسالة حقوقية بإشراف الدكتور فؤاد شباط من كلية الحقوق جامعة دمشق ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣ م ص ١٢
- (١٢) ساطع الحصري حولية الثقافة العربية السنة الأولى ١٩٤٨-١٩٤٩ م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر جامعة الدول العربية القاهرة ١٧٦٩ هـ ١٩٤٩ م ص ص ٧٨ ٨٧ .
- (١٣) هو محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي فقيه أصولي مجتهد متكلم مؤرخ أديب ولد بشقراء من قرى جبل عامل لبنان وقرأ في مدارسه ثم هاجر إلى العراق لطلب العلم وتوطن في النجف وفيها اتم علم الأصول حتى بلغ رتبة الاجتهاد والفتوى ثم قدم دمشق فسكنها وانشأ فيها المدرسة الحسينية للذكور والمدرسة اليوسفية للإناث بمساعدة أهل البر والإحسان ورحل على الحجاز ومصر وإيران وانتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق وتوفي في بيروت في ٥ رجب ودفن بقرية الست من أعمال دمشق ألف في أنواع من العلوم ما يزيد على مائة وعشرين مجلدا ترجمت لحياته العديد من المجلات والصحف والمؤلفات محسن الأمين أعيان الشيعة حققه وأخرجه حسن الأمين ١٠ مجلدات منشورات دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ج ١٠ ص ص ٣٣٣-٤٤٦ سيشار إليه عند وروده الأمين أعيان. عمر رضا كحالة معجم المؤلفين اعتنى به وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ٤ أجزاء الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م ج ٣ ص ١٩ وقد ترجمت سيرة حياة المؤلف كما وردت في أعيان الشيعة إلى اللغة الفرنسية.
- (١٤) الأمين أعيان الشيعة ج ١٠ ص ٣٦١
- (١٥) المرجع السابق ج ١٠ ص ٣٦٢
- (١٦) وهي ما دعت بالمدرسة اليوسفية نسبة إلى واقفها الحاج يوسف بيضون للتوسع في الظروف التي احاطت بتأسيس هذه المدرسة ووقفها لتعليم الإناث من أتباع المذهب الجعفري الأمين أئمة الشيعة ج ١٠ ص ٣٦٢
- (١٧) بلغ سعر الدار ٨٠٠ ليرة ذهبية للتفصيل الأمين أئمة الشيعة ج ١٠ ص ٣٦١
- (١٨) غانم نحو إحياء دور الوقف ص ١٠٣
- (١٩) ملحق رقم ٤ لمعرفة اسم الواقفين لعقارات التغطية نفقات المدرسة العلوية ونوعية العقارات
- (٢٠) الأمين أئمة الشيعة ج ١٠ ص ٣٧٠
- (٢١) يقال عن رواية شفوية لأحد أعضاء الجمعية المحسنية أنها كانت قصرا لأحد أفراد آل العظم والمدرسة الآن تعتبر من الأبنية الأثرية التي يجب الحفاظ عليها سيرد الحديث عنها لاحقا
- (٢٢) الأمين أئمة الشيعة ج ١٠ ص ٣٦١
- (٢٣) ملحق ٥ لمعرفة أسماء الواقفين والعقارات التي أوقفت لتغطية نفقاتها
- (٢٤) كان نظام الوقف يتيح لل فرد أن يحول ملكيته الخاصة أو جزءا منها إلى مؤسسة خيرية وان يضع بنفسه أهدافها

- في إطار المقاصد الشرعية وتصبح لها شخصيتها المستقلة بشكل مباشر أما بعد تدخل الدولة فقد أصبحت إجراءات الوقف لتأسيس الوقف الخيري مشابهة إلى حد كبير لإجراءات إنشاء الجمعية التي يقوم بتكوينها عدد من الأشخاص يدفعهم حب الخير وخدمة الآخرين لتأسيس جمعية وتعتمد في تمويل نشاطها على اشتراكات الأعضاء وتلقي الهبات والأوقاف والحصول على المساعدات بما فيها المساعدات الحكومية غانم نحو إحياء الوقف ص ١٠٩
- (٢٥) للإطلاع على مفردات النظام الذي وضعته الجمعية بيان أعمال جمعية المدرسة الحسنية لعام ١٣٦٤ - ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٥ - ١٩٤٦ م مطبعة الإئتقان دمشق ص ٧-١١ سيشار إليه عند وروده بيان أعمال المحسنة ١٩٤٦ م
- (٢٦) لقد شهد عام ١٩٥٢ تغيراً جوهرياً في نظم التربية وأولي التعليم الخاص عناية خاصة لأنه يساهم بتخفيف أعباء عن الوزارة وخاصة مجال التعليم الثانوي وتتناول هذه المدارس إعانات سخية من وزارة المعارف حول نظام المدارس الخاصة المرسوم التشريعي رقم ١٧٥ تاريخ ١٧/٣/١٩٥٢ مديرية التعليم الخاص وزارة التربية دمشق الجمهورية العربية السورية من دون رقم وتاريخ انظر أيضاً الملحق رقم ٢
- (٢٧) بيان أعمال المحسنة ١٩٦٤ م ص ٣
- (٢٨) البيان السنوي لجمعية المدرسة الحسنية عن الأعوام ١٣٦٦-١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٧-١٩٤٨ م مطبعة ابن زيدون ص ٤-١٠ سيشار إليه عند وروده البيان السنوي ١٩٤٨ م
- (٢٩) الأمين أعيان الشيعة ج ١٠ ص ٣٦٢
- (٣٠) مديرية التعليم الخاص وزارة التربية دمشق الجمهورية العربية السورية
- (٣١) وثيقة وقف المدرسة العلوية محكمة دمشق الشرعية وزارة العدلية الجمهورية العربية السورية لا يوجد أي تفصيلات أخرى على الوثيقة
- (٣٢) وثيقة وقف المدرسة الحسنية محكمة دمشق الشرعية وزارة العدلية دمشق الجمهورية العربية السورية المؤرخة في ١٩٣٠/٥/١٩٣٩ أساس ٣٢٤ ضبط ٩٣ صحيفة ١٤ سجل ١٧ صحيفة ٨١ عدد ٢٤٦ سطر ١٦ ١٧
- (٣٣) يبدو أن المدرسة العلوية أنشئت عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م ولكن تم وقفها بشكل رسمي عام ١٣٢٢ هـ ١٩٠٥ م
- (٣٤) ساذكرها فيما بعد الوثيقة الثانية .
- (٣٥) وهو توافق إرادتين مظهرهما الإيجاب والقبول كالبيع والإجارة وغيرها محمد أبو زهرة محاضرات في الوقف جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية ١٩٥٩ سيشار إليه عند وروده فيما بعد : أبو زهرة محاضرات في الوقف
- (٣٦) كل تصرف يترتب عليه التزام ولو بإرادة واحدة كالوصية والإبراء ونذر صدقة زمن المستقبل أو في الحال المرجع السابق ص ٥٨ .
- (٣٧) وثيقة المدرسة الحسنية ورقة ١ سطر ١ حتى ٧
- (٣٨) للتفصيل محمد عبد الرزاق الطيباني « أركان الوقف في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة » مجلة أوقاف عدد ٥ السنة الثالثة شعبان ١٤٢٤ هـ / أكتوبر ٢٠٠٣ تصدرها الأمانة العامة للأوقاف دولة الكويت ص ١٢٢
- (٣٩) هكذا وردت في الوثيقة
- (٤٠) الوثيقة الثانية الورقة الأولى السطر ٩ سطر ١٦ سطر ٢٣
- (٤١) الوثيقة الأولى الورقة الأولى سطر ٣-٤
- (٤٢) الوثيقة الثانية ورقة ١ سطر ٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤
- (٤٣) أبو زهرة الوقف ص ٤١ إبراهيم بن موسى بن أبي بكر البرهان الطرابلسي الحنفي الإسعاف في أحكام الأوقاف القاهرة المطبعة الكبرى المصرية ١٨٧٥ م ص ٤ سيشار إليه عند وروده فيما بعد الطرابلسي الإسعاف
- (٤٤) الوثيقة الأولى ورقة ١ سطر ٣
- (٤٥) عبد العزيز الدوري دور الوقف في التنمية مجلة المستقبل العربي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية بيروت عدد ٢٢١ السنة العشرون تموز / يوليو ١٩٩٧ ص ٦ سيشار إليه عند وروده فيما بعد الدوري دور الوقف
- (٤٦) ورقة ١ سطر ٤

- (٤٧) الوثيقة الثانية الورقة ١ سطر ٩
- (٤٨) أبو زهرة محاضرات في الوقف ص ٢١٠
- (٤٩) الوثيقة الأولى ورقة ١ سطر ٩
- (٥٠) الوثيقة الثانية الورقة ١ سطر ٢٠-٢١
- (٥١) محمد عباس حموده وثيقة إنشاء ووقف من العصر العثماني صادرة من محكمة الباب العالي في ١٢ شوال سنة ١٢٠٤ هـ « بدار الوثائق القومية » مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ١٩٨٤ م ص ١٤ سيشار إليه عند وروده فيما بعد :
- (٥٢) مع ان الواقف ارادته في الوقف هي المحترمة فهي مقيدة بأحكام الشارع فلا يكون مصرف الوقف منهيا عنه أو يشترط شرطا فيه مخالفة صريحة لأوامر الشارع أبو زهرة الوقف ص ١٥٥
- (٥٣) مصطفى الزرقاء أحكام الوقف ط٢ مطبعة الجامعة السورية دمشق ١٩٤٧ ج١ ص ١٤ سيشار إليه عند وروده فيما بعد :
- (٥٤) أبو زهرة محاضرات في الوقف ص ٣٠٣
- (٥٥) ورقة ١ سطر ٣
- (٥٦) الوثيقة الأولى ورقة ١ سطر ١٥-١٦-١٧-١٨-١٩
- (٥٧) الوثيقة الثانية ورقة ١ سطر ٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩ ٣٠
- (٥٨) الوثيقة الثانية ورقة ١ السطر ٣٢
- (٥٩) الوثيقة الأولى ورقة ١ سطر ١٨-٢٠
- (٦٠) ورقة ٢ سطر ٢
- (٦١) الوثيقة الأولى ورقة ٢ سطر ١
- (٦٢) الوثيقة الأولى الورقة الأولى سطر ٢١
- (٦٣) الوثيقة الأولى الورقة الثانية السطر الأخير
- (٦٤) الوثيقة الثانية ورقة ٢ السطر الأخير
- (٦٥) دمشق مديرية المصالح العقارية شعبة السجل العقاري خراب سجل ٤-٢٤١-٢٤١٠ عقار ٢٨١
- (٦٦) ملحق رقم ٨
- (٦٧) هكذا وردت في السجل العقاري
- (٦٨) وقد ورد هذا في الوثيقة الوقفية رقم ٢
- (٦٩) لقد تم شطب كل ما تم ذكره في الصحيفة العقارية ثم كتب ما حصل للعقارين الموقوفين من تطورات
- (٧٠) اشير إليها بالأرقام ١ و ٤ و ٥ فإن القسمين رقم ٤ و ٥ بقيت مسجلة على صحيفة ٨٣ اما القسم ١ سجل بالسجل الملحق الأول بالصحيفة رقم ٨٤ تحريراً ١٩٥٩/٧/٦م
- (٧١) القسم ١ قد بقي مسجلاً على صفحته بالملحق الأول وأما القسم ٦ فقد سجل بالملحق الثالث صفحته رقم ١٠ ، ١٨-٢-١٩٦٤م
- (٧٢) للمزيد من التفاصيل عن وضع كل طابق من هذه الطوابق محضر تحديد نموذج معاملة رقم ٢ ٣٦٣/٥٩ دمشق مديرية المصالح العقارية شعبة السجل العقاري خراب سجل ٤ ٢٤١-٣٠٠ عقار ٢٨١ .
- (٧٣) من الجدير بالذكر ان حي الأمين الذي أنشئت فيه المدرسة يحوي اتباع كل الديانات بيوتهم السكنية متقاربة ومتداخلة مع بعضها البعض
- (٧٤) عدد طلابها حسب إحصائيات العام الدراسي ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ م بلغ ٣٦٠٠ طالب
- (٧٥) المدرسة المحسنية بدمشق بيان أعمالها خلال السنوات الثلاث ابتداء من ١٩ شوال ١٣٧٢ هـ الموافق ١ تموز ١٩٥٣ م ولغاية ٢١ ذي القعدة ١٣٧٥ هـ الموافق ٣٠ حزيران ١٩٥٦ م مطابع ابن زيدون دمشق ص ١ .





«الحسنية» تجربة رائدة تختزن تاريخ التعليم في سورية

تحقيق: سعاد جروس

بعد أن تجولنا في شارع الأمين المتفرع عن «الشارع المستقيم» المعروف بشارع مدحت باشا المنتهي بالبزورية حيث تقع المدرسة الحسنية، كانت الوقفة الأولى مع الظن أنها ستكون عابرة.. لكنها باغتتنا بممر يفتح على مشهية واسعة لجزء كبير وهام من تاريخ الحارة ودمشق والمنطقة.. فوق الباب الخشبي العريق كتب بخط عربي جميل وبأحرف نحاسية مزرکشة المدرسة «الحسنية للذكور أنشأها العلامة السيد محسن الأمين الحسيني سنة ١٣٢١ هجرية».

في الموزع الرخامي عند المدخل استقبلتنا صورة بالأبيض والأسود للعلامة مؤسس المدرسة، وقد ارتفعت فوق الباب المؤدي إلى فناء المدرسة، هناك حيث العمارة الدمشقية الأموية الطراز بحجارتها البيضاء والسوداء والوردية، روى البناء تاريخ توسع المدرسة، إذ استقامت الجدران الحديثة الممثلة للتوسع المستجد، إلى جانب البناء القديم المحفوظ بلمسات الماضي الحميمة، لتؤلف معاً مبنى من ثلاثة طوابق تطل على فسحة سماوية، يتصدرها ليوان أثري منقوش بالعجمي والرخام المجزع، محتضنة صورة أخرى كبيرة ملونة للسيد العلامة مؤسس المدرسة.

أخذنا طريقنا من بين الطلبة المنتمين للقرن القادم، نحو الطابق الثاني حيث كان في المكتبة التاريخ يأخذ استراحة مستمرة منذ نحو قرن من الزمن، بين الصناديق الكرتونية والخزائن الخشبية وخلف الأبواب الزجاجية في غرفة بنيت حديثاً، لتضم أكثر من مكتبة أهمها مكتبة العلامة السيد محسن، وقد تبرع بسرائها الحاج رشيد بن عبد الله الروماني بمبلغ خمسة آلاف وخمسمائة ليرة سورية سنة ١٩٥٣ ووقفها للمدرسة، بالإضافة إلى مكتبة الأستاذ أديب التقي، من أوائل مدرسين الحسنية، ومكتبات أخرى أهداها المحسنون.

على الطاولة الخشبية المغطاة بالزجاج فردنا بعضاً من تلك المخطوطات، والمجلات، والكتب، وأيضاً البيانات السنوية للجمعية، وكأننا بذلك كنا نكشف عن وجوه شخصيات عديدة متميزة حاولت أن تقدم نفسها من خلال أعمالها. طلبة، معلمون، وتجار دمشقيون محسنون، سيدات مجتمع راقيات، كان لهن باعاً في العمل الاجتماعي، منهن المحسنة حرم الحاج يوسف بيضون، وأيضاً أعضاء لجنة السيدات المتشكلة عام ١٩٥٠، بعد أن تناهى إلى سمع بعضهن أن قسم الثانوي في المدرسة مهدد بالإلغاء بسبب نقص الواردات، إذ تنادين إلى عقد اجتماع تهيدي في دار

السيدة حبيبة بيضون روماني، انبثقت عن الاجتماع لجنة السيدات المؤلفة من حبيبة بيضون روماني (محاسبة)، نعمة عسيان حيدر (مراقبة) نازك نظام (خازنة) رشيقة عضل (للشراء) تاجه شحادة (عضوة) قمر نظام (عضوة). كما التقينا أيضاً أعضاء مجلس الجمعية اللذين أسسوا الجمعية والمدرسة ١٣٢١ هـ وهم العلامة السيد محسن الأمين (رئيس عام)، الحاج محمد علي رضا (عضو ومفتش في المدرسة ومراقب على الحسابات)، الحاج محمد حسين صندوق (عضو مفتش في المدرسة وأمين صندوق)، الحاج رشيد الروماني (عضو مفتش في المدرسة). عبد الوهاب بيضون (مستلم دفاتر) بالإضافة إلى الأعضاء العاملين في جمع الإعانة. وعلى ذات الطاولة اللجنة الثقافية المؤسسة عام ١٩٤٦ المشكّلة من شباب جندوا أنفسهم لمكافحة الأمية آنذاك، فخصصوا وقتاً مسائياً في المحسنة لتعليم الأميين، من هؤلاء الشباب : مصطفى البغدادي، ورضا حيدر، وصبحي النحاس، ونادر حلباوي، وعبد الله الروماني، وهاشم مرتضى، وحسن صندوق، ونعمت بلوق..

تبنى الطالعون من البيانات السنوية قيادة الرحلة، לנוغل معاً في تاريخ واحد من مراكز العلم والتنوير الديني والفكري الهامة في عصره. تواصلنا من خلاله مع شخصية علمية متفردة عاشت في حي شديد الخصوصية، لما يتمتع به من تنوع اجتماعي، و مذهبي، وجغرافي. فهو الحي الوحيد تقريباً في دمشق القديمة، الذي يضم في أحيائه الإسلام السنة والشيعة والمسيحيين من أكثر من طائفة وأيضاً الدروز، إلى جانب اليهود ، أما من حيث تنوع الانتماء الجغرافي فقد أم حي الأمين أناس من أقاليم عدة من جبل عامل في لبنان ومن جبل العرب ومن إيران والعراق ومن شمالي سورية ومن بعلبك ومن الباكستان، ومن فلسطين بعد عام ١٩٤٨ .. إلخ. ضمن هذا الموزاييك من الجنسيات والمذاهب.

الخارجون من الورق

برزت المدرسة المحسنية كمركز تنويري شعاره الدين الخلق والعلم .. وهو شعار لمسنا تمثله في الواقع من خلال الشخصيات المقيمة في ذاكرة البيانات والنشرات الأدبية والتربوية الصادرة عن الجمعية، في بعض خطب المناسبات الخاصة. ارتسمت بورتريهات لوجهاء محسنين ظهرت فيها خصالهم النبيلة، ليكونوا مثلاً جدير بالاحتذاء وقدوة حسنة للتلاميذ، وقد بينت تلك الخطب غاية الجمعية من الاحتفاء بذكرى المحسنين وتكريمهم مما جاء فيها كلام للأستاذ رشيد مرتضى سنة ١٩٤٦ بذكرى وفاة المحسن كامل نظام : «إن للبشر في حياة المحسنين عظة، وفي موتهم ذكرى، أما في حياتهم فيرينا المحسن في أعماله كيف تكون التضحية والإنفاق، وكيف يكون البذل والسخاء، وأما الذكرى في موتهم فيرينا الجمهور من بعدهم كيف تحفظ أعمال الرجال ،وكيف يكون الاعتراف بالجميل، وكلا المظهرين يمثلان لنا عاطفتين من أشرف العواطف

الإنسانية، إحداهما صنع الجميل والأخرى عرفان الجميل..

كما كونت جداول التبرعات لعام ١٩٤٥ م تصوراً حول اهتمامات شخصيات اجتماعية بارزة كالحاج رشيد الروماني المتبرع بمبلغ ١٧٠٠ دينار عراقي لشراء وقف المدرسة، والسيد محمود الروماني المتبرع بمبلغ ١٥٠٠ دينار عراقي لشراء وقف المدرسة أيضاً، والحاج عبد الحسين صاحب من إيران من المؤازرين والعاملين في إنشاء القسم الداخلي، والسيد إبراهيم البيشلي المتبرع من وصيته بمبلغ ٣٦ ليرة عثمانية لوقف عقار للمدرسة، كما قدمت تلك البيانات شخصية من العراق، وهو الشيخ بلاسم آل ياسين الذي أسس مدرسة في العراق على نفقته الخاصة، وتبرع بمبلغ ١٠٠٠ دينار عراقي للمدرسة المحسنية، والكلية العاملة في بيروت.

تكافل اجتماعي

تلك المعلومات والارقام تخط لنا الخارطة الاجتماعية لمنطقة بلاد الشام، وعلاقتها مع دول الجوار كالعراق وإيران، وعمق الصلات الروحية التي تربط هذه الشعوب، كما أن تلك المعلومات تعرفنا على أهمية تجربة الجمعية المحسنية ومساهماتها في مد جسور التعاون بين المجتمعات المتنوعة من جانب، وبين طبقات المجتمع الواحد، لينشأ ما يشبه التحالف لدى طبقة الأغنياء المؤلفة من الوجهاء والأعيان والتجار، لصالح تعليم وتثقيف أبناء المجتمع كافة من فقراء وأغنياء، في محاولة ترسيخ مبادئ الدين، كأخلاق وتعامل حسن، وهذا بدا واضحاً في أعمال المشرفين والأساتذة والطلبة معاً، وكذلك في خطابهم التربوي المتقدم. وريادة المحسنية كتجربة تربوية واجتماعية تأتي من كونها إحدى التجارب التربوية والاجتماعية التي تأسست في مواجهة المد التبشيري الأجنبي الذي شهد أوج ازدهاره مع انحسار الدولة العثمانية والتوجه الاستعماري لأوربي نحو الشرق أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. حيث اتبعت المدرسة المحسنية ذات الطرائق التدريسية في نشر تعاليم الدين الإسلامي إلى جانب العلوم الأخرى، ففي المرحلة الابتدائية كان يجري تعليم ثلاث لغات أجنبية وهي التركية والفارسية والفرنسية، إلى جانب تعلم وإتقان اللغة العربية من حيث القواعد والنحو والصرف والخط والخطابة، بالإضافة إلى علوم الحساب و(دوبيا) والمنطق والجغرافيا، وفي سنوات لاحقة تم إدخال الموسيقى والغناء والرسم إلى المواد الدراسية إلى جانب دروس الرياضة واللياقة البدنية. كما كانت تعتني المدرسة بالنشاط الطلابي خارج الدوام كالقيام برحلات علمية أو تنزه في مصايف دمشق أو إقامة مخيمات الكشفة لعدة أيام، وأيضاً العناية بالمواهب الفنية كالمسرح. بالإضافة للمناهج العلمية المتقدمة التي اتبعتها المدرسة المحسنية، تبنت أيضاً منهجاً تربوياً خلاقاً، فمثلاً استبعد النظام الداخلي للمدرسة من قانون التأديب الضرب والتوبيخ الذي يمس الكرامة، إذ اقتصر العقوبات على كتابة عدداً من الأسطر في وقت الفراغ، ويزيد عدد الأسطر كلما كانت العقوبة أكبر، فيعاقب التلميذ المتخلف

عن المدرسة لمدة يوم كامل غير مبرر بكتابة ثلاثمائة سطر، بينما يجازى من لا يهتم بنظافته الشخصية بكتابة عشرين سطر أو يوقف أمام الحائط بدون لعب فترة الفرصة، أما عقوبة الطرد من المدرسة فكانت تقع على من يتفوه بكلام منافي للأخلاق بين زملاءه أو من يعتدي على زملاءه بالضرب أو مشاكسة معلمه، ولا يتم الطرد إلا بعد تنبيه الطالب أكثر من مرة، وإبلاغ أهله ومناقشة الأمر معهم. أما النظام المالي فقد كان متوجهاً لدعم الأهداف الخيرية للمؤسسة ٩ ونيل علومها لم يكن متاحاً إلا حسب رغبة الأهل، ومن لا يرغب بتعليم أولاده اللغات الأجنبية أو علوم غير علوم الدين واللغة العربية يتمكن من ذلك، وحسب النظام الداخلي للمدرسة الابتدائية مرحلة التأسيس كان الأهل يدفعون مبلغ ٤ قروش سورية لتعلم مبادئ القراءة الكراس الأول، و ٦ قروش لتعلم تنمة أجزاء مبادئ القراءة وأجزاء القرآن الشريف لحد يس وخط وحساب، و ٩ قروش لتعلم ما بعد يس إلى الختام وخط وحساب وديانة، ١٢ قرش لتعلم التجويد والخط والحساب والديانة والنحو والصرف والإملاء والقراءة العربية، ١٨ قرش لتعلم المذكورات مع اللغات و ٢٤ قرش لتعلم المذكورات مع الدوبيا. أما الدفع للمدرسة فهو شهرياً. وتلك الأرقام تبدو كبيرة قياساً إلى بداية القرن العشرين، حيث يعادل تعادل قيمة القرش الشرائية الليرة السورية ١٠٠ قرش سوري (اليوم أي مائة ضعف، وبمعنى آخر فإن الاشتراك الشهري لكامل المواد يعادل اليوم ٢٤٠٠ ليرة سورية وما يعادل ٤٨ في. وتعتبر هذه مرتفعة قياساً إلى المدارس الخاصة الأخرى ولكن تخصيص الحسنية عدد كبير من الكراسي للتعليم المجاني لأبناء الفقراء، يجعل من تلك الاشتراكات مساهمات خيرية ترمي إلى توزيع المال بين الناس بالعدل، ففي البيان السنوي للأعوام ١٩٤١ و ١٩٤٤ بلغ عدد الطلاب ١٦١ بأجرة تامة. ١٠٨ بنصف أجرة. ١٥٣ المجانيين والعدد الإجمالي بلغ ٤٢١. كما تشير الأرقام للسنوات التالية إلى مدى الإقبال على التعلم في هذه المدرسة قياساً لواقع التعليم آنذاك، في بيان سنة ١٩٤٧ وحتى ١٩٤٨ كان عدد الطلاب بالمدرسة ٤٨٤ طالب منهم ١٨٩ طالب يدفعون أجرة كاملة و ١٤٥ يدفعون نصف أجرة و ١٥٠ طالب يتعلمون مجاناً.

حول تأسيس المدرسة العلوية العثمانية (الحسنية) يقول مؤسسها العلامة السيد محسن الأمين العاملي: وإن تفاضل العلوم وشرافها إنما هو باعتبار شرف غاياتها. فأفضلها علوم الدين علوم الدين التي بها يعرف الخالق ويعبد وهي نظام أمر الدين والدنيا، وبها تنال السعادة في الأولى والأخرة ثم العلوم الرياضية من الحساب والهندسة والهيئة والجغرافيا وغيرها التي لا يستغني عنها في الدين ويحتاج في أمر الدنيا وعلوم الصناعات وشبهها التي يجب تعلمها على الكفاية، ويتوقف عليها نظام العالم إلى غير ذلك من أقسام العلوم المتشعبة. وما أكثرها في هذا الزمان إنشاء المدارس لتعليم القراءة والكتابة واللغات والحساب وجملة من العلوم الرياضية وما يجري هذا المجرى وكان جل هذه المدارس يوجب الدخول إليها البعد عن عقائد الدين الإسلامي ومحاسن الشريعة الفراء والتخلق بغير أخلاق ... وتفادياً عن وقوع قومنا في هذه الورطة بذلنا

غاية الوسع وجهد الطاقة في تأسيس مدرسة كافلة لجمع شمل أبنائهم وتعليمهم ما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم معتمدين في ذلك على الله.. فإن الناس لم تعد تنفع فيهم المواظب في الامتناع عنها إذا لم يروا ما يقوم مقامها مما بني على أساس الدين فوق الله تعالى بمساعدة جماعة من محبي الخير إلى ابتياع دار واسعة تامة المرافق بمدينة دمشق المحروسة ووقفها مدرسة بعد تسميتها (بالمدرسة العلوية العثمانية).

صدى المحسنية

ولعل ما يثير الدهشة والاحترام معاً النشرة الثقافية المتواضعة الصادرة عن المدرسة (صدى المحسنية) الناطقة بلسان حال طلابها لما فيها من مقالات ناضجة لطلبة من المرحلة الابتدائية ينتمون لبدايات القرن العشرين . وفي العدد الأول منها الصادرة في أيار ١٩٤٨ نقرأ تعريفها / صدى المحسنية رسالة أدبية ثقافية مدرسية/ تصدر عن فئة من الطلاب الثانويين منهم سكرتير التحرير سامي وهبه (أمين السر) عباس نحاس (مدير الدعاية)، حكمة الروماني (مدير المكتبة)، بديع خضري، منذر شمعة، أديب منجد، محمد علي الصوص، (أعضاء)، بإشراف بعض الأساتذة كرئاسة تحرير الاشتراك السنوي ٦٠٠ قرش سوري للعموم و٣٠٠ قرش سوري للطلاب. وسعر النشرة يعتبر سعراً مرتفعاً جداً بالنسبة لفترة صدورها .

في افتتاحية النشرة الأولى ١٩٤٨ م كتب المربي محمد صندوق حول أهداف المحسنية كجمعية قائلًا: /أما أهداف المحسنية التي وضعها منشئ المحسنية العلامة السيد محسن الأمين فتلاثة : الدين والخلق والعلم، تلك هي الدعائم الثلاث التي ترتكز عليها قوة الأمم . وما يسجله لها التاريخ بمداد الفخر أنها أو مؤسسة علمية خيرية في دمشق استهدفت هذه النواحي الثلاث، ولقد جنى المنشئ ثمار أعماله يانعة قرت بها عينه فشاهد من هذه الزهرات الفواحة التي تعهدا بيده المباركة، أفواجاً من الفتيان الذين نفخ فيهم من روحه وقد مارسوا مختلف الأعمال الرسمية والحرية وهاهم أولاء يبادلون معهدهم ومنشئها حباً بحب وعونا ويعون ويتبعون خطاه /

لقد اكتسبت هذه المدرسة أهميتها من نشاطها الاجتماعي والعلمي وقدرتها على تخريج دفعات من الطلاب أثبتوا وجودهم وفاعليتهم في المجتمع، إلى جانب كونها منبراً وطنياً تناما بعد الاستقلال وشهد بداية الحكم الوطني، حيث اتسعت جنبااته لتستقبل أبناء العرب والمسلمين من كافة الأنحاء ولم تعد حكرًا على أبناء الطائفة واليوم لا يكاد يمثل الطلبة من أبناء الطائفة نسبة الثلث من بين مجموع الطلبة عموماً، ويعود هذا التوجه إلى عقود التأسيس ونستشفه من إحدى المقالات المنشورة في النشرة الأولى (صدى المحسنية) بقلم التحرير حيث ورد فيها: / أصداء المحسنية .. أصداء عيد الجلاء .. وأصداء فلسطين .. أصداء تنبثق في وقت واحد عن

مصدر واحد هو قلب الأمة العربية المتألم كل هذه الأصدااء تجتمع تحت معنى واحد هو أن البلاد العربية متألمة من نواح عديدة وهذه الآلام ناشئة عن تدخل الأجنبي بأمور العرب/.

فوق الزمن

في حضرة الخارجين من الورق المصفر ومن تحت غبار الزمن جلسنا نستحضر بعضاً من ملامح علامة كان له الأيادي البيضاء في نشر رسالة تنويرية، تتجسد بالجمعية المحسنية المتأسسة سنة ١٣٢١ هجرية الموافق لعام ١٩٠٢ ميلادية، وتتبع لها (المدرسة العلوية العثمانية)، الابتدائية الواقعة في دخلة الشرفا المتفرعة عن زقاق المدار في حي الأمين، وقد جرى نقلها إلى بناء حديث مع بداية القرن العشرين، الذي نقف فيه اليوم. أما المدرسة العلوية القديمة فظلت مدرسة ابتدائية إلى جانب كونها اليوم مركزاً لتعليم الإناث.

شهدت المدرسة المحسنية توسعات وتطورات كثيرة على مر قرن من الزمن، لتصبح لدى انتقالها إلى البزورية مدرسة للذكور ابتدائية وإعدادية ومن ثم ثانوية، أحدث فيها قسم داخلي للطلبة الوافدين من خارج دمشق. جرى إغلاقه في العقود الأخيرة لعدم الحاجة إليه بعد انتشار المدارس الحكومية في كل أنحاء سورية. ومع التأهب للدخول في الألف الثالثة لا زالت المحسنية كمدرسة تعزز برصيد هام من ماض تربوي عريق، جعلها تنوء بأعداد الطلاب الراغبين في نيل العلم منها حيث يتجاوز عدد طلابها: ما يقارب الـ ١٥٠٠ طالب إعدادي وثانوي يتوزعون على ٢٥ شعبة و ما يقارب الـ ١٤٠٠ طالب ابتدائي، يتوزعون على ٢٦ شعبة . غادرنا المدرسة بعد أن عاد القادمون من الماضي إلى صفحاتهم المصفرة ومع الطلبة المغادرين تدفقنا من الباب الرئيسي لنقف مجدداً أمام ثقل الراهن في سوق البزورية المعقب بروائح البهارات والتوابل، ورائحة الموالح والبزورات المحمصة قطعنا الشارع المكتظ ظهراً لنلج شارع الأمين في الطريق إلى زقاق المدار ثم دخلة الشرفا حيث المدرسة العلوية وبيت العلامة محسن الأمين العاملي، كنا نشق زحام الشارع وما زالت تتراءى في المخيلة كل ما صدقناه في المحسنية من أسماء وشخص وأحداث تواصلنا معها فوق الزمن، فكان معظمهم من العائلات الشيعية المرموقة والمتوطنة في محلة الأمين. عرفت أثناء الانتداب الفرنسي بحارة اليهود، وكما جرى تدوينها في الخرائط الفرنسية لدمشق، وهو ما عكس سياسة فرنسافي تكريس الفصل الطائفي .

تسميات

ومع مجيء الحكم الوطني وما حمله معه من حركات تحرر قومية تمكنت دمشق من رسم خارطتها المعتمدة على نشر الروح العربية فوق الاعتبارات المذهبية فحارة اليهود في محلة الخراب أصبحت حي الأمين نسبة للعلامة السيد محسن الأمين لما قدمه لدمشق من أعمال تنم عن روح إنسانية ما تزال وحتى اليوم أفكاراً تقدمية لاستنادها على القيم الإنسانية الخيرة، وهذا يرويه

ايضاً من عرف شخصية العلامة الأمين الذي كرمه الحكم الوطني ليس فقط بتسمية محلة الخراب باسمه بل بتسمية أول مشفى وطني بدمشق باسمه، وهو المجتهد الكبير، لتطلق هذه التسمية على منطقة كاملة تدعى اليوم المجتهد، حسب ما فهمنا من سكان الحي من أن أصل هذه التسمية يجهله الكثيرون.

أما قصة تسمية حي الأمين فيقال: أن الشارع الرئيسي الذي يسمى بالأمين شق فترة الحرب العالمية الأولى ولأن الواقع الاقتصادي كان بائس جداً استغل اليهود ذلك، كفرصة للخروج من الحارات الضيقة، إلى الشارع العريض فأخذوا يشترون البيوت المتهمة على جانبي الشارع ليعاد بنائها بشكل حديث وسيطر اليهود على الشارع. بينما ظلت غالبية العائلات المسلمة تقطن الدخلات المتفرعة عن الشارع العريض كآل صندوق وبيضون واللحام والروماني ومرضى. وكون اليهود سيطروا على واجهة الحي أردوا بالاتفاق مع سلطة الانتداب أن يطلقوا اسم واحد من شخصياتهم على الشارع فوضعوا لوحة تحمل الاسم في رأس الشارع، فاقتلعتها أهل الحارة ليلاً إلى أن جاء الحكم الوطني عام ١٩٣٧ فتبدل اسم حي الخراب وأطلق عليه اسم الأمين تكريماً للسيد محسن الأمين. وظل حتى يومنا هذا كما أطلقت أسماء شخصيات وطنية عديدة على دخلات الحي التي يشكل فيها اليوم الفلسطينيون النسبة الغالبة من سكانه إلى جانب اليهود الذين تدنت نسبتهم كثيراً بعد هجرتهم في التسعينيات.

في دخلة الشرفا

كنا أمام البيت السيد محسن الأمين تماماً قرعنا الجرس فأطل علينا رجل دين يعتمر عمامة سوداء بهامة ممتلئة ولحية بيضاء طويلة. سألناه هل هذا المنزل هو ذات منزل العلامة السيد محسن الأمين؟

أجاب: أنه منزله ومنزل كل علامة جاء للحي من عقود طويلة.

دعانا للدخول. طالعنا في الداخل فسحة سماوية يطل عليها بيت دمشقي قديم مؤلف من طابقين تعرض لعمليات تحديث وإصلاح، وأكسبت جدرانه لوناً أبيضاً مشبعاً بالنور، تسلقنا درجاً ضيقاً إلى غرفة صغيرة احتلت المكتبة جدرانها، تطل الغرفة على فناء الدار من جهة وعلى المشرقة من جهة أخرى، في هذا المكان قضى السيد محسن الأمين جل أيام حياته متبحراً في الكتب ويعيش طقوسه الخاصة في التأمل والتفكير والتأليف والمطالعة، فمن هذه الغرفة خرجت إلى النور الكثير من المؤلفات والاجتهادات في علوم الدين والفقه. وخرجت أيضاً فكرة إنشاء مدرسة كالمحسنية التي قدمت في زمن مضى تجربة تستحق أن يقال عنها أنها كانت رائدة. وهي اليوم حالها كحال عشرات المدارس في بلادنا تراجع دورها ليقصر على التعليم والتعليم فقط وحتى في هذا تعاني من مشكلات كثيرة ..

مجلس إدارة اللجنة الوطنية لأحياء تراث العلامة السيد محسن الأمين العاملي

- | | |
|--|--|
| رئيس فخري | العماد الأول مصطفى طلاس |
| رئيس اللجنة المؤسس باحث إدلب | د. حسين راغب |
| (صحافي) دمشق | هاني الخير |
| أمين سر اللجنة (صحافي) | رياض محمود |
| باحث وكاتب (دمشق) | د. مازن يوسف صباغ |
| رئيس تيار التوحيد (لبنان) | معالي الأستاذ ونام وهاب |
| مدير عام قناة المنار (لبنان) | الأستاذ عبد الله قصير |
| رئيس تحرير مجلة المعارف لحوار الأديان | الشيخ حسين شحادة |
| مدير المؤسسات التربوية العربية (بيروت) | الدكتور حسين علي يتييم |
| شاعر واديب (السعودية) | السيد هاشم الشخص |
| (دمشق) | السفير المتقاعد موفق الدقر |
| | مجلس الأمناء |
| | سماحة السيد الشيخ سيد محمد حسن الأمين |
| | - الأستاذ سيد هاني فحص |
| | - د. مخلص أحمد الجدة |
| | - د. فايز شكر |
| | - د. محمد سعيد الطريحي |
| | - د. الأدب سهيل قاشا |
| | - د. أحمد حسين اليتيم |
| | - الأستاذ محمد شمس الدين |
| | - المهندس علي نايف جريوع |
| | - الحاجة هند عبيدين |
| | - الدكتور عقبة فاكوش (أستاذ بجامعة دمشق) |
| | - الأستاذ أيمن ملاح |
| | - الفنان سامر المصري |
| | - الأستاذ حسين بطيخة |
| | - الأستاذ جوزيف أبو فاضل |
| | - الأستاذ إبراهيم فرحات |
| | - الأستاذ ميخائيل عوض |

توجهات وأهداف

اللجنة الوطنية لإحياء تراث العلامة

السيد محسن الأمين العاملي

- ١- إعادة نشر مؤلفات السيد محسن الأمين رحمه الله سيما التي تدعو إلى توطيد دعائم الوحدة الوطنية والتقريب بين أبناء المذاهب الإسلامية كافة وإلى العيش السلمي المشترك بين الإسلام والمسيحية فضلاً عن نشر مؤلفاته التي تعرف بروائع تراثنا العربي
- ٢- تشجيع النشئ الجديد والأجيال القادمة على اتخاذ السيد محسن الأمين قدوة حسنة في الفكر المنفتح على الآخرين ونبذ التعصب الأعمى
- ٣- تقديم جائزة سنوية ذات قيمة مادية وقلادة لأفضل كتاب أو دراسة أو بحث يعرف بشخصية السيد محسن الأمين وما قدمه للمكتبة العربية من مؤلفات أسهمت في تجديد الإسلام ومحاربة الجهل والتجهل والغيبة
- ٤- تكريم الشخصيات العامة والوطنية التي لها نشاطاتها في خدمة المجتمع أو في إرساء دعائم الوحدة الوطنية أو في تحديد الخطاب الديني دون المساس بجوهر العقيدة
- ٥- تقديم المنح المالية السنوية لثلاثة طلاب سواء أكانوا في المرحلة الثانوية أم الجامعية ليأخذوا دورهم الفاعل في الحياة والمجتمع
- ٦- إقامة محاضرات وندوات فكرية في المحافظات السورية وفي بعض الدول العربية من أجل تسليط الضوء على الفكر المنفتح المعتدل العلمي والموضوعي الذي يجمع ولا يفرق ويبني ولا يهدم وينقذ الأمة من تشردمها ويأخذ بيد النبلاء والشرقاء حتى يكونوا نخبة واعية .



حسين راغب - أ. محمد صوان - المرحوم فتحي يكن

(سنة ١٢٨٨ هـ)
 لقد طلعني المرحوم العلامة السيد محمد باقر
 علي - شروح اشد و درموي لمحمد بن ابراهيم و من
 ليعني و لعل - معتمد مرشد الشيوخ و الذي ليس
 و انما ما يدل على - معتمد عال - الشيوخ و انما تر
 و رتبة و معصية - علا - الانكسار و انما محمد بن ابراهيم
 المعتمد في القرن العاشر و انما محمد بن ابراهيم
 ان هذا و انما - و انما - من انما و انما
 الخ - و انما - انما - انما و
 انما و انما و انما و انما و انما و
 انما و انما و انما و انما و انما و

453

⑤

مجلس الوزراء
الرياض ١٤١٠ هـ

١٠٠

[illegible]

مجلس شورای اسلامی

4

~~2~~



د. حسين راغب رئيس اللجنة الوطنية لاهياء تراث الامام محسن الامين مع عدد من
الشخصيات بينهم العماد اول مصطفى طلاس والدكتور مازن يوسف صباغ
والنائب محمد حبش

معاوية بن يزيد

قال البلاذري: أما معاوية بن يزيد فولاه أبوه يزيد عهده في صحته، ويقال بايع له حين احتضر فلما مات يزيد بايع الناس معاوية وأتتهبيعة الأفاق إلا ما كان من ابن الزبير، فولى ثلاثة أشهر ويقال اربعين يوماً ويقال عشرين يوماً، ولم يزل في أيامه مريضاً. وكان الضحاك بن قيس يصلي بالناس فلما ثقل قيل له: لوعهدت عهداً، فقال: والله ما نفعني حيا أفأتحملها ميتاً والله لا يذهب بنو امية بحلاوتها القليلة واتحمل مرارتها الطويلة، وإذا مت فليصل علي الوليد بن عتبة وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختاروا لأنفسهم رجلاً مرضياً عندهم. فما مات صلى عليه الوليد، وقام مروان بن الحكم على قبره فقال: اتدرون من دفنتم؟ قالوا: نعم معاوية بن يزيد، قال: بل دفنتم ابا ليلي، يستضعفه، وكانوا يكتنون كل ضعيف ابا ليلي. فقال بعض بني فزارة: لاأخذعن فان الامر مختلف والملك بعد ابي ليلي لمن غلبا

وقام الضحاك بأمر الناس بدمشق، ولم يعزل معاوية بن يزيد أحداً من عمال أبيه ولا حرك شيئاً ولا امر ولا نهى، وكان موته سنة اربع وستين وهو ابن تسع عشرة سنة ويقال ابن عشرين ويقال ابن ثمانين سنة ويقال ابن احدى وعشرين سنة، ودفن بدمشق. وحدثت عن ابن الكلبي انه قال: ولي ابو ليلي معاوية بن يزيد اربعين يوماً وتوفي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً.

حدثني هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد حدثني زيد بن واقد قال: مرض يزيد بن معاوية بعد ولايته الامر بسنتين من كبده فلما برئ واستقل قال لحسان بن مالك بن بحدل اني اريد البيعة لمعاوية بن يزيد، قال فافعل فدعاه يزيد فعانقه بولاية العهد وبايع له حسان بن مالك والناس. وكان معاوية ركبياً ليناً فكنى ابا ليلي، وهي كنية كل ضعيف. قال هشام بن عمار: وسمعت الوليد بن مسلم يقول: كانت ام معاوية بن يزيد، وهي ام هاشم بنت ابي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس امرأة برزة عاقلة فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وامه حاضرة فأمره بأمر فلما ولى قالت له لا وليت معاوية عهدك، فقال: افعل وناظر حسان بن مالك بن بحدل الكلبي في امره فشجعه على البيعة له، فاحضر الناس واعلمهم انه قد ولاه الخلافة بعده فبايع له ابن بحدل والناس، فلما مات يزيد بحوارين ببيع لمعاوية الخلافة وهو كاره، وكان سبب موت يزيد انه ركض فرساً فسقط عنه وانه اصابه قُطع، ويقال ان عنقه اندقت. وحدثني احمد بن ابراهيم الدورقي «حدثني وهب بن جرير حدثنا ابي»: ان يزيد بن معاوية كان استخلف معاوية بن يزيد فولى شهرين او اربعين ليلة ثم مات، فلما حضرته الوفاة قيل له لو استخلفت فقال كفيتها حياتي واتضمنتها بعد موتي فأبى وقال: وكان فتى لا بأس به ومات وله تسع عشرة سنة.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن ابيه، قال: كان معاوية كارهاً للخلافة، وكان يكني ابا عبد الرحمن بكنية جده، ومات ابن ثلاث وعشرين ودفن في مقبرة باب الصغير بدمشق. حدثني محمد بن يزيد الرفاعي، حدثني عمي كثير بن محمد عن ابن عياش الهمداني عن ابي اسماء السكسكي قال: كان معاوية بن يزيد يظهر التأله وكان ضعيفاً في امر دنياه فكني ابا ليلي، فلما افضى الامر اليه قام خطيباً فقال: ايها الناس ان يكن هذا الامر خيراً فقد استكثر منه آل ابي سفيان وان يكن شراً فما اولاهم بتركة، والله ما احب ان اذهب إلى الآخرة وادع لهم الدنيا، ألا فليصل بكم حسان بن مالك وتشاوروا في امركم عزم الله لكم على الرشد والخيرة في قضائه، ثم نزل فاعلق بابه وتمارض فلم ينظر في شيء حتى مات، وصلى حسان بالناس وهم منكرون لأمرهم حتى ولى ابن الزبير الضحاك بن قيس فبايعوه له، وان حسان اول حد الاردن فاقام هناك. وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال: دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له: اعطيت من نفسك ما يعطى الذليل الهين، ثم رفع صوته فقال: من اراد ان ينظر في خلافة آل حرب بن امية فلينظر الى هذا، فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء اخرج عني لا قبل الله لك عذراً يوم تلقاه. وحدثني محمد بن مصفى الحمصي قال سمعت مشايخ من مشايخنا يقولون ان معاوية بن يزيد بن معاوية قبل البيعة وهو لها كاره، فلما مات ابوه انفذت كتب بيعته الى الافاق فلم يرجع الجواب حتى مات. وكان فتى صالحاً كثير الفكر في امر معاده.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبته عن صالح بن كيسان قال: ولي يزيد بن معاوية بن يزيد ابنه الخلافة بعده وكان كارها لها، فلما مات ابوه خطب الناس فقال: انه كانت الخلافة خيراً فقد استكثر آل ابي سفيان منه وان كان شراً فلا حاجة لنا فيه، فاختاروا لانفسكم اماماً تبايعوه هو احرص على هذا الامر مني واخلعوني فانتم في حل من بيعتي، فقالت له امه ام هاشم: لوددت يا بني انك كنت نسيا منسيا وانك لم تضعف هذا الضعف، فقال وددت والله اني كنت نسياً منسياً ولم اسمع بذكر جهنم. فلما احتضر قيل له لو بايعت لاختيك خالد بن يزيد فانه اخوك لابيك وامك فقال: يا سبحان الله كفيته حياتي واتقلدها بعد موتي، يا احسان بن مالك اضبط ما قبلك وصل بالناس الى ان ترضى المسلمون بامام يجتمعون عليه.

وحدثني هشام بن عمار حدثني اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن مولى لمعاوية بنحوه، وزاد فيه: فلما مات معاوية مال اكثر الناس الى ابن الزبير وقالوا هو رجل كامل السن وقد نصر امير المؤمنين عثمان وهو ابن حوارى رسول الله (ص) وامه بنت ابي بكر بن ابي قحافة وله فضل في نفسه ليس لغيره، فما هو الا أن ورد كتاب ابن الزبير بتولية الضحاك بن قيس دمشق حتى سارعوا الى طاعة ابن الزبير وبيعته فاخذها الضحاك عليهم واتخذ ابن بحدل الى فلسطين فاقام لها ينتظر ما يكون وهو في ذلك يدعو الى خالد بن يزيد ويذكره وكانت فلسطين والاردن في يده من قبل يزيد بن معاوية ثم بقي عليها وعماله فيها. قال المدائني: كان اسم ام معاوية وخالد ابني يزيد فاخته وكنيت ام هاشم ثم كناها يزيد ام خالد بخالد ابنها ولقبت حبة.

أنساب الأشراف للبلاذري ٤ / ٦٢ - ٦٥ :

من أعلام الفوعة

الحاج محمد حسين راغب

١٣٣٧ - ١٤١٤ هـ / ١٩١٨ - ١٩٩٥ م



أحد أعلام مدينة الفوعة بمحافظة إدلب السورية، أديب متقفه عمل في التجارة واتجه لأعمال الخير والبر والإحسان والتبليغ الديني وكان من نشطاء حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ينحدر من الأسرة العلمية الشهيرة بني زهرة فهو السيد محمد حسين بن محمد راغب بن محمد حسين بن موسى الثالث بن أحمد بن موسى الثاني بن حسين بن موسى الأول بن شحادة بن حيدر بن ناصر الدين بن حيدر بن محي الدين بن تاج بن محمد بن حمزة أبو المكارم الثاني بن عبد الله أبو الفدا بن محمد الخامس أبو سالم بن محمد الرابع أبو سالم ركن الدين بن عبد المحسن الحسن الثاني بن زهرة الثاني بن الحسن الأول بن حمزة أبو المكارم بن علي أبو

المحاسن بن زهرة الأول بن محمد الثاني المدني بن محمد الأول المدني بن أحمد المدني بن الحسين المدني بن اسحاق المؤمن بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين السبط الشهيد سلام الله عليهم أجمعين.

ولد في الفوعة وأسهم في تأسيس الجمعية الفلاحية في بلدته منذ ريعان شبابه كما عين مختاراً وتولى إدارة لجنة أوقاف الفوعة، وشغل منصب مدير البريد والهاتف في الفوعة مع ممارسته الارشاد الديني بتوجيه من المراجع الدينية الذين ارتبط بهم منذ عهد الإمام السيد محسن الأمين ثم السيد محسن الحكيم والسيد حسين يوسف مكي العاملي ونجله السيد علي مكي، والشيخ حبيب آل إبراهيم العاملي، والشيخ عبد الحسن الأميني، وعلى عهد مرجعية الإمام أبو القاسم الخوئي كان أحد ثقائه في منطقته، وله علاقات متميزة مع أعلام الساحل

السوري منذ عهد المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي ومن بعده وهذا بعض ما قيل فيه من المراثي:

من كلمة السيد علي مكي العاملي:

السيد الطيب الجليل محمد حسين راغب... كريم الأصل شريف النسب إنه من بني زهرة، السادة النجباء النقباء العلماء، وممن عرفتهم مدينة حلب بالسيادة والرئاسة والمكانة والفضيلة، والشرف والعلم والتقوى والورع، وقد تحدث التاريخ عن مجد هذه الأسرة الكريمة، وعن مكانتها وعن موقعها العلمي في الوسط العلمي.

فقد كان منهم الفضهاء والعلماء، والنخبة العالية منهم، والتي لا تزال أفكارهم وأراؤهم وأفكارهم العلمية، محل اهتمام وعناية في مختلف المحاور العلمية - العقلية بما يتعلق بالعقيدة والفقهية والآراء الأخرى، ولا تزال آراء السيد حمزة أبي المكارم تتردد في الكتب وتذكر له في ترجمته وهكذا غيره من السادة الكرام من بني زهرة، حتى كانت أفكارهم وأراؤهم العلمية مدرسة لها طابعها الخاص كما كان لهم أثر وموقع في زعامة حلب. وكما عرفوا بالعلم عرفوا أيضاً بالفضل والمكارم والأخلاق العالية والخدمات الجليلة للمؤمنين.

والسيد أبو راغب من هذه العائلة والأسرة الكريمة، وسليل الأماجد الأطياب كان له موقعه في بلده (القوعة) وغيرها من البلاد، وكانت له مواقفه الكريمة وخدماته الجليلة، وكان بيته مفتوحاً يؤمه الناس، وليس غريباً أن تعرف عنه الفضائل والمكارم، وأن يتصدى لخدمة الناس وقضاء حوائجهم، فهو يحاكي الأصالة والنسب المحتد خلقاً وكرماً وسماحة وتواضعاً وتقوى، وليس غريباً حين يفقد مثل هذا الإنسان أن يكون له فراغ كبير بين الناس وأن يتأثر الناس لفقده وهكذا يكون المؤمن الصادق عند الناس.

يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لأولاده أجمع وذلك لما حضرته الوفاة، وكان في آخر وصيته:

(يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن فقدتم بكوا عليكم)..

وأخيراً (يا أبا راغب) إنك لم تغب عن أهلك وأخوتك وأحبائك وأهل بلدتك، بل أنت باق بذكراك العطرة بين الناس، بإيمانك وتقواك وخدماتك للمؤمنين والمحتاجين، ولما فلك الكريمة وخاصة من أهل العلم، فقد كنت صادقاً ووفياً ومجلاً لهم، وكذلك أنت باق بأنجالك وأحفادك الكرام، وخاصة حفيدك السيد حسين الذين اتوسم فيه كل خير، وأرجو أن يسير على نهجك ونهج آبائه وأجداده الكرام.

فرحمك الله يا أبا راغب وتغمذك برضوانه، وجعلك في جنان الخلد مع أجدادك الطيبين الطاهرين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله النجباء وسادة البشر وقادتهم رزقنا الله وإياكم شفاعتهم وثبتنا على مودتهم وولايتهم.

وصية محمد حسين راغب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العرش العظيم، والصلاة والسلام على محمد خير رسله وأنبيائه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إنني العبد الفقير إلى الله محمد حسين بن راغب بن محمد بن حسين بن موسى، أوصي بعد موتي ببعض الأمور والأعمال وأرجو من الله المغفرة والرحمة والقبول:

١. أريد منكم يا أبنائي الأحياء عدم الانتظار والإسراع بالدفن وعدم الإعلام أو الإعلام خارج القرية، وعدم إظهار أي معلم من معالم الكبر والغطرسة والغرور، أريد جنازة تقليدية كما قضى من قبلي أجدادي الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٢. الحزن علي ثلاثة أيام فقط، عملاً بالسنة النبوية الشريفة، ولا أريد لبس الأسود لأحد من عائلتنا وبعد مرور الثلاثة أيام تعودوا لحياتكم وعملكم الطبيعي، لأن الموت سنة الله في خلقه.

٣. أبنائي الأعزاء أوصيكم باتباع ولدي راغب وأخذ رأيه في كل أمر يحدث معكم، وأرجو أن تكثروا لي من الدعاء والاستغفار، وأرجو الإكثار من تقوى الله وطاعته، وعمل الخير والزكاة لأنني أنتفع بها بعد الموت فلا تبخلوا بذلك علي، ولأنه زادكم من بعدي، ولأنكم لاحقون بي ولا ريب في ذلك.

٤. أوصيكم باتباع مولانا السيد علي حسين المكي العاملي - حفظه الله - في كل الأمور المتعلقة بدينكم وأموركم الاجتماعية، والثقافية، المالية أوصيكم بحبه واحترامه وزيارته في كل مناسبة.

٥. أوصيكم بالحاج عبد الكريم أبو الخير كل خير واحترام ومساعدة، وأوصيكم بالشيخ محمد حسن تقي كل خير فإنه ابن الأخ والصديق.

٦. أوصيكم بكل عمل خير وبمساعدة جميع من يحتاج إلى مساعدة، وأوصيكم بوالدكم فالجنة تحت أقدام الأمهات.

٧. أوصيكم بأولادي وأوصيكم يا أولادي ويا أبنائي أن تحبوا بعضكم البعض، وتكونوا كالبنيان المرصوص. وأضع وأحمل كل ذلك إليك يا راغب فأنت جمل المحامل وأنت كبش الفداء الذي كنت وما زلت قدس هذه العائلة، لتقدم منك عن أخوتك لتحمل أعباء هذه الأسرة، فأنت الكبير تتحمل تصرفات الأصغر منك عمراً..

أوصيكم بالسماح والمسامحة من صفات الكريم فسارعوا جميعاً إلى الكرم، لأن الله كريم يحب الكرماء..

٨. أما أنتم يا أخوتي جميعاً، يا من اتصلت شرايين دمي بدمكم، حتى قطعني الله عنكم، أنتم روافد أحبتي ومسد ظهري، اجعلوا القرآن الكريم صديقكم ومؤنسكم والله يوفقكم ويجمعنا في جنات النعيم، في رحاب سيد المرسلين، عليه آل أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٩. ما أنتم يا أبناء العم، يا أحفاد رسول الله محمد، صلى الله عليه وآله وسلم يا أحفاد أمير المؤمنين، عليه السلام يا أحفاد جعفر الصادق، عليه السلام، يا أحفاد حمزة أبو المكارم، يا أحفاد أبو سالم

الرابع ركن الدين، مؤسس بلدة الفوعة والحضارة الإسلامية فيها، وكذلك مؤسس النهضة التربوية والثقافية، وناشر مذهب آل البيت فيها، عليكم مسؤوليات كبيرة وجمّة، فأنتم تحملون اسماً كبيراً وتراثاً عظيماً.

فأنتم نقباء الأشراف في حلب والشمال السوري، عليكم أن تحافظوا على تراثكم وعاداتكم وحبكم لرسول الله وآل بيته الأطهار الميامين، واعلموا أن عائلتنا بنو زهرة من أشرف الأنساب وأنبل العائلات والقبائل وهذا فخر عظيم يجب أن نحافظ عليه جميعاً والعمل الصالح، وحبنا لبعضنا البعض والوحدة والتمسك بحب آل البيت، والسير خلف قيادتهم وحديثهم والتمسك بحديث الإمام الحسين عليه السلام: (إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خديني) فهم القدوة وأن تحفظوا القرآن الكريم فإنه المنقذ الوحيد لنا ولكم.

١٠. أما أنتم أيها العلماء يا ورثة الأنبياء يجب عليكم أن تكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، فأنتم القدوة والمثل، وأنتم من تقع عليهم المسؤولية الكبرى والحساب العظيم، انظروا إلى من سبقكم إلى دار الآخرة، من العلماء الأجلاء، رحمهم الله السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد محسن الحكيم والسيد محسن الأمين والسيد حسين مكي العاملي، إنهم جميعاً عاشوا حياة التقشف، حياة الأبطال حياة المناضلين حياة جدي وجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لم يكن يهمهم البيت الفخم ولا السيارة ولا الحشود المكتظة ولا السلام المفتعل، كان كل همهم هو إعلاء كلمة الحق لا غير، كلمة الله أكبر. كلمة الضمير الحي. نعمك اتقوا الله أيها العلماء الأفاضل وليكن بينكم مزيداً من المحبة والتقوى والألفة والتواصل والله معكم إن شاء الله.

١١. أما أنتم يا أهالي بلدتي الغالي لكم كل الحب والوفاء ويجب عليكم جميعاً أن تكونوا عند حسن المسؤولية وأن تنقوا الصورة المشينة عن بلدة الفوعة وعن مذهب آل البيت عليهم السلام والله معكم جميعاً.

وأخيراً إنني وبكل صدق وإيمان أحببت بلدي الأم سورية العظيمة، وأحببت بلدتي الصغيرة الفوعة حباً لا يوصف وأحببت أهلها الطيبون، وكنت أحلم بوحدة الصف الإسلامي، وكان هدفي منذ الطفولة وكنت دائماً أسعى وبكل إمكانيات المتواضعة لأن تكون يداً واحدة، وضميراً واحداً، وقلباً واحداً، من أجل إعلاء كلمة الحق كلمة: الله أكبر.

كانت حياتي كلها لخدمة الدين الحنيف، وخدمة الوطن الأكبر، وأرجو من الله تعالى أن يوحد صفوف الأمة، ويحرر جميع الأراضي العربية والإسلامية المحتلة، وأن يحرر القدس الشريف، وإن لم يتحقق في زماننا، فإنها مسؤولية الأجيال القادمة، التي عليها الأمل، وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني ومنكم ومن جميع المؤمنين، وأسأل الجميع السماح والمسامحة، والدعاء لي بالمغفرة والرحمة، والله أكبر والنصر للإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفوعة ١١ / ١٠ / ١٩٨٩م

كلمة اية الله الشيخ الهاجري

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أما بعد..
بعد مرور ثلاثة أعوام من وفاة الصديق المخلص الصدوق الراحل الكبير سماحة السيد محمد حسين راغب آل زهرة رحمه الله وتغمده بواسع رحمته ومغفرته، لا يسعني في هذه الذكرى إلا أن أقول كلمة حق وكلمة صدق وكلمة وفاء للراحل العظيم.

كان رحمه الله شخصية لامعة جامعة، وكان طاقة جبارة من النشاط المتوقد الذي لا يعرف الملل ولا الفتور، فليس غريباً أن يخوض الميادين المختلفة وينجح ويتفوق في كل الميادين.
كان عذب النفس، رقيق الحاشية، مرهف الذوق، حباه الله موهبة كريمة وفطرة سليمة فغذاها بالعلم وزكاها بالفضائل، عُرف برأيه السديد وفكره المستنير وعقليته المنفتحة التي تنطق بالحكمة الخالدة والموعظة الحسنة.

كان رحمه الله يحمل جسمه وأعصابه الكثير من إرهاق العمل المتواصل في سبيل الله، مما جعل هذا الجسم على ما يتمتع به من قوة وحيوية نادرة، ينوء بالاثقال التي حملها وحده، وانطلق بها يسابق الزمن.

مهما قلت فلن أصل إلى درجة الوفاء لهذا الرجل المعطاء رحمه الله وتغمده بواسع رحمته، وألهمنا الصبر والسلوان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.
الحبيب إلى القلوب

بقلم حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد علي العمري

(المرجع الأعلى في المدينة المنورة وتوابعها)

قبل ثلاث سنوات تقريباً سمعنا نبأ وفاة السيد محمد حسين راغب الحسيني -قدس سره- وقد هزنا الحدث وأغلقت الفاجعة أمام القلب رحيب الكون الذي حاصره الذهول، وهرب العقل إلى متاهات اللامعقول.. وأخذت الدمة تبحث عن المدار لأن المصاب كبير.

وقد ودعت المناطق السورية الحبيب إلى القلوب الحاضر بيننا، المحلق دائماً في الأعالي نعم عرفناه سيداً كريماً وفيأ مخلصاً لدينه وأمته ووطنه، عرفناه منذ أربعين عاماً تقريباً فكان رسول خير وبركة رسول رحمة.

كان من الذين لم يذهب الدهر باسمهم، ولم يرعبهم الزمن، ولم تخرجهم الحقيقة، هم سلالة لا تنتهي.. السلالة الطاهرة.. السلالة الزكية.. سلالة سيدي رسول الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام.

لقد كان له -رحمه الله- الكثير من المآثر الخيرية.. فقد كان كالبلستان يؤكل من ثمره ويتفياً بظلاله واحدة خضراء تدخل السكينة إلى النفوس، فقد رسم على كثير من القلوب الفرحة والابتسامة بعد أن اكتنفها الفقر والعوز، وساهم بباعه الطويل وعطاياه المستمرة في الكثير من الصروح الدينية والأعمال الخيرية.. جعل الله ما قدمه في موازين حسناته وأجزل له الأجر والمثوبة.

كلمة الحاج محمد الزير - إدلب

بحمده تعالى حاز المرحوم الحاج محمد حسين راغب على أفضل الأسماء، فالاسم الأول محمد وهو كما جاء في الحديث الشريف، خير الأسماء ما حمد وعبد، وهو اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي هو حبيب الله ونبيه وأفضلهم عند الله تعالى. والاسم الثاني هو الحسين ابن سيدنا علي رضي الله عنه، الذي جاد بروحه في سبيل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وله من الفضائل ما يعجز القلم عن تعدادها وهو ابن السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهم وجزاهم الله خيراً، ويخدمه تعالى أعطي هذا الرجل الاسمين، وهما من الأسماء المباركة الطاهرة.

وقد رافقت الأخ المرحوم عدة مرات في طريق الحج والعمرة، فكان يتفانى في خدمة إخوانه الحاج بإخلاص وأمانة، ويقدم لهم النصائح في أمور دينهم ويحرص على راحتهم فهو لهم كالأب الرحيم الودود، ويحفظ الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وقصص الأنبياء رضوان الله عليهم أجمعين. وكان حلو الحديث، باش الوجه، يسهم على راحة أصحابه، ومن من الرجال القلة المشهورين بكرمهم وسخائهم وقد نذر نفسه وحياته لأعمال الخير كبناء الجوامع، ومساعدة الفقراء، وإذا قصدته في أمر لا يتأخر مهما كان ذلك الأمر بالغ الصعوبة والتعقيد، ومهما كلفه من حلال ماله، ولا يبغي من وراء ذلك إلا وجه الله الخالص ورضاه، وإذا قصد الضيوف إلى منزله الرحب فلا يشعرون إلا وهم في منازلهم.. وأنهم أصحاب البيت.

كلمة محمد حسين أبو النور

أبوراعب رجل أعطى التاريخ الشيء الكثير، وأعطاه التاريخ سجلاً حافلاً لا يندثر إلى ما لا نهاية، رجل يعرف كيف يفكر من أجل جيل كامل، فحقق لنا مالم يتحقق لغيرنا، إنه الرجل المنجز لتلك الطموحات والذي لا يقف عند حد.

أبو راغب فذ وقلب لا يعرف إلا الرحمة، كان عوناً للمحتاجين ورؤوفاً باليتامى، وحليماً في كل تصرفاته بوعيه وثقافته وحب، حكيماً في كل قراراته بقدرة فائقة لم تكتسب في يوم وليلة.

رحم الله أبو راغب الذي لن تنساه قلوبنا، ففي شهر رمضان المبارك العام ١٩٩٥م / ودعت بلدة الفوعة شيخاً من ابر شيوخها، ورجلاً من خيرة رجالها خلقاً وكرماً وشهامة ومروءة، بوفاته فقدت البلاد علماً بارزاً ومواطناً صالحاً أسهم في البناء وتواصل العطاء كان ينبوع خير يعامل الجميع بروح الأخوة والمحبة والألفة.

عرف يرحمه الله - بدمائه الخلق وحبه للناس، ووقوفه إلى جانبهم يمد يد العون لمن هم في حاجة للمساعدة، وهذا قليل من كثير من الجانب الإنساني.

لقد ساهم السيد الفقيد أبو راغب بالجهد الوافر، والعطاء الكبير في دفع الحركة الدينية والثقافية في بلدتنا الفوعة الغالية من خلال دعمه المتواصل بالمال من خلال استقباله في منزله العامر كبار المراجع والعلماء وأهل الفكر والدين لأيام عديدة واستقبال جموع غفيرة من المواطنين من الفوعة وكفريا ونبيل والزهراء، وضيوف المحافظة.

ولا يمر يوم إلا ويتوافد على بيته عشرات الضيوف وأصحاب الحاجات. كما كانت له الكثير من المواقف الإنسانية التي تستحق الإعجاب والإكبار والإجلال والتقدير، أحب الناس شاركهم أفراحهم وواساهم في أحزانهم كان يرحمه الله شخصية أسرة يذهلك بنبله وشهامته وإنسانيته، ومسؤولاً عظيماً بأسرك بقوة شخصيته وإنجازاته وقدرته على إدارة مسؤولياته. تولى إدارة لجنة أوقاف الفوعة، وذلك بتكليف وإصرار من سماحة آية الله العظمى السيد حسين مكي العاملي -رحمه الله- لثقتة اللامحدودة بفقيدنا الغالي فكانت إنجازاته في سنوات إعجازاً يصعب تحقيقه في عقود: فقد بنى الحسينية والمكتبة وقبل كل هذا تم ترميم مئذنة المسجد الكبير، وجرى ترميم عدة مساجد في البلدة، وسور المقبرة وبنى فيها المصلى وتمت مساعدة الكثير من الفقراء والمحتاجين وابتداء السبيل في عهده الميمون. كما أنه كان وكيلاً شرعياً للسادة الكبار: عبد الحسين شرف الدين، ومحسن الأمين، ومحسن الحكيم، والسيد حسين مكي العاملي.

وقد حظي -رحمه الله- بعدة اجتماعات مع السيد ابو القاسم الخوئي في النجف الأشرف وعدة مقابلات مع السيد الإمام الخميني -رحمه الله- وكان رحمه الله رسولاً رحيماً للطلبة العرب في مدينة النجف الأشرف، ومدينة قم المقدسة، فكان يجتمع بجميع الطلبة العرب في وقت زيارته للجمهورية الإسلامية الإيرانية، حاملاً لهم هدايا من سورية، وكان دائماً رسول خير يحثنا على الحب والتفوق في الدراسة وعمل الخير.

أسأل الله أن يتغمّد السيد محمد حسين راغب الحسيني، سيد الفوعة الأول بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته.

د. مازن يوسف صباغ

كان الشيخ رحمه الله من المناضلين في سبيل القضايا الوطنية ودانت داره مقراً للداعين إلى القومية العربية، ومقراً لمناصري التوجه الوحدوي، وبخاصة إبان الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٨٥، وظل حتى نهاية حياته من المؤمنين بالفكر القومي فكان معجباً بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي كان يصفه بأنه رمز السلام والتضحية والإصرار على تحقيق أهداف الأمة النبيلة ومؤمناً وملتزماً بقيادة الرئيس الراحل حافظ الأسد بما يحمل في قلبه المؤمن من سجايا كريمة وصفات نبيلة، يمثل جوهر معاني البطولة والإباء والفروسية العربية الحقيقية، كما ويجسد في مواقفه الوطنية والقومية ضمير العرب.

لم يكتف الشيخ محمد حسين راغب بحدود مجتمعه الصغير بل انطلق بعمله الطيب إلى آفاق المجتمع الأكبر فاستفاد من موقعه كقائد لبعثات الحج وتجمع المسلمين مع اختلاف انتماءاتهم المذهبية في صعيد واحد ليعزز أصر التواصل بالحوار الهادئ والهادف والبناء، حيث قام رحمه الله بـ ٣٧ حجة إلى مكة والمدينة بالإضافة إلى ٢٢ عمرة و ٢٤ زيارة للعبات المقدسة في العراق و ٢٢ زيارة للمقدسات في إيران وزيارات للمسجد الأقصى في القدس قبل الاحتلال الصهيوني.

استقبل الوفود المتعددة من العلماء في بيته بالفوعة، إضافة إلى علاقات الصداقة والحوار التي جمعتها مع أبناء المناطق الأخرى في بلده الأم سورية، واعترف بجهوده الكبيرة في خدمة قضايا الأمة كبار الشخصيات والمراجع الدينية في الوطن العربي وخارجه التي استقبلته وحاوخته وشجعتة وهنأته. وكانت كلماته دائماً: انتبهوا نحن تقتلنا التفرقة وتجمعنا كلمة الحب والود، نحن مسلمون ندعو إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا فرق بين شيعي وسني إلا بالتقوى والعمل الصالح، ولطالما أدعوكم إلى الوحدة الدينية- الإسلامية وعدم التفرق.

إن الشيخ محمد حسين راغب الذي انتقل إلى رحمه الله والتي تصادف ذكرى وفاته في ١٥ رمضان هو سليل التقاليد السورية الأصيلة في التسامح والمحبة والمودة والعيش المشترك بين أبناء الشعب السوري الواحد الفخور بتعدد أطيافه وأديانه ومذاهبه وأعراقه وأثنياته، هذا الشعب الذي يعيش التقارب والتقريب باعتباره خبز الحياة اليومي لا شعاراً يرفع في المؤتمرات والمندليات والمهرجانات فحسب.

والشيخ راغب وأترابه من السوريين الذين كانوا يعملون من أجل وطنهم ومجتمعهم وتطوره وتعزيز لحمتهم من داخل مدنهم وقراهم ومن مواقعهم وإمكاناتهم -كبيرة كانت أم صغيرة هم ملح الأرض، وهم الدعائم الأساسية في تعزيز وتقوية بناء الوحدة الوطنية التي تحصن سورية وتحميها وتدفع عنها نوائب الدهر وعوادي الزمان ومكر الحاقدين وغدر المتربصين.

الشيخ محمد ديب - ناحية الأتارب

اللهم صلي على محمد سيد رسلك وعلى الأطناب من أهل بيته الطاهرين.

شقيق الصلبة الطويلة، رفيق السفر والحضر في العمل في العمل العام والمودة الخاصة، كانت له سجايا الخير وأخلاق الصفوة إنها أخلاق الرجولة المفتحة، تشرئب من نفس إنسان كبير، متلازمة تتبارى بالفضل والسؤدد حتى ليحار المرء وهو يريد أن يتحدث عن أخلاق الفقيد الراحل: محمد حسين راغب، طيب الله ثراه، بما يبدأ وعن أي شيء يتحدث؟ عن عطائه وبذله؟ عن جراته في الحق وثباته عليه. عن عذوبة نفسه وشفافية ذوقه عن فرحه بالنصح وإقراره بالخطأ عن صبره بالله ورضاه بحكمه وحكمته عن وفاته وصفائه.. عن وعن.

أجل إنها أخلاق الرجولة، حياء الله منها موهبة كريمة، وفطرة سليمة، فغذاها بالعلم وزكاها بانفضائل والمناقب، حتى كان كما يشهد له الأصدقاء والأقرباء، بأنه الرجل الفذ والإنسان المفضل والشخصية اللامعة الجامعة.

كان رحمه الله اريحيا كريماً، يتحرى النهوض بوجائب الأخوة لكل وارد وصادر، حتى أنه ليتصدى لاستضافة فضلاء الرجال الذين يؤمنون بلده، شاعرا بأن ذلك حق عليه، ما يسوغ له التخلي عنه، وثو كان في ضيق من أوضاعه وواجباته العامة والخاصة، فهذا من أدب المسلم الملتزم، ومن المتابعة لخلق الرسول الكريم، صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في سيرتهم الندية العطرة.

وكان رحمه الله يغتنم هذه المناسبات ليربط فيها بين ضيوفه وزواره وبين الدعوة لمذهب أهل البيت عليهم السلام، في إطار من المودة السمحة فكان منزله في مثل هذه المناسبات -وما أكثرها- مجتمعاً أدبيات وملتقى أخوياً، هذا فضلاً عن إقبال وسخاء طبعه في نجدة إخوانه، والإسهام في أعمال الخير الخاصة والعامة بأوفر نصيب يقدر عليه.

أما صبره ورضاه فقد كان آية من آيات إيمانه الكبرى، ومظهراً منفرداً من مظاهر شخصيته العظيمة، فقد كان -أكرمه الله- رائع الصبر والرضى بحكم الله جل وعلا، يقبل أمر الله ولا يعترض، مقراً بوجود حكمة الله ولو كانت خافية عليه، وكما كان يرجع إلى التسليم والدعاء، عن إيمان عميق غير تارك أي سبب من الأسباب يستطيع الأخذ به.

كان هذا شأنه في شبابه، وشدة بأسه وتوقد عزيمته، حتى إذا نزل فجأة مرضه العضال، وطوقته الألام المبرحة من كل جانب وهو ما يزال في عنفوان الرجولة، تقبل حكم الله بإيمان راسخ وشجاعة فائقة ولسانه منطلق بالحمد والتسبيح، كما لم يغادر وسيلة من وسائل الطب الحديث وغيره إلا أخذ بها وسافر إليها تاركاً مآل الأمر إلى الله تعالى داعياً إياه أن يكشف عنه البلاء، ويلهمه مزيداً من الصبر والشكر على الابتلاء.

وكانت حياته في المرحلة الأخيرة المريرة من عمره قدوة حسنة مثلى، وتعبيراً صادقاً عن معنى الصبر في الإسلام، الذي تسلم به الرسول العربي الكريم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

الحاج وليد السم - أدلب

إن الحديث عن السيد الحاج محمد حسين راغب، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، لا ينتهي، ومهما تحدثت عن مكارم أخلاقه وبما اتصف به بطاعة الله والنزاهة، فقد مكنه الله من أمور كثيرة أهمها الدعوة إلى التوحيد الديني، ونشر الوعي، وزيارة العلماء الكبار ومجالستهم، والدعوة إلى توحيد كلمة المسلمين، دون تضيق بين شيعة وسنة.

كان رحمه الله - عالماً كبيراً فقيهاً في أمور الدين، مخلصاً لله ولرسوله وأهل بيته، يتصف بصفات القيادة والرجولة والإمامة فهو الرجل الشجاع وصاحب الآراء الصائبة، وقد كان صاحب منزلة كبيرة عند علماء النجف الأشرف ومراجع الدين الكبار هناك.

وقد جئت مرة إليه طالباً منه رسالة توصية، لأنني كنت أسافر بصورة مستمرة إلى العراق والكويت والسعودية، حيث زودني برسالة السيد محسن الحكيم، رحمه الله في العراق وحين دخلت عليه بالرسالة قام وقبلني، وكانني أحمل رسالة من عالم أكبر منه في العلم والسن، وطول الوقت وهو يسألني عن أحوال السيد الحاج محمد حسين راغب وأموره، ولقيت احتراماً شديداً ومعاملة من أحسن ما يكون. والتقيت بعلماء كثر في النجف الأشرف، وهم على معرفة ودراية تامة بالسيد محمد حسين راغب، ويحملون له كل الود والاحترام والتقدير، طلبت مرة مقابلة السيد (أبو القاسم الخوئي) المرجع الأعلى لشيعة آل البيت في العالم.

وتمت المقابلة بحمد من الله وتوفيقه، وقد عرفته عن نفسي بأنني من محافظة إدلب وعلى الفور سألتني عن أحوال السيد محمد حسين راغب وصحته، وحينما عرف أنني على معرفة تامة بالسيد محمد حسين راغب، فما كان منه إلا الإصرار على تناول طعام العشاء على مائدته الخيرة، وعرض علي جميع أنواع العون والمساعدة.

ومرة أخرى في النجف الأشرف، التقيت بالعلامة الكبير الشيخ حسين خليفة، وهو من علماء الشيعة الكبار في المملكة العربية السعودية، ومن خلال الحديث العفوي أيضاً تعرف علي، وقد كان على معرفة بالحاج محمد حسين راغب، رحمه الله وكان يحمل أسمى مشاعر الوداد والاحترام لذلك الإنسان الجليل.

صفحات من تاريخ بلدة الفوعة

الدكتور حسين راغب

قال عنها المؤرخ ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) ما لفظه:
الفوعة: بالضم، ولا اشتقاق له على ذلك، وإنما الفوعة بالفتح للطيب رائحته، وفوعة السم: حمته، وفوعة النهار أوله وكذلك الليل، وهي قرية كبيرة من نواحي حلب، وإليها ينسب دير الفوعة.
وجاء في كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي: هي مدينة في الغرب من حلب على نحو مرحلتين صغيرتين منها على مسيرة يوم وعملها متسع ومن مضافاتها الفوعة، وتسمى هذه الولاية الغربيات، وهي مدينة غير مسورة وبها أسواق ومسجد وجامع وشرب أهلها من الماء المتجمع من الأمطار، وهي خصبة كثيرة التين، والزيتون.

والفوعة اليوم عدد سكانها ١٨٩٧١/ نسمة، من أعمال محافظة إدلب، على بعد ١٠/ كيلومترات من الشمال الشرقي لمدينة إدلب، وحولها مساحات واسعة من السهول الخصبة، ترويه المياه الجوفية من الآبار الارتوازية، التي يتجاوز عددها المائة وتسورها من جهاتها الأربع كروم الزيتون. وهواؤها جاف ونسيمها عليل، وترتفع ٤٢٠/ متراً عن سطح البحر، ويتبع لها مزرعتان الصواغية، والحزبية.

وفي هذه البلدة نبغ العديد من العلماء والفقهاء على مر التاريخ، منهم: عبد الله بن حمزة، وأبو الحسن بن زهرة، وابن الحسن بن عز الدين أبو المكارم حمزة، وأبو سالم ركن الدين الرابع، والمجني الفوعي. وفي القرن السادس عشر للميلاد، ظهر العالم والطبيب داود بن عمر الأنطاكي الفوعي، وجاء في كتاب (معجم الأطباء) للدكتور أحمد عيسى ما لفظه: وتوفي العالم والطبيب العام ١٥٣٥م/ في مكة المكرمة والذي لم يعرف أعلم منه في علم النباتات والأعشاب الطبية.

كما نبغ في هذه البلدة العارف الزاهد مهنا بن الشيخ إبراهيم بن مهنا الفوعي المتوفي العام ٧٣٦ هـ وهناك قصيدة رثاء بهذا الشيخ الجليل موجودة في ديوان ابن الوردي ومنها:

أسأل الفوعة الشديدة حزناً عن مهنا هيهات أين مهنا؟
أين زين البلاد عين البرايا شيخ أهل الزمان لفظاً ومعنى؟
قدس الله قبر سر مهنا فهو من أطيب البقاع وأهنا

كما حظيت بلدة الفوعة في العهد القريب، ببعض العلماء والأدباء، ومنهم العالم الكبير الحجة السيد محسن آل طاهر، وله كتاب في (طهارة أهل الكتاب) وكتاب (البيان في الحجة والبرهان)، وكتاب في (الأدعية) وقد درس على يديه الكثير من طلاب العلم، أصبح بعضهم فيما بعد من مشاهير العلماء، وقد انتقل إلى جوار ربه العام ١٩٦٢ م، ومنهم العلامة الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد علي، وقد رثاه نجله الشيخ موسى بقصيدة نختار منها:

يا كعبة الأدباء كم من مهجة ودت لجسمك أن تكون ضريحاً
قد كنت للإسلام صارم عزه ملأ القلوب في العداة جروحاً
أبديت علمك للمهذب فاهتدى وأخو العمى والجهل ضل جموحاً

ومنهم الشيخ موسى تقي بن الشيخ إبراهيم الأنف الذكر، درس في النجف الأشرف، وعاد إلى بلدة الفوعة ليحل محل والده، بالحاج شديد من أهالي البلدة، وله مشاركات شعرية في الفوعة وغيرها.. ومنهم الأديب الفاضل الشاعر الحاج أحمد رشيد مندو.

ومنهم الأديب والشاعر الحاج أحمد بغدادي، والد الشاعر الحاج مصطفى بغدادي، وجد الشاعر والأديب المبدع الحاج حسن بغدادي الذي يتابع مسيرة آبائه وأجداده الكرام.

الشيخ إبراهيم تقي (١٨٥٠ - ١٩٣٨ م)

ولد في الفوعة بمحافظة إدلب لأسرة علمية يرجع نسبها إلى الشهيد الأول العاملي مؤلف كتاب اللعة الدمشقية.

وعاش معظم شبابه مع والده المجتهد الشيخ محمد علي الذي كان قاطناً في النجف الأشرف، واختلف هو على أعلام النجف وتلمذ لديهم وأصبح من الفقهاء، وعاد إلى الفوعة وتنقل في كثير من البلدات والقرى السورية واعظاً ومرشداً، وكان يجيد فن المناظرة وينظم الشعر وكانت له اليد الطولى في تأسيس أول مدرسة في بلدة الفوعة.

الشيخ موسى تقي (١٩٠٠ - ١٩٩١ م)

وهو ولد المتقدم، أحد أعلام الفوعة وفقهائها وقد ولد فيها ثم هاجر إلى النجف الأشرف، ودرس فيها منذ عام ١٩١٢ وكان برعاية أخواله من آل الجليبي من العراقيين وبعد خمسة عشرة سنة متواصلة عاد إلى سورية سنة ١٩٢٧ لمدة شهر واحد ثم قفل راجعاً إلى النجف الأشرف وفي العام ١٩٣ توفي والده

فعاد إلى الفوعة وبقي فيها مرشداً وعالمًا وهو والد فضيلة الشيخ محمد حسن تقي والذي سار على سيرة والده وأجداده في طلب العلم الشرعي وذلك بعد تخرجه في كلية الاقتصاد والتجارة حيث هاجر إلى قم (إيران) ودرس فيها وبعد عودته أصبح من الموجهين الدينيين في الفوعة. وللشيخ موسى تقي نظم في عدد من المواضيع الدينية ومن ذلك قوله من قصيدة في مدح الإمام عليه السلام:

لله ضريبة حيدر	منها الضلال تبدا
والنور أشرق ساطعاً	والحق بات مفردا
وكفى الإله المؤمنين	بذي فقارك منجدا
أسديت فضلاً لم نجد	مثلاً له طول المدى
فهنالك قال المصطفى	قولاً يردد سرمداً
لك يا علي من الجزا	عند الإله مخلدا
وختام قولتي ناظماً	يا رب كن لي مسعداً

عبد القادر الحسيني (١٨٧٥ - ١٩٧٧)

السيد عبد القادر الحاج موسى الحسيني، من علماء الفوعة كان واسع الفهم والحفظ والخبرة في الحديث والرجال وفضل آل البيت، له مجموعة مخطوط يضم بعض محاضراته ومناظراته ويقع في ثلاثة أجزاء.

الشيخ محمد ناجي الغفري (١٩٠٥ - ١٩٨٩ م)

ولد في قرية زرزور (محافظة إدلب) درس في منطقته ثم صحب العلامة الشيخ محمد سعيد العرفي حينما كان مبعداً إلى انطاكية من قبل السلطات الفرنسية، فلامزه وتلمذ عليه، وله جهود كبيرة في خدمة مذهب آل البيت عليهم السلام.

ومن ذلك تأسيسه لمسجد الزهراء الكبير في قرية زرزور، وللشاعر الحاج أحمد رشيد مندو عدة مقطوعات قالها مرحباً أو مهناً الشيخ الغفري أثبتها في ديوانه المسمى سوانح الأفكار في رياض الأشعار ص ١٣٢ - ١٣٤.

السيد محسن آل طاهر الموسوي المتوفي ١٩٦٤ م

ولد في الفوعة، ودرس العلوم الدينية في النجف الأشرف وكان من الفقهاء المتضلعين صدر له عدة كتب منها: طهارة أهل الكتاب، البيان في الحجة والبرهان، كتاب في الأدعية.

الدكتور بدر الدين عبد الحسن الحسن المولود ١٩٤٦م

أحد أعلام سورية، ولد في الفوعة ونشأ فيها هاجر إلى موسكو ودرس في أكاديمية العلوم الاجتماعية وحاز على دبلوم في العلوم السياسية والاقتصادية، وتابع دراسته في موسكو بكلية الصحافة وحصل على شهادة الماجستير في الصحافة عام ١٩٧٩م، وفي ١٩٨٢ نال شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ مع اختصاص في الصحافة.

عمل في الصحافة كما عمل أستاذ في المعهد العالي للعلوم السياسية ودرس في جامعة سبها (ليبيا) وكتب عدة بحوث ودراسات وكتب.

الدكتور حسين راغب

أحد أعلام أسرة بني زهرة العلوية الهاشمية العريقة والمشهورة في حلب الشهباء، ولد في الفوعة، وبها نشأ وترعرع في بيت العز والشرف، وتحت رعاية خاصة من جده المبجل الرجل السؤدد والكرم والعلم النافع المغفور له الحاج محمد حسين راغب.

تلقى علومه الأولية في الفوعة والشام، نال الليسانس في الإعلام من الجامعة الحرة ALHURAA UNIVERSIY والدكتوراه من جامعة الحضارة الإسلامية.

عمل في التجارة واشتغل في السياسة عضواً للمكتب السياسي لحزب الإصلاح الديمقراطي الوحدوي، وانتسب إلى عدد من الجمعيات والمنتديات الفكرية، والثقافية داخل سورية وخارجها ومنها: اتحاد المؤرخين العرب، جمعية العاديات، اتحاد كتاب الناشئين العرب في أوروبا، نادي التمثيل العربي للأدب والفنون في حلب، لجنة إحياء التراث في محافظة إدلب، اللجنة الوطنية لتكريم الشهيد سليمان الحلبي، لجنة تكريم الإمام السيد محسن الأمين.

ودأب على المطالعة وأعد مجموعة طيبة من الكتب والبحوث المختلفة صدر منها:

١. أعلام وأدباء من محافظة إدلب في القرن العشرين، دمشق ٢٠٠٣ - دار الفتاة.

٢. كنز المعلومات.

٣. محمد حسين راغب (في مسيرة جده) دمشق ٢٠٠٢ - دار الفتاة.

٤. حسيب كيالي جاحظ العصر وهو من أهم كتبه قال فيه الأديب الأستاذ خطيب بدله (عدا عن الجهد الكبير الذي بذله في سبيل الحصول على كل ما كتب وقيل في حسيب كيالي، فقد وضع حسين راغب مقدمة نقدية متميزة استطاع أن يتلمس كافة الجوانب التي أحاطت بتجربة حسيب كيالي الطويلة والفنية.

٥. ضحايا حوادث السيرة والطرق.

مراجع (مجلة الحوار، العدد ٢٩ الصادر في ديسمبر ٢٠٠٨، والعدد ٣٥ يوليو ٢٠٠٨ دمشق، جريدة بلدنا

العدد الصادر في يوم الخميس ١ / ٤ / ٢٠١٠، جريدة الوطني الحر سبتمبر - أكتوبر ٢٠٠٩ - دمشق.



الشيخ جواد محمد جواد

١٩٢٢م - ٢٠٠٣م

العلامة الزاهد المرحوم الشيخ جواد بن محمد بن جواد آل جواد، من مواليد الفوعة - محافظة إدلب - الجمهورية العربية السورية، عام ١٩٢٢م.

درس علوم النحو والصرف والبلاغة وترتيل القرآن في سن مبكرة، في قريته الفوعة دراسة مستوعبة، على يد أستاذه الشاعر المرحوم الحاج أحمد رشيد مندو، حتى برع فيها وصار علماً من أعلامها.

رحل إلى لبنان في طلب علوم الدين، فاستقى من بحر كل من العلامة السيد حسن اللواساني، والعلامة الشيخ حبيب آل إبراهيم. ثم انتقل إلى حوزة النجف الأشرف. فاغترف من علوم كل من العلامة السيد عبد الصاحب العاملي، والعلامة الشيخ عيسى الحويزي.

إلا أن ظروفه المادية، وظروفاً أخرى صحية، اضطرتّه للعودة إلى قريته الفوعة، إماماً وواعظاً في مسجد الحي الشرقي، وبقي يمارس وظيفته تلك بدأب وهمّة عالية حتى يوم وفاته. أدى لأهل قريته الفوعة ومن حولها خدمات جليلة. مما دفعهم لأن يقيموا له حفلاً تكريمياً رائعاً عام ١٩٩٣م، اعترافاً له بالجميل والفضل.

توفي في قريته الفوعة في الثامن من شهر رمضان عام ١٤٢٤هـ الموافق للثالث من شهر تشرين الثاني عام ٢٠٠٣م. رحمه الله تعالى.

وقد رثاه شقيقه إبراهيم محمد جواد بالقصيدتين التاليتين:

نار وجدي أم شعلة في جناني	أم لهيب قد شب في وجداني
فاكتوى من شواظه لب قلبي	وشوى بالجمار حر لساني
ماظننت الحروف تشرد مني	ما حسبت الزمان يسلو بياني
فاجأتني الأنباء ترمي فؤادي	بسهام مسمومة وسينان
فاجأتني الأنباء فاحتبس الدم	ع الذي كان دائم الجريان
أخذ الموت سيدي وطواه	فاجتواني إعصاره وطواني
لبستني الأحزان واعتصر الهم	م فؤادي وهز كل كياني
غاب عنا الحبيب ذات صباح	فاغتدى صبحنا بلا عنوان
غاب رمز الفخار عنا فبتنا	في ضياع وحيرة وارتهان

سادتي قد علمتم أي رزء
الذي كان لليتامى كفيلاً
كنز علم قد فاض من شفثيه
ومنار للدين شع ضياء
نجم حلم وكوكب لسماء
لا تسل عن قيامه في الليالي
وينحى الفراش عن جانبيه
كم تنادت جنود إبليس ليلاً
في أذى ذلك الجواد فما كا
غاضها جريه نشيطاً قوياً
رابط الجأش ثابت الخطو صلباً
قد قضى الله أن يرى أوحدياً
قصارع الغش والخداع طويلاً
ونضا صارم السيوف جهاداً
ولقد كان في الورى نبع جود
كم دعا الناس للتآلف والإح
وتداعى الشباب للأخذ عنه
فلئن كان منهم ذا جحود
إذ هداهم لكل خلق عظيم
لم يكن سيدي يتيه افتخاراً
كان يرضى من الجميع مسيراً
ولقد كان في الحياة صبوراً
فحباه الإله هالة نور
وكسا رأسه بتاج ضياء
فعسى في الممات يلقي حبوراً
كل نفس وإن بدت بأمان
رب إنا لفقده في التياغ
واختتم عمرنا بأحسن حال
ولكم سادتي عظيم امتنان
شكر الله سعيكم وحباكم

وجاء في القصيدة الثانية:

حل من فقدر سيد الفرسان
لا يبارى برقّة وحنان
وغدا القلب مسكن العرفان
يفضح الجهل في ردا الكفران
تجعل الزهد أول الأعوان
بين أيدي الإله دون توان
كي يناجي جلالة الرحمن
ونهاراً لنصرة الشيطان
نت لتجني سوى لظى الخسران
رغم بعد المدى عصي العنان
لا يدانيه في الصلابة داني
في التقى لا يرى له من ثاني
والربا والجحود للديان
فأقضت مضاجع الطغيان
وحنان ورافقة وأمان
سان والحب والندى الفيان
فهداهم للعلم والإيمان
فالكثيرون أذنوا بامتنان
ليقيهم حرارة النيران
أو يماري جدارة الأقران
يجمع الجهد في رضى الرحمان
دائم الحمد دائم الشكران
تتبدى بوجهه النوراني
أين منه لوامع التيجان
وارتياحاً بجنة الرضوان
سوف تفنى فيا غرور الأماني
فأغشنا بالصبر والسلوان
من يقين بقي من العصيان
أجزل الله أجركم بجنان
من نداه بنعمة الغفران

أركضت ذاكرتي على جدِّ الصواب
وبأنك النبض المقيم بمهجتي
الموت كأس مترع كل الورى
إن كان غيب جسمك الدن الثرى
تأبى سفينتك المنيع أن ترى
هي بحر حلم فوق بحر من ندى
فنهلت من شفتيك كأساً من هدى
ولطالما رغب الصحاب برشفة
وسريت في نسغ الحياة تردّها
وجرت ينابيع الزهادة والتقى
بك سيدي درجت لنا كل المنى
نحن الفراس وأنت من يمينه
وغرستنا يا سيدي ببراعة
وغذوتنا حب النبي وآله
لا غرو أن طابت ثمار غراسه
تلك الأرومة قد صفت أصباغها
حرف على شفة الزمان مسطر
إن قيل مت نعم فتلك حقيقة
مازلت شمسا يستضاء بنورها
يا شيخنا لك في القلوب مكانة
كانت إذا اشتجرت بنات ظنونها
من علم من زقوا العلوم جميعها
ذاك النبي وآله كهف النهى
فاهناً بصحبته وعش بجوارهم

وعلمت أنك حاضر رغم الغياب
لا شك فيما قد علمت ولا ارتياب
لا بد ذايقه ليرجع للتراب
فلأنت روحاً لا تزال على الركب
مhezومة مهمما بها ماج العباب
في بحر علم طاب لي منه الشراب
ورشفت من كفيك أسرار المتاب
فسخوت فيما قد وهبت إلى لصحاب
بعد الكهولة والتغصن للشباب
فاخضوضرت من ريبها ظمأى الرحاب
بك يا حبيب الروح قد نلنا الرغاب
شق الثرى وسقاه بالمزن الخصاب
فلنا من الله الهدى ولك الثواب
لنكون من عتقائهم يوم الحساب
فجدوعها سقيت بقطرات عذاب
فالتابع من فرع الأرومة مستطاب
وصحيضة قد عطرت بشذا الكتاب
لكن اسمك لم يزل ملء الشعاب
والشمس يسري ضوءها رغم السحاب
إذ كنت تسعى أن يطيب لها المآب
وتشابكت أمطرتها فصل الخطاب
فغدوا وقد دانست لهم كل الرقاب
حصن التقى بضيائهم شع الصواب
وظلالهم في جنة لا تستراب

وله دغر المناقب في مدح الإمام علي بن أبي طالب (ع)،

أبو الحسنين مفخرة المفاخر

وسيرة منتهى كل المآثر

أجل الخلق قدراً بعد طه

وأنبه كل أرباب البصائر

تَبَوُّاً مَقْعِداً فِي الْمَجْدِ أَعْلَى
فَعَنَهُ السَّيْلُ يَنْحَدِرُ انْحِدَاراً
يَرَاهُ إِلَهُهُ مَنْ نُورٍ قَدَسٍ
هُوَ النُّورُ الَّذِي الرَّحْمَنُ مِنْهُ
لِذَلِكَ كَانَ لِلْمَخْتَارِ صَنَؤاً
وَكَانَ وَزِيرُهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَبَاتَ مَكَانَهُ يَضْدِيهِ لَمَّا
فَبَاهَى رَبُّهُ الْأَمْلاكَ فِيهِ
إِلَى الْإِسْلَامِ قَدْ سَبَقَ الْبَرَايَا
مَنَاقِبُهُ تَفُوقُ النُّجُومَ عِداً
وَكَمْ فِي وَصْفِهَا الشُّعْرُ تَبَارَوْا
فَدُوحَتُهُ الْكَرِيمَةُ فِي شَمُوحٍ
أَبُوهُ ذُو الْمَكَانَةِ فِي قَرِيشٍ
لَقَدْ عَانَى الْكَثِيرَ لِأَجْلِ طَهٍ
وَأَمِنَ بِالنَّبِيِّ بِلَا ارْتِيَابٍ
فَإِنْ يَلْتَمِ تَدِينُهُ لِحَرَصٍ
كَمْ مِنْ آلٍ فَرَعُونَ اتِّقَاءَ
وَحِمَزَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَمٍ
وَجَعُفَرُ الشَّهِيدِ أَخُوهُ فَاعْلَمْ
وَزَوْجَتُهُ الْبَتُولُ أَجَلُ أَنْثَى
كَرِيمَةُ أَحْمَدٍ مَنْ فِي رِضَاهَا
مِبَارَكَةٌ مَطْهَرَةٌ عَفَافُ
بِهَا خَصَّ النَّبِيُّ أَبَا تُرَابٍ
وَسِبْطُ الْمُصْطَفَى وَلَدَاهُ مِنْهَا
هُمَا خَيْرُ الشَّبَابِ بِدَارِ خُلْدٍ
وَمِنْ أَحْفَادِهِ حَجَجَ عِظَامُ
أَوَّلِكَ تِسْعَةَ نَجَبٍ وَقَاهُمْ
تَتِمُّ بِهِمْ أُنْمَةُ آلِ طَهٍ
هُمْ سَفْنُ النِّجَاةِ وَهُمْ لِعَمْرِي
بَيْتُ اللَّهِ مَوْلَدُهُ وَهَذَا
لَقَدْ خَصَّ إِلَهُهُ بِهَا عَلِيّاً
وَقَدْ رِياه أَحْمَدُ بِاهْتِمَامٍ
وَوَرَّثَهُ شِمَائِلُهُ جَمِيعاً

يُظَلُّ إِلَيْهِ يُشَخَّصُ بِالنَّوَاطِرِ
وَلَا يَرْقَى إِلَى مَغْنَاهِ طَائِرِ
بَطُولِ الدَّهْرِ فِي الْأَكْوَانِ زَاهِرِ
يَرَى خَيْرَ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ
وَكَانَ لَهُ بِحَقِّ خَيْرِ نَاصِرِ
يَقِيهِ بِنَفْسِهِ شَرَّ الْمَخَاطِرِ
نَوَى فِي اللَّيْلِ سِرّاً أَنْ يَهَاجِرِ
فَنَعَمَ فَتَى بِهِ الْمُؤَلَّى يَفَاخِرِ
وَلِلطَّاعَاتِ كَانَ هُوَ الْمُبَادِرِ
فَلَيْسَ لَهَا مَدَى الْأَيَّامِ حَاصِرِ
فَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا أَيُّ شَاعِرِ
لَقَدْ فَاقَتْ عَلَى كُلِّ الزَّوَاهِرِ
هُوَ الْحَامِي لِأَحْمَدِ وَالْمَنَاصِرِ
فَلَمْ يَكْ غَيْرَ مَقْدَامٍ وَصَابِرِ
وَفِي أَشْعَارِهِ الْإِيمَانُ سَافِرِ
عَلَى الَّذِينَ الْحَنِيفُ فَغِيرَ ضَائِرِ
وَمُؤْمِنِ آلِ يَاسِينَ الْمُحَاوِرِ
لَهُ أَسَدُ بَيُومِ الطُّعْنِ كَاسِرِ
هُوَ الطَّيَّارُ فِي دَارِ الْبِشَائِرِ
هُوَ الزَّهْرَاءُ جَوْهَرَةُ الْجَوَاهِرِ
رَضِيَ الرَّحْمَنُ عَلَامَ السَّرَائِرِ
سَمَتْ شَرْفاً عَلَى كُلِّ الْحَرَائِرِ
بِأَمْرِ مَنْ إِلَهُ الْعَرْشِ صَادِرِ
هُمَا الْحَسَنَانِ قُرَّةُ كُلِّ نَاضِرِ
إِمَّا مَا كُلُّ ذِي سَلَمٍ وَثَائِرِ
بِهِمْ يُهْدَى إِلَى خَيْرِ الشَّعَائِرِ
إِلَهُهُمُ الْكِبَائِرُ وَالصِّغَائِرِ
وَتَكْمَلُ أَنْعَمُ الْبَارِي الْغَوَامِرِ
لِعُرْفَةِ الْحَقَائِقِ كَالْمَجَاهِرِ
لِعَمْرِ الْحَقِّ مَنْ أَجْلَى الْمُفَاخِرِ
فَمَا أَحَدٌ بِمُشَبَّهٍهَا بِظَافِرِ
وَعِذَاهُ بِرَيْقٍ مِنْهُ طَاهِرِ
فَكَانَ لَهُ الْمِثْلُ وَالْمُنَاضِرِ

وعلمه العلوم بحيث أضحى
 حوى علم الكتاب فكل شيء
 إذا ما حارت الأفهام يوماً
 وكم للناس قال بكل جد
 سلوني اليوم عن طرق العوالي
 هو الأستاذ للبغاء طراً
 كتاب النهج ذاك أجل سفر
 كتاب أدهش الحكماء حقاً
 به الدرر الثمينة والغوالي
 إذا زان الكلام بها خطيب
 فمن ينبوعه الفيض دوماً
 وما نهج البلاغة غير غيضر
 علي هازم الأحزاب باري
 هو الأسد الهصور تهاب منه
 هو القهار للأقران طراً
 يكر ولا يفر بيوم زحف
 عليه النصر معقود لواءه
 لقد أدى عتاة الشرك قدماً
 به الرحمن أيد مصطفاه
 فلولا سيفه ما قام دين
 أليست ضربة الكرار عمراً
 فقد فتحت لدين الله نهجاً
 لذا عدلت فعال الخلق طراً
 وفي كل المواطن من سواه
 إمام المتقين وقدوة الزا
 تنام بها عيون الناس لكن
 مع المعشوق يبقى في تناج
 يود رضى الحبيب ففى رضاه
 لقد عبد الإله بكل صدق
 وقد بلغ النهاية في يقين
 أبى الدنيا فطلقها ثلاثاً
 فما هي عنده إلا سراب
 وأثر جانب الأخرى اهتماماً

محيطاً بالبوطن والظواهر
 تضمنه الكتاب لديه حاضر
 بشيء كان مرجع كل حائر
 سلوني قبلما الدنيا أغادر
 فعلمي بالخفايا غير قاصر
 ومفخرة الفلاسفة الأكابر
 بأنواع من العرفان زاهر
 وأعجز كل ذي نظم ونائر
 من الكلمات والحكم النوادر
 فإن كلامه زاه وزاهر
 يعب أولوا المحابر والمنابر
 فغيض المرتضى طام وغامر
 رقاب المعتدين بحد باتر
 لشدة بأسه الأسد الهواصر
 وليس له من الأقران قاهر
 ولم يك منه يوماً فعل غادر
 فأنى سار كان النصر سائر
 وخطم منهجية كل جائر
 وأرسى الدين مرفوع المنائر
 ولا ذكر المهيمن أي ذاكر
 لها أثر بهذا الكون باهر
 به الإسلام للأجيال عابر
 إلى يوم الخروج من المقابر
 جلا الكرب الثقال بإذن قادر
 هدين وذو التجافي في الدياجر
 علي القدر في المحراب ساهر
 يصب الدمع من بين المحاجر
 لحيدة شفاً وسرور خاطر
 ولم يك في عبادته يتاجر
 فما يزداد مع كشف الستائر
 ولم يغتر منها بالمظاهر
 لعين المرء خداع وساحر
 بمرضاة المهيمن خير فاطر

فأقراص الشعير له طعامٌ
يجود على الفقير بما لديه
وينصر كل مظلوم ضعيفٍ
رحيم بالريعية غير جافٍ
فكم بالنصح قابل مبغضيه
على اليأساء والضراء صابر
فكل حياته بر وتقوى
هو الميزان يعرف كل حقٍ
هو الإيمان لا يرجى قبولٌ
وصي المصطفى مولى البرايا
بآية (إنما) فالوصف فيها
فما أحد تصدق في ركوع
وفي قول البشير لأقرباه
ألا إني رسول الله حقاً
فما ردّ الجواب سوى عليٍّ
فكرر قوله الهادي ثلاثاً
وكان المرتضى إذ ذاك طفلاً
فقال محمد هذا وصيي
وقال مبلغاً في يوم خم
ألا من كنت مولاه فهذا
وهنأت الجموع أبا حسين
وكم أثنى النبي على عليٍّ
وفي التنزيل أي بينات
ومعظمها جلي غير خافٍ
فمن بالأمر أولى من عليٍّ
فدع عنك التعصب يا خليلي
ووال أخا الرسول ومرتضاه
بمنهجه الهدى والفوز حقاً
عليه صلاة ربي ما تغنت

ومرقوع الثياب أحب سائر
وينفق في الخفاء وقد يجاهر
ويجمع كل ظلامٍ وماكر
صريح في السياسة لا يداور
وكم بالصفح جازى من يدابر
وفي النعمى كثير الحمد شاكر
واخلاص لعلام السرائر
به حقاً وتتضح المصائر
لساع وهو بالإيمان كافر
بنقص قاطع في الذكر ظاهر
عن التخصيص بالكرار حاسر
سواه فعد إلى شتى المصادر
وقد جمعوا وهم خير العشائر
إلى كل الوري من لي يؤازر
يقول أنا المساعد والمؤازر
وكرر وعده الشهم المبادر
ولكن دونه كل العباقر
خذوا منه النواهي والأوامر
بجمع حاشد كالبحر زاهر
له مولى بأمر الله أمر
وأبدوا يومها طيب الخواطر
بأقوال تفوق شذى الأزاهر
تشيد بفضله رغم المكابر
أراه بغنية عن ذكر ذاكر
وهل سيان معصوم ووازر
وعد للحق فاستمسك وناصر
فمن والاه للفردوس صائر
مسالك غيره هاو وخاسر
بمدحته البوادي والحواسر



إبراهيم محمد جواد

- كاتب وشاعرٌ من مواليد مدينة الفوعة. حصل على إجازة في الشريعة الإسلامية من كلية الشريعة في جامعة دمشق .

مؤلفاته:

١. فاطمة الزهراء صوت الحق وصرخة الصدق- ط١ - ١٩٩٤م
٢. عرس الشهادة (شعر) ط١ - ١٩٩٥م
٣. السيدة زينب ثورة لاتهدأ ودمعة لاترقأ ط١ - ٢٠٠٥م
- ٤- الصراع بين الغرب والإسلام من يفجره؟ ولماذا؟ ط١ - ٢٠٠٥م
- ٥- الناعقون بالباطل (حقائق من التاريخ). ط١ ٢٠٠٦ م
- ٦- وكان الانتصار العظيم (شعر) ط١ ٢٠٠٧ م
- ٧- شخصيات تاريخها مضيء.
- ٨- نظرات في الثقافة والحداثة والجمال.
- ٩- دراسات إسلامية معاصرة.
- ١٠- يا للحسين شهيداً .. وزينب مسببة.
- ١١- ديوان شعر.
- ١٢- خواطر وذكريات.

مختارات من شعره:

سيد الأبطح

واطو المفاوز من بيدٍ ومن أكم
وانزل بزمزم تطفئ جمره الوحم
ففي ظهر مكة بين الحل والحرم
عاداته تحتذي في البأس والكرم
تأتيه زحفاً على موج من النغم
وخير من أنطق الخطي من صمم
بكل ما يرتجي من وافر النعم
ويحمل العبء عن كل وعن هرم

حي المنازل من غور ومن أطم
عرج عليها وطف بالبيت معتمراً
واسأل بطاحاً حوى تاريخها عجباً
عن سيد من بني عدنان ما فتئت
عن سبط هاشم سل عنه العلى دأبت
عن عم طه سليل المجد من قديم
سل عن مآثره يحبو فقيرهم
سل عن مروته يحمي ضعيفهم

سَلْ عَنْ مَكَارِمِهِ يَسْقِي الْحَجِيجَ وَقَدْ
يَنْبِيكَ أَبْطَحُهَا عَنْ شَيْخِهِ سَحْبًا
سَلْ عَنْ أَبِي طَالِبٍ مَا سَرُّ وَقْفَتِهِ
هَلْ كَانَ يَجْهَلُ سِرَّ النُّورِ فِي رَجُلٍ
هَلْ كَانَ يَرْكَعُ فِي ذَلٍّ إِلَى وَثْنٍ
مَا بَالُهُ يَرْتَضِي عَيْبًا لِلْأَلْهَةِ
مَا كَانَ يَطْوِي سِوَى التَّوْحِيدِ مَعْتَقِدًا
لَوْ لَمْ يَكُنْ يَبْطُنُ التَّوْحِيدَ عَنْ ثِقَةٍ
وَعَاشَ مَا عَاشَ يَرْعَى الدِّينَ مِنْ بَهْمٍ
الشَّعْبُ يَشْهَدُ كَمْ أَبَدَتْ غَوَائِلُهَا
وَأَجْمَعَتْ تَخَنُّقَ الْحَقِّ الَّذِي انْبَجَسَتْ
كَمْ ذَا تَنَفَّسَتْ الْأَحْقَادُ مُسْعِرَةً
فَظْهَرَتْ خَطَطًا .. السَّجْنُ أَوْلُهَا
وَقَدْ تَحَرَّبَ أَصْحَابُ الْهَوَى حَمَقًا
فِي طَبَقُوا بِالسِّيُوفِ الْبَارِقَاتِ عَلَى
فَقَامَ يَثْنِيهِمْ بِالْحَرْفِ أَوْثَةً
حَتَّى التَّوَى مَكْرَهُمْ وَأَنْفَلَ سَيْفَهُمْ

أَقَامَ لِلْبَيْتِ رَكْنًا غَيْرَ مِنْهُمْ
مِنْ الشَّهَامَةِ وَالْعِلْيَاءِ وَالشَّمَمِ
مَعَ الرِّسَالَةِ يَعْطِي شِعْلَةَ الْقِيَمِ
جَلَالُهُ إِلَهُ سَحْبِ الظُّلُمِ وَالظُّلَمِ
هَلْ كَانَ يَسْجُدُ مِلْتَانًا إِلَى صَنَمٍ
لَوْ كَانَ يَعْبُدُهَا .. حَاشَاهُ مِنْ عِلْمٍ
مَا كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ قَدَمٍ
لَمْ يَنْتَضِ السَّيْفُ يَحْمِي سَيِّدَ الْأُمَمِ
يَحْمِي النَّبِيَّ بِكُلِّ سَاعِدٍ وَفَمٍ
وَقَابِلَتُهُ عَلَى النِّعْمَاءِ بِالنِّقَمِ
أَنْوَارُهُ مِنْ فَوَادٍ غَيْرِ ذِي سَقَمٍ
وَأُضْرِمَتْ فِي الْجَوَى نَارًا عَلَى إِرَمٍ
وَالنَّفْسُ وَاحِدَهَا أَوْ قَتَلَ ذِي رَجَمٍ
وَأَجْمَعُوا أَنْ يَقُومُوا قَوْمَةَ الْبَهْمِ
مَنْ قَامَ يَدْعُو إِلَى الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ
وَتَارَةً بِالظُّلُمِ الْهِنْدِيَّةِ الْخَدَمِ
وَالسَّيْفُ إِنْ يَخْتَرَطُ لِلصَّخْرِ يَنْتَلِمُ



زَعِيمٌ مَكَّةَ رَاعِيَهَا وَخَادِمَهَا
عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَأَخْلَاقٌ بِهَا خُضِعَتْ
يَا عِزُّ مَسْتَضَعْفٍ يَا كَهْفَ مَفْتَقِرٍ
يَا مَلْجَأَ شَاءَهُ الْبَارِي لِمُرْسَلِهِ
شَرِبْتُ كَأْسَ مَنْوُونٍ قَدْ ثَمَلَتْ بِهِ
وَقَدْ تَرَاءَتْ لَكَ الْجَنَاتُ دَانِيَةً
فَكَمْ بِكَاءِ رَسُولِ اللَّهِ فِي أَلَمٍ
وَفَتٍ فِي عَضْدِ الْإِتْبَاعِ أَنْ فَقَدُوا
قَامَتْ أَيْادِيكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَرْفُدُهُمْ
فَجَعُفَرٌ وَعَلِيٌّ أَسَدٌ مِلْحَمَةٌ
وَحِمَزَةٌ ضَيْفٌ فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ
حَامُوا عَنِ الدِّينِ مَا كَلَّتْ سِوَاعُهُمْ
حَتَّى أَقِيمَ عَمُودُ الدِّينِ وَانْتَصَبَتْ

مَا ثَمَّ مِثْلُكَ فِي الْأَسْيَادِ وَالْخَدَمِ
لَكَ الرِّقَابُ خُضُوعًا غَيْرَ مَنْحَرَمٍ
يَا سَيْفَ مُسْتَنْصِرٍ يَا دَرْعَ مِهْتَضِمٍ
رَبِّي يَتِيمًا وَحَامِي ثَابِتَ الْقَدَمِ
وَفَارَقْتُ رُوحَكَ الدُّنْيَا بِلَا بَرَمٍ
بِالْحَوَرِ تَرْمِي إِلَيْكُمْ نَظْرَةَ الْقَرَمِ
وَالدَّمَاعِ سَالٍ عَلَى الْخَدَيْنِ كَالدَّيَمِ
حَمَى هُصُورٍ وَبَاتُوا نَهْبَةَ السِّدَمِ
بِكُلِّ حَيْدَرَةٍ مَعْصُومَةِ الشُّكْمِ
وَتَمَّ عَمَهُمَا الْعَبَّاسُ ذُو الشَّمَمِ
يَعْلُو عَلَى كُلِّ قَرْنٍ أَضْلَعُ عَرِمٍ
وَأَقْدَمُوا دُونَمَا خَوْفٍ وَلَا سَامٍ
رَايَاتُهُ خَافَقَاتُ فِي ذُرَى الْقَمَمِ



الله كم دارت الأيام دورتها
حتى إذا طغمة رعاء قد حكمت
عابوك إذ لم يشيموا فيك منقصة
عابوك يا ليتهم فازوا بواحدة
عابوك إذ لم يحوزوا فضل سابقة
وغازلهم أنهم ما أمسكوا سبباً
ما فيك عيب ولا أنت الذي قصدوا
وانما قصدهم هدم البناء الذي
ليستطيل بناء الجاهلية في
لكنما خاب مسعاهم وقد قدموا
فليخسأ العائبوه قد سنت رتب
فكم له من علي في الوري ظهرت
فمن علي أمير المؤمنين إلى
إلى الرضا فإلى هادي العباد إلى
يا سيد الأبطح المعمور معذرة
لولا صمودك للكفار ما قمعوا

واستنسر البعث بعد الرخ والرخم
وحكمت جهلها فوق الألى سهم
وجل قدرك عن عيب وعن ثم
من المناقب تدنيهم من الرقم
ترقى بهم سلماً في المجد والعظم
إلا وغاص بهم في غيب العدم
والقلب إن يستتر بالحق يستقم
أقامه المصطفى بالسادة الوهم
أم القرى بأبي سفيان والحكم
على عظيم جليل القدر منتقم
تعلي أبا طالب في العرب والعجم
آياتهم بينات دونما وهم
زين العباد علي صاحب السجم
علي الخامنائي القائد العلم
عن أمة جهلت قدراً لذي هم
لولا جهادك في الإسلام لم يقم

لافتى إلا علي

(غدير العيد يا أحلى المعاني
وترديد الحمائم فوق أيك
وتغريد البلابل قد سباهها
قد انتظمت عرائس من قواف
وفتحت الورود كمام عطر
وأمرت الجنان على الروابي
تجمعت الملائك في احتفال
فاضحى للغدير غدير خم
وسحت منه عين الجود مژناً
تزعم حفل عرس أحمدي
فهذا عيد مولانا علي
وقلده الخلافة بعد طه
(بخيخت) الصحابة في ابتهاج

زغاريد قبل بالأماني
نشيد الحور في غرف الجنان
نسيم رق في عطف الحسان
تزف إلى الموالين التهاني
أسالها زهور الأقحوان
رياحينا بلون أرجواني
تخلد في الزمان وفي المكان
لسان للشهادة غير واني
وأمر لؤلؤا يحيي المغاني
وأنطق بالنشيد فم الغواني
حباه الله ثوباً من جمان
إماماً ما له أبداً مداني
ودانوا للولي بلا تواني

وأعطوا صفقة الأيدي جميعاً
ولكن المطامع زحزحتهم
فبعض زلت الأقدام منهم
وزاغوا عن سبيل الحق لما
فكان الانقلاب لهم طريقاً
تلووا مثل شيطان مريد
ليخدع آدماء حسداً وحقداً
وثابت للهدى منهم نفوس
تجلبت الولاية ثوب عز
ونادت لا فتى إلا علي
هو المولى هو الأولى وأنا
هو الأتقى هو الأزكى يقيناً
هو الريان في ظلم الليالي
وسر الكون فيه قد تجلّى
فيا عيد الغدير ملكت قلبي
فصغت الحب حرفاً ذا دلالة
وتهنئة لكم أزجي سناها

وعهداً للولاء بكل أن
عن التسليم للحق المبان
أرادوا الالتفاف على المعاني
نفوس ألبست ثوب الهوان
يسير بهم إلى كسب الرهان
سعى نحو الجنان كأفعوان
فيا لله من ثوب الزمان
رجت من ربه نيل الأمان
وللفردوس أعينها رواني
علي القدر رمز للتفاني
محبوه على جور الزمان
هو القرآن والسبع المثاني
له خضعت موازين البيان
وعن آياته تحكي الثواني
ملكّت علي أركان الكيان
وقافية يسيل بها لساني
مؤنقة المعاني والمباني

سرّ النور

«بمناسبة مولد الزهراء عليها السلام»

طاب منك الجنى وطاب العطاء
أشرق الكون والعوالم ضجّت
وأشرأبت إلى الضياء حنايا
واستدارت على الوليد حنايا
كان يوماً مضمخاً بصباح
للسنى بات محضناً ومهاداً
وتغنّت مع البلابل أيك

يوم ماست بحضنك الزهراء
بنشيد حروفه أضواء
وعلى النور كان منها انحناء
واستهامت فقلبها وضاء
شقّ عنه الدجى فضجّ ضياء
قد تجلّى في جانبيه السناء
أطربت لها بلحنها الورقاء



يا بنةَ المجدِ والخلودِ خدينا
حدَّثينا عن الجنينِ حديثاً
يطمئنُّ الفؤادُ منك وتحلو
وتنمُّينَ عن مشاعرِ حبٍّ
وتودينَ أن تبوحي لطفه
فإذا بالنبي يعلن بشري



حدَّثنا عن سيداتِ نساءٍ
جئنَ يرفلنَ في بياضِ ثيابٍ
رحنَ يسعينَ في ولادةِ طهرٍ
ويلينَ الأمورَ منك إلى أن
كان منها السجودُ آيةً شكرٍ
ثم كان العناقُ منك بثغرٍ



حول عرشِ الإلهِ ثمةَ نورٍ
لم تكن هذه الوليدة إلا
جاءها من جوانبِ العرشِ يسعى
ولقدراح في الطواهرِ يسري
وضياءُ من رَحِمِ أمانةٍ هل
نثرته الجنانُ أعنابَ خلدٍ



ما بهاءُ من الضياءِ تبدى
شعُ في الكونِ نورها وتهادتُ
وتسامى بأَمِ فاطمَ وجدٍ
يا رسولَ الإلهِ هذا عطاءُ
فهنيئاً لروحِ قدسك يسري
وهنيئاً لأمةٍ غمرتها

حيث تجلى بأذننا الأنبياء
حين ينديه تطرب الأندياء
أمسياتٌ ويستفيض الرجاء
تتغنى بسحرها الأنحاء
بالذي لم تبحْ به الأحناء
كلَّميها فإنها الزهراء



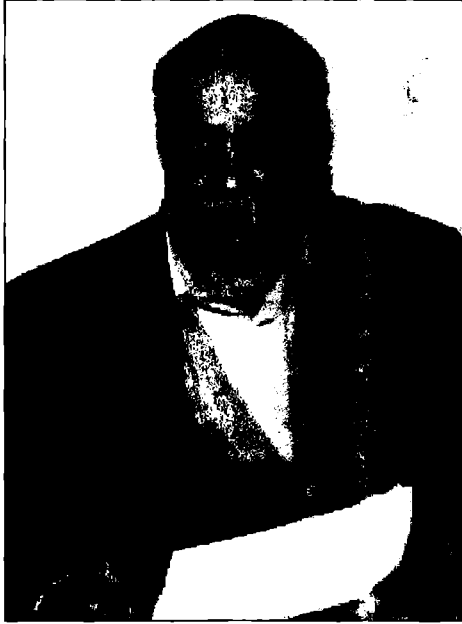
أربعِ جئنَ ملؤهـن ولاء
ملؤها الطهرُ والسنى والضياء
ويلبين ما الإله يشاء
شعُ نورٍ وأدبرت ظلماء
فاض حمدُ به وطال ثناء
عنبري فدرت الأثداء



يتلالا ولم تكن أحياء
سرَّ نورٍ هامت به حواء
فاحتوته ورف فيها اللواء
أينما حلَّ تزدهي الأفناء
فحنت لكعبه الجوزاء
فتلاقى فكانت الزهراء



ما فتاةٌ إنسيةٌ حوراء
نسماتُ الضحى وحل الهناء
وابيها وجلجلت أصداء
لا يدانيه في الوجود عطاء
في ريانا وتنهل الأفياء
ديمةٌ من ضيائها الألاء



هاني الخير

مؤرخ وصحافي له اهتمامات ومؤلفات في التاريخ والأدب والسياسة والتراث الاغتيالات السياسية التي جرت وتجري في الوطن العربي والعالم عضو عامل في اتحاد الصحفيين السوريين وصحفي محترف في إتحاد الصحفيين العرب منذ عام ١٩٧٣ بترشيح من رئيس الإتحاد آنذاك الأستاذ أحمد بهاء الدين

من مواليد بلدة القرداحة محافظة اللاذقية والده العلامة الحاج الشيخ عبد الرحمن الخير يسكن المترجم له دمشق حيث انتقل إليها مع أسرته المؤلفة من ١٢ / شقيقا وشقيقة في عام/١٩٥٦م/

بدأت رحلته مع الصحافة بعد حصوله على شهادة الثانوية العامة (الفرع الأدبي) عام/١٩٧٠ حيث عمل في العام المذكور في المكتب الصحفي لوزارة سد السرات وزارة الري حاليا مع الإعلامي والمذيع التلفزيوني محمود الخاني.

حصل المترجم له على إجازة عامة بالأداب في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق عام/١٩٨١/ وحين تم تحويل مجرى نهر الفرات في الخامس من تموز عام/١٩٧٣/ ترك العمل في وزارة سد الفرات بعد أن أدى واجبه الوطني لينتقل في عام/١٩٧٦/ إلى مجلة المناضل الشهرية فكان يزودها بمقالاته التي تدور تدور حول عظمة وروعة التراث العربي الإسلامي وضرورة توظيف هذا التراث المضيء الشامخ من أجل الوصول إلى حالة متقدمة في البحث العلمي والتطور الاجتماعي السليم والنهضة المعرفية الشاملة.

وفي عام /١٩٨٠/ انتقل للعمل في صحيفة ((البعث)) السورية وفي عام /١٩٨٤/ انتقل للعمل في صحيفة ((الثورة)) السورية حيث أشرف وزميله الصحافي الراحل حيدر علي على الصفحة الثقافية ((للثورة)) لسنوات

عرف هاني الخير بسعيه الدؤوب في توثيق الحياة الديمقراطية الشعبية من خلال ثلاثة كتب أصدرها حول هذا الموضوع وهي:

- طرائف وصور من تاريخ دمشق ١٩٨٩
 - مقتطفات من تاريخ دمشق ١٩٩٠
 - صور وطرائف من مجتمع دمشق ١٩٩١
 نال الصحافي هاني الخير شهادة ثناء وتقدير من اتحاد الصحفيين السوريين في عام ١٩٩٧/
 بمناسبة العيد السادس للصحفيين
 فاز المترجم له بالجائزة الأولى في مجال التحقيقات الثقافية لعام ٢٠٠٥ / المقدمة له من فرع
 دمشق لاتحاد الصحفيين حيث حصل على كتاب ثناء وتقدير ومكافأة مالية
 وهاني الخير مؤسس ورئيس تحرير صحيفة ((المبكي)) الدمشقية الأسبوعية لثمانية أعداد
 وشغل صفة مدير تحرير مجلة ((الإنشاء الجديد)) الشهرية وسبق له أن عمل كمراسل لمجلات
 عربية تصدر خارج سورية مجلة (دنيا العرب)
 كما أنه التقى بمشاهير القرن العشرين من رؤساء وسياسيين وأدباء ومؤرخين ومفكرين ورجال
 دين نذكر من هؤلاء:

- القائد الخالد حافظ الأسد (١٩٨٤)
 - السيد الرئيس بشار الأسد (١٩٨٠)
 - القاضي عبد الرحمن الإيراني رئيس جمهورية اليمن السابق
 - السيد علي ناصر محمد رئيس جمهورية اليمن الجنوبي السابق
 - سماحة المفتي العام للجمهورية الشيخ الجليل احمد كفتارو
 - الإمام موسى الصدر
 ومن الأدباء الذين التقاهم المترجم له وتربطه بهم صداقات
 - شاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري حيث ساعد المترجم على تحرير وصياغة مذكراته
 في قسمها الأول وقد أشار الجواهري نفسه بهذه المساعدة في تسجيل صوتي يحتفظ به المترجم في
 أرشيفه الشخصي :- الباحث المؤرخ محمد شريف الصواف ، - عالم الأنساب المحقق محمود الفردوس
 العظم، - المؤرخ الدكتور محمد سعيد الطريحي صاحب مجلة الموسم ومؤسس أكاديمية الكوفة في
 هولندا الشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي، - الشاعر اليمني عبد الله البردوني ، - الأديب
 التونسي الميداني بن صالح رئيس اتحاد أدباء تونس ، - الشاعر عمر أبو ريشة ، - الشاعر بدوي الجبل
 محمد سليمان الأحمد ، - الشاعر العراقي مظفر النواب ، - الشاعر العراقي مصطفى جمال الدين،
 - الشاعر نزار قباني ، - الروائي فارس زرزور ، - الشاعر نديم محمد ، - الباحث حسن زكي الصواف ، -
 الأديب جلال فاروق الشريف مؤسس صحيفة تشرين وكذلك المرشد الديني الكبير محمد حسين
 راغب وحفيده الباحث حسين راغب وغيرهم من المشاهير والأدباء والمفكرين مما يصعب حصرهم
 زار المترجم له العديد من الدول من أجل إغناء معلوماته ومتابعة أبحاثه من هذه الدول نذكر :
 - الإمارات العربية المتحدة - ليبيا - تونس - إيران - ومصر

دعي المترجم له إلى مؤتمر الاسلام وطن والمسلمون جميعا أهله الذي أقيم بجامعة الأزهر في
 مصر بتاريخ ٢٠ شباط ٢٠٠٦ حيث ألقى البيان الختامي للمؤتمر حول حماية المقدسات الاسلامية

والآثار النبوية الشريفة في السعودية وقد جاءت الدعوة من شيخ الطريقة العزمية الصوفية في مصر السيد محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم

ساهم المترجم له في العقدين الأخيرين في طباعة ونشر وتحقيق وتوزيع مؤلفات والده ومن هذه الكتب التي طبعت في دمشق نذكر منها

- عقيدتنا واقعنا نحن المسلمين الجعفرين العلويين

- نقد وتقريظ كتاب تاريخ العلويين

- يقظة المسلمين العلويين في مطلع القرن العشرين

كتاب الصلاة والصيام ومناسك الحج وفق المذهب الجعفري

وفي هذا الشأن أسس المترجم له مع زميله الصحافي المخضرم الأستاذ رياض المحمود دارا للنشر

والتوزيع أطلقا عليها اسم دار الفتاة أسهمت باغناء المكتبة العربية بمؤلفات قيمة

وللمؤرخ الصحافي هاني الخير الكثير من المقالات والدراسات الأدبية والتاريخية والمقابلات

الصحفية المنشورة في الصحف والمجلات السورية والعربية وله عشرات الكتب المطبوعة نذكر منها :

- أشهر الأغنيات السياسية في العالم - ستة أجزاء

- الأصابع الخفية ضد الأهداف البشرية ج ١ ج ٢

- حرب الاغتيالات السياسية والمؤتمرات الصامتة ج ١ ج ٢

- جرائم عالمية أرشيف الجرائم الغامضة

- الموتى يتحدثون

- لماذا انتحر هؤلاء ؟

- مشاهير وظرفاء القرن العشرين

- أديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث في سورية

- أكرم الحوراني بين التنقلات السياسية والانقلابات العسكرية

- نزار قباني في قصائد صنعت مجدي وقصائد تعرضت لمقص الرقيب

- أدونيس شاعر الدهشة وكثافة الكلمة

أطلق في الشهر الأول من عام ٢٠٠٦ حملة وطنية شعبية بهدف استرداد جمجمة ورفات المناضل

السوري سليمان الحلبي الذي اغتال الجنرال كليبر قائد القوات الفرنسية في مصر عام ١٨٠٠م مما

دفع بالقضاء العسكري الفرنسي بالحكم عليه بالاعدام وقد تم نقل هيكله العظمي إلى فرنسا بعد

خروج الفرنسيين من مصر وتعرض جمجمته اليوم في متحف الانسان في باريس وقد وضع أمام

الجمجمة بطاقة كتب عليها كلمة قاتل

وتعمل هذه اللجنة الوطنية الشعبية إلى جمع التواقيع من السوريين والعرب ومن ثم إرسالها

إلى الرئيس الفرنسي عن طريق السفير الفرنسي بدمشق من أجل استرداد الجمجمة وما تبقى من

رفات البطل سليمان الحلبي وقد جمعت هذه الحملة الوطنية الشعبية وهي لجنة غير حكومية عشرات

الألوف من التواقيع .

كتاب «الهيام بين العراق والشام»

تقديم للطبعة الثانية*

الأستاذ الدكتور مازن يوسف صباغ



دمشق - الشام - الفيحاء - جلق (أقدم مدينة مأهولة في العالم) ذات الحسن الفاتن التي طالما بهرت الناس بجمالها وطيب غوطتها وعبق ياسمينها وعراقه تاريخها وتسامحها ومودتها وعزة أهلها وتمسكهم بحريتهم وكفاحهم للمحافظة عليها كان لها أشد الأثر على الشعراء العراقيين، وفي الطبعة الثانية من هذا الكتاب - والذي صدرت طبعته الأولى عام ٢٠٠٧ وكتب مقدمتها الصديق د. محمد منير الشويكي الحسيني المحقق والمؤرخ لأنساب السادة الهاشميين - يتابع الصديق والباحث والعلامة د. محمد سعيد الطريحي رصد حالة العشق بين دمشق - الشام والشعراء العراقيين، حيث يدرج في هذا الكتاب خمسين قصيدة لإثنين وثلاثين شاعراً عراقياً تغنوا بدمشق والشام منهم:

❖ أحمد الصافي النجفي (١٨٩٦ - ١٩٧٧) أحد أشهر الشعراء العراقيين الذين استوطنوا دمشق،

عاش أغلب حياته في دمشق الذي هرب إليها خلال النضال ضد الحكم الإنكليزي واستقر بها:

أتيت جلق مجتازاً على عجل	فأعجبتني حتى اخترتها وطناً
أيقنت أني من أهل الجنان ففي	دمشق أسكن جنات تفيض هنا
عجبت ممن أتاها كيف يرحها	فهل يرى في سواها عن دمشق غنى

❖ محمد مهدي الجواهري الشاعر العراقي المعروف الذي اتخذ من دمشق موطناً

بعد هروبه من وطنه الأصلي حتى وفاته ودفن في أرضها، وقد أورد الكتاب له ست قصائد، منها

* نشر التقديم في كتاب «كتابات للحياة» دار مي بدمشق، دار المعهد العربي للنشر بيروت، ص ١٣٩ - ١٤٤ كما نشر في موقع شام تايمز ٦/ ٥/ ٢٠٠٩ وفي موقع تيار التوحيد اللبناني ٦/ ٥/ ٢٠٠٩ وفي صحيفة بلدنا الدمشقية في ٧/ ٥/ ٢٠٠٩، وفي مجلة دنيا الأسبوعية اللبنانية، العدد ٥٥ السبت ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٩، وفي مجلة هنا دمشق الصادرة عن هيئة الإذاعة والتلفزيون في ١/ ٢/ ٢٠٠٩ العدد ١٤٥٤، وفي محطة الأخبار السورية S.N.S بتاريخ ٧/ ٥/ ٢٠٠٩

قصيدته الشهيرة «دمشق يا جبهة المجد» التي مطلعها:

شممت تريك لا زلفى ولا ملقا وسرت قصدك لا خبا ولا مذقا
والتي تم تلحينها وغنتها مطربة الجيل السيدة ميادة الحناوي، ومنها الأبيات التالية من رسالة خاصة:

ووجد يا دمشق هو الضرام ظمئ لا يبيل لله أوام
وعشق دب في جسد وروح رضيع دم فليس لله فطام
❖ الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩ - ١٩٦٥): أحد كبار رجالات العراق في القرن العشرين وأحد أركان استقلال العراق، أورد الكتاب له ثلاث قصائد، واختار من قصيدته «الهيام بين العراق والشام» التي ألفها عندما كان مقيماً في دمشق عام ١٩٢٠ الأبيات التالية:

لقينا نجوماً في دمشق ولم نخل بها أننا في أنجم الأرض للتعقي
فهل بلد أولى من الشام بالهوى وبالحب أجدر في دمشق وأخلق
❖ عبد الحسين الأزري: شاعر عراقي (١٨٨٠ - ١٩٥٤) كان أحد أحرار العرب الذين ناهضوا الحكم العثماني، ومن قصيدة له يقول عن شهداء ٦ أيار:

دمشق وهل كان إلا بنوك إذا عدت العرب أحرارها
وهل كان قبلك من علمت صعود المشائق أبرارها
❖ علي الشرقي: شاعر ووزير عراقي توفي عام ١٩٦٢، ونورد له هذه الأبيات التي قيلت عام ١٩٣٩:

شعارك يا دمشق فكل رهط أضاع شعار أمته يضيع
هنا القومية اعتصمت وأثت أصول للعروبة أو فروع
❖ شفيق الكمالي قدوري (١٩٢٩ - ١٩٨٤): شاعر وسياسي ووزير وسفير عراقي:

المجد يا جلق الأمجاد ما فطما ما دام صدرك ثراً يرضع الشمما
والكبرياء بغير الشام ما غرست والشعر إلا لوجه الشام ما نظما
❖ سلمان هادي الطعمة: مؤلف موسوعي من أدباء العراق من مواليد ١٩٣٥

دمشق بوركنت يا أم البطولات وقلعة العرب في ماض وفي آتي
يا مهد غسان كم للعرب مضخرة على ثراك سمت بين الجماعات
❖ خضر عباس الصالح: من قصيدة بعنوان شاعر عراقي في دمشق

أدمشق ملحمة الكفاح ليعرب روضت للدهر العنيد الجماحا
وملأت دنيا العرب أمداداً فكم لبنيك قد خفض الطغاة الجناحا
❖ محمد حسين الشبيبي: شاعر وأديب عراقي في القرن العشرين

لي كل حين بالشام هيام فمتى بجلق تصدق الأحلام
لم أمتدح غير الشام مواطناً إذ في الشام تنور ونظام

جنات جلق فتنة بجمالها
 * محمد رضا شرف الدين: شاعر عراقي نظم هذه القصيدة بمناسبة الاحتفال بمناسبة
 ألف عام على وفاة الشاعر العربي أبو الطيب المتنبي

هذي دمشق وهذي أختها حلب
 في قادم جاء أو غابر ذهب
 نبع يجيش بأمجاد مؤتلة
 لا تحسب النبع من خطينا غريا
 * عبد المحسن الكاظمي (١٨٦٥-١٩٣٥): من كبار شعراء العرب في نهاية القرن التاسع عشر
 وبداية القرن العشرين ومن قصيدته التي ارتجلها بمناسبة إعلان استقلال سورية في ٨-٣-١٩٢٠:

إلى الشام أبصار العراق شواخص
 وفي هذه طرف إلى تلك تبصر
 إذا أرسلت هذا إلى تلك نظرة
 ففي تلك من يصغي لهذي وينظر
 إذا لم يكن للمرء من جاره حمى
 فليس لعنوان الفضيلة مظهر
 إذا ما اقترقنا ها هناك وها هنا
 وحالت قفار نائيات وأبحر
 طباع الليالي فهي لا تتغير
 * معروف الرصافي (١٨٧٥ - ١٩٤٥): شاعر وصحافي ونائب عراقي من أشهر الشعراء العراقيين

في النصف الأول من القرن العشرين
 سننهض للمجد المخلد نهضة
 وتعتز من أرض الشام دمشقها
 يقربها حوران عيناً ولبنان
 وتطرب في البيت المقدس صخرة
 وتهتز من أرض العراقيين بغداد
 وتحسن للعرب الكرام عواقب
 وتترتاح في البيت المحرم أركان
 فيحمدوها مفت ويشكر مطران
 * محمد يحيى الهاشمي (١٩٠٨ - ١٩٧٣): شاعر عراقي كتب في آخر معارك سورية لتحقيق
 الاستقلال يوم ٢٩ أيار ١٩٤٥:

على الحرية اقتتلوا وماتوا
 وكل عند غايتها شهيد
 سلام يا دمشق عليك منا
 إذا هجمت بساحتك الجنود
 سلام كلما نشبت حروب
 كان صدى مدافعها عود
 سلام يذهب الشكوى ويشفى
 فؤادك منه نافحة برود
 * عبد الرزاق محي الدين (١٩١٠ - ١٩٨٣): أستاذ جامعي ووزير ورئيس المجمع العلمي
 العراقي ببغداد سابقاً:

أنا منك في أهل وفي وطن
 متجاورين على مدى الزمن
 حتى توزع أهله ووطن
 أنا في السهول وأنت في الحزن
 خرق لعمرك ليس يقبله
 شعب على حظ من الفطن
 * عاتكة الخرزجي (١٩٢٦ - ١٩٧٧): أكاديمية وشاعرة عراقية مشهورة:
 أفدي الشام وساكنيها
 والمجد والعز الرفيها

أفدي رياها الخضر
أفدي النسائم بالعبير
أفدي دمشق وأفندي
❖ لمعة عباس عمارة:

أريج قاسيون أهلاً
أرض العروبة شمل
إن رن في الشام خطب
❖ مظفر النواب:

دمشق عدت وقلبي كله قرح
هذي الحقيبة عادت وحدها وطني
اصباح الليل مطلوباً على أمل
يا جنة مرّ فيها الله ذات ضحى
وأين كان غريب غير ذي قرح
ورحلة العمر عادت وحدها قدحي
أن لا أموت غريباً ميتة الشبح
لعل فيها نواسيا على قدح



يرأس الصديق الأثير د. محمد سعيد الطريحي ابن العراق وسليل العائلة العربية المهتمة بالثقافة والفكر «أكاديمية الكوفة» وهي مؤسسة تعليمية - بحثية تعنى بشؤون الفكر والثقافة والضم، وتتبع لها العديد من المؤسسات والفروع منها:

- الأكاديمية الهولندية للدراسات الشرقية
- معهد الاستشراق
- المعهد الفاطمي
- قسم الآثار والفنون الإسلامية
- معهد ابن رشد لدراسات الأديان
- قسم الدراسات الهندية
- قسم الحضارات والثقافات
- قسم الشرق الأوسط المعاصر

والأستاذ الطريحي هو أيضاً من الباحثين المتميزين المتعمقين في مجالات الفقه والأديان والتاريخ والأدب، حيث صدر له ٧٧ بحثاً وكراساً وكتاباً يتوزعون بين التحقيق والإعداد والتأليف باللغات العربية والأوردية (باكستان) والكجراتية (الهند)، وصدرت في كل من سورية ولبنان والعراق ومصر وإيران والهند والباكستان وأندونيسيا وتنزانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وأمريكا. ففي مجال الفقه والحديث فقد صدر للدكتور الطريحي (الضخيرة في فقه الحنفية - الضياء اللامع في شرح المختصر النافع - الأربعون حديثاً - جامعة الفوائد في إثبات حجية الظن - دليل معجم رجال الحديث للإمام الخوئي - تحية القاري لصحيح البخاري)، وفي مجال الأديان صدر له (الديارات النصرانية في الكوفة وضواحيها - النبي حزقيال ذو الكفل سيرته ومشهده في بابل - سورة يس دراسة قرآنية - تاريخ الإمامية في البلاد الشامية - المسيحية في بلاد الشام - محاضرات في تاريخ الأديان - ديانة السيخ - الهندوسية تاريخها وتقاليدها - اليهودية والمسيحية في المراجع العربية)، أما في مجال التاريخ فصدر له (فضل الكوفة ومساجدها

- فضل الكوفة وفضل أهلها - تاريخ مساجد الكوفة - خزائن الكتب القديمة في الكوفة - المخطوطات العربية في مكتبة الوزيري - تاريخ الأحمدى - هؤلاء الرجال من العراق - تاريخ العلاقات العربية الهولندية - الفوز بالمراد في تاريخ بغداد - تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين)، وأخيراً في مجال الأدب فقد صدر له (أجراس كربلاء - الهيام بين العراق والشام: دمشق في الشعر العراقي - من آفاق الثقافة التركمانية).

كما يعد الأستاذ الطريحي من أبرز الخبراء في الحضارة الهندية حيث صدر له في هذا الموضوع: (أعلام الهند - ملحمة الراماينا الهندية - تحية الهند - عجائب الهند بره ويحره وجزائره - مصادر الدراسات الهندية - أسد الله غالب شاعر الهند - ملوك حيدرآباد - تيبو سلطان أسد ميسور - طاغور - تاريخ مملكة أوده - الكتابات الإسلامية في الهند - المملكة البهمنية - المملكة النظام شاهية - المملكة العادل شاهية - مملكة كجرات الإسلامية).

ويتابع الصديق الطريحي إصدار مجلة «الموسم» بإصرار ونجاح منذ أكثر من ٢٥ عاماً وهي مجلة فصلية تعنى بالآثار والتراث والثقافة وحوار وتكامل وتفاعل الحضارات والثقافات وتدعو لقبول الآخر، وتصدر عن «أكاديمية الكوفة» في هولندا.



هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ وعزيزتي القارئة ليس مجرد أنطولوجيا شعرية فحسب، بل هو كتاب توثيقي أيضاً يرسم عبر الشعر أبعاد العلاقة السياسية والنضال المشترك بين الشعبين الشقيقين في العراق وسورية من أجل استقلال العرب من الحكم العثماني إبان الثورة العربية الكبرى وما بعدها، فيذكر التاريخ أنه كان من بين الرجال الذين رافقوا الأمير فيصل بن الحسين في مسيرة تحرير سورية من الاحتلال العثماني أفراد كثر من القطر العراقي الشقيق، وتولى تسعة منهم مناصب كبيرة وحساسة ومهمة في الحكومة العربية في دمشق حتى سقوطها على يد جيوش الاحتلال الفرنسي عام ١٩٢٠ بعد معركة ميسلون بقيادة الشهيد يوسف العظمة، كما يوثق لتاريخ النضال المشترك بين الشعبين ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي ووحدة الآمال والتطلعات المشتركة، والمحبة والود والإخاء بين الشعبين الشقيقين برغم كافة الظروف السياسية والمؤامرات التي حيكت وتحاك وستحاك لتفترق فيما بينهما.

وهو كتاب يأتي في وقته فمحاولات زرع الشحناء والبغضاء والعداء والتفريق بين الشعبين ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، ولكنها ستفشل كما فشلت من قبل وستتحطم على صخرة الإيمان الشعبي الوثائق بالأخوة بين الشعبين في سورية والعراق.

لتبقى سورية حرة أبية منيعة مضيافة تحمي الأخ والجار ساعة الشدة وتمده بالعون والملاذ الأمن بحب ومودة واحتضان في أزمنته دون فضل ولا منة..

وليعيش العراق بلد الحضارات والتاريخ المجيد حراً كريماً آمناً مستقراً موحداً عزيز الجانب والحضور.

مازن يوسف صباغ - دمشق في ١٠-٩-٢٠٠٩

العراق ينتصر لسوريا

لم يقف العراقيون بجهودهم لخدمة العراق والوقوف أمام البريطانيين وسياساتهم فحسب، بل راحوا يعملون لخدمة البلاد العربية أجمع والعرب كافة لتخليصهم من الاستعمار سواء كان بريطانيا أم فرنسياً أم غير ذلك، وكان علماء الدين في النجف الأشرف والكاظمية وكربلاء وزعماء عشائر الفرات الأوسط هم الذين يحملون هذا الروح القومي العام، ولدينا أكثر من وثيقة واحدة تثبت أن هؤلاء نادوا بالجامعة العربية، وبالإمبراطورية العربية قبل أن ينادي بذلك السياسة سواء كان هذا قبل الحرب العالمية الأولى أم بعدها.

ومن شواهد هذا القول، أن الصحف العراقية في بغداد نشرت البرقية التالية: «لندن في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ - أن الغرض الذي ترمي إليه إنكلترا وفرنسا بمواصلتهما في الشرق الحرب الذي أثارها طمع الألمان: هو تحرير الشعوب التي طالما ظلمها الترك، تحريراً نهائياً وتأسيس حكومات ومصالح أهلية تبني سلطتها على اختيار الأهالي الوطنيين لها اختياراً حراً وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم».

«وتنفيذاً لهذه النيات فقد وقع الاتفاق على تشجيع العمل لتأسيس حكومات ومصالح أهلية في سوريا والعراق اللتين أتم الحلفاء تحريرهما، وعلى مساعدة هذه الهيئات والاعتراف بها عند تأسيسها فعلاً والحلفاء بعيدون عن أن يرغموا سكان هذه الجهات على قبول نظام معين من النظمات، وإنما همهم أن يحققوا بعونهم ومساعدتهم النافعة حركة الحكومات والمصالح التي ينشؤها الأهالي لأنفسهم مختارين حركة منتظمة وأن يضمنوا لهم قضاء عادلاً واحداً للجميع وأن ينشروا العلم في البلاد، ويسعوا في تقدمها اقتصادياً وذلك بتحريك همم الأهالي وتشجيعها وأن يزيلوا الخلاف والتفرق الذي طالما استخدمه الترك في سياساتهم وذلك ما أخذت الحكومتان الحليفتان على نفسيهما مسؤولية القيام به في البلاد المحررة.

وكانت هذه البرقية قد جاءت على إثر بيان أذاعه المسيو بيشون وزير خارجية فرنسا في مجلس النواب الفرنسي، فلم يسع رجال الدين وزعماء العشائر إلا أن يجتمعوا في دار آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي قدس الله سره في الكاظمية، وقرروا الاحتجاج على بيان

الوزير، فنظموا احتجاجاً رفعوه إلى حكومة فرنسا وبقية الحكومات للدول العظمى، ووقعوا عليه، وهذا هو الاحتجاج كما نقلناه حرفياً:

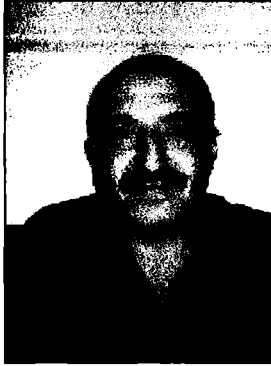
إن الخطاب الذي ألقاه مسيو بيشون ناظر خارجية فرنسا في مجلس النواب الفرنسي والذي أظهر فيه أن للأمة الفرنسية حقوقاً في سوريا ولبنان وفلسطين نشأت عن التقاليد التاريخية، وأن هذه الحقوق قائمة أيضاً على آمال ورغائب السكان الذين هم زبائن فرنسا منذ زمن طويل، وإن المعاهدات السابقة التي وردت بها هذه الحقوق ما زالت كما كانت عليه وأن يكون لمؤتمر السلم القول الفصل، فنحن العراقيين بصفتنا عرباً وبهمنا ما يهم سوريا ولبنان وفلسطين لا نعتقد بأن لأمة من الأمم في بلادنا العربية حقوقاً قديمة ولا حديثة، ولم تكن الصلات التجارية المؤسسة على حرية التجارة بين الشعوب وفقاً لقوانين حقوق الدول سبباً بكسب البلاد المتاجرة حق الأرجحية في البلاد على أهلها والتصرف بحريتهم الوطنية واستقلالهم الذاتي، ولما كانت كل تصريحات رجال الدول العظمى ونخص منهم بالذكر رئيس الولايات المتحدة المشهور، تفيد أن غاية الحرب الكبرى هي تحرير الشعوب ونسخ كل سياسة دولية يقصد منها تقييد حرية الأمم واتخاذ شكل لاه يخالف إرادتها فنحن كأمة قامت تطالب باستقلالها وتهرق دماء أبنائها وتضحي زهرة شبانها على مجازر الظلم في سبيل استقلالها، وقامت تنتصر للحلفاء أيام كانت الحرب غير باسمه لهم وعلى الخصوص في الساحات الشرقية، تابى كل معاهدة عقدت بشأننا من هذا القبيل بين دولة وأخرى، ونعتقد أننا محونا بدماء أبنائنا كل معاهدة أو اتفاق أو مفاوضة جرت بدون معرفتنا.

هذا وليست الأمة العربية أقل مجداً تاريخياً أو حضارة زاهرة أو جدارة بالاستقلال من الأمم اليونانية والصربية والبلقانية والرومانية والجبليّة وغيرها من الدول التي أجمع الحلفاء في أشد أزمات السياسة الدولية على إجابة مطالبها الاستقلالية، ولم تبذل تلك الدول أكثر مما بذلنا، ولا كانت عند استقلالها أعظم رقياً منا، فنحن بناء على ما أوردناه من الحقائق المعروفة بالبدهة لدى مقامكم المعظم واستناداً على بيانات ووعود رجال الدول العظمى العلنية التي اتخذناها واتخذها العالم بأجمعه سنداً نحتج على البيانات التي أوردتها ناظر خارجية فرنسا المحترم ونطلب باسم الحرية والإنسانية اللتين دعناكم لتحرير اليونان اعترافاً بحضارتها القديمة ومجدها الغابر أن تعضدونا في هذا الأمر الحيوي لأن في تاريخنا من الحضارة والعظمة والمجد ما يدعوكم لنجدتنا ومعاضدتنا في طلب حقوقنا الطبيعية التي يرمز إليها علمنا العربي الذي نستظل بظله الآن فرحين، وبالختم اقبلوا فائق احتراماتنا.

صورة الشام في الشعر العراقي

عرض ونقد لكتاب «الهيام بين العراق والشام»

الطبعة الأولى: ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ



ارتبطت الشام ارتباطاً دلالياً بالذات العراقية التي تتسم أكثر من غيرها بهيمنة النزوع الانطباعي العاكس للانبهار أو التعجب أو التعلق والمبتعد عن تفاصيل التجربة الشخصية الدقيقة، وقراءة فاحصة للمعجم الشعري لنصوص كتاب (الهيام بين العراق والشام) هذا الكتاب الذي ألفه الباحث الموسوعي العراقي محمد سعيد الطريحي ثبت ما قلناه.

إن النصوص الشعرية الواردة في هذا الكتاب تمحورت في محورين هما:

١ - المدينة.

٢ - الذات.

وسنركز على المحور الأول بصفته الرسالة المهيمنة والمستهدفة في الآن نفسه يعد المكان بنية جذرية في النص الأدبي عموماً لأنه يشغل اشتغاليين أولهما: اشتغال نصي من خلال حضوره والثاني: اشتغال تحفيزي متعلق بالملتقي.

والمدينة إحدى بنيات المكان المهمة والحاضرة في البيتين الشعري العربي التي لم تدرس دراسة مستفيضة وواقية ومنهجية ما عدا دراسة الباحث الجزائري (قادة عقاق) المسماة «دلالة المدينة في الخطاب الشعري» وقد ذهب في بعض آرائه إلى الرأي المطلق الذي يضعف الدراسة كقوله:

(١) ولد في قرية آل معن إحدى مواضع عشائر آل غزي الشهيرة الساكنة في محافظة في (الناصرية) أكتوبر ١٩٦٣ درس في الناصرية وبغداد والموصل له من الآثار: الطبيعة الصناعية في القرن (دراسة لغوية أسلوبية معجمية) .. المفارقة في القصص العراقي (ممنثور في الزمان) .. الإنصات البصري والانزياح النحوي في قصة المسافة (ليوسف الصانع) جريدة المؤتمر .. كاريكزا النص (دراسة في قصيدة الشاعر السوري عمر كيلاني) ..

إن المدينة العربية ومنذ مطلع القرن -يقصد القرن العشرين- ومع تزايد معطيات التكنولوجيا الحديثة فيها وما صاحبها من تطور حضاري متسارع الخطى لم يترك للمرء فيها فرصة للتأمل ومراجعة الذات المتأنية (ص ١٣٧).

وهذا رأي عام وشمولي وهناك منجز شعري عربي يخالفه جملة وتفصيلاً، لأن الشاعر في أغلب الأحيان يتوحد مع المكان فيلغي ذاته ليتحول التأمل إلى المدينة ونرى هنا واضحاً في قصيدة الشاعر بسام صالح مهدي الذي صار مدينة حينما قال:

أناسها عثرات في شوارعها مدينة كل من فيها يحاصرها
وقد بنى الشاعر العراقي مدينة الشام بناء متكناً على معجم شعري واسع هيمنت عليه الطبيعة. على الأغلب. بين مفرداته:
نجوم. سماء. روضة. الجبال. الزهر. النسيم. برق الشام. الندى. الزلال. البحر. الجنة. الأنهار. المغاني.

ورسم للشاعر صوراً عدة يمكن أن نضعها في الآتي:

١. المدينة الحب:

لازم الحب الجوارح في الشعر العربي وشكل حوارية تكاد تكون معادلاً موضوعياً بين القلب والعين، وفي موضوعة الشام حضرت هاتان الجارحتان حضوراً كبيراً في وظيفتيهما التداوليتين /العين. وظيفه المحفز.

/القلب. وظيفه البوح.

يقول الشيخ الشبيبي:

علا الشيب أمالي ولم يعل عارضي	وبيض قلبي قبل تبيض مفرقي
لقينا نجوماً في دمشق ولم نخل	بها أننا في أنجم الأرض نلتقي
فهل بلد أولى من الشام بالهوى	وبالحب أجدر في دمشق وأخلق

نلاحظ أن الشاعر قد اعتمد الكفاية الدلالية في هذه الأبيات والتي تمظهرت في أمرين

هما:

النجوم النساء الدمشقيات.

النجوم الشاميات من الشيب.

٢. المدينة الأم:

للأم أثر كبير في النتاج الإبداعي الإنساني وهذا الأمر معروف وتداول منذ الوعي المبكر للإنسانية فكان للأم حضور فاعل في الأساطير الأولى بصفاتها أنثى كونية عظمت، وفي نتاج الشعر العراقي الذي تغنى بالشام مدينة وتاريخاً وجمالاً نرى شكلاً آخر للمدينة تناغم مع الأسطورة الأولى ودور الأم الاجتماعي وخلق هذا الشكل شكل المدينة الأم أبعاده جمالية واضحة:

يقول الرصافي على لسان الشام:

فأين أباة الضيم من آل يعرب	الم يأت منهم ناصر ومعين؟
فقلت لها: لبيك يا أم إنهم	سيأتيك منهم بارز وكمين!

سندرك فيها الثأر من أنفـس العدا ونوقـد نار الحـرب وهـي زيـون
الشاعر هنا ربط الاستجابة لصوت الأم بالحرب الغليظة الشريرة مستحضرا الشيم العربية
في النخوة واستغاثة الصرخ فكيف إذا كان المستغيث أمه.
ويقول الجواهري:

دمشق يا أم إن الرأي محتفل والعزم محتشد والوقت متسع
قولي يجب شاحن الأضلاع مرتقب واستصرخي ينتفض غير أن مستمع
ويقول عبد الرزاق عبد الواحد عن الشام:
نهواك والله أمماً أرضعت أمماً فكلهم بشذا أذيالها علقوا
إن تعلق الروح الشاعرة بالشام أما يحمل مفارقة كبرى في ضيقها أو حين تستنجد بهم هي
أم الشاعر وحين الدعة والأمن هي الحبيبية التي لا بديل عنها.

٣. المدينة الجنة

للجنة حلقات تأويلية عدة فالجنة المأوى والجنة المجازاة والجنة الطبيعة وقد حضرت
أغلب تأويلاتها في الشعر العراقي موضوع بحثنا، وكان لهذه السيرة التأويلية أثر كبير في
خلق الشعرية الناتجة عن مؤثرين أولهما خارجي نابع من جمال الطبيعة الغناء والثاني داخلي
نابع من قدرة الشاعر في توليف نص شعري في محاكاته للمؤثر الأول.

يقول أحمد الصافي النجفي:

أيقنت أني من أهل الجنان فـفي دمشق أسكن جنات تفيض هنا
عجبت ممن أتاهـا كيف يـرحها فهل يرى في سواها عن دمشق غنى
إن نهج الشاعر اللغوي المتكي على الأسلوبية أكد على استغلالية ثيمة اليقين الدلالي من
خلال الآتي:

١ - ورود لفظة (أيقنت)

٢ - حضور التوكيد من خلال تقديم ما حقه التأخير إذ قدم شبه الجملة (في دمشق) على الفعل
(أسكن).

٣ - حضور التعجب السماعي من خلال الفعل عجب والاستفهام إلى معنى التعجب الخارج.
وقد ضُمَّت القصائد العراقية التي تغنت بجنة الشام إيقاعاً موسيقياً ملائماً للتصوير
الجمالي للطبيعة الشامية مضلاً عن كثافة معجمية لألفاظ متعلقة بالجنة لاسيما ألفاظ
السحر والألحان والإلهام.

يقول عبد القادر الناصري:

يا حبيبي يا ربيع الحب في صحراء عمري يا صدى لحنى ويا كأسى وأوتاري وزهري
عد بنا للشام فالغوة إلهامي وسحري كم قيسـت اللـحن منها ولكن غنت بشعري
هذه أبرز صور المدينة حضوراً وكثافة وشاركتها صور أخرى أقل حضوراً فيها:

المدينة الروح والمدينة الذكرى والمدينة الحلم والمدينة الدعاء والمدينة الحنين والمدينة العذراء..
فضلاً عن ذلك نرى أن الشعر العراقي سعى سعياً شعرياً موازياً لما يمكن أن نسميه بالدلول الاستيعابي

من خلال استنكار الشام بأوجهها الجميلة ومسمياتها المتعددة منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. بردى

يقول عبد القادر الناصري:

وهنا إذا بردى يروي حديثاً عن أسانا رحت تسقينى واسقيك فأسكرنا الزمانا

٢. جلق

يقول أحمد الرصافي النجفي:

أتيت جلق مجتازاً على عجل فأعجبتني حتى اخترتها وطنا

ويقول شفيق الكمالي:

المجد يا جلق الأمجاد ما فطما ما دام صدرك ثراً يرضع الشمما

٣. حلب

يقول محمد رضا شرف الدين:

هذي دمشق ولم أنكر بها حلبا وابن الحسين وسيف الله والعربا

٤. قاسيون

تقول لميعة عباس عمارة:

أريج قسيون أهلاً هذا النخيل اشتباك
أرض العروبة شمل لن يعتريه افتراق

٥. الربوة

يقول جواد شبر:

يا ربوة الشام يا رمز المسرات على لياليك آلاف التحيات

٦. الصالحية

يقول أحمد الوائلي:

دمشق وكم لك من واحدة على الصالحية فيها ظباء

مضمخة من شذا قاسيون وأرياضه الشهل والكستناء

٧. الغوطة

يقول أحمد الوائلي:

ومن غوطة الشام والليليك المفترش والكرم فيها أفاء

٨. النيربان

يقول محمد بهجة الأثري

والنيربان منناره رقصت زهرت وغنى طيرها رغدا

الليل فيها كله سحر زاه وسحر يخلب الكبد

٩. اللاذقية

يقول الجواهري:

واللاذقية هل تري يقول بها أم ربهما الكلم المحبوب يرتفع

١٠. السويداء

يقول الجواهري:

قلب العروبة هل بشرى نسرُ بها أن السويداء برء ما به وجع

١١. الجزيرة

يقول الجواهري

وفي الجزيرة هل زالت وساوسها وهل توحدت الآراء والشيعة

١٢. الهامة

يقول الجواهري:

إذ تسقط الهامة الإصباح يرقصنا وقاسيون علينا ينشر الشفق

١٣. الجامع الأموي

يقول علي الشرقي:

جلال الجامع الأموي حق لروعتك السجود أو الركوع

١٤. حوران

يقول عبد المحسن الكاظمي:

حوران عاشت ذراك تحمي أطفال حوران والحريما
ومن نافلة القول إن الشاعر العراقي حين تناول الشام حبا وإعجابا ذاب فيها حسا ومعنى
ولم يفصل بغداد عن الشام بل نظر إليها نظرة المدينة الواحدة..

قال الجواهري:

قالوا (دمشق) و(بغداد) فقلت هما فجر على الغد من أمسيهما انبثقا

وقالت لمبة عباس عمارة:

إن رنَّ فني الشام خطب لبس النضير العراق

وقال محمد رضا الشبيبي:

بيغداد أشتاق الشام وها أنا إلى الكرخ من بغداد جم التشوق

فما أنا في أرض الشام بمشتم ولا أن في أرض العراق بمعرق

أخيرا نؤكد أن بحثنا هذا لم يأخذ جانبيين مهمين أخذاً وافياً لأنه اشتغل على مبدأ التقديم
لكتاب (الهيام بين العراق والشام) والجانبان هما: القيمة الجمالية لمكان الواقعي والقيمة الجمالية
للمكان (الشام) في النص الشعري العراقي فالدراسة النقدية ستكون بطبيعة الحال أكثر سعة
لأنها ستتابع وترصد تقنيات الشعرية وأدواتها الإجرائية المشتغلة في كينونة النص الشعري.

سورية والشام في المأثور العراقي

كنا ونحن صفار نتخلق حول الراديو في الوقت المخصص لقيام المنلوجست المبدع الراحل عزيز علي بأداء وصلته كانت بغداد عامرة بأهلها وجميلة ونظيفة، ولكن عزيز علي كان يرمي إلى انتقاد الحكومة على حال بغداد تلك معتقدا أنها لم تكن على ما يرام ومطالباً بالأفضل وهو يسخر من انجازات الحكومة آنذاك ويقول: بغداد صارت شام!

وأي واحد من أطفال جيلنا لم يقف في باحة مدرسته لينشد:

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان؟

سورية والشام يحتلان جزءاً مهماً من الموروث الشعبي العراقي، ويتجه هذا الموروث نحو حسابان الشام تنطوي على الأجل والأفضل في أكثر فقراته فالكثيرون من العراقيين يطلقون اسم سورية على بناتهم أملاً في أن يصبحن حين يكبرن جميلات بدرجة تضمن استئصالهن لهذا الاسم، وهي نزعة تتجلى في أسماء تتعلق بفكرة أن صقلاً ما من أصقاع الدنيا يشتهر بالجمال، إذ أن هناك أسماء مثل تركية وكرجية أيضاً.

التوت في العراق يقال له تكي والتوت الأبيض القليل الحلاوة هو تكي فقط أما التوت الأحمر الذي يميل لونه إلى السواد وتزداد حلاوته فهو تكي الشام تمييزاً له عن النوع الأقل حلاوة.

والقطة في العراق برونه ولكنه إذا كانت طويلة الشعر وجميلة فهي بزونة شامية تضيق لها على القطة العادية والذرة التي تتفتح بذورها بالتسخين POP CORN اسمها في العراق شامية والقضاء الذي كان قرية أم البعور ثم ناحية الحميدية صارت الشامية والكبة التي قشرتها من الأرز وتحتوي داخلها اللحم والمطيبات هي كبة حلب بصرف النظر عن المكان الذي يتم إعدادها فيه والسوريون أنفسهم لا يسمون هذه الكبة بهذا الاسم والصابون الذي يصنع في سورية بالطرق التقليدية يسمى في الموصل صابون حلبي ويسمى في سائر أنحاء العراق صابون

ركى ويقال أن سبب هذه التسمية أنه كان يصل إلى العراق عن طريق الرقة، والشيء نفسه يقال عن الركي^(١).

وإذا كان تشبيه الخد الجميل بالفتح شائعاً فإن الشعر الشعبي العراقي يصير على تشبيه الخد الجميل بفتح الشام!

وكان الناس يوزعون على الحضور في حفلات العرس مناديل بيضاء توضع فيها قطع الحلوى والملبس وتربط بشريط هذه المناديل كانت تنتقي من شغل ابراهيم النحلاوي وسوق الحرير شام وحين كان أكثر العراقيين يلفون سكاثرهم كانوا يلفون التبغ بورق الشام الذي كانت في كل دفتر من دفاتره ورقة عليها ثلاث أبيات من الشعر تعددت الخصائص الجيدة لورق الشام! الكثير من الكلام المتداول في العراق يرد فيه اسم الشام يقول المثل البصري: رحنا الشام... قلنه الشام يغنيانا.. أثاري الشام بيعنا لواطينا^(٢).

ويضرب لمن يبدل حاله إلى حال آخر فيكتشف أنه كان أفضل حالا قبل ذلك وإن حاله الجديد ما زاده إلا همأً وغماً ويقال عن الذي يتدخل في أمر ما عن بعد فقط وينأى بنفسه عن تحمل عناء التدخل الحقيقي فيه بالشام ويغمز لها؟ تشبيهها بمن يغازل امرأة عن بعد وفي خشية!

ويقال لأي شخصين متباعدين أو شينين متباعدين واحد بالشام وواحد بحلب وكان ذلك يوم كانت المسافة بين الشام وحلب تعد مفازة شاسعة البعد! ويسمى الخام الأسمر خام الشام حتى لو تم استيراده من الهند السين أو تم صنعه محليا ويبدو أن أول دخوله كان عن طريق الشام.

ويقال لكل خالة عشوائية تشمل الناس جميعا دون تمييز (عامي- شامي) وفي القول ما يدل على تفوق الشامي إذ أن العامي هو العادي الذي ليس فيه سمة من سمات التفوق، ولذا فهو يدل على ضياع أقدار الناس كبيرهم وصغيرهم في الحالة التي يتم الحديث عنها، وانعدام التمييز بين إنسان وآخر بحسب أهميته ومكانته ولا أظن أحدا ينسى أغنية المطربة المخضمة عفيفة اسكندر التي تقول فيها (لابس عبا شغل الدير)^(٣).

كما ولا أظن أحدا ينسى رائعة الجواهري العظيم في ثورة ١٤ تموز المجيدة التي يقول فيها: اليوم عاد القاهري لأهله ابن الشام لأهله فتبغدا هذه نقرات طير عن سورية والشام في المأثور الشعبي العراقي التقطتها من الذاكرة المتعبة وأرجو أن يكون فيها ما غاب عن ذاكرة الكثيرين أو ما يضيف شيئا إلى ذاكرة الكثيرين.

١ - لواطى جمع لاطية وهي غطاء الرأس الذي يسميه أكثر العراقيين عرقجين وهي فارسية معناها ماص العرق.

٢ - اعترافا بمهارة أهل دير الزور في حياكة العباءات.

السيد علي النجافي

تقع منطقة نجاف بين حدود العراق وسوريا ونزح منها الى العراق عدد من الاسر اتخذت من اسماء النجافي وال نجف والنجفي والنجيفي ألقاباً لها. وليس كل اهل نجاف من اصل واحد. يقول علي النجيفي الخالدي: ان مدينة النجاف في حمص من بني خالد سوريا لكن جدي حسن النجيفي جاء الى العراق.

كتب الأستاذ الدكتور ابراهيم خليل العلاف في احد اعداد جريدة الثورة بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٣، تحت عنوان «شارع النجفي يبكي أياما لن تعود» اذ قال . . . ان الشارع سمي نسبة الى الحاج محمد النجفي، وهو من وجهاء الموصل، ويعود نسبه الى السادة الحسينيين؟

يعلق على هذا القول احد ابناء آل النجيفي الدكتور عادل الخالدي المخزومي ٢٩ / ٩ / ٢٠٠٥ فيقول: ورغم ان النسب الحسيني هو متصل بسبط الرسول الاكرم وسيد البشر صلوات الله عليه وهو نسب لا يعلوه نسب، وهو ايضا شرف ما بعده شرف. لكن الامانة التاريخية تدعونا لأن نلفت عناية استاذنا الدكتور العلاف، بان الانساب هي امانة في الاعناق، وبذلك اشير الى ان اسرة آل النجفي، وتسمى احيانا بالنجيفي هي عائلة كريمة عربية اصيلة تعود بنسبها الى سيف الله، خالد بن الوليد رض، ولهم مكانة مرموقة مميزة في المجتمع العراقي عامة والمجتمع الموصلّي خاصة. اشار اليهم الشيخ يونس السامرائي في كتابه القبائل العربية ج/١ ص ٢٠٣ بقوله وهم أصلا من قرية نجاف في سوريا، فلقبوا بالنجفي، وعلى ذلك فهم من خالد حمص الشام .

يصف الدكتور عادل الخالدي المخزومي اسرته فيقول: كان نزوح آل النجيفي الى العراق عام ١٦٣٨م استجابة لدعوة السلطان مراد الرابع لاعادة فتح بغداد، كان ضمن الملبين لدعوة الجهاد في العراق، الشيخ حسن النجيفي بن محمد بن ياسين بن فارس بن عبد الكريم بن عيسى بن مهنا بن مدلج بن الفضل بن سليمان بن مدلج بن موسى بن حسام الدين المهنا بن عيسى بن مانع بن محمد الاشقر بن سليمان بن سيف بن فضل بن عيسى بن عبد الكريم بن مصلحت بن مهنا بن فضل بن محمد بن عبد الرحمن صاحب نجد وهو جد آل حميد «مجلة كلية الآداب، بصرة، عدد/١٦، اعتمد صاحب البحث مصادر اجنبية وعربية» بن خالد السحاب بن سليمان ابو المعالي «الدرر الكامنة ج٥ ص ١١٥، بن محمد الرئيس بن جعفر ابو علي بن سعيد بن حسان ابو علي «عشائر الشام لتركيا ج٢ ص ٢١٦ - ٢١٨»، بن محمد بن احمد بن عبد الله «الدرر الكامنة ج٥ ص ١١٥ و صحاح الاخبار والرفاعي، أو عبد العزيز، كما ذكره ابن الاثير في البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٠٣» بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن «الاستيعاب لأبن عبد البر ج ١ ص ٤٠٨ و نسب قريش للزبيري» بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

وعلى أثر مواقف الشيخ حسن النجيفي الجهادية المؤثرة ، أقطعه السلطان مراد الرابع أربعين قرية ، من أعمال الموصل ، مع منحه لقب بك حسب نظام الاقطاعات الذي كان معمولاً به في الدولة العثمانية آنذاك ، ولا زالت بعض هذه القرى متوارثة لدى ذرية الشيخ حسن النجيفي الخالدي المخزومي ، حتى يومنا هذا .

النجافيون الحسينيون والنجافيون من بني خالد

في حقبة الامران ما اشار اليه الاستاذ الدكتور ابراهيم خليل العلاف صحيح فان بعض من سكن نجاف كان من السادة الاشراف الحسينيين . كما ان ال النجيفي في الموصل ليسوا من الحسينيين بل انهم من بني خالد ومن ثم من بني مخزوم كما هو معروف .

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد ذلك هو: كيف نوفق بين القولين او ليسا متناقضين؟ ولو عرف السبب لبطل العجب كما ان الجواب انه لا تناقض بينهما لان كل منهما يتحدث عن اسرة نجافية هي غير الاخرى .

ويتلخص التحقيق بان منطقة نجاف او مدينة نجاف او قرية نجاف التي لا نجد لها على الخرائط المعاصرة للمدن السورية اليوم ، هي منطقة مر عليها اوسكنها أناس من اصول متنوعة . ومن جملة من استوطنها او مربها وحمل اسمها رجل مهاجر من الاشراف اسمه الشريف علي النجافي بن محمد بن الشريف نور علي . ونور علي المذكور كان قد توفي ودفن في قرية سورية من قرى حلب في الجهة الشرقية من نهر الفرات وفي جوار اوسع يسمى «عين العرب» وسميت القرية او الضيعة التي دفن فيها باسمه وهي قرية «نور علي» . والسيد نور علي سيد حسيني يتصل نسبه بنسب ال الكواكبي الحلبيين الموسويين الحسينيين . وقد جاء الى الضيعة التي سميت باسمه فيما بعد من مدينة حلب هاربا من بطش الظالمين من اعداء ابناء ال الرسول . ثم اضطرت الظروف الصعبة السيد علي النجافي ان يهرب الى العراق في القرن الحادي عشر الهجري وان يستوطن مدينة النجف وكما تحول لقب النجافي في الموصل الى النجيفي او النجفي فقد تحول لقب السيد علي النجافي الذي كان مطاردا من العثمانيين الى علي نجف بحكم التشابه بين لقبه الاصلي واسم المدينة التي استوطنها ولشهرة مدينة النجف الاشرف تغلب لقب نجف عليه وعرفت ذريته بال نجف . كان الشريف الحاج علي نجاف يمتن التجارة بالاحجار الكريمة وكانت تجارته مع كل الدول المجاورة للعراق . وقد مرت على ذرية علي نجف او علي النجافي الذين هم ال نجف ظروف عصبية ادت بهم الى التخفي والاستتار لموقف الدولتين الافشارية الايرانية والعثمانية التركية ضد عائلة الشريف علي النجافي واصولها وفروعها وهو عين ما حصل لبني عمهم السادة الكواكبية في حلب الشهباء زاد الله في شرفهم الشامخ .

وقد تكون هذه الحقيقة او المعلومة قد وصلت الى الاستاذ المحقق الدكتور ابراهيم خليل العلاف فظن ان كل النجافيين من نجار حسيني هاشمي لا سيما وان اسم والد كل من الشريف علي بن محمد النجافي النجفي والحاج حسن بن محمد النجافي النجفي هو نفس الاسم اي محمد . وان هجرة كل منهما من منطقة نجاف السورية الى العراق في فترة زمنية متقاربة جدا .

وعلى اي حال فان السادة ال نجف النجافيون والكرام ال النجيفي النجافيون كلاهما ينحدر من قريش سيدة القبائل العربية فالضرع الاول من بني هاشم والضرع الثاني من بني مخزوم .

بغداد في الشعر السوري

بغداد

عشت أرقب بغداد في كل صفحة أقرؤها في تاريخنا وأدبنا، كانت صورتها تأخذ عندي ألوانا وتتحلى بصفات.

ولم يقدر لي على قرب ما بين دمشق وبغداد أن أزورها.. إن لي فيها زملاء شاركتهم سنوات الطلب، وأصدقاء عاشرتهم في ظلال المكتبات وعلماء اتصلت بهم وأفدت منهم وإخوان عرفتهم من خلال ما ألفوا وما كتبوا ومع ذلك فقد شاء الله أن تكون هذه هي الزورة الأولى إلى بغداد في مؤتمر الأدباء.

إن كل صورة ماثلة اليوم عند بغداد الماضية هي طبعاً دون ما صورت لنا كتب التاريخ وكل صورة عن بغداد المعاصرة هي فوق ما مثلت لنا أذهاننا من خلال ما سمعنا أو قرأنا.. إن بغداد الجديدة أضخم وأعظم مما تصورنا، ولقد كانت تبدو لي وكأنها النبع الشر المعطار كلما رأيت ضاحية ظننت أنها أبعد ضواحي بغداد ثم تنبعث لعيني ضاحية جديدة كجنية من جنيات دجلة أو جنية من جنيات الخلد.

إن أبرز انطباع في ذهني، إن بغداد لا يمكن أن تغني فيها زيارة عابرة في غمرة من لجان المؤتمر واجتماعاته، لا بد من تمهل ولا بد من أناة، ولا بد من ساعات طوال تخلو بها على نفسك أمام كل حجر واثراً.. في كل شاطئ وضاحية.

الدكتور شكري فيصل

مرحباً يا عراق

نزار قباني

وكيف المها وكيف الظباء
بعد طول السنين سامراء
وبعض من الغناء بكاء
حفرته الأيام والأنواء
وخيلي قد هدها الإعياء

مرحباً يا عراق كيف العباءات
مرحباً يا عراق.. هل نسيتني
مرحباً يا عراق.. جئت أغنيك
مرحباً.. مرحباً.. أتعرف دجها
إن جرحي يمشي على قدميه

فجراح الحسين بعض جراحي
أصبح الحزن من زمان صديقي
وبصدري من الأسى كريلاء
وقليل في عصرنا الأصدقاء
كيف يشكو من كان فيه ماء
في فمي يا عراق ماء كثير

أهوى العراق

أهوى العراق وإن تكن
وأحب جنّات العراق
وعيون آرام الفرات
جرحت قلوب العاشقين
طاحت بسؤدده الطوائح
وطيبها غاد ورائح
على شواطئه سواح
كذلك تصطاد الجوارح
بدوي الجبل (أحمد سليمان الأحمد)^(١)

بغداد

الشاعر: نديم محمد^(٢)

أرشف ندماي من شهباء معطار
لا أظمأ الهم دنياهم ولا نزلت
لو يعصر النور من عيني لأنسكبت
كم أغرق الليل ألحاني ومزّقها
وكم تمرغ في جرحي فخضبه
إني لأسأل من جرحي فيبدهني
أبادر العسف بالجلّي فأصرعه
واكل بأرواحها أجفان سماري
على الهجير لتذوي فيه أشعاري
في كأسهم وعلى الريحان أنواري
بعاصف جن في دربي وإعصار
جرحي بأحمر لون الجمر فوار
منه ويسكرني مشبوب تذكار
لي أسوة بأبي ذر وعمّار



أصفي دمشق فخلف الساجعات صدى
أغرود عرسك مصلوب على شفتي
بغداد يشخنها بالغدر طاغية
نطاف جرس من البلواء مؤار
ظمان تلهف فيه رعدة النار
فنسلم البند مغواراً لمغوار

(١) بدوي الجبل: (محمد سليمان الأحمد)، من فحول شعراء العرب ولد في قرية (ديفة) إحدى قرى محافظة اللاذقية في عام ١٩٠٥ على الأرجح، والده العلامة الجليل الشيخ سليمان الأحمد، انتخب لمرات كنائب في البرلمان السوري، وأسندت إليه حقائب وزارية، جمعت أعماله كاملة في ديوان صدر عن دار العودة في بيروت. توفي بتاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٨١، ودفن في قرية (السلطة).

(٢) نديم محمد من أدباء سورية المرموقين: (١٩٠٩ - ١٩٩٤) شاعر الألام والوجدان القومي.. ولد في قرية (عين شقاق) في محافظة اللاذقية، تلقى تعليمه العالي في سويسرا وفرنسا، له عدة دواوين مطبوعة.

تفطرت في ثراها نضر أفئدة
 بغداد أمرع وهج الموت ساحتها
 بغداد لن ينزل الطغيان رايتها
 غدا تحيق بسايبها طلائعنا
 تذكر الغاصب غضبتنا
 هل ينظر الحمر إلا نباكرهم
 والغرب كم دل باستعماره ويغى
 حتى برزنا حياء زاجراً دعرت
 واروعة المثل الدامي وزهوته
 تلفت الموت لا يلهي سواعدنا
 سواعد صقلتها العرب فالتمعت
 حب العراق وما كنا لنصرته
 سيضرب السيف أو تندى حمائله
 ما أعجب الحمر ترمينا صداقتهم
 أبادل الحب لكن لا أرى كرمأ
 أعطي يدي وبها قلبي فإن غدرت

وهتكت في حماها طهر أستار
 بفتية مرسوا بالحرب أحرار
 وأسمر النيل منها قيد أشبار
 مصبحات بأساد وأنمار
 ما يوم حطين أو ما يوم ذي قار
 بجحفل مثل جنح الليل جرار
 وأتبع البغي إصراراً بإصرار
 صلاله وتوارت خلف أوكار
 على الجزائر في أعطاف ثوار
 ولا يكفكف منها مخلب الضاري
 سمراً تلوح بها حزات أظفار
 في الزاهدين فنرضاه لأشوار
 بواكف من دماء الحمر همار
 بالجحد والحق لا يرمي بإنكار
 أن يعبت الحب في عرضي وفي داري
 يد الصديق فلي حقدي ولي ثاري



دم العراق عيون من دمي دعجت
 إذا سقيت فعطشي لا أراودها
 أعلها كبرياء السابقات فما
 بغداد عبي دماً يورق به ظفر
 أضحيت بالثأر عيناً صحوها قدر
 لا أكذب الحق، في بغداد منسحب
 طاف النعيم بأحلامي فذكرني
 فأنهل الشوق روحي من سلافته
 لبيك ليلى مطياتي ململمة
 يا أخت هارون منا أنت في نفس
 غدا تغير المهار الشقر سابعة
 درب الظلام قطعناه وأسلمنا
 يزين أخلاقه بالأحسنين هوى
 شمائل الصبح يهدي النور مؤتلقاً

ولو شكاهها الظما فجرت أنهار
 صبر المهاجر في ببداء مسعار
 تغض طرفاً ولا تعبي بمضمار
 زها وأغنى بأزهار وأثمار
 ولم تزل أختها في ذمة الثار
 من الفخار بأسمال وأطمار
 في شط دجلة آصالي وأسحاري
 حتى مشى سكرأ في روح قيثاري
 شدت إليك وأسبابي وأعداري
 مردد وبأكباد وأبصار
 على ملاعب أحداث وأقذار
 للمصبح أسمر حامي الدار والجار
 يوليه حراً وإعنات بغداد
 ويخنق الليل في طيات أستار

يكسي ببردته ليل فترخصه
ما ضر وحدتنا في رجب منزلها
مربع للمتها الشمس واحدة
ويشهد الحب أعلينا قيادتها
يعكي ويأخذ لا بغى ولا سرف

والنور يغلى سناه أنه عار
مكر الدخيل ولا تشيت أقطار
في صدر بحرين هدأ وزخار
لضيغم حرد في مصر زار
ملك العروبة فيها ملك مختار



بين الشام والعراق

عزالدين التنوخي^(١)

ودعت غوطتنا وذاك الوادي
ودعت جلق جنة الدنيا إلى
غادرت قلبي بالشام وأعرت
فرضاً وباقر^(٢) في العراق كلاهما
إنني لبعدهما حرمت مسرتي
ولبعد ساطع^(٣) لم يعد ماء الحمى
تالله لا أنسى الشام وسعدها^(٤)
وخليل^(٥) قطع مهجتي بفراقه
وزكي والكرمي والجبري لا
وأبو نزار^(٦) ذاك في صيدائه
أهل الحفاظ هم أن اشتجر القنا
كيف السلو عن الشام ولي بها
فهما لقلبي بهجة لا تنقضي

شوقاً لكم يا ساكني بغداد
وادي السلام ومنبت الأمجاد
روحي فيما لمقسم بعباد
أخذ الفضائل عن أبيه «جواد»
ومن الأسى قلقت عليّ وسادي
عذبا، ولا أعياده أعيادي
والغربي وجمع ذاك النادي
ويل الفراق وركبنا والحادي
ينفك ذكرهم حليف فؤادي
قلبي له ولها لعمرك صاد
وهم على بردى أهيل ودادي
قيس ومعن فلذة الأكباد
وهما لعيني روضة المرتاد

(١) عز الدين علم الدين التنوخي أبو قيس (١٨٨٩، ١٩٦٩) ولد بدمشق، وأصبح أحد أدائها ومؤلفيها، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق. شغل مديراً لمعارف جبل العرب فمفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف، ثم انتدب للتدريس في كلية الآداب بدمشق في ١٩٥٠/٣/٢٠ من كتبه المطبوعة: دروس في صناعة الإنشاء (طبع ببغداد) شعر الراعي النميري (بالاشتراك مع ناصر الحائلي، العراقي، دمشق ١٩٦٤).

(٢) الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد باقر الشبيبي.

(٣) ساطع الحصري.

(٤) الطبيب عبد الرحمن الشهبندر سعد زغلول الشام والغربي هو الشيخ عبد القادر والنادي أريد المجمع العلمي بدمشق.

(٥) خليل مردم بك وزكي الخطيب وذاكر الكرمي وشفيق جبري.

(٦) وأبو مضر وعدنان أيضاً هو أحمد عارف الزين، صاحب مجلة العرفان .

وإذا رجعت إلى الحقيقة عينها
لم أنتقل من جلق إلا إلى
لي في الشام موالد الآباء إذ
فمن العراق أهيم في تاريخها
العرب أكرم أمة بالرغم من
لولاك يا أرض الجزيرة والألى
أيقنت أني في خيالي عاد
بغداد دار رشيدنا والهادي
لي في العراق مدافن الأجداد
ومن الشام أهيم في أولادي
سعي الوشاة ومفتري الأوغاد
نزلك ما فارتقت أمس بلادي

دجلة في الليل

أنور العطار^(١)

الليل في بغداد لا ينام
ويستببه الوجد والهيام
والشعر والأوهام والأحلام
أسكب النور يا قمر
وأذع فرحة الهوى
وأترك القلب حالماً
يجمع النفس كلها
هاهنا الليل شاعر
مستطار إذا انتشى
مل أفيائه السنا
في وشاح منمنم
والنسيم الذي يطو
ونشيد مسلسل
ما أحيلاه ساجياً
طاف بالأعين الرقاد
سهران تصبى روحه الأنغام
واللهو والايأس والمدام
واغمر النهر بالصور
وأشع لذة السمر
ناسياً روعة الغير
من تشهيه في النظر
ملهم خير الفكر
مستثار إذا ذكر
مل أعطافه الدرر
ساحر فتنة البصر
ف شعر لمن شعر
في العشيات والبكر
ما أحيلاه إن فتر
وما شفني السهر

(١) أنور بن سعيد بن أنيس العطار (١٣٩٢.١٢٦ هـ / ١٩٧٢.١٩٠٨ م) دمشقي المولد والوفاة، أحد أساتذة الأدب العربي درسه في بلده وفي سورية والحجاز وبعد من شعراء سورية المطبوعين، له عدة كتب ودواوين منها: ظلال الأيام (ديوان شعر) صدر عام ١٩٤٨، وكتاب الزاد (في الأدب والنصوص) وغيرها. له قصيدة في الامام الحسين الشهيد، ثم نشرناها في مجموعتنا (أجراس كربلاء) بيروت ١٩٨٨.

يَتَصَبَّأَنِي النَخِيلُ
فِي ثَنَائِيهِ صُورَةٌ
بِأَبِي أَنْتَ مُورِدًا
يَتَشَّهَّأَكْ خَاطِرِي
إِنْ تَثْنَيْتَ فَالْغَنْدِي
أَوْ تَسَلَّلْتَ صَافِيًا
مَرَّبِي طَيْفُكَ الْحَبِيبُ
فِي أَسَارِيرِهِ فَتُونُ
الْمَنَى طَوْعُ أَمْرِهِ
وَالشَّدَا مِنْهُ عَابِقُ
فَعَلَى الشَّمْسِ عَرْشُهُ
هُوَ رِيحَانَةُ الْعُلَى

وَيُغْرِينِي النَّهْرُ
حُلُوءَةً كُلُّهَا سَيْرُ
لَيْسَ فِي وَرْدِهِ كَدْرُ
وَتَسْلَى بِكَ الذِّكْرُ
أَوْ تَأَوَّدْتَ فَالطَّرَرُ
فَأَخُو الدَّلِّ وَالْخَفَرُ
وَكَمْ طَائِفٌ سَحَرُ
وَفِي طَرْفِهِ حَوْرُ
مَا تَمْنَى وَمَا أَمْرُ
فَأَغَمَّ الْعَطَرُ مَنَاشِرُ
وَعَلَى هَامِهَا اسْتَقَرَّ
فِيهِ مِنْ عِبْقَرِ أَثَرُ



عُدْتُ لِلْغَابِرِ الْبَعِيدِ
أَتَأْسَى بِمَا انْطَوَى
هَاهُنَا تَخْشَعُ الْقُلُوبُ
هَاهُنَا سِيرَةُ الزَّمَانِ
هَاهُنَا الْكَوْنُ سَابِحُ
أَنْتَ لِي الْحُبُّ وَالْمَنَى
لَيْسَ لِي عَنْكَ مُبْتَغَى
أَتَنَاسَى بِكَ الْأَسَى
وَاحْنِينِي إِلَى الضَّفَافِ
وَتَسَابِقُنِ بِالرَّوْىِ
وَتَلَامِسُنِ بِالْهَوَىِ
وَرَوِيْنِ الَّذِي انْقَضَى
أَنْتَ يَا نَهْرُ عَاشِقُ
مَرٌّ بِالْمَاءِ صُورَةٌ
وَيَنَابِيعُ حَفْلًا
وَالنَّجُومُ الَّتِي تَرْفُ
وَرَبِيعُ مِنَ الْمَنَى
يَتَوَهَّجُنَ كَاللُّظَى

أَنَاجِي الَّذِي غَبَرَ
أَتَعَزَّى بِمَا اسْتَرَّ
وَتَصَبُّو وَتَنْفَطِرُ
وَعَاَهَا الَّذِي ذَكَرُ
فِي خِضَمِّ مِنَ الْعَيْرِ
أَنْتَ لِي الْقَصْدُ وَالْوَطَرُ
لَيْسَ لِي عَنْكَ مُصْطَبِّرُ
غَمَرِ النَّفْسِ مَا غَمَرُ
تَزَاحَمُنِ بِالشَّجَرِ
وَتَسَاجَلُنِ بِالصُّورِ
وَتَهَامِسُنِ بِالسَّيْرِ
وَأُذَعِنِ الَّذِي اسْتَرَّ
مِنْ صَبَابَاتِكَ الْقَمَرِ
فَتَنْتَ كُلُّ مَنْ نَظَرَ
بِالْأَلَى وَبِالدَّرِّ
إِطَارُ مِنَ الزَّهْرِ
وَرِيَاضُ مِنَ الثَّمَرِ
يَتَرَاقَصُنَ كَالشَّرَرِ

فيك ما يملأ النّهي
آية أنت للعلى
يتثنى بك الزمان
ويباهي بك الجلا
ربّ ماض بعثته
رف كالحلم خاطفا
لم ينل منك غابر
أنت كالحب سارب
أنت كون من الشمو

فيك ما يبهر البشر
راية أنت للظفر
ويزهى بك العصر
ل ويندى ويذر
مثلا يجمع النثر
وتواري وما انتظر
ثم يعب حسنك القصر
أنت كالعمر مختصر
س سنا ضوؤها بهر



بت أستلهم الرؤى
والهوى طائف يجد
لا يخاف الردى الرهيب
مرن الخوض والدجى
ليس تثنيه غمرة
هو ترب المدى الخفي
طاف بالغابر القصي
في تضاعيفه النعيم
ياله من متيم

بت أستقرئ الذكر
وكم يركب الغرر
ولا يعرف الحذر
ألف الشدو والسحر
طال ذا العمر أو قصر
أخو الدهر والقدر
لياليه والنهر
وفي طيئه سقر
يعشق النأي والسفر



أيها الهاجر الذي
أنت وحي أحبه
كل ذنب جنيته
لا تكلني إلى الأسى
حسب روحي الذي مضى
قم نعد سكرة الهوى
ونحوم على الخلود
فهنا الكون عابق
سامح الحب إن هفا
والهوى سلوة النفوس
كل من ذاقه استعا

عذب القلب مذ نقر
ورد الفكر أو صدر
هو في الحب مغتفر
لا تكلني إلى الضجر
حسب قلبي الذي عبر
فالهوى كله سكر
وداراته الأخر
أرج زهره عطير
واعف عنه إذا هجر
ويحبو حلة العمر
د صباه الذي غير

وترَوَّى من الحياة
لذة العيش في الصبا
كل أحلامه سناً
وأراجيح طُفَّحْ
واساطير عَكُفْ
نَذِر القلب أن يحنَّ
بعث الشَّعر سَكْسلاً
أو كما يحفلُ الغمامُ
فيذاً احتاجَ فالحمامُ
فامرحي يا خواطري
وسلي (دجلة) الرُّضا
خيرتي أنتِ في الدُّنا
وهوأي الذي طغا
قد تفرَّدت بالجمال
حبذا منك رشفةُ
خطرتُ فامحى الأسى
ومشى الحبُّ بي إلى
جَنِّ شوقي إلى الحمى
يا لقلبٍ مُؤَلِّهٍ
ذكرياتُ هي الحياةُ
من رعاها فقد وفى
ليس في شرعةِ الهوى
وأخو الحبِّ ثابتُ
ربما عاش بأُننى
هو ذا الزُّورقُ الحبيبُ
حمل الأُنس والرُّضا
واستفاضت لُحونه
ها هنا يطربُ الثرى
ها هنا تُسلس الطُّباعُ
غَنَّتْني أطيبُ الفناء
فلقد يثملُ الهوى

ومن روضها النضر
راحة البال في الصغر
كلُّ أطيفافه غُررُ
بالألاعيب والأكر
يتمرغن بالسرر
ويا صدق ما نذر
كالينابيع تنفجر
وينهل بالطر
وان حنَّ فالوتر
واغنمي الأُنس إن حضر
عن محبِّ بها فُكِّر
ليتها تصدق الخير
والهوى طامعٌ أثِر
وبالمجد والخطر
كلُّ من عبها سَكِر
وبدتُ فانجلي الكدر
عالم كله سَمَر
فهوى الدمع وانتثر
شفه الوجد فاستعر
وماض هو العُمُر
من قلاه فقد كفر
هائم إن نأى غدر
ليس يلويه مزدجر
ربما عاش بالفكر
على مائك انحدِر
والمسرَّات والبُشر
تغمُر البدو والحضر
ها هنا يشعر الحجر
وتستأنس الفطر
وناج الذي خَطِر
ولقد يسكُر الوتر

❖ ❖ ❖

إليه (بَغْدَادُ) هل يعودُ فأرى تاجكِ التَّضْيِيرُ وأرى الأرضَ كلها أَيْبَةً أَنْتِ فِدَةٌ مَنْ تَلَاهَا فَقَدْ تَلَا حَفِظَ الدَّهْرُ ذِكْرَهَا	الجلالُ الذي اندثرُ على الكونِ يَنْضَفِرُ وهي مهدٌ ومستقرُ كل ما فيكِ مُبْتَكِرُ مصحفُ المجدِ والسُّورُ وروى للغدِ الخَبِيرُ
--	---

تحية بغداد

أنور العطار

«ألقيت في الحفلة الكبرى التي أقامتها دار المعلمين العالية ببغداد احتفاءً بالوفد الثقافي السوري في آذار (مارس) ١٩٤٧»

ردى عليّ رياحيني وأورادي ونضري في ثنایا الحفل إنشادي تهدي إلى الصيد من صحتي وأندادي حباته بين أغوار وأنجاد نضيده صولة المستأسد العادي وروعته بتعذيب وإبعاد على هوى العرب أكباداً بأكباد ممن الوداد بألطف وأبراد وزودينا العلى يا نضحة الضاد وظل مسترسلاً في ركبها الحادي يا طيبه في اجتناء الحمد من زاد كالشمس في موكب بالنور وقاد فأصبحوا نهبة للرائح الغادي فلستم في قراع الخطب أحفادي	بغداد بالعابق المخضوضر النادي وألهميني حر القول، خالصه هبي لي الشعر أنغاماً مسلسلة الساهرين على عقد قد انتثرت تخطفته رباح الأرض واطرحت جارت على سلكه نأياً وتفرقة بنى العراق مثال الحب من عقدوا تمرسوا بالوفاء المحض واتشحوا يا نضحة الضاد هبي في أباطحنا عنا لها الدهر مزهواً بها فرحاً لأنت زاد الأولى ازدان الزمان بهم وأشرقي في سماء العرب وائتلقني يهيب بالقوم قد ألوى الزمان بهم إن لم تشوروا على الباغين قد نكثوا
---	---

× × ×

وأسعدته الأمساني أي إسعاد ونضحة من روابي الشام والوادي كالعامري بكى في سفح توباد تصور الوجد من خاف ومن باد	يا جيرة العرب صان الله عقدكم يا نسمة من جنان الخلد طيبة يا دمة الحب تهمني رقة وأسى فكانت الشعر والأشواق دمعته
---	--

ولم يكن طيفهم يوماً بمرتاد
لأصـدحـنُ بـنـايـاتـي وأعـوادي
غنى لها الكون مـيـاداً يـمـيـاد
ينساب في نغمات البلبـل الشادي
جلا عن الشعر في وصف وتعداد
تحـيـي السـقـيـم وتـشـفى غـلـة الصادي



وحققوا الوحدة الكبرى بميعاد
كما تمازج أرواح بأجساد
تلذ، والشام من أنغام بغداد



آمنت بالعرب أمجاداً بأمجاد
يقصها الدهر أبداً لأباد
وزينوها بتبيان وإرشاد
ويهدون بنور المرسل الهادي
علياء من صنع أبطال وآساد
أرواحهم بورك المفدى والفادي



وهجت أحلى المنى في أرض أجدادي
سكران تصبـيه أفرـاحـي وأعيادي

حيّ الأخلاء والألاف قد رجعوا
نذراً على -وقد عادت سوانحهم-
ياحسن «دجلة» مسكوباً بها «بردي»
ويا سنا «بردى» بالشط منطلقاً
نهران إلفان ضمّ الحب شملهما
يا رشفة منهما بالروح نسألها

في ظل بغداد طاف العرب وانتلفوا
تمازحوا في إخاء رائع عجب
بغداد في الشام ألحان مرتلة

آمنت بالوطن المنصور جانبه
صاغوا من الخير دنيا لا كفاء لها
طافوا على الأرض بالآيات ساطعة
هم المنار يسير السالكون به
العرب في ثورة للمجد شاملة
حراس وحدتنا الكبرى ومن سفكوا

يا فرحة الملتقى أذكيتني طرباً
تركت قلبي مغموراً بنشوته

سلام على النجف الأطيب

أنور العطار

«ألقيت في الحفلة الكبرى التي أقامها النجف احتفالاً بالوفد الثقافي السوري في آذار

(مارس) ١٩٤٧».

سلام على ورده الأعذب
ودنيا توقد كالكوكب
أنيق كمنضوره الأهدب
تهادي، وفي الجو عطر النبي
وبالجدث الطاهر الطيب
على نبعة الخير من يعرب

سلام على النجف الأطيب
على مهده عالم الذكريات
وكون كآذار جم العبير
تنشق في الترب مسك الخلود
وطف بالهدى والندى والعلاء
وسلم على العبقري الهمام

وسلّم على أرج الكائنات
هنا الحسب السمع عم الفضاء
سرى العبق الطهر ينشي الصرود
يموج من النور في موكب
يطوف على الناس مثل الصباح
ويختال في الكون مثل الربيع
وعرج على موئل النعيمات
أخي الحزم والعزم والمكرمات
وهم بالبيان السنى الشهي
ورد مورداً حافلاً بالخلود

وريحانة الشرق والمغرب
وأسنت به مقلة الغيب
ويورق نديان في السبب
ويندى من الطيب في موكب
إذا افترعن مبسم أشنب
يرن بفينانه المعشب
على الأريحي النجيد الأبي
أخي النائل الأطول الأرحب
وأعذب بمنهله أعذب
وما شئت من ممتع مطرب



على! ويا سحر هذا النداء
تحن إليك القلوب اللهاف
إذا أغطش الليل كنت الشعاع
وكنت الحنان ورمز الندى
ولم لا وأنت رفيق النبي
وأنت قريش العلى والبطح

وأعجب بروعته أعجب
حنين الصفار لصدر الأب
وكن رجاء الغد الأصعب
وكننت المعين على المنصب
وأنت شذا الطهر من يثرب
وأنت مدى السؤل والمأرب



فيا ساكني النجف المستحب
سلام الشام كشدو الهزار
بني الجود والخلق المستطاب
رفاق الكفاح رعاة الذمار
صبغتم طريق البقاء الحبيب
فكنتم ضحايا النضال الطويل
وطهرتم الوطن المستضام
نقمتم على الظلم والظالمين
فيا ثورة النجف اليعربي
يسيل الضرات بها صاخباً
ولولاك ما كان فجر الخلاص
سأذكر ما عشت هذا الجهاد
وأحيا لهذا الحمى نغمة

سلام القريب إلى الأقرب
على حافة الجدول المذهب
من الأفرخ الزغب والشيب
حماة المسالك والمشعب
بهذا الدم الثائر الغضب
مشيتم على حده المرهب
من الصل ينفث والمقرب
وثرتم على الغاصب الأغلب
غضبت وحقك أن تغضبي
ونهر العلى إن يثر يصخب
ولم يجل عن دارنا الأجنبي
وأفني بملهمه الملهب
وقلبي إما يهيم يطرب

فإن شئت ترتيله فاندب
فإن رمت ترويحة فاسكب
فإما استياك العلى فاكتب
ويا فكر من مائه فاشرب



يشق المتاعب بالمتكعب
ويدفع بالناب والمخلب
وأزرى بمرهقه المتعب
بغير الرجولة لم يطلب
وإن تغف عن صونه يسلب
وبالمثل الرائع المعجب

فيا طبر هذا الغناء الرقيق
ويا جفن هذا سبيل البكاء
ويا قلب هذا قريض الخلود
ويا نفس من ورده فانهلي

شباب الحياة شباب الجهاد
مضى يستهين بغلب الصعاب
تدورع بالجزم يوم الهياج
وما الحق إلا الطماح الصراح
إذا ما توانيت عنه استبيح
فشيد منار العلى بالدماء

بغداد

سليم الزركلي^(١)

وبغداد، يا قلبي، الهوى والمعال
أضاء بها دهر العلاء، والمحار
فها، وأنت اليوم جذلان ناعم
من الود، والأمشاج نشوى تناغم
وكم طاب، في الذكرى هوى ومناغم
تهش، لها أرواحنا والمباسم
وخير جديد ما بنته العزائم
وحق لماضيك الرقي والتمائم
أخو عبقر. والشعر بالمجد هائم
وطربت الأفلاك فيها الحمائم
تساق إلى جناتهن الغمام
تشيد وتبنى، والحظوظ كرائم
وهذي بنات الفكر فيك نواظم
وتنشد للأزمات، والروح باسم

أحقاً ترى بغداد، أم أنت حالم
معالم أمجاد، ودنيا حضارة
تغنيت، والبيداء تفصل بيننا
أدركها كنوساً، بارك الله نضحها
فكم لك في أظلالها من مناغم
أناجيك، يا أم المدائن، والرؤى
رؤى في طريق المجد تزهى روائعاً
وأرجع للماضي. فأسجد خاشعاً
زمان شدا بالشعر. في كل منبر
وغنى هزار الشعر في كل روضة
وطوف في سوح الفتوحات أعصر
ودنياك. يا بغداد. والدهر طيع
أبغداد عرس في رحابك قائم
تحريك، والأمال خفق حروفها

(١) سليم بن كامل الزركلي الكردي الأصل، ولد ببعلبك سنة ١٩٠٣ ودرس في دمشق وعمل في التعليم حتى عام ١٩٦٣. وفي عام ١٩٤٢ عمل سكرتيراً لمجلس الوزراء السوري حتى آب ١٩٤٣ وتنقل في وظائف أخرى. منها إدارة الإذاعة السورية حين تأسيسها سنة ١٩٤٧، له ديوان شعر بعنوان (دنيا على الشام) طبع في بيروت ١٩٦٨.

بهن فصول للعلا، ومواسم
قلوب لها خلف الضلوع مآثم
تصارع أفواج الأذى، وتخاصم
تحس، فتشتاق الصيال صوارم
وهيهات أن ينسى الأسى والمظالم
ومن لعميد أثقلت المغارم؟
وبين ضلوعي من هواك عوالم
وأوقظها والذكريات حوالم
وللسحر في أعطافهن نواسم
خواطرها تحت العباب بواسم
وهل تستريح الطير، وهي جواثم؟
أسقيك يا بغداد، والوجد عارم
ترف، فما تقوى عليها السمائم
وأنت نجأواها، وأنت الدعائم
وليس شعار الأكرمين سخائم
تطيب به أجيالنا والعواصم
وتشرق بالغيط الدفين نوائم
نوافحه أنجادنا والتهايم
وقد تصغر الأزاء وهي عظامم
فتسعد أوطان بنا ومشائم

وترقب للفجر الأنيق مطالعاً
عسى يلتقى ماض وآت فتشتفي
تحيفها جور الحوادث، فانبثرت
وتستصرخ الدنيا: لعل فيالقاً
أضاعت على الأقصى، عهود كرامة
وللوجد في أحنائهن مجامر
نشدتك للود القديم، وللهوى
أدغدغها، والفجر بعد ملثم
ودجلة يسري. والنخيل مهوم
وفوق خدود النهر راقص شعلة
وقلبي، في أشواقه، نضو صبوتي
تحية أعراق، وعطر أواصر
ففي بردي، والغوطتين مشاعر
تحن لأيام خلت، من عهودها
وليس سبيل الحب هجر وفرقة
هبي للعلا دهرأ يضوع أريجها
وخلي الجوى يحرق كبود عواذل
ونحن على حال من الود تستقي
فقد تعظم الأشياء. وهي صفائر
وما الحزم إلا أن نضم شتاتنا

تحية إلى بغداد

الدكتورة طلعت الرفاعي^(١)

ومن أنيني خلف اليد يسمعه
وفي فمي نغم ينساب أروعه
وذائب الماس في رفق يرصعه
خمرية بسنا الياقوت تلمعه
تدنس له الشمس زنديها وترضعه

يا جامع الشمل شملي من يجمعه
أبحرت واليم في صحو وفي الق
يسير في خيلاء زورقي مرحاً
يلقى له الشفق المحموم أو شمة
أمضى وفي خافقي حلم يهددني

(١) طلعت بنت مصطفى الرفاعي ولدت بحمص ١٩٢٢. دكتوراه في الاقتصاد والحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٥٥، متزوجة من مصري وقد عملت شطراً من حياتها موظفة في جامعة الدول العربية بالقاهرة. من دواوينها المنشورة: مهرجان الشرق، وفتاة من القدس.

وزمجر البحر بعد الصحو واضطربت
رنوت لا مركبي أضحي له عضد
وأنكرتني وجوه طالما هتفت
وطوقتني حراب الغدر راعشة
إنني وإنني على عهدي إذا اخترقت
وأن أساء أخى يبقى لدي أخى



مصيبتى أن لي نفساً سموت بها
أدين بالصدق أيا كان قائله
وكم أتيت طبيباً أشتكى كبدي
وللوفاء طريق ليس يجهله
يبقى الصفاء وتمضي السحب خائبة
لن يبرح الطين يوماً في تسلقه
ماذا أقول عن الأيام في نوب
غنيت للمجد لئلا لهام أغزله
فكان حظي من الأيام أحلكها
واللحن لن تعبر الأسماع نغمته
لا تظلموا الشعر في ثوب وفي حلل
لكنها الروح قبل الجسم موعدها
بغداد يا كعبة الأحرار كم هدمت
تفضين حيناً لعل الغيم منحسر
ثم انفجار وزلزال بلا نذر



بغداد كم ضربة للبغي قاتلة
ما مس صرحك غدار على زغل
بغداد والجرح في صدري يبرحني
بغداد يا صرخة الثوار يطلقها
يوم العروية تغلى في الدماء لظى
حتى يعود ضياء الحق مؤتلفاً

أواجه فوق مجدافي تُصدّعه
ولا الأعاصير يشجبها تضرعه
للحق في صرختي الدنيا ترجعه
يا صانع الموت إنني لست أصنعه
صدري السهام فجفني ليس تدمعه
وموطني إن يضعني لا أضيعه



وناضراً لا يجافيه ترفعه
وأعبد الحق أنى كان موضعه
فراح يمزق في يميني مبضعه
إلا الذي بات في الأدران مضجعه
لا لن يضير اندفاع النهر صفده
من كان من حبر الحرياء برقه
جرعت من صابها ما لست أجرعه
في معبدي للجمال البكر أبدعه
واتعس الصبح في الإشراف أشرعه
إن لم يكن من معين القلب منبعه
ما جدّة الثوب تجدي أو مرقعه
مع الخلود وما تبقيه يتبعه
قلاعك الظلم لما سال مطمعه
عن السهى أو لعل البرق يقشعه
يروع الكون منه ما يروعه



سدقتها يوم لا يجدي تشفعه
إلا وكان على كفيك مصرعه
من يلمس الداء في صدري وينزعه
من دير ياسين يوم الحشر مدفعه
وللرصاص طعام ليس يشبعه
ويرجع الوطن المسلوب أجمعه

بغداد يا نغم الأبطال محتدماً
هنا ديارى.. هنا أهلى.. هنا وطنى
هنا النجىع الذى روى التراب سنا
أحنو على الأرض صدرى لا يفارقها
راج الجهاد على النجوى يوقعه
من هاهنا الضجر يهدى الركب مطلعه
لما تدفق نور الحق يدلعه
حتى تعانقها من بعد أضلعه

موالٌ بغدادى

للساعر نزار قباني^(١)

مدى بساطك.. واملاي أكوابى
عيناك يا بغداد، منذ طفولتى
لا تنكري وجهى.. فأنت حبيبتى
بغداد.. جئتكَ كالسفينه متعباً
ورميتُ رأسى فوق صدر أميرتى
أنا ذلك البحار أنفق عمره
بغداد.. طرتُ على حرير عباءة
وهبطتُ كالعصفور يقصدُ عشه
حتى رأيتك قطعة من جواهر

وانسى العتاب، فقد نسيتُ عتابى
شمسانِ نائمَتانِ فى أهداى
وورودِ مائدتى، وكأسِ شرابى
أخفى جراحاتى وراء ثيابى
وتلاقتِ الشفتانِ بعد غياب
فى البحث عن حب.. وعن أحباب
وعلى ضفائر زنب ورياب
والضجر عرسُ مآذنِ وقباب
ترتاح بين النخل والأعتاب



حيث التفت، أرى ملامح موطنى
إن النجوم الساكنات هضابكم
ماذا سأكتبُ عنك فى كُتب الهوى
يغتالني شعري.. فكل قصيدة
الخنجر الذهبى.. يشرب من دمي
بغداد يا هزج الأساور والحلى
لا تظلمي وتر الراباة فى يدي
قبل اللقاء الحلو.. كنت حبيبتي

وأشمُ فى هذا التراب تُرابى
ذاتُ النجوم الساكنات هضابى..
فهواك لا يكفيه ألف كتاب
تمتصني.. تمتص زيت شبابى
وينام فى لحمي، وفي أعصابى
يا مخزن الأضواء والأطياب
فالشوق أكبر من يدي وريابى
وحبيبتي تبقي بعد ذهابى..

(١) نزار قباني: (١٩٢٣ - ١٩٩٨) ولد فى دمشق، تخرج فى كلية الحقوق بالجامعة السورية عام ١٩٤٤، التحق بعد تخرجه بوزارة الخارجية السورية، استقال من العمل الدبلوماسى عام ١٩٦٦م وأسس داراً للنشر فى بيروت حملت اسمه، أكثر الشعراء العرب شعبية وشهرة.



كتاب الديارات في طبعته الثالثة

«الديارات» من الشابشتي الى الطريحي

بقلم: الأب الدكتور سهيل قاشا

ما اشبه الايام ببعضها حينما يقودها أصحاب العقول النيرة، والارادات الصالحة، ففي الأيام الماضية «العصر العباسي» (٧٥٠-١٢٥٨) ظهر الكاتب المؤرخ أبي الحسن الشابشتي (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) الذي أرخ لنا بكتابه الفريد «الديارات» الذي حققه ونشره الأستاذ الكبير المرحوم كوركيس عواد في بغداد عام ١٩٥٥، وكتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) الذي فيه أخبار العديد من الأديرة التي كانت ميثوقة في الأرض، ومن ثم نجد ذكر أحداث الأديرة وأخبارها في «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) وغيرهم من المؤرخين المسلمين كالعمرى والخالدي والزيات.

والآن إنبرى الكاتب والمؤرخ الدكتور محمد سعيد الطريحي الذي أخرج سفره الثمين في طبعته الأولى بروما عام ١٩٧٨، والطبعة الثانية في بيروت عام ١٩٨١ بهمة نيافة المطران ثيوفيلس جورج صليبا، والطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة التي بين أيدينا في هولندا عام ٢٠١٠ تحت عنوان «ديارات الطريحي» بعد أن كان عنوانه «الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها».

الدكتور محمد سعيد الطريحي المؤرخ الموسوعي، نشر الى هذا اليوم ما يقارب المائة مجلداً، الى تحريريه مجلة «الموسم» التي تهتم بالوثائق والتراث العراقي والإنساني، وكتّابها من كافة الأديان والطوائف والقوميات، تضم اليوم بمجلداتها ثروة كبيرة من الاخبار والاحداث والمعلومات، فاصبحت من المصادر الرئيسية، لمن يبحث عن تاريخ العراق المعاصر والعالم العربي والإسلامي.

أما هذا الكتاب الذي نعرّف به إنصافاً ونصفحه عدلاً فقد جاء «حديقة للمعرفة» لما تنتشر على صفحاته من ورود الأدب والشعر والتاريخ والسير. فهو بحق موسوعة في ميدانه، وقد تضمن الأقسام التالية:

- ١- تاريخ النصرانية في الكوفة.
 - ٢- الأديرة والكنائس والبيع.
 - ٣- الأكرح والقلالي والقبب والإعمار.
 - ٤- المواقع الأثرية في الكوفة وضواحيها.
- وبالإضافة الى التعليقات والهوامش والصور واللوحات والأشكال والخرائط التوضيحية، فقد الحق مؤلفه به عدة ملاحق للإستدراك والإتمام أحياناً لتعظم بها الفائدة وتعني الدارس والباحث عن بعض الطلب.

وهذه «الكتاب» الذي بين يدي القارئ قد تحمل صاحبه الكثير من الأتعاب والمشقات في سبيل جمع مواده، وتحقيق بروزه الى الواقع وما عاناه في سبيل ذلك من المصادر الأصلية «الديارات للأصفهاني» و «الديرة» للسري الرفاء، و «الأديرة والاعمار في البلدان والأقطار» للشمشاطي، و «الديرة» لابن رمضان النحوي، وكتاب «الديارات» للشابشتي، وغيرها الكثير.

ذات الطريحي

الدكتور الطريحي
فالكوت وصالح



وهذا العمل الضخم، تطلب من الطريحي المتابعة الحثيثة والغوص في أعماق الصفحات بكتب التاريخ والجغرافية والأدب والشعر العربية والأجنبية فاتى كاملاً متكاملًا، شارحاً كل المفريات والمصطلحات، وترجمات للعديد من الاعلام والأماكن والبقاع، مع فهارس عديدة في الملل والوظائف والأطعمة والملابس والضرائب وغيرها ...

وصف الكتاب: قياسه: ٢٤.٥ × ١٧ سم

عدد الصفحات: ٤٠٨ صحيفة عدد الأسطر: ٣٠ سطراً

الملاحق هي:

- ١- قائمة ملوك اللخمين. ٢- تقرير عن حفريات مقبرة الحيرة. ٣- النصرانية وسط اللخمين. ٤- أمرؤ القيس الأول. ٥- بحر النجف. ٦- جاري نهر الفرات القديم بين هيت والنجف. ٧- المسيحية في الخليج العربي. ٨- حنين بن إسحق رائد

الترجمة في العصر العباسي. وقد اشترك به في مهرجان افرام حنين الذي عقد في بغداد في شتاء عام ١٩٧٣.

وقد اتت هذه الملاحق بأقلام الزملاء المؤرخين الباحثين المشهود لهم بمصداقية التاريخ.

وبناء عليه، فقد أتى الكتاب فريد في فكره، ورسالته وأسلوبه ومضمونه، يتحفنا به أديب أريب، ومؤرخ حصيف، وبحاته جليل، صاحب القلم السيل والعطاء الغزير، الجلد الصبور، المتدفق حيوية وانتاجاً أبداً، سدّ فراغاً كبيراً في المكتبة العربية عامة، والعراقية خاصة في حقل تاريخ الأديرة والمسيحية. فما زال قسم كبير من هذا الباب مفتوحاً على مصراعيه يستقطب الدارسين والباحثين ليدلوا بدلوهم كما فعل الطريحي وفقه الله باستمرار قلمه بالعطاء الثر.

وأخيراً وليس آخراً، تعود معرفتي بالدكتور الطريحي الى صيف ١٩٧٣ يوم التقيت به وجالسته عند المرحوم الأب الدكتور يوسف حتي، واستمرت لقاءاتنا - متقطعة - في العراق. أما في لبنان اليوم فصارت أكثر، ووجدت لديه روح البحث الدقيق والتواصل الرقيق والجهد الجهد في سبيل المعرفة، لا يعرف الكلل والملل، دؤباً كالنحلة، ينتقل من زهرة الى أخرى فيحول رحيقها الى سطور من العسل الشهد، فيصنعه أطباقاً من الصحائف لطلاب العلم والمعرفة لا يبتغي جزاء ولا شكوراً، همه وبغيته هو تبسيط العمل وفق منهج البحث العلمي الأكاديمي الرفيع.

وفقه الله أولاً وثانياً، وجعله مثلاً وقدوة، ونبراساً مضيئاً يشق ظلمات الجهالة وقيلولات التفاعس، مقدماً في شق غبار الايام السالفات من القرون الماضية، يحصد من حقول العراق الخصيبات كل سنابل الحضارة اليافعات.

فالى مزيد من الإنتاج الفكري السليم، فيتحفنا بين أونة وأخرى بوليد جديد كامل الصحة والبنيان، جعلها الله عليه ثوباً قشيباً مدى الأيام، بمزيد من النعم والبركات.

والله ولي التوفيق

الأب الدكتور سهيل قاشا

دير يسوع الملك - لبنان - ٢٠١٠/٠٣/٣٠

الموسم

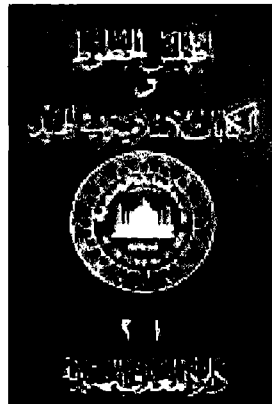
من إصدارات



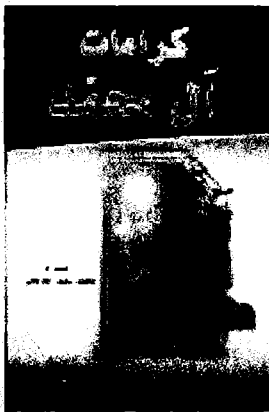
تتميز في
المسح في الشجر



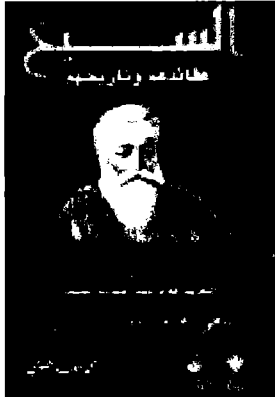
تتميز



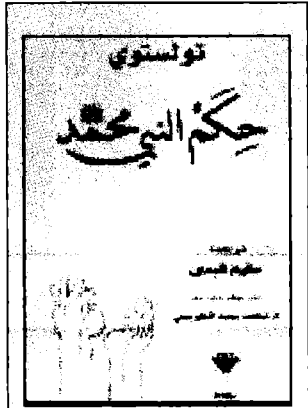
- ١- حنين بن اسحق - مطبعة دار النعمان ١٩٧٣، النجف الأشرف.
- ٢- الديارات النصرانية في الكوفة وضواحيها، الطبعة الأولى - روما - ايطاليا ١٩٧٨ الطبعة الثانية. بيروت مطبعة المتن ١٩٨١.
- ٣- فضل الكوفة ومساجدها لابن المشهدي (القرن ٦ هـ) بيروت ١٩٨٠
- ٤- فضل الكوفة وفضل أهلها - لمحمد بن علي الحسني العلوي (ت ٤٤٥ هـ) بيروت ١٩٨١
- ٥- رد الشمس للإمام علي - بيروت ١٩٨١
- ٦- النبي حزقيال (ذو الكفل) سيرته ومشهده في بابل ، دمشق ١٩٨١، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٩.
- ٧- أعلام النساء في الكوفة الفراء، دمشق ١٩٨١
- ٨- سورة يس - دراسة قرآنية - باللغة الكجراتية ، أحمد آباد (الهند) ١٩٨٢
- ٩- روزه اسلام مه باللغة الأوردية - كراتشي (الباكستان) ١٩٨٢
- ١٠- تاريخ الإمامية في البلاد الشامية ، الجزء الأول ، دمشق ١٩٨١
- ١١- تاريخ مساجد الكوفة ، حيدرآباد الدكن (الهند) مطبعة مجلس أنوار المعارف ١٩٨٢.
- ١٢- الدرة اليتيمة في فضائل السيدة العظيمة لعبد الله المير غني الحنفي المكي (ت ١١٩٣ هـ) بيروت ١٩٨٥
- ١٣- المواهب والمنت في مناقب الإمام الحسن - للسيد محمد بن حسين المدني الشافعي الجفري (١١٤٩ - ١١٨٦ هـ) بيروت (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م).
- ١٤- قرعة كل عين في مناقب الإمام الحسين - للسيد الجفري (ت ١١٨٦ هـ) بيروت ١٩٨٥.
- ١٥- المواهب الفزار في مناقب حيدرة الكرار - للسيد الجفري. بيروت ١٩٨٥.
- ١٦- الفتح والبشرى في مناقب الزهراء - للسيد للجفري - بيروت ١٩٨٥.
- ١٧- طيف الإنشاء أو رسالة الطيف لأبي الحسن عيسى بن أبي الفتح الأريلي (ت ٦٩٣ هـ) بيروت ١٩٨٥
- ١٨- جنة الأسماء الممتازة في الأرض والسماء - للإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) بيروت ١٩٨٥
- ١٩- فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام - للحافظ ابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ) بيروت ١٩٨٥ وترجمه للفارسية: إحسان قدس، دارنشر نيرو برك سنة ١٣٨٣ هـ . ش.
- ٢٠- غرر الحكم ودرر الكلم للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام جمع القاضي ناصح الدين عبد الواحد التميمي الأمدي (ت ٥٥٠ هـ) قدم له فخامة الرئيس اليمني القاضي عبد الرحمن الأرياني . بيروت - دار القارئ ١٩٨٦.
- ٢١- الإيضاح في أسرار النكاح للشايخ عبد الرحمن بن نصر العدوي الطبري الشيزري المتوفى (٧٧٤ هـ - ٨١٣ هـ) بيروت ١٩٨٦
- ٢٢- الضخيرة في فقه الحنفية - للشيخ فخر الدين الطريحي (٩٧٩ - ١٠٨٥ هـ) بيروت - دار البلاغ ١٩٨٦
- ٢٣- الضياء اللامع في شرح المختصر النافع - للشيخ فخر الدين الطريحي - (٩٧٩ - ١٠٨٥ هـ) طبع ١٩٨٦ .



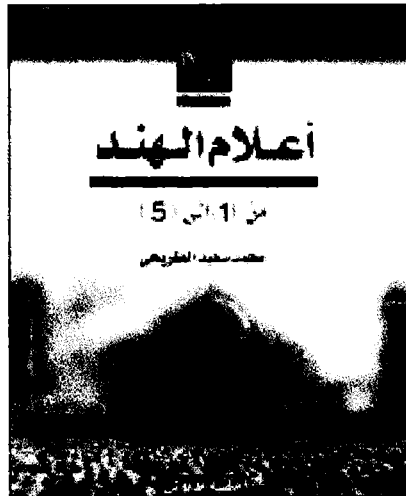
- ٢٤- الأريمون حديثاً - للشيخ فخر الدين الطريحي - بيروت - دار البلاغ ١٩٨٦
- ٢٥- جامعة الفوائد في إثبات حجية الظن - للشيخ فخر الدين الطريحي - دمشق ١٩٨٦
- ٢٦- حسن المقصد في إثبات عمل المولد - للسيوطي - بيروت ١٩٨٦
- ٢٧- الثغور الباسمة في فضائل فاطمة عليها السلام - للسيوطي - بيروت ١٩٨٧
- ٢٨- إحياء الميت بفضائل أهل البيت - للسيوطي - بيروت ١٩٨٧ وأعيد طبعه مع ترجمه إلى اللغة الأوردية إيران، طهران: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، كما ترجمه للفارسية: إحسان قدس، ونشرته دار ذيلو برك سنة ١٣٨٣ هـ. ش.
- ٢٩- دليل معجم رجال الحديث للإمام الخوئي - يومئذ ١٩٨٣ - بيروت ١٩٨٦ - إيران ١٩٨٦
- ٣٠- خزائن الكتب القديمة في الكوفة - بغداد ١٩٧٩ (ترجم ونشر بالفارسية في قم - إيران ١٩٩٠ / دار مجلة آئينه بزوهش)
- ٣١- المخطوطات العربية في مكتبة الوزيري (يزد - إيران) بيروت ١٩٨٩
- ٣٢- العتبات المقدسة في الكوفة - بيروت ١٩٨٦
- ٣٣- تاريخ الأحمدي للأمير أحمد حسن بهادر خان الهندي - بيروت ١٩٨٨
- ٣٤- المحمة العلوية للشيخ جعفر بن عبد الحميد الهلالي - بيروت - مؤسسة الوفاء ١٩٨٨
- ٣٥- مختصر جواهر الكلام في الحكم والأحكام - للأمدى (ت ٥٥٠ هـ) بيروت ١٩٩٠ دار العلوم.
- ٣٦- تحية القاري تصحيح البخاري لمحمد علي عز الدين (ت ١٣٠٠ هـ) بيروت ١٩٩٧ دار المرتضى. والطبعة الثانية دار الكتاب الإسلامي، إيران، قم.
- ٣٧- دولة النجف - دار الموسم هولندا ٢٠٠٤، الطبعة الثانية النجف، دار النبراس ٢٠٠٤.
- ٣٨- أجراس كربلاء (المجموعة الأولى) بيروت - دار البلاغ ١٩٨٩.
- ٣٩- صوت الولاء في مدح الرسول وآله الأولياء لأحمد رشيد مندو - دمشق ١٩٩٠.
- ٤٠- الهيام بين العراق والشام (دمشق في الشعر العراقي) - الدار العالمية - دمشق ٢٠٠٥.
- ٤١- المسيحية في بلاد الشام مع عناية خاصة بحريق دمشق سنة ٧٤٠ هـ - ليدن هولندا ٢٠٠٢. الطبعة الثانية دمشق ٢٠٠٨، دار التكوين.
- ٤٢- تاريخ الأديان قديماً وحديثاً - جامعة روتردام الإسلامية - هولندا ١٩٩٩.
- ٤٣- مسلمون لا طوائف (سوسولوجيا الصراع الديني بين السنة والشيعة) - بلجيكا ٢٠٠٥. الطبعة الثانية بيروت دار البلاغ ٢٠٠٧.
- ٤٤- تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطائب لشهاب الدين القليوبي (ت ١٠٦٩ هـ) بلجيكا ١٩٩٥. الطبعة الثانية بيروت ٢٠٠٨.
- ٤٥- النخبة العلية في السادة العلوية لمحمود أنسي ابن السيد محمد الحجازي الدمياطي (ت بعد ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م). بيروت ٢٠٠٨.
- ٤٦- المآثر النفيسة في مناقب السيدة نفيسة - القاهرة ١٩٨٥. بيروت ٢٠٠٨.
- ٤٧- دلائل التعظيم لآل المصطفى الكريم للسيد محمد أبي الهدى الصيادي الرهاقي (المتوفى سنة ١٣٢٨ - ١٩٠٩ م) أمريكا - مشيخان ١٩٩٧.
- ٤٨- الرسالة لذوي الأبواب ليعلموا حقوق العترة والكتاب لأحمد بن زين العابدين الجفري - اندونيسيا (جاوة الوسطى) ١٩٩٧
- ٤٩- هؤلاء الرجال من العراق - لندن ٢٠٠٠
- ٥٠- من آفاق الثقافة التركمانية - ألمانيا (١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م)
- ٥١- الشيعة في أفريقيا (تنزانيا ٢٠٠٣)
- ٥٢- تاريخ العلاقات العربية - الهولندية - لاهاي (هولندا) ١٩٩٤
- ٥٣- خريدة عقد اللال في التوسل للنبي بالآل للشيخ أبي الثناء سيدي محمود قابادو الشريف الأندلسي - بروكسل ١٩٩٩. بيروت ٢٠٠٨.
- ٥٤- الفوز بالمراد في تاريخ بغداد للآب أنستاس ماري الكرمل - هولندا ٢٠٠٢ م.



- ٥٥- اعلام الهند (مجلدان) - الطبعة الأولى هولندا ١٩٩٥ - الطبعة الثانية بيروت، دار البلاغ ٢٠٠٥: الطبعة الثالثة القاهرة، مكتبة مدبولي ٢٠٠٨.
- ٥٦- ملحمة الراماينا الهندية - بومباي ١٩٨٥. دمشق دار نينوى ٢٠٠٨.
- ٥٧- تحية الهند - دمشق ١٩٨٨ - طبعة ثانية ١٩٨٩
- ٥٨- أوراق الذهب (المعادن اللجينية في المحاسن الوهبية الحسينية) للشوشري - بومباي ١٩٨٩، بيروت، دار البلاغ ٢٠٠٧.
- ٥٩- الشيعة في العصر المغولي - بومباي ١٩٨٩. هولندا ٢٠٠٥.
- ٦٠- تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين - للمليباري المعبري (ت بعد ١٩٩١) بيروت ١٩٨٥ - دار الوفاء
- ٦١- عجائب الهند بره وبحره وجزائره - لبزرك بن شهریار الرامهرمزي (صنفه حدود ٣٣٩ هـ) بيروت ١٩٨٦
- ٦٢- مصادر الدراسات الهندية - لندن - هولندا ١٩٩١. بيروت دار البلاغ ٢٠٠٧.
- ٦٣- أسد الله غالب شاعر الهند (١٢١٢ - ١٢٨٥ هـ) - هولندا ٢٠٠٥
- ٦٤- ملوك حيدرآباد (تاريخ المملكة القطب شاهية) - هولندا ٢٠٠٥.
- ٦٥- ديانة السيخ - بيروت ١٩٩٦
- ٦٦- الهندوسية تاريخها وتقاليدها - هولندا ١٩٩٥
- ٦٧- تيبو سلطان أسد ميسور (١١٦٣ - ١٢١٣ هـ) - هولندا ١٩٩٥
- ٦٨- طاغور (دراسات ومختارات) هولندا ١٩٩٥
- ٦٩- تاريخ مملكة أوده - هولندا ١٩٩٤
- ٧٠- الكتابات الإسلامية في الهند (مجلدان) - هولندا ١٩٩٣. هولندا ٢٠٠٩.
- ٧١- المملكة البهمنية (٧٤٨ - ٩٣٢ هـ) - لندن - هولندا ١٩٩٨
- ٧٢- المملكة النظام شاهية (وأسرار الإسماعيلية المستترة في الهند) - لندن - هولندا ١٩٩٨.
- ٧٣- المملكة العادل شاهية - لندن - هولندا ١٩٩٨.
- ٧٤- مملكة كجرات الإسلامية - لندن - هولندا ١٩٩٧.
- ٧٥- أوصاف الأشراف للشيخ نصير الدين الطوسي - الهند ١٩٨١. هولندا ٢٠٠٤.
- ٧٦- فضائل أمير المؤمنين لأحمد بن حنبل - بلجيكا ١٩٩٣.
- ٧٧- اليهودية والمسيحية في المراجع العربية - هولندا ١٩٩٩.
- ٧٨ - عقد اللال في مدح نسب آل، يحيى بن محمد بن الهادي اليمني (١٣٠١ - ١٣٧٢ هـ) هولندا (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).
- ٧٩- الشيخ أحمد الوائلي أمير المنبر الحسيني - بيروت، دار المرتضى ٢٠٠٦. الطبعة الثانية دار مدين، قم ٢٠٠٧.
- ٨٠- وسيلة المولم المرفوعة إلى سيد ولد آدم محمد المبعوث إلى كافة العرب والعجم للشيخ عبد الله بن علي الأنف الاسماعيلي (المتوفى ٨٨٢ هـ) بلجيكا ١٩٩٦.
- ٨١- ذكرى الشيخ محمد كاظم الطريحي - هولندا ٢٠٠٤
- ٨٢- الماسونية في العراق - هولندا ٢٠٠٤
- ٨٣- المخطوطات العربية في مكتبة المدرسة الفيضية - إيران. هولندا (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
- ٨٤- المخطوطات العربية في مكتبة السيد الكلبيكاني - إيران. هولندا (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
- ٨٥- المخطوطات العربية في مكتبة مسجد أعظم - إيران. هولندا (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).
- ٨٦- المنتخب للطريحي (كلمات وقصائد عاشورية) (مجلدان)، بيروت، دار المرتضى.
- ٨٧ - هكذا عرفوا جعفر الخليلي، هولندا، ٢٠٠٧



- ٨٨- أساطير افريقية (مراجعة)، دار نينوى، دمشق ٢٠٠٧.
- ٨٩- مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ت (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) - هولندا ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ٩٠- فضل أمير المؤمنين للحافظ تقي الدين علي بن الحسن الشافعي، بيروت ٢٠٠٨.
- ٩١- اللواتية الحيدر آبادية - هولندا (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)
- ٩٢- الفاطميون والعالم ٣ أجزاء، هولندا - (١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م) - (١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م).
- ٩٣- الأحمديّة القاديانية في ميزان الحق، هولندا ٢٠٠٨.
- ٩٤- منشآت السلاطين، هولندا ٢٠٠٨.
- ٩٥- بين النجف والهند، وقصة وقف أودة، لندن ١٩٩٩.
- ٩٦- كنوز العلويين ومآثر الفاطميين (كرامات آل محمد)، بيروت ٢٠٠٨.
- ٩٧- موسوعة الديوان (في التراث العراقي)، (٤ أجزاء) لاهاي ٢٠٠٠.
- ٩٨- النسيج والسجاد الصوفي في مرقف الإمام علي (ع) في النجف الأشرف، هولندا ٢٠٠٩.
- ٩٩- إمارة رامبور، هولندا ٢٠٠٩.
- ١٠٠- الشيخ تاريخهم وعقائدهم، دار نينوى، دمشق ٢٠٠٩.
- ١٠١- حكم النبي محمد (ص) لتولستوي (مراجعة وتقديم)، دار نينوى، دمشق ٢٠٠٩.
- ١٠٢- التنبؤات البابلية، دار نينوى ٢٠٠٩.
- ١٠٣- السحر المصري، دار نينوى ٢٠٠٩.
- ١٠٤- أمير المؤمنين في آثار الأوروبيين - هولندا (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م).
- ١٠٥- الحان الإيمان وأناشيد أمناء الرحمن، بيروت، دار البلاغ ٢٠٠٩.
- ١٠٦- الزردشتية عقيدة وثقافة، هولندا، ٢٠٠٩
- ١٠٧- رحلات إلى الهند، دار نينوى دمشق - ٢٠١٠ م.
- ١٠٨- الحساب الهندي، دائرة المعارف الهندية، مومباي ٢٠١٠ م.
- ١٠٩- الشيعة الأكراد، دار نينوى - ٢٠١٠ م.
- ١١٠- الأنساب الحسنية والحسينية، دمشق ٢٠١٠ م.



ALMAWSEM



موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها
محمّد بن عبد الله الطيّح



KUFA ACADEMY POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEIJERLAND
NEDERLAND

<http://www.almawsem.net>

<http://www.yafatim.com>

e-mail: almawsem@almawsem.net

المراسلات